’al-Muqtabas.
’al-Qāhirah, 1324 [1906]-1908.

http://hdl.handle.net/2027/umn.319510029968608

al-Muqtabas

المقتبس

مجلة أدبية علمية اجتماعية تصدر بالقاهرة في غرة كل شهر عربي

« لمنشئها محمد كرد علي »

قيمة الاشتراك خمسون قرشاً صحيحاً في مصر وثلاثة عشر فرنكاً في سائر الاقطار تدفع مقدماً

AL-MOKTABAS

Revue mensuelle, littéraire, scientifique & Sociologique

"Le Caire-Egypte"

﴿ المجلد الاول ﴾

« سنة ١٣٢٤ هجرية الموافقة لسنتي ١٩٠٦ ــ ١٩٠٧ افرنجية »

طبع بمطبعة الظاهر والمطبعة العمومية

فهرس المجلد الاول من المقتبس

(ب)

(م)

الجزء الأول　　　　المجلد الأول

المقتبس

غرة محرم سنة ١٣٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ اليك المفزع ، وفيك الرجاء ، و منك الهداية ، فاحلل اللهم عقدة من لساني ، وعلمني بالقلم ما لاأعلم ، كما علمت عبادك المخلصين ، واهدني صراطك المستقيم .

وبعد فهذه نشرة تصدر على رأس كل شهر عربي تقتبس ماتتمثل فيه فائدة صالحة من كلام الثقات الأثبات من مشارقة ومغاربةوقدماء ومحدثين . وقد سُميت «المقتبس» ولكل شيء من اسمه نصيب . وستتنكب في مسطورها مذاهب المذاهب والنحل ، وتتجافى عن طرق طرق السياسات والدول ، حتى تصفو مواردها من النزعات والنزغات ، ولا يستهويها في جانب ماتعتقده الحق وازع ولا منازع . تتمحض للعلم المحض فلا يتحرج من تلاوتها الموافق والمخالف ، ولا يتبرم بها العارف والعازف ، وتنطلق في الفكر ، وتتجوز في الاقتباس والنشر ، وتدرج في مطاويها ، ماوافق اغراضها ومغازيها .

فليتفضل من أوتوا حظاً من العلم فكان همهم نفع الانسان من حيث هو انسان ، وخدمة المعارف لانها مشاعة في الامم نافعة للعمران ، ويمنوا عليها من فيض قرائحهم وثمرات ابحاثهم بما تتألف منه ندوة علمية حافلة بالمطالب الممتعة الموجزة ، ومجلس علم يختلف اليه العالم والمتعلم فيعود كل منهما ببغيته منه ، ومعرض حكمة تعرض في اصونته مايلائم اذواق أهل كل جيل وأفق من ضروب البضائع والاعلاق ، وديوان اخوان تسوده أقلام المنوّرين والمفكرين ، وتقرهم عليه طائفة العالمين العاملين .

والله المسئول ان يربأ بهذا المقتبس عن ان يكون جعبة مشاغبة واهواء ، وصحيفة تبجح ورياء ، وان يبرئه من آفات التطويل والتكرار ، ويدفع عنه عوادي المعايب والمعاير ، ويجعله خير ذخر اذا الصحف نشرت ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه سبحانه وسعدانه .

صدور المشارقة والمغاربة

ابن حزم

ولد سنة ٣٨٤ وتوفي سنة ٤٥٦ هـ

في الناس من يفادون بنفوسهم حباً بنفع يرجون ان يجنيه اهلهم وعشيرتهم ويتعزون عن ذلك بما يصيبونه من مغنم ديني أو دنيوي ومن هذه الفئة ابن حزم الاندلسي . فقد ترك وزارة المستظهر بالله اختياراً لما آنس من نفسه الغناء في العلم ، وأقبل على القراءة وتقييد الآثار والسنن ، فنال من ذلك مالم ينله أحد قبله بالاندلس حتى عدّ قريع دهره ، ووحيد قطره ، والف من

كتب الادب، والدين والنسب وغيرها ، مايبلغ نحو اربعمائة مجلد أو نحو ثمانين الف ورقة

كان أبو محمد بن حزم على كثرة علمه وعقله ، شديد اللهجة ، صعب الطريقة ، ولعلّ ذلك ناتج من العلة الشديدة (١) التي كانت اصابته كما قال عن نفسه فولدت عليه ربواً في الطحال شديداً فولد ذلك عليه من الضجر ، وضيق الخلق ، وقلة الصبر والنزق ، أمراً جاشت نفسه فيه ، اذ انه أنكر تبدل خلقه ، واشتد عجبه من مفارقته لطبعه ، وصح عنده ان الطحال موضع الفرح : اذا فسد تولد ضده . قال ، ولكل شيء فائدة ، ولقد انتفعت بمحك أهل الجهل منفعة عظيمة وهي انه توقد طبعي ، واحتدم خاطري ، وحمي فكري ، وتهيج نشاطي ، فكان ذلك سبباً الى تواليف عظيمة النفع ، ولولا استثارتهم ساكني ، واقتداحهم كامني ، ما انبعثت لتلك التواليف .

وما يشاهد اذاً في كتابه الملل والنحل من إفحاش الطعن على من خالفه قد دفعه اليه مزاجه ، وكان هو السبب الذي دعا الى تألب خصومه عليه في حياته . قال أبو مروان بن حيان مؤرخ الاندلس : (٢) كان أبو محمد حافظاً فنوناً من حديث وفقه وجدل ونسب ، وما يتعلق بأذيال الادب ، مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة . له في بعض تلك الفنون كتب كثيرة غير انه لم يخلُ فيها من غلط وسقط ، لجرأته في التسور على الفنون لاسيما المنطق ، فانهم زعموا انه زلّ هنالك ، وضلّ في تلك المسالك ، وخالف ارسطاطاليس واضعه مخالفة من لم يفهم غرضه ، ولا ارتاض في كتبه .

---

(١) مداواة النفوس (٢) الذخيرة لابن بسام وهو مخطوط بخط مغربي من خزانة كتب العلامة الفاضل الشيخ طاهر الجزائري في دمشق

ومال أولاً به النظر في الفقه الى رأي محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله وناضل عن مذهبه ، وانحرف عن مذهب سواه ، حتى وُسم به ، ونسب اليه ، فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء ، وعيب بالشذوذ ، ثم عدل في الآخر الى قول أصحاب الظاهر مذهب داود بن علي ومن اتبعه من فقهاء الامصار ، فنقحه ونهجه ، وجادل عنه ، ووضع الكتب في بسطه ، وثبت عليه الى ان مضى لسبيله رحمه الله .

وكان يحمل علمه هذا ويجادل من خالفه فيه على استرسال في طباعه ، ومذل (إفشاء) باسراره ، واستناد الى العهد الذي أخذه الله على العلماء من عباده ، ليبيننه للناس ولا يكتمونه . فلم يكُ يلطف صدعه ، بما عنده ، بتعريض ولا يزنه بتدريج ، بل يصك به معارضه صكّ الجندل ، وينشقه متلقنه انتشاق الخردل ، فينفر عنه القلوب ، ويوقع به الندوب ، حتى استهدف الى فقهاء وقته فتمالأوا على بغضه ، وردوا أقواله ، وأجمعوا على تضليله ، وشنعوا عليه ، وحذّروا سلاطينهم من فتنه ، ونهوا عوامهم عن الدنوّ اليه ، والاخذ عنه ، فطفق الملوك يقصونه عن قربهم ، ويسيرونه عن بلادهم ، الى ان انتهوا به منقطع أثره بتربة بلده من بادية لبلة وبها توفي رحمه الله سنة ست وخمسين واربعمائة وهو في ذلك غير مرتدع ، ولا راجع الى ما أرادوا به . يبث علمه في من ينتابه ببادية تلك من عامة المقتبسين منهم من اصاغر الطلبة الذين لا يخشون فيه الملامة يحدثهم ويفقههم ، ويدارسهم ، ولا يدع المثابرة على (التعليم) والمواظبة على التأليف والاكثار من التصنيف ، حتى كمل من مصنفاته في فنون من العلم وقر بعير لم يعدُ أكثرها عتبة باديته بتزهيد الفقهاء وطلاب العلم فيها ، حتى حرق بعضها باشبيلية ، ومزقت علانية ، لا يزيد مؤلفها في

ذلك الا بصيرة في نشرها ، وجدالاً للمعاند فيها ، الى ان مضي لسبيله وأكثر معايبه زعموا عند المنصف له، جهله بسياسة العلم التى هي (أعوص) من ايعابه ، وتخلفه عن ذلك على قوة سبحه في غماره ، وعلى ذلك كله فلم يكن بالسليم من اضطراب رأيه ، ومغيب شاهد علمه عنه عند لقائه ، الى ان يحرك بالسؤال فيفجر منه بحر لايكدره الدلاء ، ولا تقصر عنه الرشاء ، له على كل ماذكرناه دلائل ماثلة ، وأخبار مأثورة ، وكان مما يزيد في شنآنه تشيعه لامراء بني أمية ماضيهم وباقيهم ...

وبعد ان ذكر ابن حيان إدلال ابن حزم بأرومته ونسبه ، مع انه من عجم لبلة ، وماله من المجالس مع أولي المذاهب المرفوضة من أهل الاسلام وأورد بعض تآليفه قال: ومن شعره يصف ما أحرق له من كتبه ابن عباد قوله :

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي ... وينزل ان أنزل ويدفن في قبري
دعوني من إحراق رقّ وكاغد ... وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
وإلا فعودوا في المكاتب بدأة ... فكم دون ماتبغون لله من سر

وله : من ظلّ يبغي فروع علم ... يُدرى ولم يدر منه أصلا
فكلما ازداد فيه سعيا ... زاد لعمري بذاك جهلا

وقال : كأنك بالزوار لي قد تبادروا ... وقيل لهم أودى عليّ بن أحمد
فيارب محزون هناك وضاحك ... وكم أدمع تذرى وخد مخدد
عفا الله عني يوم ارحل ظاعناً ... عن الاهل محمولا الى بطن ملحد
واترك ماقد كنت مغتبطاً به ... والقى الذي آنست دهراً بمرصد

فوا راحتي ان كان زادي مقدماً   ويانصبي ان كنت لم اتزود

ويالبدائع هذا الحبر عليّ وغرره ما أوضحها على كثرة الدافنين لها والطامسين لمحاسنها وعلى ذلك فايس ببدع فيما أضيع منه فازهد الناس فى علم أهله . وقبله رُدي العلماء بتبريزهم على من يقصر عنهم والحسد داء لادواء له – انتهى كلام ابن حيان فى خبره

قلت انا (ابن بسام) ولعمري ماعقه ، ولا بخسه حقه ، وقال ابن بشكوال : كان أبو محمد أجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام وأوسعهم معرفة على توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والاخبار . وسننشر طرفاً صالحاً من جيد شعره .

الأُمية والكتاتيب

ليس في التاريخ ما يصح الاعتماد عليه في حال الأُمية في الصدر الاول اللهم الا بضعة سطور مبعثرة في تضاعيف الاسفار . وغاية ما استخلصته أن الكتابة والقراءة والحساب انتشرت بين أهل الاسلام على الزمن ولم يكن تعليمها الناس إلزامياً حتماً بل كان اختيارياً على نحو ما أمر الرسول عليه السلام اسارى أصحابه في احدى الوقائع ان يفتدوا أنفسهم اذا لم يكن لهم مال بتعليم عشرة من أولاد المسلمين القراءة والكتابة

والأُميّ والأُمان من لا يكتب او من على خلقة الأُمة لم يتعلم الكتاب وهو باقٍ على جبلته كما جاء في القاموس وزاد في التاج إنا امة امية لا نكتب ولا نحسب اراد انه على أصل ولادة امهم لم يتعلموا الكتابة والحساب فهم على جبلتهم الاولى . وقال بعضهم ومجاز الاميّ على ثلاثة وجوه قولهم أميّ

منسوب الى أمة رسول الله (ص) ويقال رجل أمي اذا كان من أم القرى أي مكة والنبي الأمي انما أراد الذي لا يقرأ ولا يكتب والامية في النبي فضيلة لانها أدل على صدق ما جاء به .

قال صديق حسن خان: في تفسير قوله تعالى ومنهم أميون لا يقرأون الكتاب الا أماني أي من اليهود. والأمي المنسوب الى الأمة الامية التي هي على أصل ولادتها من أمهاتها لم تتعلم الكتابة ولا تحسن قراءة المكتوب. ومن حديث إنا أمة امية لا نكتب ولا نحسب. وقال أبو عبيدة: انما قيل لهم أميون لنزول الكتاب عليهم كأنهم نسبوا الى أم الكتاب فكأنه قال: ومنهم أهل كتاب وقيل هم نصارى العرب وقيل هم قوم كانوا أهل كتاب فرفع كتابهم لذنوب ارتكبوها وقيل هم المجوس حكاه المهدوي وقيل غير ذلك والراجح الاول وقيل اميون أي عوام .

على ان الكتابة العربية لم تنتشر في جزيرة العرب قبل الاسلام بكثير. وأول من كتب فيها مرامرة بن مرة من اهل الانبار. قال الاصمعي : ذكروا ان قريشاً سئلوا من أين لكم الكتابة فقالوا من الحيرة وقيل لاهل الحيرة من أين لكم الكتابة فقالوا من الانبار . والناقل لهذه الكتابة كما في رواية بعض المؤرخين حرب بن أمية القرشي الأموي والغالب ان واضعها مرامرة المشار اليه . هكذا شاعت الكتابة قبيل الاسلام كما نقل العرب الحساب عن الهند. وكانت لحمير على ماروى ابن خلكان كتابة تسمى المسند وحروفها منفصلة غير متصلة وكانوا يمنعون العامة من تعلمها فلا يتعاطاها أحد الا باذنهم فجاءت ملة الاسلام وليس في جميع اليمن من يقرأ ويكتب.

قلت: وليس هذا شأن اليمانيين وحدهم في منع عامتهم من تعلم الكتابة

والقراءة والخروج من دركات الجهل والأُمية بل كانت هـذه عادة الامم القديمة الا القليل منها يخصون العلم والتعلم بطبقة خاصة من الناس . فقد حصر قدماء المصريين والاشوريين العلم بخدمة الدين واحتكره ابناء الاشراف عند الفرناطيين والرومانيين واختصت به فئة معلومة منتخبة من الهنديين واليونانيين حتى اذا جاء الاسلام اطلق حرية التعلم واباح تناول العلم لكل متناول وكان من اثره ما كان من الحضارة الراسخة

هذه زبدة ما يقال في معنى الأُمية في الاسلام وقد تقلبت الاحوال باهله حتى اصبح من لا يستحق منهم هذه الصفة اعزَّ من الغراب الاعصم وهبت على اهل هذا الشرق هبة من روح الارتقاء منذ نحو قرن ومابرحت تختلف باختلاف الايام حتى قام في العهد الاخير ناسٌ راغبون في انهاض الأُمة من حضيض الامية رجاء تحسين احوال المجتمع وانتقاء فئة من نوابغ المتعلمين ليكونوا بعدُ رجال العلم والقضاء والادارة وسائر مذاهب المعاش .

وما اظن مصر حتى اليوم قامت بعمل اعظم من اهتمام رجالها هذه الآونة بافتتاح كتاتيب يتعلم فيها عامة بنيها ما يخرجهم عن طور الأُميـة ويلحقهم بالمتعلمين النافعين . وقد شهد كل عاقل ينظر في العواقب من آثار هذه الهمة القعساء ما يرجى معها اذا دامت على اشدّها زمناً ان يزيد عدد الدارسين في هـذا القطر على عدد الاميين من اهله وهناك أُبشر بالخـير الذي يعود من فضل هذه العناية على القطر المصري بل على سائر الاقطار والامصار . وعسى ان يعتبر بهـذه النهضة المباركة رجال البـلاد المجاورة فيجنون من كتاتيبهم ومدارسهم لو توفروا على اصلاحها والاستكثار منها ما لا تأتيهم به الاماني والتعللات والله الملهم والمسدد .

سيئات القرن الماضي

من مقالة لاحد علماء الفرنسيس نشرت حديثاً في احدى المجلات العلمية

من القضايا التي استلفتت الانظار انتشار الامراض العصبية في القرن التاسع عشر وخصوصاً في النصف الثاني منه انتشاراً لم يعهد من قبل على ما دخل المجتمع من الاصلاحات والتقلبات في حالتيه الطبيعية والادبية . فلو طاف الباحث نصفي الكرة الارضية وراقب عن أمم شرقها وغربها شمالها وجنوبها ، مدنها الصغرى والكبرى ، اصقاعها الباردة والحارة ، لسمع الانسانية تئن من تزايد الامراض العصبية كل يوم وقد أصيبت بها أرباب الصناعات والحرف على اختلاف الاعمار والجنس ولم تعمل فيها انقلاب العادات وطرق المعيشة وأساليب الفكر والحس على ما حصل من ارتقاء العلوم الطبيعية وعلوم الحياة التي بها عرف ما كان من قبل مجهولاً من أمراض الدماغ وما انتهى اليه العلم من طبائع الامراض العصبية وعللها ودلائلها .

وارتقاء العلوم الطبيعية في هذا القرن لا يرفع الملام عن اطباء القرون الماضية لسكوتهم عن الامراض العصبية . فقد نراهم أحسنوا معرفة الاحوال الطبيعية وظواهرها وراقبوها أحسن مراقبة وان لم يعلقوا عليها شرحاً مرضياً . عرفوا حق المعرفة حقيقة البول السكري والصرع والتشنج وغيرها من الادواء ولم يعرفوا الخناق وأنواع الحميات والهزال العصبي وهذيان الشيوخ وغيرها من الاوصاب المنتشرة بين أهل جيلنا . لا جرم ان كثرة الامراض العقلية تستدعي نظر الحكومات والباحثين في الصحة والاخلاق فقد زاد عدد المجانين في أوربا وأميركا زيادة عظيمة في أواخر القرن الماضي . والجنون على الجملة أربع طبقات : جنون مطبق ، وجنون خبل ، وجنون ناتج

من خبال الشيخوخة،والبلاهة والتغفل « والجنون كما قالوا فنون » ويكون جنون الخبل ناتجاً من تعاطي الالكحول فان المدمنين للشراب مابرحوا ينمون نمواً عجيباً . وانكلترا أكثر البلاد التي زاد فيها الجنون في هذه الاثناء . فقد كان عددالمعتوهين فيها سنة ١٨٦٦ ـ ٥٣الفاً فصار سنة١٨٩٧ـ ٩٩ الفاً فالمعتوهون الآن واحد في كل ٢٩٣ بانكلترا . وقد ثبت لدى اطباء بريطانيا ان مجانينهم كثروا بكثرة انهماك القوم في تناول الاشربة الروحية فان ٣٣ في المئة من المعتوهين هم ممن يتعاطون المسكرات عندهم .

وقد نشر حديثاً أحد نُطس الاطباء بحثاً دقيقاً في الجنون بالولايات المتحدة فثبت عنده بالاحصاء ان أكثر الولايات عرضة للجنون هي التي كثر تعاطي الاعمال الصناعية فيها في جنوبي البلاد. أما البلاد الزراعية فان المصابين بها أقل من ذلك فتجد في مقاطعة الماساشوست مجنوناً في كل ٣٤٨ ساكناً على انك لاتجد غير مجنون واحد في كل ٩٣٥ من مقاطعة الاركانساس . والجنون بين السود أقل انتشاراً منه بين البيض . وما دام الزنوج نازلين في الارياف فهم في مأمن من ضياع العقل ولكن متى نزلوا الحواضر وأخذوا في مجاراة البيض ومجاذبتهم حبل الجهاد الاجتماعي يكثر فيهم هذا الداء فيملأُون البيمارستانات والمستشفيات .

ومن أمراض هذا القرن ماعرفه أطباء الاميركان من مرض دعوه نوراستينيا أو ضعف المجموع العصبي . مرض يكثر انتشاره في البلاد التي تزدحم فيها اقدام السكان . ولم يعرفه قدماء الاطباء فخلطه بعضهم بفقر الدم وبعضهم بالهستيريا ومعظم المصابين به ممن صرفوا قبل الوقت قواهم العصبية في الافراط بالشهوات من الرجال وممن ضعف تركيبهن النامي من النساء

بتعدد الحمل والرضاع وممن أصابتهم خطوب وأهاويل واستولى عليهم أرق متتابع . بل ويصاب به أيضاً من صرفوا أوقاتهم منذ طفوليتهم في استعمال قواهم العقلية بما لا تسمح به تراكيبهم ولا يعوض الغذاء مايصرفونه من دقائق الدماغ على نحو ماترى شباناً انجزوا دروسهم ولم يستطيعوا التغلب على مصاعب الحياة فخانتهم قواهم وجهادهم فاضاعوا الثقة بأنفسهم وظنوها عجزت عن الغلبة على ماصادفوه في طريق حياتهم من المشاق فسدت قلة القوة الحيوية في وجوههم سبل الاعمال ، وقلبت لهم تقلبات الزمن ظهر المجن ، فامسوا ولا يرون الامور الامن وجهتها التي لا ينبغي ان ينظر اليها فيحدث عندهم كل مايرتاح اليه نظراؤهم كدراً ولهفاً . وتختلف اعراض هذا الداء حتى في الشخص الواحد في كل دور من أدواره ويكثر شيوعه بكثرة الشقاء الاجتماعي وتعدد أسباب الجهاد في الحياة .

ومن أمراض هذا القرن ابتلاء بعضهم بالحقن بالمورفين تخفيفاً لبعض آلام تصيبهم أو تفادياً من تصور عوارض يخشون الوقوع فيها وقد ابتليت المدنية الغربية بهذه الوصمة كما ابتليت المدنية الشرقية في الهند والصين وتركيا بوصمة التخدر بالافيون . ومعظم من يخدرون حواسهم بالمورفين تسكيناً للآلام والاوصاب هم أهل العقول الكبيرة وربما كانوا ممن يعجب الناس بمواهبهم العلمية . وثلث المصابين به من الاطباء . وفيهم قادة الجيوش ورجال السياسة . وقد اقيمت مستشفيات في انكلترا والمانيا وفرنسا (وأميركا) ليقلع الداخلون اليها عن عادة استعمال هذا المخدر بالوسائط العلمية والعملية .

ومن مفسدات الجنس البشري في هذا القرن التسمم بالكحول فقد زاد صرف المشروبات الروحية في النصف الاخير منه حتى قدر أحدهم

خمسة من المئة يموتون في مستشفيات باريز من فعل الالكحول . وأوربا سواء في استعمال الخمور اللهم الا الاقاليم الشمالية الباردة الرطبة منها مثل روسيا والسويد ونروج وبلجيكا فان شرب الكحول مألوف فيها كل الألفة ويفرط السكان في تناوله وخصوصاً طبقات العملة منهم . فقد أصاب الفرد في فرنسا سنة ١٨٧٦ أربعة ليترات من الا لكحول في السنة وأصاب الفرد في المانيا خمسة وفي انكلترا ستة وفي روسيا من عشرة الى اثني عشرة الى عشرين ليتراً بحسب الولايات والصناعات . ولم يجدِ فرنسا إكثارها من وضع الضرائب على الالكحول اذ لم ينقص شاربوه .

والتسمم بالمسكرات اخف وطأة في البلاد التي تجود فيها الكروم مثل اسبانيا وايطاليا والبرتغال وجنوبي فرنسا وقلما يصيب الفرد فيها غير لتر واحد أو لترين في السنة . واختلفت بلاد الغرب في وضع قوانين لبيع المشروبات فاكتفى بعضها بالاحتكار وبعضها بضرب الضرائب الفاحشة . ونشأت فيها عدة جمعيات تحض الناس على الامتناع عن المسكرات. وهذه الجمعيات تعظم فائدتها كلما كثرت في كل صقع وناد وساعدتها الارادة الشخصية . وقد زاد عددها في انكلترا ونورمنديا وسويسرا والسويد يعرّف القائمون باعبائها بني قومهم بمضار الالكحول الطبيعية والادبية والعقلية . وان الحكومات لتحسن صنعاً اذا أرادت معلمي المدارس على ان يقرئوا الاطفال شيئاً في قواعد الصحة ويدلوهم على ما تحدثه الا لكحول من سوء الأثر في الجسم وما ينتج الامتناع عنها من سعادة المرء والأسرة.

تعليم اللغات

ان تعليم اللغات على الطريقة التي جرى عليها الغربيون واقتبسها المشارقة قد تكون نظرية أكثر مما هي عملية فيطول أمرها ويصعب تناولها . ولطالما رأينا من يترجم اشعار شكسبير الانكليزي أو بوالو الافرنسي واذا رمته الاقدار في شوارع لندن أو باريز لا يطاوعه لسانه ان يلفظ كلمات يهتدي بها لوجه طريقه . ذلك لان الطريقة في تعلمه تلك اللغة الاجنبية هي عين الطريقة التي يستخدمها الاوربيون في تعليم الصم البكم بل عين النهج الذي ينهجه المغاربة في تعليم احدى اللغات الميتة من لاتينية ويونانية أو احدى اللغات الحية من انكليزية وافرنسية وايطالية وغيرها .

اذ يكون تدريس النحو والصرف والترجمة من الكتب هو العدة في اتقان اللغات ويسهل على المعلم ان يدرس تلميذه على هذا النحو وربما أخذ في تعليمه لغة وهو لا يحسن ان يؤلف بين جملتين صحيحتين في تلك اللغة التي عهد اليه تدريسها ولم يجود التلفظ بها فكان شغله الشاغل تعليم تلامذته أصول التصريف والاعراب والترجمة على حين قد ثبت ان الدارس قد يستظهر قواعد لغة وقوانينها ولا يبرع في اللغة نفسها . واسقم المذاهب في تعلم لغة ان يتكلم المرء بلغته في خلال تعلمه لغة غيرها .

من أجل هذا قضت الحال ان تكون دراسة قواعد الاعراب والتصريف بعد معرفة اللغة معرفة عملية لا نظرية ولا تفيد الترجمة والنقل الا اذا توفرت للطالب باديء بدء معرفة الاساليب في اللغة الغريبة . فعلى من رام ان يتكلم لغة ويكتب فيها ان يفكر في تلك اللغة ويكون شعوره شعور أهلها فيها لا ان يصيغ تراجم وينقل جملاً . فتستدعي الافكار

والانفعالات للحال مايحتاج اليه الطالب من الالفاظ التي يعبر بها عنهافتصير اللغة التي يتعلمها لغة ثانية له ولا تكون الترجمة من لغته أو اليها اذا دعت الحال حرفاً بحرف بل على طريقة تنقل بها الصورة الى التعبير عنها . وقلما يسمع المتعلم في معظم المدارس اليوم صدى اللغة التي يتعلمها ويقتضي له ان يربي عليها أذنه وذاكرته ما أمكن . وما أشبه المدرس وهو يشرح للدارس دروسه بلغته الاصلية الاباً تود ان تعلم طفلها وهو الكن تمام قواعد الفعل الماضي وتصريف الافعال الشاذة بدلاً من ان تعنى بتعليمه ان يحسن تلفظ الكلمات الاولى التي يحاول لفظها .

وما فتئ تعلم اللغات يختلف باختلاف الاجتهاد في كل قوم ومعظمه دائر في الغرب منذ ثلاثين سنة على طريقتين وهما اما ان يقيم المتعلم زمناً في بلد اللغة التي يريد تعلمها أو ان يكون أهل الطفل في سعة من العيش فيتخذون له مؤدباً أو مؤدبة يعلمه اللغة بالعمل بين ظهراني اهله وأسرته . وقد ابتدع الاستاذ برليتز الاميركاني طريقة سهلة لتعليم اللغات جرى عليها بعضهم في أميركا وأوربا فاسفرت عن نجاح اكيد . وطريقته عبارة عن نظر عقلي وعلم عملي وبلفظ آخر نظرٌ في المحسوسات لا المجردات اذ اللغة عبارة عن أصوات محكية لا عن اشارات مكتوبة . والتعليم سماعي أولاً ثم نظري . ولا يعمد في طريقته الى الترجمة ولا الى النقل ولا يستخدم فيها الطالب معجماً ولا يستصحب كتاب قواعد بل يتعلم الانسان القوانين بعد لا كمال المعرفة العملية على نحو ما يتعلم الطفل لغة أبيه وأمه . وليس في تعلم القواعد نفع حقيقي الا متى عرف المرء اللغة فالقواعد تشرح اللغة شرحاً عامياً فتبحث عن علل يتأتى الاستغناء عنها باديء بدءٍ وقلما تنفع في تلقين

اللغة شأن مصور لايحتاج الى اتقان العلوم الطبيعية والكيماوية ليصنع صوراً شمسية بديعة .

مااللغة في الحقيقة الا صورة محكية من الحياة فاقتضى في تعلمها ان يسير الانسان من نفس الحياة لا ان يعمد الى اشكال من التعبير لاتمس ولا تتحرك . وقلما تتلاءم الالفاظ وصور الافكار بين لغة وأخرى كل التلاءم فالبداءة بالترجمة الحرفيــة من لغة الى لغة يراد تعلمها إضاعة للوقت واتعاب للذهن على غير طائل . ومن العسر المتعذر ان يرسم المرء صورتين رسماً خفيفاً على حين لايضع احداهما على الاخرى وكذلك الحال في اللغات فقد امتنع ان يحكم وضع لغتين بعضهما على بعض

واللغة بموجب هذه الاصول الجديدة عبارة عن محادثة دائمة باللغة الغريبة فكل مايقع نظر التلميذ عليه مباشرة يكون له منه مادة درس وموضوع تعلم . وذلك بتربية الاذن والحواس الصوتية . فيلقن الاستاذ تلميذه حسن اللفظ وسرعة التركيب فيدرس الافعال الأولى بالاعمال والحركات يقوم ويذهب الى اللوح الاسود فيكتب ويفتح الباب ويرفع الكتاب ويضعه ثم تعرض على سمعه مشاهد الحياة اليومية فيسهل عليه تأليف جمل صغيرة يتزايد كل يوم عددها بسرعة . فيكون للتلميذ بهذه الطريقة في تأليف الجملة مايلزمه من أوليات القواعد والروابط . والامم بأسرها تتعلم لغاتها بالعمل أولاً ثم بالنظر . فيتعلم المتعلم ماتمس حاجته اليــه الى ان يكتب بدون غلط ويتعلم التلميذ أولا معاني الكلمات الغريبة ثم يُلقن التمرينات العديدة بعد معرفة اللغة معرفة فطرية فمعرفة عقلية . ومن اللازم اللازب الاعتياد على الصور قبل القواعد . ثم يبدأ المعلم بالسؤال فيجيبه المتعلم ولا يزالان ينتقلان

من البسيط الى المركب ومن شرح المفردات الى تفسير العبارات ويكون كل ذلك باللغة التي يراد اتقانها .

وللفظ في هذه الطريقة المقام الاعلى . ولم يكن يُعنى بتقويمه من قبل . والاساتذة الذين يحسنون التلفظ بلغة ماهم ممن تعلموها على الاسلوب الطبيعي في طفوليتهم أو اتقنوها بمقامهم في البلاد التي تتكلم فيها تلك اللغة . وجودة التلفظ هو روح اللغة على التحقيق . ولا تعد العبارة شيئاً مهما بلغت من الضبط متى قبح اللفظ وتجات اللهجة الاعجمية فيه عياناً . ومن الهجنة ان التلفظ لا يكاد يصلح اذا فسد لاول أمره . وصعب على الانسان مالم يعود.

فالطريقة المشار اليها مغايرة لطريقة الترجمة المألوفة في الاغلب اذ كل معرفة يرشد اليها المتعلم على هذه الصورة لا تحسب ناقصة الجهاز مشوشة الاسلوب . وقلما تجد الالفاظ في لغة ما يقابلها في لغة ثانية ولكل لغة اصطلاحاتها الخاصة بها ليس للترجمة مهما أتقنت ان تنقلها على أصلها اذ التصورات التي تمثلها لغة لا تتحد مع تصورات تمثلها الفاظ لغة أخرى اتحاداً ذاتياً معنىً ومبنىً . كتب أحد الغرباء الى فنيلون العالم الفرنسوي المشهور « ان لي منك يا مولاي امعاء والد » يريد ان يقول « قلب والد » وقال الفونس الثاني عشر ملك اسبانيا وقد جاء قصره في يوم احتفال :«أتود ان تتعب معي نحو النافذة » يعني بذلك ان تقترب نحو النافذة .

ولو تعلم ذاك الكاتب وهذا الملك ان يتكلما الافرنسية على طريقة الاستاذ برليتز اذاً لنجيا من هذا الغلط الشائن وكان شأنهما في سهولة التعبير وجودة التصوير شأن اولئك التجار والسوقة ممن ينزلون بلاداً لا يحسنون لغتها فما هو الا قليل حتى يمرنوا على تكلمها زمناً فيحسنونها ولا إحسان

من تعلموها على دكات المدارس وهم يقلبون المعاجم ويتأبطون كتب نحوها وصرفها وبيانها ناقلين ناسخين مستظهرين ناسين . وطريقة برليتز هذه أن يستعمل اولاً اللغة المتعلمة خاصة وان يتابع التصور في اللغة الغريبة مباشرة بدون وساطة اللغة الاصلية وان تُعلَّم أسماء الاعيان بقوة الحس وتعلم أسماء المعاني بتتابع التصور ويدرس النحو بالامثلة والشواهد

هذا مذهب الاستاذ برليتز في اتقان ملكة اللغات وقد انتقل من نيويورك الى باريز عام ١٨٨٩ فاسست في هذه العاصمة أول مدرسة على تلك الطريقة وانتقل هذا المذهب في تلك السنة الى انكلترا والمانيا فاسست في كل من لندن وبرلين مدارس لهذا الغرض . وما برحت مدارسها تتكاثر في الاصقاع الاوربية حتى كانت في بدء هذه السنة ٢٤٢ مدرسة في أوربا وحدها وكلها أسفرت عن ارتقاء واقتصاد في الوقت والمال وطريقة القائمين بهذا الامر أن يكون لكل تلميذ استاذه الخاص به فيأخذ هذا يعلم تلميذه ما يقع نظره عليه في قاعة الدرس من منضدة وكرسي وكتاب وباب ونافذة يلفظها بلغتها ولا يزال يكررها المتعلم حتى يتقن التلفظ فاذا نفدت المسميات لدى الاستاذ في الغرفة يعمد الى صور سهلة واضحة رسمت على صفحات مجموعة رسوم فما هو الا ان يتعلم التلميذ أسماء الاشياء الواقعة تحت حسه مع الالوان التي يمتاز بها كل منها ثم ينتقل الى صفات الحجم وافعال الحركات والاعداد . فاذا أنجز درس الاشياء يشرع المعلم في اختيار جمل يكون التلميذ قد عرف أكثر مفرداتها . فلا يمضي ثلاثون درساً الا وقد عرف التلميذ الافعال الشائعة في الاستعمال والمفردات التي تدخل غالباً في الاحاديث العامة ويتمكن في ستين درساً من بيان فكره اصح بيان في كل ماله علاقة بمجرى

الحياة الاجتماعية للعادي . ويحسن في اختيار المعلمين ان يكونوا ممن لا يعلمون لغة المتعلم .

ومما يضحك ما وقع لولد أحد كبار المنشئين الفرنسويين وكان يدرس الالمانية على طريقة برليتز قيل إنه لما بلغ به المعلم الى تمييز الفعل المتعدي من اللازم لم يفهم التلميذ المراد من المتعدي واللازم واخذ معلمه يشرحهما له بالاشارة تارة والتشبيه طوراً فلم يفلح وكان تلميذه معه كاعجم طمطم لا يفهم ولا يُفهم . وابى الاستاذ على تلميذه أن يفسر له شيئاً بلغته مع إلحاحه عليه في ذلك وراح الطفل الى دار أبيه وقد بلغ منه الغيظ وأنشأ يقلب كتاب نحوه يفتش عن الاشكال فاهتدى بنفسه الى حله وشكا امره الى والده فقال له :أي بنيّ لقد احسن الاستاذ أن ابى عليك شرح ما يريد تعليمك بلغتك ولو قاله لك لغرب عن ذهنك واصبح لديك بعد زمن نسياً منسياً . أما الآن فاني على ثقة من انك لا تنسى التفرقة بين الفعل اللازم والمتعدي ولو بعد مئة سنة

قال الكاتب الذي عربنا عنه هذا المبحث وقد كاد أرباب الافكار والحصافة يجمعون على ان اللغات الحية لا تعلم كاللغات الميتة بل انه لابد في الاولى من المران على التكلم بها من اول وهلة وانه ما من لغة مهما تراءي من صعوبتها على المتعلمين باديء بدء سواء كانت اللغة الروسية او الهندية اوالعربية أو الصينية الا ويتيسر إتقانها على طريقة برليتز في مدة تختلف باختلاف ذكاء المتعلم وصعوبة اللغة والله أعلم

الأخلاق الفاضلة

نعمنْ بنفسي وأشيقنني فياليتهنَّ وياليتني *
خلال نزلنْ بخصب النفو س ترويتهن واظمأنني
تعودنْ مني إباء الكريم وصبر الحليم وتيه الغني
وغودتهنَّ نزال الخطوب فما ينثنين وما أنثني
اذا ماالهوت بليل الشباب أهبن بعزمي فنبهنني
فما زلت أمرح في قدهنَّ ويمرحن مني بروض جني
الى ان تولى زمان الشباب وأوشك عودي ان ينحني
فيانفس ان كنت لا توقنين بمعقود أمرك فاستيقني
فهذي الفضيلة سجن النفوس وانت الجديرة ان تسجني
فلا تسأليني متى تنقضي ليالي الاسار ولا تحزني

القاهرة حافظ ابراهيم

ماهية الحياة

للشاعر بيلي الانكليزي

قدروا الحياة بازمان وذا خطأ ان الحياة هي الاعمال والفكر
ان الحياة شعور لا يراد بها وسم الضياء ولا انفاس تنحصر
لو فكروا جعلوها خفق أفئدة من التأثر لكن فاتهم نظر
وأطول الناس أعماراً أسدهم رأياً وحساً واعمالا لها خطر

بيروت عبد الرحمن شهبندر

التمثيل في الاسلام

للتمثيل يدٌ في تربية الملكات وترقيق الشعور والاحساس يعده الغربيون من العوامل في انهاض الامم ، ويعده العامة من المسليات . وما هو إلا أمثولات، ويراه فريق هزلاً ، وما هو الا عين الجد . وأيُّ نفس لا تتأثر بالفضيلة والرذيلة . والسعادة والشقاء . والماضي والحاضر . والمفجع والمطرب . وكأن الغرب خُصَّ بمزية التمثيل كما اختص بكثير من المزايا ولم ترج سوقه في الشرق في عصر من العصور الاّ في مملكة الشمس المشرقة بلاد يابان فان التمثيل فيها قديم كما نقل أحد الفرنجة وقد جاءت الى بلاد الالمان ممثلة يابانية منذ بضع سنين اسمها « سادايا كو » من أعظم الممثلات اليابانيات فأدهشت القوم بتمثيلها

وليس من حجة تاريخية يستأنس بها على وجود التمثيل عند العرب غير عبارة كنت قرأتها في بعض أسفار كامل بك الشهير واظن فى مقدمة روايته جلال الدين خوارزمشاه تشعر بان عرب الاندلس عرفوا التمثيل واشتغلوا به قليلاً . وما ادري على أي شيء بنى هذه الحادثة التاريخية على حين يكاد يكون في حكم الاجماع اتفاق الباحثين في مدنية المسلمين على انهم ما عرفوا التمثيل على نحو ما كان عليه عند أمم الحضارة القديمة . قال أحد فضلاء الالمان ان التمثيل لم يشتغل به العرب بداعي غلظ حجاب النساء عندهم والحظر عليهم في الخروج والتمثيل لا يتم بدون مثول النساء فيه

ذاكرت مرة أحد الائمة في معنى التمثيل عند المسلمين فقال انه من خصائص الجنس الآريّ وان الجنس السامي ومنه العرب لا يعرف التمثيل ولا شغل نفسه به لان حالته لا تقتضي ذلك . ولعل الفرس ألفوا كتاب

ألف ليله وليلة لانهم من جنس آري وفي هـذا الكتاب شيء من التمثيل .
والعلوم والفنون تحدث في الامم بحـسب الدواعي والبواعث وفي العربية شيء
من الروايات وقطع تمثيلية ولكنها مبعثرة غير منظمة .

وسألت أحـد الحكماء عن ذلك فقال ليس التمثيـل طبيعياً في الامم
والعرب يأنفون منه لما عرفوا به من الاخلاق فيرون من سقوط المروءة
أن يمثل مجلس الامير أوالوزير وان كان لا يخلو من حكمة فكيف بمجلس
صبابة وغرام . أما اليونان فقد ابتدعوا التمثيل لان لهم خيالات وتصورات
خصوا بها دون سائر الامم ونقل الاوربيون التمثيل عن اليونان لانهم أرادوا
أن يتشبهوا بهم حذو القذة بالقذة . وهناك أسباب أخرى زهدت المسلمين
في التمثيل ذلك لانهم أمة لم تنقل عن غيرها الا ما مست حاجتها اليه وانطبق
مع عاداتها وليس العرب أمة خيال بل أمة حس وحقيقة

هذا ما قاله العالمان المشار اليهما . وأنت ترى أن التمثيـل في بلادنا
حديث النشأة . كانت بدئته الاولى سنة ١٣٨٢ ﻫ في سورية ومنها انتقل الى
مصر . وما برحت حاله تتقلب بين هبوط وصعود وان لم يعد ذلك صعوداً
بالنسـبة للامم الراقية . وليس ذلك فيما أحسب الا لانقطاع الرغبات في
الآداب العربية واقتصار القوم من التمثيل على الأغاني والمناظر لا على
المعنويات والجواهر

التناسل الغريب

سمعت وأنا صبيٌّ رجلاً من سراة بغداد يقول لوالدي يوماً ان في ضواحي مدينتنا شيخاً كبيراً له من الولد وولد الولد مايربو عددهم على خمسمائة نسمة ذكوراً وإناثاً . قال وكان ربُّ هذه العيلة يدعو من ولدوا منه كل شهر الى داره الخاصة به ويأدب لهم مأدبة يمنح في ختامها كل فرد من افرادهم قطعة من الدراهم بثلاثة قروش . يريد بذلك اتصال الصلات الابوية بين الاصل والفرع . وربما سأل أحدهم أو احداهن وهو يستعرضهم عن اسمه أو اسم أبيه وأمه لانه كان بلغ سناً تغرب فيها عن الذهن الاسماء .

سمعت هذا واستعظمت العدد لكن مقال البغدادي لايخلو من حقيقة وان حوى شيئاً من المبالغة شأننا معاشر المشارقة في تكثير الارقام . وما زلت أيضاً استعظم ما يُروى من أن أبا الطيب المتنبي كان يركب ويركب معه خمسون فارساً من ولده فاذا سُئل عنهم يُجيب بأنهم عشيرته خشية عليهم من العين بزعمه . الا ان حادثة أولاد المتنبي وهم عُشر عدد ذاك العراقي يقبلها العقل سيما وانا نرى لعهدنا مايشفع بها من تكاثر الذرية فقد اتصل بي ان في احدى بلاد الاقاليم في مصر أسرة من صلب واحد تتجاوز ثمانين نسمة على ان الأسرات التي يناهز عددها العشرات كثيرة في هذه الديار .

وفي احدى الصحف الافرنجية ان للترنسفال من هذا المعنى حظاً وافراً قالت : ان قواد الترنسفاليين في حربهم الاخيرة لم يكونوا وحيدين في عيالهم وربما كان لاكثرهم من البنين مايزيد على عشرة أو خمسة عشر .

وان دار الحرب ضمت رجلاً وستة من أولاده يحملون السلاح حمله له . ويقاتلون اعداءهم مثل قتاله أو أشد . وفي الترنسفال أيضاً امرأة رُزقت ثمانية عشر ولداً . ومن المشهودات اليوم ان المهاجرة الأولى الى أميركا قد ضعف تناسلهم حتى استدعى هذا الامر نظر الرئيس روزفلت وأخذ يستطلع طلع آراء العلماء في ملافاة خطبه الجلل . ذلك لان حياة المدن وما يلقاه أهلها من النصب وخصوصاً في الولايات المتحدة قد اضعفت مادة حياة أولئك الطواريء مما لم يسبق له مثيل في تاريخ الجنس البشري . بيد ان من غيروا مساكنهم وراحوا الى داخلية البلاد منهم أمسوا يرزقون من الاولاد كأكثر المتناسلين وكثير فيهم من بلغ ولده العشرة .

وفي غاليسيا اليوم أسرة عدد أعضائها ٣٢٦ كلها من الجيل الاول والثاني وهي اكبر أسرة في العالم . وربها من شيعة المورمون القائلة بتعدد الزوجات . ويكثر بين اليابانيين حتى في المدن من يرزق عشرة بنين وبنات أما في القرى فيكثر من يكون له عشرون ولداً . والروس كثير نسلهم . وقد عرض أحدهم ذات يوم على الامبراطورة كاترينا الثانية تسعين ولداً من صلبه . وفي قازان خمس وعشرون أسرة فيها ثلاثون ولداً احياء . ومن الدلائل على كثرة تناسل الروسيين ان احدى نسائهم ولدت ولدها الثامن عشر وهي في السنة السادسة والتسعين . ولو لم يثبت هذا الخبر عند العلماء بالبرهان الصحيح لعدوه من الاحاديث الموضوعة اذ مازال الناس يرون من المستحيل بل رابع المستحيلات حمل النساء في سن اليأس .

ولئن خف بين أهل اسبانيا معدل التولد الا انك لاتزال ترى في بعض أقطارها أسرات يعد افرادها بالعشرات . وفي العرب أسرات كبيرة

العدد كثيرة الحصا وان هلك بعض بنيهم صغاراً لقلة العناية بصحتهم ولعل ذلك قضى ان تكون حركة الجنس العربي على وتيرة واحدة لاقلب فيها ولا ابدال . وجماع الامم الغربية تتناسل تناسلاً غريباً ،اخلا فرنسا التي مُنيت بقلة النسل وعقلاء أهلها في المقيم المقعد من سوء عاقبة ذلك .

التربية والتعليم

العمل والعملة

في الحديث كلكم حارث وكلكم همام . والحارث الكارث واحتراث المال كسبه والانسان لا يخلو من الكسب طبعاً واختياراً . والهمّام مشتق من همَّ بالامر يهمُّ اذا عزم عليه . قال الراغب الاصفهاني : العمل كل فعل يصدر من الحيوان بقصده فهو أخص من الفعل لان الفعل قد ينسب الى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد وقد ينسب الى الجمادات والعمل قلما ينسب الى ذلك ولم يستعمل في الحيوانات الا في قولهم الابل والبقر العوامل

قال علماء اللغة : واعمله استعمله واعتمل اضطرب في العمل وقيل عمل لغيره ورجل عمِل وعمول ذو عمل ورجل عمول كسوب . والعُمالة رزق العامل الذي جعل له على ما قلد من العمل والعملة العاملون بايديهم ضروباً من العمل في طين او حفر او غيره . والعامل هو الذي يتولى أمور الرجل في ماله وملكه وعمله . واستعمل غيره اذا سأله أن يعمل له واعمله أعطاه عمالته . قال بارو :

يشكو بعض العملة من حظهم وسوء طالعهم ويقولون لو كان لنا من

الامر شيء ما خلقنا عملة وما حالهم في شكواهم الا حال من يشكو من كونه خلق انساناً . فالعمل قانون الطبيعة البشرية وهو شريف بذاته في نظر العقل مقدّس مبارك كيفما كانت الطرق التي يجري عليها والغاية التي يرمي اليها . والعملة صنفان : صنف يعمل ذكاؤهم فقط ويدعون عملة الفكر أوأرباب الصناعات الفكرية وهم الذين يتعاطون الاعمال الملقبة بالاعمال الحرة . والصنف الآخر طبقة العملة بايديهم وأجسامهم وهم أوفر عدداً وأكثر سواداً . هؤلاء العملة هم الاولى يعملون في القرى والمدن ويتبارون في استخراج نتاج الطبيعة على اختلاف عناصرها ويكيفون تلك النتائج بحيث تصلح لما يتطلبه المجتمع من الحاجيات . وهذا الضرب من العملة قسمان أيضاً: زراع وصناع والفئة الثانية مفضلة الا أن كلتيهما حريتان بالاعتبار والاكرام

حياة العامل أضمن مراتب الحياة الانسانية باسرها لان له من فكره رأس مال لا يسلبه الا بفقد صحته وزوال كيانه . وليس هذا النوع من الثروة عرضة للاخطار كسائر أنواع الثروة اذ العمل للمجتمع البشري بمثابة التنفس في الحياة ولا يتأتى توقيف حركة العمل والتنفس بدون ان يؤدي هذا الانقطاع الى بحران عظيم قد يودي بصاحبه الى الفناء اذا دام على أشده

وان حياة الصناع لتستدعي نشاطاً اكثر وحركة دائمة واذا حدث في الاحيان ان فترت الصناعة موقتاً في بلاد فان بلاداً غيرها تتطلب نزول أهلها فيها . ومن اعتاد ان يستخدم قواه الطبيعية مدفوعاً بعامل العقل والذكاء يجد له بسطة في الرزق حيث حل من أرض الله . قال أحد عقلاء الاقدمين «ليس للقدر سبيل الي فيسلبني مالي لاني حيثما رمت بي تصاريفه لا اخاف الفاقة ولا اضطر الى سداد من عوز اذ احمل ثروتي كلها معي»

وهو كلام يصدق على العالم كما يصدق على العامل كل الصدق . لان العامل لا يعدم من يحتاج اليه في أي ناحية رمته فيها يد الاقدار وكيفما قلبته صروف الدهر فعيشه اكثر ضماناً من عيش العالم مادام له من عمله مهارة ، ومن جسمه قوة ، وما عليه ان يتعلم لغة قوم ينزل عليهم لان عمل يديه ينوب في خطاب من يود خطابه

وللعامل من الاستقلال مايفوق به سائر طبقات الناس وان لم يتأتَ لامرئ في العالم ان يتمتع بالاستقلال المطلق . وذلك لان العامل في غنى عن التزلف والملق لايحتاج الى من يمد اليه يد المعونة اذ قلما يحاذر ان يكون له ممن يجاويه مايحرمه التمتع بعمالته فان من يعمل له محتاج للعامل الذي يفوق غيره في امانته ومهارته . فكما ان العامل يحتاج لمن يعمل له فهذا محتاج للعامل أيضاً والحاجة بينهما متبادلة فليس في ذلك غضاضة على العملة البتة .

صحف منسية

نصائح ابن حزم

باب عظيم من أبواب العقل والراحة وهو طرح المبالاة بكلام الناس واستعمال المبالاة بكلام الخالق عز وجل بل هو العقل كله والراحة كلها . من قدر انه يسلم من طعن الناس وعيبهم فهو مجنون . من حقق النظر وراض نفسه على السكون الى الحقائق وان المها في أول صدمة كان اغتباطه بذم الناس اياه أشد واكثر من اغتباطه بمدحهم اياه لان مدحهم اياه ان كان بحق وبلغه مدحهم له أسرى ذلك فيه العجب فافسد بذلك فضائله وان كان

بباطل فبلغه فسر فقد صار مسروراً بالكذب وهذا نقص شديد . وأما ذم الناس اياه فان كان بحق فبلغه فربما كان ذلك سبباً الى تجنبه مايعاب عليه وهذا حظ عظيم لا يزهد فيه الا ناقص . وان كان بباطل فصبر اكتسب فضلا زائداً بالحلم والصبر .

لو لم يكن من فضل العلم إلا ان الجهال يهابونك ويحبونك وان العلماء يحبونك ويكرمونك لكان ذلك سبباً الى وجوب طلبه فكيف بسائر فضائله في الدنيا والآخرة . لو لم يكن من نقص الجهل الا ان صاحبه يحسد العلماء ويغبطه نظراؤه من الجهال لكان ذلك سبباً الى وجوب الفرار منه فكيف بسائر رذائله في الدنيا والاخرة . ولو لم يكن من فائدة العلم والاشتغال به الا انه يقطع المشتغل به عن الوساوس المضنية ومطارح الآمال التي لاتفيد غير الهم وكفاية الافكار المؤلمة للنفس لكان ذلك أعظم داع اليه

من شغل نفسه بادنى العلوم وترك اعلاها وهو قادر عليه كان كزارع الذرة فى الارض التي يجود فيها البر وكغارس الشعراء (شجرة من الحمض ليس لها ورق ولها هدب تحرص عليها الابل حرصاً شديداً تخرج عيداناً شداداً) حيث يزكو النخل والزيتون . نشر العلم عند من ليس من اهله مفسد لهم كاطعامك العسل والحلواء من به احتراق وحمى وكتشميمك المسك لمن به صداع من احتدام الصفراء . الباخل بالعلم الوم من الباخل بالمال لان الباخل بالمال اشفق من فناء مابيده والباخل بالعلم بخل بما لا يفنى على النفقة ولا يفارقه مع البذل . من مال بطبعه الى علم ما وان كان أدنى من غيره فلا يشغلها بسواه فيكون كغارس النارجيل بالاندلس وكغارس الزيتون بالهند وكل ذلك لاينجب

احرص على ان توصف بسلامة الجانب وتحفظ من أن توصف بالدهاء فيكثر المتحفظون منك حتى ربما أضر ذلك بك وربما قتلك . وطن نفسك على ماتكره يقل همك اذا أتاك ولم تستضر بتوطينك أولاً ويعظم سرورك ويتضاعف اذا أتاك ماتحب مما لم تكن قدرته . الوجع والفقر والنكبة والخوف لايحس اذاها الا من كان فيها ولا يعلم قيمتها الا من كان خارجاً عنها وليس يراه من كان داخلا فيها . الامن والصحة والغنى لايعرف حقها من كان فيها . وجودة الرأي والفضائل وعمل الآخرة لايعرف فضلها الا من كان من أهلها ولا يعرفه من لم يكن منها . التهويل بلزوم زي ما والاكفهرار وقلة الانبساط ستائر جعلها الجهال الذين مكنتهم الدنيا امام جهلهم . ثق بالمتدين وان كان على غير دينك ولا تثق بالمستخف وان أظهر انه على دينك . من استخف بحرمات الله فلا تأمنه على شيء تشفق عليه . وجدت المشاركين بارواحهم اكثر من المشاركين باموالهم وعلة ذلك طبيعية في البشر انما تأنس النفس بالنفس فأما الجسد فمستثقل مبروم به ودليل ذلك استعجال المرء بدفن حبيبه اذا فارقته نفسه واسفه لذهاب النفس وان كانت الجثة حاضرة بين يديه .

خطأ الواحد خير في تدبير الأمور من صواب الجماعة التى لايجمعها واحد لان خطأ الواحد في ذلك يستدرك وصواب الجماعه يضري على استدامة الاهمال وفي ذلك الهلاك . سوء الظن يعده قوم عيباً على الاطلاق وليس كذلك الا اذا أدى صاحبه الى مالايحل في الديانة أو الى مايقبح في المعاملة والافهو حزم والحزم فضيلة . من عيب حب الذكر انه يحبط الاعمال اذا أحب عاملها ان يذكر بها وكاد يكون شركا لانه يعمل لغير الله تعالى

وهو يطمس الفضائل لان صاحبه لايكاد يفعل الخير حباً للخير لكن ليذكر به فواجب على المرء ترداد النصح رضي المنصوح أو سخط تأذى الناصح بذلك أو لم يتأذ اذا نصحت فانصح سراً لا جهراً أو بتعريض لا تصريح الا ان لايفهم المنصوح تعريضك فلا بد من التصريح ولا تنصح على شرط القبول منك فان تعديت هذه الوجوه فانت ظالم لا ناصح وطالب طاعة وملك لا مؤد حق ديانة واخوة ... لا تنقل الى صديقك مايؤلم نفسه ولا ينتفع بمعرفته فهذا فعل الارذال ولا تكتمه مايستضر بجهله فهذا فعل الشر

الناس في بعض أخلاقهم على تسع مراتب فطائفة تمدح في الوجه وتذم في المغيب وهذه صفة اهل النفاق والعيابين. وهذا خلق فاش في الناس غالب عليهم . وطائفة تذم في المشهد والمغيب وهذه صفة أهل السلاطة والوقاحة من العيابين . وطائفة تمدح في الوجه والغيب وهذه صفة اهل الملق والطمع . وطائفة تذم فى المشهد وتمدح في المغيب وهذه صفة اهل السخف والنواكة . وأما اهل الفضل فيمسكون عن المدح والذم في المشاهد ويثنون بالخير في المغيب أو يمسكون عن الذم وأما العيابون البراء من النفاق والقحة فيمسكون عن المدح وعن الذم في المشهد والمغيب .

مما ينجع في الوعظ الثناء بحضرة المسيء على من فعل خلاف فعله فهذا داعية الى عمل الخير وما أعلم لحب المدح فضلا الا هذا وحده وهو ان يقتدي به من يسمع الثناء ولهذا نوجب ان نؤرخ الفضائل والرذائل لينفر سامعها عن القبيح المأثور عن غيره ويرغب في الحسن المنقول عمن تقدمه ويتعظ بما سلف . وتأملت كل مادون السماء وطالت فكرتي فوجدت كل شيء فيه من حي وغير حي طبعه ان قوي ان يقلع عن غيره من الانواع

كيفياته ويلبسه صفاته فترى الفاضل يودُّ لو كان الناس فضلاء وترى كل من ذكر شيئاً يحض عليه بقول أو فعل أمراً مداوماً وكل ذي مذهب يود لو كان الناس موافقين له وترى ذلك في الغياض اذا أحال بعضها على بعض احاله الى نوعيته وترى ذلك في تركيب الشجر وفي تغذي النبات والشجر والماء ورطوبة الارض واحالتها ذلك الى نوعيتها

نكات الوهراني

كتب الوهراني على لسان بغلته الى الامير عز الدين موسك فقال :

المملوكة ريحانة بغلة الوهراني تقبل الارض بين يدي المولى عز الدين حسام أمير المؤمنين ، نجاه الله من حر نار السعير ، وعطر بذكره قوافل العير ، ورزقه من القرط والتبن والشعير ، وسق مائة الف بعير ، واستجاب فيه صالح الادعية من الجم الغفير ، من الخيل والبغال والحمير ، وتنهي كل ماتقاسيه من مواصلة الصيام ، وسوء القيلم ، والتعب في الليل والدواب نيام ، قد أشرفت مملوكته على التلف ، وصاحبها لايحتمل الكلف ، ولا يوقن بالخلف ، ولا يحل به البلاء العظيم ، الا في وقت حاجتي الى القضيم ، لانه في بيته مثل المسك والعبير ...

فشعيره أبعد من الشعرى العبور ، لاوصول اليه ولا عبور ، وقرطه اعزُّ من قرط مارية ، لايخرجه بيع ولا هبة ولا عارية ، والتبن أحبُّ اليه من الابن ، والجلبان ، أعز من دهن البان ، والقضيم ، بمنزلة الدر النظيم ، والفصة ، أجمل من سبائك الفضة ، وأما الفول ، فمن دونه الف باب مقفول ، فما يهون عليه ان يعلف الدواب ، الا بعيون الآداب ، والفقه اللباب ،

والسؤال والجواب ، وما عند الله من الثواب .

ومعلوم ياسيدي ان البهائم ، لاتوصف بالحلوم ، ولا تعيش بسماع العلوم ، ولا تطرب الى شعر ابي تمام ، ولا تعرف الحارث بن همام ولا سيما البغال ، التى تشتغل في جميع الاشغال ، شبكة من القصيل ، أحب اليها من كتاب التحصيل ، وقفة من الدريس ، اشهى اليها من فتة محمد بن ادريس لو اكل البغل كتاب المقامات ، مات ، فان لم يجد الا كتاب الرضاع ، ضاع ولو قيل له أنت هالك ، ان لم تأكل موطأ مالك ، ما قبل ذلك . وكذا الجمل ، لا يتغدى بشرح أبيات الجمل ، وحزمة من الكلاء ، أحب اليه من شعر أبي العلاء ، وليس عنده طيب ° شعر أبي الطيب . وأما الخيل ، فلا تطرب الا لسماع الكيل ، واذا أكلت كتاب الذيل ، ماتت في النهار قبل الليل ، والويل لهائم الويل . ولا تستغني الاكاديش ، عن الحشيش ، بكل ما في الحماسة من شعر أبي الحريش . واذا اطعمت الحمار ، شعر ابن عمار حلّ به الدمار ، وأصبح منفوخاً كالطبل ، على باب الاسطبل . وبعد هذا كله قد راح صاحبها الى العلاف ، وعرض عليه مسائل الخلاف . وطلب من تيه خمس قفاف ، فقام اليه بالخفاف ، فخاطبه بالتقعير ، وفسر عليه آية العير ، وطلب منه ويبة (كذا) شعير ، فحمل على عياله الف بعير ، فانصرف الشيخ منكسر القلب مغتاظاً من الثلب ، وهو انجس من ابن بنت الكلب ، فالتفت الى المسكينة ، وقد سلبه الغيظ ثوب السكينة ، وقال لها ان شئت أن تكدي فكدي ، لاذقت شعيراً ما دمت عندي : فبقيت المملوكة حائرة ، لا قائمة ولا سائرة ، فقال لها العلاف لا تجزعي من حباله ولا تلتفتي على ، سباله ، ولا تنظري الى نفقته ، ولا يكون عندك أخس من عنفقته

وصف الجرائد

مقتبس من فصل للمرحوم عبدالله باشا فكري

لايذهب عليك ان مثل هـذه الصحف الخبرية وأوراق الحوادث الدورية ، ليس من شأنها ان تختص بامة معلومة من الناس ، على رأي واحد من الاعتقاد ، في بقعة مخصوصة من الارض ، حتى يتيسر لصاحبها ان يتقيد بعوائدهم ، ويبني على قواعدهم ، ويراعي مايكون موافقاً لعقائدهم ، بل الشأن فيها ان تنتقل من بلد الى بلد ، وتتـداول من يد الى يد ، بين أقوام مختلفي الطباع ، متبايني الاوضاع ، متخالفين في العقائد ، غير متفقين في العوائد ، فالاتيان بمـا يوافق جميع الآراء ، ويطابق عامة الاهواء ، بتوفيق بين الاضـداد ، واصعب من خرط القتاد ، وانمـا هي كالمطر ينزل على الارض الطيبة والخبيثة ، ثم تنبت كل بحسب طينتها ، وكالمغني يقول ماينطلق به لسانه ،وينبعث اليه خاطره ، ثم كل سامع يذهب فيه مذهبه ، ويأخذه على حسب ماعنده ، ويتوجه منه الى ماقصده ، ويوجهه لمـا أراده ، على وفق غرضه وهواه ، وعلى حسب نظره ومرماه ، وكالبضاعة المعرضة للبيـع المعروضة على انظار العامة ، يأخذ منها كل واحد مايعجبه ويستحسنه نظره ، فربمـا كان الشيء الواحـد مستحسناً عند واحد من الناس لوجـه مخصوص مـذموماً عند آخر لايذمه الا لذلك الوجه الذي استحسـنه به الاول .

والعاقل الكيس يستفيد من كل كتاب يراه مايرضاه ويدع ماوراءه ممـا يجده خـلاف مايعتقده ولا يدع كثيراً ينفعه لقليل لايضره . هـذا تفسير الكشاف فيه مواضع من الاعتزال أفيترك اللبيب المحصل من أهل

السنة مافيه من المزايا الجمة ، والفوائد المهمة ، والاسرار التأويلية ، لما معها من تلك المواضع الاعتزالية ، لا بل يستفيد محاسن مافيه ، ويترك ماوراء ذلك مما لا يرتضيه ، ولذلك عكف عليه المحصلون ، واعتنى بخدمته العلماء العاملون ، بل عدّ في مناقب بعض علماء السنة السنية ، انه عكف عليه احقاباً مديدة من الدهر ، وصرف عليه مدة طويلة من العمر ، اغتناماً لما فيه من العلم النافع ، ولم يتركوه من أجل تلك المواضع ، ومصداق ذلك ما ورد من ان الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها فهو أولى بها كما قيل

ان العلوم كاثمار على شجر   فاجن الثمار وخلّ العود للنار

مثاله رجل وجد في طريقه عقداً نفيساً فيه جوهر عظيم وفي أثنائه شيء من الخرز فان كان فيه مسكة من العقل وذرة من التميز أخذ العقد فانتفع بما فيه من الجوهر وما عليه مما في اثنائه من الخرز وان كان أحمق سيء النظر فاسد الرأي تركه لما في اثنائه من الخرز .

الغزل العصري

من الجزء الثالث من ديوان الرافعي الذى يصدر بعد أشهر

في التحول

تقول أما ترضى مع الحب والجفا   بانك حيٌّ والحياةُ كثيرُ
وكل الذي أبقاه مني غرامها   بقيةُ نوم في الجفون تطيرُ
كأنيَ من غاز الإنارة في الهوى   فبينا يرى غازاً إذا هو نورُ

**

في الرضا بعد مجلس العتاب

حبيب يرينا قلبه ذا قساوة   ويتبعها خوفاً علينا بلينه

عواطفه يوم العتاب كأنما عقدن جميعاً «مجلسا» في جفونه
فيأتي هواه ممسكاً بشماله فؤادي وأسباب الجفا بيمينه
يقول انظري يارقة النفس وجده ويارحمة القلب اسمعي لأنينه
فتحكم هاتيك العواطف بالرضا «وتغرمه» لي قبلة في جبينه

***

في صديق اذا مسه الخير كتم واذا مسه الضر باح

ولي صاحب أودعت سري حلمه ولم أدر ان الحلم فيه قريح
اذا مسه مني على غير ريبة أذى خطأ أمسى بذاك يبوح
أراه «فنغرافاً» فمن مس إبرة وان صغرت في جانبيه يصيح

طنطا مصطفى صادق الرافعي

تدبير الصحة

أوقات الطعام

للتوقيت فائدة جلية في شؤون البشر وحياتهم الاجتماعية كما ان للنظام وحسن الترتيب شأناً في النهوض والحضارة . يعرف ذلك كل من له إلمام بحال الغربيين وما استفادوه من قوانينهم على اختلاف ضروبها . والطعام كما علمت قوام الابدان ولا تستقيم الا بحسن تناوله واختيار الاوقات المناسبة له وفي ذلك تدبير الصحة وراحة العقل والجسم . ولا يتأتى تنظيم الاوقات الا في بلاد غلبت عليها الحضارة وصفت موارد عيشها وحسنت أذواق ابنائها ومهما حاول الرجل في البلاد المنحطة أن يسير على مناهج المتحضرين فلا سبيل له الى ذلك اذ يتعذر الجري على النظام الخاص اذا لم يتقدمه نظام عام

وطيب العيش أشبه بسلسلة اذا حسن انتساق بعضها أمن انتساق الآخر والعكس بالعكس .

قام منذ حين جماعة من رجال الفرنسيس أولعوا باختيار الاحسن وتوفروا على التفكر في استكمال أسباب الراحة فانشأوا يخاطبون بني قومهم في معنى محاكاة الجنس اللاتيني للجنس الانكليزي السكوني في عاداتهم وأخلاقهم وقوانينهم وأوضاعهم موقنين بان لا سعادة لذلك العنصر الا بنزع ما رسخ فيه من الملكات على غابر الدهر والاهتداء بهدي السكسونيين في منازع حياتهم الاجتماعية والسياسية والادبية . ومن جملة ما ارتأوا اصلاحه عندهم تنظيم اوقات الطعام ومعاطاة الاشغال على الطريقة الانكليزية النافعة . قال بعضهم لو ذهب ذاهب الى لندن عاصمة الاعمال الصناعية والتجارية لما شهد للاشغال حركة الا الساعة العاشرة قبل الظهر حركة تتصل اتصال الشؤبوب الى الساعة الخامسة بعد العصر . أي ان القيام بالاعمال التجارية يجري في سبع ساعات وذلك ما خلا السبت فان المستخدمين ينقطعون عن اعمالهم الساعة الثانية بعد الظهر ولا يتعاطون شيئاً من الاعمال أيام الآحاد . فيهبُّ الانكليزي من فراشه كل يوم ويتغدى غداء كافيا كضلعين أو ثلاثة من أضلاع الغنم أو العجول وبيض « نيمبرشت » وقطعة من فخذ الخنزير أو كتفه وصحفة من البطاطس وهو طعام الصباح لا كما يفعل الفرنسيس ويجري عليه معظم أهل البلاد المتمدنة في الشرق من الاكتفاء صباحا بالشاي أو القهوة أو اللبن أو تناول شيء من المربيات والحلويات مع قطعة من الخبز السميذ أو المحمر

فاذا ملأ المستخدم الانكليزي معدته صباحا بهذا الطعام لا يتناول

الوجبة الثانية الا الساعة الخامســة اللهم الا مرة نصف النهار حيث يتناول قطعة من اللحم رقيقة في قطعة من الخبز «الساندويش» مع كأس من الجعة الخفيفة المعروفة عندهم ولا يقطع عمله لذلك الا بضع دقائق ويظل هذه الساعات مكباً على عمله بلا انقطاع . ذلك لانه ثبت للباحثين في الحياة البشرية أن الاكثار من تناول الطعام في الهاجرة ثم أخذ النفس بمعاطاة الأعمال وخصوصا العقلية مما يمرض النفس والجسم فتكون المعدة ممتلئة لا يحتاج الجسم معها الا الى المحاورة والراحة ليسوغ الهضم ويأخذ الدم مجراه وهذا متعذر على أرباب الاشغال من الفرنسيس ومن حذا حذوهم من الامم وخصوصا اذا دُعي أحدهم الى طعام غيره وأريد على مخالفة عادته من الإكثار من الاطعمة والألوان

أما الانكليزي فله من الغذاء الكافي الذي يقضمه ويفطر عليه مالا يشتكي معه جوعا ولا شبعاً ريثما ينجز أعماله اليومية . بل يكون له من طعامه ما يدب الحرارة الغريزية في جسمه على نحو ما يدبُّ الوقود في آلة التحريك والتنقيل في السكك الحديدية التي يقذف موقدها بالفحم الحجري ابداً . ولا يضيع وقته ريقطع سلسلة عمله في أبرك أوقات نهاره لان الوقت من ذهب كما يقول المثل الانكليزي . ومن دين كل انكليزي ان يحتفظ بالنظام والانتظام ويرعى الواجب ويقوم بما يعهد اليه أحسن قيام وبهذا كان الهجوريّ في نظره مضيعة للوقت ومجلبة لصد صاحبه عن انجاز واجباته ومفسدة للصحة

قال الكاتب الذي اقترح على قومه اختيار الترتيب السكسوني وعندي ان الفرنسيس يضيعون اوقاتهم ولا يسيرون في أعمالهم على وتيرة واحدة

اذ ان البداءة بالعمل حوالى الساعة التاسعة صباحاً وجعل فاصلة فيه قدر ساعتين لتناول طعام الظهر ثم معاودة العمل الى الساعة السابعة مما لا فائدة فيه كما هو الحال في طريقة الانكليزفبحذا لو تقيلنا مثالهم ونسجنا على منوالهم في طعامهم وشرابهم واعمالهم . أما نحن فنقول اننا معاشر المشارقة لو نظرنا في أحسن ما اعتاده زعماء الحضارة من الأمم في أمور معاشهم واخترنا أنفعه لنا وأمسه بحاجتنا مع تعديل يوافق كل قطر واعتدال ينطبق على مقتضيات العصر اذاً لأحسنا صنعاً وزدنا عائدة ونفعاً

تدبير المنزل

استعمال السكر

اننا كل يوم ممن يعنون بتدبير المنازل وراحة أهلها شكل جديد في تدبير الصحة فتجد فئة لا ترى غير أكل اللحوم وفئة تمتنع عنها وتكتفي بالبقول وفئة تؤثر استعمال السكر . فقد قال بعضهم ان السكر خبز الفقير وخمره . وقال غيره ان السكر هو جلّ ما ينتفع به المحاويج من الادوية . وقد أكد بعضهم ان أهالي غربي الهند يستعملون قصب السكر كثيراً ولذلك تجد لهم اسناناً ناصعة البياض وكل من يستعمل القصب تأمن أسنانه العطب . والانكليز والاميركان أكثر الامم استعمالاً للسكر ولذلك كانوا ممتعين باسنان بيضاء صافية سالمة في الغالب . فالسكر هو بمثابة فحم تحمى به الاعصاب وتستعيد به الصحة قواها بعد العناء . وقد جرب استعماله مدة في عشرين جندياً في المانيا فكان من استعملوه أسمن واحسن ممن

انقطعوا عنه حتى ان المدمن له ليصعد العقبة الكؤود أسرع من كل من ألف التصعيد فى الجبال والنجاد . ويحسن أن يذاب في الماء أوفي شاي خفيف ولا بأس باستعماله مع الليمون وإذا أذيب ١٥٠ غراماً منه في لتر من الماء أو الشاي فينفع في الهضم ويدب النشاط في الجسم

حياة الفقير

أفاض أحد المفكرين في تدبير مساكن العملة والطبقة الدنيا من الناس فقال إنها تتطلب حسن تدبير الصحة والجري على قواعدها من حيطان وسقوف يمكن غسلها وإزالة الاوساخ عنها ومن نوافذ كبيرة وماء على مايحب وسرب (قبو) للمؤنة وهري أو انبار لتنشيف الغسيل . ولعله اختار ان تكون النوافذ كبيرة حتى يتخلل تلك المساكن الهواء والشمس فقد جاء في المثل الافرنسي يدخل الطبيب حيث لاتدخل الشمس وما أصحه من قول ولذلك ترى من يعنون بصحة البيوت يقومون على تهوية المنازل كل يوم

دواء الأَرق

بحث أحد أطباءِ مدرسة اكسفورد الجامعة في بلاد الانكليز بحثاً دقيقاً في مداواة الأَرق فارتأَى ان أحسن علاج له ان يتلو المؤرق وهو على فراشة كتاباً يسهل عليه فهمه هنيهة من الزمن لاتقل عن نصف ساعة ولا تتجاوز الساعة من مثل كتب بلوتارك اليوناني أو ولتير سكوت الانكليزي أو اناتول فرانس الافرنسي. وارتأى غيره ان المنوّمات هي الاشعار وخصوصاً القصائد الكبيرة . ونحن نرى ان تلاوة شعر كثير من شعرائنا المحدثين تجلب النوم لامحالة

مطبوعات ومخطوطات

مداواة النفوس

لابن حزم الاندلسي تآليف كثيرة ضاع اكثرها بما لقيه من اضداده في حياته على مايتمثل لك من ترجمته . وقد ظفر بعض رجال العلم في المكتبة الظاهرية بدمشق بنسخة من كتاب له في الاخلاق سماه «مداواة النفوس وتهذيب الاخلاق والزهد في الرذائل» فانتدب الى طبعه الغيور محمد أفندي هاشم الكتبي فكانت من بعض ما أحيي بالطبع من مآثر السلف الصالح في هذا العصر . اقتبست منه صفحات قليلة في باب الصحف المنسية وعسى ان يتدارك الناشر بعض ماوقع فيه من الاغلاط في الطبعة الثانية . جمع المؤلف في كتابه هذا معاني كثيرة أفاده إياها «واهب التميز تعالى بمرور الايام وتعاقب الاحوال» والاشراف على أحوال الزمان وآثر تقييدها على جميع اللذات وعلى الازدياد من فضول المال وذم كل ماسبر من ذلك واتعب نفسه وأجهدها ليكون ذلك «أفضل له من كنوز المال وعقد الاملاك» . وكتب الاخلاق مما ينبغي الحرص عليه اليوم وما أجمل ماقاله أبو محمد علي ابن احمد في الاخلاق:

انما العقل اســـا ... س فوقه الاخلاق سور
فحلي العقـل بالعـ ... ـلم والا فهـو بور
جاهل الاشـياء أعـ ... ـمى لا يرى كيف يدور
وتمام العـلم بالعـد ... ل والا فهـو زور
وزمام العـدل بالجـ ... ـود والا فيجور

ومِلاكُ الجود بالنجـ ـدة والجبن غرور
عف ان كنت غيو راً ما زنى قط غيور
وكمال الكل بالتقـ ـوى وقول الحق نور
ذي أصول الفضل عنهـا حدثت بعد النذور

ومما ختم به ابن حزم رسالته وهو مما يقتضي أن يكون دستور العمل في كل علم وعمل قوله : واذا ورد عليك خطاب بلسان او هجمت على كلام في كتاب فاياك ان تقابله مقابلة المغاضبة الباعثة على المبالغة قبل ان تتبين بطلانه ببرهان قاطع . وأيضاً فلا تقبل عليه اقبال المصدق به المستحسن له قبل علمك فتظلم في كلا الوجهين جميعاً ولكن أقبال من يريد حظ نفسه في فهم ما سمع ورأى فالتزيد به علماً وقبوله ان كان حسناً أو رده ان كان خطأ فمضمون لك ان فعلت ذلك الاجر الجزيل والحمد الكثير والفضل العميم .

منشآت الوهراني

كتاب مخطوط في تسعة كراريس ظفرت به في بعض خزائن الكتب ولا أريد ان أدلّ عليه اذ ما كل ما كتب تنبغي العناية بنشره . الكتاب جدّ في قالب هزل وعلم على مثال جهل وحقيقة في طرز خيال، تصفحته تصفح متفكه مستفيد فما رأيته خلواً من شاردة تنقل ونكتة تؤثر .
كاتبه ركن الدين أبو عبدالله محمد الوهراني الجزائري من كتبة الرسائل والانشاء في دمشق ومصر على عهد صلاح الدين يوسف وكان كما ترجمه ابن خلكان أحد الظرفاء قدم من بلاده الى الديار المصرية في أيام السلطان صلاح الدين وفنه الذي يمت به صناعة الانشاء فلما دخل البلاد ورأى بها القاضي الفاضل وعماد الدين الاصبهاني الكاتب وتلك الحلبة علم من نفسه انه ليس من

طبقتهم ولا تنفق سلعتهمع وجودهم فعدل عن طريق الجد وسلك طريق الهزل وعمل المنامات والرسائل المشهورة به والمنسوبة اليه وفيها دلالة على خفة روحه ورقة حاشيته وكمال ظرفه . وقد تولى الوهراني الخطابة بداريا احدى أمهات قرى الغوطة بدمشق وتوفي بها سنة ٥٧٥ ه

هـذا هو المؤلف ومصنفه انموذج يقول بأن الرقاعة ارتقت في ذاك العصر كما ارتقت البلاغة وان الدولة الصلاحية بما اشتهر عنها من الانطلاق وانتشار المعارف اتسع صدرها لمثل الوهراني اتساعه لامثال البيساني «للتين قوم وللجميز أقوام» وكلام المؤلف على خلطه وخبطه يضحك العبوس وقلما تنقبض منه النفوس الا لدن سماع بعض الالفاظ السخيفة التي تنبو عنها الاذواق السليمة في هذا العصر . وقد رأى القارىء أمثلة من كتابته ورقاعته في باب الصحف المنسية وهذا المؤلف أشبه بموليير ورابلي من شعراء الفرنسيس في النكات والاضاحيك ولكل أمة رجالها والناس كاسنان المشط في الاستواء

نصائح للعملة

هو كتاب الفه بالفرنسوية أحد كتاب الفرنسيس المسيو بارو توخى البحث في ايجاد السبل لتحسين حال العملة فحاز استحسان الخاصة والعامة حتى منحه المجمع العلمي الباريزي جائزة الاجادة وتدارسه بعض الراغبين في النهوض . وقد كتبه بعبارة بسيطة ليفهمه طبقات القراء كافة ويتدبروه كل التدبر يقصد المؤلف مما كتب طبقة العملة خاصة من الصناع والزراع ولكن مصنفه البديع يستفيد به كل طالع محكمة بل كل عامل في الارض موعظة حسنة . فيتناول منه عملة بولاق وترع النيل وسائر مزارعي أرياف

مصر مثلاً كما يتناول منه العاقل أكثر من الجاهل والخاصي فضلاً عن العامي والكبير زيادة على الصغير في كل قطر ومصر

وقد بحث المؤلف فيما يحول دون العامل ونجاحه وسعادته من المصاعب وان بيده التنكب عنها ووضع المباديء التي تنتج له طريق الفلاح والسعادة وتطبيقها على أدوار العامل الثلاثة أي حالة كونه خريجاً وعاملاً مستقلاً ومدير معمل وذكر في خلال تطبيقه لهذه الحالات ما يمكن ان يحدث للعامل من الاحوال النادرة الخاصة ويلم بما عساه يكون له من هذه الاحوال من التأثير في حياته الخاصة وعلائقه مع عياله وبين الطرق التي يتقي بها العامل عادية الامراض ويقتصد جانباً من المال الذي يحصله بعرق جبينه مشفوعاً ذلك بما هو شائع من الاوهام بشأن العملة ورفاهيتهم رفاهية متناسبة مع حالتهم لا رفاهية يتمتع بها الرؤساء والكبراء بل رفاهية نسبية تتم لهم بها رغائبهم المشروعة التي أباح الله لهم الاستمتاع بها في هذه الحياة

وسأحصل بعض فصوله في باب التربية والتعليم لينتفع بتلاوتها بعض أهل بلادنا كما انتفع به من ألف برسمهم ووسم باسمهم

في وادي الهموم

رواية حقيقية لا خيالية كمعظم ماينشر هذه الايام نسج بردها الكاتب الاديب محمد لطفي أفندى جمعة أحد منشئي جريدة الظاهر الغراء وهي تبحث في الشقاء الاجتماعي المستحوذ على بعض النساء قال : إني اعتقد بأن المرأة تصلح لان تكون ملكاً طاهراً أو ملكة عادلة أو اماً رحيمة أو زوجاً فاضلة أو مدبرة عاقلة أو بغياً ساقطة أو مجرمة قاتلة وكل ذلك في يد

الرجل فليجعلها كما يشاء . والذنب على الهيئة الاجتماعية لانها ترى كل تلك الأمور ولا تمديدها للمرأة وتساويها بالرجل في كل شيء فانه عار على عصر العلم والمدنية والحرية والفلسفة ان تبقى فيه المرأة تفجر لتأكل ..

وفي الرواية من دلائل الاقدام مالا يستغرب ممن تعلموا العلم المدني الصحيح وتشبعوا بآداب العصر الحاضر فكان لهم من علمهم وتربيتهم مايدفع بهم الى قول الحق ولو أمرَّ في بعض الاذواق . وانا نحمد الله على ان رأينا في الناشئة المصرية أمثال الكاتب الموما اليه ممن يضعون الهناء مواضع النقب ولا يحفلون «بالفقاقيع الفارغة» في خدمة العلم والادب

سير العلم

سفينة جديدة

اخترع أحد الاميركان باخرة تسير بمحرك كهربائي تقطع أربع عقد في الساعة ولها ست عشرة آلة دافعة تجعل في مؤخر السفينة وجناحيها . وقد ثبتت صحة دعواه بالتجربة وستجتاز هذه الباخرة المسافة بين أوربا وأميركا في ثلاثة أيام بعد ان كانت تقطعها في عشرة وزيادة

اكبر دماغ

في شبان الانكليز اليوم شاب في الثلاثين من عمره أسمه دانا يعجب الانكليز والاميركان بقوة ذاكرته . وقال العلماء ان ذاكرته فريدة في العالم . وقد اكثر من إجهادها حتى صرح أهل الاخصاء بانه لايعمر اكثر من خمس وثلاثين سنة . ولذلك أخذ يتدارك الأمر وهو يربح في الاسبوع

ثلاثة آلاف فرنك وباع دماغه بخمسين الف فرنك قبض بعضها من أحد الباحثين ليفحص دماغه بعد موته وأوصى اذا هلك في انكلترا ان يحز رأسه للحال ويحنط ويبعث به الى أميركا . ويقال ان دماغه يزيد نحو ثلثمائة غرام عن دماغ كوفيه الذي كان حاز الاولية في كبر الادمغة

السل في القرى

يقولون ان السل ينتشر بين سكان القرى والريف انتشاره في الامصار والمدن وسببه الغبار والالكحول وفساد المعيشة وإنهاك القوى والفحش ولا سبيل الى تلافي ذلك الخطب الاباز تجعل الحكومات فئة من أطبائها يختلفون الى الارياف فيعزلون السقيم عن السليم ويقيمون للمسلولين مستشفيات .

دجاجة حاضنة

جرت حتى اليوم تجارب كثيرة بين أجناس الحيوانات في أمر التناسل ولكنه لم يعهد في حوادث التاريخ الطبيعي ان حضنت دجاجة اجراء (كلاباً صغيرة) فقد خطر لاحدهم في بلاد الانكليز ان يستعيض عن البيض الذي تحضنه الدجاجة بصغار الكلاب فطاوعته الدجاجة وبذل لها ولما تحضنه من هذه الرضع عنايته كأن يسقيها بابريق ذي زمولة (مصاصة) وغير ذلك من ضروب العناية فافلح في تجربته .

وقاية الكتب

لما احترقت مكتبة تورين في إيطاليا في العهد الأخير وذهب فيها من أمهات الكتب العظيمة ماطالت له حسرة العلم والعلماء قام جمهور من رجال الغرب يفكرون في إيجاد طريقة تحفظ بها ثمرات العقول ولا تسطو

عليها النار ولا غيرها من الآفات . وقد وفق أحد أساتذة مدرسة كليفورنيا الجامعة بأميركا الى أن أُنشئ بفضله في الولايات المتحدة مكتب يعمل على ضم المنحس من الصحف المخطوطة وجعل أُمهات للطوابع والنقود . وسيجعل من هذه الدفاتر نسخ يتناولها العلماء والباحثون بأقل مايمكن من الاثمان .

جزيرة مغمورة

تركت انكلترا لالمانيا سنة ١٨٩٠ جزيرة ايليكولاندا في البحر الشمالي واخذت عوضًا عنها جزيرة زنجبار لكن تلك الجزيرة أخذت تغمرها المياه فلم يبق منها غير ربعها على ما بذل من العناية في كفّ عادية المياه عنها ولا تلبث ايليكولاندا ان تصبح في خبر كان يضمها اليمُّ الى صدره ويدرجها في قاعه وقعره .

ولوع اليابان بالمحسوسات

ليس اليابان في ولوعهم بالمحسوسات باقل من الصينيين اذا صحَّ الحكم على اخلاقهم من مطالعة الكتب التي تتداولها ايديهم وترغب في تصفحها نفوسهم . ففي خزانة كتب طوكيو عاصمة الامبراطورية اليابانية قلما يطالع المختلفون اليها الروايات والقصص فقد يتداول القراء في السنة ١٦ في المئة من الكتب الدينية الموجودة في تلك المكتبة و٢١ في المئة من الكتب الرياضية وعلوم الطب و ٢٠ في المئة من كتب الادب و ١٨ في المئة من كتب الجغرافيا والرحلات

أخلاق الأميركان

نشر أحد اساتذة هارفرد الجامعة بأميركا كتاباً في علم النفس الاميركية ذكر فيه ما أمتاز به الاميركان على من سواهم وهو يرجع الى أربعة فصول

الابداع والاقدام واعتبار الذات وحب الارتقاء والثقة بالنفس . وقال ان ماعرف به الاميركي من الانطلاق قد يحمله يتغاضى عما يأتيه غيره ولذلك تجد لاهل السخف والضعف مجالاً واسعاً في أميركا وربما نشطوا وأخذ بأيديهم على نحو ماترى لكل مقالة جديدة بينهم أنصاراً يقولون بها بادئ الرأي

اكتشاف مصري

عثر العملة أثناء عمارة المرفأ الشرقي في الاسكندرية على قبر في سفح اكمة أم القبة بالقرب من البحر يرد عهده الى زمن بعيد . وهو منحوت في الصخر وذو مدخل مساحته عشرون قدماً مربعاً يمتد منها ستة الى داخله وعليها شيد المذبح والقبر قائم الزوايا وطوله تسع أقدام وعلوه كذلك أما أعلاه فمصور وفيه ٨١ أيقونة مربعة فيها صور ورسوم مجهولة في الاكثر والجدران مصورة أيضاً ومنقوشة ومعظمها خرب إما بكرور الايام أو بمعاول أرباب المقالع . وقد قام في أطراف الشمال الشرقي والجنوب الغربي من المدخل ناووس من صخر يشغل عرض القبر وأقيمت في طرفيه صخرتان عظيمتان جعلت احداهما على الأخرى على شكل وسادة وهذه الصخور منقوشة كسائر ما في القبر وداخل الناووس .

تاريخ العلم

أفاض أحدهم في بعض المجلات الافرنسية في كونه أيتعذّر وضع تاريخ للعلم . ومن رأيه أن تاريخ العلوم سيكون أولاً في دور فوضى وارتباك قبل ان ينظم سيره بنظام ثابت غير متزعزع وانه بعد الآن سيختم عصر الأمور العلمية العظيمة ويرتقي العلم على وتيرة واحدة وتلغى الامور الاتفاقية من

سبيله ويكون مجراه الى الطبيعة أقرب

السحر بين الصفر

حدَّث أحد الاطباء في مجلة افرنسية عن حالة السحر في الحياة الخاصة والعامة بين الصفر فقال ان افكار الصينيين في الارواح والقوى السحرية تشبه ما يعتقده سائر الشعوب فان انتشرت امثال هذه الخرافات فذلك لان أعمال السحرة من الصينيين والاناميين تشبه أعمال سخرة الافرنج أو مشعوذيهم ولها كلها نتائج واضحة تجمعها كلمة التخريف والتضليل

ركاز الماس

في مجلة القرن العشرين الافرنسية بحث في معادن الماس في أطراف العالم قال فيه كاتبه : يظهر ان معادن جنوبي إفريقية هي مستودع الاحجار الضخمة من الماس ولكن أجمل الماس ما جاء من الهند ثم من برازيل . وهذا الفرق ناتج من اختلاف أصول الماس وفيما خلا ركاز رأس الرجاء الصالح في إفريقية يعثر على الماس مؤلفاً من انحلال الصخور المحتوية على ماس اما في إفريقية فانه يتولد في الصخر ومنه يتراءى للعيان

منذر الحريق

جرب المنذر الجديد الذي اخترع للاعلام بالحريق قبل وقوعه في مدينة نيويورك وأخص ما فى هذا المنذر ان يمنع سوء القصد ويكشف الفاعل للحال . ولهذا المنذر علبة متى فتحت تأخذ ساعة دقاقة تدق دقاً لا ينقطع تنبه رجال المطافيء والمضخات واماكن الاعانة ويوجد في داخلها بابان صغيران لهما ثقب تدخل فيه اليد لتنادي به وتنذر حتى اذا استصرخ من يلزم إسراعه تمسك يد معمولة من معدن الالومنيوم وحافاتها

من المطاط (كاوتشوك) كفّ ذاك الشخص المنذر وتقبض عليه كل القبض ريثما يصل رجال المطافيء ويقتضي ان يعينه احد حتى تخلص يده ويفلت من هذا الشباك

أعلى جسر

فيكتوريا نيانزا أعظم بحيرة في افريقية الوسطى وثاني بحيرة في العالم وقد أنشأت جمعية انكليزية خطاً حديداً على مصبها في نهر زامبير واقامت عليها جسراً كان أعظم جسر في العالم علوه ١٤٠ متراً وقد بني في ٩٠ أسبوعاً . ومما جعلته الشركة في اسفله شبكة عظيمة تتلقى من يتفق سقوطهم من العملة من حالق لينزلوا بلا خطر

الصم البكم

أثبت أحد الفرنسيس في ان الصم البكم ليسوا صماً لا يسمعون بتة وقد بين بواسطة آلة تنقل الاهتزازات الصوتية الاساسية ان بعضهم يحسون كثيراً بالاصوات الشديدة على حين ترى في آذانهم وقراً لا يسمعون تلك الحروف الصوتية المنبعثة من أصوات حادة على عكس ما تسمع الاذن المعتادة . قال ويصعب إسماع من اصيبوا بالصم على هذه الصورة بخلاف غيرهم ممن لا ترى فيهم هذه العوارض فانهم يتوصلون بواسطة السماعة وبعض تمرينات يقومون بها الى سماع الصوت البشري احسن سماع وهذه الملاحظات تفيد في انها تدعم ما ادعاه هلمهولتيز في نظرياته . وهلمهولتيز من علماء منافع الاعضاء من الالمان توفي سنة ١٨٩٤

المرأة الطليانية

كتبت احدى كاتبات الطليان وهي من اعداء المرأة الاشداء قالت : انه لم يحدث في حال النسوة اقل ارتقاء حقيقي . وزعمت ان المرأة الطليانية ليس لها ما تأخذه عن الغريبات عن جنسها وذكرت بانه ينبغي توفير العناية بتعليم البنات في ايطاليا وغيرها من الممالك التعليم العالي

النوام أو مرض النوم

نشر الاميرالاي بروس الذي عهدت اليه الحكومة الانكليزية منذ عام ١٩٠٢ بالبحث عن أسباب مرض النوام ودواعي انتشاره في أواسط إفريقية كتاباً قال فيه انه لم يبق شك بان هذا المرض ناتج من ذباب سام يتناول السم من دم الحيوان المصاب ويعض أو يقرص من هو عرضة له من الناس وتمتص الذبابة المادة المعروفه القتالة وتبقى في معدتها الى ان تقذف بها بواسطة خرطومها عند ماتمس جزءاً من جسم الانسان . واللدغة تكاد لايشعر بها بادئ بدء حتى ان المرء لايشعر بها في حينها الا بعد مدة طويلة وربما بعد ان يمضي عليها حولان أو ثلاثة فتنسد الاوعية الدموية في الدماغ وتحرم جوهره من المادة وتصاب به الغدد الليمفاوية خاصة

علم ذلك من تجارب في هذا المعنى اجريت على القرود . وينتشر مرض النوام خاصة في أقاليم ذات بطائح على شاطئ الانهار والبحيرات وذبابه قلما يبتعد عن مقره اكثر من مئة متر ولكنه غزير جداً بحيث انه هلك في أوغندا من سنة ١٩٠١ الى سنة ١٩٠٤ زهاء مئة الف نسمة من هذا المرض . قال الباحث المشار اليه وسبب هذه الزيادة الهائلة ان أهل البلاد يحاذرون اتخاذ الاسباب الصحية ولا يعتقدون بخطر تلك اللدغة القتالة التي لايشعرون بها

أولاً حتى إنك ترى سكان اقليم فيكتوريا نيانزا لا يحفلون بالذباب الذي يغطي سوقهم عند مايغتسلون . وقد جرب السليماني في مداواة هذا المرض فخفف بعض الالم وان لم يكن فيه الشفاء التام . واحسن طرق الوقاية منه أن يباد الذباب بابادة الاماكن التي تنبعث منها . وهذا مايقوم به البيض الذي يحكمون تلك البلاد . بيدان طرق الوقاية ليست عامة بين كل الطبقات فان السكان لايهتمون ولا يقلقون ويجهلون الداء والدواء . فاقتضت الحال ان تستعمل الاسباب الفعالة لاكراههم على التوقي وابعاد من يسكنون مكاناً ملوثاً بجراثيم المرض عمن لدغوا بدون شعور منهم مدة سنين ولكن دون الوصول الى هذا التدبير الصحي أهوال يتعذر عدم المبالاة بها مادام الاهلون يمانعون في اجرائها كل الممانعة ولذا مابرح النوام ينتشر فيهلك من يهلك ويسلم منه بالاتفاق من يسلم

إعارة الكتب

في احدى المجلات الروسية انه أسست منذ خمس سنين خزانة كتب في بلدة نيجني نوفكرود ليطالع فيها صغار المزارعين والحفاة العراة من الفقراء المنقطعين عن الاعمال فكانت رغبة المطالعين مصروفة أولاً الى تلاوة الصحف ويليها الروايات وكتب التقاويم والرحلات والزراعة وانه أعير في هذه الحقبة من الزمن ١٧٥ الف عارية لم يفقد منها سوى مجلدين مما يؤيد ان للكتب من قلوب الشعب الروسي مقاماً جليلاً وان كان بعضهم يقول بسلب أرباب الاملاك أملاكهم

موظفو الاميركان

نشرت احدى الصحف الروسية بحثاً مستفيضاً في وصف الموظفين

في الولايات المتحدة فقالت انهم يبلغون مليون موظف ومنهم ١١٧ الف من حراس المدن يقبضون في الشهر من ٦٠ الى ١٠٠ دولار أي من ثلثمائة الى خمسمائة فرنك وان للموظفين حقوقاً في النفوذ لاتشبه حقوق أمثالهم في بعض الممالك الأوربية

آثار ثيبة

في بعض المجلات الطليانية بحث في المكتشفات الأثرية المهمة التي عثر عليها في ثيبة تلك المكتشفات التي تساعد خاصة على توضيح الاشكال المهم في مصادر الفلسفة اليونانية المتولدة من الفلسفة المصرية

مقالات المجلات

المجلات الافرنجية

المرأة الشرقية

فى مجلة انكليزية بحث في المرأة عند الامم قالت فيه كاتبته في الجزء المختص منه بالمرأة الهندية والصينية واليابانية : ان النسوة فى تلك البلاد الشرقية قد نزعن ما طالما قيدهن به الرجال من القيود وانهن أنشأن جمعيات في ترك العادة المتبعة في بلادهن من تضييق ارجل البنات منذ ولادتهن بالاحذية الضيقة مخافة أن يغادرن بيوت أزواجهن اذا كبرن . وان حالة النساء اليابانيات كادت تكون الى السعادة . وللمرأة الحق في اليابان أن ترفض اقترانها مثلا بزوج ينتخبه لها أهلها وانها ترى أن تكون تربيتها متفقة مع تربية قرينها ومع ان الطلاق يسهل في برمانيا فقلما يتطلبه أحد الزوجين

وان للمرأة وحدها تربية ولدها والزوج طوع امر زوجه يأخذ عنها نصائح وينتفع بما تلقيه عليه من الاحكام قالت الكاتبة : ولذلك كان نساء برمانيا اسعد النساء طراً . والمرأة في كوريا هي القوة الاقتصادية العظمى في البلاد

نوابغ الرجال

في احدى المجلات الانكليزية بحث في الاجناس والافراد رأى فيه صاحبه ان النابغة هو الذي تنجح به الطبقات على اختلاف أشكالها وارتأي انه يحكم على جنس من أجناس البشر من صلاته مع الافراد ولم يفصل فصلا صريحاً بين فطرة الافراد وفطرة المجتمع . وهذا الرأي أشبه برأي كارلايل الانكليزي القائل بان الافراد هم العالم بأسره وبهم عليه يحكم

مكتبة الاسكندرية

في احدى المجلات الافرنسية مقالة للمسيو البرسيم احصى فيها أعداء الكتب وعد من جملة من أحرقوا الكتب بالنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر عامله بمصر ان يحرق مكتبة الاسكندرية لما فتحت . قالت الجريدة بيد ان ما نسب الى هذا الامام من الامر باحراق خزانة الاسكندرية لا أصل له اذ لم تكن المكتبة موجودة على عهده . وعدّ في جملة أعداء الكتب النساء لانهن لا يشفقن عليها ويمزقن جلودها ليجعلنها صرراً أو رزماً . وسننشر رسالة في حريق المكتبة الاسكندرية بياناً للحقيقة التاريخية

المجلات العربية

التمثيل العربي

الهلال — بحث في أصل التمثيل قال فيه إنه شرقي المنشأ ظهر في الهند والصين واليابان وظهر في اليونان والرومان . وان القدماء استخدموا التمثيل

لمقاصد دينية ولاخضاع الشعب وتربيته ومن رأيه ان التمثيل قبل الاسلام لم يكن اللهم الا اذا اعتبر ما كان العرب يقومون به في الكعبة وحولها من الطواف والرقص من قبيل التمثيل . وعدّ من التمثيل الديني ما يقوم به الشيعة من تمثيل مقتل الحسين كما عدّ ما يجريه بعض أرباب الطرق من التمثيل الديني أيضاً . وقال ان أول من أدخل التمثيل بالعربية مارون النقاش من أهل بيروت سنة ١٨٥٥ أدخله الى بيروت وعمه سليم النقاش اول من مثل الروايات العربية في مصر سنة ١٠٦٧

اختلاف الشرائع وغرائبها

أنيس الجليس — نقلت بحثاً عن صحيفة افرنجية قالت فيه : من الاحكام المستغربة حكم أصدرته احدى مدن انكلترا تمنع به ثقب عيدان الكبريت على حيطان المنازل في الشوارع وجعلت القصاص على من خالف ذلك غرامة وسجنا . وحرمت احدى مقاطعات أميركا التدخين فمنعت من حمله وعدت ذلك ذنباً عظيماً وهو حكم يذكر باحكام القرون الماضية اذ كان مدخن التبغ يجلد في انكلترا او سواها وينااله السجن والعذاب . ومنعت احدى مقاطعات أميركا تعاطي الشراب في الاندية الجامعة ولم تسمح به في المنازل الا لواحد فقط مخافة أن يشربا فيعربدا . وأصدرت احدى شركات السكك الحديدية باميركا أمراً بمنع التقبيل في محطاتها لانه يضيع به الوقت فتتأخر القطارات . وفي بعض ممالك أوربا يمنع البصق في الشوارع ومن مستغرب الاحكام في اميركا حكم يقضي على كل رجل وامرأة وغلام بان يذهب الي الكنيسة ثلاث مرات علي الاقل في الاسبوع

علوم الدعاة

المنار — في مقالة دعوة اليابان الى الاسلام ان الداعية ينبغي له فهم الكتاب العزيز والاطلاع على السنة ومعرفة مافيها من حكم التشريع ومعرفة السيرة النبوية وتاريخ الاسلام والبصيرة في علم الاجتماع والتاريخ العام والالمام بسائر العلوم العصرية والاطلاع على ضروب الاساليب المدنية وغير ذلك

محمد علي الكبير

المقتطف — مابرح يكتب في تاريخ محمد علي الكبير وهو في الحقيقة بحث في تاريخ سورية ومصر في أوائل القرن الماضي وجل اعتماد كاتبه على تاريخ الجبرتي وتاريخ مشاقة وكلاهما ثقة . وما أحلى اعتراف مشاقة بأنه كان يساعد ابراهيم باشا وخصومه معاً على حسب طاقته واعتذر عن نفسه بان خدمة انكلترا واجبة عليه لانه من مأموريها

شواذ الخلق

الضياء — شواذ الخلق هو كل ماشذ عن المألوف في نوعه بزيادة أو نقص في أعضائه أو اختلاف في بعض اشكاله أو تخاذل في خلقته وهو ان لا يكون بعض أعضائه مناسباً لبعض غرابةٍ في منظره بان يتجاوز الحد في الضخامة أو الدمامة. قسمها بعضهم الى أربعة أنواع الشذوذ البسيط وهو ماكان في عضو واحد أو جهاز واحد أو حالة واحدة من أحوال التركيب والشذوذ المركب وهو مايتناول عدة أعضاء من الجسم ولكنه لايمنع شيئاً من الوظائف والشذوذ المتداخل وهو في الغالب يُرى من الظاهر ويكون باجتماع أعضاء الجنسين أو بعض ميزاتهما في شخص

واحد والشذوذ بحده وهو مايشوه الاشكال الظاهرة الى مايخالف شكل بقية النوع وهو في الغالب يؤثر على وظائف الاعضاء بحيث تتعذر الحياة في خارج جوف الام

نفاضة الجراب

أسعار الاشعار

قال الوهراني لبعض أصحابه وقد فارقه من الشام الى مصر : فاجتمع يوماً ببعض المعارف الراسخين في المعارف، فسأله عن أسعار الاشعار فاخبره عنها بالكساد، والفساد، وعن أهلها بالحراف، والانحراف، وقال : كل كلام مسجوع، لايسمن ولا يغني من جوع، وصاحب القصيد، كالباسط ذراعيه بالوصيد، وما عند الامراء، أخس من ذقون الشعراء، فلو بشر أحدهم بشار وهنأه ابن هانئ، وقصده أبو العلاء، ونزل به صريع الدلاء، ومدحه الدؤلي بداليته، والطائي بطائيته، والوأواء بواويته، لما أجازوه على ذلك بجوزة، ولا أثابوه بثوب خليع، ورد أمس الذاهب أهون عليه من أخذ ذهبه، وخلع الاكتاف أهون من خلعه، وحنوط الغاسل أقرب من حنطته، والشعرى أقرب من قرطه، والتبن مثل التبر

الشاعر والشعير

كتب سبط ابن التعاويذي — الشاعر المطبوع الذي يقول فيه ابن خلكان انه لم يكن قبله بمائتي سنة من يضاهيه في جودة الشعر ورقة المعاني ودقتها (٥٥٣) — الى عضد الدين أبي الفرج محمد بن المظفر وهو من ابناء مواليه يطلب منه شعيراً لفرسه

مولاي يا من له أياد ليس الى عدها سبيل
ومن اذا قلت العطايا لجوده وافر جزيل
اليه ان جارت الليالي نأوي وفي ظله نقيل
ان كميتي (١) العتيق سناً له حديث معي طويل
كان شرائي له فضولاً فاعجب لما يجلب الفضول
ظننته حاملاً لرحلي فخاب ظني به الجميل
ولم اخل للشقاء اني لثقل أعبائه حمول
فان اكن عالياً عليه فهو على كاهلي ثقيل
ازحل كالبوم ليس فيه خير كثير ولا قليل
ليس له مخبر حميد ولا له منظر جميل
وهو حرون وفيه بطء ولا جواد ولا ذلول
لا كفل معجب لراءٍ اذا رآه ولا تليل (٢)
مقصر انمشى ولكن ان حضر الاكل مستطيل
يعجبه التبن والشعير الا مغسول والقت (٣) والقصيل
اذا رأى عكرشا (٤) رأيت اللعاب من شدقه يسيل
وليس فيه من المعاني شيء سوى انه اكول
فهب له اليوم ما تسنى وهبه من بعض ما تنيل
ولا تقل ان ذا قليل فالجل في عينه جليل

(١) الكميت كزبير الذى خالط حمرته قنوء وهو سواد غير خالص ويكون ذلك في الخيل والابل وغيرهما (٢) عنق (٣) القت الفصفصة (٤) العكرش بالكسر نبات منبسط على الارض له زهر دقيق وبزر كالجاورس — وهو حب يؤكل مثل الدهن ولعله الدخن — وطعم كالبقل انشد اعرابى

اعلف حمارك عكرشا حتى يجد ويكمشا

الجزء الثاني   المجلد الاول

المقتبس

غرة صفر سنة ١٣٢٤

صدور المشارقة والمغاربة

كارلايل

ولد سنة ١٧٩٥ م وتوفي سنة ١٨٨١

هو احد فلاسفة القرن الماضي في بلاد الانكليز واوحد رجال القلم وأرباب التاريخ منهم . كان اهله من صغار المزارعين فبعثوا به الى كلية ادمبرغ المشهورة فامتاز فيها بالرياضيات وبذَّ فيها أترابه ولما أتم سني الدراسة عين معلماً في احدى المدارس إلا ان صناعة التعليم لم ترقه فاقتصد شيئاً من الدراهم يستعين بها على درس الحقوق واللاهوت في الكلية المشار اليها . ثم تخلى عنهما واخذ باهداب الآداب والانكباب على خدمتها . وكان يقول إن الآداب هي البيعة الوحيدة التي تحشر في حجرها جماعة المؤمنين في القرون الحديثة . ويعني بذلك تشبيه الكاتب بواعظ يبشر بافكاره ويبثها في كل مكان وزمان

اخذ كارلايل يؤازر من أول أمره في انشاء احدى الموسوعات وينشر المباحث النافعة في بعض المجلات ويدرس الالمانية وآدابها وقد نقل عنها شيئاً الى الانكليزية ثم اضطر الى معاودة صناعة التعليم قياماً بأود عياله . وكان في خلال ذلك ترجم شعر شيلر الالماني فلم يحز قبول العلماء وأهل الادب

تزوج كارلايل بفتاة ايكوسية عرفت بعقلها وجمالها بيدانها كانت تشكو كل الشكوى من سكوته وأثرته . ولم يكن زواج العالم سعيداً لضيق ذات اليد وعموم الحاجة واشياء داخلية هو الاصل فيها . ولقد كتب سنة ١٨٣٥ ان الادب لم يأته بفلس منذ ثلاثة وعشرين شهراً ومع هذا كان من الثبات والانكماش آية الآيات. وغاية الغايات . وفي تلك السنة اتم الجزء الاول من كتابه الثورة الفرنسوية وبعث بمسودته الى ستوارت ميل الكاتب المشهور ينظر فيها فما هو إلا ان جاءه كتاب منه يقول فيه : إن خادمة له خرقاء القت بكتابه الى النار فاصبح رماداً تذروه الرياح . فكاد كارلايل يجن بهذا النبأ حتى إنه ظل ثلاثة أيام لم يأكل ولم يشرب وطاش عقله حتى هام على وجهه في الفلاة وبقي ثلاثة اشهر لا يعي على شيء إلا ما كان من تصفحه بعض الروايات على سبيل الفكاهة . ثم عاود كتابة ما سلف له في هذا الموضوع معزياً نفسه بقوله : لعل الاقدار أرادت ان تعاملني في كتابي كما يعامل الاستاذ تلميذه اذا فرض عليه فرضاً ولم يجد فيه فيقول : عد الى كتابته ثانية لانه لا يصلح . ولما أتم موضوعه كان الطابعون يخطبون ما كتب من كل صوب واوب يريد كل منهم ان يستأثر بما كانوا لا يرتاحون الى النظر فيه منذ سنين لقلة شهرة صاحبه

وكتب المترجم به مقالات في انتقاد المجتمع الانكليزي تحزب في

بعضها للالمان . وكان بعد عودته الى لندن يخطب في الادب والتاريخ ويقيم الحفلات لذلك . ونقد ما حصل من ارتقاء التمدن المزعوم وصنف عدة كتب منها تاريخ فردريك الثاني الالماني وفيه يدرس تلامذة المدارس الجندية الالمانية تاريخ فردريك . ويقول اميرسون الفيلسوف الاميركاني ان كتابه هذا هو أبدع ما كتب من الاسفار التي تشف عن عقل وفضل

أبدع كارلايل في كتابة التاريخ على طريقة حديثة على عكس سائر الكتاب فهو يضم شتاته على نسق مقدمات العلوم وطريقته ان يعول على من ساعدتهم العنايه الربانية فكانوا خيرة قومهم وخاصة بني جلدتهم . ومن رأيه ان لكل عصر مزاياه واهواؤه وحاجاته ومفاسده تجسد في بطل من الابطال . وان للرجال الحق وحدهم ان يحكموا العالم ويصرفوه تحت أمرهم . فللقائد كرومفل ونابليون ان يكونا وحدهما مثال الرجولية الحقيقية . قال وان كل مجتمع يرأسه ضعاف العقول ينتهي بالانحلال . وعلى هذا الفكر بنى طريقته في الفلسفة التاريخية ـ هذه زبدة ما ورد في دائرة المعارف الفرنسوية الكبرى وغيرها في ترجمة هذا الرجل العظيم

الصحافة العربية

مضت نحو ثمانية عقود من السنين منذ أنشئت اول صحيفة عربية انشأها محمد علي الكبير في هذه العاصمة وسماها الوقائع المصرية وانشأ رفاعة الطهطاوي أول مجلة علمية سماها روضة المدارس . دامت الوقائع الى اليوم وانقطع نشر الثانية بعد ان صدرت أربع عشرة سنة . وما لبثت الصحافة ان ولدت ونمت في ارض سورية ثم انتقلت الى مصر في اواخر القرن الماضي

واوائل هذا القرن ودبت فيها ودرجت . فكأن الله خص مصر بان تزكو تحت سمائها الاعمال العلمية كما تزكو تربتها بالاعمال الزراعية

وما برحت الآمال معقودة بان تبلغ الصحافة عما قليل أشدها ورشدها لتضاهي صحافة الامم الراقية في موضوعاتها وتأثيراتها اذ ان العقلاء يذهبون الى ان صحافتنا ما زالت حالها على ما انتهت اليه غير متناسبة مع عمرها الطويل . والمعمر في الاعم من حالاته يشتد ساعده وزنده وتقوى ملكة عقله وعلمه بكثرة تجاربه وأسباب رويته . ولا خير في أمة لا يقوم بشؤونها شيوخ تفاخر باعمالهم مفاخرتها بعقولهم وطول اعمارهم

لا جرم ان تخلف الصحافة عن بلوغ مراقي الفلاح الحقيقي لاول امرها ناجم عن كونها نشأت وسط أمة لا تعترف بالعلم إلا لرؤساء الاديان وهؤلاء لا يعدون من العلم في شيء إلا ما بحث في الأخرويات او الزهديات او الجدليات وبين ظهراني أدباء يزعمون ان الادب عبارة عما ألفوه من مد اطناب الاطناب في اطراء الكبراء والاسخياء وارباب المظاهر والاغتراف من بحر المديح بالطويل العريض وبين كتاب لا يعتقدون الكتابة إلا فيما اصطلحوا عليه من كتابة الصكوك والعقود و المواثيق . وبين عظماء موقنين بان رؤساء الدين والعلم والادب اتباع لهم . هكذا كان العلم والادب في دور الصحافة الاول ولا يفوتك العلم بان من تنبهوا لها كانوا يشاكلون قومهم بعض المشاكلة في أدبهم وأخلاقهم لانهم أبناء ذاك الوسط الذي هم بعض أفراده وسلالة تلك الطينة الشرقية التي جبلت بيد الضعة وصهرت بقطران المسكنة ويعلم الباحثون في عقول الفصائل البشرية ان الشرقي ذكي مفطور على حب التقليد خصوصاً اذا تهيأت له الاسباب فقد نجد المصري او السوري يتعلم شيئاً من لغات

الغربيين فلا يعتم ان يقلدهم في مناحيهم واطوارهم أما من ذهب الى بلادهم ودخل مدارسهم فانه يكون مثلهم إلا القليل . غير ان تقليدنا الغربيين في صحافتهم قد ابطأ وكان من حقه ان يتقدم كل تقليد. ذلك ان المجلات الدورية على ما في اكثرها من المحا- ن والفوائد لا يزال بعضها يعرف بالتقليد ويكتب بلسان التقية على ان العلم لا دين له ولا نزعة أما الجرائد السياسية فتكاد تكون نمطاً واحداً في انشائها واخبارها . ناهيك بما في بعضها من التضارب في الآراء والمذاهب . ولو خلت من هذه الشائبة وكان لها مواد وافرة تستعيض بها عن تجسيم الاخبار وبناء قبة من حبة لكان فيها خير ذخر ينفع العقول ويقودها الى مهيع السداد وجواد الاسعاد . وليس العلم كالسياسة في مسائل المغالطة والسفسطة فان جوزهما فريق في السياسة حباً بالمصلحة فانهما لا يسوغان في العلم بحال من الاحوال

يعيب المغاربة على المشارقة تقلبهم في مآربهم وحركاتهم . وهذا التقلب محسوس في بعض جرائدنا فانها كدوارة الهواء في الافكار تنتسب اليوم الى حزب وتستميت في الدفاع عنه حتى اذا لم تصادف من ورائه مغنماً او تؤنس من أهله فتوراً تنقلب عليه وتنسى اليوم ما ذكرته أمس . وليس معنى هذا اني لا أقول بالاحزاب فان الاختلاف بين الناس ضروري على شريطة ان يخلص صاحب المبدإ في اقواله وأفعاله ويعتقد صحته ويتفانى في نصرته دون ان يغمط حق خصمه ويغض منه . وحبذا لو طرحت مسائل التشيع للاحزاب جانباً واشتغل أرباب الجرائد السياسية في بث أدب وفضيلة وتأييد كلمة حق نافعة . وما التحزب للاحزاب لو أنصفنا إلا ضرب من ضروب الخراب وكل بيت ينشق على نفسه يخرب . وما أشبه اهل البصيرة

ان يخففوا من هذه النغمة فقد ضربوا على وترها أعواماً والحال ما استحالت . والاقوال ما نجعت . بلى ازدادت النفس اشمئزازاً والصدور إيغاراً . ومن سوء طالع هذه البلاد ان معظم بنيها لا يرون الامور بل لا يريدون ان يروها إلا من جهة واحدة

ومن الغريب دعوى بعضهم في ان غير هذه البضاعة في العلم والسياسة لا تنفق في سوق الأمة لانها ما فتئت في الجهالة غارقة. والصحيح ان التاجر الماهر يصرف ضروب السلع في معرض بضاعته اذا اجاد مصنوعاته وأحسن بياعاته . ألا ترى الى رواج انواع من الصحف ما كان يحلم برواجها . تهيأ لها الرواج عند ما صحت عزائم القائمين بها واخلصوا القصد في نشرها ولا يضر العمل الصالح اذا تصدى بعض ضعاف العقول الى التزهيد في خطته فما قط اجتمعت كلمة العامة والخاصة على استحسان شيء وكذلك لا يضر الصحف ويحول دون انتشارها ما يوعز به بعض انصار التقليد في العلم الى اليوم من الرغبة عن مطالعتها لانها مفسدة منقصة فان امثال هؤلاء المثبطين عن كل جديد نافع هم الحلمة الطفيلية في العمران وكل من حال دون أسباب العلم والعرفان هو العضو المؤوف في جسم الانسان

زار صديق لي من كتاب الصحف منذ سنين رجلاً ذا شهرة طائلة موسوماً بشعار العلم في احدى المدن الكبرى وله من التلامذة والمريدين صنوف فعرفه اليه بعضهم وقال له : هذا فلان منشئ الجريدة الفلانية فقال وما هي الجريدة فانشأوا يشرحونها له حتى فهمها ولكن بعد ان بح صوت الشارح في شرحه لمحدثه عن معنى الجريدة وهو يستغرب وجود شيء في العالم يعرف بهذا الاسم . فانقلب صاحبنا من لدن ذلك الرجل مغرباً في الضحك متعجباً

من أُناس في مثل هذا العصر جاهلين باحوال العالم الى هذا الحد بعيدين عن حوادث الايام . وعندي ان امثال هذا الرجل لا يفيد الصحف تنشيطه وتثبيطه والمعارف اليوم كسيل جارف تودي بمن لا يجاري الدهر ويمشي مع الايام والجامدون كثار في كل جيل وقبيل وليسوا هم المطالبين برواج بضاعة القلم او المقصودين بالنفع من المكتوب . ولئن يهدي الله بهذا صعلوكاً صغيراً خير من إضاعة الوقت في ممارسة شيوخ الجمود وكهوله وشبانه

وكلما تأملت الصحف وآراء طبقات الناس فيها استنتج ان من توفروا على نشرها اول النهضة كان معظمهم من العامة الذين لا يحبون من الجرائد غير ما تأتي به من الربح المادي وبعبارة أخرى كانوا تجاراً لا اصحاب دعوة الى اصلاح او ارادة في بث علم وفضيلة . وسماسرة اقوال . لا صيارفة عقول وجهابذة جريدة لا جهابذة افعال دع عنك سيد الصحفيين في الدور الاول احمد فارس الشدياق صاحب الجوائب في الاستانة فانه أحسن الاضطلاع بوظيفة الصحافي وتمت على يده حسنات كثيرة من خدمة اللغة والادب والعلم والسياسة لان غرضه لم يكن مادياً محضاً .وان ما نراه اليوم من ارتقاء بعض الصحف السياسية فالفضل له فيه لانه واضع أساسها الحقيقي وما نراه من انحطاط بعضها فمنشأوه أولئك العامة الذين انشأوا الجرائد في الدور الاول وغرضهم الدنيا من اي الطرق أتت وما نشهده من ارتقاء بعض المجلات فمصدره رفاعه الطهطاوي في مجلته روضة المدارس وما منزلة رفاعة في العلم بخافية على دارس تاريخ النهضة العلمية في هذه الديار

ولقد قامت بعد ذلك العهد مئات من الصحف الاخبارية والعلمية ثم سقطت وانتشرت ثم انتثرت شأن كل نهضة في اولها خصوصاً في بلاد

يغلب على اهلها القول حتى اذا حقت كلمة الفعل تضاءلت نفوس ابنائها واعوزهم الثبات والصبر . وما عهد في تاريخ الحياة الاجتماعية ان عملاً نجح فيه صاحبه دون التشبث باهداب عامة أسباب النجح وتهيئة المعدات الضرورية من علم وعمل ومال ورجال اللهم إلا في الشرق فان معظم من ينجحون فبالاتفاق هذا وقد تممت الصحف على قلة نصرائها في تنوير العقول وتحسين ملكة المنثور والمنظوم فانتقل زمرة من العامة بادمان مطالعتها من طور العامية الى طور العالمية .ولكم كانت الجرائد والمجلات باعثة على تعلق بعضهم بالمطالعة حتى صارت لهم عادة وجبلة وفتحت لهم طريق البحث والدرس. فسقياً ليوم تتأصل فيه الحرية الحقيقية في أخلاق الامة فتذكر المحسن باحسانه والمسيء باساءته . ورعياً لعهد نرى فيه لقادة الافكار من تعليمهم الحر ما يلتزمون به القصد فلا الى تفريط ينهجون ولا في الافراط يسترسلون . وقد خطب حاكم الهند منذ مدة متخرجي المدرسة الجامعة بكلتكا فقال ان المبالغة من شأن جرائد تلك البلاد فهلا خطب فينا من يحسن وصف جرائدنا هذه وبعد فهذا رأي مولع بالصحف على اختلاف ضروبها منذ صغره بل خاطر صحافي خدم الصحافة سنين كثيرة صرح به على جليته غير مدالس ولا مؤالس والله يعلم وانتم لا تعلمون

تأثير الآداب

للآداب معان كثيرة فمعناها اللغوي حسن الاخلاق وفعل المكارم وأطلقه المولدون في الاسلام على علوم العربية وأعني به هنا المنظوم والمنثور من الكلام ومنزلته من الفصاحة والبلاغة ليفعل في الارواح فعل الراح. ولكل أمة أدب بحسب اصطلاحها ورسوم لغتها يطرب به عامتها فضلاً عن خاصتها وتثار به الاحقاد وتحرك الحفائظ وتدعى به الى سبل السلام والوئام ويدلها على مواقع السداد والسؤدد ويذكرها بايامها وايام النازلين بقربها والقاصين عنها وهو على الجملة مسبر للوقوف على الحاضر والغابر ومهماز يدفع الى العمل بعد القول ومثار كل فضيلة رافعة ومنار كل نجح عاجل او آجل

لا بد في كل نهضة دينية كانت او مدنية ان تتقدمها الآداب ويتفانى ابناؤها في حبها شهد بذلك تاريخ الأمم جمعاء. ألا ترى ان أديب القبيلة في الجاهلية كان يتدفق من لسانه معين البلاغة فتفعل كلماته في قبيلته يعقد بها سلمها ويشهر حربها ويعدد مفاخرها ومآثرها ويدون تاريخها وايامها وان سوق الآداب عند العرب لما نفقت وكثر تغاليهم في نقلها وانشادها وأصبحت بينهم للبلاغة دولة. ولجوامع الكلم تأثير وصولة. نزل القرآن فادهش باعجازه البلغاء. وأسكتت ببيانه مصاقع الخطباء وتأدب رجال الخطابة والكتابة بآدابه وتبيانه فزاد تأثير الشعراء والخطباء اكثر من ذي قبل حتى كان أهل الحكم يحاذرون فلتات ألسنتهم فيوسعون لهم من برهم ما يقطعونها به

ولما اخذت الآداب موقعها من النفوس ونالت حظها من العناية ونضجت ثمرتها حتى كادت تذبل عرفت العرب ان كيانها لا يقوم بالآداب

وحدها وسلطتها لا تأمن البوائق ببنات الافكار وان دور الاقوال انقضى حكمه وجاءت النوبة للافعال ونضبت مادة البيان ومست الحاجة الى البرهان فانشأت اذ ذاك تتوفر على الاخذ من كل علم يزيد في سعادتها ويضمن لها الراحة الدنيوية كما ضمن لها الدين الراحة الاخروية وكان من امر علوم الأمم وتناقلها بين ظهرانيها ما كان من حسن الاثر وخدمة الحضارة والغضارة

وهكذا لو بحثت في تاريخ كل أمة لالفيت الآداب روادها الى مسالك إسعادها وقوادها. الى ذرى رقيها وإصعادها كان هذا شأن الفرس واليونان والرومان في القرون الماضية بل وشأن الترك والعرب في القرون الحديثة فانهم لم ينبغ لهم في التاريخ والسياسة وفنون الحرب والطبيعة والرياضة والفلسفة رجال احرياء بالاعتبار بالنسبة لمحيطهم وأسبابهم حتى نبغ بينهم أهل آداب أمثال كمال وضيا وناجي والابياري والفاروقي والاسير والاحدب واليازجي وكرامة والجندي والهلالي ومراش والشدياق والبربير وأمثالهم ممن بيضوا الصحف بما سودوه في القرطاس من رائع آدابهم وفيض قرائحهم وخفة أرواحهم

وقر زعماء الأدب في الصدور بما نفثوه من صدورهم اكثر من العلماء والمفننين بما خدموا به العلم والمدنية من نتاج عقولهم المستنيرة وما ذاك والله أعلم إلا لان الادباء يكتبون للعامة والخاصة معاً أما العلماء فيكتبون للخاصة فقط . وشأنهم في هذا شأن أهل العلم والاختراع مع أرباب الاموال في الغرب لعهدنا فان الاول يتعبون في الابداع فلا يتمتعون بغير جزء طفيف من أعمالهم الشاقة الطويلة ويجيء أرباب المال فيجنون الثمرة غضة يانعة

قال بلونشلي الالماني في كتابه السياسة ما تعريبه : للآداب في أفكار الطبقة المنورة تأثير أعظم من تأثير العلم إذ ان لجمال الشكل والصورة وقعاً كبيراً في النفس اكثر من العلوم التي هي في الغالب قضايا غثة باردة وان كتب شكسبير (١) وولتير سكوت معروفة اكثر من كتب باكون ونيوتن وان التمدن الافرنسي ينسب الى راسين ومولير أو فولتير اكثر منه الى بوفون ولابلاس ودوبين . وان كيتي وشيلر قد نوّراوحسا طبقات اكبر من التي نورها كانت والاخوان هومبولد وليسنغ قد أثرا بروايتهما في ناتان اكثر من روايات لاوكون اه

قال لي احد ساسة الالمان يوم زار الامبراطور غليوم الثاني بلاد الشام أتدري لِمَ أحب مليكنا السلطان صلاح الدين يوسف حتى قصد دمشق

---

(١) شكسبير اعظم شعراء الانكليز ولد سنة ١٥٦٤ وتوفي سنة ١٦١٦ . وولتير سكوت مؤلف روايات انكليزي مشهور ١٧٧١ــ١٨٣٢ . وباكون صاحب الخاتم في انكلترا على عهد يعقوب الاول ومؤسس المذهب الاختباري في درس العلوم . ونيوتن رياضي وطبيعي وفلكي انكليزي ١٦٤٢ ــ ١٧٢٧ . وراسين اعظم شعراء الفاجعات من الروايات عند الفرنسيس ١٦٣٩ ــ ١٦٩٩ . ومولير اشعر شعراء الفرنسيس صاحب الهزل والتنكيت ١٦٢٢ ــ ١٦٧٣ . وفولتير فيلسوف شاعر مؤرخ افرنسي صاحب الحزب الفلسفي في القرن الثامن عشر ١٦٩٤ ــ ١٧٧٨ . وبوفون طبيعي وكاتب فرنسوي مشهور ١٧٠٧ ــ ١٧٨٨ ولابلاس مهندس وفلكي فرنسوي ١٧٤٩ ــ ١٨٢٧ ودوبين متشرع وسياسي افرنسي ١٧٨٣ ــ ١٨٦٥ . وكيتي اعظم كتاب المانيا ١٧٤٩ ــ ١٨٣٢ . وشيلر اعظم شعراء المانيا ١٧٥٩ ــ ١٨٠٥ . وكانت فيلسوف الماني ١٧٢٤ ــ ١٨٠٤ . والاخوان هومبولد احدهما اسكندر كان رحالة ومن رجال العلم والسياسة في بروسيا ١٧٦٩ ــ ١٨٥٩ . والثاني غليوم اشتهر بالسياسة وعلم اللغة ١٧٦٧ ــ ١٨٣٥ وليسنغ شاعر ومنتقد الماني ١٧٢٩ ــ ١٧٨١

لزيارة ضريحه وفاخر بانه بات في مدينة عاش فيها من كان اعظم ابطال العصور السالفة قلت لا علم لي بذلك قال لانه قرأ في صباه رواية وأظنه قال لشاعرنا شيلر تضمنت سيرة صلاح الدين ووقائعه فاشرب قلبه حبه وراح ما لقنه في العاشرة يبرز اثراً من آثاره وهو في الاربعين

قلت وهذا ملك عظيم في الحديث أثر فيه شاعر أمته أحسن تأثير على انه الادب يلطف الشعور ويحسن العواطف ولقد كان جدهذا الامبراطور فريدريك الكبير لما عزم على انهاض أمته من كبوتها يوعز الى الشعراء بواسطة بعض وزرائه ان ينظموا قصائد حماسية ترقق الاحساس وتكبر النفوس وتدعوها الى المعالي فكانت هذه القصائد سبباً في انهاض المانيا ووحدتها على ما قيل

واليك مثالاً من تأثير الآداب في القديم قال معاويه بن ابي سفيان اجعلوا الشعر اكبر همكم واكثر آدابكم فان فيه مآثر اسلافكم ومواضع ارشادكم فلقد رأيتني يوم الهزيمة وقد عزمت على الفرار فما ردني إلا قول ابن الاطنابة الانصاري

أبت لي عفتي وأبى بلائي　　وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإجشامي على المكروه نفسي　　وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت　　مكانك تحمدي او تستريحي
لادفع عن مآثر صالحات　　واحمي بعد عن عرض صحيح

البشر والشعوب

معرب عن الافرنسية

علم خصوصيات الشعوب يعمر الارض ناس قلما يتشابهون . يختلفون بالطول وهيئة الاعضاء والرأس وسيماء الوجه ولون العيون والشعور ويتباينون باللغات والذكاء والاحساس. وبهذا التمايز ينقسم سكان المعمور الى عدة اقوام تدعى اجناساً . فالجنس مجموع ناس يتماثلون ويباينون جنساً آخر وما يمتاز به جنس عن غيره من العلامات العامة ويسمى طبائع وأخلاقاً هو الذي يتألف منه مجموع خواصه فيعرف الجنس الزنجي مثلاً بجلد أسود وشعور مجعدة. واسنان بيضاء . وأنف أفطس . وشفاه خنس . وفك ضخم . ويدعى درس احوال الاجناس وما يتشعب عنها «ايتناغرافيا» أي علم خصوصيات الشعوب. وهو علم لم يرتق بعد لحداثة وضعه وما برح مشوشاً منتشراً لكثرة مجموع خواص البشر وصعوبة التمييز بينها احياناً

الاجناس - اخص الاجناس الجنس الابيض وهو يسكن أوربا وشمالي افريقية وغربي آسيا . والجنس الاصفر ينزل في آسيا الشرقية ومنه الصينيون والمغول والترك والمجر . ومن دخل أوربا منهم من الفاتحين فبشرته صفراء وعيونه خزر مقطبة ووجناته ناتئة ولحيته خفيفة . والجنس الاسود يقطن أواسط افريقية وهم الممتازون باديم اسود وأنف أفطس ووفرة كالصوف . والجنس الاحمر يستوطن اميركا ومنهم هنود تلك القارة حمر الاديم سبط الشعور

الشعوب المتحضرة - يعد أهل الجنس الابيض من المتحضرين إلا قليلاً أما سائر الاجناس فقد ظلوا على حالة الهمجية والبربرية كما كان الناس قبل زمن التاريخ .قامت الشعوب المتمدنة على تخوم قارتي آسيا وافريقية فقام

المصريون في وادي النيل والكلدان في سهل الفرات . وكلهم أهل فلح وحرث ألفوا الاقامة وجنحوا للسلم . أديمهم مشبع . وشعرهم قصير أثيث . وشفاههم مبرطمة . ولا يعلم على التحقيق من أين منبعثهم . ولم تتفق آراء العلماء على تسميتهم فيدعونهم تارة كوشيين وأخرى شاميين . وقد انسالت من جبال آسيا بين القرن العشرين والخامس والعشرين ق . م عصابات من الرعاة اهل غارة وزعماء فتنة فانتشروا في اطراف أوربا كافة وفي غرب آسيا . ويقسمهم العلماء الى قسمين آريين وساميين

الآريون والساميون — ليس بين هذين الجنسين من علامة خارجية جلية فكلاهما من الجنس الابيض : اهليلجية سحناتهم . متناسبة أعضاؤهم . صافية جلودهم أثيثة شعورهم . نجل عيونهم . رقيقة شفاههم . منتصبة أرنبتهم وهم في الاصل رعاة من سكان الجبال يألفون الارتحال والقتال . ساميهم من ارمينية . وآريهم من وراء جبال حملايا وهم يمتازون بالعقل واللسان خاصة امتيازهم بالديانة قديماً وقد وقع الاتفاق على تسمية الشعوب التي تتكلم لغة آرية بالآريين وهم الهنود والفرس في آسيا . والروم والطليان والاسبان والجرمان والسكنداويون والسلافيون (الروس والبولونيون والصرب) والسلت [١] في أوربا . والساميون هم الشعوب التي تتكلم لغة سامية وهم العرب واليهود والسوريون ومما ينبغي ان يعلم ان بعض الشعوب تتكلم لغة آرية او سامية وليست من الآريين والساميين في شيء كما ان الزنجي قد يتكلم الانكليزية وليس فيه عرق من الانكليز وربما عددنا كثيراً من الاوربيين في مصاف الآريين وليست أصولهم في الواقع إلا من

(١) الانكليز والفرنسيس من السلتيين والجرمانيين

جنس غلب عليه الآريون فاقتبس لغاتهم على نحو ما اقتبس الفرس لغة العرب ايام غلبوهم على امرهم . فهذان الاسمان الآري والسامي يطلقان اليوم على فريقين من الشعوب وليسا جنسين حقيقيين . ولا بأس ان يقال بناء على هذا المعنى ان الشعوب المرتقية كانت كلها سامية وآرية فنشأ من الساميين الفينيقيون رجال البحار واليهود رجال الدين والعرب رجال الحرب فسار فريق من الآريين الى الهند وانصرف آخر الى اوربا فنشأت منهم تلك الامم التي كانت ولا تزال في مقدمة العالم . ولقد امتاز الهنود في القديم بآرائهم العالية الفلسفية او الدينية واليونان بايجاد الصنائع والعلم والفرس والرومان بتأسيسهم في الشرق والغرب مملكتين عظيمتين من اضخم الممالك التي نشأت في الايام الخالية

ويبدأ تاريخ الحضارة بالمصريين والكلدانيين حتى اذا كان القرن الخامس والعشرون للميلاد يصير عبارة عن تاريخ الشعوب الآرية والسامية

التاريخ

لاساطير — نقلت اساطير الاولين عن روايات متسلسلة طالما تحدث الناس بها قبل ان يدونوها لذلك تراها مشوبة بحكايات وخرافات . فتحدث اليونان ان أقدم أبطالهم ابادوا الغيلان وقاتلوا الجبابرة وكافحوا الآلهة وزعم الرومان ان روملس ربته ذئبة ورفع الى السماء وقص جماع الشعوب عن طفوليتهم اساطير من هذا القبيل لا ثقة بها عند التمحيص مهما قدم عهدها

التاريخ — يبدأ التاريخ حقيقة من لدن وجود اخبار صحيحة دونها اهل ثقة وعلو سماع وليس هذا الدور واحداً في الكلام على الأمم كلها فتاريخ مصر يبدأ قبل ثلاثة آلاف سنة ق م وتاريخ اليونان يكاد لا يتعدى

الثمانمائة سنة ق . م وليس لالمانيا تاريخ يعرف إلا في القرن الاول للميلاد ويعرف تاريخ روسيا منذ القرن العاشر وليس لبعض القبائل المتوحشة الى اليوم تاريخ في نشأتها

تقاسيم التاريخ الكبيرة – يبدأ تاريخ الحضارة باقدم شعب متمدن وينتهي بايامنا فمعنى القرون الماضية الدور العريق في القدم جداً ومعنى القرون الحديثة الدور الذي نحن فيه

التاريخ القديم – يبدأ التاريخ القديم بالامم القديمة المعروفة من المصريين والكلدانيين اي من نحو ثلاثة آلاف سنة ق . م ويعم شعوب الشرق من هنود وفرس وفينيقيين ويهود ويونان ورومان وينتهي حوالى القرن الخامس ب . م بسقوط المملكة الرومانية

التاريخ الحديث — يبدأ التاريخ الحديث باواخر القرن الخامس عشر زمان اختراع الطباعة واكتشاف اميركا وبلاد الهند ونهضة العلوم والصنائع ويلمّ بذكر شعوب الغرب خاصة من اسبان وطليان وفرنسيس والمان وروس واميركان

القرون الوسطى — هي عبارة عن عشرة قرون مضت بين القرون القديمة والحديثة فلا هي قديمة لما اعتور الحضارة القديمة من الاضمحلال ولا هي حديثة لان التمدن الحديث لم يتكون بعد وهذا ما يدعى بالجيل المتوسط

مصادر تاريخ الحضارة القديمة — ليس في الوجود اليوم اشوريون ولا يونان ولا رومان فقد بادت الشعوب القديمة كافة وما خلفوه من العاديات هي فهرست نستفتيه للبحث عن اديانهم واخلاقهم وصنائعهم . والعاديات هي الكتب والرسوم والآثار واللغات هذه عدتنا في دراسة الحضارة

القديمة وهي تدعى مصادر لانا نستقي منها معلوماتنا . والتاريخ القديم يتفرع من هذه الاصول

الكتب – وضع القدماء الكتب أيام عرفوا الكتابة فكان لبعضهم مثل الفرس واليهود والهنود كتب مقدسة وخلف الرومان واليونان تواريخ وقصائد وخطباً ومقالات فلسفية . وقلما نجد في الكتب المواد اللازمة لمباحثنا اذ ليس لدينا كتاب اشوري ولا فينيقي اما ما بقي من أسفار الشعوب الأخرى فتافه جداً . ولقد كان القدماء يكتبون ولكن أقل منا ولذلك كانت تآليفهم اندر ولم يكن لهم من كل مصنف إلا نسخ قليلة لما ان الحال كانت تقضي باستنساخها كلها باليد وقد دثر غالب هذه النسخ اوضاع او تعذرت قراءة ما بقي منه ويسمى علم حلها « باليوغرافيا » اي علم الخطوط والكتابات القديمة

المعاهد - أقامت الشعوب القديمة لانفسها معاهد مثلنا من مثل معابد لاربابها وقصور لملوكها وقبور لموتاها وقلاع وجسور وقنوات واقواس نصر . ولقد تهدم كثير من هذه المعاهد واستؤصل وتجزأ بيد العدو او بيد سكان البلاد ومنها ما لم تقو الغير على تقويض دعائمه وما فتئت ماثلة للعيان متداعية مثل القصور العتيقة لانقطاع الايدي عن تعهدها . وقد بقيت بقية يعلم منها ما كانت عليه سالفاً . وما زال بعض هذه المعاهد فوق التراب كالاهرام في مصر ومعابد ثيبة وجزيرة فيلا وقصور البرسبوليس في فارس والبارتينون في اليونان والكوليزة في رومية والبيت المربع وجسر الحرس في فرنسا . وان السائح لعهدنا لينظر الى هذه الآثار نظره لاثر حديث . وقد ردم اغلب هذه المعاهد على التدريج بتراب او رمل او فتاة أرضية وانقاض فينبغي

تخليصها من هذا الساف الكثيف او حفر أرضها وكثيراً ما تكون عمقة للغاية ولم يعثر على القصور الاشورية إلا بخرق آكام وتلال . وقد حفرت حفرة عمقها اثنا عشر متراً للوصول الى قبور ملوك ميسينا

وبعد فان عفاء هذه الخرائب لم يكن بصنع الدهر وحده فللبشر اليد الطولى في ذلك . ولم يكن القدماء ليتعبون مثلنا في التقدير والقياس لاقامة البناء . وما عنوا بنزع الردم من أماكنه بل كانوا يركمون الانقاض ويبنون عليها ولا ينزعونها حتى اذا اشرف البناء الجديد على السقوط تنضم انقاضه الى اطلال اخواتها القديمة وهكذا تتألف طبقات عديدة من الانقاض . وقد جاز احد السياح المدعو شيلمان بحفرة في مكان مدينة تروادة خمس طبقات من الاطلال اذ كان ثمت خمس مدن خربة كلها واعتقها على عمق خمسة عشر متراً وما برحوا يعثرون في رومية في الاحايين على ثلاث بنايات منضدة بعضها فوق بعض وقد تراكمت عليها الاطلال فعلا التراب في سفح التلال بضعة امتار

بقيت مدينة برمتها لم تمسسها طوارق الحدثان وذلك بحادث طبيعي جرى عام ٧٩ للمسيح وهو ان بركان فيزوف في ايطاليا قذف سيلاً من الحمم مائعة أمطرت رماداً فانكشفت للحال مدينتان رومانيتان كانتا مدفونتين وهما هيركولانوم وپومبيه . كانت الاولى تحت الحمم السائلة والثانية تحت الرماد . وقد أحرقت الحمم المتاع وغشاها الرماد وحفظها من الهواء فبقيت سالمة . وكلما أزيح الرماد تظهر مدينة پومبيه للاعين على نحو ما كانت عليه منذ ثمانية عشر قرناً . وانك لترى في بلاطها بعدُ مجرات العجلات وآثار سير المركبات وصوراً خطت بالفحم في الحيطان ونقشاً واثاثاً وماعوناً وخبزاً

وجوزاً وزيتوناً في الدور والمساكن وهياكل عظام من دهمتهم الكارثة مبعثرة مبددة . وبهذا عرف القارىء ان الآثار والمعاهد تفيدنا كثيراً في الوقوف على حالة الشعوب القديمة . ويدعى علم الازمنة القديمة « أركيولوجيا »

الرسوم - نعني بالرسوم كل ما يشمل الخطوط عدا الكتب فمعظم الرسوم زبرت على الحجر وحفر بعضها في صفائح من الفلز ووجد منها في مدينة پومبيه مازبر على الجدران بالاصباغ او بالفحم . وان بعض هذه الرسوم لتمثل تذكارات وقائع او رجال كما هو جار الآن عند الافرنج فيما يقيمونه من تماثيلهم وبناياتهم . هكذا نرى الامبراطور اغسطس دون حياته على معهد انسير ومعظم هذه الرسوم عبارة عن كتابات زبرت على القبور ويماثل بعضها الاعلانات لعهدنا فتحتوي على قانون او نظام تراد إذاعته بين القوم ويدعى علم الرسوم « ابيكرافيا »

اللغات — تفيد اللغات التي نطقت بها الشعوب القديمة في بيان تاريخهم فاذا فهم الباحث كلمات من لغتين مختلفتين يتجلى له احياناً ان اصل هذين اللسانين واحد ويسجل بان الشعوب التي تتكلم بها خرجت من نبعة واحدة ويدعى علم اللغات « لينكستيك »

النواقص — لا يذهبن ذاهب الى ان الكتب والمعاهد والاطلال واللغات تكفي للاحاطة بتاريخ القرون السالفة فان فيها تفاصيل جمة يمكن الاستغناء عنها وما ترغب نفوس الباحثين في استبطان حقيقته قد يعز عليها ويفر منها . وما برح العلماء يحفرون ويحلون ويظفرون كل يوم باطلال ومعاهد لم تعرف من قبل وقد بقيت مع هذا نواقص وسيبقى كذلك ابد الدهر

الأمية في الغرب

ليس لدينا ما يركن اليه من الاحصاءآت في نسبة عدد الأميين في بلاد الغرب الى المتعلمين من ابنائهم اذ ان احصاء اليوم قد لا ينطبق عليه احصاء غد . والذي علم بالتحقيق ان الممالك الاوربية الصغرى كالدانيمرك والبلجيك وهولاندا واسوج ونروج وسويسرا هي اكثر اهل اوربا امعاناً في التعليم واقل اهلها أميين حتى ان عدد هؤلاء بالنسبة الى المتعلمين يكاد لايذكر ويكفي أنه لا يوجد في سويسرا غير شخص واحد أمي في كل الفين من السكان ذكورهم وأناثهم

ولئن كان التعليم اجبارياً في بعض الممالك الكبرى باوربا واميركا فلا يزال عدد الأميين يذكر فيها وفرنسا هي في مقدمة الدول العظمى بقلة أمييها وكثرة متعلميها ومنوريها . وجميع الدول شاعرة بوجوب التعليم تتفنن كل يوم في بثه على أساليب لم يكن يحلم بها اليونان والرومان ولا العرب ولا غيرهم من الأمم العظيمة التي كان لها شأن في بعض أزمان التاريخ . وقد ارتقت المدارك في الغرب حتى أصبح ما كان يدعو اليه خاصته في اوائل القرن الماضي قضية مسلمة عند الخاصة والعامة في اوائل هذا القرن وصار عليه الفتوى والعمل . كل ذلك بفضل اهل العلم منهم وعلى حسب سنة الترقي قال (١) : بنتام ذهب بعض قادة الأمم الى ان انتشار المعارف مضر وظنوا بان قيمة الناس تعلو بمقدار نقصهم في المعارف وانه كلما نقصت معارفهم غابت

---

(١) هذه الصحيفة ملخصة من كلام لبنتام المتشرع الانكليزي المتوفى سنة ١٨٣٢ في كتابه اصول الشرائع الذي عربه حضرة العالم الفاضل احمد فتحي بك زغلول من قضاة مصر

عنهم معرفة الاشياء التي تبعثهم على الضرر او علمهم بوسائل فعله . وهو غلط فان انتشار المعارف ما كان ولن يكون سبباً في ازياد الجرائم ولا مسهلاً لارتكابها ولكنه نوّع الطرق في اقترافها فاستعملت وسائل أقل ضرراً من التي كانت قبلها . لنفرض ان الاشرار يستفيدون من كل امر وانه بقدر معارفهم يسهل عليهم الضرر فهل نتيجة ذلك بقاء الناس جميعاً في ظلمات الجهل ولو كان خيار الناس وشرارهم منقسمين الى نوعين ممتازين كالامة البيضاء والأمة السوداء لقصرنا المعارف على الاولى وابقينا الثانية في الجهل لكن تعذر ذلك وملازمة الخير للشر في الشخص الواحد تدعونا الى القول بجعل الكل تحت نظام واحد فاما جهل مطبق للجميع وإما علم للجميع ولا وسط بينهما

على ان الدواء في الضرر نفسه لان المعارف لا تساعد الاشرار على شرورهم إلا اذا اختصوا بها لكن اذا عمت سهل على غيرهم ان يعرفوا حبائلهم فيسقط تأثيرها . ألا ترى ان الأمم في ازمان الجهل ما كانت تعرف من السميات إلا ما تسقي به أسنة رماحها ولكن الامم المتمدنة عرفت جميع انواع السميات وعرفت أيضاً كيف تقابلها بما يدفع ضررها . كل انسان يمكنه ان يفعل جريمة ما وذو المعارف وحده هو الذي يتمكن من وضع قانون لمنعها وكلما قصرت معارف المرء صار ميالاً الى فصل منفعته عن منافع الغير وكلما ارتفعت مداركه وسمت معارفه علم الجامعة بين المنفعتين

وبعد فان من نالوا غايتهم حقيقة بجعل أممهم في حضيض الجهل انما نالوها بنشر الاوهام واذاعة الاغلاط فيهم ولقد كان أولئك الرؤساء أنفسهم طعمة في هذه السياسة الحرجة اذ صارت الأمم التي استمرت في السقوط تحظر قوانينها عليها ان تصعد في مراقي التقدم فريسة الأمم التي

رتقت معارفها فارتفعت قيمتها عليها . لان الاولى شبت في الجهل وشابت في الطفولية تحت قيادة قوم أطالوا زمان خمولها ظنًّا بانه يسهل عليهم تملكها لذلك سهلت تلك الامم فتح ابوابها للطالبين اذ لا فرق عندها بين حاكمها والجديد فهي خاضعة وأولئك يحكمون

هذا ما قاله المتشرع الانكليزي وقال روبرتسون : كان الافرنج في القرون الوسطى أميين لا يقرأون ولا يكتبون فكان الاعيان لا يحسنون توقيع الكتب الصادرة عنهم فيكتفون برسم الصليب عليها بدلاً من التوقيع وقد شوهد كثير منها في الازمنة الاخيرة بعضها صادر عن الملوك وبعضها عن الاعيان كما ذكر دوكنج بل وجد في القرن الرابع عشر ان أعظم اكابر عصرهم وقوادهم مثل دوغسقلين رئيس الجيوش الفرنسوية أمياً . وكان معظم القديسين أرباب المناصب الدينية والدنيوية لا يحسنون كتابة اسمائهم على المقررات في المجالس وكان أعظم امتحان يجري على من يروم ان يتقلد وظيفة سؤاله عما اذا كان يحسن قراءة الانجيل والمكاتبات ويفسر معناها كلمة كلمة

ولطالما كان الملك الفريد الاكبر يشكو من انه لا يوجد في البلاد الواقعة بين نهري هومبير والتايمس أحد من القديسين يفهم الدعوات القديسية بلغتها الاصلية ويتمكن من ترجمة العبارات السهلة من اللاتينية وسبب ذلك ندرة الكتب وعدم انتشارها وذلك ان الرومانيين كانوا يكتبون كتبهم على جلود مصقولة او على رق قشر البردي ويقال له أيضاً ورق النيل لانه كان يأتي اليهم من مصر ولما كان ورق البردي أرخص كان استعماله عندهم اكثر من الجلود . وبعد ان فتح المسلمون بلاد مصر انقطعت الصلات بين

أهل مصر وأهل ايطاليا وغيرهم من أمم اوربا فاضطر الناس ان يكتبوا جميع الكتب على الجلود فاصبحت نادرة . وقد مضت القرون على أوربا والكتابة والكتب نادرة عزيزة في كل أقطارها حتى ان لويز الحادي عشر لما استعار من جمعية الطب البشري بباريز مؤلفات الفخر الرازي أحد فلاسفة المسلمين اضطر ان يرهن مقداراً جسيماً من اعلاقه .

وقصارى القول فقد أصبح الاوربيون بعد ان كان علماء الشرع والتاريخ منهم ينادون بما ينادون به على نحو ما تقدم آنفاً يعلمون اليوم ابن الزارع والتاجر والعامل والعالم والموظف مالا غنية له عنه في هذه الحياة الدنيا من الكتابة والقراءة الحساب ومبادئ الجغرافية والتاريخ والشريعة البسيطة . وفي فرنسا مثلاً يتعلم الجميع إلا انه ينقطع ناس تفردوا بالذكاء ومن كان اهلهم في سعة من العيش يستطيعون معها الانفاق على اولادهم يدرسون الدروس العالية كالطب والصيدلة والمحاماة والهندسة والعلم والادب وخدمة الحكومة بيد ان علماء الفرنسيس يشكون اليوم ـ واي أمة لا تشكو من حالها حباً بالازدياد من الارتقاء ـ من المتعلمين على هذا النمط وانهم فائضون عن الحاجة وينادي علماؤهم بانهم لو ألغوا درس اليونانية واللاتينية القديمتين وكفوا بنيهم مؤونة ترجمة سوفقلس وفيرجيل وانهم لو استعاضوا عنها بان ذهبوا مثلاً الى المستعمرات وزرعوا قصب السكر وباروا الالمان والانكليز في الشؤون الاقتصادية لكان انفع لهم واجدى على مجتمعهم

يقولون ان شهادة العالمية (بكالوريا) التي سماها احد ظرفاء الفرنسيس « جلد حمار » قد أخرتهم عن اللحاق بالأمم وقد غشي على بصائر بعض العقلاء منهم فصاروا لا يرون الفضل والعقل إلا فيمن درس هذه الدراسة إلا ان

أهل النقد منهم يقولون ان من أسس معملا توفرت فيه الاعمال وجرت على اتمها وكثرت فيه الاختراعات والتفنن وتاجراً اسس بيتاً تجارياً نجح فيه ليس في نظر المجتمع الانساني دون ذاك العالم الذي يحمل شهادته في العلم والادب بل هو فوقه . وما صح منذ نحو ثلاثين سنة للفرنسيس لا يصح لهم ان يتعاطوه اليوم والحياة الاجتماعية في تبدل مستمر والحضارة تصير من يوم الى يوم حضارة صناعية علمية . وقد قال جول سيمون احد فلاسفة الفرنسيس ينبغي ان نكون ابناء احرياء بهذا العصر كما قال العرب خلقوا اولادكم بغير اخلاقكم فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم

الغناء المصري

الغناء صوت النفس وهو في كل أمة صورة آدابها وأخلاقها وعاداتها فبينا ترى الوحشيّ في مفازة تمشي الرياح بها حيرى مولهة وهو يتغنى بذكر الشمس والماء والشراب والعربي تحت القبة الزرقاء يتغنى بذكر البدرو الليل والخيل اذا أنت بالحضري وهو آمن في سربه مطمئن في عقر داره لا يخشى زئير الاسد ولا يتطلب الغيث وقد احتفت به الغواني والغيد . والجواري والعبيد . وهو يرتع في خمائل البساتين . يتجرع كؤوس الهناء . و يتغنى بذكر الجمال والتيه والدلال والرقيب والعذال والعتاب والوصال . وترى الجندي يتغنى بذكر الحروب . ويترنم باغاني الوغى ويطرب لوقع السيوف على السيوف . كما يطرب الحضري لوقع الصنوج على الصنوج . او لدق الانامل على الاوتار والدفوف

والغناء قديم وجد مع النفس لان الانسان ما لبث لما أخذ بصره

جمال هذه الكائنات وجلال ذلك الخلق البديع أن تحركت عواطف نفسه لحركت عقيرته باصوات الغناء . ولقد بلغ الغناء العربي شأواً بعيداً فلم يكد يستقر الملك لبني العباس حتى قربوا أهل الشعر وأرباب الغناء . فكانت مجالسه عندهم تفاخر مجالس الحكمة والشعر وكان للغناء بلابل تغرد فتطرب . وتشدو فترقص . أقام الرشيد ببغداد قصراً على ضفاف دجلة فكان اذا أرقته الهموم يقصد ذلك القصر ويدعو اليه ابراهيم الموصلي ويضاء ذلك القصر البديع ويهب نسيم الليل حاملاً عطر الازهار فيندفع المغني يحرك الاوتار فترقص الاسماك في أمواه دجلة طرباً وتشاركه البلابل في التغريد . ومن لنا بمجلس من مجالس الأنس بالانداس وقد ضربت علينا قبة من البلور يتحدر الماء من جانبيها وحولنا الخرد العين وبيننا مائسة القد تضم الى صدرها ابن الطرب وهو يئن من لمس أصابعها تارة ويتأوه آهة المتيم المعمود طوراً وهي تنشد :

مالذ لي شرب راح	على رياض الاقاح	لولا هضيم الوشاح
اذا أسى في الصباح	او في الأصيل	أضحى يقول
ما للشمول	لطمت خدي	وللشمال
هبت فمال	غصن اعتدال	ضمه بردي
مما أباد القلوبا	يمشي لنا مستريباً	يا لحظه رد نوباً
ويا لماه الشنيبا	برد غليل	صب عليل
لا يستميل	فيه عن عهدي	ولا يزال
في كل حال	يرجو الوصال	وهو في الصد

وإعجاب الناس في مصر بالغناء شديد وليس هذا الاعجاب لجمال في الشعر

الذي يتغنى به ولكنه لبراعة المغني في التوقيع وحذقه في الضرب على الاوتار فانه لا يلبث أحدهم ان يرفع صوته حتى تخال انه يدق على صنج فؤادك او ينقر على اوتار قلبك

وأهل مصر وغيرهم في الطرب بغنائهم سواء لانه لا تزال فيه روح الغناء القديم الذي كان يتغنى به الكهنة في الهياكل والمعابد ولا يبعد ان تكون تلك الانغام اقرب الانغام الى النفس وأدناها من الجنان

ولقد يسأم المصري غناء الافرنج وهم يرفعون أصواتهم حتى تكاد تبلغ عنان السماء ثم يخفضونها حتى توشك ان تكون أخفى من دبيب النمل وهم بين هذا وذاك يلبسونها ثوب الرقة والخشونة فتكون وسطاً بين الصياح والنهيق . ولكنه لا يسأم الغناء المصري وهو يرفل في حلل تلك الانغام البديعة التي تأخذ بمجامع القلوب وتستهوي الافئدة قبل الاسماع

وليس المصريون أمة حرب فيتغنون بالشعر الحماسي الذي يستفز النفوس ويهيج العواطف ويحرك الشجاعة الكامنة في الافئدة ولسنا أمة تجارة فنتغنى بذكر الصرصر العاتية والبرق الخاطف والرعد القاصف والرياح العواصف ولسنا أمة عاملة نتغنى بذكر البخار والكهرباء والنار والماء بل نحن أمة مكسال آمنة مخلدة الى الراحة خيراتها كثيرة وأمواهها غزيرة . نساؤنا طرب . وحياتنا لهو ولعب فلم لا نتغنى منشدين :

يعيش ويعشق قلبي رق الدلال والتيه
سلطان زمانه حبي يأمر وينهى فيه

القاهرة — محمد لطفي جمعة

فتيان يؤلفون

تناقلت الصحف الدورية في الغرب هذه الايام رأياً للمسيو إميل فاغي من رجال العلم في فرنسا وأحد الاعضاء الاربعين في المجمع العلمي الباريزي قال فيه : انه لا ينبغي للكاتب ان ينشر ما كتب لينفع به الناس قبل ان يبلغ الثلاثين من عمره وما هو قبل هذا السن إلا معلم نفسه وممرن قلمه . وقد أذكرني هذا الرأي بان في أمتنا من نبغوا قبل بلوغهم تلك المدة المعينة وافادوا واستفادوا من ثمرات عقولهم . ولا يحضرني الآن من اهل الغرب إلا اسم الشاعرين الانكليزيين كيت وشيلي اللذين قضيا في نحو الثلاثين من عمرهما وقد راق شعرهما كثيراً من الناقدين

أما في الشرق العربي فقد توفي ابن المقفع صاحب كليلة ودمنة وغيره من الكتب الممتعة وهو في السادس والثلاثين . وتوفي سيبويه وهو لم يتجاوز الاربعين وقد برز في النحو حتى كان من لا يحفظ كتابه لا يعد بشيء في علم الاعراب . وفي مثل هذا السن توفي بديع الزمان الهمذاني صاحب الرسائل والمقامات البديعة . ولم يستكمل ابن سينا ثماني عشرة سنة من عمره إلا وقد فرغ من تحصيل العلوم باسرها التي عاناها من أصول الدين والادب والطبيعي والرياضي والطب وعلم الاوائل ومات في الثالثة والخمسين وقد فاق الاوائل والاواخر . وابتدأ الشريف الرضي يقول الشعر بعد ان جاوز عشر سنين بقليل . والف ابن سبعين كتاب بدء المعارف وهو ابن خمس عشرة سنة . واقرأ ابن الاعلم النحو قبل ان يلتحي . وكتب سليمان ابن وهب للمأمون وهو ابن اربع عشرة سنة ثم لايتاخ ثم لاشناس ثم ولي

الوزارة . وقال السلامي الشاعر الشعر وهو ابن عشر سنين واول شيء قاله وهو في المكتب

بدائع الحسن فيه مفترقه ... وأعين الناس فيه متفقه
سهام ألحاظه مفوقة ... فكل من رام لحظه رشقه
قد كتب الحسن فوق وجنته ... هذا مليح وحق من خلقه

واستظهر الوزير أبو القاسم المغربي من أهل القرن الرابع القرآن العزيز والكتب المجردة فى النحو واللغة ونحو خمسة عشر الف بيت من مختار الشعر القديم ونظم الشعر وتصرف فى النثر وبلغ من الخط ما يقصر عنه نظراؤه من حساب المواليد والجبر والمقابلة الى ما يستقل بدونه الكاتب وذلك كله قبل استكماله اربع عشرة سنة واختصر كتاب اصلاح المنطق فتناهى فى اختصاره وأوفى على جميع فوائده حتى لم يفته شيء من الفاظه وكان ذلك قبل ان يستكمل سبع عشرة سنة

ونظم الوزير اسماعيل بن حبيب النظم الفائق ونثر النثر الرائق قال في النفح : وابو جعفر بن الابار هو الذي صقل مرآته . وأقام قناته . وأطلعه شهاباً ثاقباً وسلك به الى فنون الآداب طريقاً لاحباً وله كتاب سماه بالبديع فى فصل الربيع جمع أشعار أهل الاندلس خاصة أعرب فيه عن أدب غزير . وحظ من الادب موفور وتوفي وهو ابن اثنين وعشرين سنة واستوزره داهية الفتنة ورحى المحنة قاضي اشبيلية عباد جد المعتمد ولم يزل يصغي الى مقاله ويرضى بفعاله وهو ما جاوز العشرين اذ ذاك واكثر نظمه ونثره فى الازاهر وذلك يدل على رقة نفسه

هذا ومن يستقرئ التاريخ يجد امثلة كثيرة للنوابغ قبل السن الذي ضربه

الكاتب الافرنسي على ان النفع اذا لم يحصل ممن بلغ الرشد فاحر به ان لا يحصل أصلاً وحصول النفع الحقيقي من ثمرات اعمال الكاتب قد لا يكون في الثلاثين ولا في الاربعين من عمره ولذلك قيل

اذا بلغ الفتى عشرين عاماً ولم يفخر فليس له افتخار

الجنون بالكتب

الغالب ان عشاق الكتب كعشاق الجمال او هم أضل سبيلا . فتراهم هائمين خاملين لا يعون على شيء في الارض ولا يحفلون بعظائم الامور فضلا عن صغارها . يجعلون الكتب روحهم وراحهم وريحانهم . بل فروضهم ونوافلهم وأحاديثهم وأشغالهم . وكل شيء اذا جاوز الحد انقلب الى الضد . وكذلك الحال بعاشق الاسفار فربما جوز لنفسه السرقة ولكن سرقة الكتب بل وربما أفتى بحل ذلك لمن يستفتيه . ولقد قرأت فصلاً لاحد كتاب الفرنجة فآثرت تلخيصه كما يلي : أقر أحد عشاق الكتب يوماً في انكلترا عن نفسه واسمه ديبدن (١٧٧٦ — ١٨٤٧) انه همّ يوماً ان يسرق وحمد الله على ان خلا بنفسه في خزانة كتب ستراسبورغ ولم تحدثه نفسه بسرقة كتاب منها . وكان خطر على بال رجلين في انكلترا ان يطبعا لانفسهما خاصة كتاباً يكون آية في طبعه ووضعه وصوره وورقه وتجليده ولم يطبعا منه غير نسختين فما كان إلا كلا ولا حتى حدثت احدهما نفسه بان يذهب الى دار صاحبه ويستأثر دونه بالنسخة فيسرق بعض صورها حتى تكون نسخته هي التي يرجع اليها فراح في غياب صاحبه الى زوجه وطلب اليها ان تريه النسخة لغرض بدا له فدفعتها اليه وجعل يقلبها مهتماً بامرها ثم استغفلها فنزق

بعض صور الكتاب وجعلها في جيبه وانصرف فلما عاد صاحبه ارتاب في مجيء صاحبه وقلب اوراق الكتاب فرأى ما فعله فرفع عليه قضية حكمت له فيها جمعية الكتب بألفي جنيه تعويضاً

وقد راودت أحد هؤلاء الغلاة يوماً نفسه ان يحرق مكتبته بعد ان زار مكتبة الدوك دومال ابن لويز فيليب أحد ملوك فرنسا المتوفى سنة ١٨٩٧ اذ مزق الحسد والطمع والغيرة احشاء ذاك الرجل . بيد ان العريق في محبة الكتب الحقيقي هو محب الآداب أيضاً وعضد المعارف فيغتبط اذا ظفر غيره بكتب لم يسعده الحظ بمثلها ويأمل ان يكون من ورائها مغنم كبير للمطالعين والدارسين

ومن غرائب هؤلاء العشاق غليوم بودي (١٤٦٧ - ١٥٤٠) قال انه اغتنم الفرصة يوم عرسه فمر بكتبه قبل ان يبني بعرسه ومع هذا رزق بنين وبنات وهو الذي يروى عنه ان خادمه جاءه يوماً وهو يلهث فقال ان لسان اللهيب أخذ يندلع على البيت وكان امام كتبه بالطبع فاجابه قل لزوجي وهلا تعرف انني لا اتداخل في أمور المنزل

وأغرب من هذا ما أجراه أدرين تورنيب من مشاهير اليونان واحد فلاسفة القرن السادس عشر (١٥١٢ - ١٥٠٥) فانه نسي يوم عرسه الذي يقضي عليه بان يجتمع في يومه بالناس . وكذلك كان من أمر فردريك مورل لجون من علماء فرنسا المشتغلين وكان يبحث في أخبار ليبانيوس السفسطائي فجاءه رسول يقول له ان زوجته تريد ان تكلمه ببضع كلمات وكان يحبها حباً جماً فقال له دعني الآن أنجز هاتين الكلمتين لكن العلة التي طالها طالت واسبطرت فبعثت اليه برسول آخر قال له ان زوجك كادت تفارق الحياة

غوقل وامتدح منها وردد بعض مآثرها وسيرتها الصالحة وعاد يغوص في بحر كتبه

ومات القس كوجي (١٦٩٧ - ١٧٦٧) حزناً لانه اكره على بيع كتبه . ويروى مثل ذلك عن سكاليجر العالم الطلياني المتوفى سنة ١٥٥٨ وباترو الفقيه الفرنسوي المتوفى سنة ١٦٨١ فقد قال الاول ان رمت ان تصاب باعظم خطوب الارض فبع كتبك تلق الشقاء ومن رام ان يجمع على رأسه ضروب البلايا صفقة واحدة فما عليه إلا ان يبيع كتبه . ورأى يعقوب غوبيل (١٥٦٠) من مشاهير فرنسا مكتبته نهب أيدي الضياع والسلب في فتنة عصابات الكاثوليك فمات يائساً بائساً . وحزن العالم الكتبي كولنه دورافل الفرنسوي ولا حزن يعقوب على يوسف لما رأى كتب الابرشية تطفو على نهر السين وكان يقدر قيمتها حق قدرها لانه ورتبها وبوبها

واضطرت الحاجة اللغويّ برونك من ستراسبورغ (١٧٢٩ — ١٨٠٣) ان يبيع جانباً من مكتبته واشتد حزنه عليها حتى كان اذا ذكر أمامه مؤلف اقتناه وباعه في جملة ما اباعه تحدر عبراته على خديه طوعاً كرهاً . واضطر الامير كاميراتا في القرن التاسع عشر ان يبيع اسفاره في المزاد العلني ولم تكد توزع على مبتاعيها حتى انتحر بيده وقال بيدي لا بيد عمرو ويقرب من ذلك ما فعله الكونت لا بيدويير فانه توهم ان كتبه أتعبته فباعها فما هو إلا يوم وليلة حتى عاد يشتريها ثانية بكل مرتخص وغال فاشبه في حاله ولداً مبذراً غادر بيت أبيه

وحدث ان احد الاميركيين المستر بريان وهب احدى المكاتب

مجاميع نفيسة من روايات نادرة فلم تمض أيام حتى عاد الى قيم المكتبة يطلب اليه ان يرى كتبه فاخذ يحدق بها ويصوب في جلودها ويصعد فظن القيم ان صاحبه ينوي ان يسترجع ما وهب ولكن راح المسكين فانتحر بعد يومين وعز عليه ان يفعل فعلته قبل ان يودع محبوباته قديماً ويرعى لهن ذمامهن . ومات المركيز شالابر في القرن التاسع عشر قانطاً مخفقاً لكونه لم يتمكن من ابتياع نسخة من التوراة ثمينة . قيل انه كان في محفظة جعلت في جلدها أوراق مالية باربعين الف فرنك فعثر عليها الكتبي لما اشتراها من صاحبتها فاعادها اليها . وقضى بترارك (١٣٠٤ - ١٣٧٤) في مجلسه ولما استبطأه أصحابه أطلوا عليه فوجدوه ميتاً والكتاب في حجره . وكذلك مات الصحافي ارمندبرتين (١٨٠١ — ١٨٥٤) مدير جريدة الدبا وكان له مجاميع من أجمل القنيات والكنوز ذكروا انه مات بين كتبه عقيب وفاة حليلته فوجدوه ماسكاً بكتاب كانت هي تحبه في حياتها لجاءه الموت وهو على هذه الحال

ومات المؤلف يعقوب برونه (١٧٨٠ — ١٨٦٧) وهو على كرسيه وبين كتبه بعد ان عمر طويلاً ولا شغل له غير الدرس والتبحر وقضى الجماعة موبللي منذ نحو نصف قرن وكانت مكتبته تساوي مئة الف فرنك ولم يوجد عنده من الدراهم ما يكفي نفقات دفنه . ومن عشاق الكتب من سقطوا عن سلالم مكاتبهم فقضوا نحبهم ومنهم ايبرت (١٧٩١ - ١٨٣٤) من غلاة الكتب في درسد والمركيز مورانت (١٨٠٨ — ١٨٦٨) الاسباني وروفر وغيرهم . والمؤرخ الكاتب تيودور مومسان الالماني (١٨١٧ - ١٩٠٣) ذهب الى خزانة كتبه ذات يوم والشمعة بيده فسرى لهيبها الى لحيته البيضاء وقضى بعد شهر متأثراً

وأعجوبة المولعين بالاسفار انطون ماكليابيشي (١٦٣٣ — ١٧٠٤) من مدينة فلورنسا فقد خدم لاول أمره في دكان فاكهانية وأخذ ينظر في الاوراق التي تصر بها الفاكهة فوقع في نفسه ان يتعلم القراءة فاتصل بكتبي ولم يعدم من يدرسه ويعلمه وكان ذا ذاكرة قوية ما حفظ شيئاً ونسيه وحفظ من اسماء الكتب ومظانها حتى أصبح عبارة عن مكتبة سيارة ثم اتصل بالغراندوق كوسم الثالث وجعله قيماً على كتبه ولم تكن هذه الكتب لتشفي مطامعه بل أخذ يطالع فهارس المكاتب الاوربية مطبوعها ومخطوطها ويسأل كبار العلماء السياح عن نوادرها حتى صار يعرف كل دقيق وجليل من أحوال الكتب وكانت له طريقة غريبة في المطالعة فاذا أخذ كتاباً لم يكن طالعه من قبل ينظر في اسمه وفهرسته ومقدمته وتقدمته ويتصفح اوائل فصوله وبعد دقائق يقول لك رأيه في موضوع الكتاب والمصادر التي أخذ منها مؤلفه ولا ينسى ذلك على الدهر . ولم تكن له عناية بهندامه ونظام معيشته بل كان في ليله ونهاره مستغرقاً في أسفاره لا يخرج إلا الى مكتبته . وكان أعلى بيته وأسفله ومدخله وحجره ونوافذه كلها ملأى بالكتب. وهو غريب في تقشفه حتى كان يأكل في الغالب بيضاً وخبزاً وماء - والخبز والماء أكل العلماء كما قيل - ولطالما سرق له خدامه وخدام جيرانه دراهم من خزانة بقربه كان يضع فيها البيض والدراهم معاً وقد أراده البابا والملك ان يمثل بين ايديهما فتجاهل ما أمرا به وعاش على كسله احدى وثمانين سنة واوصى بمكتبته لبلده وكانت تبلغ ثلاثين ألف مجلد وجعل لها مورداً تعيش به وما زالت معروفة به الى الآن

الميت الحي

تكاد عيوني تقرأ الغيب في الدجى　　وتسمع أذني فيه ما تضمر النمل
وما أنا من قوم تهون نفوسهم　　عليهم اذا خانتهم الصحب والاهل
فلي من مضائي رفقة وعشيرة　　فلا سيد ينأى ولا صاحب يسلو
فيا حظ لا تسعد ويا خل لا تزر　　ويا دهر لا تعدل ويا عيش لا تحل
فما هاجني سخط ولا كفني رضا　　ولا ساءني ظلم ولا سرني عدل
وما قتلتني الحادثات وانما　　حياة الفتى في غير موطنه قتل
وما أبقت الدنيا لنا من جسومنا　　على بأسنا ما يستقيم به الظل
ولولا اختلاف الناس ما قال قائل　　عجبت لفرع لا يشاكله أصل
فهل أرشدت تلك النمال الى الحجى　　وهل رضعت بالشهد في كورها النحل
يحار الفتى في عيشه ومماته　　فأولها جهل وآخرها جهل

وقلت وقد سألني (حافظ ابراهيم) لمَ لم تتزوج

يا خليلاً وأنت خير خليل　　لا تلم راهباً بغير دليل
أنا ليل وكل حسناء شمس　　فاجتماعي بها من المستحيل

القاهرة　　محمد امام العبد

سيئات القرن الماضي

التسمم بالتبغ هو أيضاً من الجراحات الاجتماعية التي صيرها هذا العصر نغارة فالتبغ هو ذلك المسلي الذي يستعمله الجندي والملاح والزارع والصانع والعامل والعالم . يدفع ببعضهم الى العمل ويسكن في بعضهم شيئاً من انفعالات النفس ومن العجيب ان الاوربي الذي ذهب الى أميركا يبث نور المدنية في عقول برابرتها قد أسفّ الى الاخذ عنهم فاقتبس منهم عادة التدخين مع علمه انهم دونه في الذكاء والعلم . فقد نقل الاسبانيون سنة ١٥٦٠ عادة التبغ من المكسيك الى لشبونة ومنها انتقلت الى الديار الاوربية فاولعت النفوس بها . حتى انه ليصرف على التدخين وما يلحقه من الثقاب (الكبريت) والعلب والغلايين والورق والانابيب مبالغ جسيمة لو صرفت في تطهير المدن الكبرى وترقية المعارف العمومية وانشاء دور لعجزة العملة لاتت المجتمع الانساني بفوائد لا تقدر ولئن كان الضرر المشاهد من التدخين أقل من ضرر المسكر فان مما لا يختلف فيه اثنان ان إدمان التدخين يحدث اضطرابات في القلب وضعفاً في البصر قلما تشفى إلا بالاقلاع عن هذه العادة السيئة

والامراض الزهرية احدى رذائل هذا القرن فانها هاجمت طبقات المجتمع كله من الفتى اليافع الى الشيخ الهمّ ومن مرضع سليمة الى طفل ورث عدواه من أبيه وامه فهو اشد فتكاً في افساد الجنس البشري من عامة الاوبئة التي انتابت المجتمع في ادوار الحقب وما دام الجهاد في الحياة يتزايد كل آن وطرق العيش تتصعب فان أسباب الزواج الشرعي تقل ويقل الراغبون فيه بل وما دامت الخدمة العسكرية لا مناص منها في سن مخصوصة

من أيام الشباب فان من العبث منع أسباب الفجور ليضرب دون هذا المرض الوبيل باسداد منيعة

وزاد انتشار السل الرئوي في الخمسين سنة الاخيرة فاصيبت به طبقات الناس على اختلافهم في البلاد المتمدنة وقد شوهد انه يفعل في الغالب بالجند في ثكنهم والعاملين في معاملهم والسجناء في حبوسهم لان الاختلاط الشديد هو من أهم أسباب انتقال العدوى والمصابون بالسل هم بين العشرين والخمسة والعشرين من عامة الوفيات في سائر الامراض ويصيب الشبان والشيوخ غالباً . ومما يساعد على كثرة فتكه ما عدا انتقاله بالوراثة سوء العناية بالصحة كما هو المشاهد في البلاد الكبيرة فان الاقدام تزدحم في الاحياء الضيقة والبيوت المظلمة التي لا تنفذ اليها الشمس ولا يتجدد فيها الهواء فتحدث في الاجسام ما تحدث. أضف الى هذا كمية الغذاء وكيفيته على النحو الذي يتناوله العملة مما لا نسبة بينه وبين الاعمال الشاقة التي يتعاطونها ويقتضي لها من معوضات القوة ما يكفي ويشفي

ومن الاوصاب التي شاعت في النصف الاخير من القرن في بلاد التمدن أمراض من دواعيها الاضطراب في التغذية والاكثار من الطعام وتدعى بلسان الطب ديستروفيك وهي على أشكال فمنها الرثية أو وجع المفاصل وأوجاع تصيب المثانة وتجعل فيها عسراً وتجد المصابين بها زرافات كل سنة يغتسلون بالمياه المعدنية في فيشي وكارلسباد . وكان القدماء يظنون ان هذا المرض خاص بالاغنياء إلا انه تبين مؤخراً انه ما خص طبقة واحدة من الناس

ومما عمت به البلوى من الامراض في عهدنا وسببه الغذاء سلس البول

السكري . مرض وان اختلفت الاقوال في أسبابه فانها لاتعدو ان تكون تأثرات أخلاقية مضنية واضطرابات وحصر للذهن عظيم وعمل عقلي مفرط وأوصاب طبيعية طويلة وأرق وقلة إغفاء وكل ما يضعف الوظائف الدماغية ويصرف كثيرا من قوة الاعصاب . ومعظم من يختلفون الى المياه المعدنية يستشفون بها هم من العلماء والساسة والماليين وأرباب الصنائع والاشغال والصيارف ممن حملوا أنفسهم فوق طاقتها .

وهناك كثير من الامراض الحديثة التي جاءت مع الحضارة وهي من مفسدات الدم كالخنازير وأنواع الفقر الدموي وغيرها فكما ان الكوليرا انتقلت الى أوربا من آسيا فكذلك نقل أهل أوربا الى أميركا وآسيا وجزء من افريقية الحمى التيفوئيدية فانها وان عرفها القدماء باسم حمى خبيثة عفنية لم تعرف في أوربا الا في سنة ١٨٢٠ . وقد انتشرت الدفثيريا أو الخناق في هذه السنين انتشاراً وبيلاحتى صار مرض الدفثيريا إحدى المصائب المهلكة للاطفال يشترك في التلقيح بجراثيمها أبناء القرى والمدن معاً وذلك لما يبذل من القوى العصبية في جهاد الحياة وبفضل تعدد طرق المواصلات واختصار الابعاد فتنقل جراثيم عدواها بسرعة من البلاد الموبوءة بها الى البلاد السليمة منها . والنزلات قد اشتدت وطأتها كثيراً وصارت وبائية وافدة تفتك فتكا ذريعا

المومياء المصرية

لحكمة غابت عن الباحثين حنط قدماء المصريين جثث موتاهم وجعلوها مومياء منذ نحو سبعين قرنا . عثر علماء الآثار المصرية على اكثرها

في نواويس ومدافن ووضعوا بعضها في المتاحف ودور العاديات لتشهد لتلك الحضارة القديمة بالرسوخ والارتقاء . ولم يكتف المصريون بتحنيط الملوك والملكات والعظماء والعظيمات والاولاد والنساء والعبيد والاماء بل تناولت أيديهم بالتحنيط ضروباً من الحيوانات تعد بالوف الوف الالوف كشف اكثرها فاستعمل في تسميد الارض وتزبيلها

وقد أخذ المسيو ماسبرو مدير مصلحة الآثار المصرية طائفة من هذه الحيوانات والطيور المحنطة ودفعها الى علماء من أهل الاخصاء فتعاورتها الايدي بالبحث والعيون بالنظر والافكار بالتأمل . والف اليوم عالمان طبيعيان في مدينة ليون كتابا في الحيوانات الخاصة بهذا القطر فمما قالاه فيه : لقد ظفر في مدافن الحيوانات بأنواع من القرد والكلب وابن آوى والهر والجرذ والعنب والثور والظبي والغنم والعنز وغيره وبضروب من الطيور ونحو ثلاثين نوعا من الجوارح واكلة الحشرات والثمرات والتماسيح والحيات والاسماك وحيوانات لافقار لها من ذوات الصدف

ثبت للباحثين الموما اليهما ان حيوانات اليوم لم يختلف شكلها وخلقها عن الحيوانات التي حنطت قبل ستين قرناً اذ ما من مشتغل بالعلوم الطبيعية الا ويأتيك بأمثلة كثيرة من الحيوانات التي لم تتغير خلقتها منذ مئات من القرون بل منذ ألوف . وهناك ضرب من ضروب الحيوانات يدعى بلسان الحيوانات (براشيوبود) يرد عهده الى أقدم عصور العالم .

ومعلوم انه لايتأتى حدوث القلب والابدال في سحنات الانسان والحيوان الا بتغيير البيئة والمحيط ولما لم تتغير طبائع هذا القطر منذ ألوف من السنين فلا يعجبن القارئ لما أكده العالمان الفرنسويان من بقاء

الحيوان على وتيرة واحدة منذ قرون . كان الهر مقدساً عند قدماء المصريين ولذلك عثر على كثير منه محنطاً وقد تجد بين القططة ما ولد حديثاً وما هي أجنة في بطون أمهاتها. والهر المصري نوعان داجن ووحشي وهذا هو الذي كانوا يحنطونه ويقدسونه

وبعد فقد قدس المصريون اللقلق لانه يأكل الهوام التي كانت تغير على شواطيء النيل وكان من هذا اللقلق الابيض والاسود وعثر على كثير من الاسود في المدافن القديمة محنطاً أما الابيض فانقرض منذ مئة سنة وهو موجود في الحبشة بكثرة ولعلَّ النيل كان يأتي به وقدس المصريون الغنم وهو نوعان ادعى بعضهم ان أحدهما جاء من آسيا على نحو ما جرت العادة ان ينسب لهذه القارة كل نوع من انسان وحيوان ونبات وتوصف بانها مبعث جماع الحضارة ومهد الكائنات. اتفقت الاديان وبعض الفلاسفة وجملة من الاساطير على ان الشرق مقيل أرقى الكائنات الحية . إلا ان العالمين الباحثين أثبتا بالبرهان ان هذه الحيوانات نشأت في قارة افريقية على ان الملك سنفرون لما خرب النيل الاعلى وأتى من السودان بسبعة آلاف رجل وامرأة ومائتي ألف بقرة وغنمة جاء بالغنم المدعو « لونجيب » الى هذه البلاد من السودان

وفي هذا الكتاب بحث في تحنيط البقر - وبقرة بني اسرائيل صفراء فاقع لونها تسر الناظرين — وكان يظن ان بعض البقر المصري جاء من آسيا وبعبارة ثانية من سورية إلا انه وجد منه هنا ما يماثله ودثر بعضه . ومن رأيهما ان البقر الذي حنطه قدماء المصريين كان من البقر الهندي ذي السنامين الموجود منه الى الآن بكثرة في سهول مصر العليا . وقصارى القول

فان الباحث في تاريخ الانسان والمؤرخ والطبيعي يرون في كتاب هذين العالمين مادة لطيفة في الكائنات بهذه البلاد وهذه المباحث طافحة بالفوائد في تاريخ الحضارة خاصة وتاريخ الكائنات عامة

صحف منسية

شعر ابن حزم

قال الفقيه ابو عبد الله الحميدي كان لشيخنا الفقيه أبي محمد بن حزم في الشعر والادب نفس واسع وباع طويل وما رأيت أسرع بديهة منه وشعره كثير وقد جمعته على حروف المعجم ومنه ما كتبت عنه

هل الدهر إلا ما رأينا وأدركنا   فجائعه تبقى ولذاته تفنى
اذا أمكنت فيه مسرة ساعة   تولت كمر الطرف واستخلفت حزناً
الى تبعات في المعاد وموقف   نود لديه أننا لم نكن كنا
حصلنا على هم واثم وحسرة   وفات الذي كنا نقر به عينا
حنين لما ولى وشغل بما أتى   وغم لما يرجى فعيشك لا يهنا
كأن الذي كنا نسر بكونه   اذا حققته النفس لفظ بلا معنى

قال وله أيضاً من قصيدة خاطب بها قاضي الجماعة بقرطبة عبد الرحمن ابن بشير يفخر فيها بالعلم ويذكر أصناف ما علم يقول فيها

انا الشمس في جو العلوم منيرة   ولكن عيبي ان مطلعي الغرب
ولو أنني من جانب الشرق طالع   لجد على ما ضاع من ذكري النهب
ولي نحو اكناف العراق صبابة   ولا غرو ان يستوحش الكلف الصب

فان ينزل الرحمن رحلي بينهم ... فحينئذ يبدو التأسف والكرب
فكم قائل أغفلته وهو حاضر ... وأطلب عنه ما تجيء به الكتب
هنالك يدرى ان للبعد قصة ... وان كساد العلم آفته القرب
فوا عجباً من غاب عنهم تشوقوا ... له ودنو المرء من دارهم ذنب
وان مكاناً ضاق عني لضيق ... على انه فيح مذاهبه سهب
وان رجالا ضيعوني لضيع ... وان زماناً لم أنل خصبه سغب

ومنها في الاعتذار في مدح نفسه

ولكن لي في يوسف خير أسوة ... وليس على من بالنبي ائتسى ذنب
يقول وقال الحق والصدق إنني ... حفيظ عليم ما على صادق عتب

وأنشدني لنفسه

لا يشمتن حاسدي ان نكبة عرضت ... فالدهر ليس على حال بمترك
ذو الفضل كالتبر طوراً تحت ميقعة ... وتارة في ذرى تاج على ملك

وأنشدني أيضاً له

لئن أصبحت مرتحلا بشخصي ... فروحي عندكم أبداً مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى ... له سأل المعاينة الكليم

وقد كرر أيضاً هذا المعنى فقال :

يقول أخي شجاك رحيل جسم ... وروحك ماله عنا رحيل
فقلت له المعاين مطمئن ... لذا طلب المعاينة الخليل

قال أبو عبد الله الحميدي وقلت له يوماً قال أبو نواس

عرضن للذي تحب بحب ... ثم دعه يروضه ابليس

فقل أنت في طريق التحقيق فقال :

أبن قول وجه الحق في نفس سامع ودعه فنور الحق يسري ويشرق
سيؤنسه رفقاً وينسى نفاره كما نسي القيد الموثق مطلق

وأنشدت له (صاحب الذخيرة) أيضاً في ماكان يعتقده من المذهب الظاهر من جملة أبيات يقول فيها :

وذي عذل في من سباني حسنه يطيل ملامي في الهوى ويقول
أفي حسن وجه لاح لم تر غيره ولم تدر كيف الجسم أنت قتيل
فقلت له اسرفت في اللوم ظاهراً وعندي رد لو أردت طويل
ألم تر أني ظاهري وانني على ما بدا حتى يقوم دليل

وقال هذا الامام الشاعر

قالوا تحفظ فان الناس قد كثرت أقوالهم وأقاويل العدى محن
فقلت هل عيبهم لي غير أني لا أقول بالرأي اذ في رأيهم فتن
وانني مولع بالنص لست الى سواه انحو ولا في نصره اهن
لا انثني نحو آراء يقال بها في الدين بل حسبي القرآن والسنن
يا برد ذا القول في قلبي وفي كبدي ويا سروري به لو انهم فطنوا
دعهم يعضوا على صم الحصا كمداً من مات من قوله عندي له كفن
اني لاعجب من شأني وشأنهم واحسرتا انني بالناس ممتحن
ماإن قصدت لأمر قط اطلبه الا وطارت به الاظعان والسفن
اما لهم شغل عني فيشغلهم أو كلهم بي مشغول ومرتهن
كأن ذكري تسبيح به أمروا فليس يغفل عني منهم لسن
ان غبت عن لحظهم ماجوا بغيظهم حتى اذا ما رأوني طالعاً سكنوا
دعوا الفضول وهبوا للبيان لكي يدرى مقيم على الحسنى ومفتتن

وحسبي الله في بدء وفي عقب　　بذكره تدفع الغماء والاحن

وقال : بلغت من لذة الدنيا ذرى أربي　　في لذة العيش والسلطان والنشب

فاذهبت دول الايام منزلتي　　وزاد فقدي للذات في كربي

وكان مالي لهذا كله تبعاً　　بل صار عوناً لاعدائي على طلبي

لكن رجعت وقد جد الزمان الى　　كنز من العلم والاخلاق والادب

فاعجز الدهر أن يودي بواحدة　　منها واقصر عني واهي السبب

لا أختشي تضع الايام منزلتي　　مدى الزمان وعندي أغلب الطلب

لا يستطيعون عزلي عن ولايتها　　اذ كل وال لهم بالعزل في العقب

هذا بلا كلفة مني ولا حرس　　ولا عديد ولا انفاق مكتسب

وكل من كان في دنياي يصحبني　　ناديته حين خانني فلم يجب

كلام من جرب الامرين واتضحت　　له المذاهب من جد ومن لعب

انا ابن من دبر الدنيا بخاتمة　　عشرين عاماً وعشر بعد لم يرب

وان منزلتي في العلم منزلة　　في الملك حظ لحظ الصادق النسب

ما زلت أذخره دهري وأنفقه　　(دأباً) كمثل اللجين المحض والذهب

وانني لبخيل بالسلام اذا　　بخلت بالعلم من لفظي ومن كتبي

لو استطعت منحت الناس كلهم　　ما قد تجمع في حفظي وفي كتبي

أأبذل المال يفني البذل حاصله　　ولست ابذل ما ينمى على النهب

سائل بأي علوم العالمين تجد　　عندي ينابيع ذاك العلم في كتبي

التعليم والتربية

الاسراف وسوء السلوك

معربة من كتاب نصائح العملة

ان ما اعتاده بعض العملة من اهمال الاعمال ذهاباً مع هوي النفس قد يكون ابداً من ورائه ما يدعى بسوء السلوك . ومن عرف بهذا الميل فقد اطرح حلل الشرف في الانسان ولبس رداء من الشرور قد يتعذر اطراحه في الغالب . لا يستحق اسم انسان الا من جعل شهواته واهواءه ورغائبه محكومة بنظام العقل على الدوام موضوعة على محك البصيرة والتدبر. ولا يسعه الا من جعل هذا الخضوع عادة فيه لا يتكلفها ولا يجهد نفسه من اجلها . فعلى الشهوة ان تكون أبداً مطيعة وعلى العقل ان يأمر ولكن اذا أمرت الشهوة واذعن العقل فقد المرء العقل والسعادة . وعدم اعتدال العامل في شؤونه دليل سوء تصرفه وتجانفه عن جادة الاستقامة وطرق الكرامة .

سهل على العامل من الاسف ان يتخلق بهذا الخلق في شبيبته وقبل زواجه أيام يكون في إبان قوته ونضارة صحته يتناول اجرة تفيض عن حاجته فيفيض منها على هواه ما يكفي رجلا متزوجاً في إعالة عياله . فان أجرة أمثال هؤلاء العملة الشببة الفتيان لا يكادون يقبضونها حتى يصرفوها في كل سبيل وينفقوها في لا يرضي . ومهما كثرت فان لها مصارف تستغرقها برمتها ولا تبقي منها ولا تذر . والسرف متلفة كل شيء يتأصل على العادة

في النفس مما يخشى منه بعد ان يتعذر اقلاع العامل عن هذا الخلق فيعيش بعد زواجه كما كان يعيش عزباً

لا أجمع بين الانحراف الموقت وسوء السلوك على ان الثاني يتولد من الاول بسهولة . وما من امرئ لايدرك الا ان يؤدي الانحراف عن جادة الفضيلة لاول امره . ومن الهين اللين ان يسقط الانسان من الطيش الى الاضطراب ومن هذا الى سوء السلوك . وارحمتاه لمن لايحسن مقاومة شهواته الاولى فان الهواء الذي يستنشق في المجتمعات وقد ركب الطيش اجزاءه ليحل في تضاعيفه اضطراباً وبحراناً في الحواس وينتهي بضرب من السكر الادبي ويصعب تبديد شمله بقدر ما ترتاح النفس اليه . ومع هذا فقد يرجو الطائشون عبثاً اصلاح نفوسهم من هذا السكر وانه موقت لايلبث المنغمسون فيه ان يرجعوا عن غيهم . ولكن تجيء الايام تلو الايام والاسابيع تلو الاسابيع والشهور عقيب الشهور والنفس لاترجع عن غيها وغلوائها .

ولقد انشئت في انكلترا واميركا جمعيات دعيت جمعيات الاعتدال بغية انقاذ العامل بل اضطراره الى عدم اهمال العمل وسوء استعمال اوقات فراغه فاسفرت هذه الجمعيات عن بعض النجاح فيقضي على من يريد الانخراط في سلك هذه الجمعيات ان يقسم ايماناً مؤداها ان يتخلى عن استعمال اي شراب من المسكرات كان . ولكن حظر استعمال شيء حسن في ذاته ليكون المرء على ثقة من سوء استعماله معناه قلة الثقة بنفسه ومن المتعذر ان يكون لامرئ لايعتبر نفسه ويثق بها من القوة ان يتغلب حيناً من الدهر على سلوكه فيجعله تبعاً لارادته وارادته تبعاً لكلامه . ولذلك ترى هذه

الجمعيات عرضة للسقوط كثيراً لانه لولم يكن للمرء من نفسه وازع يقيه المضال والانغماس في حمأة السفاهة ليس لجمعية . ان تناله منه بمجرد حلف يمين والقيام بمظاهر عظيمة

لا تنتهي الانفس عن غيها مالم يكن منها لها زاجر

ومن استنار عقله بنور العقل الصحيح هيهات ان يحيد عن الجادة المثلى ويتعدى حدود الادب واللياقة. ومن الشبان من يأتون المنكر فيقولون هذه المرة الاخيرة ونحن لا نأتي منكراً بعد . فهلا قالوا مثل هذا القول من قبل وصرحوا بأنهم لا يأتون المنكر ولا هذه المرة أيضاً فما هو الا ان تستلب هذه المنكرات من ارباب العقول عقولهم حتى اذا اراد احد المتلبسين بها ان يرجع عنها بعد ان تكون نفسه مجتها يتعذر عليه ذلك . تعرف هذا من عملة انقطعوا عن اعمالهم اياما وراحوا يقضون اوقاتهم في القصف والسكر فتراهم بادئ بدء قد وجدوا شيئاً من النشاط ان صح ان يسمى نشاطاً حتى اذا كان اليوم الثاني تصفر الوانهم وتنقطع ايديهم عن كل عمل فيصبحون باهتين شاخصين ثم لا يلبثون ان يعربدوا ويصخبوا وربما طالت ايديهم بالتعدي على ابناء السبيل تدفعهم الى ذلك عوامل الخمار

الا ان سوء السلوك لتستوحش منه النفوس ويفسد القلوب بما يصحبه من الافراط الذي ينهك الصحة فيجعل الهرم ويهيئ السبيل للامراض العضالة . افراط تتلبس به النفس فيقودها من ضلال الى آخر حتى يتناسى صاحبها ما يقضي به الشرف ويحيد حياداً ظاهراً عن مهيع الشرائع . وعقاب سوء السلوك بسيط فهو يميت القلب ويقتل في صاحبه التوبة والانابة وما هو الا ان يضعف النفس عن الاحساس الطيب والافكار الصالحة ويميت

في نفسه كل شعور حي . يعمل ولكن من دون لذة بل مكرهاً . وما هو الا كلا ولا حتى تصير البطالة في عينه عبئاً ثقيلاً والعمل عذاباً اليماً فيبلغ حالة لا يبلغها من المرء اعدى أعدائه وهل أشد خطراً من عدو داخلي ينهك القوى ويهدم الاسس . وقد قيل اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك . والانكى من ذلك ان من يألفون الدعارة ويأخذون أنفسهم بالفسق لا يلبثون ان يعاشروا من هم على شاكلتهم على نحو ما جاء في الامثال ان الطيور على أشكالها تقع وشبيه الشيء منجذب اليه . وهناك حدث ما شئت ان تحدث عمن يلقاهم من سخاف العقول وضعاف الآداب ينشط كل منهم صاحبه ويهيئ له سبيل الرذيلة ويحببها اليه وتراهم أبداً وأحاديثهم تدور على تلاعبهم وخلاعتهم ورقاعتهم في بيوتهم وأسرتهم ومع الناس أجمعين

وهكذا ترى سوء السلوك نفسد القلب وينضب مادة الشعور الطيب الخالص فيصبح صاحبه مكرهاً فلا يعيش عيش الانسان بل عيش الحيوان فسوء السلوك هو الد أعداء العامل يبعد به عن النجاح والراحة والسعادة . ويا رب ماذا تكون حال العامل اذا ضعفت قواه وأسلمه سلوكه الى الشقاء مدى العمر مؤدياً به كل يوم الى أحقر المساكن . فاما ان يرميه مريضاً على حصير المستشفى أو على حضيض ملجإ الفقراء أو يموت تحت مبضع تلامذة الطب في المستشفيات

ولا تسل عما يجلب هذا الحال من فساد نظام البيوت فان الزوج أيضاً تحذو حذو زوجها وتنصرف الى الرذيلة فترضع أبناءها سما زعافاً من فسادها فما هو إلا ان يضيع عليهم مستقبلهم ويتعذر عليهم التحلي بالاخلاق الصالحة ولا يزال الفساد يدب من جيل الى آخر ينقله الاب لابنه والأم لابنتها

حتى تنحل بيوت أولئك العملة وكانت من قبل يتأتى لها ان تؤسس على التقوى وتعيش في هناء ويمسي أفرادهم وهم حلفاء شقاء وامتهان .

وبعد فاني اتقدم الى من استرسلوا في هوى النفس ان يصلحوها ولا يقولوا الصيف ضيعت اللبن ولكن جئت في الزمن الاخير فان اصلاح النفس يتأتى في الكبر كما يتأتى في الصغر . ومن لا ينضبط نفسه زمان الفتوة وهو عهد العقل وسن الاماني الطاهرة والاخلاص الشريف هيهات ان يجيء منه ما ينفع أمته وينتفع هو به . فاصلاح النفس لازم في الكبر أكثر فاذا استقام أمر المرء شهوراً بل اياماً قبل موته لا بد ان ينال اعتبار الجمهور بل الانابة مطلوبة فيمن ابيض شعره حتى لا يجمع الى الشيخوخة اهانة الناس وما على من ابتلوا منذ شبيبتهم بهذه المساوئ الا ان يحاولوا الاقلاع عنها وتصح عزائمهم على ذلك فللارادة شأن في سلوك الانسان ومن لا إرادة له لا يعد في البشر

مطبوعات ومخطوطات

العربية ولهجاتها

وهي رسالة كتبها بالافرنسية حضرة العالم المدقق الكنت دي لاندبرغ الاسوجي وقدمها الى علماء المشرقيات في المؤتمر الدولي الرابع عشر المجتمع مؤخراً في الجزائر . والمؤلف من شيوخ العلم في اللغات الشرقية وخصوصاً العربية وله اصحاب كثيرون في بلاد العرب عرفوه في خلال رحلاته العديدة الى بلادهم ولا سيما في مصر وسورية وجنوبي الجزيرة وله تآليف كثيرة افادت التمدن وانتفع بها طلاب العلم . افتتح كتابه هذا بالثناء

على عالمين فرنسويين مشهورين سلفستر دي ساسي وكاترمير اللذين جعلا العربية بما توفرا عليه من الدراسة والتدريس علما أوربياً وبواسطتهما انتقل تعلمها الى ألمانيا وأولع بنوها بتعلمها وخدمتها أحسن خدمة ثم انتشرت في سائر انحاء اوربا

وقد عني المؤلف منذ خمس وثلاثين سنة بدراسة اللغة المحكية حتى كان بعضهم في مصر والشام — على ما قال عن نفسه - يصفونه بانه مجنون لكثرة عنايته بلغة يحتقر أهلها فصيحها فما الحال بعاميها وقال ان شأنه في ذلك بداءة بدء كان شأن الرسول (ص) لما أخذ يدعو قومه الى الدين فيقولون انه مجنون . وبعد الاعوام الطويلة التي قضاها في تتبع لهجات العرب من مظانها ودراسة الشعر قبل الاسلام والاطلاع على ما أبقوا في اليمن وسورية من الآثار التاريخية المزبورة على الصخور في القفار أيقن ان اللغة المحكية اليوم كان لها حظ من الانتشار قبل الاسلام وان العرب في ذلك العهد لم يكونوا كما ادعى بعض الباحثين جهلاء أميين او انهم خلقوا من لا شيء كما خلقت منيرفا من رأس المشتري ويكفي انهم كانوا على شيء من المعرفة ان رعاة تلول الصفا وغيرهم من جيرانهم خلفوا ألوفاً من الاحجار عليها خطوطهم وربما كتبت قبل الحميرية اليمانية

ومما استدل به على وجود علاقة بين اللغة الفصحى والعامية وان العامية كان يتكلم بها في بعض انحاء الجزيرة ان الاعراب والتنوين قد ظهرا كل الظهور في الخط المسند البابلي الذي عثر عليه حديثاً فى شريعة حمورابي وان الاعراب والتنوين معروفان قبل تلك الكتابة ويقول بعض الباحثين فى

اللغة الاشورية ان عهد ذلك يرد الى سنة ٢٨٠٠ ق - م ويرده آخرون الى ٣٧٥٠ ق - م

ومن رأيه ان التنوين والاعراب لو حذفا من العربية لاصبح نحوها عبارة عن مئة صفحة مثل نحو لهجة عربية حديثة ولا تبقى كل تلك التراكيب قال : وبعد فلم يرفع من بناء العربية حجر واحد ولكن ربما أضاف اليه علماء النحو أحجاراً كثيرة على ان العلم قاصر عن الاحاطة بالقديم الذي كان قبل الارتقاء الاسلامي العظيم وبالحديث منه وان هذه اللغة لتعيش أيضاً على رقتها وما فيها من قواعد إعرابها وفي المدارس وبين طبقات الشعراء ويكفي في اقناعك يا هذا فيما اقول ان تحضر اليك معلماً عالماً وتسأله فيها مما هو ولا جرم معجزة للرسول « صلوات الله عليه » ذاك الجمال المسكين الذي ما خامره ريب بانه يزين العلم الحديث بمشعل من النور يضيء ضياء يأخذ بالابصار منذ ألوف من السنين . فان اجتمعنا هنا لنعجب بهذا البناء الخالد فبفضل رسول الله ولولاه لما شغلت العربية فرعاً من مؤتمرنا هذا وما كان ملايين من العرب تكلموا ودرسوا لهجة لطيفة خرجت من برج بابل من بين سائر اللهجات

وبحسب ما وصل اليه المؤلف ان لفظ البدو النازلين في الجنوب من شبه جزيرة العرب اكثر انطباقاً على قواعد النحو من غيرهم وقال انه لا يضاد القائلين ان سكان حارب وبيجان هم الذاهبون بهذه المزية . وقد قيل للمؤلف ان قبائل فهم وقحطان في الحجاز يحسنون التكلم من بين عرب الشمال . وذكر ما قاله نولدك في مجمع علماء اللغات من الالمان في ستراسبورغ من « ان اللغة العربية هي النقطة المركزية للدروس السامية » وزاد بان اللهجات .

العربية على اختلاف اقطارها لو أخذت بمجموعها مع ذخائر بلاد بابل واشور التي تكاد لا تنضب كنز عظيم يعثر فيه على المواد الكافية للوقوف على اللغة السامية أحسن وقوف . وختم الكتاب بانه يود أن يجاري العلماء ويكاثرهم فى البحث فيما بقي عليهم ان يبحثوا فيه من لهجات العرب فى الغرب الاقصى لولا انه وصل الى سن قال فيها امرؤ القيس

اراهنَّ لا يحببن من قلَّ جاهه ولا من رأين الشيب فيه وقوَّسا

تدبير الصحة

التوقي من البرد

جاء زمن الكن والكانون وبرد الجو وتغيرت الاهوية فكثرت بذلك الادواء ولاسيما النزلات فارتأى احد اطباء فرنسا ان خير ما يقي الصحة من التداعي في مثل هذا الفصل الامتناع عن شرب الماء المبرد او المثلج او المقطر وان يمتنع عن التوابل (السلطات) والبقول النيئة كالفجل والخرشوف (الارضي شوكي) وان تنظف المساكن كل التنظيف ويرش ارضها بكلورور الجير (الكلس) على معدل خمسة في المئة وتدهن حيطان الغرف بخاثر الجير مضافًا اليه كلوروره وان لا يفرط الانسان في استعمال الضروريات على انواعها

إطالة الحياة

كتب احدهم في احدى المجلات الباريزية الخطيرة مقالاً في معنى اطالة الحياة قال فيه ان القول بان الهرم يبدأ في سن الستين فينقطع المرء لهذا عن اعماله وملاذه استعدادًا للموت هو حديث خرافة لا يقره من درس علم منافع الاعضاء . قال واذا ضعفت وظائف هضمنا او غيرها من الوظائف او اقعدت عن عملها فلا تمل يا هذا باللوم على الايام بل لم نفسك بما اسرفت واستهترت . الهرم هو دور الحياة الذي لا يعود فيه المرء يستمتع الاَّ بجهاز بال فيموت حتف أنفه بيد ان هذا الاجل هو اطول مما يتوهمه الناس اذ يمكن ان يمتد الى مئة وخمسين سنة واحيانًا الى مائتين والدليل على ذلك انك اذا رجعت الى سجل الوفيات

في باريز تلك العاصمة التي فيها من مضنيات الحياة والصحة ما يسوء وينوء تجد الاعمار فيها قد تطول الى ثمانين او خمس وثمانين سنة وربما الى اكثر من ذلك احياناً

سير العلم

مسمعة

هذه المسمعة واسمها كوستيكون هي عبارة عن آلة تلفونية تسمع الصم اخترعها احد الاميركان وجربها في عدة محال للتمثيل والمعابد في نيويورك وهي مؤلفة من التلفون والميكروفون والميكالوفون واشبه بآلة تصوير وتسمع كثيرين في آن واحد

حب العلم

وهب احد الاميركان مليون فرنك لانشاء منبر للتاريخ والاوضاع الاميركية في كلية برلين الجامعة رجاء نشر العلم الاميركي حتى في اغنى بلاد الله بعلمها . ولا يبعد ان يمنح الاميركان بعد كليات لندن وباريز وبطرسبرج ورومية وآثينة ومدريد وسائر عواصم اوربا امثال هذه المنح والعطايا . ولقد كان سسل رودس الغني الانكليزي الملقب بنابوليون افريقية اوصى بمال لكلية اكسفورد ليدرس به طلاب العلم من المستعمرات الانكليزية فلم تخل وصيته من النقد عند فريق من العلماء بل قالوا ان الموصي لو اوصى بان يبعث باساتذة انكليز الى المستعمرات والولايات المتحدة لكان بلغ الغرض واصاب المحز

غاز جديد

يعنى الآن اهل العلم في اميركا باكتشاف غاز جديد من خصائصه ان يمتص الرطوبة من جميع المواد العضوية ويحفظ الحاصلات الغذائية واخشاب العمارة من الفساد بعض الحفظ . وقد جرب فثبت ان الثمار والبقول وجدت به سالمة من البكتريا بعد اربع سنين لم يطرأ عليها انحلال ولا تغيير كيماوي فغمست بالماء قليلاً فعادت الى نضرتها ولونها وطعمها . واذا زيد خمسون في المئة على اجرة الشحن تنقل الغلات في هذا الغاز من مملكة الى اخرى . ولا يسطو عليها سوس ولا فساد وينقل الجندي منه مؤونة اسبوع ويكتفي الفقير به للدفء ويشفي من الامراض باهلاكه جراثيم العفن

المجلات الافرنجية والعربية

الموسيقى العربية

ما برحت « المجلة » الفرنسية تأتيها الآراء بشأن الموسيقى الشرقية واحسن ما ورد عليها من ذلك رأي يقول فيه صاحبه ان العرب يجهلون الايقاع وينكرونه ويستغربونه واقام صاحبه الحجة على ائتلاف الالحان الشرقية اذ ليس في ضرب الصوت الشرقي ادنى مناسبة مع الصوت الغربي

الشبان المتعلمون

في احدى الجرائد الالمانية بحث في ان الشبيبة المستنيرة يقف سير علمها بعد ان تنال الشهادات المتنوعة بدلاً من ان تزيد مادتها العقلية بالتوفر على دراسة الكتب الجيدة والابحاث الخاصة الدائمة وقد اوصى الاهل والشبان ايضاً بطريقة في التعليم معقولة عملية وذلك بان تلاحظ الحياة البشرية ونشوءها

التبشير

الهلال — نشر مذكرات الدكتور فانديك في اعماله واعمال المرسلين الاميركان في سورية وصف فيها بيروت وصفاً مجملاً عند دخوله اليها سنة ١٨٤٠ وكانت قليلة السكان والمنازل وقال ان دروز رأس بيروت تنصروا تخلصاً من الجندية وتتجلى في هذه المفكرات روح البحث والتفاني في المصلحة

تاريخ المورو

المقتطف — قرظ كتاب تاريخ المورو اي مسلمي فيلبين الذي وضعه بالانكليزية حضرة الفاضل الدكتور نجيب صليبي معاون حاكم جزائر فيلبين الاميركية ومن نوابغ سورية بعلمه وتربيته . قال المؤلف ان تاريخ مسلمي فيلبين قبل ان ينتحلوا الاسلام خرافي تناقلوه خلفاً عن سلف ولم يعن احد بتدوينه ولكن لما جاء الاسلام الى تلك الجزائر جاء معه العلم والعمران فانتظمت الاحكام ودونت التواريخ ووضعت التراسيل وهي عندهم كشجرات الانساب عندنا . والتراسيل بلغة مجندناو ولكنها مكتوبة بحروف عربية . ومعنى مجنداناو البلاد المورويّة لان فيها نهراً يفيض عليها ويرويها فاطلق هذا الاسم على البلاد وعلى سكانها . وكان بدء دخول الاسلام اليها في نحو سنة ١٤٧٥ للميلاد . قال والمورو الموصوفون

بالقسوة والشمم ارقى جدًا من الوثنيين الذين يسكنون سائر البلاد مع انهم جميعهم من اصل واحد لكن الاسلام علمهم وهذبهم واوصل بينهم و بين غيرهم من الامم · والكتاب كله ينبي‌ء عن روح صاحبه الشريفة التي تهذبت واخذت ترى الحقائق بالعين المجردة وقد كان العامل الاعظم في تهذيب المسلمين في تلك الجزر فابتاع لهم منذ مدة كثيرًا من المصاحف وكتب العبادة واخذ يدرسهم فيها حاثًا لهم على التمسك بالاسلام واقنع حكومة الولايات المتحدة بذلك من الوجهة السياسية جزاه الله خير الجزاء

نفاضة الجراب

تفقه في ساعة

من مضحكات الوهراني مقامة في قصة عجوز تزوجت باسكاف فجعلته بتعليمها فقيهًا وقالت له كن فقيهًا فكان. قال عيسى بن حماد فقلت للراوي مثلك من افاد · وشفى بحديثه الفؤاد فكيف تمشي حاله · وتغطي على الفقهاء محاله · فقال اعلم انه لما اجمعت العجوز على تعليمه ورده الى المدرسة وتسليمه · تخوف من ذلك الامر · وبات ليلته على الجمر · فلما اصبح قال لها : اعلمي يا هذه اني كنت في بلدي اسكافًا · · فكيف لي بالمدارس · وانا كالطلل الدارس · ومن اين لي بالتخبيز (كذا) وانا مثل حمار العزيز · والله ما افرق بين الحروف وقرن الخروف · فقالت انا اعلمك العلم كله · الاَّ اقلهُ · واعلمك فصلاً في التدريس · تغلب بهِ محمد بن ادريس · فقال لها يا هذه والله ما ارجو من المدرسة نفعًا · واني اخاف ان يقتلوني صفعًا · فدعيني في · · · فقالت اريد اخرجك من المدابر · وارفعك على رؤوس المنابر · فاحضر ذهنك · وافتح لهذا الدرس اذنك · واعلم ان الالف قائم كالمغزل · وهو كتاب المنزل · والباء كالصنارة · او كرجل المنارة · والهاء كالتقالة · وفيها شيء كالعرقالة · والطاء كالخف · او كطارة الدف · وكل مدور ميم · وكل معوج جيم · والصاد تشبه نعالك · والذال تشبه قذالك · وان القاف والكاف · يشبهان الاكاف · فاحفظ هذا الكلام · وقد اصبحت مفتي العراق والشام · واحذر اعتزالي · واعلم ان بهذا الفصل تقدمة الغزالي

فاقبل التيس يكرر لفظه · حتى اجاد حفظه · وعندها خرج في القمة والغمة (كذا)

وعزم على مدرسة جمال الائمة . فخرجت تبخره من العين . وتقرأ عليه المعوذتين . وقالت له اذا جلست فتربع . ولا تتقنع . وانشر اكمامك . واظهر للناس اعلامك . فان الغريب ابن ثوبة . والمقيم ابن جدية (؟) فقال لها : اوصيني يرحمك الله . فقالت اذا حضرت فانفخ حضنك . وبطنك . وانفش بين الفقهاء ذقنك . وباكر المدرسة عند الصباح . وسابقهم في الرواح . وان غلبوك في العلم فلا يغلبوك عند الصياح . فقال والك . اخاف ان اقتل باللوالك (١) ولكن اوصيني فقالت خذ اللفظ باناملك بين شفتيك . وزاحم الفقهاء بمنكبيك . وازعق في وجه الشيخ ولا جناح عليك . قال فهاتي اذاً شيئاً من قماشك . ارد به صفع الشماشك . فقالت اجسر على القوم فما هو الا بياض اليوم . واعلم ان الفقه ليس هو الا النفاق والزعاق . وتلويث وجه الخصم بالبزاق . فقال لها ان صدقت . فانا اكون امام الوقت . وقام في ذلك الاوان . حتى دخل على الفقهاء في الايوان . فهابته قلوب الجماعة . وخافوا ان يكون من اهل البراعة . فانصفوه في السلام . وبسطوه في الكلام . وآنسوه بالمحاضرة . حتى جاء وقت المناظرة . . . .

شكر المقتبس

نرفع الى من كاتبونا وشافهونا من رجال الامة اجمل شكر وحمد لما تكرموا به من عبارات التنشيط على نشر المقتبس سواء كان بالخطاب او بالكتاب كما نثني اطيب الثناء على الصحف العربية على اختلاف نزعاتها وموضوعاتها التي ذكرت صدور هذه المجلة ونوهت بها ونسأل الله ان يحقق آمالهم وآمالنا ويصلح احوالهم واحوالنا

وهنا ننشر تتميماً للفائدة ما تفضل به صاحب المقتطف وصاحب المنار الغراوين من نقد المقتبس عملاً بالتماسنا منهما وهاك ما قاله المقتطف في معنى النقد :

« وفي باب تدبير الصحة شرح اسلوب الانكليز في الاكثار من طعام الصباح وحث بعض الفرنسويين قومهم على اقتفاء آثار الانكليز في ذلك لكن علماء الصحة من الانكليز يخطئون قومهم ويقولون ان الاكثار من الطعام في الصباح ضرر محض ولنجاح الانكليز اسباب اخرى ولا علاقة لطعام الصباح به . . . واما ما ذكره في باب مقالات المجلات الذي قال انه زبدة ما وقع عليه اختياره من اهم ابحاثها فيدل على ان مقام المجلات العربية ليس في عينيه على ما يرام . وهو اسمح من ذلك واكرم » هذا محل النقد من مقال المقتطف واليك محله من مقال المنار :

---

(١) اللوالك والشباشك والتماشك كلها مما يلبس في الارجل من نحو الخفاف وغيرها

وقد انتقدنا عليه اموراً لا يسلم من مثلها المبتدئ بالعمل منها انهُ كتب عن ابن حزم في ثلاثة ابواب وتكلم عن الوهراني في غير ما موضع . ترجم ابن حزم في الباب الاول ثم ذكر شيئاً من نصائحه في باب الصحف المنسية ثم ذكر الكتاب الذي اقتبس منهُ النصائح في باب المطبوعات وكان يحسن ان يذكر في باب واحد من هذا الجزء وكذلك يقال في تكرار ذكر الوهراني والكلام في العملة . ومنها ان ما ذكرهُ من النصائح لم يعد من الصحف المنسية وقد طبع الكتاب قبل وجود المجلة . فان اراد بالصحف المنسية ما اهمل الناس العمل به فالباب واسع يدخل فيه كثير من المجلدات العظيمة في التفسير والحديث والرقائق وغير ذلك فالانتقاد على الباب نفسه اولى . ومنها انهُ لم يكن يحسن ذكر منشآت الوهراني والتشويق اليها والتصريح بتعمد كتمان مكانها لان هذا يغري اهل الولوع بامثال هذه المسائل الى البحث عنها ومن بحث عن الموجود ظفر به غالباً . ومنها ان بعض المباحث لم توضع في الابواب التي هي اليق بها فقد ادخل في باب التربية والتعليم الكلام في العملة والصناع واخرج منهُ بحث تعليم اللغات . وذكر شيئاً من مقاطيع الشعر في باب المقالات دون باب الصحف المنسية . ومنها ان المنقول في بعض المواضع لم يتميز بنسبته الى الكتب والعلماء تميزاً ظاهراً يعرف اوله وآخره بلا اشتباه كما يرى المدقق في ترجمة ابن حزم وما نقل منها عن الذخيرة لابن بسام . ومنها الاختصار المخل في بعض المباحث كبحث « الامية والكتاتيب » فالظاهر انهُ يريد الكلام على الامية في الاسلام وكيف انتقلت العرب بعدهُ منها الى التعلم حتى انشاء الكتاتيب قديماً وحديثاً ولكنهُ جعل نحو ربع ما كتبه في معنى لفظ الأُمي وفي تفسير ما ورد في اهل الكتاب من قوله تعالى « ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الاَّ اماني » (وقد ذكر في المقتبس لفظ يقرأُون بدل يعلمون سهواً فليصحح) وكان المناسب ان يذكر تفسير قوله تعالى « هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » فقد فسر الكتاب هنا بالكتابة وهما مصدران لكتب . ثم ذكر شأن الكتابة في الجاهلية وذكر امماً اخرى بالايجاز ولم يذكر عن الاسلام بعد ذلك الاَّ سطراً ونصف سطر وقال بعد ذلك « هذه زبدة ما يقال في معنى الامية في الاسلام » الخ والسبب في هذا الاختصار المخل رغبة الكاتب في ابداع الجزء مباحث كثيرة . وامثال هذه الامور التي انتقدناها مما يسهل تلافيها لاسيما بعد التنبيه اليها ومنها ما تبع فيه اصطلاح مجلات اوربا وان لم يكن عندنا مألوفاً »

المقتبس

غرة ربيع الاول سنة ١٣٢٤

صدور المشارقة والمغاربة

ابن الرومية

من جملة تلامذة ابن حزم الاندلسي أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج النباتي المعروف بابن الروميـة الأُموي الاشبيلي المتوفى سـنة ٦٣٩ هـ وهو الذي رحل الى الشرق لمعرفة نباتاته ، وأخذ علم الحديث عن ثقاته ، ونشر تآليف استاذه ابن حزم ولولاه لتناولتها يد الضياع خصوصاً بعد ان أصابت الكتب في بلاد الاندلس ما أصابها من طوارق الحدثان

جاء في الاحاطة انه كان غرة جنسـه إماماً في الحديث حافظاً ناقداً ، ذاكراً تواريخ المحدثين وانسابهم ومواليدهم ووفياتهم ، وتعديلهم وتجريحهم ، عجيبة نوع الانسان في عصره وما قبـله وما بعده في معرفة عـلم النبات ، وتمييز العشب وتحليلها، واثبات اعيانها، على اختلاف اطوار منابتها، بمشرق أو

مغرب ، حساً ومشاهدة وتحقيقاً ، لامدافع له في ذلك ولا منازع ، حجة لاترد ولا تدفع ، اليه يسلم في ذلك ويرجع ، قام على الصنعتين ـ الحديث والنبات ـ لوجود القدر المشترك بينهما وهما الحديث والنبات اذ موادهما الرحلة والتقييد، وتصحيح الاصول ، وتحقيق المشكلات اللفظية ، وحفظ الاديان والابدان .

ولما وصل على رواية ابن أبي أصيبعة سنة ثلاث عشرة وستمائة الى ديارمصر وأقام بمصر والشام والعراق نحوسنتين وانتفع الناس بهواسمع الحديث وعاين نباتاً كثيراً في هذه البلاد مما لم ينبت بالمغرب وشاهد اشخاصها في منابتها ، ونظرها في مواضعها ، حل في الاسكندرية فسمع به السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب وبلغه فضله ، وجودة معرفته بالنبات ، وكان الملك العادل في ذلك الوقت بالقاهرة فاستدعاه من الاسكندرية وتلقاه وأكرمه ورسم بان يقرر له جامكية وجراية ويكون مقيماً عنده فلم يفعل واعتذر بالحج

ولهذا النباتي تآليف حسنة في الطب « وله معرفة بأشخاص الادوية وقواها ومنافعها واختلاف أوصافها وتباين مواطنها » وبالجملة فلم يكن يتحرج من الجمع بين علوم الدنيا والآخرة . واشتهر فضله حتى دعاه أبو بكر بن أيوب الى المقام في بلاده ولا خير في أمة لاتفاخر برجالها ولا تحرص على تكثير سوادهم

مكتبة الاسكندرية

زعم بعض متأخري المؤرخين ان عمر بن الخطاب (رض) أو عز الى عمرو بن العاص لما فتح المسلمون مصر ان يحرق مكتبة الاسكندرية وكان فيها مؤلفات الحكماء الاقدمين فانقطع بذلك سند العلوم والصنائع والاختراعات التي عرفت وبعبارة ثانية محيت المدنية القديمة وعاد العالم في جهالة جهلاء . مسألة شغلت بال الباحثين والمفكرين . وقد الف احد افاضل الاستانة «محمد منصور» كتاباً بالتركية سماه مكتبة الاسكندرية وذلك عقيب مناقشة دارت بينه وبين بعض كتاب تلك العاصمة في احدى المجلات العلمية التركية منذ نحو اربعين سنة . فتصفحت الكتاب وعربت بعض صفحاته المتعلقة بحريق هذه المكتبة وهاك ماقاله ملخصاً :

هلك اسكندر المكدوني فانقسمت مملكته بين قواده واستولى على مصر بطليموس سوتير وكان محباً للعلوم والمعارف واذ رأى تفرق حكماء اليونان ايدي سبا بما دهم بلادهم من زوال العلم وعفاء المدنيـة دعاهم الى حماه فاتوه ومعهم بقايا من الكتب المنوعة فاحسن وفادتهم ووفادتها واقام لحفظ هذه المصنفات مكتبة بالقرب من معبد السرابيوم (١) علوهامئة

---

(١) السرابيوم اسم اطلقه اليونان على معبد اوزورهابي اوابيس المتوفى وهو الثور الذي عبده قدماء المصريين واطلقوه على معبد ابيس في منفيس وقد اكتشف ماريت الأثري الفرنسوي سـنة ١٨٥٠ بالقرب من سقارة بقايا المعبـد والاسراب التي كان فيها ابيس ثم اطلق اليونان هذا الاسم على جميع المعابد التي كان يعبد فيها الثور سيرابيس او ابيس وكان لكثير من المدن الرومية مكان يدعونه السرابيوم مثل رومية وآثينة وبوزول وغيرها وسرابيوم الاسكندرية هذا اشهرها وفيه كانت المكتبة التي اختلف فيمن ابادها

قدم وهي قائمة على جبل صناعي وسط مدينة الاسكندرية . وروى بعض المؤرخين ان هذا الملك احدث في قصره مكتبة اخرى جعل في الاولى اربعمائة الف مجلد وفي الثانية ثلثمائة الف .

ولقد ظلت مكتبة الاسكندرية بعناية بطليموس واخلافه مرجع اهل العلم وكهف حفدة المعارف الى سنة سبع واربعين ق . م وقد أبدى مالتابرون في جغرافيته والمجمع العلمي الذي ألف في فرنسا للبحث عن الابنية القديمة الداثرة وجغالديني في تاريخه العام وسائر كتب تواريخ رومية الاسف الكثير لحريق هذه المكتبة برمتها عقيب فتنة نشأت من افتتان احد قياصرة رومية بمليكة مصر كليوباطرة المشهورة بجمالها وذلك لما استحال حكم رومية الى الملوكية وأخذ القيصر يطارد عدوه القائد بومبيس حتى بلغ الاسكندرية وهنا جرى بينه وبين كليوباطرة امور ادت الى إحراق تلك الكتب المنوعة التي بذل النفس والنفيس في استجلابها منذ تأسيس المكتبة الى ان نعق في ارجائها غراب الدمار .

واختلفت روايات المؤرخين في عدد اسفار هذه المكتبة واكد بعضهم ان الكتب التي أثرت عن حكماء اليونان وحدهم تبلغ سبعة آلاف مجلد وهو عدد فيه نظر اذا احصينا ما تنتجه كل مملكة على حدتها في اوربا لهذا العهد من المصنفات على انتشار الطبع والورق وتوفر اسباب التأليف توفراً لم يسبق له نظير في تاريخ العالم . وان معظم حكماء اليونان اشتهروا عند بعض المؤرخين على حين لم يؤثر عنهم كتاب ما . وعليه فبعيد عن التصديق ما يُدعى بوجود مليون كتاب في مكتبة الاسكندرية . ولو كان الامر على ما ذكروا لاقتضى لكل حكيم من حكمائهم ان يؤلف

ثلاثين أو أربعين كتاباً وهو محال .

عرفت كليوباطرة ان لها يداً في إحراق مكتبة الاسكندرية فاعادت بناء المكتبة تكفيراً عن سيئاتها وجعلت في هذه الخزانة مكتبة برغمة التي اهديت اليها وكان فيها مئتا الف مجلد في رواية . وبعد قليل استولى الرومان على مصر فاشتد ضغطهم على أهلها جرياً على عاداتهم القديمة فسقط عمران الاسكندرية في أوجز مدة ثم اشتغل أكثر الاهلين بحل المسائل الدقيقة من الدين المسيحي الذي كان ظهر في جوار تلك البلاد . واستحالت الحال فبطلت العلوم وانقطع تدريسها في الاسكندرية بالمرة .

واحتفظت دولة الرومان بالعاديات والمصانع التي وجدت في البلاد المتغلبة عليها في أوربا وآسيا وإفريقية الى سنة ٣٩٠ للميلاد أي قبل الهجرة بمئتي سنة تقريباً . بيد ان تيودوس أحد قياصرة الرومان ارتأى لجهله وتعصبه ان لا يبقى في المملكة الرومانية غير الدين المسيحي وان تلغى سائر الاديان والمذاهب فاستولى على المعابد وضبط عقاراتها ونفائسها وقامت قيامة الرهبان وحملوا الحملات المنكرة على المعابد والمصانع وهدموها وعاثوا بما فيها جملة .

وفي خلال تلك المدة قام تيوفيل رئيس اساقفة الاسكندرية في جملة من رهبان تلك الناحية وخرب المعبد البديع المعروف بباكوس ثم هدّ معبد السرابيوم بعد مجادلات امتدت لألاؤها وفتن شعواء طالت برحاؤها . وهذا المعبد الذي يُعد من بدائع الصنائع وله المقام الأول بين مصانع المملكة الرومانية يماثل بناية الكابتول في رومية . وهدم ما كان في جوار المعبد الآنف ذكره من المكتبة التي أنشئت للمرة الثانية على ماتقدم

وقد تلفت هذه المرة جميع كتبها. ثم أنشئت بيعة في محل هذا المعبد ولكن لم تتجدد المكتبة قط ولم يبق لها اسم ولا رسم .

واشتد ضغط الامبراطور جوستنيانوس على عبدة الاوثان وعطل بيوت العلم وقضى باقفال المدرسة التي كان يدرس فيها ديوجنس وهرمياس واتاليوس وبرسيان وداماسقوس وايسيدور وغيرهم من الفلاسفة لانهم لم يرجعوا عن اعتقاد القدماء وينتحلوا النصرانية حتى اضطروا فراراً بأنفسهم عن مواطن المملكة ان يرحلوا الى فارس ولما ارادوا الرجوع الى بلادهم توسط في أمرهم انوشروان ملك الفرس ومن الشروط التي عقدها مع قيصر اليونان ان لايمس هؤلاء الفلاسفة بسوء وان يكونوا احراراً في اعتقادهم على ان مدرستهم عطلت وخربت مع غيرها من مدارس آثينة .

علم بهذا انه كان للامبراطورين تيودوس وجوستنيانوس يد طولى في إتلاف آثار أهل العلم ومصانعهم قديمها وحديثها رجاء بث دعوة النصرانية فدثرت المدنيـة التي قامت بحسنات الاجيال السالفة والامم الغابرة وذلك بأعمال هذين العاهلين وبما أبداه الرهبان والرومان من ضروب العدوان .

ثم أفاض المؤلف في حملة أهل البندقية والفرنجة على القسطنطينية سنة ١٢٠٢ م وحرقهم لها ثلاث مرات بحيث دثر ثلثاها وأحرقت أعلاق الكتب التي جمعت فيها منذ نحو تسعمائة سنة ولما استولى هؤلاء الفاتحون على هذه العاصمة تفرقوا في اطرافها وانشأوا يسلبون كل ماتطول اليه أيديهم من أموال الناس وعروضهم الى آخر ماقاموا به من العيث في الكنائس والبيع التي انقذت من لسان اللهيب وعبثوا بحليها وجواهرها وخصوصاً كنيسة ايا صوفية المشهورة فقد أخذوا كل ما اتحفها به الملوك والاغنياء من

الجواهر والحلي والنفائس باعوا بعضه بيع السماح وأتلفوا الآخر كأنه لا قيمة له الى نظائر ذلك مما قاموا به من الاعمال الوحشية التي فصلها حق التفصيل المؤرخ نيكيتاس احد رجال دولة الروم .

واستفاض المؤلف فيما آل اليه أمر مكتبة الاسكندرية من الحريق بقضاء الله وقدره سنة ٤٧ ق . م وخرابها للمرة الثانية بحملات رئيس الاساقفة الاسكندري وجماعته عمداً قبل الهجرة بمئتي سنة وإحراق ماجمع في زهاء تسعمائة سنة منذ جعلت القسطنطينية عاصمة لدولة الرومان الى استيلاء اللاتين عليها بداعي ماحدث فيها من الفتن بين الروم واللاتين . وان ما انقذ من هذه الحرائق من الكتب أتى عليه اللاتين بجهلهم واستهزائهم بالمعارف وأهلها حتى ان مصر لما فتحها المسلمون لم يبق لمكتبة الاسكندرية فيها عين ولا أثر ولما فتحت الاستانة أيضاً لم يكن فيها عاديات ولا اعلاق بتاتاً .

وقد صرح جيبون في تاريخه على سقوط دولة الرومان بان نسبة الحريق لعمر أو لعمرو أكذوبة لفقها أبو الفرج رئيس أساقفة حاب على طائفة اليعاقبة احدى الطوائف المسيحية بعد مضي نحو ستمائة سنة من الهجرة في تاريخ له ألفه بالعربية ولما نقل ما كتبه الى اللاتينية انتشرت هذه الأغلوطة في أوربا . ومما قاله أبو الفرج ان عمر بن الخطاب أصدر أمره الى عمرو بن العاص باحراق هذه الكتب اكتفاء بما في القرآن من العلم وادعى ان هذه الكتب وزعت على اربعة آلاف حمام في الاسكندرية فظلت المواقد تحرقها حصباً ووقوداً ستة أشهر لاتحتاج الى

غير لهيب تلك الكتب لاحماء الماء (١)

قال جيبون : لايخفى على اهل البصر ان مكتبة الاسكندرية احترقت قبل الميلاد وما زعمه رئيس اساقفة حلب من ان المسلمين احرقوها لم يتعرض له مؤرخ واحد ممن ظهروا قبل ابي الفرج حتى ان افتيكيوس بطريرك الاسكندرية عند توسعه في الكلام على استيلاء المسلمين على الاسكندرية لم يذكر كلمة عن حرق عمرو بن العاص لهذه المكتبة . وبهذا علم ان هذه أسطورة ملفقة بالكذب المحض .

على ان الاسكندرية كانت من القديم مقر البطاركة ومنبعث المجادلات المملومة التي حدثت في مسألة الالوهية . فلو صح انه كان في هذه المدينة مكتبة كما زعم ابو الفرج حين فتحها واحترقت بأمر عمرو بن العاص لاستخدمت تلك المجلدات الضخمة التي ملئت بمباحث تلك المسألة المذكورة ومقالات المناقشين فيها في غير إحماء ماء الحمامات . وهب ان العرب احرقوا تلك المجلدات فقد ازالوا كثيراً من الافكار الباطلة التي الف الناس الاشتغال بها عبثاً وخدموا عالم الانسان خدمة عظيمة .

قال المؤرخ التركي بعد ان اورد هذه الجملة عن المؤرخ جيبون : من البديهي ان ماافترض المؤرخ الموما اليه وقوعه وما زعمه رئيس الاساقفة

---

(١) يكفي في نقض ما بناه رئيس الاساقفة الحلبي من الوهم قوله ان اربعة آلاف حمام شغلت باحراق مكتبة الاسكندرية وما اظن ان هذا العدد من الحمامات يوجد في القطر المصري والسوري ايام استبحر عمرانهما . ومن المحقق ان مدينة دمشق وهي مشهورة بكثرة مياهها وتوفر حماماتها لم يكن فيها حين زخرت بحار حضارتها ما ينيف على مئة حمام فلو فرضنا ان عمران الاسكندرية كان اربعة اضعاف عمران دمشق وهو بعيد لاقتضى على ذلك الحبر ان يحذف صفراً واحداً

المذكور من حريق عمرو بن العاص لمكتبة الاسكندرية التي ملئت بالمجلدات الضخمة في مباحث الالوهية أو مؤلفات الحكماء المتقدمين على فرض وقوعه فليس من العقل ولا من الحكمة ماروي في كيفية حريقها . وغير نكير ان هذه فقرة وضعت بعد لمآرب وغايات

ولو كانت عقدت النية على إحراق هذه الكتب كما ادعى رئيس الاساقفة لمطابقتها للقرآن العظيم أو لمباينتها له لاقتدر عمرو بن العاص ان يبيد هذه الكتب بحضرته جملة واحدة في يوم واحد وربما في ساعات معدودة وكان في غنى عن تسليمها لاصحاب الحمامات في الاسكندرية ولاهل هذا الثغر وكلهم من الروم يحرقونها كما يحب ويرضى بما تلهمهم اليه معرفتهم . نعم كان ابن العاص يحذو حذو مسيحيي اسبانيا لما استولوا على قرطبة واحرقوا فى يوم واحد زهاء مليون مجلد من مصنفات علماء المسلمين وكانت في عدة مكاتب على ماروى المؤرخ دياردو

ومن البلاهة والحماقة أن يصدق ان عمر يختار هذه الطريقة في إبادة الكتب ويدفعها الى أرباب الحمامات في الاسكندرية وينقطع عن وظيفة الجهاد المقدسة مع رجاله من المسلمين وعددهم لا يتجاوز أربعة آلاف رجل حين استيلائه على مصر لينقطعوا الى احراق كتب دونت بلغة أعجمية ويصرف في ذلك خمسة أشهر أو ستة في قامين الحمامات مما لا يقبله العقل ولا يوافق الحكمة . وانى لارباب الحمامات في الاسكندرية وهم من بني الروم ان يحتفظوا بهذه الكتب ويحرقوها في غياب المسلمين حسب حماماتهم فاحر عند ذلك ان ينحي باللائمة على الروم لا على المسلمين باختلاق فئة من الجهال وخصوصاً بعض أصحاب الاغراض

نقض الكاتب التركي ماأتى به بعض أرباب الاهواء وزيفه بالبرهان السديد ثم نقل ماقاله رئيس مدرسة آثينة الكلية في تاريخه العام عند كلامه على الاسكندرية من ان هذه المكتبة حرقت لدن وصول قيصر الى مصر وان مابقي من الكتب تلف قبل استيلاء المسلمين على الاسكندرية بزمن طويل وان مايحكى من ان عمرو بن العاص حرقها ان هي الا فقرة مدخولة بعد هذا . وقد عرب ماتقدم حباً باظهار حقيقة طال البحث فيها وتعارضت الآراء بأمرها والحقيقة ضالة كل باحث ومستفيد

مصر

معربة عن الفرنسية

بلادها ـ مصر عبارة عن وادي النيل وهي في مضطرب ضيق خصيب ممتد على ضفتي النهر بين سلسلتين من الصخور طولها ٢٤٠ فرسخاً ويكاد عرضها لا يتجاوز خمسة فراسخ وعند منقطع الصخور تبدأ الدلتا . وهناك سهل واسع تتخلله شعب النيل وترعه . فمصر كما قال هيرودتس أبو التاريخ هبة من النيــل .

النيل ـ يزخر النيل كل سنة في الانقلاب الصيفي بعصارات ثلوج بلاد الحبشة فيفيض علي أراضي مصر العطشى يرتفع ثمانية أمتار وأحياناً عشرة فتصبح البلاد كالبحيرة وتبرز القرى المشيدة على الآكام كانها جزيرات ثم تنخفض المياه في أيلول (ستمبر) ويعود النهر في كانون الاول (دسمبر) الى مجراه الاصلي وقد ترك في كل مكان طبقة من الطين خصبة وهي الابلز وتسمى الطمي . هــذه الرواسب تقوم مقام السماد ويكاد يزرع في التربة الندية بدون حرث . فالنيل إذاً يأتي مصر بالماء والتربة واذا تحول عنها تعود

مصر كالبلاد المحيطة بها قاعاً صفصفاً ، ورمالا مجدبة ، ما أمطرتها السماء وابلا ولا رذاذاً . ولم يجهل المصريون فيما مضى ما يجود به نيلهم من الخيرات الحسان وهاك نشيداً كانوا ينشدونه تعظيماً له : «سلام عليك أيها النيل أنت الذي تتجلى على هذه الارض وتأتي بسلام فتحيي موات مصر . أنت اذا انجليت تملأ الارض طرباً ، والقلوب بشراً ، فينال كل مخلوق قوته ، وكل سن ما تقضمه ، رحماك إنك تأتي بالارزق الطيبة وتنتج كل خير ومير وتنبت للبهائم مرعاها»

غنى هذه البلاد — مصر على التحقيق واحة في قفر إفريقية تنبت تربتها البر والفول والعدس وأنواع البقل . والنخيل فيها غابات وآجام . وفي تلك المروج التي يرويها النيل بمائه ترعى قطعان الغنم والثيران والعنز والاوز وتكاد مساحتها تساوي بلاد البلجيك (٢٩٤٠٠ كيلو متر مربع) ومصر اليوم تقوم بأود ١١ مليوناً (١) من السكان وهي نسبة لاتعهد في أوربا على ان مصر كانت آهلة بالسكان قديماً أكثر منها اليوم

روايات هيرودتس — عرف اليونان مصر أحسن من معرفتهم سائر الممالك الشرقية فزارها هيرودتس أبو التاريخ في القرن الخامس ق . م ووصف في تاريخه فيضان النيل واخلاق السكان وازياءهم ودينهم وذكر حوادث من تاريخهم وحكايات لقنها من أدلائه . وتكلم ديودور وسترابون على مصر أيضاً . بيد ان كل من ذكروها رأوها في انحطاط فلم يتيسر لهم ان يعرفوا شيئاً عن قدماء المصريين .

شامبوليون — دعت حملة الفرنسيس على مصر (١٧٩٨ — ١٨٠١) الى

(١) في الاصل زهاء خمسة ملايين نسمة ونصف مليون

فتح أبواب الديار المصرية للعلماء فهرعوا اليهـا يزورون الاهرام وخرائب ثيبة عن أمم ويعودون منها وقد حفل وطابهـم بالصور والآثار . ولم يكن لاحد ان يحل الخط المصري المسمى بالهيروغليفي . وتوهم الناس ان كل خط من هذه الكتابة يقوم مقام كلمة حتى اذا كان عام ١٨٢١ خالفهـم شامبوليون احدعلماء الفرنسيس وعمد الى طريقة أخرى وجاء أحدالضباط من رشيد بأثرذي خطوط ثلاثة كانت الخطوط الهيروغليفية المسطورة بها مترجمة الى الرومية . وهذا الأثريمثل الملك بطليموس محاطاً بدائرة . فتوصل شامبوليون بهـذا الاسم الى الاطلاع على حروف PTOLMIS ولدى مقابلتها باسماء ملوك أخر وكانت ايضاً محاطة بدائرة اكتشف حروف الهجاء . ولما تيسرت له قراءة الخطوط الهيروغليفية ظهر له انها كتبت بلغة تشبه القبطيـة وهي اللغة التي شاعت بمصر على عهد الرومان وعرفت حق معرفتها .

علماء الآثار المصرية ـ جاء بعد شامبوليون زمرة من العلماء توفروا على دراسة أحوال مصر واكتشاف جليها وخفيها وتدعى هذه الفئة من العلماء اجبتولوك أي المشتغلون بالآثار المصرية ولهم رصفاء في ممالك أوربا كافة . وقدأجرى ماريت (١٨٢١ ـ ١٨٨١) من المشتغلين بالآثار المصرية على نفقة خديوي مصر مايقتضي من الحفريات وأحدث متحف بولاق . وانشأت فرنسا في القاهرة مدرسـة لتعليم الآثار المصرية ناطت ادارتها بالمسيوماسبرو .

الاكتشافات الحديثة ـ لايعثر في بلد من بلدان الارض على خبايا ثمينة كخبايا مصر ودفائنها لان المصريين كانوا يبنون قبورهم أشـبه بدور

يضعون فيها مايقتضي للميت من ضروب الامتعة والاثاث والرياش والسلاح والطعام وقد غصت البلاد بالقبور الطافحة بهذه الذخائر والاعلاق . وساعد اقليم مصر الجاف الهواء على حفظ هذه الامتعة سالمة بعد مضي اربعة او خمسة آلاف سنة . فلم يترك شعب من الشعوب القديمة أثراً كآثار قدماء المصريين وما عرفنا شعباً معرفتناله .

المملكة المصرية

قدم الشعب المصري ـ قال كاهن مصري لهيرودتس : انتم معاشر اليونان اطفال . كلام يفهم منه ان المصريين كانوا يرون انفسهم أقدم أمم العالم فقد قامت ست وعشرون سلالة ملكية الى عهد الفتح الفارسي سنة ٥٢٠ ق . م ترتقي أولاها الى أربعة آلاف سنة . وكانت مصر دولة في خلال هذه الاربعين قرناً فجعلت منفيس في بلاد الصعيد عاصمتها اولا الى عهد السلالة العاشرة (وهو دور الدولة القديمة) ثم صارت مدينة ثيبة في مصر العليا (وهو دور الدولة الحديثة)

منفيس والاهرام ـ بنى مدينة منفيس أول من ملك مصر وسورها بسور منيع فبقيت سالمة من بوائق الايام زهاء خمسة آلاف سنة ثم أخذ السكان أحجار انقاضها في القرن الثالث عشر وبنوا بها مساكن القاهرة وما تركوه منها أتى عليه النيل وسدل دونه حجاباً. أما الأهرام فلا تبعد كثيراً عن منفيس ويرد عهدها أيضاً الى الدور القديم وهي قبور ثلاثة ملوك من السلالة الرابعة وعلو اعظمها ١٤٧ متراً عمل في بنائه مئة الف عامل مدة ثلاثين سنة . وقد اقيمت سدود منحدرة قليلا لرفع الاحجار الى شاهق ثم خربت

التمدن المصري ـ يدل ما يستخرج من قبور تلك الاعصر من هيا كل وصور وأدوات على أن هناك شعباً متمدنا . فقد عرف المصريون قبل ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة للميلاد حراثة الارض ونسج الثياب وتطريق المعادن والنقش والرسم والخط وكانت لهم ديانة منظمة وملك وادارة . على حين كانت الامم النبيهة وهم الهنود والفرس واليهود واليونان والرومان في حالة من الهمجية مأثورة مذكورة .

ثيبة ـ خلفت ثيبة مدينة منفيس فصارت عاصمة البلاد على عهد السلالة الحادية عشرة ولم تزل خرائبها المدهشة في لوح الوجود وهي ممتدة على ضفتي النيل ومحيطها نحو اثني عشر كيلو متراً . وعلى الشاطيء الشمالي صف من القصور وهي لقصر والكرنك تبعد بعضها عن بعض نصف ساعة بنيت كلتاهما وسط الخرائب ويجمع بينهما شارع ذو صفين من تماثيل أبي الهول وكان هناك قديماً أكثر من ألف أبي الهول . وأعظم هذه المعابد الخربة معبد عمون في الكرنك أحيط به سور محيطه ٢٣٠٠ متر . وان طول اشهر قصر (ايبوستيل) وأعظمه في العالم مئة ومتران وعمقه ٥٣ متراً وهو حجم عمود فاندوم . وكانت ثيبة عاصمة ومدينة مقدسة ومقر الملوك ومسكن الكهنة نحو ألف وخمسمائة سنة

فرعون ـ يعتبر ملك مصر المعروف بفرعون ابن رب الشمس ومثاله على الارض ويزعمون انه كان هورباً . وقد شوهدت صورة الملك رعمسيس الثاني جالساً بين ملكين . فالملك يتعبد انساناً ويعبد ملكاً ولفرعون سلطة مطلقة على البشر لربوبيته فيحكم حكم المولى على كبار سادات قصره وعلى المقاتلة ورعاياه كافة والكهنة في عبادتهم إياه يلتفون من حوله ويحرسونه

فيكون رئيسهم الكاهن الاعظم للرب عمون المستأثر بالحول والطول دونه وقد يحكم باسم الملك ويخلفه في الاحايين

الرعايا ـ يملك مصر من أعلاها الى أسفلها الملك والكهنة والجند والموالي وما عداهم فوصفاء يستخدمونهم في حرث الارض وعمال الملك يلاحظونهم ويقبضون ثمار عملهم بضرب العصي أحياناً واليك ما كتبه أحد هؤلاء الموظفين الى صديق له : ألا تذكر حالة الفلاح الذي يحرث الارض فان جابي الاموال يقف على الرصيف المعد لجباية عشر الغلات وثلة من العمال بعصيهم يتبعونه وزنوج ماسكون بايديهم سعفات النخل يصرخون بصوت واحد : البدار البدار الى تسليم الحبوب . واذا لم يكن للفلاح ما يؤديه من الغلات يلقونه على الارض ويشدون وثاقه ويجرونه في الترعة رأسه الى تحت وقدماه الى فوق

كيفية حكم مصر — كان الشعب المصري أبداً ولم يزل بعدُ فرحا لا يهتم خاضعاً خانعاً أشبه بالطفل المستسلم الى ظالمه . وكانت العصا في هذه البلاد أداة التربية والحكومة حتى كان أعوان الملك يقولون : (خلق ظهر الفتى ليضرب فهو لا يمتثل الأمر الا اذا ضرب) ذكر أحد سياح الفرنسيس انه كان واقفاً ذات يوم أمام خرائب ثيبة فهتف قائلا : ليت شعري كيف بنوا كل هذا . فاستضحك دليله وقال ماسكا بيده مشيراً الى نخلة : « بهذه بنوا هذا اجمع » اعلم يا مولاي انه اذا كسرت مئة ألف سعفة من سعف النخل على ظهر من اكتافهم عريانة أبدا تبنى قصور كثيرة ومعابد

اعتزال المصريين — فلما خرج المصريون من بلادهم لما انهم حاذروا ركوب البحر ولذلك لم تكن لهم ملاحة وما اتجروا والشعوب الاخرى ولم

تعرف لهم بحرية الا على عهد الدولة السادسة والعشرين وما كانوا أمة حربية قط . ولقد قاد ملوكهم الجند في حروبهم واتخذوا القتال ديدنهم فبعثوا البعوث الى زنوج الحبش تارة والى القبائل السورية أخرى فاذا غلبوا صوروا صورة النصرة على جدران قصورهم ومتى قفلوا راجعين من غزاتهم يأتون بالاسارى فيستخدمونهم في بناء المعاهد على انهم ما احرزوا قط نصراً مؤزراً ولا فتحوا فتحاً مبيناً فدهم الاغيار مصر اكثر مما حمل المصريون على الاغيار

حسنات القرن الماضي

عن الافرنجية

تقدم في البحث السالف ما اصاب المجتمع الغربي من السيئات والمضنيات والآن نلم بما أتاه القرن التاسع عشر من الحسنات والمقومات فنقول : ان الثورة السياسية الاجتماعية العظيمة التي حدثت في القرن الماضي في أوربا قد أثرت في تحسين القوى العقلية في الاجيال الحديثة كما أحدثت الاكتشافات العلمية وانتشار التعليم بين السواد الأعظم من الناس نشوءاً وارتقاء في المجتمع الحديث وفي الافكار التي يجري عليها فتحكم فيه حكمها وها نحن نعطي البيان حقه من شرح النتائج الظاهرة من التربية الحديثة طبيعية كانت أو عقلية أو أدبية ونذكر ما أثرت في الشبان من تغيير طرق معيشتهم وأعمالهم وأفكارهم حتى صار من هم بعضهم ان يسيروا بالانسانية نحو الكمال وان كان ذلك الآن من المحال

وأعظم هذه الحادثات وأولها هي الثورة الفرنسوية اذ قوضت المبادئ التي كانت أساساً للحضارة الأوربية مدة قرون عديدة وبهذا كانت فرنسا مهد الاصلاح الاجتماعي العظيم والارض التي نمت فيها وربت تلك الافكار

الأساسية التي استولت على المجتمع الحديث كمساواة الجميع أمام القانون واشتراكهم في الحقوق والواجبات المدنية والسياسية وحرية العمل والصناعة وحرية الدين والفكر

ولا مراء أن قد قل في العصور الغابرة عصر أثر في حياة الامم الاوربية تأثيره في هذا القرن ومادانا قرن سابق ولا لاحق في أعماله . تلك الاعمال التي لم يقف نفعها عند حد الانقلابات السياسية بل تغيرت بها غايات الاعمال في المجتمع الانساني وأماني الناس وأميالهم فدخلت الانسانية كما قال بعضهم في طور جديد من الحياة مطالبة الانسان بوضع أساس للحقوق كافة وللقوانين عامة على ان تكون روحاً لحق الحرية . نعم تغيرت المناحي والافكار والعادات والنظامات الاجتماعية فتمثل للمرء ميدان الآمال الغريزية بعيد المضطرب ممتد الرواق وأيقن ان ساحة الجهاد شرع لكل العاملين فلم يفكر في غير تحسين حالته الاجتماعية بالعمل وتثقيف العقل . فانصرف بعضهم الى العلوم والفنون وبعضهم الى التجارة والصناعة وبعضهم الى زراعة الارض والاغتناء من غلاتها . وكل فرد من أعضاء هذا المجتمع يجتهد جهد طاقته في الاخذ بيد الترقي وانعاشه من سقطته

ولم يقنع الانسان بان يكون اداة حيوانية في تعاطي الاعمال بل بحث على العكس في ايجاد أدوات وآلات تقوم مقام الاذرع التي لم تكف للقيام بما هدته اليه فكرته الباحثة . فانقسمت العناصر القائمة بالجهاد الانساني وتنوعت بتعدد التنظيمات الطبيعية والعقلية المنبعثة من كل امرئ على حدته جرياً على ناموس تقسيم الاعمال . وما فتئت انواع المعارف الانسانية المنوعة تكمل وتكبر والنجاح مؤاتيها الى ان تبلغ مكانة سامية لم تعرف في القرون

الماضية . فالعمل وحب العمل هما من العلامات التي ينعت بها عصرنا هذا ولا اعني بالعمل العمل البهيمي المعهود في الازمان الماضية بل أريد العمل المنتج المتأتي عن ذكاء وفهم . ولقد كانت الحاجة ماسة قديماً للاذرع وقوة الحيوانات لطحن القمح وادارة المطاحن اما اليوم فقد توصل الفكر البشري الى استبدال البخار والكهربائية بتلك العوامل بمعنى ان الفكر في قرننا الذي يحق له ان يدعى قرن الماديات هو العمل والعمل هو الفكر . فماديات اليوم تختلف عن ماديات أمس من حيث ان هذه كانت تعد الفكر مادياً وتلك تحسن المادة بدرس خصائصها الطبيعية والكيماوية للانتفاع بها في الارباح والمتاجرات الصناعية

وبفضل ارتقاء الاشغال العقلية رقّ الشعور وسما الاحساس فصارت للمرء قيمة وللعالم مقام وانتهت الحال بتحرير الرقيق والاماء . وبارتقاء العلوم واستخدامها في الحرف والصناعات بلغ الانسان بايجاد موارد الانبات وتوفيرها والاستكثار من الثروة العامة مبالغها . وراح العامل وعدته المعارف العلمية في صناعته يعنى بالتعلم والتفكر والبحث ويهتم بارتقاء الصناعات والعلوم على حين كانت اداة ساذجة تابعة للآلات الصماء . وليس كل ما تم في هذا القرن من صالح الاعمال الا نتيجة من نتائج العلم العملي وأثر من آثاره . وحقاً ان ارتقاء العلوم الطبيعية والكيماوية في هذه الخمسين سنة الاخيرة قد أثرت تأثيراً بيناً في الصناعات وفي الطبقة العاملة من الناس بل في التجارة وعملائها بحيث امتنع على المرء ان يعيش عيشاً ساكناً خالياً من الهموم وإشغال الافكار على نسبة نجاح مشروعاته وأعماله . واذا كانت قيمة الغلات الارضية والصناعية عرضة أبداً للتقلبات على اختلاف أنواعها لتقلب كيفيات الاستعمال وتبدله

صار القائمون على الصناعات في قلق أبداً مضطرين الى ايجاد طرق جديدة أخرى لنيل الارباح التي تطمح اليها نفوسهم

الا وان اكتشاف البخار والكهربائية واستخدامها في التجارة والصناعة بتقريب الابعاد والمسافات وقد دفع بظواهر الحركة الاجتماعية الى الرُّقيّ فلم تتزايد طرق المواصلات فقط بل اختصرت بحيث استحالت الساعات دقائق والايام ساعات والشهور أياماً والسنون شهوراً . فقوى الحركة الحية التي لا تنضب قد سهلت الصلات بقصر المسافات في لمحة بين أقطار المسكونة التي تتبادل للحال نتائج نجاحها وأفكارها وأعمالها . ثم رأى المرء نفسه في حاجة تضطره الى ان يقوم على الصناعات والعلوم بدون وناء وان يستخدم قواه العقلية باسرها ويوجهها نحو خصومه في البلاد الاخرى اذ ليست المسابقة مقصورة على شعب واحد ولا على بلد واحد بل قد امتدت شرارتها في اطراف الارض واتصلت بأمم الكرة الارضية كلها وخصوصاً بين من توفرت فيهم شروط الانتاج والعمل . ومع هذا فلم يقف عقل الانسان عند حد اختراع السلك البرقي والآلات البخارية بل قد تعداهما الى خرق الانفاق في الجبال العظيمة وحفر الترع في القفار والاصقاع المستنقعة حباً تسهيل الصلات بين انحاء الارض المختلفة وتنشيطاً لمقايضة غلات الارض وثمرات العمل والذكاء

ومن نتائج المواصلات السريعة العديدة بين الارجاء الكثيرة والبلاد الشاسعة والاجناس المختلفة الطباع واللغات انتشار أفكار التمدن الحديث بين جمهور الناس والتسامح مع الآراء المتضادة . ثم ان الحاجة مست في تعليم

الطبقة النازلة من الناس وتلقينهم احترام الانسانية والبلوغ بهم الى تكريم الوطني بتعليمهم حقوقهم وواجباتهم

ومما تم في هذا القرن الجليل اعطاء المرأة حقوقها وتحريرها من رق العبودية التي رسفت في قيودها من قبل قروناً متطاولة فقد أنالها حقوقاً ساوت بها حقوق الرجل فصارت بذلك جديرة ان تربي أولادها وتلقنهم حب العمل وتطبعهم على بغض الرذيلة لاصلاح مااختل من أحوال المجتمع البشري . ولم تكن حال النسوة في عصر من الاعصار مشابهة لحالهن اليوم فقد نلن بفضل القوانين المسنونة حظاً من العلم والادب تشتد به سواعدهن في التغلب على مشاق الحياة . وقدعنيت معظم حكومات أوربا بانشاء مدارس عالية وابتدائية لتعليم الفتيات العلم وتلقينهن أساليب العمل واذا صحت عزائم ألافراد على اتباع سيرة الحكومات ومضافرتها في هذا السبيل من إنشاء المدارس للبنات ترتقي آداب المجتمع الانساني ويحيى نظام العالم حياة طيبة رغيدة

وقصارى القول فقد علمت مما مر بك بعض حسنات هذا القرن ولا يفوتك علم ماينافضها . ومن نظر بعين البصيرة يتضح له كل الوضوح ان القرن التاسع عشر أفاد المجموع اكثر من الآحاد واذا نظرت كل شئ في الوجود نظر المستبصر تراه ذا وجهين وجه النور ووجه الظل وأحدهما نتيجة لازمة للثاني . فانك ترى الظافر في الحروب العظمى الوطنية يسكره النصر فيحتفل بما يؤيد تاريخه ويترنم بالاناشيد الوطنية ليخلد آثار سلاحه في رقاب الاعداء ويسجل عظمة أمته ناسياً ماأهرقه من الدماء والوفاً من النفوس التي قضت نحبها في ساحة الوغى والوفاً من العجزة من جراح أو أمراض اصابتهم في الحرب وكثرة الايامى واليتامى ممن قضت عليهم أعمال القوة الوحشية

ان يرفعوا باستلال أرواح ذويهم مجد أمته وعظمتها

وبعد فلا يخفى ان كثرة انتشار الذكاء الانساني في القرن التاسع عشر وازدياد موارد الغلات زيادة لا تنقطع بما تهيأ لها من وسائط العمل الطبيعي والعقلي وجمع الثروات العظيمة وسمو منزلة الذكاء الادبية قد ولدت كلها سلسلة من الاهواء كانت فيما مضى مقصورة على طبقة قليلة من الناس . ذلك ان الافراط في حب السلطة والصيت والطمع في الغنى والشرف وشدة الظمأ الى البذخ والشهوات كان في القديم من خصائص الطبقة العالية والطبقة الغنية في الامم فتناول اليوم اهل الطبقة الوسطى حتى أرادت السير على مناحي الطبقة العليا حذو القذة بالقذة . اذا عرفت هذا فقد ثبت لك ان الطموح الى المطالب العالية والذهاب بفضل الشهرة لم يعم قط كما عم في النصف الاخير من القرن التاسع عشر . وقد اهلك هذا المرض الوبيل عدداً من القتلى اكثر مما اهلك من طبقات المجتمع المختلفة في أيامنا . ولئن تولدت الرغبة في الشهرة أحياناً من شعور شريف كريم وحملت المرء ان يفادي بمصلحته بل بحياته الخاصة توقعاً للنجح فهذا الهوى يتبعه العجب أحياناً فيسود صحيفة صاحبه بحيث يبعده عن غايته المقصودة فيحدث أحياناً هيجاناً عصبياً يستحيل الى زيغان في العقل واختلال في المدارك

وهنا سؤال وهو لِمَ كانت هذه الاضطرابات العقلية والأدبية ؟ فالجواب عنها جواب لا يحتمل الريبة والمغالطة ان ذلك ينسب الى ميل أبناء عصرنا فقد افتتن الشبان بابهة الشهرة كأنها الغاية الاصلية في الجهاد الانساني وكأنها غاية السعادة التي ينبغي الطموح اليها. حتى ان الحكومات لتساعد حباً بزيادة نوابغ أبنائها على تنمية العجب وحب الذات في النفوس وتأصلهما

فى تلك القلوب الفتية الراغبة في المراتب العالية بما ينهال عليها من المكافآت الغرارة والتشريفات الزائلة وبعد ان تلقي في اذهانهم خيالات غايتها تحسين مستقبلهم تتركهم وشأنهم على حين يدخلون معترك الحياة الحقيقية للشروع في الجهاد . ثم تسلمهم لقوتهم الخاصة عوضاً عن أن تكفل لهم مايستطيعون معه ان يقوموا بواجبات صناعة شريفة .

ثم إن إرتقاء الأفكار الدستورية واشتراك الوطنيين كافة في الحقوق المدنية والسياسية والرغبة في الاشتهار بالمجادلات في دور الندوة قد كان من نتائجها الطبيعية الطمع في الزعامة وحب السلطة بحجة الرغبة في تحسين حال الأمة واتخاذ أسباب السعادة العامة . يشترك في الدعوة الى هذا الأمر جميع طبقات الأمة . وكلما تأصلت الافكار الجمهورية في العادات والقوانين زادت اللهجة بذلك وتوفر القوم عليه .

وهناك شيء آخر وهو أن الرغبة في المناصب والمراتب زادت زيادة خرجت فيها عن طور التعقل وحدود الاعتدال حتى عند من لم تساعدهم ملكاتهم على تحقيق شيء مما ينالونه . وان قلة تمييز الحكومات بين مختلف الكفاءآت والملكات في رفع الناس بعضهم فوق بعض درجات قد دق عنق العدل وقتل روح المباراة وأطفأ نور القرائح قبل انبعاثه فصارت تعبث الشفاعة بالكفاءة الشخصية . فنتج من ذلك ان عدداً عظيماً من الفتيان رأوا بلوغ المراتب ومنازل التشريف غاية عملهم الوحيد فراح بعضهم يطمح فيها للوصول الى الغنى وبعضهم يميل الى الغنى للوصول الى المراتب واتخاذ أسباب التصدر وكان عليهم ان يكون العمل سبب السعادة وغايته العالية .

بيد أن العلم والصناعات كانت عند كثيرين القاعدة التي استندوا اليها

لبلوغ المناصب الاجتماعية السامية وسهلت لهم أسباب الغنى . وقد تولد من الطمع في التمول حب الشهوات والبذخ التي ما برحت تزداد نمواً في الطبقات الاجتماعية عامة كل يوم. وليس معنى البذخ الذي هو مقياس الثروة والغنى أو مظهر من مظاهر الراحة القائم بانفاق مبالغ طائلة لامتلاك مجاميع جميلة من الاعلاق والنفائس أو العاديات المجلوبة من أقطار عديدة بل إن معناه الاشارة الى النجاح والذكاء في كل من يحبون ان يشتهروا بحسن الذوق أو حب الصناعات والفنون . وما أقبح بذخاً غايته ان يحدث ضرورة ويستر في مطاويه الشقاء تحت رداء جميل من التمويه أو ان تكون غايته من يجمله ديدنه اغواء الناس ليخرج من ضائقة ويستلفت الانظار الى غناه فيربح من ذلك ما يسد مخمصته وينيله بغيته .

ومن أعظم الاعمال التي قامت في هذا القرن تأليف الشركات فانها انتهت بتأسيس مشاريع عظيمة للانتفاع بموارد غلات الارض وتنمية صناعتها . وهكذا كان من تأليف الشركات المالية وجميات الاحسان أعمال وان أسفرت عن معاضدة الثروة العامة فقد قطعت أيدي كثيرين عن العمل وأضعفت من همم الافراد وخربت بيوتاً كانت من قبل عامرة. فان ما يعمله الجماعة يستحيل على الفرد القيام به . وقد اكثر اكتشاف ركاز كاليفورنيا وأوستراليا والترنسفال من الذهب في الايدي وكانت التجارة في غنى عنه فنقص سعر الذهب وزادت قيمة المصنوعات والحاجيات مما جعل الانسان في أحرج المواقف من جهاد الحياة . ونتج فقر وغنى من جمع رؤوس أموال عظيمة وتأليف جميات صناعية ومالية كبرى بل كان من وراء ذلك فراغ

يتعذر إشغاله تعذر إملاء فنطيس (برميل) الدنائيد (١) اذ بعدت غاية عملنا بقدر امتداد دائرتها وانفصمت عرى الموازنة بين رغائبنا وأسبابنا فبذلت القوى العصبية واجهدت القرائح فوق طاقتها فكان من ذلك أمراض عصبية كثيرة ٠

التصوير والرسم

ما برح أهل الاخصاء في مدنية الاسلام يعجبون من كونها بلغت عند أهله شأوا بعيداً على حين لم يكن لهم هوى في التصوير والرسم كما لاهل المدنية من الامم الغربية لهذا العهد مثلا فيحكم أولئك الباحثون حكماً اجمالياً على مجموع ماقام من تلك المدنية بجزء طفيف اطلعوا عليه منها ٠

نعم حظر الاسلام رسم الاشخاص مجسمة على حجر او خشب أو نحوه تفادياً من ان يرجع العرب الى عبادة الاصنام والوثنية التي جاء الاسلام للقضاء عليها ٠ أما الرسم الذي يمثل الاجسام الى حد ما فهو مباح لاحظر فيه ولا وزر على فاعله ٠ والدليل على ذلك انه كان يرد على الصحابة اقمشة من بلاد الروم وفارس رسمت عليها صور أشخاص وغيرهم فاستعملوها في ألبستهم وفرشهم وأثاثهم وتحاشوا من وضعها في مكان عال فلم يجعلوها ستائر للنوافذ ولم يعلقوها على الجدر مخافة ان يشعر ذلك بتعظيمها ٠

---

(١) اسم لخمسين بنتاً لدانوس ملك مصر وارغوس من بلاد اليونان حكم عليهن ان يملأن بالماء فنطيساً لاقرار له لانهن قتلن ازواجهن وهذه القصة من اساطير اليونان المأثورة وبها ضرب الكاتب المثل ٠

اما رسم المسائل العلمية وتصويرها كالنبات والبيطرة والحيوان والهندسة فقد استعمله المسلمون بحسب الحاجة اليه . نرى مثلا من اجادتهم في هذا الشأن من رسوم كتب أبقتها لنا الايام ومنها كتاب كليلة ودمنة الذي عرب في القرون الاولى وشاع بين الطبقات كافة مزيناً بصور الاشخاص . وكذلك مقامات الحريري فقد نقل لي من زار مكتبة باريس ان فيها نسخة من المقامات مصورة بأبدع الصور كتبت في القرن السادس . ولابن عربشاه الدمشقي كتاب فارسي اسمه المرزبانامة مزين بالصور أيضاً .

قال أحد العلماء الاعلام في أحوال الاسلام . أفرط الاوربيون في استخدام الصور والرسوم حتى صار مصوروهم يتخيلون من ضروب التصوير مالا يتحقق في الحس وابتذل التصوير والرسم حتى صرت اذا قلت للغربي انك زرت البلد الفلاني مثلا ولم تأته بصور شمسية يكاد لا يفهم منك ولو كنت من الفصاحة بحيث يشترك في درك ما تقوله الكبير والصغير مما يكاد يدل على ان تلك الامم لا تقبل أذهانها الا المحسوسات وتدق عن تصور ما لا تراه في صورة مرسوماً رسماً مجسماً . قال وليس من العقل تصوير كل الكتب ولا جعلها خلواً من الرسوم بتة مع مسيس الحاجة الى التصوير ولا سيما في المسائل العلمية والادبية وان الاكثار من الرسوم يضعف قوة التصوير .

ومن العجيب ان المسلمين وان حظر دينهم التجسيد والهياكل والتماثيل فقد أبقوا في مصر على ما وجدوه منها مثل تمثال أبي الهول فانه بقي سالماً الى قبيل القرن الخامس حتى اذا اشتد التعصب قام بعض الجهلة يتقربون الى الله بالعبث بها وقد ذكر ذلك عبد اللطيف البغدادي الفيلسوف المشهور

في رحلته ورد عليهم رداً تفهم منه ان المسلمين كانوا من التسامح بحيث لا يطيلون يد الاذى حتى لما حرمه شرعهم

نقل ابن ابي أصيبعة ان الملوك من اليونانية وغيرها كانت تعلم أولادها الحكمة والفلسفة وتؤدبهم باصناف الآداب وتتخذ لهم بيوت الذهب المصورة باصناف الصور قال وانما جعلت الصور لارتياح القلوب اليها واشتياق النظر الى رؤيتها فان الصبيان يلازمون بيوت الصور للتأديب بسبب الصور التي فيها وكذلك نقشت اليهود هياكلها وصورت النصارى كنائسها وبيعها وزوق المسلمون مساجدهم

انحطاط الاخلاق

من البديهي ان للخلق عملا كبيراً في الحياة الانسانية يظهر أثره على كل فرد من أفراد النوع والحكم في هذا ثابت بالاستقراء مؤيد بالبداهة لاحاجة بنا الى الفلسفة فيه واقامة الدليل عليه . وانما نريد ان نذكر من أثره في مجموع الامة ماأصيب به أهل المشرق من الانحطاط الناشئ عن ضعف الاخلاق وفساد ملكات العلم بوسائل الحياة الطيبة التي يتمتع بها أمم غيرهم

لاخلاف بين الباحثين في طبائع الامم المشتغلين بتقصي أحوال الاجتماع في ان المدنية وان كانت أثراً جيلا من آثار ترقي الشعوب وتخلص العقل من قيود التقليد وتخلصه من أسر البداوة الا انها مرتع خصيب لجراثيم الادواء المفضية الى انحطاط الامم التي تنمو بنمو الحضارة وتتربى في احضان المدنيـة . ومن ثم كانت المدنية أشبه بمرتفع ذي سلمين للصاعد والهابط

لا ينتهي صاعده في الصعود حتى يبدأ بالنزول ذلك لان الاستغراق في المدنية مدعاة للاستغراق في الملاذ بما يتوفر فيها من أسباب الراحة ودواعي الرفاهية وهما مجلبة الفساد الذي يتخلل اعضاء المجتمع فاما ان يتمكن منه فيرديه واما ان يطاوله فيؤذيه

واكثر مايظهر ذلك الفساد في الامم العريقة في الحضارة البعيدة العهد بسلامة الفطرة حيث يتناهى بها الضعف الناشئ عن طول عهدها بالملاذ ويتولاها العجز عن مقاومة الفساد المتمكن في النفوس والاخلاق فتصير الى حالة من الانحطاط تشبه حالة المريض بمرض معد كل من خالطه سرت اليه عدواه

هذا شأن أمم الشرق التي توغلت في عصور المدنية منذ ابتدأ تاريخ الاجتماع البشري فكانت أقدم الشعوب عهداً بالتمدن لذا صارت الى ماصارت اليه من الانحطاط واهمال القيام على التربية الصحيحة التي تقاوم اعراض الضعف المتأتي عن الانغماس في المدنية والامعان في سبيل الرفاهية وصار الغرب مع ماتوفر فيه من أسباب الترف والحضارة أرسخ قدماً في المدنية وأبعد عن مكان الضعف لجدة مدنيته وقيامها على أصول التربية الصحيحة بما تسنى لاهلها من وجود بعض المخترعات النافعة كالمطابع التي أفادت الغربيين في تعميم العلم وتعليمه فوائد لاتحصى مع ان الطبع وجد قبل ذلك عند الصينيين من اهل المشرق ولم يستفيدوا منه ما استفاده الغربيون في رفع بنيان مدنيتهم على دعائم العلم الصحيح . ذلك لما قلناه من ان أمم المشرق الموغلة في الحضارة قد تولاها الضعف عن النهوض بما أفسد طول أيام حضارتها من أخلاقها منذ عصور بعيدة أو آلاف من السنين حتى صارت من ذلك

الى حال تشبه حال المريض الذي يعدي السليم. وليس فساد الاخلاق في المشرق بقريب عهد بل هو يغلغل فيه من عهد طويل بدليل مانقل في التاريخ عن أحد قناصل رومية انه قال « إنا وان غلبنا الشرقيين وهزمناهم ودوخنا ممالكهم الا انهم ثأروا منا بأن تركوا لنا مع هذه الممالك أخلاقهم المنحطة»

وفي الحقيقة ان الرومانيين وان بلغوا من عزة الملك والسلطان باستيلائهم على المشرق مابلغوه الا انهم منذ وطئوا باقدامهم أرض المشرق خطوا الخطوة الأولى الى الانحطاط بما تسنى لهم فيه من وسائل الترف التي كانت متوفرة يومئذ عند الشرقيين فغلبت على نفوسهم الشهوات وحب الراحة والتنعم بنعيم أهل المشرق ففسدت فطرتهم البدوية التي مهدت لهم بسلامتها من شائبة الحضارة سبيل الغلبة على القرطاجيين والفرس وغيرهم والتسلط على الغرب والشرق حتى اذا خالطوا أمم المشرق التي كان لها حظ من الحضارة ولم يحتاطوا لانفسهم من آفات المدنية الشرقية التي تسممت بفساد الاخلاق سقطوا من حالق مجدهم ذلك السقوط المريع وغشيهم بعد ذلك من الضعف والذل ماذهب بدولتهم، ومحا من عالم الاجتماع اسمهم. وحسبك ان تعلم مبلغ انحطاط الاخلاق في دولة الرومانيين في المشرق من تعاليم عيسى عليه الصلاة والسلام التي ترمي الى الزهادة في نعيم الدنيا لتقف بالقوم عن الامعان في مذاهب الشهوات والاستسلام لمطالب النفوس الهائمة بحب الانطلاق عن كل قيد. وهذا شأن المشرق أيضاً مع من سبق من الرسل أصحاب الشرائع التي جاءت كلها لتقويم أود النفوس وإنما تنزل هذه الشرائع عند الحاجة كما هو معلوم بالضرورة فكأن المشرق لاستحكام الحضارة في أهله وتأصل فساد الاخلاق فيه لم تنقطع حاجته الى رسول أوشريعة تقوم منآد سلاكنيه

وما أصاب الرومان من مخالطة الامم المتحضرة من سكان المشرق أصاب العرب أيضاً فهم وان كانوا من أهل المشرق غير أنهم من شعوبه البدوية التي تسيجت من تطرق الحضارة اليها بسياج واق من الصحاري الشاسعة التي تحيط بجزيرتهم حتى اذا بعث الله نبياً منهم بشريعة تدعو الى الخير وترمي الى تهذيب أخلاق الامم ونهضوا لنشر هذه الدعوة وتقدموا للفتح كان لهم من سلامة الفطرة وطهارة الاخلاق ممهد عظيم لبسط جناح السلطة على الممالك القديمة وفي جملتها بقايا مملكة الرومان الشرقية. ولما تمكن لهم السلطان في الارض واختلطوا بأهل الحضارة والترف من أمم المشرق غلبوا على أخلاقهم وأسرعت عدوى الفساد اليهم فلم يلبثوا إلا جيلا أو بعض جيل حتى أخلدوا الى الراحة ونسوا حظاً مما ذكروا به وحملوه من دعوة الخير والارشاد الى الأمم فانحطت أخلاقهم وزالت سطوتهم، وذهبت مع الذاهبين دولتهم

يظن بعضهم ان مامنيت به مدنية الغرب لهذا العهد من فشو الفاحشة والتهتك بين أهلها هو نتيجة الايغال في الحضارة والنزوع الى الشهوات وأن فساد الاخلاق المؤذن بتلاشي الأمم إنما هو محصور بمثل هذه الرذائل الفاضحة وليس الامر كذلك اذ أن هذه الرذائل وإن كانت من نتائج الحضارة ولها أثر قبيح في المجتمعات المدنية فهي بعض من كل ماندعوه فساد الاخلاق ونراه مظنة انحطاط المشرق وأهله. إذ من المعلوم ان الاخلاق الفاضلة واضدادها كثيرة جداً كالكرم والبخل، والعفة والشره، والشجاعة والجبن، والصدق والكذب، والامانة والخيانة الى غير ذلك من الملكات التي منها ما يكون بالفطرة ومنها ما يكتسب بالتربية وتولده في النفوس البيئة أو الوسط الذي يعيش فيه الانسان. وضرر الكذب مثلا إذا تفشى

بين قوم أشد خطراً على حياتهم الاجتماعية من التهتك . لان الكذب آلة كبيرة من آلات الفساد تهدم ركناً عظيماً من أركان المدنيـة وهو الثقة التي هي روح التجارة والصناعة في كل عصر ومصر . وكذلك الجبن مثلا فانه اذا استحوذ على النفوس أضعفها وانتزع منها ملكة الاقدام على جلائل الاعمـال وحرم أربابها ثمرة الاعتماد على النفس والمجاهدة في سبيل الحياة. وهكذا يقال في كل خلق من الاخلاق الفاسـدة كما يقال بالعكس في الاخلاق الفاضلة . ومن اطلق على الشرق نظر المتأمل ورأى ماتفشى بين أقوامه من ضعف النفوس ، ووهن العزائم ، وفقد الثقة والامانة ، والنميمة ، والرياء ، والكبرياء الباطلة ، والعيشة الخاملة ، والرضا بالقديم ، ومعاداة العلم وغير ذلك من الاخلاق السافلة التي قضت بالشقاء على المشرق واهله علم ان ما اصاب مدنية المغرب من الاستهتار وشيوع الفاحشة ليس بشيء في جانب مايرى ثمت من الثقة المتبادلة ، والامانة في المعاملة ، والاعتماد على النفس في معترك الحياة ، والنزوع الى المزيد من القوة والعلم والثروة . وحب الحرية ، والصدق في العمل والقول ، والبعد عن المداهنة والرياء ، خصوصا للقادة والزعماء ، وغير ذلك من الاخلاق العاليـة التي أصبحت سياجاً للمدنية الغربية يقيها سرعة السقوط فيما سقطت فيه المدنية الشرقية من الضعف والفساد

ورب قائل يقول إن من المحال اذن تخلص الشرقيين من حبائل الانحطاط في الاخلاق واستئصالهم لمرض الضعف الذي نما فيهم بمرور الاجيال ، نمو المرض القتال . والجواب عن هذا ان المحال ، في الممكنات محال . واذا نهض اهل المشرق لملافاة مافات ، والنظر فيما هو آت ، وانتهجوا سبيل الاناة

والتمقل ، وكان لهم من القادة ما كان لاخوانهم اليابانيين فليس من المحال حصولهم على مدنية فاضلة تضاهي مدنية المغرب لهذا العهد . ولنا بهذا الصدد كلام آخر نرجئه لفرصة أخرى ان شاء الله

القاهرة رفيق العظم

الكتب والجراثيم

العاقل يأخذ من كل كلام أطيبه ومن كل نصيحة انفعها فلو أراد مثلا ان يعمل بجميع ما يشير به علماء البكتريولوجيا ويعتقد بفعل الجراثيم اعتقادهم بها لانقطعت يده عن العمل ولسانه عن الاكل وانفه عن الشم وجسمه عن الحركة ولكن الحكيم يأخذ الكلام ويزنه بميزان الانصاف ويقلبه على محك البصيرة فلا يقبله أو يقبل منه الا بعد عرضه على فيصل العقل ومحكم التجارب

ارتأى أحد نطس أطباء الفرنسيس مؤخراً ان أحسن واقٍ للمرء من الجراثيم ان يطالع من الكتب ما صدر من المطابع حديثاً ويقطع أوراقها بمقطع من العاج اذ قد ثبت بالفحص البكتريولوجي ان في الكتاب الحديث قليلا من الجراثيم التي لا تضر ولكن في دفات الكتب وتحت مغابن أوراقها التي تتداولها الايدي كثيراً كاسفار المكاتب وغرف القراءة الوفاً من الجراثيم القتالة يتجلى ذلك بالعين المجردة لمن يحدق فيها وفي كل سطح مربع من أمثال هذه الكتب ٤٣ جرثومة فيتكون من كتاب مؤلف من ثلثمائة الى اربعمائة صفحة عدد مدهش من الجراثيم . وليست كل هذه الجراثيم مما يضر ويؤذي على رأي علماء البكتريولوجيا بل ان معظمها من

النوع الذي يكثر وجوده على سطح جلدنا ورأس اصابعنا وفي غبار الجو . ولكن الخطر كل الخطرآت من اولئك المسلولين أو الناقهين من الحمى الحصبية من ينظرون في تلك الكتب المعدة لقراءة الخاصة والعامة ويودعونها من سموم أمراضهم مالا يشفى صاحبه . الخطرآت من أولئك المرضى الذين يسعلون ويعطسون ويمرون أصابعهم وهي مبتلة بلعابهم على صفحات تلك الكتب . فان مايتركه المسلول أثناء مرضه أو الناقه من الحمى في ثلاثين أو أربعين يوماً من نقاهته أو المصاب بالدفتيريا من الباشلس والجراثيم بين تضاعيف الاوراق لايقدر مضرته الا الباحث

وليست الحوادث التي تدل على انتقال الامراض المعدية بواسطة الكتب والرسائل والاوراق العتيقة بنادرة فقد أورد بعضها الدكتورلوب الفرنسوي في تقريره الى المجمع الطبي الباريزي ومن أعظم ماقصه من هذا القبيل ماشهدته بلدية خاركوف من أعمال روسيامن فتك السل في مستخدميها فتكا ذريعاً وبعد البحث ظهر لها ان هذا المرض كان يفتك فيمن كان عهد اليهم العمل في سجلات الادارة خاصة فسلمت أوراق تلك السجلات للبحث البكتريولوجي فثبت بعد الاستقراء ان احد موظفي تلك الادارة وكانت مهمته الرجوع الى تلك السجلات أصيب بالسل وكان من عادته ان يبل رأس إبهامه ليقلب أوراق دفاتره فابقى بين أوراقها كمية وافرة من جراثيم مرضه نمت على الزمن حتى جاء من بعده وأخذت تسري اليهم

ومن الامثلة أيضاً ان امرأة وضعت طفلا فكان الطبيب يطبها ويطبه على أحدث الطرق في منع الفساد فمات الطفل في اليوم الثالث عشر من يوم ولادته بعد ان خرجت له بثور متعددة ثم تناولت هذه البثوز والدته

فماتت بعد مدة أيضاً وكان سبب ذلك كتاب عتيق استعارته الام من إحدى غرف المطالعة كانت تقرؤه وهي ترضع طفلها فنزع الطبيب جلد الكتاب وبعض ورقات منه فشهد فيه جراثيم ذاك المرض الذي قضى على النفساء وابنها

وما برحت مسألة العدوى بالكتب شاغلة بال الباحثين من علماء الصحة. ويقولون ان الخطر في الكتب المدرسية عظيم جداً لانها تنتقل من يد الى أخرى حتى تمزق وتسود ويحشر فيها من ضروب الجراثيم اشكال الا أن بعضهم يقول إن الجراثيم لا يطول عمرها على صفحات الكتب كثيراً فباشلس السل يعيش مائة وثلاثة أيام وجرثومة الهواء الاصفر ٤٨ ساعة وجرثومة الخناق ٢٨ يوماً وباشلس الحمى التيفوئيدية يعيش من أربعين الى خمسين يوماً . ويقول قوم انه لا ينبغي ان يوثق بهذه الارقام لانه ثبت ان سم الخناق يعيش كثيراً في الثياب وان أحسن الطرق ان تطهر الكتب وليس من طريقة لتطهيرها الا بامرارها على بخار فورمول الا أنها اذا مرت عليه تهرأ الورق وتمزق بعد حين ولا بد أن يمر الكتاب على هذا البخار صفحة صفحة. وحدث ماشئت ان تحدث عن العناء الذي يلقاه من يعهد اليه تطهير ألوف من الاسفار . وكيفما دارت الحال فان النظافة مطلوبة شرعاً وعقلا والوقاية لازمة واختيار الكتب النظيفة خير من القذرة. وعسى ان يكون فيما تقدم عظة لمن اعتادوا ان يعيروا الكتب والمجلات وينقلوها الى أيدي كثيرين حتى ممن لا يعرفونهم فيقللون بذلك من عدد مبتاعيها ويجلبون بها جراثيم مضرة بهم

قوة الجنس اللطيف

نظمتها للمقتبس وهي من باب النسائيات من الجزء الثالث من الديوان

هي للنعيم وان شقينا موعدُ في كل يوم مخلَف ومجددُ
لعب الزمان بنا على آمالها ما إن يحققها ولا هي تنفدُ
وأشد مالقي امرؤٌ من نفسه أملٌ اذا اقتربت اليه يبعدُ
قالوا النسا خدُّ الزمان فهل ترى بسوى دماء العاشقين يورَّدُ
قالوا بنات الشمس في الدنيا وقد صدقوا لان لظى الهوى لا تخمدُ
قالوا وأمثال النجوم لانها ما حولها إلا ظلام أسودُ
ان النساء هي الوجود أما يرى كل الرجال لاجلها ما يُوجَدُ
هي في القلوب وكل شيء راجعٌ للقلب فهي لكل شيء موردُ
والقلب في نسج الطبيعة عقدة بين الهوى والرأي لم تلِهَا يدُ (١)
فاذا نظرت الى العظائم لم تجد الا إرادات النسا تتجسدُ
وإذا بحثت وجدت كل عظيمة في طيها نظرات أنثى تشهدُ
يدعونه «الجنس اللطيف» لضعفه فسل البخار بلطفه كم يجهدُ
ماالشأن في صغر الامور وضعفها أين الرصاص اذا دَوَى والجلمد
السيف يقطع والردى ذو سطوة والنار تحرق والنسا تتودد
واذا تقلدت الحليَّ فانما مفتاح باب القلب ما تتقلد
ما البحر ملتطماً تضارب موجه كالغيظ في صدر امرئ يتردَّد
متواثباً كالشيخ يحرج صدره فتقوم (هامته) لذاك وتقعد

«١» أي لم تعقدها

متنفساً نفس القتال اذا دَوَى ... وقع المهند يلتقيه مهند

متغيظاً حَرَداً فلولا انه ... ماءٌ لسال أشعةً تتوقد

تثب العواصف فوقه وثب الجنو ... ن يظل يبرق اذ يهيج ويرعد

بأشدَّ من أنثى تكلفت الهوى ... وأتت بحيلة ضعفها تتنهد

طنطا ... مصطفى صادق الرافعي

روح جديدة

أخذت الامة تنصبغ بصبغة الغربيين منذ انشأت تأخذ العلوم عنهم وتختلط بالخاصة والعامة منهم. ومن ذلك إجلال رجال العلم والادب احياء كانوا او أمواتاً . فقد بدأت في الشتاء الماضي بتأبين المرحوم فقيد الادب محمود سامي البارودي وتلاوة القصائد والخطب على ضريحه يوم دفنه واربعينه وثنت بتأبين حكيم الشرق الشيخ محمد عبده تأبيناً لم يسبق له نظير كما احتفلت في الصيف المنقضي بمترجم الالياذة العالم سليمان افندي البستاني. كل ذلك جرى في هذه العاصمة وهي مبعث العلم من بلاد الشرق العربي وثمال الادباء وعصمة العلماء

ولقد شهدت في النصف الاخير من ذي القعده حفلة ثانية من تكريم الاحياء للاحياء أقامها جماعة من السوريين في نزل كونتنتال احتفاء بشكري افندي غانم ناقل رواية عنترة الى الفرنسية والشاعر المجيد بلغة الفرنسيس . وهو من اهل سورية غادر بلاده منذ ٢٥ سنة وصرف معظمها في الديار الفرنسوية. فحضر الاحتفال نحو ثلثمائة رجل من علية المصريين والسوريين والفرنسويين وغيرهم وتليت خطب وقصائد بالعربية والافرنسية فاض منها معين بلاغة

العرب والعجم فتكلم بالعربية سليمان افندى البستاني ومصطفى باشا كامل وخليل افندي مطران وعبد الفتاح افندي بيهم واسعد افندي داغر وبالافرنجية يوسف باشا شكور والمسيو البان ديروجا وأيوب افندي كيد وداود بك عمون وصاحب الحفلة

احتفلوا باديب خدم الادب الافرنجي . ولما كانت الامة لم تبرح بعد في طفوليتها من حيث نهضتها العلمية فلا يزال احترامها مقصوراً على الادباء في الغالب . وقد اذكرني هذا الاحتفال بما كان يجري من أمثاله في عصر الحضارة الاسلامية أيام كانت الامة مدة العباسيين تكرم العلماء والادباء كيف كانت نحلتهم ولغتهم . وكان هؤلاء يتحابون ويتآلفون كالاخوة من غير حرج ولا نكير . ومن قرأ كتاب المقابسات لابي حيان التوحيدي يتجلى له ان العلم يجمع بين المتباعدين وان كل من خمره العقل وعجنه التهذيب وخبزه العلم يتمسك بالجوهر ويطرح العرض وينظر من الاشياء الى مقاصدها ومغازيها.

التعليم والتربية

السعي والعمل

نشر هذه الايام رئيس نظار فرنسا المسيو دومر كتاباً سماه «كتاب لابنائي» فاقتبسنا منه الفصل الآتي وهاك تعريبه قال : ان في العمل حياة والفكر والارادة لايعدان شيئاً اذا لم يكونا سلماً للعمل . الا وان العمل والنشاط والسعي من لوازم التوازن الادبي والطبيعي في الانسان وهي من

شروط كيانه وفيها بقاء المجتمعات البشرية . ولقد قضت الفطرة ان يكون العمل فرضاً مادياً وجعله قانون الادب واجباً . رجل العمل هو الرجل النافع لنفسه ولغيره ولبلاده . وتحتاج فرنسا أكثر من قبل الى رجال عمل من أبنائها فرجال القول فيها كثير . وقد مدح أجدادنا بفصاحتهم منذ عشرين قرناً وينهال عليهم هذا المديح المضحك أيام السقوط والانحطاط خاصة . ولقد كان قيصر يذبح خطباء الغلوا ويجرهم دامية أجسادهم الى مركبة ظفره ولطالما خطبوا وأجادوا وظلت بلاد الغول مستعبدة .

ومن السعادة ان نرى أهل جنسنا قد أظهروا في تاريخهم الطويل المجيد من القادرين على العمل أكثر من غيرهم تشهد بذلك الفا سنة قضاها في العمل والحرب والمجد فمن الواجب ان نجد في أبنائنا اليوم ذاك الشعور بالعمل والارادة فمستقبلنا وحياتنا مناطان بذلك

فبالعمل المتواصل الفعال يظفر المرء بالنجاح في جهاد الحياة وميدان العالم فالعمل لازم للدلالة على اننا مطبوعون عليه متطالون اليه وذلك بدون وناء دون ان نعرف العنت والتعب . فبالعمل تستحكم قوى جسدنا وعقلنا ونحفظ صحتنا الطبيعية والادبية . فالعمل هو الحركة والنشاط وان شئت فقل هو الحياة بعينها . والجمود والبلادة في قلة الحركة وفي قلة الحركة الموت . وإن في العمل على اختلاف أشكاله عقلياً كان أو أدبياً أو طبيعياً لاشارة على الحياة الشديدة . تلك الحياة التي هي أليق بأن تكون شعار النفوس الكبيرة والتي يجدر بالمرء ان يحيا بها . هب ياهذا للعمل أحسن ما في حياتك فليس كل عمل سعياً والسعي هو العمل المستمر القانوني والعمل يوجد ويغير وينتج . ولا يكفي الانصراف الى العمل جملة واحدة بل لا بد لنا من السعي في العمل المنتج

للخيرات العقلية والطبيعية . فالسعي هو أول قانون إنساني ابدي يقضي على الجميع ان يتوفروا عليه فبه تكبر النفوس وتشرف الارواح وهو ضروري للسواد الاعظم وفرض على الجميع .

متع طرفك قليلا في سير الانسانية تجد ان السعي كان في كل دور من أدوارها شرطاً في حياتها وأداة في نجاحها فبالسعي والذكاء والنشاط تغلب الانسان على الحيوان واستعبد قوى الطبيعة فالتمدن عامة وخصوصاً التمدن الاوربي العظيم هو ابن سعي الانسان « ففي السعي الحرية » كما جاء في بعض الاناشيد . السعي يضمن لمن ينصرف اليه إستقلالا ووقاراً يتعذر نيلهما على العطل ولا يطمح اليهما . فهو للمعوز ضرورة مطلقة وفرض مادي مشروع كما هو فرض إجتماعي وللغني نافع له من حيث انه ينتفع من مال حصل عليه غيره وأورثوه إياه والواجب عليه في هذا المعنى كالواجب على الفقير .

وليس عندي من النعوت ما يوصف به من لا يعمل ولا يسعى . أي فضل في الحياة وإعجاب بها عند من لا يود ان يساعد المجتمع بعمله أقل مساعدة وان يجاري في العمل الاجتماعي والوطني . والغني في سعة من ان يسعى ولا يجب عليه السعي اكثر من غيره لان الاسباب لديه على العمل اعظم ولانه غني عما يكتسب به ضرورياته فينصرف الى المطالب العالية ويسهر على المصلحة العامة . الا وان السعي رب الفضيلة والبطالة أم كل الرذائل كما جاء في المثل . ومن الف الفراغ يصبح وجوده عدماً ضاراً بالمجتمع وبنفسه ولا يمكن الامتناع عن كل عمل فمن لا يعمل الخير يعمل الشر لامحالة فبالسعي الحياة وبالبطالة تفلج الاعضاء وتموت . حديد لا يستعمل يصدأ ودماغ واعضاء تعفى من العمل تضعف وتسقم . فمن يشغلهم السعي ويعيشون عيش

العاملين يـمدون بحفظ قواهم وصحتهم ولا يتأثرون بالمظاهر الخارجية والمناظر التي تدهم الكسل العطل . لا يأتون كل صباح الى ميزان الحرارة تفكهة ولا ينظرون أحوال الجو ولا يحدقون في المرآة الى لون السنتهم بل يعيشون ويعملون ويبددون ويحرقون الجرائيم المضنية التي تسطو على اجسادهم وعقولهم فهم سالمون طبيعة وأدباً لانهم عاملون .

السعي يدعو الى تحمل اعباء الحياة وشقائها القليل بنشاط ويمنح حسن الخلق والسرور وعلى العكس في البطالة فانها تدعو الى الافتكار في أقل مايصادفه المرء من العوائق وتعظمها كما تعظم الآلام والاوجاع فتولد الحزن وسوء الخلق والسويداء وهذا المرض من أمراض النفس وهو مبعث أمراض الجسد

صحف منسية

شعر فقيه

الشائع على الالسن ان شعر الفقهاء منحط عن شعر الادباء ولكن هذا الحكم لايصح على اطلاقه اذ ما كل فقيه جامد القول تافه الاساليب، وليس كل الناس المهذب والاديب . نعم وليس كل الشعراء منحلة قيود تربيتهم، معتلة عهود حميتهم وحماستهم . ومن المذكورين بالرحمة القاضي علي بن عبد العزيز (٣٦٦) الذي وصفه صاحب اليتيمة بانه : فرد الزمان ، نادرة الفلك، وانسان حدقة العلم، وقبة تاج الادب، وفارس عسكر الشعر، وجمع خط ابن مقلة، الى نثر الجاحظ، ونظم البحتري، وقد كان في صباه خلف الخضر في قطع الارض وتدويخ بلاد العراق والشام وغيرهما واقتبس من أنواع العلوم

والآداب ماصار به في العلوم علماً وفي الكمال عالماً، وله من أبيات

وقالوا توصل بالخضوع الى الغنى ... وما علموا ان الخضوع هو الفقر
وبيني وبين المال شيئان حرما ... عليّ الغنى نفسي الابية والدهر
اذا قيل هذا اليسر ابصرت دونه ... مواقف خير من وقوفي بها العسر

وله : وقالوا اضطرب في الارض فالرزق واسع
فقلت ولكن موضع الرزق ضيق
اذا لم يكن في الارض حر يعينني ... ولم يك لي كسب فمن أين ارزق

وله : ماتطعمت لذة العيش حتى ... صرت للبيت والكتاب جليساً
ليس شيء أعز عندي من العلم ... فما ابتغي سواه أنيسا
انما الذل في مخالطة النا ... س فدعهم وعش عزيزاً رئيساً

وقال وهو مما هو يجدر بكل عالم ان يجعله نصب عينه ورهن اذهنه :

يقولون لي فيك انقباض وانما ... رأوا رجلاً عن موقف الذل احجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم ... ومن اكرمته عزة النفس اكرما
ولم اقض حق العلم ان كان كلما ... بدا طمع صيرته لي سلما
وما كل برق لاح لي يستفزني ... ولا كل من لاقيت أرضاه منعما
اذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما
أنهنها عن بعض مالا يشينها ... مخافة أقوال العدا فيمَ اولما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي ... لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
أأشقى به غرساً واجنيه ذلة ... اذاً فاتباع الجهل قدكان احزما
ولو أن اهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهان ودنسوا ... محياه بالاطماع حتى تجهما

مطبوعات ومخطوطات

كتاب الأُم

تنبه شعور رجال الأمة لهذا العهد بأن من أعظم أسباب النهوض الاءهابة بالناس الى العمل بما ألف من الكتب في القرون الاولى للاسلام لمحض خدمة المجتمع ونفعه الخالص بدون تقية ولا غرض. ولو رجع أهل كل مذهب من مذاهب أهل السنة الى أصول مذاهبهم وطرحت كتب المتأخرين واختلافاتهم لضاق مجال الخلاف ولم يجد المماحكون سبيلا لقول يقولونه . وقد عني حضرة العالم الاصولي ذي المعزة السيد احمد بك الحسيني من أعاظم أهل العلم والعمل في مصر بان طبع على نفقته كتاب الام للامام الشافعي رضي الله عنه . طبعه بالمطبعة الاميرية ببولاق بعد ان كادت تعبث به أيدي الضياع شأن كثير من كتبنا . فأتى من الشام ومصر والحجاز واليمن والمانيا وغيرها بنسخ من اجزاء هذا الكتاب صار بها الطبع أصح ماينبغي ان يكون بالطبع . وهو عمل عظيم لو حذا عشرة من رجالنا حذو السيد الحسيني لما بقي لاسلافنا بعد حين كتاب مهم تتوق الى طلعته نفوس الخاصة والعامة فجزاه الله أحسن جزاء

ولعل نفوس بعض القراء راغبة في ان تعرف من هو الشافعي وما هو كتاب الأُم . فالشافعي لا مجال لترجمته الآن بعد ألفت الكتب الضخمة في ترجمته وتعداد مناقبه ويكفي ان يقال في وصفه انه كان إماماً قرأ عليه الأئمة في عصر قام فيه أعاظم رجال الاسلام وانه ألف ما ألف من كتب الفقه والخلاف وغيرها قاصداً به وجه الله فكان أهل مذهبه اليوم ربع

أهل الاسلام أو يزيدون . جاء في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ذكر من صنف في مناقب الامام الشافعي : داود بن علي الاصفهاني الظاهري وزكريا بن يحي الساجي وعبد الرحمن بن أبي حاتم وأبو الحسين الآبري والحاكم أبو عبدالله بن البيع وفي عصره أبو علي الحسن بن الحسين بن حكمان الاصبهاني وأبو عبدالله بن شاكر القطان والامام اسماعيل السرخسي والاستاذ أبو مسعود عبد القاهر بن طاهر البغدادي كتابين والحافظ أبو بكر البيهقي والحافظ الخطيب والامام فخر الدين الرازي والحافظ أبو عبدالله الاصبهاني المعروف بابن المقري والحافظ البيهقي وامام الحرمين أبو المعالي الجويني .

هؤلاء الأئمة صنفوا في مناقب الشافعي ولو شاء الباحث استقصاء من شهدوا له بالعلم والاخلاص في عصره ومن بعده لاستغرق ذلك اسفاراً برأسها . وقد اعتذر شيخ الاسلام ابن حجر العسقلاني في كتابه توالي التأسيس بمعالي ابن ادريس بان من « يتكلف التأليف في هذا يقع في تعب من غير أرب » وكتاب الأم كما قال ابن حجر نقلا عن البيهقي بنصه : أولها الطهارات ، ثم الصلوات ، وذكر فيها الجمعة ، ثم الخوف ، ثم العيد ثم الكسوف ، ثم الاستسقاء ، ثم التطوع ، ثم حكم تارك الصلاة ، الجنائز ، الزكاة ، قسم الصدقات ، الصيام ، الاعتكاف ، المناسك ، البيوع ، الصرف ، السلم ، الرهن الكبير ، والرهن الصغير ، والحجر والتفليس وسائر المعاملات ثم الوصايا ، والفرائض ، ثم احياء الموات ، والوديعة ، واللقطة ، واللقيط ، ثم كتاب النكاح ومتعلقاته ، ثم الجنايات ثم كتاب قتال أهل البغي ، ثم الجهاد ، وسير الاوزاعي ، وسير الواقدي ، وكتاب الطعام والشراب والضحايا والصيد

والذبائح، والقضاء باليمين والشاهد والدعوى والبينات والاقضية ،والايمان والنذور ، والعتق بانواعه وكتاب الشروط وعدة كتب الام مائة ونيف واربعون كتاباً . هـذا هو كتاب الأُم بل مجموع الشريعة الغراء في صفحات، وقد طبع منه الآن اربعة مجلدات وبقي ثلاثة وجعل الطابع في هامش ماطبع مختصر المزني للامام الشافعي أيضاً وسيكون على هامش ماسيطبع من الاجزاء مسند هذا الامام وكتاب اختلاف الحديث له أيضاً وبعد فان الامة تتشرف بصدور هذا الكتاب وتنشد ماقاله ابن دريد في مدح الشافعي رحمه الله

الم تر آثار ابن ادريس بعده … دلائلها في المشكلات لوامع
معالم يفنى الدهر وهي خوالد … وتنخفض الاعلام وهي روافع
مناهج فيها للهدى متصرف … موارد فيها للرشاد شوارع
ظواهرها حكم ومستنبطاتها … لما حكم التفريق منه جوامع

جواهر البلاغة

هو كتاب يدخل في ٣٢٦ صحيفة من قطع الوسط في علوم المعاني والبيان والبديع والعروض والقوافي وفنون الشعر والسرقات والمحاضرات الشعرية لمؤلفه الاستاذ الجهبذ الفاضل الشيخ أحمد الهاشمي أحد العاملين من المؤلفين في هذه العاصمة . سلك فيه مسلك الايضاح والتقريب على طلاب الادب ونحا فيه منحى التآليف العصرية في التنسيق ولطف الاداء . ولولا بعض إصطلاحات يتوقف فهمها على شرح معلم لامحالة لقلنا ان جواهر البلاغة مما يقرؤه المطالع لنفسه ، ويفهم لباب هذه الفنون بدرسه ، وقد كانت فيها مفض صعبة المتناول الا على من صرفوا في تحصيلها أعمارهم ، ووقفوا على تدبرها ليلهم ونهارهم

المفرد العلم

كتاب « المفرد العلم في رسم القلم » من تأليف الاستاذ الهاشمي المشار اليه أهداه الينا فيما أهدى من تآليفه . سفر جليل لايستغني عنه العامي فضلا عن الخاصي

لان فيه بيان لكتابة الحروف العربية وقواعدها وضوابطها وقد عقب عليها بتمارين وأمالي وزاد عليها هذه المرة تمرينات وأمالي لم تكن في الطبعات الماضية وشرح الالفاظ الغريبة فصار الكتاب مفيداً للاملاء والمطالعة والانشاء نافعاً في الدروس التي قررتها نظارة المعارف المصرية في مدارسها · ويكفي في بيان مزيته انه طبع الآن للمرة الخامسة ولو لم يكن اقتناؤه من الضروريات لما وجد كتاب في التعاليم من يبتاع منه الطبعة الاولى · فنثني على اجتهاد المؤلف العامل أطيب الثناء لانه يتوخى فيما يكتب سهولة التعبير ، وجودة التصوير ، أثابه الله

الضياء وابن سراج

كراسة نشرها سعادة العالم اللغوي الامير شكيب ارسلان دفع فيها ما خطأه به حضرة العالم اللغوي الشيخ ابرهيم اليازجي صاحب مجلة الضياء الغراء من وقوع بعض الفاظ في رواية آخر بني سراج كان انتقدها الشيخ في جملة ما انتقده على كتاب الجرائد من الالفاظ والتراكيب · ومن رأي الامير ان اللغة العربية يقع فيها النقل لادنى ملابسة وقد أورد نصوصاً من اللغة على ذلك كقوله ان الناقوس والشباك والبيت والجريدة لم تطلق عند من دونوا اللغة على تلك المسميات التي يعرفها أهل زماننا بل عرفت في كتب اللغة بأن الناقوس خشبة كبيرة تقرع بخشبة صغيرة ويقال لها الوبيل والشباك ماوضع من القصب ونحوه من صنعة البواري والبيت كان يقال لبيت الشعر والجريدة سعفة طويلة رطبة · وعلى الجملة فانا نشكر للشيخ والامير عنايتهما باللغة وغيرتهما عليها ونتقدم اليهما باسم العلم وهما من اعز انصاره ان يقصرا من الجدال على النحو الذي جريا عليه فكلاهما فرد في شانه اوحد في صحة بيانه والتهكم لامحل له في الابحاث العلمية وتقرير الحقائق الادبية واللغوية ·

مجلة الشتاء

اسم مجلة اصدرها بالقاهرة حضرة الشاعر الناثر ذي المزة سليم بك عنحوري الدمشقي صاحب الدواوين الشعرية والروايات النثرية وهي أدبية علمية تاريخية فكاهية شعرية تظهر شتاء وتحتجب صيفاً وقيمة اشتراكها أربعون قرشاً أميرياً · وقد تصفحنا العدد الاول منها فرأيناه طافحاً بالمقالات والمقاطيع المنظومة والخطرات المنثورة من بنات أفكار صاحبها فنشكر له همته ونشاطه في خدمة الآداب ونسأل له حسن التوفيق كما يحب ويحب له كل مشتغل بالادب غيور عليه ·

كتاب الخير والشر

انصرفت وجوه بعض المتعلمين والمستنيرين من العامة الى قراءة الروايات على اختلاف مناحيها فانصرف الى كتابة أمثال هذه القصص جماعة من الادباء ومنهم الاديبان البارعان محمد افندي وجيه وحسين افندي الجمل ترجما في العهد الاخير رواية كاترينا بلوم لاسكندر دوماس القصصي الافرنسي المشهور فنثني على اجتهادهما أجمل ثناء ونتمنى ان يكثر أمثالهما من الكاتبين العارفين فجامعتنا تحتاج كل ضرب من ضروب البضائع العلمية . وثمن النسخة ستة قروش صحيحة .

تدبير المنزل

آفات الغبار

من يدرس كتب الصحة لا بد ان يعرف ما يحدث عن الغبار من الآفات والمضنيات . كتب أحدهم يقول ان ليس في السنتمتر المكعب من الهواء الخارجي غير مائة وثلاثين الف ذرة من ذرات الغبار على حين أثبت الامتحان ان في السنتمتر مليونًا وثمانمائة الف ذرة واذا أحصي الغبار بعد الكنس فيكون في كل سنتمتر مكعب خمسة ملايين واربعمائة وعشرون الف ذرة . وفي هذه الذرات من أنواع المؤذيات مالا يطلب غير مستوبل نديّ لتنمو فيه وتتكاثر ولو لم تحل منافذ مشامنا دون دخول هذا الغبار كله الى الرئتين وتمنع في دخول الذرات الكبيرة لكان تأثيرها في اجسامنا ما كان

يتنفس الانسان في الدقيقة من ١٢ الى ١٥ مرة نحو نصف لتر من الهواء كل مرة أو اربعمائة لتر في الساعة أو من تسعة الى عشرة آلاف لتر في الاربع وعشرين ساعة . ويعرف علماء التشريح اذا عرضت على أنظارهم رئة الحضري من رئة الريفي لما في الاولى من الجراثيم المختلفة المؤذية ولولا

الغبار ،احملت الجراثيم الى جسم الانسان ولبقيت في الزوايا . فالغبار يحمل الحمى القرمزية والحميرة والسل والخناق وغيرها من الامراض . واختلف العلماء في كون هذه الجراثيم تدخل الجسم من طريق التنفس أم من طريق البلع ومهما يكن من اختلافهم فان الغبار من أشد اعداء الاجسام وافتكها بها . فحبذا لو عنيت مجالس البلديات في البلاد التي تدعي انها سائرة على مناهج المتحضرين في شؤونها البيتية والاهلية والمعاشية بأمر الكناسين ان لا يكنسوا الشوارع الا في الليل بعد إنصراف الناس الى منازلهم ولا ينفض الخدم البسط والطنافس والاثاث والحصر والباري والكلل (ناموسيات) والدثارات من أعلى الشرفات والطنف فينزل الغبار على أبناء السبيل ويكون لهم أسوأ دليل والغبار من أعداء الانسان إلا في مغزى المثل العربي القائل « غبار العمل خير من زعفران العطلة »

تدبير الصحة

الحمامات الشمسية

اوصى الدكتور كيرشبرج من أطباء فرنكفورت بأن الاستحمام بالشمس أو التضحي بالشمس في الشتاء والتعرض لها مما ينفع في بعض الآلام السرطانية . وقد جرب ذلك بنفسه فشفي من وجع أذنه بعد شهر من تعرضه لحرارة الشمس وأورد أيضاً حادثة فتاة كانت تشكو مرضاً شديداً في الحلق شفيت بحمام الشمس في الشتاء وخصوصاً في مكان مرتفع عن سطح البحر كثيراً .

الصحة الخاصة

كتب احد اساتذة العلم في معنى مبادئ الصحة الخاصة التي لا يتأتى العمل بها بدون علم حفظ الصحة مقالا جاء فيه انه اذا لم يكن للمرء دماغ طاهر لا يتسنى للجسم ان يكون خادماً نافعاً . وصلابة الجلد من الشروط الضرورية في جودة الصحة .

الصحة الاجتماعية

كتب كاتب في مجلة اقتصادية يقول : انه من اللائق توفير العناية بحفظ الصحة المادية ولكن العناية أشد لزوماً في الصحة الادبية. قال وخير الطرق لمنع هذا الفساد الذي يطرأ على الصحة منع الجرائد من تهييجها الشهوات على الانبعات وكذلك الروايات القصصية والتمثيلية ومحال السماع وهي من العوامل القوية في افساد أخلاق الشبان

سير العلم

أكلة البقول

التأمت في انكلترا جمعية نسبت للدكتور هيك لاتقول الا بتناول البقول . وهي تنسب معظم الامراض الى وجود الحامض البولي في الجسم الانساني المتراكم من استعمال اللحوم . وهذه الجمعية تعتمد على طريقة العالم كوفيه القائل بأن الغذاء الطبيعي للانسان مؤلف من ثمار وجذوع ونباتات . وقد أخذ القائمون بهذا الفكر يسمون الصحاف (الصحون) في مطاعمهم باسماء اللحوم كأن يقولون صحفة من الدجاج أو الحمام أو كباب أو مشوي أو ضلع الخ دون ان تدخل هذه الاصناف الى مطاعمهم وانما هي حيلة اخترعوها ليجلبوا بها الزبن ويشيروا بها لاهل الشراهة

سماد جديد

فرحت الاندية العلمية هذه الايام بما تم على ايدي عالمين نروجيين من اكتشاف يفيد العلم والصناعة بل يفيد الفلاحة والزراعة . ألا وهو السماد الصناعي الذي كان الباحثون يفكرون في أمره منذ قرن من الزمن اذ كانوا يخشون من نفاد النيرات (البورق) الطبيعية المستعمل في تسميد الارض خشيتهم من نفاد بورق الشيلي على كثرته . ومعلوم ان النيرات تأتي النباتات على الجملة بالازوت اللازم لها وما وجد منها على سطح الارض حيوانا كان اصله أو نباتاً لايسد هذه الثلمة ولذلك يستعملون في تسميد الارض ملح النشادر ونيرات الصودا وقد توفر علماء الانكليز والالمان منذ سنة ١٧٦٤ على النظر في هذا الامر حتى وفق له المكتشفان المشار اليهما فاقاما معملا له في بلادهما . وهذا السماد يعمل من نيترات الجير (الكلس) وقد انتفع المكتشف

بالشلالات العظيمة في بلده ومنها ما تبلغ قوته ثلثمائة ألف حصان . ودعاه سماد نوتودان ، نسبة للبلد المعمول فيها . وسماده هذا يعمل من الجص والهواء وفضل استعمال نيترات الجص لانها انفع للزرع من نيترات الصودا . وستقدم الشركة التي قامت باستثمار هذا الاختراع كميات منه في هذا الربيع الى جميع البلدان الزراعية التي تطلبه

تغميز القلب

للتغميز (التمسيد) فوائد جزيلة ظهر بعضها مؤخراً في احدى مستشفيات انكلترا ذلك ان شيخاً مريضاً تناول جرعة عظيمة من الكلوروفورم فأصيب باغماء ووقف تنفسه ونبضه فعمد للحال طبيبان من اطباء المستشفى وشرطا اثر المحل الذي يسهل ان يتأثر به القلب وشرعا يغمزانه فلم يمر ستون ثانية حتى افاق المغمى عليه وأخذ القلب يضرب على عادته فعندها أوقفا التنفس الصناعي ولأما الجرح باحتياط عظيم فشفي المصاب تماماً . ويقول هذان النطاسيان ان التغميز ينفع في الاغماء لامحالة

وشي القنب

تفنن اليابان في الصناعات حتى استبدلوا وشي القنب في العهد الاخير بوشي الحرير لانه طبيعي أكثر من القنب وقد عرضوا منه في كيوتو صورة اسد ولبوة . اخترع هذا الوشي رجل اسمه سوكافارا معروف بتفننه واعماله الصناعية . ومتى انتقلت هذه الصناعية الى الغرب وجد القنب الذي ينبت في غوطة دمشق مصرفاً عظيماً

هوام الغابات

في الصحف العلمية ان هامة من الهوام المضرة أخذت تأتي على الغابات الغنياء في آكام داكوتا السوداء . وداكوتا احدى مقاطعات اميركا الشمالية . فهي تحمل على الاشجار بسرعة حتى انه يخشى ان يتناول الخراب تلك البقعة برمتها . وقد بذل اصحاب الأملاك ملايين من الدولارات بدون فائدة وقد جعلت احدى الاندية العلمية جائزة كبرى لمن يدلها على علاج شاف من حملات هذا العدو الهائل .

خازنة الكهربائية

اخترع اديسون خازنة للقوة الكهربائية « أكومولاتور » جديدة معمولة من صندوق حديد يحتوي صفائح تبدل من معدن النيكل والحديد عوضاً عن الرصاص الذي كان يستعمل في الآلة السابقة • ويقدر ان هذه الآلة يقتصد بها ٥٨ في المئة عن الآلة القديمة ويمكن للاتوموبيل ان يسير بهذه الخزانة نحو سبع ساعات أي نحو مئتي كيلومتر دون ان يضطر الى الاملاء وبقوة دائمة

مدارس الازياء

انشأ الغربيون مدارس لكل ما يتصوره المرء من الاعمال والصناعات وقد قامت هذه الآونة آنسة من أوانس الاميركان الشهيرات تهزأ بطريقة القصصين في وصفهم ازياء النساء في قصصهم • قالت ان المرأة لو كانت خارجة الآن من مستشفى المجاذيب أو المجذوبات لما لبست الثياب التي يصفها فيها هؤلاء الكتاب ولذلك ارتأت ان يضاف الى الصفوف الكثيرة في كلية كولمبيا الخاصة بدارسة فن الصحافة صف يدرس فيه علم الازياء • والولايات المتحدة تحب ان تفوق الامم في كل حال وشان •

مثال المدارس

كتب احد اساتذة العلم في اميركا بحثاً في احدى المجلات العلمية في نيويورك قال فيه ان من أدل الدلائل على ارتقاء التعليم العام في الولايات المتحدة ارتقاء حالة مدرسة تكساس الجامعة التي أسست سنة ١٨٥٨ ولم يكن فيها منذ عشرين سنه الا ١٩٩ طالباً وفيها الآن ألفا طالب ولها دخل يربو على ٧٥٠,٠٠٠,١ فرنك •

حاضر اليهود

كتب احد كتاب الاميركان بحثاً تحت هذا العنوان استند فيه الى أحدث الاحصائيات فكان عدد بني اسرائيل في العالم ١١,١١٨,٢٢٤ نصفهم في روسيا والباقون موزعون بين النمسا والمانيا ورومانيا وانكلترا وهولاندا و تركيا وفرنسا وايطاليا و بلغاريا و رومللي الشرقية وسويسرا وباجيكا واليونان والولايات المتحدة و كندا والارجنتين وغيرها من جمهوريات اميركا الجنوبية وبعض ممالك آسيا وشمالي افريقية مثل مراكش

والجزائر ومصر وفي هذه منهم ٢١٦١٠٠ فقط ولم تعاملهم دولة معاملة رسمية كسائر رعاياها غير النمسا والمانيا والبلجيك والدنمرك وفرنسا وبريطانيا العظمى ومستعمراتها وايطاليا وسويسرا والولايات المتحدة اي ٤١ في المئة من مجموعهم . ومن هذا العدد عشرة في المئة اغنياء و ٣٠ في المئة فقراء وهؤلاء على فقرهم المدقع لا تراهم يسجلون اسماءهم في سائر مخاويج الطوائف لأن أولئك الاغنياء يكفونهم مؤنة التكفف على غيرهم

المجلات الافرنجية والعربية

الخط الياباني

انشأ بعض اليابانيين مجلة تعنى خاصة باستبدال الخط الروماني بالخط الياباني وبعبارة ثانية تدعو الى طرح الحروف الشرقية القديمة والاستعاضة عنها بالحروف الغربية الحديثة . وفي هذا من الثورة العلمية ما قامت له الاندية العلمية في يابان وقعدت . وأصبح لهذا الفكر أشياع ولكنهم قلائل الآن . تقول المجلة ان استعمال صور الحروف الصينية لا يعتبر الا بأنه من حب الاتصال مع الماضي كما هو الحال في امتيازات قديمة لم يتوصل بعد الى نزعها والتخلص منها . وبهذا ترى ان اليابان أقسمت أو كادت تقسم ان لا تبقي أثراً للتقاليد القديمة التي تعوق سير حضارتها

تبادل العلم

ذكر أحدهم في مجلة المجلات الاميركية الصورة التي سيجرى عليها في مبادلة العلم العالي بين كل من أميركا والمانيا على الطريقة التي عزم على الاعتماد عليها الامبراطور غليوم الثاني بالاتفاق مع مدرسة كولمبيا الجامعة . قالت ان أساتذة من هذه المدرسة يذهبون الى كلية برلين ويشغلون منابر أنشئت لهم خاصة ويأتي أساتذة المان من كلية برلين يعهد اليهم بالتدريس في صفوف كثيرة من الكليات الاميركية . وغاية هذه الطريقة في مبادلة الاساتذة ان تتبادل ناشئة الامة الافكار والغايات ويتذاكروا في المبادىء والمقاصد . والمظنون ان كلا من انكلترا وفرنسا لا يلبثان ان ينحوا هذا النحو فتشترك كليات اكسفورد وكمبردج ولندن مع كلية باريز وهناك بشر العلم بالارتقاء الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ البشر .

التكافل في الامراض

نشرت احدى الصحف البارزية مقالاً في فائدة التكافل لايقاف سير السل ومجاهدته قالت ان المسلول أحد منكوبي الوسط الاجتماعي وان مرضه ينتشر باجتماع الجرثومة مع الارض فالجرثومة تأتي من المحيط أو الوسط والارض هي جسم الانسان وصحته من أصل تركيبه أو أسباب ولادته وارثه وتربيته وسكنه . ولما هدمت في انكلترا احياء برمتها وكانت قذرة موبوءة انخفض عدد الوفيات بالسل الى ٤٠ في المئة على حين يرتفع معدل الوفيات بهذا الداء في فرنسا

الآلات المنغمة

المشرق — عني حضرة الباحث العالم صاحب هذه المجلة بنشر ثلاث مقالات عربية في الآلات المنغمة انتقاها من مجموع عثر عليه في خزانة كتب مدرسة ثلاثة اقمار في بيروت وفيه رسائل في الهندسة والفلك وتحريك الاثقال والموسيقى وغير ذلك من الآثار العلمية من وضع علماء الاسلام أو من تعريبهم وتعريب طائفة المعربين في عهد الحضارة الاسلامية ويرتقي هذا المجموع بحسب رأي الباحث المشار اليه الى القرن الثاني عشر للمسيح . وهذه الرسائل في معنى واحد لقدماء اليونان استحق كتبة العرب شكر العلماء اذ حفظوها لهم من ايدي الضياع بنقلها الى لغتهم .

اما الرسائل فاحداها عمل الآلة التي اتخذها مورسطس يذهب صوتها ستين ميلا وكانت هذه الآلة تحمل معهم في الحروب لان بلادهم كانت كثيرة الاعداء « فكانوا اذا احتاجوا أن ينذروا اصحابهم أو يسألوا المدد في الحروب لتأتيهم الخيل والمدد أو ينذروا أهل مدينة الملك وأي النواحي ارادوا نفخوا في هذه الآلة وهي الارغن الكبير الملقب بالواسع الفم الجهير الصوت وذلك ان صوته يذهب ستين ميلا ».
والثاني صنعة الارغن الجامع لجميع الاصوات « وهو أن يسمعك صوتاً عجيباً يبكي بكاء شديداً ويسمعك صوتاً مرقداً ينيم صاحبه على المكان ويسمعك صوتاً يشجي ويلهي ويسمعك صوتاً يطرب ويرقص ويسمعك صوتاً يسحر ويذهب بالعقل » .
والثالث صنعة الجلجل الذي اذا حرك خرجت منه اصوات مختلفة شجية نغمية « وزعم الحكماء ان هذه الآلة عملها ساطس (كذا) القديم في بلاد مصر العتيقة فاما ضرب بها هرب من ذلك الموضع كل سبع وكل هوام وكل طير حتى هربت مواشيهم ودوابهم وكاد اكثرهم ان يجن فاستعفوا من ذلك . فنصبها على موضع مشرف بعيد من

المدينة جداً . وبنى في ذلك الموضع هيكلا وهو يسمى هيكل زواس اي (المشتري) ذي الحسن واتخذوا له عيداً فكانوا يحركون الجلجل في يوم عيدهم ثم يذبحون ويتقربون »

المجتمع وعلومه

المنار - ذكر ان أكمل الجنسيات وأنفعها للبشر ما كانت أعم وأشمل للطوائف والجمعيات المختلفة في النسب والوطن واللغة والدين والحكومة وان هذه الجنسية هي نهاية ما يمكن وضعه لسعادة البشر كلهم ولكن الناس لما يستعدوا لها تمام الاستعداد وقد وجدت في الجملة على عهد الخلفاء الراشدين وان جنسية المذهب مزقت الشمل ولولا جنسية اللغة والوطن ما تفرق المسلمون الى ممالك وقد حاول الاسلام القضاء على عصبية الجنس واللغة والوطن فنيرت بعد . ومن رأيه ان يكون العمل الواجب دائراً على أقطاب هذه المسائل الكلية (١) كون تعليم الدين مؤيداً للعقائد دافعاً للشبهات الرائجة في هذا العصر (٢) كون تعليم التاريخ وعلم الاجتماع والاخلاق والآداب مؤلفاً للرابطة الملية بين شعوب المسلمين وعناصرهم المختلفة (٣) تعليم العبادات مع بيان حكمها وفوائدها في تزكية النفس وتعليم أحكام المعاملات مع بيان انطباقها على مصالح البشر ومنافعهم في هذا الزمان (٤) تعليم العلوم الرياضية والطبيعية بقصد ترقية النفوس ومجموع الامة بالاعمال الصناعية (٥) احياء اللغة العربية بالزام المتعلمين التحاور بها استبدالا لها باللغة العامية وبتعليمهم البلاغة في القول والكتابة ليكونوا كتاباً بارعين وخطباء مؤثرين (٦) تعليم الصنائع التي يمكن العمل بها في البلاد وفنون التجارة (٧) الجمع بين التعليم وبين التربية العملية في المدارس (٨) جعل مدار التعليم والتربية على استقلال الفكر واستقلال الارادة والاستقلال في العمل الذي يعبرون عنه بالاعتماد على النفس

طبيب وأديب

فقدت مصر في العهد الاخير رجلين حري بتاريخ العلم والادب ان يدون ترجمتيهما في صفحاته واعني بهما الدكتور حسن باشا محمود وابراهيم بك المويلحي . الاول عالم والثاني كاتب أو طبيب وأديب . ولد الاول في مصر سنة ١٨٤٧ م على ما نقل أحد انجاله ووالده من العرب النازلين في جوار الاهرام ولما ترعرع ظهرت عليه آثار النجابة فدخل القصر العيني ونال شهادته الطبية ثم بعثت به الحكومة المصرية الى المانيا فقضى فيها سنتين ثم انتقل الى باريز واحكم الطب علماً وعملا حتى اذا عاد الى القطر عين في وظائف مهمة مثل نظارة القصر العيني وطبيب الامير طوسون باشا وطبيب الخديوي اسماعيل وابنه توفيق ومفتش الصحة العامة . وانتدبته الحكومة في عدة مهمات نائباً عنها في المؤتمرات الطبية الدولية ورأس الجمعيات الطبية في مصر مرات وكان عضواً في عدة جمعيات طبية وعضواً في المجمع العلمي بمصر .

وكان على وفرة مشاغله كبير العناية بالتأليف والتعريب حريصاً على الاستفادة والافادة أميل في اعماله الى الجد على مايظهر من تآليفه محبباً الى الناس . كتب رسائل وكتبا طبية كثيرة نشر بعضها على حدة وبعضها في المجلات . واهم كتبه « الخلاصة الطبية في الامراض الباطنية » وهو كتاب لطيف الاسلوب والوضع سهل المأخذ ومنها « رسالة في الهيضة » وأخرى « نبذة في مدرسة الطب المصرية » و« رسالة في خلع المعصم » و « كتاب في داء الفقاع » و « كتاب في الاستكشاف العصري في الرمد المصري » و « كتاب الفوائد الطبية في الامراض الجلدية » و « رسالة في منافع مياه حلوان » و « مختصر في البواسير ومعالجتها وطريقة التمدد » و « رسالة في حمى الدنج » و « رسالة في داء الطاعون البقري الساري » و « رسالة في وباء الهيضة » وغير ذلك . وظل يكتب الى آخر أيامه ولا يستنكف من نشر ما يكتبه في المجلات تعميماً للفائدة .

أما ابراهيم بك المويلحي فقد ولد في أوائل سنة ١٢٦٢ هـ وهو من بيت معروف بالغنى والوجاهة اضطرته الاحوال بعد ان خسر ماله في المضاربات ان يستخدم في الوظائف على عهد الخديوي اسماعيل وكان يحبه ويأتمنه ويحسن اليه وقد قضى معه عشر سنين في نابولي كاتماً لاسراره وقضى نحو هذا الزمن في الاستانة . والذي يهمنا من أمره انه كان من أعظم النوابغ في الانشاء . وقد اكد لنا من نثق بذوقه في البلاغة وعلو الكعب في الاطلاع على اسرار العربية وآدابها ان المويلحي في عصره كالجاحظ في عصره . ولا غرو فقد تأدب الفقيد بكتبه وكان يحرص على دراستها والاستئثار

بدورها ليله ونهاره · كتب المترجمه عن الامراء كتباً كثيرة ومقالات بحسب الحاجة والدواعي وتلون السياسة ومذاهبها كما كتب عدة جرائد منذ أول نشأته وآخرها «مصباح الشرق» ولو دام المصباح على لطافة اسلوبه وجودة الفاظه وتراكيبه سنين كثيرة لكان من أهم البواعث على ارتقاء ملكة البيان العربي ولصار العامة ممن يتوفرون على مطالعته اليوم ارقى لهجات من الخاصة منذ قرون

وبهذا عرفت ان طريقة المويلحي في الانشاء طريقة السهل الممتنع ساعده على الاجادة فيها انه لم يكن يكتب الا في المسائل التي له وقوف على أطرافها ليكون رأساً في معانيه كما هو رأس في مبانيه · وكان مطلعاً كل الاطلاع على أحوال مصر والاستانة عارفاً تاريخ رجالهما بحيث كانت هذه المواد له على خفة روحه ورشاقة قلمه مادة واسعة ليكتب على الطريقة الهزلية المعروفة عند الافرنج بالاوميريستيك على ان معظم ما كان يكتبه يخرج فيه الهزل بالجد · وكان مجلسه عامراً بالفوائد الادبية والتاريخية والاجتماعية نادرة النوادر في نكاته آية في الاطلاع على الدخائل · استفاد اشياعه من لسانه اكثر من استفادتهم من قلمه · ولو وجد مجالا للعمل النافع وقدر امراء هذه الديار وكبارها ان يحسنوا الانتفاع بمواهبه كما ينتفع الملوك والامراء بنوابغ بلادهم في العادة لاشبه المويلحي بسمرك وكرسبي وغيرهما من رجال السياسة في هذا القرن ولما رغب في صرف الوقت في الجزئيات ولانصرف عنها الى الكليات لامحالة

انتقاد المقتبس

تتابعت كتب التقريظ والانتقاد علينا وها نحن نلخصها فيما يلي مكتفين بما ورد فيها من ضروب النقد · وفي مأمولنا ان نصلح ما يمكن اصلاحه من وضع هذه الصحيفة وموضوعاتها على الزمن حتى يجيء منها ما يفيد ويروق بعون الله وتسديده · ورجاؤنا الى من أوتوا العلم الرجيح ورزقوا ملكة النقد الصحيح أن يقبسوا المقتبس من أنوارهم كلما عن لهم ذلك · ورحم الله من أهدى الي عيوبي

ولقد اختلفت آراء المفكرين والعابئين فمن قائل باختصار مقالات المقتبس ومن قائل باشباعها وتوفية كل مبحث حقه من الشرح · كما اختلفت المذاهب في أسلوب انشائه فمن قائل انه يصعب فهمه على غير المتعلمين أو دون الرجوع الى المعاجم كما قال بعضهم ومن مصرح ان لغة المجلات ينبغي لها على كل حال ان تكون أرقى من لغة الجرائد لان قراءها من الخاصة أو ممن يدانيهم ويرى الفريق الاول انه لا بأس باستعمال

مااستعمله العرب من التراكيب أيضاً ويرده بعضهم ويفنده • واعترض بعضهم على استعمال الاشارات الجديدة مثل ، ؟ • وغيرها قائلين ان ذلك لايجدر الا بكتب الاطفال والنساء واستحسنها بعضهم وأراد الاكثار منها للافهام • ورأى بعض العلماء ضبط الكلمات المبهمة • وآخذنا أحد العلماء على كوننا لم ننسب ارتقاء الصحافة العربية للشيخ محمد عبده أيام كان يحرر الوقائع المصرية ويدير المطبوعات ويحتم على الصحف ان تلتزم تصحيح عباراتها أو توقف • كما عاتبنا بعضهم على اننا لم نذكر المعلم بطرس البستاني في عداد من نهضوا بالصحافة • واستنسب بعضهم نشر رواية في كل جزء لانه يتوقف عليها لفت أنظار اكثر القراء • وصرح عالم بان الروايات لايليق نشرها في المجلات العامية التي تتوخى الجد والفائدة

وانتقدت مجلة الشتاء الغراء اطراد المقتبس في اسلوبه الانشائي الجد البحت وارادته على استعمال الهزل الادبي وقالت ان نكات الوهراني والتعاويذي لاتقوم مقام «النكتة الخفيفة» وآخذته على تجاوزه الحد في الايجاز في تلخيص مقالات الجرائد العربية وعلى ماسرى اليه من الغلط من ان سليم النقاش عم مارون النقاش هو الذي اتى بالتمثيل الى مصر • ولم تر مجلة الشتاء حكم ابن حزم جديرة بالايثار قالت ولو كانت من مأثور الكلام لابقاها ناموس بقاء الانسب في ذاكرة اهل العلم • ونقدت على المقتبس اهماله ذكر العادات الذميمة ونقائص المجتمع صراحة أو تعريضاً وأطلاقه العنان لامثال « التناسل الغريب » الخ

وكتب الينا أحد علماء دمشق يقول : استغرب المحققون ذكرك قصة المتنبي في باب « التناسل الغريب » لذ لم يعلم ان للمتنبي اكثر من ولد أو ولدين على شهرة أحواله . فاما بيان المأخذ واما اصلاح الغلط • واذا قرأت ترجمته الى آخرها في ابن خلكان يتضح لك ذلك باجلى برهان • ثم ان مجلتك لايليق بها ان تعدل عن جادة الجد وخلو الغرض وقتاً من الاوقات فاستعمالك لالفاظ يشتم من خلالها ريح التعريض والاستهزاء غير جائز مثل « الفقاقيع الفارغة » وما ذكرته في وصف الشعراء المحدثين عند بحثك عن دواء الارق • وياحبذا لو ضربت صفحاً عن « نفاضة الجراب » وان راقت الاكثرين لان الغاية تعليم وتهذيب وترقية عقل • قيل للامام علي كرم الله وجهه لو غيرت شيبك ياأمير المؤمنين فقال : الخضاب زينة ونحن قوم في مصيبة • وكذلك نحن الآن في دور جد وعمل لادور هزل وفكاهة •••

وصحح لنا عالم اجتماعي في دمشق بعض اغلاط فقال : جاء في الصحيفة ٧٤ امطرت رماداً فانكشفت للحال مدينتان رومانيتان كانتا مدفونتين والصواب ان يقال فتغطت

للحال مدينتان رومانيتان كانتا مكشوفتين لان البركان غطى حينئذ المدينتين بالحمم والرماد ولم تكتشفا الا من عهد قريب . ومنها ماجاء في الصحيفة ٨٠ خلقوا أولادكم بغير اخلاقكم والصواب لاتكرهوا اولادكم على التخلق باخلاقكم الخ . ومنها في صحيفة ٧٨ الانجيل والمكاتبات والنصارى يقولون الانجيل والرسائل . ومنها في صحيفة ١١٠ التحبيز والصواب التمييز

ونختم هذا الفصل بقطعة من رسالة لصديقنا الامير شكيب ارسلان قصد فيها الدعابة الادبية واعدين ان نلم في فرصة اخرى بما تجود به قرائح المفكرين من نقد هفواتنا قال الامير سامحه الله : وآنست في نفسك انشراحاً ونشاطاً، وقلة في كمية السوداء وانحطاطاً، يدل على ذلك في مجانتك فكاهات رويتها، ومداعبات أثرتها، واسجاع ملت اليها، حتى كنت يا محمد مولعاً بالسجع عهدي بك لا تطيقه واذا مررت بالجناس ولو تمثل لك واقفاً رفسته برجلك واكببته لوجهه . وطالما نقمت علينا التسجيع، واقمت علينا من النكير بعدد انواع البديع، وعددت سجع الحمام، من قبل سجع الحمام، واعتبرت نفائس الجناس، من وساوس الخناس، فها انا ذا اسجع الآن ولا حرج علي منك ولا تثريب، واجنس وانت ساكت ساكن وهذا أمر غريب، فهل هداك الله الى الصواب الآن حتى صرت في « مذاهب المذاهب وطرق الطرق » أو هل نزغت بك نزعات جداد، وجدت بك أهواء لم تكن تعتاد، أو لعلك حصرت السجع والجناس في فاتحة المجلة لانها من المجلة كقاعة الاستقبال من البيت فلا بد فيها من مراعاة الامور الرسمية والسجع رسمي في المقدمات .. ولا عيب في هذه المقدمة الا هذا السمدان الذي في آخرها . لا تؤاخذني بالله عليك لي عندك ثارات، وبصدري من « حماطة الجلجلان » حزازات، وانت منصف فلا ينبغي ان يثقل عليك الحق كما يثقل على غيرك ... أما مااستعظمت من روايات التناسل حتى تجاوزت الحد في الاحتراز في نقله فليس بتلك الدرجة فان الامثال كثيرة والمرحوم الحاج حسن عبدالله من خيام مرجعيون وعسى ان لا اكون « شرقياً في كثرة الارقام » كان له من الولد وولد الولد مايربو على التسعين وهو والد محمد افندي الحاج حسن الشاعر الاديب . اما نصائح ابن حزم فقد ذكرتني بحكم ابن المقفع وان كان لاينكر ان هذا أعلى طبقة في الكتابة واما نكات الوهراني فلا بأس بها لكن ياأخي سألت الله لمجلتك ان يدفع عنها آفات التطويل والتكرار، وانت لم تقصر في تكرار ذكر الشعير مع الاشعار، ففي كتاب الوهراني الذي يخشى من وهر لسانه طلب للشعير مطول برسم البغلة وفي قصيدة التعاويذي اعاذنا الله من مثله كلام عن الشعير لاجل الفرس فهذا كثير على الشعير ..

غرة ربيع الثاني سنة ١٣٢٤

المقتبس

صدور المشارقة والمغاربة

جونسون

ولد سنة ١٧٠٩ وتوفي سنة ١٧٨٤

أحد مشاهير كتاب الانكليز وعلماء الاخلاق قاسى في طفوليته أنواع العذاب من سوء صحته وأصيب بالسويداء . ولد من أبوين فقيرين فتهيأ له رجل محسن علمه على نفقته في كلية اكسفورد لكن بشاعة صورته وفقره وسويداءه جلبت الشكوى منه فاضطر أن يترك دروسه قبل اتمامها وعاش زمناً في مكتبة والده وكان كتبياً ثم عين في احدى المدارس الخاصة بوظيفة بسيطة وسنة ١٧٣٥ تزوج ايماً اكبر منه بعشرين سنة وكان يحبها على بشاعتها حباً لا يصدق . ففتح له معها مدرسة للشبان في ضواحي لينسفيلد بلده لكن قبح صورته وصورة زوجه كانت تخيف الاطفال ووالديهم فلا يضعون أبناءهم في تلك المدرسة حتى انه لم يكن عندهما غير ثلاثة أولاد فاضطر

الى ترك التعليم وجاء لندن يفتش على مايقوم بأوده فاستخدم في ادارة احدى المجلات الانكليزيةفكان يأتيها بأخبار مناقشات دار الندوة وفي غضون ذلك نشر تأليفاًله فنبه به قدره وشاع بين الكتاب والقراء ذكره والف معجماً في ثماني سنين وهو أول معجم بالانكليزية وكان في خلال تأليفه وضع بعض المصنفات فحازت استحسان بيرون وسكوت العالمين الكاتبين المشهورين وتأفقت شهرته بهذا المعجم كل التأفق على أنه لم يكن من قبل خاملا بل صار بما صنف الكاتب غير مدافع ، وحاول أن ينشيء مجلة الا أنه لم يفلح فيها فسقطت . وكان ينفق على الصدقات كل ما يحصله من المال القليل تقريباًحتى أنه آوى اليه ثلاث نساء عاجزات بعد وفاة والدته مع طبيب يطبهن

وفي سنة ١٦٠٢ منحته الحكومة ثلثمائةجنيه مسانهة أبيضت بهالياليهالسود واستعان بها على شقاء الايام ولم يقبلها الا بعد التردد وكافأ الحكومة عليها من باب مقابلة الجميل بمثله بأن كتب بضع كراريس في السياسة خدمها بها ولم يقل الا ماينطبق على آرائه فيها وكان اكبر همه تأسيس أندية (كلوب) تجمع كبار الرجال من ممثل الى مؤرخ الى خطيب الى اقتصادي الى مبشر وكان الملك يتطلب سماع حديثه وكذلك كانت طبقةالاشراف في الامة الانكليزية

وفي خلال تلك المدة تعرف الى رجل من الاغنياءفاعجب به كل الاعجاب واكرم مثواه وأحله منه المكان الذي ينبغي أن يحله أمثاله وقام له في داره في لندن بل في مصايفه في ضاحيتها بوسائط العيش و رفاهية الحياة وكانت تلك الاعوام هي غاية سعادته ومجده وما زال على تلك الحال يكتب و ينشر و يشتهر حتى توفي صديقه بل حاميه بعد ست سنين من صحبة أتته بفوائد جزيلة أقلها

أنه استطاع أن يتجول في البلاد على نفقته فتأخرت صحته لهذا الخطب الجلل وكان ذلك سنة ١٧٨١

ولما فقد الكاتب حاميه عاد الى ميله السابق من تأسيس الاندية فأسس له ناديين كانا أشبه بنادي المهوسين السوداويين . ودفن في مقبرة وستمنستر مدفن العظماء من الانكليز وأقيم له تمثال

وقد وصف تين العالم الفرنسوي صاحب الترجمة فمما قال فيه بعد أن ذكر قبح صورته واهمال هندامه وسوء نظامه انه كان شرهاً اكولا يجلس الى المائدة فيخضم ويقضم ولا يستمع لحديث مخاطبه بل يستغرق بما بين يديه من الصحاف والالوان حتى لقد كانت تنتفخ عروق جبهته وتتصبب عرقاً لكثرة ادخال الطعام بسرعة على معدته وبعد أن يستوفي طعامه على هذا النحو حتى يكاد يختنق يأخذ في تعاطي الشاي فيتناول لا أقل من اثني عشر قدحاً . قال الذي عربنا عنه هذا الفصل : وأنت ترى انه من العجيب فيمن كانت له هذه الاخلاق والعادات كيف كان تمثال مجتمع بأسره مجتمع كان من اللطف على جانب هذا اذا لم يعلم أن صاحبنا كان ذا صفات نادرة فقد كان بين جنبيه على تلك الخشونة في الطباع قلب مليء فضلا ولطفاً وحناناً على الضعاف والاولاد والفقراء والحيوانات وكان أصحابه وهم كثار يحبونه حباً مازج سويداء قلوبهم ولم تكن خشونته لتحول دون ملاطفة النساء بل كان معهن آية الظرف واللطف يتأدب معهن ويسليهن بأطيب ما في العالم من حديث شهي

الاوان ما اختلط بأجزاء نفس هذا الرجل من قول الحق والتفاني فيه

وحياته الشريفة التي قضاها واعجابه باستقلال أخلاقه وحريتها كل هذا كان له مادة اعتبار لادبه واعجاب بمقدرته العقلية وكان اسناً مفوهاً ولم يعد في أرقى طبقات الكتاب ولا في أرقى المفكرين وكان انشاؤه مستثقلا فظاً حتى قال له أحدهم يوماً : انك ياصاح لو انشأت حكاية أسماك صغيرة لجعلتها تتكلم كلام الحيتان . وبالجملة فلم يكن من الخوارق والنوابغ في علمه وأدبه بل كان من الخوارق في أخلاقه ولذلك يعد في الاخلاقيين أكثر منه في الكاتبين

...

مجلة المقتطف

قلما قام في هذه البلاد عمل مادي أو علمي أو غير ذلك أعواماً طويلة الا وأصابه من خور عزيمة أربابه وتشتت أهوائهم أو قلة بضاعتهم ومناصبة الاحوال لهم ماتتداعى به أركانه وينحل كيانه . قال بعض العلماء ان حياة الانسان ثلاثون سنة أي انه يندر أن يعمل عملا نافعاً طول حياته أكثر من هذه المدة أو ما يقرب منها وبعد ذلك اما ان يضعف أو يعوقه عائق . بيد أن مجلة المقتطف بلغت هذه السن في هذه الآونة والهمة في تحسينها تتجدد والفائدة الناتجة منها تعظم

قل في المشاريع ولا سيما العلمية منها ماسار به صاحبه على سنة الارتقاء الطبيعي ولذلك قل في أربابها المفلحين . أما صاحبا المقتطف فعملا أولا تحت نظارة استاذ لهما عظيم الدكتور كرنيليوس فانديك الاميركاني ولم يخرجا عن حد الخطة التي رسمها لهما فكانت صفحاتهما باديء بدء قليلة وكتابتهما لاتخلو من ضعف وموضوعاتهما بسيطة تتناولها أذهان الصبيان لادنى نظر وعلى ماقام

من المنشطين لعملهما في ذاك العهد من رجال البلاد لم يبلغ المقتطف الغاية التي كانت ترجى له من الانتشار وكثرة الانصار

ولقد خيف عليه السقوط أولا خصوصاً عند ما قام بعضهم في مناصبته. ومن العادة أن ينتقد بل أن يعادى كل من يكتب في الابحاث الجديدة ويدعو اليها ولا سيما ما كان منها فيما لم تألفه عقول القوم من الفلسفة الطبيعية والمعارف المادية. فثارت مثارات النفوس لاول وهلة واستعظم بعضهم اقدام صاحبيه ولو لم يمزجا عملهما بشيء من التقية والمداراة ويهضما النفس في الاحايين لكانت أقل صعوبة يلقاها مثل هذا المشروع تكفي في اخفاق المسعى وانفضاض الناس من حوله. ولو ظل المقتطف يقبل المناقشة فيما يكتبه وينشره لانصرفت وجهته من الكليات الى الجزئيات وضاع المقصود من انشائه فقد نصح لهما استاذهما بالعدول عن خطة المماحكات على ما أثبتا نصيحته في السنة الثامنة فلم يضيعا بعد الوقت في الجدال سدى. ومذ ذاك أخذت كتابة المقتطف وابحاثه ترتقي مع الزمن بكثرة مران القائمين به

وبعد فليس هذا كل ما هيأ الاسباب لقيام المقتطف بل هي الدروس التي أحسن صاحباه تلقيها في أول أمرهما ومرنا على الكتابة فيها والخبرة التي توفرت لهما بكثرة المعاناة والدرس وذاك النور الذي مافتئا يقتبسانه من استاذهما الى آخر عمره. وقد عرف المقتطف بحسن التنسيق ولطف الاداء. وقلّ في العهد الاخير من يدانيه في اجادة الترجمة والتعريب في العلميات المجردة وله بذلك ملكة خاصة لم يسم اليها غير أفراد من أهل العلم الكاتبين كما انه عرف بحسن الاختيار وانتقاء الموضوعات المفيدة حتى يكاد يكون ذاك مزية خاصة به وجرى في توقع المناسبات على قدم المجلات الاميركية والانكليزية

من اعداد مقالات للنشر كل آن ومقالات لا تنشر الا في أوقات خاصة . فقد نشر لي مقالة بعد ثلاث سنين من ارسالهـا اليه ونشر أخرى بالمناسبة بعد سنتين

ويقول منشيء المقتطف انه يؤلفه من مجلات كثيرة لاهل الاخصاء من علماء السكسونيين وما كل مطلب من مطالبه الا وهو نتيجة ابحاث عقول كبيرة درستة حق دراسته . دع عنك مافي مكتبته من دوائر المعارف أو الموسوعات (الانسيكلو بيـذيات) والكتب العلمية الافرنجيـة وخل عنك خبرة صاحبيه في معظم الفنون التي يكتبان فيها على ماصرحا بذلك في آخر السنةالعشرين .

ومع ان للمقتطف مشربًا يصعب أن تقبله كل النفوس وأشياعًا يغالون في محبته واجلال ما يصدر عنه نراه الى اليوم يراعي أكثر الاذواق استحسانًا . ومن مزج خدمة العلم بخدمة نفسه في الماديات فاتخذ العلم تجارة والتجارة بابًا للعلم قد ينجح في الاعم من حالاته . من أجل هـذا اضطر المقتطف في الربع الاخير من عمره أن يجاري بعض المجلات في نشر الابحاث الادبيـة فاجاد في بعض رواياته المترجمة ولم يجد فى المختارات الادبية فجاء من المقتطف صحيفة عامة تبحث في امور كثيرة يصح أن يقتنيها أهل كل جيل وقبيل ولا مسحة عليها من صحف الاختصاصيين من الغربيين تلك الصحف التي تنصرف الى علم أو عدة علوم لاتتعداها فتطيل فيها وتتوسع ماشاءت وشاء غرضها . وللمقتطف عذر في ذلك مادام أهل الاخصاء في الشرق لايعيشون من أقلامهم وما عم العلم بيننا حتى يخص . ولكن كان الاجدر به أن يخص بعض من تفردوا بالآداب وذاقوها كل الذوق ليكتبوا فيه أمثال هذه الموضوعات ويحكموا على مايرد منها

من أقلام المراسلين

وأقل ماتمّ على يد المقتطف من الحسنات ان اناساً ممن أعرفهم في مصر والشام علت بالمواظبة على الاخذ منه أفكارهم وأزال عنهم أدران الغباوة وفتح لهم باب البحث واعمال الفكرة وغرس فيهم الميل الى المطالعة والتأليف وأوقفهم على اجماليات من العلوم الحديثة فكانت هذه المجلة لهم أشبه بدائرة المعارف التي نشرها الخاصة من رجال الفرنسيس في القرن الثامن عشر فجعل الناس يختارون مايروقهم من العلوم بعد أن ينظروا في معظمها نظرة عامة

بقي أن أقول ان للمقتطف مغامز لا بأس بعرضها عليه الا وهي ظهور الغرض أحياناً في مطاوي مايكتب مدفوعا الى ذلك بعامل التربية والمنشأ أو بداعي قلة اختبار في أحوال المجتمع أو مراعاة لغرض تستدعيه المصلحة وما كان الاحرى به وهو يدعو الى العلوم المادية ان يتجرد عن النزعات السياسية والدينية بتة . فالعلم مشاع لامشرب له ولا دين . ولو خلا من التعريض ببعض الفرق لنجا من طعن الطاعنين عليه من مثل من أوغر صدورهم مثلا بشرح مذهب داروين في النشوء والارتقاء وكان عليه أن يلخص في مثل هذه الموضوعات حقائقها من غير تحزب الى ماقد يكون الجمهور على خلافه

وقد يقع لهذه المجلة في بعض الاعداد ان تطرق موضوعاً تافهاً فيكون ذلك على غير قصد منها في الغالب خصوصاً ومنشئها يعني كل العناية ان لايكرر ماسبقت له الكتابة فيه والناقل قد يسهو عما نقل وشتان بين الناقل والواضع

ومن كان غرضه ارضاء قرائه كافة لابد أن يسقط ولو قليلا فيما يدعوه

الخاصة لغوا أو حشوا . ولعـل ذلك هو السبب الذي دعا منشئه ان قال يوماً لاحد كتاب المجلات انك ياهذا تملأ صحيفتك بالدسم فوق اللازم فالاشبه بك أن تضمنها ما تحمض به النفوس ليشتد بها القرم الى العلم .

وقد عتب فريق على هذه الصحيفة لتساهلها بنقل تراجم المشارقة وذكر نبذ من أعمالهم الخيرية وأرى لها بعض العذر في ذلك لأن المرء حر ان يسكت عمن لايعلم عنه ما يكفي للحكم فيه أو لا تروقه حالته ولا يسف أن يكيله المديح كيلا . فان أغفلت مثلا ترجمة جمال الدين الافغاني وحسن الطويل وحسن توفيق وأمثالهم فقد ترجمت محمدا عبده وعبد الرحمن الكواكبي وبطرس البستاني ومن ضارعهم

هذا واني استحسن طبعه ووضعه ونسقه وحسبي حجة على أدب صاحبيه وانهما أميل الى الانصاف من كثيرين من حملة الاقلام ان اذكر ما اقترحه عليّ أحدهما منذ سنين من انتقاد مجلتهما وبعـد الاعتذار أشرت بالعدول عن بعض الموضوعات المطولة المملة مثل مقالات فتح المكسيك وان تتوفر العناية بتصحيح المسودات من الاغلاط اللغوية والمطبعية لتكون صحيفتهما حجة في الادب كما هي حجة في العلم المـادي فطرحا ذاك الموضوع لقلة غنائه وانشاءآ يعنيان باصلاح الاغلاط واقاما معهما كاتباً على انشائه .

وهناك مسألة طالما خالجت فكري وذاكرت أحد صاحبيه بها الا وهي ان منشئيه لم يربيا على منهجهما العلمي ناساً يخلفانهما وما اخال ذلك الا ميسورا لهما لو صحت عزيمتهما عليه لان المدرسة التي تعلما فيها لا تزال تخرج كل سنة من لو ساعدتهم الاحوال وأخذ أرباب البصر بأيديهم لكانوا مثلهما . وما أدري لم لم تصف للمقتطف طبقة ممن ساعدوه من أول نشأته

فساروا معه الى آخر دور من أدواره فقد اتصل بعض مساعديه بأعمال اخرى فزهدوا في المثابرة على مساعدته أو سئموا ولم يثبتوا في حين أخذ المقتطف منذ بضع سنين يؤدي جوائز للكتاب كما كان يفعل صاحب الجوائب قديماً .

ومع ان للمقتطف أعواماً طويلة في خدمة القلم يحق له كما قال لي أحد رجال الأدب ممن خبروا المجلات الاميركية والانكليزية أن ينشر ولو في الاحايين موضوعات هي من بنات أفكار كاتبيه ومن ثمرات مباحثهما الخاصة شأن غيره من المجلات الكبرى في بلاد الغرب ولكن المقتطف لا يرى الا الاخذ عن الغربيين وعنده ان معظم ماهو من أصل شرقي مظنة الظنة والريبة لايعتد به في الغالب

وفي الختام أثني على هذا الكتاب العلمي الدوري بما هو أهله لانه كان خير واسطة علمية بين أفكار المغاربة والمشارقة وأرجو أن تطول أيام صاحبيه ليظلا يودعانه ماينفع طلاب الحقائق على الدهر وآمل أن يكون في اشتراك كاتبيه هذه الاعوام الطويلة أحسن معلم للمشارقة وداع لها الى الاجتماع تذرعاً الى اصلاح السعادتين

ديانة المصريين

يقول هيرودتس ان المصريين من أشد البشر تديناً ولا يعرف شعب بلغ في التقوى درجتهم فيها فان صورهم بجملتها تمثل ناساً يصلون امام رب وكتبهم على الجملة أسفار عبادة وتنسك .

الارباب المصرية رب الشمس رأس الارباب (الآلهة) عندهم وهو

الخالق المحسن العليم الكائن منـذ البدء له امرأة وابن عريقان مثله في الربوبيـة وكان المصريون يتعبدون بهذا التثليث الذي تختلف اسماؤه وان اتحدت مسمياته فكان أهل كل اقليم يسمي كلا من هذه الاسماء الثلاثة باسم يختلف عن الآخر . ففي منفيس سمي الاب فتاح والام سيخت والابن ايموتس وفي أبيدوس سموها أوزيريس ، ايزيس ، وهوروس ، وفي ثيبة عمون ، وموت ، وشونس . ثم اختار أهل كل اقليم أرباب الاقاليم الاخرى وقد يشتقون من كل رب تثليث أرباب اخرى وهكذا تعـددت الارباب وتشوش الدين

اوزريس — لهـذه الارباب تاريخ وهو تاريخ الشمس فكان هـذا الكوكب يتراءي للمصريين كما يتراءى لغالب الشعوب الاصلية انه أقدم المخلوقات وبعبارة اخرى انه من الارباب فاوزيريس أي الشمس قتلها سيت رب الليل وايزيس القمر امرأته تبكيه وتدفنه وهوروس ابنه الشمس الساطعـة يأخذ ثأره قاتلا قاتله

عمون را — هو رب ثيبة صور عندهم مجتازا السماء كل يوم في قارب وأرواح الموتى تقـذف به بمجاذيف طويلة فالرب يقف في المقـدم مستعدا لاضرب العدو برمحه . وهاك النشيد الذي كان يتغنى به تعظيما له . « السلام عليك أنت تهب محسناً أنت تهب صادقا يامولى الافقين أنت تطوف السماء من عل واعداؤك هالكون . السماء في انس والارض في فرح والارباب والناس في عيد وكلها اجتمعت لتمجد « را » يشاهدونه في قاربه وقد كسر العدى يارا هب فرعون حياة طيبة وامنحه ما يقوته من خبز ويرويه من ماء وطيب شعره وعطر اردانه . »

أرباب رأسها رأس حيوان مثل المصريون أربابهم في صورة آدمية تارة وعلى مثال البهيمة اخرى . ولكل رب حيوانه فيتجسد فتاح في الجعل . وهوروس في الباشق . وازيريس في الثور . وتختلط الصورتان طورا في انسان رأسه رأس حيوان أو في حيوان رأسه رأس انسان . وللرب عندهم ان يكون ذا أربع صور وأشكال فيكون هوروس مثلا باشقاً أو انساناً برأس باشق أو باشقاً برأس انسان

حيوانات مقدسة — لا يعلم لماذا كان يعني المصريون بهذه الاشارة من اتخاذ الحيوانات التي تشبه الارباب مقدسة مباركة مثل الثور والجعل وايبس (طائر طويل الرجل) والباشق والقط والتمساح فيتوفرون على اطعامها وحمايتها . فقد قتل أحد الرومانيين في القرن الاول قبل الميلاد قطاً في الاسكندرية فثار الشعب وقبض عليه فذبحوه رغم ارادة الملك وشفاعته فيه فعلوا ذلك على حين يرهب المصريون بأس الرومانيين كثيرا . وكان للمصريين رب يعبدونه في كل معبد . وقد قص سترابون كيفية زيارته تمساحا مقدساً في ثيبة فقال : كان هذا الحيوان رابضاً على شط غدير فاقترب منه الكهنة وتقدم اثنان منهم ففتحا فمه وجاء ثالث وحشاه حلويات وسمكة مشويا وشرابا من عسل مصفى .

الثور ابيس — اجل هذه الحيوانات المربوبة أو المؤلهة الثور ابيس فانه كان يمثل اوزيريس وفتاح معاً ويعيش في منفيس في مصلى له يخدمه الكهنة فيه حتى اذا مات هذا الثور يكون حاله حال اوزيريس (رب الشمس) فيحنط وتجعل مومياؤه في ناووس اما قبر أوساريبي فهو من المعاهد الخالية وقد فتح ماريت الفرنساوي مقبرة السرابيوم عام ١٨٥١

عبادة الموتى — عبد المصريون أيضا أرواح الموتى ويظهر انهم كانوا

يعتقدون أولا ان لكل انسان قرينا (كا) فاذا مات خلفه قرينه في حياته وهو اعتقاد اعتقده كثير من الشعوب المتوحشة وكان القبر المصري يدعى قديما « بيت القرين » وهو عبارة عن مكان منخفض مظلم كالغرفة يزين من أجل القرين بضروب الآثار من كراسي ومناضد وسرر وصناديق وأصونة واغشية وأقمشة والبسة وأدوات زينة وأسلحة ويضعون تارة مركبة حربية وما شاء لالذته من تماثيل وصور وكتب ولطعامه من بر وكل ماحلا بالعين وحلى بالفم ويضعون فيه طورا قرين الميت وهو تمثال من خشب أو حجر صنع على صورته ومثاله ثم يسور مدخل الناووس فيبقى فيه القرين ويعنى الاحياء بأمره فيجلبون له طعاما او يتوسلون الى أحد الارباب أن يرزقه طعاما على نحو ماتراه في هذا الرسم المزبور على الحجر : (قربان لازوريس ليعطي زادا من خبز وشراب وثيران وأوز ولبن وخمر وجعة ولباس وعطور وكل ماطاب وصفا الى المتوفى فلان)

حشر الارواح انشأ المصريون منذ السلالة الحادية عشرة يعتقدون ان الروح تنفصل عن الجسد وتلحق باوزيريس تحت الارض حيث تغيب الشمس كل يوم فيما يظهر . هناك يتصدر اوزيريس في محكمته وقد أحاط به أربعة وعشرون محكما فيؤتى بالروح امامهم فتحاسب عما قدمته بين يدي نجواها في الحياة فتوزن أعمالها بميزان الحق وتطلب شهادة القلب . فيهتف الميت قائلا . « ياقلب اني ورثتك عن امي منذ درجت على الارض فلا تنم علي شاهدا تجنى عليّ امام الرب المتعال » فالنفس الشريرة تعذب قرونا ثم تهلك والنفس الطيبة تطير احقابا وبعد محن كثيرة تنضم الى زمرة الارباب وتفنى فيهم

المومیات تستطيع الروح في خلال هذه الزيارة الدخول في الجسد لتستريح ولذا اقتضى أن يظل الجسد سليما . ومن أجل ذلك تعلم المصريون طريقة تحنيط الجثث فيملؤن الجثة عنبرًا و يغطسونها في مستحم من النطرون ويعصبونها بعصيبات فتصير موميـاء . هكذا توضع المومياء في تابوت من خشب أو جبس وتودع في القبر مصحوبة بما يقتضي لهـا من ضروريات الحياة

كتاب الاموات — كان يوضع بجانب المومياء كتاب صغير اسمه كتاب الموتى يذكر فيه ماينبغي للنفس أن تقوله في العالم الثاني دفاعاً عن نفسها امام محكمة أوزيريس وهو : « ماارتكبت خيانة وما عذبت أيماً وما ارتكبت محرماً ولا ألفت البطالة ولاوشيت بالعبد الى مولاه ولا حبست الخبز عن المعابد ولا سرقت عصيبات الموتى ولاطعامهم ولاطففت مكاييل الحبوب ولا صـدت الحيوانات المقدسة ولاقبضت الاسماك المقـدسة . أطعمت الجوعان وأسقيت العطشان وكسوت العريان وقدمت الضحايا للارباب وصنعت الوضائم للموتى اه » وهنا تستبان حكمة المصريين وهي الاحتفاظ بالرسوم والتكاليف واحترام ماله علاقة بالارباب وان يكون المرء مخلصاً محتشماً محسناً

الصنائع

الصناعة — المصريون أول من مارس الصنائع التي تمس حاجة الشعب المتحضر اليها فكانت الصور في القبور من عهد السلائل الاولى أي من نحو ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد تمثل ناساً يحرثون ويزرعون ويحصدون ويدرسون ويذرون الحبوب وقطعانا من ثيران وخرفانا واوزا وخنـازير

وأعيانًا حسنة ثيابهم واحتفالات وأعيادًا يحتفل فيها بضرب العيدان أي كما كانت حياة هذه الامة بعد ثلاثة آلاف سنة حذو القـذوة بالقذة · وقد عرف المصريون لذاك العهد صنع الذهب والفضة والقاز والاسلحة والحلي والزجاج والخزف والمينا ونسج الثياب من صوف وكتان وأنسجة شفافة أو موشاة بالذهب

عقود الابنية كان المصريون أقدر البنائين القدماء في العالم أقاموا المعاهد العظيمة حتى صارت كأنها خالدة بحيث لم يقو الزمن لعهدنا على تقويضها وتبديدها ولم يبنوا مثلنا بيوتًا لسكن الاحياء بل كانت مبانيهم خاصة بالارباب والموتى فيبنون لهذا الغرض المعابد والمقابر · ولم يبق من مساكنهم الارسوم محيلة أما قصور الملوك فلم تكن على قول اليونان غير خانات بالنسبة للقبور · ذلك لان المسكن يبنى ليأوي اليه الانسان في حياته والقبر يبقى خالدًا على الدهر

القبور أصل الهرم الكبير قبر ملوكي والقبور القديمة هي من هذا النوع · وترى في مصر السفلى الى اليوم اهرامًا مصطفة كالشوارع أو مبددة هنا وهناك تختلف في الكبر والصغر · ثم صارت تقام القبور تحت الارض يعمر بعضها تحت التراب وينحت الآخر من حجر الصوان « الكرانيت » في الجبال ولكل جبل قبور جديدة · وكانت مدينة الموتى أي مدافنهم على مقربة من مساكن الاحياء ولكنها أزهى وأوسع

المعابد يتطلب الارباب كذلك مساكن طيبة خالدة وتتألف معابدهم من هيكل جميل وهو مأوى الرب تكتنفه القصور والحدائق وغرف الكهنة وحاشيتهم ودروج جواهرهم وأدواتهم وملابسهم وقد صنع مجموع هذه الابنية المسورة في عصور كثيرة · فاشترك ملوك من جماع السلائل

المصرية في تشييد معبد عمون في ثيبة من السلالة الحادية عشرة الى السلالة الاخيرة ومن العادة أن يفتح في أول المعبد باب عظيم محني الجوانب وتقام على طرفيه مسلتان مبنيتان بشعاف الصخر مذهبتا الاطراف أو تمثالان من الحجر على مثال جبار جالس • وقد يوصل الى المعبد من طريق طويل نصبت في جوانبه تماثيل أبي الهول مصنوعاً من الحجر على صفين • هذه الاهرام والمحنيات والتماثيل وأبو الهول والمسلات تنبئ بما بلغه المصريون من العناية بعقود الابنية وكلها ثخينة قصيرة عميقة بحيث تبدو هذه المعاهد ضخمة لا يبليها الدهر ولا تفنيها الغير

صناعة النحت — حاكى النحاتون من المصريين الطبيعية بنقوشهم • وان الناظر ليدهش من أقدم التماثيل لما فيها من الحياة والبساطة ولاشك انها كانت صور الموتى • ومن هذا الجنس صورة ذاك العامل الجاثي المحفوظة في متحف اللوفر بفرنسا • وعلى عهد السلالة الحادية عشرة تقيد النحات بقاعدة مقررة دينية فلم يعد يمكنه تمثيل الجسم الانساني على حسب ما يظهر له وأخذت التماثيل منذ ذاك العهد تتشاكل وغدت السوق متآزية والارجل ملتفة والاذرع مشتبكة على الصدور والهيئة غير متحركة لكنها مهيبة وابداً ذات جلال ومتحدة في المنوال فانقطعت هذه الصناعة عن محاكاة الطبيعة وغدت رمزا متفقاً عليه

الرسم — استعمل المصريون أصباغاً لاتنصل بقيت باهية زاهرة بعد مضي ستة آلاف سنة عليها • على انهم لم يعرفوا غير تلوين الرسم وظلوا ولا خبرة لهم بتنويع الالوان ولا رسم الظلال والاشباح البعيدة • • كان الرسم

كما للنقش قواعد دينية مطردة فاذا عرض على صانع ان يرسم خمسين شخصاً يصورهم على هندام واحد ونظام واحد

الآداب — للمصريين آداب خاصة بهم فقد عثر في النواويس على كتب طب وسحر وزهد كما عثر على قصائد ورسائل ورحلات وروايات

مصير التمدن المصري — احتفظ المصريون بآدابهم ودينهم وصنائعهم الى ما بعد سقوط مملكتهم فخضعوا للفرس ثم لليونان ثم الرومان ولم يطرحوا شيئاً من عاداتهم القديمة ولا نسوا خطهم ومومياءهم وحيواناتهم ثم دثر التمدن المصري ببطء بين القرن الثالث والثاني ب م

النهضة الاميركية

ملخصة عن احدى المجلات الاوربية

ما برحت الافكار حيرى في تكييف حالة الولايات المتحده الاميركية وارتقائها في سلم الحضارة والعمران فقد مضت القرون ومواد ثروتها لا تنضب وأسباب عمرانها متوفرة وانقضت الاجيال والناس ينسلون اليها من كل حدب ٠ ومع ما فيها من الاختلاط والحركة لا يزال أهلها عجائب في أطوارهم كما ان بلادهم ام العجائب ٠ بلاد حوت الاضداد في الاجناس والاديان فمن المان الى هوندليين الى ايرلانديين الى بافاريين ومن كالفانيين الى كواكوز الى برسبتاريين الى بوريتانيين من شيع البرتستانت ٠ ومنهم يتألف على اختلاف الاجناس اللاتينية والسكسونية والانكليز السكسونية هذا الشعب العجيب المتناسل في تلك الاصقاع بين هاتك الآجام والغابات الكبيرة والمروج الواسعة

وأهل هذه البلاد من سكان العالم القديم نثروا في عالمهم الجديد جراثيم الترقي وأتوا تلك الديار كما قال كارلايل المؤرخ الانكليزي حاملين على قواربهم الثخينة من الرجال أمثال شكسبير وكرومفل (١) ممن كانوا أبطال انكلترا الجديدة والغوغاء الوضيع في أسبابه الرفيع بآدابه · ومن أعظم ما امتاز به هذا المزيج من الناس فكر الابداع ولم يعق تلك الامة ما عرفت به هي واصولها من حب التقليد. ففي أميركا الشمالية كل شيء ونقيضه . ففيها التمدن والتوحش .وفيها حب الفتح والتبسط في مناحي السلطة والدعوة الى السلام والاحتفاظ به .وفيها الشجاعة المفرطة والاحتيال مع الحذر . وفيها الاعجاب بالعظمة والتمدح . والميل الى العمل والعزوف عن السفاسف . وفيها التعبد بالتوراة وحرية الفكر . وترى فيها بجانب الاهوال والفظائع من صلب وضرب بالسياط جمعيات اعتدال جمعيات اعتدال عجيبة وأوضاعاً بديعة لتعليم العامة.وفي جانب المضنيات الاقتصادية الهائلة عطايا تمنح المساكين الفقراء حوت في مطاويها الابهة والتمجد .بل ترى فوق ماهناك من أعمال قاسية جافية اجراء يلتمسون من مواليهم زيادة اجورهم وأولاد أغنياء يملك آباؤهم الملايين والمليارت والدكوك والربوات ثم يروحون ويغدون في بيع الجرائد وينادون عليها باعلى أصواتهم في الشوارع ويمتهنون انفسهم باصلاح الامواق (بوياجية جزم)وبينا ترى فيها التشديد للمحافظة على الايام المخصصة رسميا

شكسبير اعظم شاعر في الفاجعات بانكلترا الف روايات كثيرة وهي من اجمل كتب الادب عندهم ١٥٦٤ــ ١٦١٦ وكرومفل حامي جمهورية انكلترا سنة ١٦٥٣ وزعيم الثورة التي هلك فيها شارل الاول مصلوبا وقد خلفه ابنه ريكاردس في اعماله وتنازل عن الامر سنة١٦٥٩ وقضى نحبه سنة١٧١٢

(٢٤)

لتمجيد المولى تعالى وتقديسه على نعمائه ترى التسامح مع المجتمعات الكافرة الشيطانية بأجمعها والترخيص لها بما تريد

ومن أعظم ما امتاز به أهل هذه البلاد الجفاء والكبرياء وحب البيضاء والصفراء فيقصد كل فرد من أهلها الى ان يكون حاكما على غيره وظالما متسلطا لايحيك فيه نصح الناصح . ولا يقنعه غير مدح المادح . قال توكفيل (١) « يظهر الاميركيون في صلاتهم مع الاجانب أنهم لايحتملون أدنى انتقاد وينهمون للمديح فيستحسنون أقل مديح دقيق وفي النادر أن يرضيهم المديح العظيم » وقال ستوارت ميل (٢) في معنى حبهم للمال : أن الاميركيين صنفان صنف يعنى بصيد الدولارات (الريالات الاميركية) وصنف يربي صيادين للدولارات . وقل في الامم من يعبد الدينار و يتعبد به مثل هولاء الاميركيين واذا رأيتهم حسبتهم لايفكرون في غير الثروة والتبجح باختزان الدرهم

ومعلوم أن المال لايحصل الا بالاكتساب والاكتساب لايكون الا بالحركة ولذلك عرف الاميركيون بالمضاء والحركة حتى قال فيلسوفهم أميرسون ونعم القول قوله : « الانكليزي أثبت الناس وقوفا على قدميه وليس هذا النوع من الرزانة في السكون غاية مايجب على المرء فاذا زاد هذا السكون في انسان فسجل بأنه أميركي » وانك متى سألت أميركياً عن صحته يجبك بانها في حركة عوضاً عن أن يقول لك انها جيدة أو أنا في راحة . وقد خصت كل بلد من بلدانهم بمزية لايضارعها فيها غيرها فامتازت

---

(١) مؤلف فرنسوي في الحقوق الشرعية وصاحب كتاب «الحكم الجمهوري في اميركا وطريقة الحكم القديمة» ١٨٠٥ ــ ١٨٥٩

(٢) هو ابن جايمس ميل الاقتصادي الفيلسوف وهو كابيه في مواهبه العامية والعملية

شيكاغو بالصناعات وفيلادلفيا بالعلميات ونيويرك بالماليات وبيتسبورغ بالمعدنيات وهناك ترى ثروات لاتحصى تجتمع وتتفرق وامجادا تعلو وتسفل وكلها سائرة نحو التقدم آخذة في سنن النماء الذي ينسب الفضل في التوفر عليه أول مرة لرجل أميركا جورج واشنطون

ولد واشنطون في مقاطعة فرجينيا سنة ١٧٣٢ ومات فيها سنة ١٧٩٩ وقد لقبه اللورد بايرون الشاعر الانكليزي « بسينسيناتوس (١) المغرب » لكثرة فضائله الشخصية . فقد كان بما خص به من قوة العقل واستقامة الارادة حكيما اكثر منه جنديا . فهو على التحقيق مؤلف قلوب أمة وقائد جماعة وزعيم عصابة . قال شاتوبريان الكاتب الافرنسي في كتابه « الرحلة الى اميركا » مانصه : »الق رائد الطرف في الغابات الغبياء التي لمع فيها سيف واشنطون تجد قبورا بل تجد عالما . فقد ترك واشنطون بلاد الولايات المتحدة غنيمة في ساحة قتاله وكان على الجملة زعيم الحاجات والافكار والمعارف والآراء في عصره قام بنصرة العقول ولم يضادها وتوخى مايقتضي ان يراد وعمل بماوسد اليه . ومن هنا جاء عمله متماسك الاجزاء ثابت الدعائم على الدهر »

فواشنطون هو الذي أوجد الاتحاد ومثل النهضة الاميركية الاولى فكان الجندي النشيط الباسل والسياسي الذي أعلى شأن بلاده في الحكم الجمهوري والتقاليد الدستورية النافعة على حين كانت تزبد كتيار يرغي بمياه

(١) هو روماني مشهور ببساطته وزهادة أخلاقه ولي أمر الرومان مرتين في القرن الخامس ق . م وقد رآه منتخبوه يوم قصدوه ليدفعوا اليه شعار رقيه الى منصب الحكم يعمل في حقله وراء نهر التيبر وهو يحرث الارض بنفسه . فضرب المثل بزهده

جديدة تجري اليه . وبينا كانت تلك الامواج المزبدة على وشك الفيضان أنشأ واشنطون يجمع شمل المروءآت المختلفة ويوجه الارادات صوب النفع ويحسن بث الاخلاق التي تسفر عن تغلب الحرية والمدنية . فقد أثبت حقوق المرء المقدسة ورغب في الأخذ بزمام مستقبل ذاك الجنس المحتفظ بالتقاليد السائر مع الزمن في تعديلها واستبدالها بأحسن منها مخافة أن يكون من وراء نشوئها السريع اضطراب هائل يستحيل غالباً الى نزع فوفاة .

وهكذا أسس واشنطون مدينته الجديدة على العدل والآداب العامة قال لماسلم القائد فورنفاليس الانكليزي : «رجائي أن تعلم هـذه الحوادث انكلترا بل تعلم الظالمين قاطبة في العالم ان أحسن طريق يقود على التحقيق الى الشرف والمجد والفضل الحقيقي هو طريق العدل ومذهب الانصاف» ولذا كان الصراط السوي الذي سلكته الولايات المتحدة في ارتقائها أن لاتتساهل بمبادئ العقل والحكمة وهما نتيجة مادة جديدة سعياً وراء مطامع هي من الجنون المطبق فالولايات المتحدة على ماذكر حرة مطلقة تفيض بالحماسة البطيئة وتنفي الفتوحات ولا ترضى لنفسها أن تكون مملكة على قدم الجهاد أبدا كمملكة قيصر أغسطس

هذا هو مبدأ واشنطون الذي سنه لأمته فلذلك جعلت الولايات المتحدة شعارها أن لاتتداخل في شؤون غيرها وان تضرب صفحاً عن الذهاب الى أوربا . ولكن جاء بعد واشنطون وبنيامين فرنكلين جايمس مونرو السياسي العظيم خامس رئيس جمهورية الولايات المتحدة وجعل شعاره «أميركا للاميركيين فيقتضي ابعاد الاوربيين عن اميركا» وهكذا كانت

مقاصد زعماء السياسه في تلك البلاد امتناع أميركا عن التداخل في شؤون اوربا حتى لاتحمل هذه بأن تجعل أميركا مستعمرة لها . وهي القاعدة التي يجب أن يجري عليها كل شعب فتي أمام الشعوب القديمة يود أن ينمو حراً على ماتقتضيه قواه ومصالحه ولم تفكر الولايات المتحدة الا في الاحتفاظ بحقوقها ومصالحها ولو أدى بها ذلك الى سلب حقوق الجمهوريات الصغيرة بالقوة أحياناً: وبالجملة فان معنى ما كان الاميركان يتطالون اليه كان محصورا في قولهم « أنا وأود أن أكون »

التفاضل بالبلاد

الف الناس التمجد بالبلاد والآباء ، والاجداد ، والمال والبنين ، عادة في البشر تكثر فيهم بكثرة الجهل وتقل بانتشار العلم ، ولقد كان لاهل هذه البلاد من هذا التمجد الباطل قسط وافر ، ساعد على انمائه في النفوس جهل بعض ولاة الامر السالفين ، واتخاذ هذه الاضاليل حجة على من يريدون مناوأته وارجاعه الى الطاعة . ولطالما خطب الحجاج في أهل العراق ووصفهم بقوله أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الاخلاق وأطلق عليهم من قبله ومن بعده من أمراء ذاك القطر مثل تلك الصفات وما كانت هذه المعاملة لاهل العراق الا سياسية ولو كانت أخلاقهم كذلك وكان فيمن ولي رقابهم علم وشفقة لسعى السعي الحثيث الى نزعها منهم بحكم العادة والأسوة والقدوة ولعل هذه الدعوة كانت جملة فلسفة أولئك الحكام وبيت قصيد حملهم على رقاب الناس وكان من أهل الشام ان وسمهم أعداؤهم بكل كبيرة والصقوا فيهم باطل التهمات . وهكذا الحال بين الشام والحجاز والشام والعراق فان معظم

المؤرخين والمؤلفين نبغوا في العراق فأكثروا في مصنفاتهم من الاحاديث الموضوعة على أهل الشام لقلة من كتب من هؤلاء ودافع عنهم . ومثل ذلك قل في المغرب مع مصر ومصر مع الشام وفارس مع الهند وكلها في الحقيقة سفاسف لا تساوي درهما عند المحققين . وما البلاد في أمر الافضلية الا سواء لا يفضل شرق عن غرب ولا جنوب عن شمال الا بالعلم النافع والادب الرافع والعمران والسعادة . ولذا ضل رأي من وضعوا من المتأخرين كتباً خاصة في فضائل بلد أو قطر . وأضل منهم من وضعوا أحاديث مكذوبة على الرسول صلى الله عليه وسلم في تفضيل مدينة أو بلد كما ضل من وضعوا الموضوعات طعناً على فئة خالفت على ما هم عليه.

وبعد فالارض كلها سواء في هوائها ومائها دحاها الله ليعيش فيها البشر ويتنقلوا في أقطارها وقد لا تختلف الاقطار المتنائية في قوة الانبات الا قليلا فليس من العقل ان تمدح بلد لجبل فيها ، أو سهل فسيح حواليها ، أو نهر كبير يمر في وسطها ، ولا ان تذم أخرى لحرارتها ، أو لضيق حاراتها وجاداتها فكانت مصر ولا تزال مثلا منذ ألوف من السنين طريدة من الارض عرفت بخصبها وغناها الطبيعي وكانت الشام ولا تزال منذ ألوف من الاعوام مشهورة باختلاف أهويتها . ورقة نسيمها ، وتنوع جبالها وأوديتها ، فما عد ذلك فضيلة للاولى على الثانية ولا للثانية على الاولى . بل حسب لهاذلك خاصية يمتاز بها كلا القطرين بعضهما عن بعض . وقد أنصفهما في الوصف أحد عمال الدولة وقد سئل عنهما فقال : مصر مزرعة ممرعة والشام مصيف بهيج

ان كان ما تفاخر به البلاد بعضها بعضا هـذا اذا سوغنا التفاخر فبالعلم

والتربية وغلبة الفضيلة والخير على طبقات الناس كلها لا بالماء والهواء والواحات والجبال والاودية والاشجار والاثمار وكل ما وزعته الطبيعة بين بلدان العالم فنال كل منها بحسب حالته . دخل ابوالحكم المغربي الاندلسي الحكيم المرسي مدينة دمشق فلما حل ظاهرها سير غلاماً له يبتاع لهما ما يأكلانه في يومهما واصحبه نزرا يكفي رجلين فعاد الغلام ومعه شواء ، وفاكهة وحلواء ، وفقاع وثلج ، فنظر ابو الحكم الى ماجاء به وقال له عند استكثاره اوجدت احدا من معارفنا فقال لا وانما ابتعت هذا بما كان معي وبقيت منه هذه البقية فقال ابو الحكم هذا بلد لايحل لذي عقل ان يتعداه ودخل وارتاد منزلا وسكنه وفتح دكان عطار يبيع به ويطب واقام على ذلك الى ان وافاه اجله .

ومثل ذلك ماوقع للملك المعظم شمس الدين توران شاه اخو السلطان صلاح الدين يوسف لما تمهدت له بلاد اليمن واستقامت امورها مل المقام بها وحن الى الشام وفيها نشأ واشتاق الى خيراتها والتمتع بثمراتها اذ ان اليمن مجدبة من ذلك . قال ابن خلكان فكتب الى اخيه صلاح الدين يستقيل منها ويسأله الاذن له في العود الى الشام ويشكوحاله ومايقاسيه من عدم المرافق التي يحتاج اليها فارسل صلاح الدين رسولا مضمون رسالته ترغيبه في الاقامة وانها كثيرة الاموال ومملكة كبيرة فلما سمع الرسالة قال لمتولي خزانته : احضر لنا الف دينار فاحضرها فقال الاستاذ داره والرسول حاضر عنده : ارسل هذا الكيس الى السوق يشترون لنا بما فيه قطعة ثلج فقال استاذ الدار يامولانا هذه بلاد اليمن من اين يكون فيها ثلج . فقال : دعهم يشترون بها طبق مشمش لوزي . فقال : أين يوجد هذا النوع ههنا فجعل

يعد عليه جميع أنواع فواكه دمشق واستاذ الدار يظهر تعجبه من كلامه وكلما قال له عن نوع يقول له: يامولانا من أين يوجد هذا ههنا فلما استوفى الكلام الى آخره قال للرسول : ليت شعري ماذا اصنع بهذه الاموال اذا لم انتفع بها في ملاذي وشهواتي فان المال لا يؤكل بعينه بل الفائدة فيه انه يتوصل به الانسان الى بلوغ أغراضه

واعمري هل يصح ان تجعل أمثال هذه القصص حجة في أفضلية دمشق على غيرها من امهات المدن حيث المعيشة غالية وهل هذا الرخص مما ينبغي ان يفاخر به وأهل الاقتصاد في عصرنا يجعلونه اذا استحكم من بلد شؤماً عليه ويعدون البلد كل البلد الذي غلت فيه أسعار الحاجيات والكماليات وارتفعت الاجور والارتفاعات على نسبتها . والامثلة على ذلك كثيرة فانه يبلغنا لهذا العهد عن بلاد الاناضول وهبوط أسعار المأكولات فيها لقلة مايصدر عنها مالا يكاد يصدق لولا تواتره على السن الطارئين على ذلك الصقع فهل تفضل السكنى فيه على الروم ايلي المرتفعة أسعار الارزاق فيه . وبعد فان كان لافضل لعربي على عجمي الا بالتقوى فلا فضل لبلد على اخرى الا بالعلم والعمل والسعادة الحقيقية

الاقتصاد

لبول لروابوليو الاقتصادي الفرنسوي

في الانسان كما في سائر أنواع الحيوان سائق طبيعي يدعوه أبداً الى السعي وراء مايحفظ حياته ويطيل حبل أجله . فحب الحياة أمر فطري ولذلك احتاج الانسان حرصاً على بقائه الى طعام يقوته ولباس يدفع عنه عوادي الحر والقر ومسكن يأوي اليه وغير ذلك

كان الانسان أول أمره قليل الحاجات جداً وذلك أيام كان يهيم في الغابات والآجام ويقتات من الثمار الطبيعية او مما يصيده من الحيوانات والطيور والاسماك ويكتسي من جلود هذه الحيوانات ويأوي الى المغاور والكهوف وأصول الاشجار الضخمة والادواح الباسقة

أما الآن فما أكثر حاجات الانسان ! فان تقدم المدنية ونمو العمران أحدثا أشياء كثيرة أصبحت اليوم من ضروريات الحياة . فبعد أن كان الانسان في أدواره الاولى لا يعاني كبير أمر في سد حاجاته غدا الآن مقيداً ينوء تحت أعباء الحياة ومطالبها وليس في حاجاته مايسهل نيله سوى استنشاق الهواء وشرب الماء وما خلا ذلك فمحتاج الى فرط كد وعناء . تنوعت المآكل والملابس وتغيرت المساكن وتزايد حب الزينة والظهور في مظاهر الأبهة والتفخل وعظم الميل الى التلذذ بامور مادية ومعنوية وأدبية على ضروب شتى لا يحصرها حد ولا يحصيها عد

وبديهي ان الرجل في المجتمع الانساني لا يستطيع نيل مطالبه العديدة الا بسعي خاص لحصولها أو بدفع ما يقابلها من المال الذي هو ثمرة عمله

أو ثمرة عمل سابق أتى به من قبله . وكيف كان الحال فالحصول على المطالب لا يمكن الا من طريق السعي والعمل . ومهما اختلفت أعمال البشر وتنوعت فانها ترمي الى غاية واحدة وهي سد مطالب الحياة. وقد حقق أهل الاخصاء في هذا الشأن ان الاعمال المشار اليها خاضعة لقوانين عامة . فكما ان الأجسام وقوانين الاجسام تابعة لقوانين عامة مقررة في العلم الطبيعي فكذلك مساعي الانسان المصروفة في تقاضي الاشياء النافعة له خاضعة لقوانين عامة . وهذه القوانين هي موضوع علم الاقتصاد ولذا قال في تعريف هذا العلم إنه علم تعرف به القوانين العامة التي تبين مبلغ تأثير مساعي الانسان في الحصول على المواد المختلفة والانتفاع بها مما لم تمنحه الطبيعة عفواً. ويمكن إرجاع هذه القوانين الى أصل واحد وهو ان كل انسان يجتهد لنيل قدر وافر من المنافع مقابل قليل من السعي وسر ذلك ان الانسان ميال بالطبع الى الراحة والكسل ولولا دافع حب الحياة وطول البقاء لما أجهد نفسه في شيء من أمر معاشه وعند ما يبتغي شيئاً من المواد النافعة للقيام بحاجاته مباشرة أو بالواسطة فانه يبحث عن الطرق التي تقلل من تعبه وتوفر له النفع والفائدة

واذا أمعنا النظر في هذا الاصل نراه منبعثاً من عاطفة «حب الذات» المنطوية في جوانح كل إنسان . وهذه العاطفة هي ولا جرم أعظم العواطف عملا وأشدها تأثيراً . فهي المحرك الاكبر في غالب الاعمال ، والباعث الاقوى في أكثر المشاريع ، والمؤثر الاعظم في جل الامور ان لم نقل في كلها . ولهذه العاطفة المكانة العليا في الاقتصاد والاثراء وتوفر الرفاهية وتقدم الحضارة .

ظن بعضهم أن عاطفة النفع الذاتي هي الأنانية بعينها المضادة لحب خير الغير فحكموا بوجوب عدم الالتفات لتلك العاطفة جرياً على ما تقتضيه قواعد الاخلاق. ولا شك ان الأنانية من الرذائل التي يجب على كل حال اجتنابها ولكن عاطفة حب الذات والنفع الشخصي هما غير الانانية وبينهما بون شاسع.

فالأنانية ان يضع الانسان نفسه مكاناً علياً وينزل غيره في دركات الانحطاط فيرى احتقار الغير والازدراء به أمراً طبيعياً ويرى نفسه خليقة بالتجلة والتعظيم دون سواها. فينشد المنافع والملاذ من أي طريقة كانت مشروعة أو غير مشروعة اضرت بغيره او لم تضر. ومن تستحكم فيه هذه الخصلة يكون قلبه كالحجارة او أشد قسوة وطبعه شر الطباع لا تثنيه شفقة، ولا تعطفه رحمة، ولا تستميله مروءة ولا نخوة.

أما عاطفة النفع الشخصي فهي شعور يدفع الانسان الى استجلاب النفع لذاته من طرقه المشروعة بدون ان يلحق ضرراً بغيره ويرق لمصاب سائر الناس في غالب الاحيان ويتصدق من ثمرة مساعيه بما تهديه اليه نفسه. ولا يتجرد امروء في العالم عن هذه العاطفة لانها من نتائج حب الحياة الطبيعية. غير ان تقدير النفع الشخصي يختلف باختلاف الاشخاص والازمان والامزجة والمحيط والفكر والتربية وغير ذلك. ومن زهدوا في الدنيا واختاروا عيش التقشف في صوامع التعبد فانهم لم يريدوا بذلك الا تحصيل نفع أعظم ونيل لذة أسمى من منافع الدنيا وملاذها. وما صلاتهم وصيامهم الا رجاء الخلاص من العذاب الاليم وامل الحصول على لذة النعيم الابدي الذي وعد به المتقون. ولا ينافي حب النفع الذاتي حب الخير للغير وقد

يشترك الاثنان في معظم الأحايين. ودليل ذلك ان الانسان أكثر مايفكر في مصالح عياله ورفاهيتهم وضمان مستقبلهم. والاسرة منشأ القومية فمن أحب نفسه حباً خالصاً أحب عياله وأسرته ومن أحب عياله حباً شريفاً أحب مواطنيه وقومه. ولذلك كان حب الذات عاطفة شريفة تنافي الانانية بتاتاً.

والانسان مدفوع بهذا العامل لتقاضي حاجياته. والحاجيات من أهم المباحث التي يدور عليها علم الاقتصاد. وهي كما هو معلوم كثيرة متنوعة جداً تزداد بارتقاء الحضارة وتقدم العمران حتى ان بعضهم حد الحضارة ببلوغ الحاجات درجة الكمال ولعل كثيراً من الناس يتساءلون: هل تقليل الحاجات أنفع للمجتمع الانساني أم تكثيرها؟

قال أحد الفلاسفة القدماء: اذا أردت أن تكون ذا ثروة وغنى فقلل من حاجاتك ومطالبك بدلا من أن تسعى في تزيد أموالك. وقال أرسطو: ما أقل القدر الذي يكفي لعيش الانسان عيشة راضية. وقامت طائفة من الحكماء في هذا العصر باحياء معالم الحكمة القديمة فاتخذت هذه الاقوال دليلا مهماً وصارت تحث على الزهد والقناعة وجعلت تبدي أفكاراً كلها خيال في خيال واليك جملة من أقوالها:

ما كانت حياة العظام الذين قاموا بامر الانسانية والفضيلة مثل المسيح وبوذا وزردشت وسبينوزا حياة سعيدة الا لانهم كانوا زاهدين قنوعين يحيون حياة روحية فهؤلاء ولامراء خلقاء بان يتخذوا مثالا حقيقياً للاقتصاد

يقول بوليو:

انني لا أخشى من التصريح بان هذه الافكار الخيالية ليست على شيء من الاهمية في نظر العلم والمدنية. نعم ان من مقتضى قواعد الاخلاق ان

نجعل نصب أعيننا مثال المسيح وبوذا وغيرهما من الزهاد المتقشفين كي يعدل فينا حب الثروة المفرط ويعرف الفقراء الذين خانتهم الحيل وأعوزتهم الوسائل ان سعادة الدنيا لا تتوقف على الثروة والمال بل قد يمكن للمرء ان يعيش مع الفقر عيشة طيبة اذا رضي وقنع . بيد أنه لا يتأتى للبشر كافة أن يعيشوا مثل المسيح وبوذا ولو فعلوا ذلك لما تيسر الوصول الى هذه الدرجة السامية من الرقي والحضارة — انتهى بتصرف يسير

دمشق عبد الوهاب . ا

أدعياء العرفان

ماساءني من زماني إلا بنوه واهله
فلا ترى من بنيه إلاّ الذي ساء فعله
ومدعي العلم إفكاً كأنما العلم جهله
وقائل إن فضلي وفرٌ ولم يبد فضله
وزاعم ان موت الـ ـعافين لاشاه بذله
وحاكم وهو يتلو أنا الذي عمّ عدله
وفاخر في مزايا يمتاز فيهن أصله
وقائل إن شعري حزن الكلام وسهله
وذو اليراع ينادي أنا الذي ليس مثله
اذا هززت يراعي ريع الشآم واهله
وذو التنفج يهذي ان السماكين نعله (١)

(١) ذو التنفج: المفتخر بما ليس عنده

حيبات قوم مناهم غدر الجواد وحمله (١)
ودأبهم في البرايا غش اللبيب وختله (٢)
فما أشد افتئات الا (م) نسان ان ضل عقله (٣)
وما أضر افتحار الـ مرء الذي ساء فعله (٤)

القاهرة حسين وصفي رضا

ريح سموم (٥)

وبربك القيوم ، ماالذي تظنه يدوم ، صوت سمعته في الكروم ، وقد مرت عليها ريح سموم ، فجفت الارض وعادت جزرة كثيرة الكلوم ، وسقطت الجفان عن فسائلها ، وفزعت أوراقها الى الغيوم ، صوت صارخ من وراء النجوم ، ماالذي تظنه يدوم؟

من صروح زاهية فخيمة ، من رياض زاهرة كريمة ، من بروج شاهقة عظيمة ، من معامل حديثة أو قديمة ، ماالذي تظنه يدوم.

من أسراب منورة تحت الانهار ، من ارتال فيها تدفعها الكهربائية او يجرها البخار ، من بوارج ماخرات في البحار ، من أساطيل تنذر بالدمار ، من معالم في الامصار والاقطار ، ما الذي تظنه يدوم

(١) الحيبات واحدها حيبة : الحالات . حمله : خيانته ومنه في القرآن « فأبين ان يحملنها » أي يخنها . (٢) ختله : خداعه عن غفلة . (٣) الافتئات هو الابتداع . (٤) الافتحار : اتيان المرء بالكلام من عند نفسه

(٥) هذا الاسلوب في الانشاء العربي غير مألوف عندنا وهو مشهور عند الافرنج بالشعر المنثور أي صوغ المعاني الشعرية في القوالب النثرية وكاتب هذه الرسالة هو على ما نعلم أول من ابتدع هذه الطريقة في العربية كما أخذ ينقل الى الانكليزية المعاني العربية فيما ينشره من آدابها على نحو مافعل في نقل رباعيات أبي العلاء المعري وغيرها

من انفاق تحت الاديم ملؤها عجاجة ، تنفثها وتثيرها القطر الولاجة، من قباب بين السحاب وهاجة،من جسور فوق المياه جسيمة ، من متاحف في عواصم العالم فخيمة ، ماالذي تظنه يدوم .

من سدود محكمة منيعة ، من خلج كونتها الطبيعة ،من ترع تؤلف بين البحار ، وتجمع بين بعيدالمطارح وشاسع الديار،من خطوط حديدية تطوق الارض، من اسلاك برقية تطوي المسافة في الطول والعرض، ماالذي تظنـه يدوم .

من أبنية ذات الطبقات العشرين ، من أحياء في المدن الكبرى يأوي اليها المساكين،من معابد وبيـع لاأثر فيها للدين، من أصقاع لاصوت فيها للصالحين ، ماالذي تظنه يدوم.

من قصور مكتنفة برياض خضراء ، من صروح الكبراء والامراء، من بيوت الرؤساء والاغنياء ، من اكواخ البؤساء والفقراء ، ماالذي تظنه يدوم.

من شرائع ودساتير ونظامات ، من تقاليد وعوائد وخرافات ، من اديان وعقائد وخزعبلات ، من دول وممالك وحكومات، من احزاب وطوائف وجماعات ، ماالذي تظنه يدوم .

صوت صارخ من وراء الغيوم ، صوت ريح سموم،أي شيء يدوم .

مهلاً مهلاً ان هذه كلهاالصالحة في ذاتها ، ان هذه كلها لحسنة في وقتها، لكل شيء من العز والمجد أركان، لكل شيء من ابناء البطر والاشر اعوان، لكل شيء برهة من دهره الوسنان، ساعة أو عام أو حين من الزمان ، الطويل من الدهر والقصير سيان ، ولكن قل لي بربك القيوم

مبدع الشمس والنجوم ، أتظنها الى الابد تدوم *

الى حين ياأخي الى حين ، إي ورب العالمين الى حين ، وبعد فقل لي هل انت من الممترين . أم انت من المفندين السائلين .

أما في زمانك تأملت المغاور في الصخور ، فاذكر ان الامطار والرياح تكونها ، والامطار والرياح تهدمها ، ان كل صالح مقبول حتى يظهر على ميدان العالم قائم على المظالم البشرية ، او مناضل عن الحقيقة الاخوية ، اوباذل مهجته في سبيل الانسانية ، ان كل شيء في مركزه حريز حصين ، الى ان يزلزله رجل حصيف رشيد ، أو امرأة صالحة ذات رأي سديد ، فيعلو اذ ذاك صوت المطالب بحقوق المستضعفين المستذلين ، ويلحق الجبارون بالاخسرين ، أبد الآبدين ودهر الداهرين .

وبعد ان تلاشت ريح السموم فوق الجبال ، تلاها نسيم لطيف الاعتلال ، فدخلت معه غابة من الصنوبر كثيفة الظلال وسمعت من خلال الاغصان ، صوت المحبة والمعروف والحنان ، سمعت صوتا يقول ورب الاكوان ، لا يدوم الا الاحسان والعرفان ، لا يدوم الا السجايا الروحية الفريدة ، سجايا النفس البشرية الخالدة ، لا تدوم الا آثار النهضات الجليلة ، ومآثر الانفس السامية النبيلة ، وما اسخف الجدل الوهمي امام مشروع جليل ، وما اوهن التعاليم الوضعية في وجه خطب جسيم ، وماأوهى الاقوال والآراء اذا قوبلت بنظرة من رجل عظيم ، أو صادفت نفحة من نفحات حكيم ، وعند ما يرفع مثل هذا رأسه وصوته ولا فرق عندي رجلا كان أو امرأة يقف دولاب الاعمال ، ولا يبقى شيء على حال ، عندئذ يبطل الجدال ، وتنكسر شوكة المال ، وتحشر الرجال ، وتكبر الآمال ، يومئذ تنقلب المجتمعات ، وترتعد فرائص الطغاة الجفاة ، عندئذ تتغير العادات

وتهب على الارض الذاريات السافيات ، فيسأل السائل من وراء النجوم اين مالكم ونفوذكم ، أين تقاليدكم وعقائدكم ، أين شرائعكم ودساتيركم ، أين حصونكم وصروحكم . أين مصانعكم ومعاهدكم ، أين زخرفكم وسفاسفكم . فقل انهي الابرهة من الدهر الوسنان ، ساعة أو عام أو قرن من الزمان ، قل وبرب الاكوان ، لابقاء لما سوى آثار الجد والعرفان ، والمعروف والحب والاحسان ، فهي هي الجبال الراسيات ، وهي هي الحصون الواقيات ، وهي هي الباقيات الصالحات . بلى ورب السماء والنجوم ، لن تدوم إلا آثار النفوس الطاهرة ووجه ربك الحي القيوم

لبنان   أمين ريحاني

ظلم مصر

ماذا جنيت وما جناه بنوك
أظلمتهم يامصر أم ظلموك
وبسمت للغرب العبوس واهله
ومنحتهم فوق الذى منحوك
وعبست في وجه الشآم وانما
قطر الشآم وإن عبست أخوك

***

كم وارث غض الشباب رميته (١)
بغرام راقصة وحب هلوك
البسته الثوبين في حاليهما (٢)
تيه الغني وذلة المفلوك

القاهرة حافظ ابراهيم

مصر ومستقبل افريقية

مقتضب من كتاب تحرير مصر

لاينكر أحد ان اتعاب المرسلين المسيحيين في افريقية قد ذهبت أدراج الرياح وان اهل افريقية لايزالون كلهم وثنيين عباد أصنام . وانا لانرى في أواسط افريقية وشمالها ديناً مستحكماً غير الدين المحمدي . وكأن الاسلام فاز حيث خابت النصرانية لان في الاسلام مايجذب الافريقي مما لا يوجد في النصرانية . وهنا نذكر أوربا وهي التي لم تر نور النصرانية الا بعد ان اقتبست المدنية اليونانية الرومانية

نقول ذلك ولعل الافريقي لايزال عاجزاً عن الاخذ بالمسيحية لانه لم يستعد لها كل الاستعداد . وبعد فلا يخفى انه لم تسكن افريقية أمة أوربية سوى البوير فهي الامة الوحيدة التي تمكنت من العيش في جو افريقية وهوائها ولكنها على قدرتها وذكائها لم تفلح في مصادمة الوطنيين ولم تخضع منهم أحداً لدينها ولا لمدنيتها ذلك لان المدنية الغربية لاتدخل الا في مكان دخلته المسيحية . ولا حاجة ان نقول هنا بان شعوب افريقية لم تتعلم من أزوبا شيئاً استفادت به أو ساعدها على التقدم في طريق المدنية على ان البيض لم يشدوا رحالهم الى افريقية الا ليغنموا أو يربحوا فهم اذا نزحوا عن مستعمراتهم تركوها خلية خاوية وغادروا الدار تنعي من بناها

---

(١) الضمير راجع للازبكية « نقطة دائرة القاهرة » وما حوت حواليها من الموبقات والمهلكات . وهلوك كصبور الفاجرة المتساقطة على الرجال (٢) المفلوك البائس وهي مولدة وفي التركية فلاكت المصيبة

وما ذلك الا لان بين الوطني والاجنبي حاجزاً منيعاً لايمكن جوازه . ولا شك في ان هذا البغض والنفور السائدين بين الوطنيين والاجانب يؤديان أخيراً الى انقراض سكان افريقية الاصليين واستئصال شأفتهم لامحالة .

وان الانسانية في أوربا لترجو ان لاتعيد في افريقية تمثيل الرواية المحزنة التي مثلتها في أميركا . فان تاريخ استعمار العالم الجديد يحرج صدر الحليم ويسيل مدامع اجمد الناس عيناً ويلين فؤاد أقسى البشر قلباً . ولقد فشلت أوربا في أميركا فشلها في افريقية لانها لم تستطع الوقوف على اخلاق شعب الهنود الحمر وعاداته وديانته وصفاته . أضف الى ذلك ان الاوربيين لم يحاولوا تغيير دين اهل أميركا الاصليين أو ادخال أقل اصلاح على حالهم . ولا ندري اذا كانوا ينجحون لو حاولوا ادخال النصرانية أم لا . ولكن مانعلمه هو انهم لم يحاولوا ذلك بل جاء الرجل الابيض وازاح بيده القوية كل مايتمثل امامه وتناول سيفه وذبح هنود الشمال والجنوب والشرق والغرب حتى أصبحت قارة أميركا بحراً من الدم الطاهر البريء . فكأن الرجل الابيض يفرح لرؤية الدم ويطرب لازهاق النفوس . ولما كان هؤلاء الوطنيون المساكين يخضعون للذل ويستسلمون للاوربيين كانت تصيبهم أمراض أوربا فيموتون كانهم فروا من الموت الى الردى .

رفع المستعمرون اوالطواريء الاوربيون علماً كتبوا عليه « لارحمة عندنا ومن يقف في طريقنا فليس له الا الموت الاحمر » وآ اسفي لقد نجحت اوربا في ابادة ذلك الشعب الهندي الكريم فلاترى منه الآن الا افراداً قلائل يراهم الناس كما يرون النوادر والغرائب . وقد شمل الخوف وتمكن الجبن من بعض القبائل المنحطة ففرت الى جنوب اميركا لاجئة الى حراجها وغاباتها كما يلجأ الوحش الطريد . وان قلبنا ليخفق عندما يخطر ببالنا ان ماتم في اميركا يتم في افريقية سيما ونحن نرى ماترى بين البيض والسود في تلك القارة من البغض والنفور . وما الداعي اليهما الا ان المستعمر الابيض عاجز عن فهم طبيعة الوطني الاسود فيعوقه جهله بطبيعته عن منحه نعمة المسيحية والمدنية . واي دليل اصدق من قولنا ان نصف سكان جنوبي افريقية فنوا او نزحوا عن أرضهم . ويليق بأوربا المتمدنة ان يصبغ الخجل وجهها الف مرة كلما سمعت الاخبار المعيبة والقصص الشائنة التي ينقلها البريد في كل يوم من اواسط افريقية .

عندما يصل الاوربي الى تلك البلاد ينسى نفسه ويسقط سقوطاً معيباً . فيحيا الحيوان القذر الساكن في جسمه وتموت عواطف العفة والشرف فيه كلها فلا ينظر الى الوطنيين الا نظراً شهوانياً محضاً ولا يعتبرهم الا وسائل لتنفيذ اغراضه السافلة

واطفاء نارشهوته الحيوانية . ان امثال تلك الاخبار لا تنقطع عن اوربا اسبوعاً واحداً وكثيراً ماتزيد ذنوب احد هؤلاء المتمدنين المتوحشين نيسأل عن أمره ويحا كم ولا تحمل الصحف وصف الجرائم التي ارتكبها والذنوب التي اقترفها الا وترتجف أوربا كلها من ذلك !

على ان لدينا في شمال افريقية مثلا واضحاً كل الوضوح يدل على عجز الاوربي عن ابتلاع الوطني أو جلبه الى حظيرة المدنية الاوربية فان الفرنسويين على ماهم عليه من الصفات التي تفردوا بها دون غيرهم خابوا في الجزائر كما خاب غيرهم في غيرها . وانقضت ثماني عشرة سنة والفرنسويون يجردون الحملات ويعبأون الجنود ويحشدون الجيوش حتى انتصروا على عرب الجزائر وقد مضى عليهم سبعون سنة في البلاد ولا يزال العرب يكرهونهم وينتظرون فرصة تمكنهم من خلع نير فرنسا عن بلادهم . ولطالما حاولت فرنسا بث النصرانية ففشلت فشلا قبيحاً . فاذا اصر العرب على البقاء على دينهم ورفضوا المدنية المسيحية فانهم لا محالة يبيدون .

وحيث نظرنا في افريقية فانا نرى مستقبل اهليها اسود قاتم اذ لا نرى في أوربا لافريقية املا . وليس امامنا الا وسيلة واحدة وهي ان تهب قوة اسلامية وتختلط بتلك الشعوب فتستطيع بدينها ان تصل الى اعماق قلوب الوطنيين وبذلك يمكن منحهم مدنية ان لم تكن احسن مدنية فانها بلا ريب تجهزهم الى ماهو ارقى منها من المدنيات ولا نرى مدنية قادرة على القيام بذلك العمل الجليل الا مصر بعد تحريرها !

عمران سيلان

جزيرة سيلان معروفة في هذا القطر كثيراً وهي في جنوب الهند وسكانها نحو ثلاثة ملايين وقد بحث احد علماء الفرنسيس فيما بلغته من الارتقاء في العهد الأخير فقال: لم يكد يتم فتح الجزيرة حتى اخذ الانكليز يدخلون اليها نظاماً استعمارياً جزيل الفائدة فمن أهم الاصلاحات السياسية والاجتماعية التي قامت على عهدهم ابطال التعذيب والعقوبات البربرية واقامة مجالس الشيوخ والغاء الرقيق والاعمال الشاقة والغاء التمييز بين طبقات المذاهب في الشؤون القضائية واقامة مجلس تشريعي مؤلف من أعضاء رسميين ونشر حرية المطبوعات والغاء احتكار زراعة القرفة وتأسيس صندوق للتوفير والعناية باعمال من شأنها تسهيل سقيا الاراضي واقامة الطرق والسكك الحديدية وانشاء

بريد منظم وادارة برق وادارات عامة أخرى وتعديل القوانين المتعلقة بزواج الوطنيات وتحسين أحوال البيوت والأسر ونشر صحف باللغتين السنغالية والتاملية

وقد ضوعفت الطرق والجسور وأنشئت السكك الحديدية التي تسهل المواصلات وتعود على السكان برفاهية العيش وتحمل التمدن الى شعوب داخلية البلاد وتقلل عدد الهالكين بالقحط وتقضي على أوهام طبقات الامة · قال والسكك الحديدية من الادوات النافعة في انجاح الشعوب الشرقية · ولقد تنقل سكك سيلان كل سنة نحو مليون ونصف من المسافرين من أبناء البلاد أي أكثر من العدد التي كانت تستطيع عجلات البقر القديمة ان تنقله في قرن واحد · وكانت طرق المواصلات من قبل مقصورة على بعض قنوات بناها الهولانديون ايام استيلائهم على تلك الجزيرة في العمارات البحرية من الشط الغربي في الجزيرة · ولما حل الانكليز فيها لم يكن بها طرق معبدة مطروقة في انحاء الجزيرة كلها أما اليوم فانها غاصة بخطوط الطرق العجيبة . ومن اعجب ما في العالم السكة الحديدية التي تربط الساحل بجبال الداخلية ·

وقد ارتقت سيلان منذ سنة ١٨٦٥ ارتقاء كان من نتائجه ان استطاعت القيام بجميع نفقاتها العسكرية بذاتها ولم تعد عبئاً ثقيلا على مركز ادارة البلاد وهي تؤدي اليوم للحكومة ١٦٠ الف جنيه مساناة للانفاق على الحامية · أما انتشار المعارف في سيلان فيفوق انتشاره في سائر اصقاع الهند فقد اقامت الحكومة مدارس وطنية في كل بلد وقرية وعدد التلامذة اليوم واحد من عشرة من الصبيان الذين بلغوا سن الدراسة على انك تكاد لا تحصي تلميذاً واحداً في كل مئة ولد في الهند · قال ومن العجيب ان تكون سيلان جزءاً من الهند ويكون نصيبها من تعميم التعليم اكثر من نصيب الهند وحبذا لو صرف الانكليز والحكومة المصرية العناية بتعميم التعليم في مصر كما هو في سيلان

الذهب والفضة

بلغ البحث والاستقراء بارباب الاحصاءآت ان صاروا يقدرون في بلاد الغرب كل دقيق وجليل من أحوال الاجتماع حتى انك لو سألت بعضهم كم بيضة تأكل المملكة الفلانية في السنة لاجابك على سؤالك ولذلك لانعجب اذا رأيناهم يحصون مااستخرج من الذهب والفضة . يقولون انه لما نفد الذهب من أوربا في القرن السادس قام القوم يفتشون في مطاوي الارض على الافلاذ وفي معادنها على الركاز وهذا القول مما لايعتد به كثيراً عند أرباب التحقيق والذي تبين لديهم ان الخمسين سنة الاخيرة كان لها النصيب الاوفر من استخراج هذين الحجرين وخصوصاً السنين الخمس المتأخرة فقد استخرج من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٠٤ زهاء ١٣ مليار فرنك من فضة وذهب سبعة منها ذهب والباقي فضة . وقد زاد استخراج الذهب في الاربع عشرة سنة الاخيرة فبعد ان كان سنة ١٨٧٠ ستمائة مليون ارتقى في السنة الماضية الى مليار وثمانمائة وثلاثة عشر مليوناً من الفرنكات

أما الفضة فعلى رخص أسعارها لم ينزل المستخرج منها كثيراً فقد كان سنة ١٨٩٠ ـ ٦٧٦ مليوناً فصار سنة ٩٠٤ ـ ٥٢٣ مليوناً هذا مع ان الريال مثلا قد نزلت قيمته الحقيقية وهو معدن وما زال يساوي اكثر في العرف . وهكذا القول في معدني النيكل والنحاس فان الناس يثقون بالحكومة بأخذها على علاتها وقلما ينظرون الى المعدن وحقيقة قيمته .

هذا ماكان من أمر المستخرجات أما المضروبات فالخطب في احصائها اسهل من ذلك فقد ضرب سنة ١٨٩٠ ـ ٧٧٢ مليون فرنك ذهباً فبلغ المضروب سنة ٩٠٤ ـ ٢٠٩٥٠٠٠٠٠٠ فرنك أي انه تضاعف وزاد على مااستخرج وذلك كل مايضرب من النقود على اختلاف معادنها يضرب بعضه من سبائك أذيبت وحلي بطلت . وكما أخذت سبائك ودفعت الى دور الضرب لتجعل سكة يتعامل بها فقد أخذ من الذهب سنة ١٩٠٣ للاستعمال والزينة ٤٩٠ مليوناً ومن الفضة ٣٤٥ مليون فرنك وكان للولايات المتحدة القسم الاعظم من استعمال هذين المعدنين ثم انكلترا ثم فرنسا ثم سائر الممالك وسببه الغنى والترف وكلما غنيت أمة زاد ميلها الى اقتناء الاواني الذهبية والفضية والحلي وضروب الزينة . هذا ماتبين للاحصائيين وهو أصح احصاء حديث عندهم وهو يعطي فكراً اجمالياً للمطالع لاقضية ثابتة وعدداً محدداً لايزاد فيه ولاينقص منه

اصل الآريين

بينا كنت اطالع مقالة « البشر والشعوب » في مقتبس الجزء الثاني وصلت الى ذكر أصل الآريين صفحة ٧٠ وهو قولكم (معرباً عن الافرنسية) « وآريهم من وراء جبال حملايا » فخطر في بالي كلام بشأن الآريين ومنشأ لسانهم كنت سمعته في السنة الماضية من الاستاذ فرنكلن جدنغ استاذ علم الاجتماع في جامعة كولمبيا في مدينة نيويورك واحد الثقات في هذا العلم . وهو الرأي الاخير في منشأ الآرية على ماقرره علماء الاجتماع وهاءنذا ذاكره لكم

قال الاستاذ المذكور في عرض خطابه عن الآريين : انه لايحق للأمم الآرية ان تفتخر على غيرها وتباهي بأصلها وفصلها زاعمة ان أصلها ممتاز على غيره اذ ليس ثم على التحقيق من شعوب آرية يرجعون في أصلهم الى جنس واحد (على حد ماجاء في المقتبس صفحة ٧١) وكل ماهنالك من آرية الذين نعدهم في مصاف الآريين انما هو اشتراكهم في بعض الامور العقلية ورجوع لغاتهم الى أصل واحد . فالآرية مطلقاً ليست جنسية انما هي نوع من التهذيب (CULTURE) اقتبسه هؤلاء الشعوب بعضهم من بعض .

ومنشأ هذه الآرية مختلف فيه فقد قال بعضهم انه في الهند لرجوع اللغات الآرية الى السنسكريت (لغة الهنود القدماء) وقال آخرون انه في لثوانية (الجنوب الغربي من روسيا) لان أقدم أصول اللغة الآرية هي أقرب للغة اللثوانية منها للسنسكريت . على انهم بعد ما بالغوا في التنقيب وغربلوا الدلائل قالوا ان غور الدانيوب هو منشأ التهذيب الآري ومنه تشعب الى الجهات الاربع فامتد جنوباً الى بلاد اليونان فآسيا الصغرى ثم غرباً الى ايطاليا واسبانيا وغاليا وغيرها وشمالا الى جنوبي روسيا وشمالي جبال القوقاس ثم عبر فرع بحر الخزر « قزبين » الى أعالي بلاد فارس الى الهند وكل من احكم درس فنون الهنود وآدابهم يرد كثيراً من مبادئها الى مصادر فارسية . هذا هو الرأي الاخير في منشأ الآرية وله مقدمات ومستندات طويلة لامحل لبسطها الآن وهو أفضل رأي يعلل به نشوء الآرية وكيفية انتشارها على ماقيل . والله اعلم .

عن المدرسة الكلية في بيروت بولس الخولي

مطبوعات ومخطوطات

تحرير مصر

أحسن مايقال في تقريظ هذا الكتاب الذي عربه عن الانكليزية الكاتب البارع محمد لطفي افندي جمعة أحد منشئي الظاهر ماقالته جريدة الطان الافرنسية في وصف مؤلفه من انه هو المؤلف الذي خلص من أوهام محيطه وجنسه وما الخلاص منهما بالامر السهل في الغالب . وقد بحث فيه بحث المتجرد عن الغرض في تاريخ مصر واعمال فرنسا ثم بريطانيا فيها وما تم على يد رجالهما من اعمال العمران ورأى ان تنجلي بريطانيا عن القطر لانه اصبح من الممالك الحية . وقد جاء التعريب رشيق الاسلوب فصيح التعابير على نحو ماينتظر من أديب مجتهد متفان في خدمة أمته . فنثني على الكاتب حريته وعلى الناقل غيرته . ونتمنى ان يكثر امثال هذا في الكاتبين المجتهدين والمعربين المجيدين . وقيمة الكتاب عشرة قروش اميرية وهي زهيدة في جانب جودة طبعه ووضعه

آفات المدنية الحاضرة

للكاتب المجيد جرجي أفندي نقولا باز من ناشئة بيروت ولع شديد بخدمة الآداب وتحسين ملكات الاخلاق والمجتمعات عرف له ذلك مما وازر به الصحف والمجلات العربية . وقد اتحفنا هذه المرة بكتابه الأخير آفات المدنية الحاضرة تكلم فيه على ماعهد فيه كلام من برئت نفسه من الاغراض ولم يحرص الا على الدعوة الى الفضائل ورفع الستار عما موه به وجه هذه المدنية من انشر الباطل والعلاء الزائل فافصح كل الافصاح في كلامه على المقامرة والمعاقرة والمخاصرة وعلى غيرها من الرذائل وعساه يزيدنا من البحث في هذا الموضوع المفيد في رسائل خاصة أو في الصحف فانه أبن بجدته وأبو عذرته

عين بعين

امتاز الاديب البارع نقولا افندي حداد بانه يتشبع من الموضوعات التي يجول فيها ولذلك كتبت له الاجادة في اكثر ما كتب من الرسائل والمقالات . وامامنا الآن روايته الاخيرة عين بعين زبدتها تغلب الخير على الشر ولو في الآخر وفيها عبرة للاشرار وسلوة للاخيار فنحث على اقتنائها

مجلة جمعية الملاجيء العباسية

ومكارم الاخلاق الاسلامية . وهي مجلة دينية علمية أدبية تهذيبية صدرت هذا الشهر بالاسكندرية لسنتها السادسة وقد غيرت شكلها واسمها وعهدت الى نخبة من العلماء والكتاب بانشائها فجاءت وفي مطاويها عدة مقالات منها مقالة مفيدة في الانسان والحياة دل كاتبها على انه واقف على روح الاسلام وان الاسلام وسط لا يأمر بالزهادة المضرة كما هو عند الهنود وغيرهم من الفرق التي دخلت الاسلام ولا بالاسترسال في الشهوات على ما هو مذهب ابيكورس الفيلسوف اليوناني وقال ان المسلمين اليوم استبدلوا الانغماس في الشهوات بزهد تلك الفئات وفيها مقالة في العادات المستهجنة وغير ذلك وقيمة اشتراك المجلة ٣٠ قرشاً أميرياً في القطر و١٠ فرنكات في الخارج يسقط نصفها لتلامذة المدارس وطلبة العلم ولا شك ان القائمين باعبائها يستحقون من الله المثوبة والاجر ومن الناس الثناء والشكر

المصوَّر

اسم جريدة أدبية فكاهية اخبارية مصورة يصدرها مرة في الاسبوع الكاتب البارع خليل افندي زينية وهو صاحب كتاب التربية وممن عانوا صناعة الانشاء زمناً وذاقوا من الصحافة حلوها ومرها وعرفوا خلها وخمرها وهي على مثال جريدة البتي جرنال الافرنسية بل نسخة من نسخها في أوضاع عربية وأساليب باعثة على المطالعة وقد كان أصدرها مدة منذ أربع سنين ثم عاود اصدارها الآن في الاسكندرية فنرجو لها الاقبال الذي تستحقه وقيمة اشتراكها ٦٥ قرشاً ولمشتركي الاهرام الاغر ٤٠ قرشاً

الرسائل الفاتحية

هي مختارات من رسائل فاتح أفندي المبراوي الحابي الى مراد أفندي الشطي الدمشقي جمعها الاديب محمد جميل أفندي الشطي فجاءت في زهاء أربعين صحيفة . وطريقة الكاتبين في النثر طريقة التسجيع وفي الرسائل شعر كثير . فنثني على الجامع لها ونرجو له الثبات في خطته الادبية ونستمطر الرحمة على الكاتبين المفننين اللذين قصفت المنية غصني شبابهما وكان يرجى أن يكونا بدرين كاملين

سير العلم

حمام الزاجل

هو الحمام الذي طالما استعمل في الحروب وارسال الاخبار آونة الحصار وغيره وقد كان ناجحاً أيام لم يكن أسلاك برقية ولا تلغراف بلا سلك أما اليوم فيستعمل في أوربا وأميركا كما يستعمل في الصين واليابان. وكانت حكومات العرب مولعة بتعهده وتربيته وحصلت منه على فوائد في الحروب كثيرة ولا سيما في حروب الاندلس وحروب الصليبيين. وما برح العلماء من الافرنج يبحثون في سبب اتجاه هذا الحمام نحو الوجهة التي يراد على الاتجاه اليها وقد قدم في هذا الشهر أحد علماء فينا الى المجمع العلمي النمسوي بحثاً ارتأى فيه ان الحمام يقود بعضه بعضاً لمعرفة الطرق بحدة حاسة النظر واستحضار الذهن وحفظ الاماكن التي طافها من قبل فالنظر والذاكرة هما اللذان ينفعان الحمام في غدوه ورواحه وسينفع هذا الرأي في الحكم على حيوانات أخرى

القيام والقعود

اختلفت الآراء في كيفية تعاطي الاعمال ولاسيما الكتابية منها فقال قوم بأن المراوحة في العمل والاستراحة في الاحايين يعوض الجسم ما يخسره من القعود والانكباب على ما يتعاطاه وقال فريق غير ذلك وارتأى بعضهم ان الكتابة والمرء واقف خير من الكتابة وهو جالس وقد قدم أحد علماء فرنسا الى مجمع علم الحياة الباريزي رأيه الخاص في هذا المعنى فقال: اذا انتصب المرء قائماً يجيد عمله بحضور ذهن ولكن ذلك لا يدوم كثيراً حتى يناله التعب بسرعة أما العمل والمرء جالس فيوفر على المرء الاجهاد والتعب ويزيد مجموع النتيجة

الانباء بالزلازل

هذا من العلوم التي وضعت حديثاً واسمها بالافرنجية (سيسموميتري) وقد أدخل عليه في العهد الاخير من الاصلاحات ما يستطاع به بعد الآن الوقوف على الهزات الارضية. ثبت ذلك بالبرهان في العام الماضي في زلزال الشمال الغربي من الهند وكذلك في مرصد الزلازل الياباني حيث تمكن العلماء هناك من متابعة المجرى الذي انبعث من الهند واجتاز المحيط الباسيفيكي وأميركا وأوربا بعد ان جاز الخافقين من أطراف الكرة في ساعتين وثلاث دقائق وخمس وثلاثين ثانية

اكتشاف أثر

اكتشف احد علماء الآثار من الطليان في القرنة بالاقصر من صعيد مصر لحد ٠ خ ٠ رئيس المهندسين وزوجه من السلالة العشرين في تابوت مموه بالذهب ومعهما كتاب وآنية نبيذ وطول الناووس ١٤ متراً وطول اللحد ٢٠ وعثر في اللحد على أدوات كتابية في صندوق من موسى ودواة وقدوم ومقطع وغيرها واثاث بيت من مثل سريرين وفراش وقدارات وصوان فيه حلي وسوط وغير ذلك ٠

المجلات الافرنجية والعربية

الابحاث العلمية

في مجلة انكليزية بحث في أن اميركا هي التي ينبغي لها ان تعنى بمسألة تبادل الابحاث العلميـــة من دعوة اساتذة الكليات وجميع المجدين في البحث والتجارب العلمية على انحائها وبذلك تفتح طرقاً جديدة للارتقاء وتخدم الانسانية اجل خدمة ٠ ولم يقصر الكاتب بحثه على الأمور النظرية بل تعداها الى العملية فقال : ان ذلك يتأتى بتوحيد الادارة ولا تأتي نتيجه ذلك في يوم بل يقتضي لها زمن والذي يهم ان لا يرأس كل فرع من الابحاث رجل مقتدر بل ان يرأسه اقدر رجل شاباً كان أو شيخاً ويمـد باسباب العمل اي بالادوات وبخزانة كتب

الحسر

في مجلة المانية مقال في الحسر أو قصر البصر ذكر فيهـا كاتبهـا تأثير الدرس وسني الدراسة في الحسر فقال ان في مدرسة فيها من التـلامذة ٢٠٧ يكون معدل الحسر بين الكسالى ٢٧ في المئة وبين المجتهدين ٣١ في المئة وفي أولاد القرى ٢١ في المئة حسر وفي أولاد العملة ٢٦ وفي المتعلمين بعض تعليم ٥١ في المئة وان الحسر آخذ في الازدياد بين البشر وقد ارتقى في بعض المدارس منذ بضع سنين من ٢٧ الى ٩١ في المئة بين الصبيان ومن ٣٨ الى ٩١ في المئة بين البنات و ٥٦ في المئة وبحساب آخر ٥١ في المئة من الحسر يكون آباؤهم حسراً ٠ أما الحسر فليس فيـه تأثير كبير وقد ينفع في الكبر ويأتي صاحبه بنتائج حسنة ٠

اليابان والانكليز واليهود

في مجلة افرنسية مقالة بان بعض سكان الامة اليابانية القدماء يشبهون سكان الانكليز وان اصل بعض سكان يابان من جزائر ماليزيا جاءوها طواريء وان اليابانيين يشبهون في صورهم وسحناتهم الاسرائيليين كما ان الانكليز من نسل الاسرائيليين ايضاً . وقد قال نخبة من رجال اليابان المنورين بأن اليهود الذين خرجوا من الباب الشرقي من بابل انتهى بهم السير الى يابان ومثل الكاتب صور اليهود في سيرهم الى تلك البلاد القاصية فكانت مظلاتهم وعصيهم وراياتهم تشبه ماعند اليابان اليوم منها وان ابناء اسرائيل ساروا في بلوغهم أرض يابان طريق البحر والبر واستخدموا المركبات وان في بلاد يابان اثراً أعظمها للوصايا العشر وبعض القوانين الدينية المعروفة عند اسرائيل وان قصة ملكة سبأ التي اغوت سليمان على مافي التوراة مشهورة جداً بين بعض طوائفهم وان فيها آثار الحية النحاس التي شاهدها موسى في مصر فان اتحد اليابان والانكليز فاتحادهم اتحاد بين اسرائيل ويهوذا

المسكرات

في احدى المجلات العلمية بحث مستفيض في صحة النفس جاء فيه ان تكوين الاخلاق مهم كالعناية بصحة الجسد وان المسكرات من اعظم مايحول دون تربية الارادة وانشاء الملكات الحسنة في الاعمال .

فرعون جديد

كتب المسيو ماسبرو شيخ علماء الآثار المصرية مقالة تحت هذا العنوان في مجلة مصر والشرق الفرنسية جاء فيها : ان الفراعنة كثيرون كما سجلت أسماؤهم بالدستات والعشرات ظهر الى عالم الوجود غيرها وهذا الفرعون الجديد من السلائل الأخيرة التي حكمت مصر اخيراً وهي ممن نقرأ تاريخها فيما كتبه اليونان المعاصرون واسمه بساميتيك بن نايث ظهر في الصعيد بين خرائب صفون وقد قام ازاء منارة هذه القرية بقايا بناء بازر من الارض وساقان من حجر رملي طولهما نحو متر وطول هذا البناء من الشرق الى الغرب أربعة أمتار وقد تهدم طرفاه ولكن وجه حجر البناء باق بحاله وهناك صورة ملك يعبد جالساً امام رب ووراءه الاهة واقفة وقد تهدمت رؤوس هذه الهياكل وما احاط بها من الخطوط ولم يقرأ منها الا خط هيروغليفي واحد ذكر فيه ان الملك بساميتيك بن نايث ما ناخابراي هو الذي شاد هذا المعبد بحجر أبيض جيد متين ليبقى

على النهر . وحجارة هذا المعبد كانت بحائط مصلى أشبه بالمعابد التي اقامتها كاهنات عمون في ثيبة . ويظن ان هذا الملك من البطالسة المتأخرين ورعاوردعهده الى اربعمائة سـنة او الى مئتي سنة أو مئة سنة ق . م وكان هو الرابع المدعو بهذا الاسم والذي اغتنم فرصة انتقاض الفتى كورش صاحب فارس ليـكون مستقلا بالفرس والظاهر ان يساميتيك اسمه العلم ومانا خابراي اسمه الحقيقي ويغلب على الظن انه من الســلالة الحادية والعشرين .

النيل الازرق

المشرق — في مقالة اكتشاف اليسوعيين للنيل الازرق ان القدماء منذ قرون عديدة يبحثون عن منشأ النيل وعن مخرج ينابيعه وانجلى ذلك كل الجلاء باكتشاف اصل النيل المعروف بالابيض من بحيرتي فكتوريانيانزا والبار عند خط الاستواء وفي هذا النيل الابيض يصب قرب الخرطوم النيل الازرق المدعو ببحر الغزال وكان أصله مجهولا فوفق الى اكتشافه احد الآباء اليسوعيين الاب دايز الذي ارسل الى الحبشة ليدعو اهلها الى الكثلكة وكان ذلك في القرن السابع عشر وبعد وفاته بنحو ١٥٠ سنة قدم الحبشة جمس بروس من أعيان الانكليز وادعى انه هو الذي اكتشف ينابيع النيل الازرق الذي دعاه سفر التكوين بنهر جيحون ويدعوه الحبشان اباوي اي النهر الكبير . ومما قاله ذاك اليسوعي ان النيل عند خروجه من بحيرة باد اغزر منه عنـد انصبابه فيها وهو مع كثرة مياهه يتسع اتساعاً بالغاً حتى ان المشاة في فصل الصيف يمكنهم قطعه وقال انه أتيح له ان يشاهدما تاق الى رؤيته كبار الرجال والفاتحين ككورش وكمبيسس واسكندر ذي القرنين ويوليوس قيصر

مالية مصر

المقتطف — زادت واردات القطر المصري اكثر من مليون جنيه سنة ١٩٠٥ عن التي قبلها فكانت ٠٧٦ ، ٥٦٤٤ ، ٢٠٦ جنيهاً وبلغت قيمة الصادرات ٢٠٣٦٠٢٨٥ وكانت في السنة التي قبلها ٢٠٨١١٠٤٠ فنقصت نحو نصف مليون جنيه . وقدر ديون الاهالي بأربعين مليون جنيه أي أنها زادت كثيراً ولا يخرج من رباها الى خارج القطر اكثر من مليون ونصف في السنة . وينفق السياح في القطار مسانا نحو مليون جنيـه . فنقصت من ثم ثروة مصر في العام الماضي اكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات عمـا كانت عليه سنة ١٩٠٤ . ورد ما يعترض به بعضهم ويستدلون به على غنى القطر من

ان ثمن الفدان كان منذ بضع سنين نحو عشرين جنيهاً وهو يساوي الآن ستين جنيهاً على الاقل اي أن ثمن اطيان القطر المصري كان مئة مليون جنيه فصار الآن ثلثمائة مليون جنيه فقال ان دخل اطيان القطر كان يطعم ويكسو عشرة ملايين من النفوس من غير أن يستدينوا غرشاً من الخارج فهل يطعم ويكسو الآن ثلاثين مليوناً من النفوس من غير دين؟ وكانت زيادة الواردات في العام الماضي في ثمن الحبوب والدقيق والنقص في أثمان القطن ولا يتلافى ذلك الا بتعميم الري الصيفي واحياء الارض الموات حتى يزرع القطن في مليوني فدان على الاقل بدلا من زرعه في مليون ونصف وان يعنى بتسميده وخدمته حتى ينبت القطر من عشرة ملايين الى اثني عشر مليون قنطار . ورأى ان لايستند القطر الى زراعته فقط وان يعنى ولاة الامر فيه بايجاد موارد صناعية له حفظاً لثروته .

النوم

المقتطف — عرب عن مجلة العلم العام الاميركية مقالة في النوم جاء فيها : ان أفضل ضجعة للنوم اقلها مساساً بعمل الاعضاء الرئيسة كالقلب والرئتين والكبد والمعدة والشرايين الكبيرة وهي ما مال الجسم فيها على البطن قليلاً كما تفعل ذوات الاربع . وليكن الرأس على مساواة القدمين في الارتفاع ما أمكن والذراعان والساقان بحيث لا تضغط الاعصاب والاوعية الدموية . أما النوم على الظهر فلا يستصوب لكي لا يقع الضغط مدة طويلة على الانسجة المجاورة للعمود الفقري التي تستمد اعصابها منه فيوقع الخلل والاضطراب في الاعصاب التي تحرك الاوعية الدموية . ثم ان البطن يضغط الاوعية الدموية الكبيرة فيختل سير الدم فيه أيضاً . وعليه فلا يجوز الاستلقاء على الظهر مدة قصيرة . ويجب ان تكون حرارة الاطراف مثل حرارة سائر الجسم عند النوم لانه اذا كانت القدمان باردتين تأخر النوم وكان خفيفاً . ومن الجهل ان تملأ المعدة طعاماً قبل النوم فان ذلك يقلق النائم ويؤرقه مثل الجوع ولكن أكل شيء قليل قبيل النوم ليس مضراً بل مفيد على الغالب

وأفضل النوم ما كان ليلا وما كان منتظماً ومتواصلا غير متقطع على ان من الناس من ينام نوماً متقطعاً غير منتظم سواء في الليل أو في النهار ولا يناله اذى من ذلك كالمرضعات والممرضات والبحارة وكذلك من يشتغلون اشغالا عقلية تقتضي حصر انتباههم في موضوع واحد كالاطباء والمحامين وغيرهم . واتفق الناس على ان النوم

البا كر والنهوض الباكر من دعائم الصحة وان الجسم احوج الى النوم شتاء منه اليه صيفاً ولكن الاختلاف كثير على فتح النوافذ أو اغلاقها مدة النوم في المدن الكبيرة و لقرى الحقيرة وبين الاغنياء والفقراء على السواء على ان مما لاريب فيه ان النوم والشبابيك مفتوحة بحيث لايتعرض النائم لجرى الهواء أفضل للصحة واحفظ واذا زادت حموضة المعدة قبل النوم أو أرق النائم فعليه باستعمال قليل من كربونات الصودا او مسحوق فحم الحطب •

إطالة القامة

طبيب العائلة — الالعاب الرياضية كلعب الكرة والتمرين العضلي على اشكاله مفيدة ونافعة جداً ومن نشأ على تلك الالعاب لابد ان يكون أطول قامة متى صار رجلا. ذكر الاستاذ مكارن ان الرياضة ليست نافعة لاطالة القامة فقط بل مفيدة جداً في تناسب الاعضاء ولولاها لزال الجمال والرونق . ويزداد النمو بازدياد الصحة ويقل بسبب المرض والسكنى في الارياف أصح منها في المدن وعلى جودة الصحة يتوقف النمو وطول القامة والشغل المعتدل يزيد القامة والعمل الشاق يقلل نموها والنمو في الصيف يكون على أتمه

كيف نأكل

طبيب العائلة — بحث في تفضيل البقول وغيرها من الاطعمة على اللحوم والفول والفاصوليا والعدس والحمص وفيها من الازوت والكربون مايفوق كثيراً الكمية الموجودة في أحسن أصناف اللحوم ولا ينبغي ان تغلى الخضر الطرية بالماء الكثير لئلا تفقد مافيها من الاملاح والمواد الازوتية ويسلق البيض سلقاً خفيفاً وصفار البيض والنخاع والمحار تحتوي عناصر فسفاتية تفيد كثيراً في أحوال التعب الدماغي أو التعب العصبي والسلق والهليون يفيدان المصابين بفقر الدم والانيميا والتدبير الغذائي النباتي يمتاز على التدبير الغذائي الحيواني بكمية الازوت اللازمة لقوام الانسجة وبالكربون الذي يحفظ الحرارة الحيوانية وهو يوافق جميع الامزجة ويلطف الاخلاق

نصيحة حكيم

كتب الينا شيخ من شيوخ العلم وحكماء الاسلام بالنصائح الثلاث الآتية

الاولى ـ ان لا تلتفت الى شغب المشاغبين ولا تكترث بهم وان جلوا فان الحكيم من يسعى الى إتمام المقصد وأقل ما يستفيد المشاغبون إضاعة وقت من اكترث بهم وان قلّ فالوقت ثمين . بل اقبل على شانك واعرف مقتضى زمانك

الثانية -- لا يمنعنك تنكيت المنكتين والمبكتين من تنبيهك على غلط فرط منك فيما سلف فكلما عثرت على شيء من ذلك في عدد فنبه عليه فيما يلي فان ذلك أقرب الى الاعتماد على ما تكتب وأكثر العلماء الذين انتفع الناس بكتبهم كانوا على هذه الطريقة ولم يتنكبها الا الحشوية(١) ومن نحا نحوهم

الثالثة — اعرض عمن يبحث عن تفضيل بلدة على بلدة ونحو ذلك فان مثل هذا من مباحث الحشوية وقد سألني منذ أيام أحد السياح عن حد المصري والسوري فقلت له المصري من ينفع مصر والسوري من ينفع سورية وكل من نفع بلدة فهو منها طبعاً فالمصري الذي ينفع سورية مصري سوري والسوري الذي ينفع مصر سوري مصري ومن لا نفع لديه لكلتيهما فهو ليس بمصري ولا سوري وقد انتبهت أمريكا لهذه الحكمة الكبرى فجعلت كل من نفع أمريكا نفعاً ما أمريكيا فنجحت

---

(١) «المقتبس» الحشوية فرقة يضعون من العقل مارفع الله من شانه ولا يلتفتون الى برهانه وهم بمنزلة السوفسطائية عند الحكماء . قال بعض علماء الكلام ان هذه الفرقة وجدت في زمن الحسن البصري وكانوا يجلسون في حلقته امامه فلما وجد في كلامهم حشواً قال ردوا هؤلاء الى حشى الحلقة أي جانبها فسماهم الناس حشوية لذلك والاظهر انهم منسوبون الى الحشو بمعنى العامة يقال فلان من حشو الناس أي عامتهم أو الى الحشو وهو الكلام الذي لافائدة فيه لوجود الحشو في كلامهم - الجواهر

المقتبس

غرة جمادى الاولى سنة ١٣٢٤

صدور المشارقة والمغاربة

القاضي الفاضل

ولد سنة ٥٢٩ وتوفي سنة ٥٩٦

هذا هو الرجل الذي قال فيه عبد اللطيف البغدادي أحد فلاسفة الاسلام : دخلنا عليه فرأيت شيخاً ضئيلا كله رأس وقلب وهو يكتب ويملي على اثنين ووجهه وشفتاه تلعب الوان الحركات لقوة حرصه في إخراج الكلام وكأنه يكتب بجملة أعضائه ... وسألني مسائل كثيرة ومع هذا فلا يقطع الكتابة والاملاء

هو عبد الرحيم بن علي البيساني نسبة لبيسان احدى بلاد فلسطين الملقب بالقاضي الفاضل. قيل ان سبب تعلمه الانشاء ماروي له من انه قال: كان فن الكتابة بمصر في زمن الدولة العلوية غضاً طرياً وكان لا يخلو ديوان المكاتبات من رأس يرأس مكانا وبيانا، ويقيم لسلطانه بقلمه سلطانا،

وكان من العادة أن كلا من أرباب الدواوين اذا نشأ له ولد وشدا شيئاً من علم الأدب أحضره الى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويسمع أشياء من علم الادب . قال: فارسلني والدي وكان اذ ذاك قاضياً بثغر عسقلان الى الديار المصرية في أيام الحافظ وهو أحد خلفائها وأمرني بالمصير الى ديوان المكاتبات وكان الذي يترأس به في تلك الأيام رجل يقال له ابن الخلال . فلما حضرت الى الديوان ومثلت بين يديه وعرفته من أنا وما طلبتي رحب بي وسهل . ثم قال لي: ماالذي أعددت لفن الكتابة من الآلات فقلت ليس عندي شيء سوى اني أحفظ القرآن الكريم وكتاب الحماسة . فقال: في هذا بلاغ . ثم أمرني بملازمته فلما ترددت اليه ، وتدربت بين يديه أمرني: بعد ذلك ان أحل شعر الحماسة فحللته من أوله الى آخره ثم أمرني ان أحله مرة ثانية فحللته اه .

وصف العماد الكاتب من كتاب الدولة الصلاحية المترجم به على طريقته في الكتابة فقال : رب القلم والبيان ، واللسن واللسان ، والقريحة الوقادة ، والبصيرة النقادة ، والبديهة المعجزة ، والبديعة المطرزة : والفضل الذي ماسمع في الاوائل ، ممن لو عاش في زمانه لتعلق بغباره ، أو جرى في مضماره ، فهو كالشريعة المحمدية التي نسخت الشرائع ، ورسخت بها الصنائع ، يخترع الافكار ، ويفترع الابكار ، ويطلع الانوار ، ويبدع الازهار ، وهو ضابط الملك بآرائه ، رابط السلك بلألائه ، ان شاء انشأ في يوم واحد بل في ساعة واحدة مالو دون لكان لاهل الصناعة ، خير بضاعة ، اين قس عند فصاحته ، وابن قيس في مقام حصافته ، ومن حاتم وعمرو في سماحته ، وحماسته اه

طريقة القاضي الفاضل هي كطريقة العماد الكاتب في الاسجاع

المنمقة المحبرة ولقد استحكمت هذه الطريقة في القاضي حتى صار يكتب فيها كأنها فيه طبع لامسحة عليها من التكلف والتعمل . وهي الطريقة التي نقلها العماد الكاتب الاصفهاني عن الفارسية في الغالب ولم تكن شائعة بالعربية في بلاد الشرق وقد برز فيها صاحب الترجمة حتى فاق المتقدمين . قال ابن خلكان : أخبرني أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره ان مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات في الاوراق اذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد وهو مجيد في أكثرها .

وكثيراً ما يقع للفاضل عبارات تكاد تكون من دلائل الاعجاز على بيانه، ومن أسرار البلاغة التي يسمو بها على أقرانه . مثل قوله في صفة قلعة شاهقة ويقال انها قلعة كوكب: وهذه القلعة عقاب في عقاب، ونجم في سحاب، وهامة لها الغمامة ، عمامة ، وانملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامة .

ولقد نال القاضي الفاضل الحظوة من صلاح الدين يوسف بن أيوب بانشائه حتى انه لم يكن وزير الانشاء عنده بل مدبر أمور مملكته وله من الدالة ما للولد على الوالد أو الوالد على الولد حتى استشاره السلطان يوماً في الحج فلم يسمح له وقال له ان رفع مظلمة عن أهل وادي الزبداني أفضل من الحج الى بيت الله الحرام على ماجاء في كتاب الروضتين في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية . وفي هذا التاريخ من أحواله وانموذجات من إنشائه تدل على ماله من المنزلة السامية في قلب السلطان صلاح الدين والمكانة من تدبير أمور مملكته ودولته .

وكان القاضي يعمل الخيرات ولم تشغله مصالح الدولة عن النظر فيها واقامة معالمها وحبس الاوقاف على وجوهها النافعة واكرام العلماء والادباء

قصاده من أقطار البلاد الاسلامية في عصره. كل هذا وكان في وقته متسع لطلب العلم ومذاكرة أهله وخطب ودهم وقربهم. وناهيك باشغال تقتضيها أمور الدولة على ذاك العهد المحفوف بالمخاوف والفتن .

واستمرت حال القاضي على ما كانت عليه زمن الملك الناصر صلاح الدين عند ولده الملك العزيز وكان يميل اليه في حياة أبيه . ولما توفي العزيز قام ولده الملك المنصور بالملك بتدبير عمه الملك الافضل نور الدين وتوفي أول دخول الملك العادل أبو بكر بن أيوب الى الديار المصرية وقد نال بصناعة الانشاء ما عز نيله على المحدثين والقدماء ولسان حاله ينشد لابن مكنسة الاسكندري وكثيراً ما كان يرددهما

واذا السعادة لاحظتك عيونها   نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهي حبائل   واقتد بها الجوزاء فهي عنان

النهضة الاميركية

قال أحدهم « إن مبدأ حماية التجارة الحديث أي حصر المباراة الأجنبية وتنشيط التجارة الداخلية وجعلها حرة ما أمكن كان صفة من الصفات اللازمة لسياسة الرجال الذين قاموا في عصر مونرو بتأسيس الممالك. وهذه الحماية الحديثة هي في الاكثر من عمل الاميركيين » فأراد زعماء الامة عملا بمبدإ مونرو ان يدفعوا عن أميركا فساد المفسدين كما هو الحال في حماية ولدقاصر تنثني قدماه لاقل صلابة تلقيانها في الأرض ويطبق أجفانه بما يتخطف بصره من نور الشمس المشرقة. وإذ رأى مونرو بلاده قاصرة وذات منعة وقوة طمح الى ضمان هذه القوة فيها ليكون لسان حال كل أميركي بعد يخاطب به الاوربي : إني ذاهب الى بلادك لانك في حاجة اليّ ولكن لا تجيء اليّ اذ ليست حاجتي ماسة اليك

وجاء بعد مونرو من دعم مبدأه في حماية التجارة ومن قال بحريتها المطلقة مثل الاقتصادي هنري كاري . بيد انهم عادوا جملة الى رأي مونرو ووجدوا فيه سلامة تلك الامة وقالوا ان الحماية معقولة وهي القاعدة العامة التي تقوم عليها الممالك المتمدنة ثم جرت حرب من أجل حماية التجارة بين سكان الشمال والجنوب كان داعيها وضع الضرائب على القطن والتبغ وهما من المواد الاساسية في الصادرات . والتقى الحزبان بالسلاح فغلب أهل الشمال أهل الجنوب فتقوي عندئذ مبدأ حماية التجارة وصارت من العناصر الحيوية للامة حتى اذا كانت سنة ١٨٩٠ صدر منشور ماكنلي في هذا المعنى والدعوة الى الاحتفاظ به ولم يعف في منشوره من الضرائب الباهظة الا واردات بعض المواد الاولية والغلات مثل السكر وارهق بالضرائب الصوف

الخشن وأنواع الحرير والحديد والفولاذ وغزل القطن والقطنية والمنسوجات المختلفة والخمور والكحول والاعمال الصناعية . فتضررت من ذلك كل من المانيا وانكلترا وفرنسا . ثم جعلت الحماية سنة ١٨٩٧ من ٥٥ الى ٦٠ في المئة من ثمن الحاصلات وعقدوا بعض معاهدات تجارية مع بعض الدول ظل فيها حق حماية تجارة الاميركان سالماً لم يمس بسوء واحتفظ الاميركي بالدفاع عن حماه من انهيال الواردات الاجنبية عليه كما خاف على سلامة بلاده من غارة الجماعات المهاجرة الى بلاده

ومذ ثبتت قدم الحرية في أميركا سنة ١٨٢٠ قذفت اوربا الى العالم الجديد بسيل من البشر من طليان والمان وسلافيين وبولونيين وبوهيميين وانكليز واسكندنافيين وفرنسويين وصينيين . فهاجر الى بلاد الدولار منذ سنة ١٨٢٠ الى سنة ١٨٧٠ زهاء سبعة ملايين ونصف من الخلق . وكان الصيني أكثر المهاجرين امتصاصاً لمادة البلاد . والصينيون يهاجرون وتبقى قلوبهم معلقة ببلادهم ومساقط رؤوسهم ولا تزال تحدثهم نفوسهم في غربتهم بالعودة الى ربوعهم حتى انهم ليضنون بجثث موتاهم عن أن تدفن في أرض الغربة فهم أشبه بطيور تمر بناحية وهي مفترسة شرسة فلا تعتم ان ترجع ادراجها وتروح الى أوكارها القديمة حاملة في مخالبها فريسة وقنيصة . فقد قدر أن ما بعث به الصينيون المقيمون في الولايات المتحدة منذ سنة ١٨٥٣ الى سنة ١٨٧٨ بلغ مئة وثمانين مليون دولار كانت معظمها من ولاية كاليفورنيا وبلغ من إعناتهم اهل تلك البلاد ان قامت الفتنة عليهم سنة ١٨٧٩ . ومع هذا دامت مهاجرة الصينيين متواصلة . وسنة ١٨٨٨ حظرت الولايات المتحدة دخول الصينيين البلاد الى مدة عشرين سنة ولم ينفذ هذا القانون حق التنفيذ رغم العناية بتأكيده

وما برحت الولايات المتحدة تشدد في نزول فقراء المهاجرين بلادها حتى قضت في العهد الاخير ان لا تقبل الفقير المعوز ولا المريض العاجز مالم يقدم الداخل ضمانة مالية أو يؤكد بان لديه مبلغاً من المال ويفحص فحصاً طبياً دقيقاً. فمن ثم باتت البلاد في مأمن من حيث الامور الاقتصادية لا تضاهيها في ذلك مملكة في الارض . قال باتان أحد أساتذة مدرسة فيلادلفيا الجامعة : تحتاج الامم القوية أن تدفع عنها عوادي الامم الضعيفة كما تحتاج الامم الضعيفة أن تدفع عنها عوادي الامم القوية . وقد خصت الولايات المتحدة بأن كان لها على اوربا التقدم الطبيعي فملكت سطحاً من الأرض لم تعمل فيه أيدي العاملين ولم تستخرج خزائنه وخيراته. وفي أوربا يثقل كاهل الناس بضرائب باهظة لان ثروة الارضين قد احتكرها افراد معلومون . حتى لقد تضطر الحكومات ان تضرب ضرائب على أجور العمال . وهي ضريبة لا أثر لها في أميركا . ولذا قضت الحال على هذه البلاد ان تحتفظ بمبدإ حماية تجارتها سواء كان في الحاصلات الزراعية أو في النواتج الصناعية واذا خفضت حكومة الولايات المتحدة الرسوم الجمركية ونزعت ما يحول دون تلك الحواجز من مطامع الامم تنهال غلات الامم الزراعية أي انهيال ويحدث لها نفوذ في الاسواق الداخلية وتقل أثمان وارداتها بحيث تجاري الغلات الاميركية وتباع أسهل بيع بحيث تصبح أميركا وهي تؤدي دخلها العقاري لتلك الامم المزارعة فتتضرر الاجور للحال ويهدد نجاح صناعة الامة من هذا الوجه فتجارة الولايات المتحدة لا تحمى لكونها في حالة الطفولية بل حباً بالاحتفاظ بعلو مرتبتها الحاضرة المحققة في أوربا اهـ.

ولقد عظمت النتائج الاقتصادية بهذا الفكر فتضاعف عدد الاماكن

في ثلاثة أرباع قرن كما تضاعفت القوة الصناعية وارتقى عدد الغلات من ١٥ ملياراً الى ٦٥ ملياراً . ويظهر من تقرير نشره مكتب الاحصاء في واشنطون منذ سنتين في معنى تجارة أميركا مع العالم أجمع ان الولايات المتحدة أول قوة إقتصادية في الكرة الارضية ولانكلترا المقام الثاني . ففي الولايات المتحدة ينبت ٧٥ في المئة من مجموع غلات القطن في العالم وهي تحرص على إبقائها لمعاملها خاصة . من أجل ذلك مافتئت تبني المعامل أثر المعمل حتى زادت الآلات في معاملها ٢٢ في المئة على حين لم تزد في معامل أوربا على عشرة في المئة . ومن جملة مابني معمل فيه خمسمائة الف آلة ومغزل و١٢ الف نول في ضواحي سان لويس . تلك المدينة التي قام فيها معرض أميركا سنة ١٩٠٤ في بقعة مساحتها خمسمائة هكتار من الارض وكلف من النفقات ٢٥٠ مليوناً وهو ضعفا معرض شيكاغو سنة ١٨٩٣ وأربعة اضعاف معرض باريز سنة ١٩٠٠ . معرض دهش له عالم الصناعة والتجارة .

ولا غرو في هذا فانك تعرف مقدار ارتقاء هذه الامة من أرقام وارداتها وصادراتها فقد كانت وارداتها سنة ١٨٩٧ - ٩٨ - ٣٠٦،٨٠٠،٢٤٨،٢٧٠ فرنكا وصادراتها ٦،١٥٧،٤١١،٦٥٠ فرنكا ومجموع تجارتها ٩،٢٣٧،٦٥٩،٩٢٠ فرنكا وارتقت وارداتها سنة ١٩٠٢ - ٩٠٣ الى ٥،١٢٨،٧٥٧،٦٤٠ وصادراتها الى ٧،٤٠٠،٦٩٠،٠٧٠ ومجموع تجارتها الى ١٢،٢٢٩،٤٤٧،٧١٠ ومن ذلك يدرك القاري . ولا شك ماتم من النجاح في تلك البلاد بفضل مبدأ مونرو وهو كما وصفه أحد علماء الالمان الانجيل السياسي الذي تراه معلقاً في شوارع الولايات المتحدة لعهدنا وبفضله كفت عنها غارة الاوروبيين ووقيت سوء المغبة في شؤونها المالية

الاشوريون والبابليون

بلاد الكلدان

وصفها — ينبجس من قمم جبال أرمينية المغطاة بالثلوج نهران سريع جريهما بعيد غورهما وهما الرافدان دجلة والفرات الاول من الشرق والثاني من الغرب . يتقاربان أولا ثم يتباعدان عند بلوغهما السهل فيستقيم دجلة في جريته وينعطف الفرات في صحاري الرمال ثم يجتمع النهران قبل أن يصلا الى البحر . فالبلاد التي يجتازها هذان النهران هي بلاد الكلدان . وهي سبسب من صلصال تمطره السماء قليلا وتشتد فيه الحرارة والقيظ بيد أن الانهار تسقي بجداولها هذه الارض الصلصالية فتصيرها من أخصب بقاع الارض وانبت قيعانها . وان حبة القمح والشعير لتأتي مئتين وفي أعوام الرخاء ثلثمائة . والنخيل في تلك البلاد غابات غبياء يستخرج منه الخمر والعسل والطحين

الامة الكلدانية — باكرت الحضارة بلاد الكلدان في العهد الذي باكرت فيه مصر فسكنتها شعوب متمدنة . وقد هاجر اليها عدد من الاجناس من أصقاع كثيرة فاجتمعوا وامتزجوا في هذه السهول الفسيحة الارجاء . جاءها من الشمال الشرقي ناس من التورانيين أهل اللون الاصفر وهم يشبهون الصينيين وأتاها من الشرق طائفة من الكوشيين ولونهم أسمر قاتم وهم أنسباء المصريين ونزل اليها من الشمال فئة من الساميين وألوانهم صافية وهم أقرباء العرب فتألف الشعب الكلداني من هذا المزيج

مدنها — زعم كهنة الكلدان ان ملوكهم تبسطوا في مناحي السلطة منذ مائة وخمسين الف عام وهو زعم خرافي يعذرون عليه لان الحامل لهم عليه توغل مملكة الكلدانيين في القدم . هذه الارض تتخللها هضاب وآكام

كلها كومة أنقاض من بقايا بلد عفته طوارق الدهر. وقد فتح كثير منها واخرجت منه عدة دفائن مثل «أور» و «لارسام» و «بال ايلو» وظفر الباحثون بعدة آثار. وما برح أمر هذه الشعوب مستوراً عن الانظار مجهولة حقيقتهم على أرباب الافكار على انه من المأمول أن يظفروا بكتابات جديدة في الاماكن الكثيرة التي لم تتناولها الايدي بالحفر واستخراج الدفائن. وبعد فقد دعت هذه الامم نفسها بالسوميريين والاكاديين وانقرض ملكهم حوالى سنة ٢٣٠٠ قبل المسيح وربما كانت اذ ذاك في إبان قدمها فيرد عهدها اذاً الى ثلاثين قرناً قبل الميلاد على الاقل

الاشوريون

أشور — هذه البلاد واقعة وراء بلاد الكلدان على شاطيء دجلة وهي مخصبة التربة قائمة على تلعات كثيرة فيها وأحادير. تخترقها هضاب وتتخللها صخور. تثلج فيها السماء في الشتاء لقربها من الجبال وتهب عليها الاعاصير في الصيف

أصولهم — زخر بحر العمران في بلاد الكلدان فكان فيها امصار عاش فيها الاشوريون خاملين في جبالهم وقد أغار ملوكهم بجيوشهم الجرارة في القرن الثالث عشر على السباسب والفدافد فاسسوا مملكة ضخمة عاصمتها نينوى

أساطير قديمة — لم نكد نعرف عن الاشوريين منذ أربعين سنة الا قصة ذكرها ديودورس الرومي من أهل جزيرة صقلية وقيل إن نينوس بنى مدينة نينوى وافتتح آسيا الصغرى جملة واستخضعت امرأته سميراميس بلاد مصر وكانت من الارباب فاستحالت بعد حمامة فخلفها ملوك خاملون

مدة ١٣٠٠ سنة . حوصر آخرهم في عاصمته واسمه ساردانابال فحرق نفسه ونساءه الى ما شاكل ذلك من الاقاصيص التي قل فيها الصدق واعوزت كلمة الحق

نينوى — هذا ماعرف عن مملكة اشور القديمة الى ان اكتشف المسيو بوتا قنصل فرنسا في الموصل سنة ١٨٤٢ اطلال قصر عظيم بالقرب من قرية خراساباد الحقيرة وقد غشيتها رمال صيرتها رابية . وهذه هي المرة الاولى التي شوهدت فيها الصناعة الاشورية بمظهرها ووجدت الثيران المجنحة بالاحجار سالمة ماثلة على باب القصر . وقد جيء بها الى باريز فجعلت في متحف اللوفر . ولقد استلفت بوتا بحفرياته أنظار أوربا فانفذت بعثات كثيرة وخصوصاً الانكليز . توفر بالاس وليارد على الحفر في آكام أخرى فاكتشفت قصور غير هذه . سلمت هذه الخرائب لجفاف الهواء في تلك الارجاء وبما غشيها من طبقات التراب . ثم انه عثر على جدران مغشاة بنقوش بارزة وصور وتماثيل وكتابات كثيرة فتسنى درس حال تلك العمارات في اماكنها وأخذت عنها صور المعاهد والنقوش . وأول ما اكتشف قصر خراساباد وهو الذي بناه الملك سراغون . كان نينوى عاصمة ملوك اشور وهي قائمة على عدة هضاب يحيط بها سور ذو ابراج مربع الاضلاع ذرعه ٢٦٠ غلوة (نحو ٤٣ كيلو متراً) وقد بني خارج الجدران بالقرمد وداخله تراب مهيل . أما دور المدينة فقد دثرت ولم يبق منها أثر ضئيل ولا رسم محيل . بيد انه ظهرت عدة قصور شادها غير واحد من ملوك اشور . وقد ظلت نينوى عاصمة الملوك الى ان اوغل الماديون والكلدانيون في احشاء مملكة اشور ومزقوها شذر مذر .

كتابات القرمد — يتألف كل حرف في الـكتابات الاشـورية من مجموع علامات على شكل سهم اوزاوية ولذلك دعي هذا الخط بالخط المسماري وكانوا يستعملونه خنجراً مثلث النصل في آخره حد مثلث الاضلاع لرسم هـذه العلامات يبلونه في صحيفة من الخزف الرطب ثم يدخلونه التنور فيصير صلداً لا ينمحي أثره . وقد كشفت في قصر اسوربانيال مكتبة تامة من الصفائح قام فيها القرمد مقام الورق

الخط المسماري — غالى جملة من رجال العلم في حل هذا الخط أعواماً كثيرة فتعذرت عليهم قراءته اذ كان لاول عهده يستعمل في كتابة خمس لغات متباينة وهي الاشورية والسوسية والمادية والـكلدانيـة والارمنية . دع عنك الفارسية القـديمة . وكانت تلك اللغات مجهولة فدامت اللغة التي نتكلم عليها الآن مشوشة كل التشويش لاسباب عديدة أهمها تركبها من خطوط رمزية ينوب كل منها مناب كلمة مثل «شمس» «رب» «سمك» ومن خطوط ذات مقاطع . ولان لهذه اللغة نحو مائتي خط ذي مقاطع يتشابه كل بعضها مع بعض ويسهل التباسها وإشكالها ولان الخط الواحد كثيراً ما ينوب عن كلمة وعن مقطع ولان الخط الواحـد يقوم مقام مقاطع مختلفة بمعنى أن خطاً واحداً يقرأ «ايلو» تارة «وآن» طوراً وهو أصعب هذه الصور وأشكلها .

كان هذا الخط عسراً حتى على من يكتبونه . ونصف مالدينا من الآثار المسمارية هو كتب إرشادات من نحو ولغة وصور مما ساعد على حل النصف الآخر فتأتى الرجوع اليها في حل المشكلات على ما كان عليه شأن المتعلمين في مملكة أشور منذ ٢٥٠٠ سنة . وقد أفلح العلماء في حل الكتابات الاشورية

كما أفلحوا في حل الكتابات المصرية . فكانت لهم كتابة مستطيلة في لغات ثلاث أشورية ومادية وفارسية ونفعت الفارسية في حل غيرها

الشعب الاشوري — فطر الاشوريون على حب الصيد والحرب وان نقوشهم لتمثلهم مدججين بالاقواس والرماح راكبين صهوات الخيول بحيث ساغ أن يوصفوا بانهم كماة مجال وأبطال يحسنون الكر والفر . وان استوى في أعينهم رواحهم الى مناوشة ومغداهم في حرب زبون . ولقد عرفوا بالخيانة وسفك الدماء فوطئوا آسيا ستة قرون وخرجوا من جبالهم يغيرون على جيرانهم . ولطالما آبوا من غزواتهم وقد أسروا شعوباً باجمعها والظاهر أنهم يناشبون غيرهم القتال لمحض حب السفك والتدمير والنهب فانهم أشد خلق الله بأساً وأقساهم قلوباً

الملك — رأى الاشوريون لملكهم الخلافة عن الله في الارض جرياً على العادة الآسياوية فاطاعوه طاعة عمياء وبذلوا في حبه مهجهم . فكان الملك عندهم سيداً مطلقاً في حكمه رعاياه مهما اختلفت طبقاتهم يدعوهم الى حمل السلاح تحت لوائه فيقاتل بهم شعوب آسيا حتى اذا قفل منصوراً يصور مآثره على جدران قصره ذاكراً انتصاراته وما ناله من الغنائم وحرقه من المدن وذبحه من الاسرى وسلخه من احيائهم

الحملات — اليك بعض فقرات من نشرات الحروب قال اسورنازيرهابال عام ٨٨٢ : انني عمرت جداراً امام ابواب المدينة العظمى وسلخت جلود زعماء الثورة وغطيت هذا الجدار بجلودهم وقد دفن بعضهم احياء في اساس البناء وصلب فريق آخر وجعلوا على أوتاد في الحائط وسلخت جلود

كثيرين في حضرتي وكسوت الحائط بها وجمعت رؤوسهم على هيئة التيجان وضممت جثثهم الى أشكال الاكاليل

وكتب توكلابالازار عام ٧٤٥ ما نصه : حبست الملك في عاصمته ورفعت كوماً من الجثث أمام الابواب . هدمت مدنها كلها ودمرتها وأحرقتها وأقفرت البلاد وصيرتها آكاماً وقاعاً صفصفاً ينعق فيها بوم الخراب .

وقال سنحاريب في القرن السابع : « انطلقت كالعاصفة المدمرة فسبحت السروج والاساحة في دماء الاعداء كأنها في نهر والتراب مبلل وجمعت جثث جندهم كما تجمع الغنائم وبترت أطرافهم وقضقضت عظام من أخذتهم أحياء على نحو ما تقصف التبنة وقطعت أيديهم عقاباً لهم بما جنت أيديهم » هذا وقد صورت في احدى النقوش التي تمثل مدينة سوس وهي ترد الى عهد اسوربانيبال وشوهدت فيها رؤوس المغلوبين يعذبهم الاشوريون وقد صلمت آذان بعضهم وسملت أعين آخرين ونتفت لحاهم . وهناك رجل يسلخ جلده وهو حي مما دل على ان أولئك الملوك كانوا يرتاحون الى ما يتم على أيديهم من الحرائق والمذابح والعذاب

خراب المملكة الاشورية — بدأت هذه الطريقة في الحكم في القرن الثالث عشر زمن الاستيلاء على بابل وذلك نحو عام ١٢٧٠ وظل الاشوريون منذ القرن التاسع يسرحون الحملات ويشنون الغارات حتى أخضعوا وان شئت فقل خربوا بلاد بابل وسورية وفلسطين ومصر وكان المغلوبون يثورون في غضون تلك المدة بلا انقطاع والمذابح قائمة على ساق وقدم . ثم ضعفت قوى الاشوريين واتحد البابليون والماديون فقلبوا عرش مملكتهم نينوى عاصمة بلادهم سنة ٦٢٥ وهي المدينة التي سماها أنبياء بني اسرائيل « عرين

الاسد » ومدينة الدم والغنيمة فتيسر الاستيلاء عليها وخربت فلم تقم لها قائمة بعد . قال النبي ناحوم (خربت نينوى فمن يشفق عليها يا ترى؟)

مقاصد المؤلفين

الانتقاد في البشر خلة يجيدون فيه بحسب ما رزقوا من القوى العقلية واستبطنوا من الاسرار العلمية والمرء في الغالب لا يرى عيوب نفسه ويحتاج أن يدله دال معتدل عاقل عليها . وكذلك المؤلف وما تأليفه الا بضعة من نفسه وحسنة من حسناتها او سيئة من سيئاتها . ولكن ما يسوغ للقرين أن يقوله لقرينه لا يسوغ للعامي أن يقوله للخاصي ولا للغائب أن يعرضه على الحاضر

ومن الاسف ان سرعة الحكم فاشية في المشرق مستحكمة من نفوس اهله فترى احد المتعلمين من ابنائه اذا ألقي اليه كتاب ينظر فيه أسطراً ويحكم على المؤلف حكمه المسمط الذي لا يقبل النقض ولا الرد دون أن يعرف مقصده أو يقرأ كتابه برمته او مقدمته على الاقل . ولطالما كتب بعضهم تقريظاً على بعض الكتب بمجرد تلاوة صفحة من كتاب وسلق كاتبه بالسن حداد لجملة رآها فيه وربما فاته تدبر النساق والسباق وكان ما انتقده منبهاً عليه فصار الناقد ومقصد المؤلف على طرفي نقيض ينتقد عليه ما لو كان قرأ مقدمته على الاقل لما ألقى القول على عواهنه وحكم ابتساراً وافتئاتاً .

وبعد فان كتب العلم كالبضائع تعرض في السوق فتتناولها الايدي بحسب الرغبات فكما انه لا يحق لمن نزل السوق لابتياع ثوب ان يعترض

على قماش لايوافق ذوقه وحالته اذ ان في الناس من لايرغب في غير هذا الضرب من النسيج فانه لا يسوغ لمن يعد نفسه من طبقة العالمين أو المعلمين أو المتعلمين ان يزيف قولاً لقائل دون النظر في المبدإ والغاية والاصل والفرع.

لابد لكل مؤلف من غاية يرمي اليها في تأليفه يفهم ذلك في الغالب مما رتبوا كما قال ابن ساعد في صدر كل كتاب من تراجم تعرب عنها سموها الرؤوس وهي ثمانية: الغرض والمنفعة والسمة والواضع ونوع العلم ومرتبة ذلك الكتاب وترتيبه ونحو التعليم المستعمل فيه. قال وكتب العلوم لا تحصى كثرة ككثرة العلوم وتفننها واختلاف اغراض العلماء في الوضع والتأليف ولكن تنحصر من جهة المقدار في ثلاثة أصناف: مختصر لفظها أوجز من معناها وهذه تجعل تذكرة لرؤوس المسائل ينتفع بها المنتهي للاستحضار وربما أفادت بعض المبتدئين الاذكياء لسرعة هجومهم على المعاني والعبارات الدقيقة ومبسوطة تقابل المختصرة وينتفع بها للمطالعة ومتوسطة لفظها بازاء معناها ونفعها عام

فالناظر في كتاب يقتضي عليه باديء بدء ان يطالعه كله حتى اذا أتى على آخره ورأى المؤلف خالف شرطاً أخذ على نفسه ان يجري عليه كأن يطيل وهو يريد الاختصار أو يختصر وهو يتوخى الاطالة أو يدخل علماً في علم أو يخبط في العبارة ويخلط في الاشارة أو يركب مركباً لايسوغ ركوبه في التأليف كأن يكون كتابه في الادب ويودعه صنوفاً من الخلاعة والرقاعة ـ اذا فعل المؤلف هذا يسوغ للمطالع بعد أن يتلو كلامه حق تلاوته أن يصدر رأيه فيما طالع ويعتدل في حكمه على كل حال

كنت مرة أطالع تاريخ ابن جرير الطبري وهو في عشرين مجلداً فلم

أكد أقرأ جزءين أو ثلاثة حتى كاد يعروني الملل لكثرة ما قرأته من الاسانيد ولقيته من الحوادث قبل البعثة وأكثرها مأخوذ عن الاسرائيليات معدود في نظر المحققين من الاخبار الضعيفة. فشكوت أمري لاحد الادباء وأشرت الى ما ألقاه من العنت والتعب فعذلني على تطابي لمثل هذه الاسفار المطولة وعجب من توفري على دراستها والاخذ منها فما أجبته بغير السكوت الا إنه لحظ بالحال أني وإياه على طرفي نقيض في هذا التصور. ثم ذكرت مثل ذلك أمام إمام من أئمة العلم فاغضى عن خطابي وتلهى عن جوابي إلا أنه قال حبذا لو ظفرنا له بمختصر فان بعض العلماء اختصروه قديماً.

وما كدت أتصفح الجزء الرابع من كتابي حتى ارتاحت نفسي اليه بعد انقباضها ولانت بعد شموسها وأخذت أطالع فيه الساعات الطويلة واستفيد منه ما لم أره غيره من قبل. وأنشأت أقيم الاعذار للمؤلف رحمه الله في اطالته لانه جعله مأخذاً للمؤرخين والمطالعين فعد كتابه من الامهات كما انه هو من الأثبات الثقات.

مضت على ذلك أيام فذاكرت الامام المشار اليه فيما وقع في نفسي فاندفق يهدر بما جاش به صدره وأفاض في هذا الموضوع إفاضة أبانت عن ضعف المتسرعين في الاحكام على المؤلفين بما تمنيت لو كنت كلي أقلاماً تكتب ما أملاه في ساعة فما قاله: هذا كتاب الحيوان للجاحظ ضمنه ما يلزم الطبيب والاديب فجاء عبد اللطيف البغدادي فاختصره مقتصراً فيه على ماهو أمس بحاجة الطبيب واعلق بغرضه وربما يجيء غيره فيكتفي من كتاب الحيوان بما يروق الاديب. ولما ذاكرت له ما نقله الدميري من ذكر ملوك الاسلام في كتاب حياة الحيوان قال: الحق معك في ذلك ولكن

لا يفوتك ان الدميري ليس من علماء الحيوان ولذلك كان كحاطب ليل جمع
بين النافع والضار وما كان أحراه لو كان من اهل التحقيق ان يجرب بنفسه
خواص الحيوانات التي ذكرها فقد كان يتيسر له هذا وان لم يكن ذا المام
بهذا الفن فيخفف من عناء قراء كتابه ويضمنه فوائد حسنة نافعة على ان
كتابه على ما فيه قد وقع في ايدي فئة من المطالعين فاستفادوا منه واشتهر بينهم

قال وليس من الصواب الاخذ على المقري صاحب نفح الطيب لانه
لم يذكر في كتابه تاريخ الاندلس وما توالى عليها ولو انعم الناقد نظره في
مقدمة الكتاب بل في اسمه واكثر اسماء الكتب تدل على مسمياتها لما
حكم هذا الحكم وما كان نفح الطيب إلا كتاب ادب خص فيه بالذكر الوزير
لسان الدين بن الخطيب واورد بحسب ما اقترح عليه بعض اهل الأدب في
الشام طرفاً صالحاً من نثره ونظمه واستطرد الى ذكر بعض رجال الاندلس
الى عهده وجملة من أخبارها بالعرض

ثم قال وكذلك الحال في قلائد العقيان للفتح بن خاقان فانه كتاب توخى
فيه مصنفه إظهار الصناعة اللفظية وان المترجين هم من أهل حرفته فاقتصر
من ترجمتهم على ايراد طرف من منثورهم ومنظومهم وليس كتابه كالذخيرة
لابن بسام فان هذا ترجم حقائقهم وقصد بذخيرته ان تكون نافعة في
الوقوف علي احوال الاندلسيين وتصوير صفاتهم فان تأفف بعض من
تصفحوا قلائد العقيان وعابوا عليه خلوه حتى من تاريخ مواليد المترجم بهم
ووفياتهم فان من الناس من لا يرتضون من مثل هذه الكتب الا بهذه
الطريقة الادبية . ولكل فئة من المطالعين طائفة من الكتب تروقها
ويستهجنها غيرها .

هذا مثال في النقد السليم وقد كتب في القديم محمد بن ساعد الانصاري كتاباً في انواع العلوم وذكر النافع من كتبها كما كتب عبد اللطيف البغدادي مقالة في إحصاء مقاصد واضعي الكتب في كتبهم وما يتبع ذلك من المنافع والمضار وكتب الفارابي في إحصاء العلوم والتعريف باغراضها واليوم علينا ان نتدارس ماانتهى الينا من علم أسلافنا الاقدمين ونضيف اليه ما وصل اليه العلم عند أهله من المتأخرين ونتعلم عن الغربيين صحة النقد والحكم كما نأخذ عنهم العلم والفهم فليس العيب في الحركة وانما العيب في الجمود والله يسددنا حتى لا ننطق عن هوى

أمثال انكليزية

« اذا تهيأ الانسان للشر فكثيراً ما يغلبه»

« إختر الزوج بما تسمعه بأذنك أكثر مما تراه بعينك»

« لاتتسلق علواً مفرطاً لئلا يكون سقوطك عظيما »

« الحديث العادي خير مرآة لعقل الرجل وصفاته »

« لا تعد فراخك قبل ان تخرج من البيض »

« الحسود يعيش عيشة العناء ويموت موت الاشقياء»

« الحيلة تحتاج الى اللباس وأما الحق فيذهب عريانا»

« ذاكرة الدائن احد من ذاكرة المدين »

« الاعوج بالطبع لا يستقيم بالتربية » (الطبع غلب التطبع)

« أجسر على عمل الخير ولو هزأ الناس بك »

« الازدراء بالعدو يهيجه »

« تبصر ملياً ثم أجر حالا »

« اليأس يصير الجبان شجاعا »

« البراعة تأتي من الخبرة »

« اختلاف القروح يوجب اختلاف المراهم »

« أحسن الى من يسيء اليك فتغلبه »

« اعمل ما عليك وليأت مايأتي »

« ما السكر الا جنون اختياري »

« السكر يخرج الانسان من نفسه ويتركه بهيمة في مكانه »

« التهذيب يجلي الطبائع الصالحة ويصلح الطبائع الشريرة »

« ليس كل اثنين زوجا »

« خيرمايتعلمه الانسان بالاقتداء وأحسن الاعمال يأتي بأحسن الاصدقاء »

« لكل نهار ليل ولكل مسرة حزن »

« لكل مد جزر »

« لا يصلح كل عالم للتعليم »

« كل امريء يحب العدل فى بيت غيره ولا يبالي به في بيته »

« كل انسان ينسب ذنوبه للدهر »

« ليكنس كل واحد قدام بيته »

« كل خطإٍ حامل قصاص نفسه »

« لكل أمر زمان يجب رصده »

« الخبرة أم المعارف »

« الجبان لايربح أبداً »

« المدح الضعيف تبخيس »

« لا تخاصم صديقاً لامر طفيف »

« الصديق الكاذب شر من العدو الظاهر »

« الشهرة كالنهر ضيقة عند المصدر واسعة عند البعد »

« النار المشتعلة بالمنفاخ والحب المغصوب لا ينفعان »

« لا تخش الا العار واقتحم كل أمر الا الضرر بالناس »

« الولائم حصاد الطبيب »

« دبدب أولا ثم امش »

« إستحق أولا ثم تمنى »

« التمليق يجلس في صدر المكان وقول الحق يطرد الى الخارج »

« آثر متابعة العقلاء القليلين على متابعة الجهلة الكثيرين »

« الجهال يفتحون آذانهم للتدليس ويغمضون عيونهم عن الحق »

« الجهال يعقدون العقد والحكماء يفكونها »

« القوة قد تغلب ولكن المحبة هي التي تربح فمن سامح أولا نال الفوز »

« الحظ السعيد يقرع باب المرء ولو مرة واحدة »

« اذا لم يصل الثعلب الى العنب قال انه غير ناضج »

« الصداقة هي الوردة الوحيدة التي لا شوك لها »

« كلما طالت الصداقة تمكنت »

« الصداقة تزيد الافراح وتشطر الاحزان »

« من لا شيء لا يأتي شيء »

« من أسلافنا يأتينا الاسم ومن أعمالنا تأتينا الكرامة

« ربح المال أهون من حسن التصرف به »

« إربح عادلا وأنفق رصيناً واعط بشوشاً وعش راضياً »

« اذا هيأت المغزل ارسل الله لك الغزل »

« اذا أعطيت اللئيم إصبعك أخذ يدك كلها »

« أبطء في الذهاب الى ولائم أصدقائك وأسرع اليهم في مصائبهم »

بيروت يوحنا ورتبات

كتاب مادي

بعث الينا حضرة العالم الالمعي رفيق بك العظم بما يأتي:

جاءني كتاب من ذي قرابة لي سائح في أميركا بلاد العجائب توخى فيه وصف الاشياء المادية التي لها مساس بترقي البلاد المادي دون المعنوي أي الشؤون الاقتصادية التي تفيد المهاجرين الى تلك البلاد الشاسعة والبعيدين عنها أيضاً فرأيت ان ابعث به اليك حتى اذا رأيته نافعاً لقراء المقتبس تتكرم بنشره فيها ليرى الناس كيف يعيش ذلك الشعب الراقي في بحبوحة السعادة والراحة والغنى وكيف يحاول ذلك العالم الجديد ان يبتلع في جوفه قسماً كبيراً من العالم القديم بما يمتُّ به اليه من وسائل الكسب بالطرق العلمية النافعة وبما يشمل به النازحين الى تلك البلاد من حقوق الوطنية الاميركية بعد مضي خمس سنين على المقيم فيها من الاجانب وكيف يعلم الشعوب دروس الآداب العالية والعلم الصحيح والاقتصاد النافع . فلله در ذلك الشعب ماأعظم همته، وأبعد في الامور نظره ، فانه ولا نكران للحق حقيق بالثناء ،

حري باقتداء الامم به ، والله أعلم بما يكون له من الشان، ما في مستقبل الزمان، واليك نص ذلك الكتاب:

يأتي الولايات المتحدة كل سنة عدد عظيم من مهاجري أوربا وقد بلغ عدد المهاجرين في السنة الماضية نحو مليون نسمة فيهم قليل من الارمن والروم والسوريين . ومعظم هؤلاء النازحين عبارة عن اخلاط همج من الناس لا يعرف أكثرهم الكتابة والقراءة، ولا يفقهون معنى للتربية، ولا يقيمون وزناً للادب ، وفقرهم مدقع، وعيشتهم ضنكى. تراهم بعد وصولهم الى هذه البلاد بقليل في حال حسنة من السعادة والرفاهية . وان بعضهم ليجني ثروة جسيمة وماذلك إلا لانتظام الاحوال وكثرة الاعمال . ولقد زادت ثروة الامة الاميركية وتوفرت الاشغال حتى انك لتجدها في حاجة شديدة الى عملة أبداً فكل فرد ينزل بينهم رجلا كان أو أمرأة يجد ما يشغله ويقوم بمعاشه وزيادة .

فيأخذ العامل الغريب خمسين ريالا مشاهرة على الاقل . وأقل أجرة يتناولها العامل الاميركي خمسة وسبعون ريالا في الشهر (وقيمة الريال الاميركي كقيمة الريال المصري) وهذا جدول أجرة العامل هنا وهو أقل راتب شهري يناله: فمشاهرة العامل الغريب ٥٠ ريالا والحوذي ٦٠ والطاهي (الطباخ) البسيط ٥٠ والطاهي المرتقي ١٥٠ وأجير الحلاق ٦٠ والنجار البسيط ٨٠ والدهان ١٠٠ والبناء ١٠٠ والكاتب البسيط ٥٠ والشرطي (بوليس) ٩٠ وسائق الترامواي ٦٠ وأدنى مستخدم في السكة الحديدية ٧٥

وأسباب المعاش سهلة ورخيصة للغاية فالعامل الغريب يعيش بانفاق ربع ريال الى نصف ريال يومياً عيشاً طيباً اذ التسهيلات الموجودة هنا لراحة العيش لا أثر لها في بلادنا ولا في مصر ومن ذلك يتضح لك انه ليس في الامة

الاميركية فقير . وأفقرهم أحسن حالا من بك في بلادنا

ويجب ان يكون سن الغريب الذي يود الهجرة الى هذه البلاددون الستين وان يكون قوي الجسم سليماً من الامراض وإلافلا يباح له الدخول وان يكون معه يوم خروجه الى البر من النقد نحو ٥٠ ريالا أو يكون له قريب أو صديق في البلاد يقبله ويكفله وعلى كل حال ينبغي له ان يفيدهم انه جاء ليعمل ٠

وعلى من أراد أن يفلح من المهاجرين ان يكون سنه تحت الثلاثين وذا المام قليل بالانكليزية وان يدخل إحدى المدارس الصناعية لدن وصوله الى نيويورك يختار مايشاء من الصنائع ٠ وهنا مدارس للصنائع على أنواعها وأقل مدة للتخرج بصناعة صناعة الحلاقة فانه يمكن إتقانها في شهرين وأكثر مدة تصرف لتعلم صناعة الهندسة ثلاث سنين فينال المهندس يوم خروجه من المدرسة مائتي ريال راتباً شهرياً على الاقل . ومدة تعلم الصنائع الاخرى بين سنة وسنتين من مثل دهان وحداد ونجار وكاتب تجارة ومستخدم في ادارة الاسلاك البرقية وكاتب أداة كتابية وغير ذلك ومنها أشغال يدية وأشغال عقلية ٠ وزبدة القول ان البلاد بلاد عمل ومضاء لا بلاد كسل ووناء ٠

يعتبر المرء من البلاد عندما يدوس أرضها ويصبح مساوياً لغيره في الحقوق ٠ والامة هنا متساوية في حقوقها لا فرق بين كبير وصغير ولا تمييز بين العناصر والنحل فيصير بائع الفحم أو تاجر المسكرات رئيساً للولايات ولا عيب عندهم سوى أمور معلومة أولها البطالة ٠ فكل فرد رجلا كان أو امرأة يعمل ويجد حتى انك لا تجد هنا محال للقهوة كما هو الحال في بلادنا

اذ ليس هناك عطلون عن العمل يجلسون فيها ـ وثانيها السرقة والمتاجرة بالعرض وما عدا ذلك فكل صنعة شريفة بدون استثناء . وبعد ان يقضي الغريب في البلاد خمس سنين ينال حق التابعية الاميركية ويكون كذلك هو واحفاده . في أي بلد كان وأما اذا غادر البلاد قبل قضاء هذه المدة . فيعود الى تابعيته .

يقضى هنا على كل ولد ذكراً كان أو أنثى ان يختلف الى مدرسة حية الى السنة الثامنة عشرة من عمره والمدارس كلها مجانية حتى ان الاولاد يعطون فيها الكتب والاوراق بلا عوض فلا عذراً اذاً للوالدين في عدم إرسال الولد . ويجازى وليه اذا لم يبعث به الى المدرسة . والتعليم خالٍ من كل نزعة دينية وقد طالعت كتبهم المدرسية للسنة الاولى والثانية والثالثة والرابعة فلم أجد فيها ذكراً للاديان حتى ولا اسم الدين المسيحي أو عيسى أو الكنيسة أو العبادة وكتبهم عبارة عن حض الولد وبعثه على العمل والرغبة عن البطالة وعمل الخير للانسان والحيوان والصدق والاستقامة . والحق يقال ان أصول هذه التربية ناجحة عياناً لان الكذب والنفاق والتدليس والسرقة لا وجود لها في الجنس الاميركي على العكس من ذلك في بلادنا . والنساء الاميركيات اعفُّ من نساء مصر والاستانة على جمال فيهن وحسن بزة وشارة . ولكنه هو الجمال الذي زانه الكمال والحسن الموصوف بالاعتدال . ولا شك عندي ان هذه الامة أرقى الامم خَلقاً وخُلقاً . أما التعليم الديني فامره راجع للأُسرة يتعلم الولد دينه من أبيه وأمه خارج المدرسة . والدين الغالب هنا بعض مذاهب البرتستانت .

زرت كثيراً من مدارس الفقراء فوجدتها أحسن بكثير من مدارس

نيشان طاش وبشكطاش أعني محال الاكابر في الاستانة ولا نسبة بينها . وشاهدت مدرسة لتعليم صب الرصاص مدة التعليم فيها من سنة الى سنتين وينال المتعلم ١٥٠ ريالاً راتباً شهريا بعد اتمام تعلمه ومدرسة فن إصلاح الساعات .

ومما شاهدته هنا وعددته من غرائب العقل الاميركي ان ابنة فرنسوية حضرت معنا في الباخرة من فرنسا هاربة مع رجل فرنسوي تود الاقتران به خلافاً لرضا والده وبعبارة أوضح هرب الرجل معها لانه لا يجوز للرجل في فرنسا الزواج قبل بلوغه السادسة والعشرين من غير رضا وليه واذ كان سن الولد كان دون ذلك اضطر أن يحضر مع خطيبته الى أميركا ولما خرجنا الى البر منعت الحكومة خروج الابنة وطلبوا اليها ان تعين ولياً يكفلها لان خروج النساء بدون ولي ممنوع لئلا يدخل الفاسدات فاضطر الشاب ان يخبرهم بجلية الامر فقالوا انهم يريدون عقد النكاح في الحال فما هو الا ان أتى محرر المقاولات وعقد له عليها في خمس دقائق وأخذوا نفقة على ذلك ربع ريال . فانظر الى هذه التسهيلات في نظام الزواج هنا. وكل أنثى بعد سن الثامنة عشرة وكل ذكر بعد سن العشرين يحق لهما الزواج ولو بدون رضا وليهما ولا تسأل الحكومة عن جنسية ولا عن دين ولقد قرأت منذ أيام اعلاناً وأظن ناشره غنياً بأنه يدفع سبعة وثلاثين الف ريال لكل حرمة توفق الى الهرب من إحدى قصور العظماء في الشرق وترضى بزواج أحد التبعة الاميركية.

ومما شهدته هنا من العادات المستحسنة عند الاميركان « النظافة» فانه يوجد في كل بيت عادةً حتى في بيوت أفقر الفقراء حمام بالماء السخن والبارد

وانك لترى أولاد العملة في هذه الديار أجمل منظراً وأحسن ملبساً وأنظف جسماً من أولاد أكابر بلادنا بمعنى ان أولاد العملة هنا يعادلون أولاد أكابر الاستانة ومترفيها وأما أولاد أكابر سورية فهم أدنى بكثير من أولاد أفقر الفقراء ·

ومن عاداتهم المستحسنة في معظم البلاد هنا ان الحانات تقفل أيام الآحاد لئلا يتمكن العملة من الانهماك في شرب المسكرات وهم مشغولون بأعمالهم سائر أيام الاسبوع ولا يوجد يوم الاحد حانة للسكر · ويحظر بيع النبيذ والجعة (البيرا) يوم الاحد والبائع الذي يخالف ذلك يعاقب وهم يعتبرون النبيذ والجعة من المشروبات المضرة · أما محال التمثيل فانها مرتقية أكثر من أوربا وأرخص أجوراً حتى انك لترى في بعض الملاعب مئة فتاة يرقصن معا وأجور الفرجة رخيصة للغاية

صدر عن مدينة سنت لوي في ولاية ميسوري

تخميس قصيدة الوزير احمد بن زيدون وهي التي كتب بها الى ولادة بنت المستكفي بالله في قرطبة

كانت أشعتكم تجلو دياجينا وقربكم عن شؤون الدهر يسلينا
فبعد ما لعبت خمر الهوى فينا أضحى التنائي بديلا من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا

امسى لنا الغم إلفاً لا يبارحنا والأنس صار عدواً لا يصالحنا
يامن خبت في تنائيهم مصابحنا بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا
شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا

لئن تكن حجبت عنكم نواظرنا فما خلت ساعة منكم سرائرنا
وإذ تحن الى النجوى خواطرنا يكاد حين تناجيكم ضمائرنا
يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

حب قديم به أرواحنا اتحدت وجمرة للتلاقي طالما اتقدت
حتى اذا باللقا نار الجوى بردت حالت لبعدكم أيامنا فغدت
سوداً وكانت بكم بيضا ليالينا

لم ندر يوم سعدنا في تعرفنا أن الشقاء وراء السعد قد دفنا
آها على زمن بالحظ مسعفنا اذ جانب العيش طلق من تألفنا
ومورد اللهو صافٍ من تصافينا

هل نرتجي زورة للنفس شافيةً وهل تعود لنا الايام صافية
قد كان إذ كانت الاقدار راضية وإذ هصرنا غصون الانس دانية
قطوفها فجنينا منه ماشينا

لله ساعات أنس عند ما التأم شمل الهناء بكم والوجد مانأما
سقيتمونا بماء اللطف ريَّ ظما ليسق عهدكم عهد السرور فما
كنتم لأرواحنا الا رياحينا

الدهر جرَّ علينا في رواحهم ذيول ذل فهل هم بانشراحهم
لم يعلموا مادهانا من براحهم من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم
حزناً مع الدهر لايبلى ويبلينا

نفرٌ من نكد الدنيا فيدركنا يخني على صفونا حينا ويتركنا
بالوصل والفصل يحيينا ويهلكنا ان الزمان الذي مازال يضحكنا
أنساً بقربهم قد عاد يبكينا

كم مرة جاءنا حسادنا ونعوا لنا الوفاء وفي قطع الصلات سعوا
واذ تبين أن العاشقين رعوا غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا
بان نغص فقال الدهر آمينا

دعوا لدى الدهر في تنكيس أرؤسنا وحرضوه على تفريق مجلسنا
حتى تصدى الى تكديراً كؤسنا فانحل ما كان معقوداً بأنفسنا
وانبتّ ما كان موصولا بأيدينا

ما كان يهجرنا أضحى يؤرقنا والمزدري صار بالإزراء يرمقنا
فالدهر يومان مروينا ومحرقنا وقد نكون وما يخشى تفرقنا
فاليوم نحن وما يرجى تلاقينا

كل الورى لم نجد فيهم شمائلكم وهب وجدنا فما كنا لنبدلكم
إنا وإن أقصت الايام منزلكم لم نعتمد بعدكم الا الوفاء لكم
رأيا ولم نتقلد غيره دينا

لو ان أيامنا فيكم تخيرنا لاختار قربّتهُ بالقرب نيرنا
لكنما حادث الدنيا يسيرنا لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا
ان طال ما غير النأيُ المحبينا

ظنّ الوشاة اذا ماشملنا انفصلا ان يدركوا من تراخي حبنا أملا
خابوا فلو أدركت أجسادنا الاجلا والله ما طلبت أرواحنا بدلا
منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا

قصر سهرنا على أنوار كوكبه وفيه ورد الهوى فزنا بأعذبه
دعنا على الوجد نقلى في تلهبه ياساري البرق غادِ القصرَ فاسق به
من كان صرف الهوى والود يسقينا

ان كان أحبابنا أُنسوا محبتنا وحتفنا عندهم يجري مودتنا
فياعذاب النوى عجل منيتنا ويانسيم الصبا بلغ تحيتنا
من لو على البعد حياً كان يحيينا

ياظبية لم تذقنا طعم نفرتها حرصاً على عيننا من فقد قرتها
يا كرمة كم تمتعنا بخمرتها وياحياة تملينا بزهرتها
منىً ضروباً ولذات أفانينا

هل يرجع القمر الزاهي لدارته فتنجلي ظلمات باستنارته
عد يا صفاءً رتعنا في نضارته ويانعيماً رفلنا من غضارته
في وشي نعمى سحبنا ذيله حينا

كانت بطلعتك الارواح منعمة ومنك كانت كؤوس الصفو مفعمة
يامن هوانا بها أضحى لنا سمة لسنا نسميك إجلالا وتكرمة
وقدرك المعتلي عن ذاك يغنينا

أوصافك الغر مامرّت على شفةٍ الا غنيت بها عن كل معرفةٍ
بقامة في تثنيها مهفهفةٍ اذا انفردت وماشوركت في صفةٍ
فحسبنا الوصف ايضاحاً وتبيينا

الشعر يروي من الهجران أظمأهُ وان تلاه عليل القلب أبرأه
قريض شوق نظمناه ليقرأهُ ربيب لطف كأن الله أنشأه
مسكاً وقدر إنشاء الورى طينا

صبابة في النوى ناءت بكلكلها وأين آخرها من طيب أولها
يارشفة عهدنا ناب بمنهلها ياجنة الخلد ابدلنا بسلسلها
والكوثر العذب زقوماً وغسلينا

على الصفا سحبت ذيلا كوارثنا   فزال عاقدنا واختال ناكثنا
مرت كقبسة عجلان حوادثنا   كأننا لم نبت والوصل ثالثنا
والسعد قد غضّ من أجفان واشينا

في خلوة ما بها الا تتيمنا   نارٌ ولا نأمة الا تكلمنا
كأننا وعفاف القلب يعصمنا   سران في خاطر الظلماء يكتمنا
حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

أفكارنا مع خيالات الغرام لهت   وبعدكم لسواكم قط ماانتبهت
بالحزن والذكر والاشجان قد ولهت
لاغروَ أنا ذكرنا الحزن حين نهت
عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا

الطيفُ في النوم يرضينا اذا عبرا   إذ عزت العين صرنا نطلب الأثرا
لا تعجبوا ان صبرنا نحمل القدرا   إنا قرأنا الاسى يوم النوى سورا
مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا ·

نرضى الهوان بديل العز اكمله   والجسم ينحل سقماً من تحمله
ونرتضي وشلاعن فيض جدوله   أما هواك فلم نعدل بمنهله
شرباً وان كان يروينا فيظمينا

لذنا من البعد في ما ليس نرغبه   حين اللقاء علينا عزَّ مطلبه
فؤادنا أنت دون الخلق مأربه   لم نجف أفق جمال أنت كوكبه
سالين عنه ولم نهجره قالينا

أعرضتِ عناواعرضناعلى وصبٍ   نكتم الناس مافي القلب من لهبٍ

فما اتخـذت تجافينا بلا سببٍ ولا اختياراً تجنبناك عن كثبٍ
لـكن عدتنا على كره عوادينا
ضاقت على رحبها الدنيا فلا سعةً تحوي فؤاداً وأحشاء مقطعة
نأسى اذا الشمس جازتنا مودعة نأسى عليك اذا حثت مشعشعة
فينا الشمول وغنانا مغنينا
لاشيء يسكن شيئاً من بلابلنا ولا نرجي عزاءً من وسائلنا
فهاأين الأنس شالت عن منازلنا لا أكؤس الراح تبدي من شمائلنا
سيما ارتياح ولا الاوتار تسلينا
عين السعود لنا كانت ملاحظةً عند اللقاءِ وعين الضد جاحظةً
لئن تدم برحاء البعـد باهظـة دومي على العهد مادمنا محافظةً
فالحرُّ من دان إنصافاً كما دينا
لا نغمة العود والقانون تطربنـا ولا وجوه عذارى الحي تعجبنا
نرضى بوحدتنا والغم يصحبنا فما ابتغينا خليلا منك يحسبنا
ولا استفدنا حبيباً عنك يغنينا
نصبو الى موطن في ظل أربعهِ لنا حبيب كواه حرُّ أدمعـه
فالقلب عندك أضحى جلُّ مطمعهِ ولو صبا نحونا من علوِ مطلعهِ
بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا
دموعنا عنـد ما تجري مسلسلةً تتلو عليكِ أحاديثاً مفصلـةً
ان لم تـكن ساعة اللقيا مؤملةً أولي وفاء وإن لم تبذلي صـلةً
فالذكر يقنعنا والطيفُ يكفينا
هذا الـكتاب سفير عن مرتبهِ في طيه شرح شيء من تعذبهِ

وفي الجواب قناع لو شفعت به   فرددني درسه ترديد منتبه
بيض الايادي التي مازلت تولينا

قولي السلام على روح بنا لقيت   رياً ومن سلسبيل الغير ماسقيت
تحية منك تحيي مهجة شقيت   منا عليك سلام الله ما بقيت
صبابة منك نخفيها وتخفينا

دمشق فارس الخوري

الفقراء والاغنياء

يأسف الانسان وتأخذه الحيرة والدهشة عند ما يرى أبناء جنسه بين فقير يكاد يموت من جوعه وعريه وغني أغرق في الترف والسرف فصار لايعرف كيف ينفق ماله ويتزين بألوف الجنيهات . ربّ عيال عاجز عن كسب القوت الضروري فقير وقير يسعى وراء الرزق فلا يصل الى ما يتبلغ به الا بشق الانفس وقد ترافقه زوجه فتعاني أنواع العذاب . يعللان النفس بالاماني ويقضيان الحياة وسعادتهما ان يجدا الخبز القفار أو البصل أو البطاطا . يسكنان مع أولادهما في غرفة تريد ان تنقض من دار متداعية تملأوها القذارة والعفن يلتفون بلحاف واحد لم يمسه صابون وهو على أشكال غريبة ورائحة تستكره مرقع ممزق . وينامون على فراش أخشن من الارض حشي بقطع الخروق البالية الرثة هذا اذا لم أقل انهم يضطجعون على الارض ويصطلون نار عيدان جمعوها من الازقة والبساتين يستضيئون بلهيبها أو بسراج لا زجاجة له وربما لا يجرأون على إطلاق الفتيل مخافة ان ينفد الزيت فاذا مرض الاب أو الام أمست العيلة بلا طعام ولا إدام ـ هذه هي حالة الفقير وبينا ترى الابوين باكيين شاكيين من ألم الفقر تجدهما

يقبلان أبناءهما بحنان من وراء الغاية فيفرحان لضحكهم ويحزنان لبكائهم ويضمانهم اليهم ليدفئا عنهم ألم البرد.

هذا حال الفقير وهو يكاد لا يتخلف في قطر عن غيره الا قليلا . والفقر في الغرب أسوأ حالاً منه في الشرق على حين ترى الغني هناك يبذر من المال ما لو جمع لكفى الوفا من المعوزين . ولقد قرأت في إحدى المجلات ان الغنية اذا دعيت في الغرب الى مرقص تلبس فسطاناً من أجود الحرير خاطته أشهر الخياطات لا يقل ثمنه عن مائة وخمسين جنيهاً وتلبس تحت هذا الفسطان شعاراً (خراطة) قيمته سبعة جنيهات ومشداً بجنيهين وقميصاً ولباساً بسبعة جنيهات ونصف وجوارب بجنيه ونصف وحذاء بثلاثة جنيهات ونصف وقفازين بجنيه بحيث يبلغ مجموع ذلك ١٧٢ جنيهاً وزيادة . فاذا ذهبت العقيلة أو الآنسة الى المرقص بهذه البزة الجديدة والشارة الحسنة تضع على عنقها فروة تساوي ثلاثة آلاف وخمسمائة جنيه وقد تضع على رأسها تخاريم (دانتيله) من عمل قدماء البنادقة . وشأن هذه التخاريم الانتقال من عقيلة الى أخرى يتساومن عليها ويتبارين في اقتنائها . دع عنك ما تكمل به زينتها من وضع طوق من اللؤلؤ في عنقها يساوي سبعة آلاف جنيه ووضع تاج من الماس ثمنه خمسة آلاف جنيه وخواتم تلبسها في أصابعها لا يقل ثمن الواحد منها عن خمسة آلاف جنيه ولا تسل عن الابر والامشاط والاقراط . وبالجملة فان الغنية في أوربا تتجمل بما لا يقل عن خمسمائة الف فرنك .

وجاء في مجلة « فيمنيا » ان عقيلة ماكاي الغنية الاميركية في نيويورك دعت صويحباتها الى مرقص شرطت على المدعوين والمدعوات ان يلبسن ازياء القرن الثامن عشر وكانت تلبس فسطاناً محلى بالاحجار الكريمة يساوي

خمسين الف دولار أو امليونين ونصف من الفرنكات لتفوقهن بزينتها وحسن بزتها وقرأت في مجلة إفرنسية ان «كايكوار بارودا» لما استقبل حاكم الهند اللورد مينتو كان متوشحاً بلباس عليه من الاحجار الثمينة ما يساوي ٢٥٠ الف فرنك وكان في الحضور المهراجا كافاليور ذاك الفتى الغني الذي لا يعلم مبلغ ثروته وعلى رأسه تاج مزدان بالماس واللؤلؤ والزمرد يساوي ثلاثة ملايين فرنك . ولا تسل عن بذخ الاغنياء في نيويورك وما يصرفونه في تزيين قصورهم وحسن خدمتها

وهكذا تجد أولئك الاغنياء يتحلون بالملايين ويصرفون الالوف من الجنيهات ليفاخروا ذلك البائس الفقير ويشولوا بشعرات أنوفهم ويزيدوا تعس صدورهم . ومن العجب العجاب انك ترى أولئك الاغنياء متألمين شاكين من حالتهم على انك تجد ذلك الفقير حامداً شاكراً لا هم له سوى كسب مايسد به رمقه . وهنا مجال ليقال إن الهيئة الاجتماعية كلما ارتقت في مضامير الحضارة زادت مصائب الفقراء وخطت فراسخ وأميالا واشتدت تباريحهم وأوصابهم . فسبحان المسعد المشقي دمشق شكري العسلي

صحف منسية

كتب القاضي الفاضل الى العماد الكاتب:

«وردت مكاتبات كنّ من المجلس العمادي أعزه الله وأكرمه حسنة استفيدت من أثر منقول، وخبر مقول ، فأثيب راويه وناسخه ، وشكر سارقه ومنتحله وسالخه ، وعلى هذا الذكر فان كان سيدنا تمم التاريخ الناصري

فيصل ما عندي منه، ويكمل ما أنعم به، وتركته في دمشق انتظاراً لكماله، وغيرة على تلك المحاسن، ان يتناولها البلاغ، قبل أن تبلغ الفراغ . العدل (كذا) وصل حفظه الله وثقل ثم من الله بعافيته ووهبها، وأتى بلطيفة من لطائف صنعه ماحسبها، وعلى ذكر المرض فالخواطر مشغولة بأمر سيدنا في هذا الاقدام الذي أقدم فيه على نفسه، وحكم الحديد في جلده، ومتى صارت له هذه الجسارة بعدي، وفديته وفدته احباؤه فان أشفقوا مما أقول في وحدي، وقد كان الصبر على تطاول المرض، أولى من هذا الهجم على هذا المضض، وما أخشى إلا أن يعسر التحامه، وتتمادى أيامه، فاما العاقبة فغير مخشية ولله الحمد، فيعرفني سيدنا ما استأنف من التدبير فيما بعد . »

∴

وكتب اليه : « وصل كتاب المجلس أدام الله أنس السعادة بايامه، والملك باقلامه، ولا حرم الاخوان منه منة اعتزامه، ومؤونة التزامه، ولا برح التوفيق مجزلاً لسهامه، ومسدداً لسهامه، ومساعداً لراميه، ومساعفاً لراميه، (كذا) وهذا الكتاب المؤرخ بيوم السبت مستهل ذي القعدة أحسن الله فاتحته ومنصرفه، وكشف الضر الذي نؤمل من رحمته أن يكشفه، وكتبه مضمار الاوصاف المرتكضة، وكنوز الخواطر المقترضة، ولما كانت الصدور منشرحة، والنفوس مروحة، كنا نأخذ منها أوصافها، ونعيد الى كرمها سلافها، فاما والخطرات معتقلة، والنفوس على همومها مشتملة، فقد ضاق فترعن مسير، وكاد ينقلب البصر خاسئاً وهو حسير . وعرف ما شرحه المجلس فلو أن ما نحن فيه من الجرح يدمله غير العافية لكان شرحه يدمله، أو لو ان ما بالقلوب من الاسى يرحل بغير بشرى الصحة لكانت

الفاظه ترحله ، وعلى ذلك فلو كان الدهر يقاتل بسلاح لقوتل بسلاحها ، أو لو كانت جبال الهموم تذرّى برياح ، لكانت تذرى برياحها ، والنفس واثقة بلطف الله تعالى وبما عود ، وان البشارة ان لم تكن في اليوم كانت في الغد . وكانت الالفاظ العادية كاياديها ، وقد جاءت مجيء مسبل الغمام العام ، وأضاءت بوارقها فاخجلت ما شام الشام ، وتجلت ليالي الهموم منها بانفذ أمر عليها من أنوار الايام ، ولكن الى أن تأتي هذه الكتب قد غضت العيون فكيف منامها ، وطلقت العرائس التي تزفها أحلامها . وبالجملة فكل خبر وان أزعج والعياذ بالله فهو دون ما نظن اذا تأخرت الكتب فتداركونا بها ولله أمر هو بالغه ، وغيب هو شاهده ، والله تعالى يجعل الخير فيهما ، ويعيذنا من جوالب أعمالنا ، ونواقص آمالنا ، وقد اكتنف بي همان أحدهما أمر العلة ، والآخر تأخري عن الخدمة ، فاعذاري وان اتسعت فقد ضيقتها علي الحقوق الواجبة ، وأخرست لساني عن المحبة الغالبة ، وبالله أقسمت أن المشاهدة للآثار وان كانت رائعة ، اروح من التوقع للاخبار وان جاءت سارة ، فانتم فيما هو أروح ، وان كانت لكم المنة ، ونحن فيما هو أبرح ، وان كانت علينا الحجة . وأنا أستحسن قول الشاعر

لولا تمتع مقلتي بلقائه لوهبتها لمبشري بايابه

لو علمت ان الحياة مع الحركة تحملني الى أول نظرة لشريتها وما غلت ، وسرت وما بعدت ، وتجشمت وما شقت ، ولكن لست واثقا والله بالتماسك . ولعل المسألة تقرب ، والوقت يطيب ، والثلج يرتفع ، والطريق يسلك ، والارجاف ينقطع ، والضعف الذي أنا عليه يقف ، والله المستعان ان شاء الله تعالى » اهـ

مطبوعات ومخطوطات

الجواب الصحيح

شيخ الاسلام ابن تيمية الحراني اعظم عالم بالسنة وهو في الاسلام كلوثيروس في النصرانية من التوفر على الدعوة الى الاصلاح الا ان الاول أعلم والثاني أحكم . ولقد توفر ابن تيمية على الاصلاح الديني ببث الدعوة من طريق التأليف والرد على المبتدعة والمخالفين فعدت تآليفه ورسائله بالمئات وكلها آية في انسجامها غاية في نفعها وفيها تقرأ بعض ما خص به هذا الامام من المواهب التي قل ان يطمح اليها فرد فذ في أمم كبيرة وقرون كثيرة . وكانت تآليفه رحمه الله بحسب الحاجة والدواعي . ومعظم المخلصين من المؤلفين يضعون تآليفهم على هذا النحو مدفوعين بتلك العوامل .

ولما ورد من قبرص على عهد المؤلف — وكان يتنقل من دمشق الى مصر — كتاب فيه الحجج السمعية والعقلية لدين النصرانية الف كتابه هذا « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » جعله فصل الخطاب في هذا الباب . وظل هذا المصنف منذ القرن الثامن للهجرة الى يوم الناس هذا مطوياً في الخزائن لايتداوله غير خاصة اهل العلم حتى استرسل دعاة البرتستانت مؤخراً في بث دعوتهم ولا سيما في هذا القطر فانتدب حضرة الفاضل الشيخ مصطفى القباني الى طبع هذا الكتاب الجليل يقابل به تلك المؤلفات الضخمة والرسائل الكثيرة التي وضعها المرسلون

وبهذا رأيت ان تأليف الكتاب كان لباعث قوي ونشره بين الخاصة والعامة كان لباعث أقوى . ومن يرجع اليه يعلم مبلغ علم المؤلف واطلاعه على

الديانات والنحل ووقوفه على السنة وتاريخها وتأدبه مع مخالفيه ولا عجب فهو هو نسيج وحده وغرة جنسه . أما الطابع فمن الرجال المولعين باحياء مآثر السلف والعاملين على نشر أعمالهم فقد طبع الى اليوم من الكتب الممتعة من تآليف أئمة الامة ما يبيض الوجوه . ومما طبعه من كتب حجة الاسلام الغزالي محك النظر ، والاقتصاد في الاعتقاد ، والقسطاس المستقيم ، وفيصل التفرقة . والحكمة في مخلوقات الله . ونشر أيضاً آراء المدينة الفاضلة للفارابي . وما بعد الطبيعة لابن رشد . وتأسيس النظر للدبوسي . والكلم الروحانية لابن هندو وغيرها .

فنشكر له تحفته الاخيرة ونثني على عنايته بتبويب الجواب الصحيح وتصحيحه وهو في أربع مجلدات تتجاوز صفحاتها ١٣٠٠ صحيفة من قطع الوسط وبحرف صغير ومطبوع طبعاً جيداً على ورق صقيل كسائر مطبوعاته وقد جعل ثمنه عشرين قرشاً أميرياً ويطلب من محله بخان الخليلي بمصر ومن سائر المكاتب الشهيرة .

رسائل القاضي الفاضل

عرف القاري من ترجمة القاضي ان رسائله بلغت مئة مجلد بعضها خاص وا كثرها كتب عن صلاح الدين يوسف ولم أظفر له الا برسائل قليلة مفرقة في كتب التاريخ والادب وكان من حقها ان تشتهر بين العالمين والمتأدبين كما اشتهرت رسائل أبي بكر الخوارزمي وابي الفضل بديع الزمان الهمذاني وأبي اسحق الصابي وغيرهم من كتاب الرسائل أيام ارتقاء ملكة البيان العربي .

ولقد ظفرت في خزانة كتب المدرسة الكلية السورية في بيروت

بمجلد ضخم من القطع الوسط من رسائل الكاتب المشار اليه كُتب في القدس سنة ٦٨٣ فيه جانب من رسائله ومعظمها مما كتبه لعماد الدين الكاتب الاصفهاني صديقه بل صنيعته ٠ وعلمت ان أحد الادباء في بيروت سيطبعه على نفقته وعساه يوفق الى ذلك ويعنى بطبعه وتصحيحه وتعليق حواشي عليه إن أمكن على نحو ما يصنع الغربيون عند ما يريدون ان يطبعوا لنا كتابا

صناعة انشاء العرب

للعالم اللوذعي الاستاذ الشيخ احمد الهاشمي نفس طويل في خدمة الادب واللغة اشتهرت مؤلفاته بين ناشئة هذا القطر لما اشتهر عنه من معاناة هذا الفن علماً وعملا . وقد اتحفنا الآن بالطبعة الرابعة من كتابه جواهر الادب في صناعة إنشاء العرب جمع فيه كل شاردة نادرة وحكمة رائعة وأبيات ومقامات وروايات ومكاتبات ممتعة لقدماء الكتاب والشعراء ومحدثيهم مما يفيد طالب هذه الصناعة الشريفة في النسج على منوال أهلها . أجاد في الاختيار ماشاء وشاء ذوقه فجاء كتابه نافعاً في بابه لاسيما وفيه نموذج من انشاء بعض المعاصرين وخصوصاً من المصريين أمثال عبد الله فكري وتوفيق البكري وعبدالله نديم ومحمد عبده وحفني ناصف وحمزة فتح الله وابرهيم اليازجي وشكيب ارسلان ومحمود أبو النصر وحسن توفيق وأحمد سمير وسلطان محمد وأحمد مفتاح وطه محمود ومحمد دياب ووفا محمد ومصطفى نجيب وعبد الكريم سلمان وعبد العزيز جاويش وحافظ ابراهيم واحمد شوقي وعلي الليثي وطنطاوي جوهري وغيرهم ٠ وعدد صفحات الكتاب ٦٥٥ صحيفة مطبوع طبعاً نظيفاً ومشكول بعض محال الاشكال منه ومعلق عليه شرح لغوي ينتفع به الطالب فللجامعه منا أعظم ثناء .

مقامات الحريري

اهدى الينا حضرة الفاضل الشيخ محمد عبد القادر سعيد الرافعي صاحب المكتبة المعروفة في السكة الجديدة نسخة من الطبعة السابعة التي طبعها من مقامات الحريري في المطبعة الاميرية الكبرى وقد جعل شرح ألفاظها اللغوية في أسفل كل صحيفة فجاءت في زهاء سبعمائة صحيفة متوسطة الحجم وقد ألحقها بفهرس في مفردات الالفاظ اللغوية المشروحة والأمثال العربية والاعلام المشهورة على حروف الهجاء فزاد الى خدمة هذه المقامات خدمة وماذا عسانا نقول في الحريري وليس من المتأدبين والعالمين الا من قرأه وانتفع به

ديوان الحماسة

واتحفنا حضرة الشيخ الرافعي المومإ اليه بنسخة من ديوان الحماسة وهو ما اختاره أبو تمام من شعر العرب ذلك الديوان الذى لامندوحة لطالب الادب والشعر عن الاخذ منه لانه زبدة مابقي لنا من آثار الشعراء الاقدمين وناهيك بديوان ينتخبه مثل ابي تمام الذي شهد له بالاجادة في جمعه كما شهد له بالاجادة في شعره ٠ وانتخاب المرء دليل عقله ٠ وقد علق عليه شرحاً موجزاً وطبع الاصل بالشكل الكامل فجاء من الكتب المفرحة المتممة وعسى أن يظل الطابع الفاضل يتحف الادب والعلم بأمهات كتب القوم على هذا الطبع اللطيف والشكل البديع فقد سئمت النفوس تلاوة تلك الكتب السقيمة الحرف والورق ٠ والكتاب في جزءين يقع في زهاء ٦٥٠ صحيفة متوسطة فنثني على صاحب هذه التحف اطيب الثناء

رواية شرف الاسم

مسامرات الشعب مجلة قصصية تاريخية فكاهية لناشرها الاديب عزتلو خليل بك صادق صاحب مكتبة الشعب ومطبعتها بالقاهرة وهي تصدر مرة في الشهر رواية مستقلة برأسها بقلم كاتب من كتاب مصر وقد كانت هذه المرة رواية شرف الاسم من قلم الاديب أحمد أفندي فخري وهي كسائر ماينشره صاحب مسامرات الشعب لطيفة الأسلوب وتقع في ١٦٤ صحيفة

الملائكة والمفلوكون

كتاب جم الفوائد جزل الالفاظ والمعاني طبعته مطبعة الشعب ومكتبها الآنف بيانها وهو تأليف احمد بن علي الدلجي من اهل القرن التاسع للهجرة وهو في الفقر والفقراء وقد قدم له مؤلفه مقدمة هي مثال من امثله البلاغة في التوكل وخلق الاعمال وغيرها ثم اتى على تراجم علماء تقاصت عنهم دنياهم ولم يحظوا منها بطائل والكتاب كله درر وغرر يليق به أن تراه العيون كل ساعة لما فيه من الادب الغض والعبرة البالغة وقد طبع اجود طبع فجاء في ١٤٠ صحيفة كبيرة على ورق جيد فنثني على صاحب مطبعة الشعب الاديب على هذه الذخيرة وعساه لايضن ايضاً بنشر امثال هذه الكتب النافعة في جملة ماينشره

تقويم المؤيد

قلما رأينا لابناء هذه البلاد عملا علمياً سار به صاحبه على سنة الارتقاء الطبيعي وصبر عليه زمناً لينضج مثل هذا التقويم الذي أخذ ينشره كل سنة الكاتب الفاضل محمد افندي مسعود احد منشئي المؤيد الاغر وامامنا الآن تقويمه لسنة ١٣٢٤ هـ وهي السنة التاسعة وفيه من الفوائد السياسية والاجتماعية والتاريخية والصحية والحيوية مالا يعثر عليه الا في المظان المشتتة ولا يستغني عن الرجوع اليه كل فرد من افراد المجتمع وهو في زهاء اربعمائة صحيفة ومطبوع اجمل طبع على أجود ورق وقيمته خمسة قروش . وان اقبال القوم على اقتنائه لاكبر دليل على وفرة حسناته فنثني على صاحبه العامل الطيب ثناء

ترجمة الرافعي

آل الرافعي من الاسرات العريقة في العلم والعمل في مصر والشام تولى افرادها المناصب العلمية والادارية والقضائية في القطرين وقد انتهى الينا مؤخراً كتاب في ترجمة الشيخ عبد القادر الرافعي الكبير مفتي مصر السابق جمعها نجله الاستاذ الشيخ محمد رشيد وقدم لها مقدمة في ترجمة المرحوم ثم أورد اقوال الصحف فيه ومراثي العلماء والادباء في الاقطار العربية بحيث اصبح هذا الكتاب مرجعاً في التعريف بهذا الفقيد العظيم ووزعه مجاناً على احبابه وكل طالب جزاه الله خيراً

أسرار ديوان التفتيش

أهدى الينا حضرة النشيط ابراهيم أفندي فارس صاحب المكتبة الشرقية في مصر نسخة من هذه الرواية وهي من سلسلة روايات «حديقة الفكاهة» التي يصدرها كل شهر وهي غرامية تاريخية فيها تفصيل ما كان يجري في تلك الدواوين الدينية من الاعمال الغريبة على مايعلم من قرأ تاريخ أوربا في القرون الوسطى وهي أجزاء وثمن الجزء قرشان فنشكر له هديته ونثني على نشاطه

عاقبة الامانة

هي رواية ادبية علمية غرامية تاريخية لمؤلفيها الاديبين علي افندي توفيق ومحمد افندي ربيع من مدرسي الانكليزية في هذه العاصمة وفيها كأكثر الروايات «مايرمض ويسر» وهي في زهاء خمسين صحيفة صغيرة فنثني على اجتهادهما

سير العلم

مساكين المحترفين

ليس الفقر مختصاً بطبقة خاصة من الناس من سوقة وباعة ومزارعين وصناع بل قدعض ناب الفقر في الغرب أيضاً طبقة ممن يتعاطون المحاماة والتعليم والكتابة فقد بحث احد الاميركان فرأى أن أحسن طريقة لتلافي هذا الخطب النازل تغيير أساليب التربية فيدخل الاولاد أولا مدارس ابتدائية اجبارية في السن التي يحظر عليهم فيها دخول المعامل ثم يدخلون المدارس الصناعية ولا تكون اجبارية ويبدأ التعليم بالحال بعد الخروج من المدرسة الابتدائية ويكون موجزاً . أما من يريدون التخرج في المحاماة والطب والهندسة فيبدأون بعد بالدراسة ويداومون العمل طويلا وتجد الدروس العالية لها مكاناً بين المدرسة الابتدائية والمدارس التجهيزية الى اتخاذ الصنائع الحرة. وتخف بذلك النفقات التي تنفقها الحكومات الآن ويكون التعليم خاصاً ويقضي التعليم الصناعي على الفقر والحاجة

مدفع للبرد

معلوم ان البرد يضر كثيراً من المزروعات بنزوله عليها ناهيك بأن واحدتها قد تكون بحجم الجوزة . وقد فكر احدهم في ايجاد مدفع يبدد شمل البرد اذا تجمع في الجو ويدفع عاديته عن المزروعات والمغروسات وما زال مخترعه واسمه سيتجر يتوفر على اكمال مدفعه حتى وفق في العهد الأخير الى وضع حلقة في داخل المدفع قطرها من ١٢ الى ١٣ سانتيمتراً وبهذه الواسطة تمكن من قذف الهواء المضغوط بواسطة انفجار البارود بسرعة على اطراف الحلقة بقوة غريبة في القذف العلوي فيضطرب الجو بشدة في الطبقة التي يكون فيها البرد

كتب الدنيا

احصى احد العارفين الكتب التي طبعت منذ اختراع الطباعة فقال انه طبع منذ سنة ١٤٥٠ الى سنة ١٥٣٦ ــ ٤٢ الف مؤلف وطبع من سنة ١٥٣٦ الى ١٦٣٦ قرابة ٢٧٥ الفاً ومن سنة ١٦٣٦ الى ١٧٣٦ ١٢٢٥٠٠٠ ومن سنة ١٧٣٦ الى ١٨٣٦ ــ ١٨٣٩٩٦٠ فكان مجموع ما طبع الى سنة ١٨٣٦ ــ ٣٦٨١٩٦٠ مصنفاً فلو فرض انه طبع من كل كتاب ثلثمائة نسخة فيكون مجموع ما طبعته مطابع العالم الى سنه ١٨٣٦ ــ ٣٣١٣٧٦٤٠٠٠

واحصى احد الاميركان كتب الولايات المتحدة فقال ان في بيوتها ٤٢٠٠٠٠٠٠٠ مجلد وعند علمائها وكتابها ومخترعيها ١٥٠٠٠٠٠٠٠ وعند كتبيها وطابعيها ٦٠ مليوناً وفي خزائن كتبها العمومية ٥٠ مليوناً وعند تلامذتها ثمانية ملايين وعلى تلك النسبة حسب ما في العالم من أسفار فكانت ٣٦٢٠٠٦٠٠٠٦٠٠٠

كليات الشعب باسبانيا

نجحت الكليات التي أنشئت لعامة الشعب ممن لم تساعدهم الايام على الدراسة في الكليات العالية في اسبانيا وهي تفتح مرتين في الاسبوع وتعلم علماً واحداً وليس التدريس فيها خاصاً بالاساتذة بل ان جماعة من اهل الاخصاء من طبيب ومهندس ومحام بل وتلميذ يلقون فيها على المستمعين من طلاب الاستفادة كل ما شاق وراق من الموضوعات .

كلية النساء في اليابان

أسس اليابان كلية جامعة في طوكيو سنة ١٨٩٦ خصت بالنساء دون الرجال وغايتها تعليم اليابانيات ما يؤهلهن للعمل على ترقية الوطن ومدة الدراسة ثلاث سنين تنال الطالبة بعدها شهادة تنطق باقتدارها وكان عدد الطالبات سنة ١٩٠١ ثمانمائة طالبة وتقسم الدروس الى ثلاثة فروع وهي الآداب اليابانية والآداب الانكليزية والعلم والأدب وهذان العلمان يقسمان الى فروع اهمها الاقتصاد السياسي والقانون المدني والفيسيولوجيا وتدبير المنزل والصحة . والمعلمات باجمعهن من نساء يابان او انكلترا ويشترط ان لا يقل عمر الطالبة عن ١٧ سنة وتعيش هذه الكلية بالاعانات الخاصة ولا تدفع لها الحكومة في السنة غير الفي يان (ريال ياباني)

اعظم شلال

كان الباحثون موقنين بان اعظم شلال في العالم هو شلال نيكاراغا في اميركا أو شلال فكتوريا على نهر الزمبيز في افريقية وقد اكتشف الآن شلال ثالث يفوق الشلالين السابقين في كثرة ارتفاع مائه وهو شلال اينياسو القائم على نهر صغير المتدفق من نهر بارانا في البرازيل من جنوبي اميركا سعته ٤٧٣٤ متراً اي انه بالقياس الى شلال نيكاراغا ضعفان ونصف ويدفع في الساعة ٩٤٠ مليون طن (الطن الف كيلو غرام) من علو سبعين متراً وهو في غابة غبياء لم ينزلها بشر ولا رفع منها حجر ولا مدر ومساحتها لا تقل عن الف وخمسمائة كيلومتر مأهولة من جهاتها الاربع .

باطية عجيبة

اخترع أحدهم باطية أو زجاجة تحفظ السوائل التي تملأ بها حارة كانت أو باردة وهي عبارة عن غطائين من الزجاج بينهما فراغ يطلى داخلهما فيمتنع الاشعاع وينفع هذا الاختراع الاطباء والجنود والصيادين والسائحين كما ينفع المرضى ممن يضطرون ان يتناولوا اللبن المغلي في أوقات معينة ومن يريدون تناول الاشربة حارة فيجد المرء متى أراد شيئاً من الشوكولاتا الحارة أو الشاي السخن أو القهوة الحارة ويتيسر للمريض اخذ الماء المغلي متى اراد

مخيم قديم

عثر منذ سنتين في ضواحي مرفأفارامبول من أعمال مقاطعة فيكتوريا في أوستراليا على آثار أقدام بشرية قديمة جداً وذلك في قطعة من الحجر الرملي فأخذت قطعة منه ودفعت لكلاتش أحد علماء الحيوانات والنباتات الارضية (پالونتولوجست) ومن اساتذة كلية هايدلبرغ الالمانية فقال انها آثار وجدت قبل التاريخ . ثم رحل بالذات الى تلك البلاد ليحقق قوله بالبرهان . وقد نشر الآن خلاصة ابحاثه ويؤخذ منها انه وجد في عهد يرتقي الى ألوف من السنين ماتألف به ذاك الحجر الرملي فقام عليه هذا المخيم وحوى اجناساً من البشر قبل التاريخ في اوستراليا وان هذه القارة وتاسمانية كانتا جزءاً من القارة الجنوبية التي كانت تمتد الى المحيط الهندي وتصل اوستراليا بآسيا وافريقية . فدل ذلك على ان الانسان على الارض أقدم بكثير مما يتوهمه بعضهم وربما رد عهده الى مئات الالوف من السنين على مايحققه العلم والبحث

اختفاء بحيرة

الظاهر ان افريقية الوسطى أخذت تنشف بطائحها وتجف مياهها بالتدريج والعناية وقد غابت عن الانظار هذه الايام بحيرة شيروا في الجنوب الشرقي من نياسا في أفريقية الوسطى وطولها ٤٠ كيلومتراً وعمقها عشرون اكتشفت سنة ١٨٦٩ وخفيت هذه السنة

تلفون جديد

التلفون وعربه بعضهم بالمقول معروف في هذه البلاد وقد توصل العلماء الى اختراع نوع منه لاسلك له يستخدم اذا حدثت حوادث في الخطوط الحديدية أثناء سيرها وسينقل من أميركا محل اختراعه الى أوربا وغيرها فتوصل آلته بأي سلك كان

السل البقري

قر الرأي اوكاد على ان السل قد ينتقل بواسطة لبن « حليب » البقر الى المسلولين ممن يشربونه وقد كان ادعى الاستاذ بهرنغ الماني منذ اربع سنين جائزة نوبل في استكهولم عاصمة الدانيمرك جزاء اكتشافه مصلا للخناق — انه اكتشف طريقة اكيدة لتلقيح المصابة من البقر بالسل فثبتت الآن دعواه وصحت . وطريقته هذه ان يحقن كل حيوان في الاعصاب مرتين في بضعة أسابيع وبمقادير معلومة من باشلس السل المأخوذ من المرضى من البشر .

حالة العلم الحاضر

هو كتاب الفه اميل بيكارد أحد اعضاء المجمع العلمي في فرنسا ذكر فيه فصولاً في الجبر والرياضيات والفلك وعلم جر الانقال والطبيعيات والكيمياء وعلم طبقات الارض ومنافع الاعضاء والنبات والطب بقلم يشف عن سلاسة وتحقيق ولا يستقل به الا كبار اهل الأخصاء المحققين فكأن المؤلف وضع دائرة معارف يصعب على كثيرين ان يقوموا ببعض ماقام به هذا الفرد اذ ان الاجادة في هذه الموضوعات لاتتأتى الا لمن وقفوا على الاشتغال اعمارهم وصرفوا في البحث ليلهم ونهارهم قام بهذا العمل العظيم وهو من مشاهير الرياضيين وجعل بين تلك العلوم المختلفة صلة تتجلى منها حالتها اليوم ٠

ومما قال ان العلوم الطبيعية آخذة لهـذا العهد انتتكيف بصورة رياضية وليست الطبيعيات والكيمياء فقط بل العلوم الطبيعية بأجمعها وان تكن هذه مختلفة عن تلك من هذه الوجهة فعلم الحياة (بيولوجيا) الحاضر مثلا آخذ بوضع مبدأ مسلم به من ان الحادثات الحيوية تؤول الى الحادثات الطبيعية والكيماوية ٠ وكل مباحثه تدل على ما ينبغي للعالم ان يعده عما قريب للمستقبل من عدد العلم ليتأتى له أن يحسن البحث العلمي ٠ والحياة العلمية كالحياة الاجتماعية كلما تعاقبت القرون يكثر فيها تعاور الايدي والاشتراك ٠

مقالات المجلات

الجولان في النوم

الضياء ـ مازال امر الرؤى الليلية من الامور الغامضة التي لم يتوصل الحكماء الى حلها بما يكشف عن سرها ويعلل كيفية حدوثها ٠ ومن أغرب اطوارها ما يعرض لبعض الناس أن ينهض من فراشه وهو نائم ويسعى من موضع الى آخر ويفعل أفعالا شتى قد لايصدر مثلها الا عن ارادة وتعقل وشعور تام حتى لايشك من يشاهده في تلك الحال انه مستيقظ ٠ أما ماذهبوا اليه في تعليل ذلك فـذكر ولتر سكوت ان الحواس تكون حينئذ نائمة نصف نوم بحيث ان صاحب هذه الحال يشعر بمكان وجوده لكنه لايكون تام الانتباه حتى يستطيع ان يميز ماحوله بجلاء ٠ وقال غيره انه حتى تكون عيناه مغمضتين يشعر بقوة النور الى حد لايشعر به في حال اليقظة وفضلا عن ذلك يكون حس اللمس فيه على أشد التنبه وبه يتقي مايتعرض له من الاخطار كالمشي

على سطوح المنازل وشواطئ الانهار وبهذا التنبه الشديد في حسه يتأتى له أن يفعل افعالا أعجب مما ذكر فيقرأ ويكتب كتابة في نهاية الضبط من نثر ونظم وقطع موسيقية ويميز أدق الاشياء . قالوا والظاهر ان ما يأتيه النائم من ذلك هو من فعل الذاكرة والعادة بحيث ان حركات الفكر تتألف في النوم على نفس الوجه الذي اعتادت أن تتألف عليه في اليقظة فيكون ما يفعله في النوم تكراراً لما يفعله في اليقظة وأكثر ما تعرض هذه الحال للمصابين بالاضطرابات العصبية كالصدع والهستيريا وما شاكلهما

فوائد صحية

الافكار – تدل الطبقة البيضاء على سطح اللسان على خلل في وظيفة الهضم لاسباب اهمها ضعف عمومي في جميع البدن وعدم مناسبة الطعام والاكثار من تناول اللبن في الصباح وقد يحدث بياض اللسان عن النوم والفم مفتوح لمرض في الانفين او الحنجرة . وعلاجه في تقوية عامة الجسم واعضاء الهضم خصوصاً كاستعمال الطعام المناسب في الوقت المناسب والالتجاء الى الرياضة البدنية المعتدلة .

يجب أن يكون حمام الصباح قصير المدة وأن يستمر عليه المرء يومياً حتى في البرد بشرط ان تكون نوافذ غرفة الحمام محكمة القفل وان يستعمل المستحم الفرك القوي بنشفة خشنة قبل أن يغطس وبعد التنشيف الأول .

سئل الدكتور كلون في مجلته عن علة القبض المستعصي فاجاب ان أهم الاسباب معيشة العزلة والجلوس الكثير الذي يضعف عضلات البطن والانحناء كما في الكتاب والمعلمين والتجار ومن جاراهم في الاعمال الكتابية وافراط في الاكل واهمال الاعتياد على اطلاق الامعاء كل يوم باوقات معينة وعدم مناسبة الطعام كالاكثار من اللحوم والنشويات وعدم تناول الخضر والبقول . ويقوم علاج هذا القبض المستعصي الاصلي بتقوية عضلات المعدة والامعاء خصوصاً وكل عضلات البطن عموماً كما في الالعاب الرياضية واستعمال التمميز (الدلك) والاستحمام واستنشاق الهواء النقي ابداً .

يعالج الزكام (الرشح) المزمن او المستعصي بوضع مقدار صغير من البولين ٣٠ غراماً و ١٠ نقط من زيت اليوكالبتوس في ماء متبخر ويستنشق البخار بعد ان يكون المزكوم غسل الانفين جيداً فيشعر براحة حالا واذا داوم عليه فمن المرجح بل المؤكد شفاؤه .

الجزء السادس المجلد الأول

المقتبس

غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢٤

صدور المشارقة والمغاربة

كولريج

١٧٧٢—١٨٣٤

الغالب ان الشعراء في كل أمة يتقلبون مع الاهواء فلا يثبتون على حال في مناحيهم ومنازعهم. ومن يعشق الخيال ويهيم بالطبيعة فيخاطب السماك والاسماك، ويهيم بنجوم الارض كما يهيم بنجوم السماء، لا بدأن يقلبه الدهر كل مقلب، وتختلف عليه الاطوار والادوار، كاختلاف الطبيعة بين صيف وشتاء وليل ونهار. وصاحب الترجمة ماخرج عن هذا الخلق وخروج الشاعر عنه يعدُّ من الغرائب ولا عبرة بالشذوذ. هو من شعراء الانكليز وفلاسفتهم ربي يتيماً منذ نعومة أظفاره فبعث به أهله الى مدرسة متوسطة في لندن امتاز فيها بأخلاقه الساكنة وشعوره اللطيف وذوقه العجيب في علوم ماوراء

الطبيعة والفلسفة . دخل كلية كمبردج وغادرها بعد سنتين وبعد ان انضم الى سلك عصابة من سرية الدراغون سعى بعض أصحابه فاخرجوه منه

سافر الى مدينة برستول لاول أمره فاتحد وشاعرين شابين مثله (روبرت لوفل وسوتني) وزعموا انهم يريدون ان ينشئوا في ايلينوا من بلاد أميركا مستعمرة تكون أنموذج المستعمرات تحكمها قاعدة المساواة المطلقة والفضائل الاجتماعية كافة بيد انهم ما عتموا ان عشقوا ثلاث اخوات فتزوجوا بهن وعدلوا عن أفكارهم الخيالية وجمهوريتهم الكمالية وتفرقوا تحت كل كوكب فراح صاحب الترجمة يؤازر في إحدى الصحف الحرة بلندن موجهاً أبداً كلامه الى الامة ولذا احازت مقالاته اقبالا . ثم كتب رواية وكان نشر من قبل ديواناً من شعره وانشأ جريدة سياسية أسبوعية لم يصدر منها غير عشرة أعداد فذهب تعبه فيها سدى .

ثم عزفت نفسه عن السياسة واعتزل في احدى بقاع سويرستهير الجميلة وأخذ ينظم فيها أشعاره ويخلد لهذه المدرة بأقواله ذكراً لا يمحى على الدهر وانكب على العمل والدرس ايما انكباب وهناك الف أحسن قصائده الموشحات فنجحت كثيراً ولكنها لم تأته بربح يذكر . وزار المانيا وتمكن من إحكام آداب الالمانية ثم تقلبت به الاحوال فاعتزل واحد صاحبيه الاثنين المشار اليهما مدة ولم يلبث ان عاود المسائل السياسية والدينية فاصبح ملكياً وداعية الى التثليث على ما كان يميل اليه من الحرية المفرطة

تخلى عن الشعر منذ ذاك العهد وانشأ ينشيء في جريدة مورنن پوست مقالات يجادل بها خصومه أشد جدال في معنى الثورة مما دل على فكر متقلقل يذهب مذاهب الخيال بحسب الاحوال . وسعى أحد أصدقائه فانقذه من

تعاطي الافيون تلك العادة الخبيثة الشائعة في الشرق فخاصه بذلك من الجنون وجاءت المنية على الأثر فاختطفته دون ان يتم أعماله العلمية فعهد الى زوجه ان تنشرها بعده .

وكان نفوذ هذا الشاعر الحكيم قوياً في انكلترا لما عرف به من حب الحكمة وأثر عنه من الكتابات الدينية وجاء من حيث شعره مبشراً بالشاعر بيرون ومملياً على قلبه وروحه فقد استظهر بيرون قطعة صالحة من قصائده كانت له عوناً على الرسوخ في ملكة الشعر . يقول كتاب التراجم الناقدون لو كتب لكولريج ان يتخلى عن الدينيات والسياسيات لجاء منه اعظم شعراء عصره وكان احد الاحدين غير مدافع وذلك لما خص به من الاقتدار العقلي وسعة التعبير ولطف الاداء . قالوا وكان حديثه مطرباً في الغاية حتى ان إحدى الحانات الغنية في لندن كانت تنقده مبلغا جسيما من المال ليحضر اليها ويتسامر وبعض المختلفين اليها . وشبهوا اعماله العلمية بقصر ناقص ترى كل ما فيه هائلا جميلا فخيما ولكن لا تشهد فيه شيئاً قد تم على أصله . وسبب ذلك تلونه في مشربه ومذهبه . والثبات على مبدإ من أقوى عوامل الانتفاع بالرجال .

النظامية والمستنصرية

بلغت بغداد في الحضارة أعلى درجاتها إبان التمدن الاسلامي وكانت عاصمة العلم ومبعث أشعة الحكمة حتى في عصور تدنيها أيام ضعفت سياستها وأصبح حكم العباسيين فيها اسمياً ولم تبرح تنفخ فيها روح النمو والرقي التي بثها فيها خلفاء القرن الثاني والثالث فكان العادة أو قوة الاستمرار حكمت ان لا يكون القرن الرابع والخامس والسادس والسابع دون ذينك القرنين الا قليلا . وظلت هذه العاصمة على علاتها أرقى من قرطبة والقيروان ومصر ودمشق وسمرقند وخراسان وغيرها من أمصار الحضارة وقواعد العمل على ما بذل زعماء تلك العواصم من العناية فى مضاهاة دار السلام وقبة الاسلام .

ولقد كانت المدارس احدى العوامل الكبرى في ذاك الترقي ويكاد الفضل يرجع الى بغداد في إحداثها على هذا الطرز المألوف وان بقيت الامة زمناً تتلقى علوم الدنيا والدين في حلقات المساجد والجامع الخاصة . ولقد استاء علماء ماوراء النهر لما بلغهم توفر الخلفاء على بناء المدارس في بغداد واقاموا للعلم مأتماً تفادياً من ابتذاله وخشية ان تصبح الغاية من الدراسة دنيوية محضة غايتها جر مغنم واجتلاب دينا عريضة واسفوا ان رأوا بعض رجال العلم أخذوا يتناولون رواتب لقاء دروس ينفعون بها الامة وكانوا وأجدادهم من قبل يلقونها بلا عوض ولا عرض ينالونه

وكأن الله خص القرن الرابع بأن قامت فيه أعظم كليات المسلمين اليوم الا وهو الازهر في القاهرة الذي بناه القائد جوهر كما خص القرن الخامس

بأن وفق نظام الملك وزير السلاجقة لتأسيس المدرسة النظامية سنة ٤٥٩ هـ ببغداد ووفق المستنصر بالله العباسي أيضاً ان أسس مدرسته المستنصرية في أوائل القرن السابع ببغداد . ولما كانت النظامية والمستنصرية عامرتين بضروب العلم غاصتين بالطلاب والاساتذة لم يكن الازهر يذكر في جنبهما . ولكن دالت الايام ودرست معالم هاتين الكليتين العظيمتين وكتب البقاء لهذه المدرسة المصرية . ولذلك أحصر الكلام فيهما الآن فاقول :

أسس نظام الملك مدرسته النظامية وسط الجانب الشرقي من دجلة وقسمها الى مقاصير كثيرة خص كل فرع من فروع العلوم الدينية والدنيوية ببعضها وجعل فيها غرفاً كثيرة يأوي اليها الطلبة والاساتذة هذا عدا ما هناك من ابهاء ومنتديات وقاعات وبستان فسيح ومصلى واماكن للاستراحة وجميع ما يلزم لدار علم مثلها من سائر مرافق الحياة كالمطبخ والحمام وغيرهما وكانت فيها خزانة كتب عظيمة كما في غيرها من المدارس الكبرى مسبلة على العالمين والمتعلمين فيها . وبنيت طبقتين وأقيمت في أطرافها اروقة وطاقات وجعلت فيها أنابير ومستودعات فيها كل حاجيات أهلها من طعام ولباس وفراش وكان المعلمون كالمتعلمين يكفون المؤونة فيها فينال كل واحد من أوقافها الدارة ما يسد به عوزه وربما ما يفيض عن حاجته

وليس فيما لدي من المواد شيء يصح الاستنباط منه لاصدار حكم صحيح على نظام الدروس والمدرسين والدارسين في تلك المدرسة وناهيك بانه كان لها مفت يفتي أهلها في مصالحها على ما هناك من أساتذة هم فخر الاسلام والمسلمين في أعصارهم فقد كان الشيخ رضي الدين أبو داود سليمان بن المظفر بن غانم بن عبد الكريم الجيلي الشافعي مفتياً فيها . كما

درس فيها جلة مثل أبي اسحق الشيرازي وأبي نصر بن الصباغ وحجة الاسلام أبي حامد الغزالي وأخيه أبي الفتوح أحمد وأبي الفتح بن برهان وأبي القاسم الدبوسي وأبي عبد الله الطبري وأبي محمد الشيرازي وضياء الدين السهروردي وأبي القاسم القشيري وأبي منصور الوزان وأبي الفتح أسعد المهيني وأبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله شيخ العراق في وقته وأبو سعيد المتولي وكمال الدين النحوي وفخر الاسلام أبو بكر المستظهري وأبو بكر بن الدهان النحوي الضرير والشرف يوسف بن بندار الدمشقي وعشرات غيرهم ممن تخرج بهم مئات من الفقهاء والمحدثين والاصوليين والمتكلمين والمتأدبين وغيرهم

وشقيقة هذه المدرسة بل خليفتها المدرسة المستنصرية بناها سنة ٦٣١ المستنصر بالله في الرصافة على ضفة دجلة الشرقية وانفق في بنائها ما ينفقه الملوك في بناء اذا أرادوا به تخليد ذكرهم وأحياء مفاخرهم . وجعل فيها خزانة كتب حملت من الآفاق حملها مائة وستون حمالا وفي روايه بعض المؤرخين انها كانت مائتين وتسعين حملا عدا ما أضيف اليها بعد . قال الذهبي وأوقاف هذه المدرسة عظيمة غلت في بعض السنين سبعين الف دينار قيل ان قيمة ما وقف عليها يساوي الف الف دينار . وقد جعلت على المذاهب الاربعة وأقيم فيها مستشفى وأطباء يدرسون الطب كما يدرس فيها علم الحيوان والنبات والفلك والرياضيات على اختلاف ضروبها والآداب على أنواعها والجغرافية والتاريخ وعلوم الحديث والقرآن

وشرط بانيها أن يكون عدد الفقهاء فيها مائتين وثمانيـة وأربعين فقيهاً يصيب أهل كل مذهب ربع هذا العدد يأخذون رواتب وجرايات كثيرة هذا ماعدا المحدثين والمقرئين ومشاهراتهم وعدا كتاب متصل بالمدرسة

خص بثلاثين يتيماً يستظهرون فيه الكتاب العزيز ويكفون المؤونة وعدا المدرسة الطبية والمستشفى والصيدلية التي يدرس فيها الدارسون ويستشفى بها المرضى ويأخذون ما يقتضي لهم من المعاجين والادوية

وأول من عهد اليه التدريس في تلك الكلية محيي الدين أبو عبد الله ابن فضلان الشافعي ورشيد الدين أبو جعفر الفرغاني الحنفي والنيابة عنهما جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي الحنبلي وابو الحسن المغربي المالكي واشتهر من مدرسيها جمال الدين العاقولي . ووصف هذه المدرسة العالم محمود شكري الآلوسي في كتابه مساجد بغداد ومدارسها فقال انه كان فيها مزملة للماء البارد وان الداخل اليها اليوم من بابها الكبير الجنوبي يرى فسحة طولها نحو مئة متر وعرضها نصف ذلك وفي كل جهة منها ايوان رفيع السمك كأنه أعد كل واحد منها لمدرس من المذاهب الاربعة وان الموظفين بها كانوا أقل من المشتغلين فانهم في كل وقت كانوا دون الفي طالب على اختلاف طبقاتهم واستعدادهم وأما الموظفون فهم دون الالف وكانت التفرقة بين الاصناف والطبقات بالوان الطيالس فذوو الطيالسة الصفر صنف والبيض صنف والحمر صنف وهكذا . وكان في بابها ساعة عجيبة

هذا ملخص ما كانت عليه النظامية والمستنصرية من الاتقان العجيب ولم يبق للأولى من أثر اليوم غير قاعدة منارتها وهي مطبخ أحد الاسرائيليين وبقيت الثانية محفوظة من أيدي التخريب الا قليلا بيد انها حولت الى ادارة جمرك منذ بضع سنين وذهبت تلك الحضارة وما يتبعها جملة وراحت النظامية ولم نعد نسمع الا باخبارها وربما تبعها المستنصرية تلك المدرسة التي بلغ من غرام بانيها بها كما قال ابن العبري انه بنى بجانبها بستاناً

خاصاً له وقلما يمضي يوم الا ويركب في السيارة ويأتي البستان يتنزه فيه ويقرب من شباك مفتح في ايوان المدرسة ينظر الى البستان وعليه ستر فيجلس وراء الستر وينظر الى المدرسة ويشاهد أحوالها وأحوال الفقهاء ويشرف عليهم ويتفقد أحوالهم . فليت المستنصر يحيا اليوم فيرى مافعلت الايام بما شاده وشاده نظام الملك

البابليون

المملكة الكلدانية — قامت مملكة اشورية جديدة مكان بلاد الكلدان القديمة الدائرة دعيت مملكة البابليين او المملكة الكلدانية الثانية . وقد تكلم احد انبياء اسرائيل على لسان الرب فقال : « انا احيي الكلدان تلك الامة الظالمة وسرعان ماتطوف الارض للاستيلاء على مساكن غيرها وان خيولها لا خف سيراً من النمر وفرسانها لينشرون في الاطراف ويطيرون كالنسر ينقض على قنيصته » وبالجملة فقد ألف الكلدانيون الفروسية والحرب والفتح وهم يماثلون الاشوريين كل المماثلة فاستولوا على بلاد الفرس والجزيرة وبلاد اليهود وسورية وكانت مدة حكمهم قصيرة فقد أنشئت المملكة البابلية سنة ٦٢٥ وابادها الفرس سنة ٥٣٨ ق . م

بابل — كان بختنصر (٦٠٤ — ٥٦١) من اقدر ملوكها وهو الذي خرب بيت المقدس وساق اليهود أسرى واسس في بابل عاصمة بلاده كثيراً من المعابد والقصور . اقيمت هذه المعابد بالآجر لقلة الحجر في سهل الفرات . ولما كتب عليها الدثور والعفاء لم يبق منها الا كوم من التراب والانقاض وقد عثر في المكان الذي كانت فيه بابل على بعض كتابات

فعرفت هيئة المدينة . بيد ان هيرودتس اليوناني وصف مدينة بابل وصفاً مسهباً وكان زارها في القرن الخامس ق.م فاذا هي محاطة بسور مربع يشقه الفرات وكانت المدينة تشغل حيزاً من الارض مساحته ٥١٣ كيلومتراً مربعاً (أي سبعة اضعاف مدينة باريز) ولم تكن كل هذه البقعة الفسيحة الارجاء عامرة بالدور والمساكن بل كان يتخللها حقول مزروعة تقوم باود السكان آونة الحصار . فكانت بابل من ثم اشبه بمعسكر حصين منها بمدينة . وفي جدرانها ابراج ولهامئة باب من النحاس الاصفر وكان سمكها صالحاً لمرور مركبة عليها وفي حيال السور خندق عريض عميق ملي ماء وسترت حافاته بالقرمد . وكانت دورها ذات ثلاث طبقات او اربع والشوارع وسطها زوايا قائمة . وما اعجب بناء جسر الفرات وارصفته والقصر الحصين والجنان المعلقة احدى عجائب الدنيا السبع . وهذه الجنان سطوح مغروسة بالاشجار قائمة على عمد وقباب مصفوفة طبقات الاولى بعد الثانية .

برج بابل — بنى بختنصر في طرف المدينة برج بابل وقال في احدى كتاباته «لقد جددت اعجوبة بورسيبا (من ضواحي بابل) ليعجب الناس منها وهو معبد السيارات السبع في الدنيا فاعدت تأسيسه على النحو الذي كان عليه في الازمان السالفة» . وهذا المعبد على شكل مربع مؤلف من سبعة ابراج بعضها على بعض وخص كل برج باحدى السيارات السبع وصور باللون الذي أختاره الدين لتلك السيارة . وهذه الالوان اذا بدئ بها من أسفل فهي : زحل (سواد) والزهرة (بياض) والمشتري (ارجوان) وعطارد (ازرق) والمريخ (قرمزي) والقمر (فضي) والشمس (ذهبي) . وكان في أعلى الابراج مصلى ومنضدة من ذهب وفراش وثير تسكن اليه كاهنة .

اخلاقهم ودياناتهم

اخلاقهم — لانعرف هذه الشعوب الا بمعاهدها ومعاهدها تكاد لاتتعدى اعمال ملوكها فلاترى الاشوريين أبداً الا وهم مصورون في حرب او في صيد او في احتفالات وما صور نساؤهم قط اذ كنّ حلس بيوتهن لايخرجن للناس . وعلى العكس في الكلدان فانهم كانوا أهل حراثة وتجارة ولكننا لانعرف شيئاً عن حياتهم . يقول هيرودتس ان هذه الامة كانت تجمع البنات في مدنها مرة واحدة في العام لتزويجهن فيبيعون الجميلات منهن ويؤخذ ثمنهن ليعطى جهازاً الى مشوهات الخلقة . قال وعندي ان هذا القانون من احكم ماوضع من القوانين والشرائع .

دياناتهم — دين هاتين الامتين واحد فالاشوريون تمذهبوا بمذهب الكلدانيين وقد التبس علينا هذا الدين لانه نشأ كدين الشعب الكلداني من مزيج ديانات متباينة مشوشه كلها . فكان التورانيون يعتقدون على نحو ماتتوهمه قبائل سيبيريا الصفر ان العالم غاص بالشياطين (مثل الطاعون والحمى والاشباح والعفاريت) دأبها تربص البشر بالشر والاخذ بخنقهم ولذلك تراهم لايلجأون الى السحرة ليطردوا عنهم هاته الشياطين برقياتهم . وكان الكوشيون يعبدون ربين ذوي اقنومين الذكر وكان القوة بزعمهم والانثى وهي المادة وكان الكهنة الكلدان وهم مجموع طوائف قوية من المنعة بحيث ساغ لهم ان يعنوا بتوحيد الدينين .

الارباب — الرب المتعال هو ايلوفي بابل واسورفي اشور وقلما يقيمون له معبداً ومنه يشتق ثلاثة ارباب وهم آنو رب الظلمة وصورته صورة رجل وذنب نسر معصب رأسه برأس سمكة . وبعل ملك الارواح مصور

كالملك على عرشه . ونواح وهو العالم المنظور هيئته هيئة جبار ذي اربعة اجنحة منتشرة . ولكل من هذه الارباب ربة انثى اشارة الى كثرة الاولاد والذراري . ثم ترد من اسفل صور القمر والشمس والسيارات الخمس والكواكب وفي هواء بلاد الكلدان الشفاف بضيء سناها اضاءة لم نعهدها فتتلألأ كالارباب . وقد اقام الكلدانيون معابدهم باسم هذه الارباب وما هي في الحقيقة الامراصد يتمكن منها المتعبدمن مراقبة سير الافلاك .

علم التنجيم — ذهب الكهنة الى ان هذه الكواكب ارباب عظيمة تعمل عملها في حياة الانسان . فكل امرئ يولد في الدنيا في طالع كوكب من الكواكب فيتأتى التنبوء بسعده اذا علم الكوكب الذي ولد في طالعه . ومن هنا نشأ علم التنجيم والفأل فما يحدث في السماء علامة على ما سيحدث على الارض . فالنجمة المذنبة مثلاً تنبئ بحدوث ثورة . ويعتقد كهنة الكلدانيين انهم اذا رصدوا القبة الزرقاء وسياراتها يتنبأون بالحوادث وهذا أصل التنجيم .

علم السحر — للكلدان ضروب من الرقى والطلسمات يدمدمون بها لطرد الارواح أو استحضارها . وهذه العادة من بقايا ديانة التورانيين وهي أصل السحر . نشأ علم السحر والتنجيم في بلاد الكلدانيين وانتشر في أفق المملكة الرومانية ثم تعداها الى بلاد أوربا . عرف ذلك من تتبع القوانين السحرية في القرن السادس عشر وكان فيها اذ ذاك كلمات أشورية محرفة .

العلوم — نشأت علوم النجوم في بلاد الكلدان فمنها عرفنا منطقة البروج وتألف الاسبوع من سبعة أيام اكراماً للسيارات السبع وتقسيم السنة الى اثني عشر شهراً واليوم الى أربعة وعشرين ساعة والساعة الي ستين

دقيقة والدقيقة الى ستين ثانية . وعنهم أخذنا طريقة الاوزان والمكاييل محسوبة على مقياس الطول مما ألف بالاستعمال عند الشعوب القديمة كافة

الصنائع

علم عقود الابنية — لا نعرف صنائع الكلدانيين حق معرفتها اذ قد سجل العفاء على معاهدهم . وقد حذا أهل الصنائع من الاشوريين ممن رأينا صنائعهم حذو الكلدانيين فصح الحكم على المملكتين جملة واحدة . كان الاشوريون يبنون كالكلدانيين بآجر مجفف بالشمس ويغشون ظواهر الابنية بالاحجار .

القصور — اقام الكلدانيون قصورهم على آكام صناعية جعلوها واطئة مسطحة تشبه سطوحاً كبيرة واقتضى جعل العلالي والغرف ضيقة واطئة واكتفي بتطويلها كثيراً لان الآجر لم يكن لينفع في بناء القباب المنبسطة العالية . فالقصر الاشوري يشبه سلسلة أروقة ودهاليز . والسقوف سطوح ممتدة ذات شرفات وفي الباب ثيران ضخمة مجنحة على هيئة الانسان . والجدران مغشاة من الداخل تارة بروافد من الخشب النفيس وطوراً من الآجر المزين بالمينا وأخرى بصفائح من الرخام الابيض المنقوش وآنات تزدان الغرف بالصور ويحلى الاثاث بالترصيع البديع

النقش — يعجب المرء من نقوش الصور الاشورية خاصة ومن المحقق ان التماثيل نادرة ولا اتقان فيها لان النحاتين يؤثرون نحت صفائح كبيرة من الرخام ونقوش ناتئة تشبه الصور ويرسمون مشاهد لانظام فيها احياناً وحروباً وصيوداً وحصارات مدن واحتفالات يخرج الملك بها في موكب حفل وهناك تتجلى التفاصيل الدقيقة . فترى بنات الخدام الموكلين بطعام

الملك وزمر العملة يبنون له بلاطه والحدائق والحقول والغدران والاسماك في الماء والطيور ترفرف على وكناتها أو تتطاير من شجرة الى أخرى . وترى صور الكبراء من جوانب وجوههم لان أهل الصناعة ما عرفوا تصويرها من الامام . ولكنك تقرأ في سحناتهم الحياة والشرف . وتظهر الحيوانات في الاحايين وخصوصاً في الرسوم البارزة في الصيد وفي العادة أن تنقل نقلا حقيقياً مدهشاً . وكان الاشوريون يتأملون الطبيعة ويرسمونها أصح رسم وبهذا تعرف قيمة صنائعهم حتى ان اليونان اقتدوا بمذهبهم في الصنائع بان قلدوا النقوش الاشورية ففاقوا مقلديهم وليس في الامم حتى ولا اليونان أنفسهم من أحسنوا تصوير الحيوانات كالاشوريين

حسنات القرن الماضي وسيئاته

معربة عن الفرنسوية

من المعلوم ان حب البذخ قد وجد في كل عصر من عصور العالم وتواريخ الامم القديمة طافحة بالامثلة الكثيرة من ذلك ولكنه كان أبداً سبب الشقاء العام والخاص وتأثيره في هذه القرون الحديثة أدهى وأمر . فقد كان البذخ في القرون السالفة من شأن طبقات الاشراف الكبراء أما في القرن التاسع عشر فاصاب الطبقة الوسطى من الناس تلك الطبقة التي نالت ما نالت بفضل ما خولت من الامتيازات . وهذه الطبقة على كثرة عددها من أشد الطبقات قرباً من الطبقة السافلة وأكثرها بها اختلاطا ولذلك أصاب هذه أيضاً من ذاك المرض شدة ، وبرحت بها تباريح التفخل والتبرج . ومن الاسف ان آفة التظاهر باليسار ما زالت يتفاقم شرها ويعظم ضرها من حين الى آخر وهي من الجراحات الاجتماعية التي هاجمت الطبقات الميسورة

والطبقات المعسورة معا. فقد اعتدنا ان نتخذ من الظل نوراً ومن الظواهر حقائق حتى تضطر الحقيقة ان تكتسي بين اظهرنا في الاحايين رداء اًمموهاً من الكذب للوصول الى الغاية تنشدها

وما دام العلم لم يعم سواد الشعوب وطبقة العملة لا تهديها المعارف الى وجه مصالحها الحقيقية فالميدان رحب لاهل المطامع ممن يستخدمون البذخ آلة لاضلال الرأي العام فيعمدون الى طرق غريبة في الكسب والانتفاع ومنها أشغال البورصة والمضاربات . وسرها قائم بالتأثير في أفكار الرجال بايجاد الثقة وعدمها في بعض الاحوال على حسب أغراضهم وهم يسيئون استعمال الثقة العامة باشاعات كاذبة يلفقونها ليغتنوا فيكونوا عالة على ما اقتصده الوف من البيوت المسكينة وأنت عارف بنتائج أشغال البورصة في الآداب العامة فان زيادة المالية على هذا النحو تضعف الاحساس وتصد الذكاء عن سننه وغايته الحقيقية وتقتل النشاط على العمل . ويسود أعظم نجاح باهر في الصناعات العادية في عيون أصحابها في جانب الوعود الخلابة التي يعدهم بها القائمون على هذه التجارة. ثم ان امثال هذه الثروات السريعة الحصول تنبه طمع من كانوا يقنعون من قبل بثمرات اعمالهم أو أملاكهم فيأخذهم دوار الربح فيتدهورون في هذه المضاربة الخطرة فيؤدي ذلك الى خراب ثروات عديدة وتجلب المصائب على أسرات كثيرة . وما ننس لا ننس الازمات المالية التى وقعت منذ ثلاثين سنة في فينا وبرلين وباريز ولندرا وحدث عنها أفلاس عظيم في الطبقات العالية والوسطى مما يثبت نتائج البورصة السيئة وما هي الا بنت البذخ والزهو الجنوني في عصرنا

ولقد حدت الحال بالامم ان ترقي درجة التعليم العام بداعي الجهاد

المستمر العظيم في معترك الحياة الحاضرة فأخذوا يملأون رؤوس التلامذة الذين يتأهلون للصناعات العلمية والادبية بأنواع المعارف فتضيق عن استيعابها ولا تقوى أجسادهم على تحمل ما ينهال عليها ويصرف من دقائقها فيصابون بأمراض طبيعية وعقلية وتضعف تراكيبهم عن تميم وظائفها وتضطرب تغذيتهم والمساعدات على تراكيبهم النامية

والامم التي تزعم انها في مقدمة الحضارة والقيمة على أسبابها هي التي تجتهد كل الجهاد في هذا المعنى فتنفق النفقات الطائلة لتزيد في ترقية الشبان وإنارة عقولهم وزيادة عدد المدارس وتحسين مواد التعليم العالي والوسط والابتدائي . ولا يفوتنا النظر زيادة على ما ذكر من القوانين الفيسيولوجية (المختصة بوظائف الاعضاء) ان نفوذ القوى العقلية متوقف على كمية الاكسيجين التي يحملها الدم الى الدماغ وعلى الهواء الصافي الذي توفرت فيه مادة الاكسيجين يشاركهما على تحسين مجرى الرئة وهو السبب الضروري لسلامة الوظائف العقلية . فاذا بطل هذا الشرط وأضيف اليه تهييج القوى العصبية الناتج من شغل عقلي طويل وخصوصاً في بعض التراكيب والاعمار يضعف مجرى الدم ويؤدي بالتدريج الى الفقر الدموي الدماغي والى إنهاك القوة الفكرية ويبدأ ذلك بضعف الذاكرة وعدم الامكان في تحديق النظر في الموضوعات المهمة والشبان الذين يتعاطون العلم يصابون غالباً بسوس الاسنان وقد ثبت لاحد أطباء برلين من احصاء خمس سنين ان ثمانين في المئة ممن تقدموا ليكونوا متطوعين في الجيش مدة سنة لم يكونوا صالحين للخدمة .

والفتيات اللائي ينصرفن الى الاشغال العقلية يصبن أيضاً بما يصاب به الفتيان من ضعف الدم والامراض العصبية المختلفة وخصوصاً في سن

البلوغ لان حالة المجتمع الحديث أصبحت تقضي على الفتيات ان ينصرفن جملة الى الكد وإنهاك القوى للتغلب على رنق الحياة ومنهن من لا يجتهدن على هذا النحو الا مجاراة لرغائب والداتهن أو عملا بما يقتضيه التقليد . واذا كان معظمهن عائشات غالبا في المحال المزدحمة ولا تسمح لهن أحوالهن المالية بالعيش أبداً في احياء معرضة للهواء وبيوت توفرت فيها شروط الصحة على بابها فقد أسفر ذلك عن انقطاع الحواس التنفسية عن بلوغ حدها الاعلى من الانبعاث لقلة التمرين الوظائفي مما يؤدي الى بشاعة كثيرة ويفسد الاوضاع الجسدية ويفضي الى الحسر (ضعف البصر) وانحراف العمود الفقري الشائعين بين الفتيان والفتيات في خلال سن البلوغ

وقصارى القول فقد أحدث القرن التاسع عشر تأثيراً في اصلاح الخيرات المادية والادبية والعقلية في جميع طبقات المجتمع عامة وفي طبقات العملة خاصة فقلت قيمة ما احدث وكلفت فوائده أهل الاجيال الحاضرة والمستقبلة كثيراً اذ لم يترك في الوجود غير كثير من المسائل الاجتماعية دون ان يحلها . وسيبقى الجهاد أبداً قائماً على ساق وقدم بين نصراء الطريقة القديمة والمجاهدين لتحقيق نياتهم في الارتقاء الحديث . بين رأس المال والعمل . بين حقوق المجموع وحقوق الافراد .

ومن الاسف انا لا نزال في دور التجارب وإنا لنتطال الى بلوغ عقل الإنسان مرتبة الكمال وهذا لا يتأتى إلا بالانفاق من سائر التركيب النامي الذي يضعف فيعمل على الدماغ فتختلف الاضطرابات باختلاف القوى العصبية والاشغال العقلية والجنس والسن . وافراط الشبان في الاشغال العقلية مضافاً الى الاستكثار من ضروب الشهوات في سن الرجولية هو

الداعي عند بعضهم الى استنزاف مادة القوى ونفوذها العقلي ويؤثر في بعضهم من الجهاد في الحياة ومن مختلف ضروب الاطماع في نيل المراتب والمناصب الإجتماعية ويكون سببها عند بعضهم بذل قوى الافراد الطبيعية والادبية باضعاف التركيب النامي بالاضطرابات والهيجان من كل ضرب .

والحق يقال ان الانسان قد تعلم بفضل ارتقاء الحضارة الحديثة طرق الوقاية من كثير من الامراض بالعمل بالقوانين الفيسيولوجية أي بواسطة الاسباب الصحية في أعمال الحياة الخاصة والعامة . ولا يفوتنا ان تلك القواعد كانت في الازمان الغابرة مجهولة فكان الضعفاء عرضة للهلاك بداعي قلة أسباب مدافعة العناصر العادية التي تتربص بهم الدوائر على حين فاز الاقوياء بما ارادوا من المنعة والوقاية وحيوا حياة طيبة عمروا فيها الى ان تمتعوا باولاد وبنين . هذا وقد توفرت اليوم دور الصحة للفقراء ومستشفيات السل والمصاح والملاجيء والبيمارستانات لليتامى والعميان والصم البكم والمعتوهين والبله . وبالجملة فان المجتمع يؤوي في حجره الفقراء والمرضى والبله والضعفاء وكل من أعوزتهم القوة وخانتهم أسباب الجهاد . وقد صار من لم يعيشوا من قبل الا أياماً في حالة حسنة يعيشون معها ويكبرون ويتبسطون في هذه البيئة الصناعية كالنبات يعيش في بيت من الزجاج بأمن من الاحداث الجوية وربما ولدوا أولاداً ضعافاً مثلهم وإن كانوا على جانب من الذكاء ولكنهم حرموا من الحدة الطبيعية واحتاجوا للوسائط الصناعية لينجحوا وقد ورثوا الاجيال اللاحقة تلك المفسدات العضوية التى لاتؤهلهم لبلوغ الاجل الاوسط من الحياة البشرية أو تعدهم للامراض المهلكة التي تشتد وطأتها على الجنس الانساني وخصوصاً في مراكز السكان الكبرى .

وغير خاف ان نماء التجارة والصناعة في النصف الاخير من هذا القرن لم ينشأ عنه فساد هواء المدن بازدحام الناس في انحائها وبما ينبعث من قاذوراتهم وعفنهم بل قد نتج منه شقاء الطبقة النازلة وانتشار الفجور والفساد والجرائم . وما من أحد يجهل ان السوقه في المدن الكبرى يحتالون أبداً للانتفاع من المفاسد البشرية واماكن اللهو مثل محال القهوة والمجتمعات ودور اللعب والحانات والمواخير حيث ينفق بعضهم في اللعب ما اقتصده وآخرون ينفقونه في معاقرة المشروبات الروحية وفريق منهم يأتون في ناديهم المنكر وهم لا يتناهون . وانت ترى بهذا ان حياة العيال المحبوبة آخذة بالضعف من حين الى آخر كما ان التعلق بالبؤرة (المسكن) الاهليـة آخذ بالفتور والانحلال . ولم تحدث محال القهوة والمجتمعات العامة الالضرورة اجتماعيـة ولتكون معهداً يختلف اليه التاجر والاديب في الاحايين ويتنابه العامل في آونة عطالته . وقد استعيض عن الاخلاق والصلات البسـيطة التي عهدت في الازمان السالفة بغيرها من الاخلاق والعادات ولكنها نكدة مخالفة للطبيعة واجدر بها ان تكون مكسوة بالطلاء اللامع من الظواهر من ان تكون لها حقيقة لا شائبة فيها .

حكم منتخبة من روايات شكسبير

« بارك الله في من يحملون خيراً من الشرّ واصدقاء من الاعداء »

« الفاضلُ جسور والصالحُ لايكون جباناً البتة »

« كثيراً ماننقض ماتصمم عليه فما القصد الاّ عبد الذاكرة »

« في مصائب الزمان امتحان ثابت للرجال »

« لايمكن ان نكون كلنا سادة ولا يمكن ان يطاع كل السادات طاعةً صادقة » (اذا اردت ان تطاع فسل مايستطاع)

« أنتى كنزٍ يأتي به هذا الدهر الزائل هو الصيت النقيُّ فاذا فقد لايكون الانسان الا تراباً مطلياً بالذهب او طيناً مصبوغاً »

« الجبان يموت مرات كثيرة قبل ان يأتيه الموت واما الباسل فلا يذوق الموت الا مرة واحدة »

(واذا لم يكن من الموت بدٌّ   فمن العجز ان تموت جبانا)

« مما أوقن به انه ليس للانسان ان يقنط بتة بل عليه ان يجد وراء خير الامور رغم مايعارضه من اصعب الصعاب »

« ما الحياة حتى نتنولم هذا الضجيج »

« هل اصابني جنون حتى اربي في نفسي ما ليس له من الثمر الا المر واني لأقلعنه من صدري ولو تأصل في قلبي »

« الرجل الشريف يوثق به ثقةً تامة »

« قيل ان الحبّ طفل لانه كثيراً ما يخدع في ما ينتخبهُ »

« لايحتاج الحق الى التلوين لان لونه ثابت ولا يحتاج الجمال الى زينة الطلاء فان الاحسن هو الاحسن بلا مزج اصلاً »

« كن عظيماً في الايمان وقوياً في الصبر على صروف الزمان »

« اذا كنت أميناً يقاومك الأراذل باجمعهم »

« اذا كانت الأكذوبة محضة فقابلتها ومقاومتها أمر سهل ولكن اذا كان فيها شيء من الصدق فقتالها عسر »

« للذة والنقمة آذان صماء لاتسمع الحكم الصحيح »

« الغلبة غلبتان اذا رجع الغالب وعدد جيشه وافر »

«الموت أمر حقير ولكنه يفني ويل الحياة »

« ما الخير والشر إلا مايظنه الانسان خيراً أو شراً »

«اذا لم نستفد من مجرى الزمان ذهبت مساعينا ضياعا »

« يفوقنا أولادنا بحذقهم كما تجاوزنا نحن حذق آبائنا فاننا عرفنا شيئاً وغابت عنا اشياء »

« الناس لايعتقدون بتوبة احد وهذا الحكم مصيب غالباً »

« لافرق إن كانت اكياسنا ملآنة او اثوابنا حقيرة فانما العمل هو الذي يغني » (لا شيء عظيم في الدنيا الا الانسان ولا شيء عظيم في الانسان الا العقل)

« الرجاء الصحيح سريع الجري يطير بجناحي الخطاف ويصير الملوك آلهة وما دونهم من الناس ملوكاً »

« اذا وثق الانسان بنفسه ثقة كاملة وكانت النفس كفؤاً فذلك من الاعمال العظيمة »

«الرجل يحب في شبابه من الطعام ما لايطيقه في شيخوخته »

« ان نفس الكتاب الذي كتبت فيه خطاياي هو نفسي»

«يخسر الرجال شهرتهم اذا لم يراعوها على نحو ماتخسر الجواهر مجدها اذا أهملت »

« أعن الفقير واعضد المسكين وكلما تقدمت الحياة زد إقداماً واحساناً »

« اذا عبس الجو توعد بهياج قريب »

« الرجل الشريف مفطور على الصلاح والكرم والفضل والصفات الحسنة »

« لايعلم المرء ماذا تأتي به كلمةُ السوء من تسميم الحب »

« الزهور الجميلة بطيئة الظهور والعشب البري سريع »

« ما الجمال الاخير باطل مشتبه وضياء لامع سريع الزوال وزهرة تذبل وتموت »

« أوصيك ان تطرح عنك حب الرياسة فقد سقط الملائكة بهذه الخطيئة »

« مادامت الامور مجهولة وجب ان نحسب حساباً لافظع مايمكن ان يصيبنا »

« عارٌ على من يضرب ويقتل لذنوب هو يحبها ويفعلها »

(لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيمُ)

« كثيراً ما يقنع صمت البراءة النقية حيث يخيب الكلام »

« أدع الله فانهُ السميع المجيب وهو أقرب اليك من حبل الوريد »

« الرجل الحكيم لايجلس ويندب خسارته أبداً ولكنه يجهد بسرور في اصلاح ما ناله من الضرر »

« الضربات الكثيرة ولو بفاس صغيرة تقطع أعظم الاشجار وتطرحها الى الارض »

« ان نفس عيوننا كاحكامنا عمياء احياناً »

« قيمة العطايا برمتها تابعة لمقام المعطي »

« من موجبات السرور ان يعمل الانسان ما يجب متى سار في طريق مظلمة »

« من الحكمة ان يعلم اشر الواقع »

« اذا كنت معنياً بحياتك فاطرد الغفلة عنك وكن حذراً متيقظاً »

« مهما كانت حالة الانسان حسنة إذا لم يكن راضياً فحياته صائرة الى غاية الشقاء »

(لكل شيء مدة وتنقضي   ماغلب الايام الامن رضي)

« بادر الى ما يتيسر من الوسائل ولا تهملها »

(ولا أوفر شغل اليوم عن كسل   الى غدٍ ان يوم العاجزين غدُ)

« شر الرياح ما لا خير فيه لأحد » (مصائب قوم عند قوم فوائدُ)

بيروت   يوحنا ورتبات

شبيبة عظيمين

ملخصة عن الانكليزية

كان غليوم الثاني (١) امبراطور المانيا في صباه كما هو الآن خطيباً مصقعاً ولسناً مفوهاً لا تسنح له فرصة كلام الا وتجد لسانه في النطق يسابق الكهرباء في السريان ولم يتخذ لمران قوة بيانه وفصاحة لسانه الا أعقد المسائل السياسية وأهمها فلم يسمع منه في شبيبته سوى قراع الكتائب

---

(١) «المقتبس» من الاتفاق الغريب أن الامبراطور غليوم الثاني ولد سنة ١٨٥٩ وولد المستر روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة سنة ١٨٥٨ كما ولد نابليون بونابرت وولنكتون ومحمد علي في سنة واحدة . فالرئيسان غريبان في امرهما وتربيتهما

والسيف والمدفع وطبل الحرب وميدان الوغى • زادت حميته وقويت حجته وشكيمته في عهد أبيه المسكين الذي قضى أيام ملكه على فراش المرض وبين أيدى الطبيب والجراح ولقد نسي الابن أذ ذاك أباه ولم تأخذه عاطفة من عواطف حب الابن والده وتغلبت عليه شهوة الملك فكنت تراه في خلال مرض أبيه ـ وكان يقضي عليه أن يختفي عن الانظار ويلازم فراشه في ساعاته الاخيرة ليخفف آلامه قبل ان تجرع حمامه ـ لابساً ثياب الحرب ممتطياً صهوة جواده يطوف الطرق وينتقل من بلد الى آخر ويخطب القوم حتى قال فيه بعض كبار الساسة على ذاك العهد ان هذا الامير كبعض الممثلين له شغف باللباس والكلام ولو كان من أبناء فرنسا لعذرناه على الطيش والحمق

ومن حسن حظ المانيا ان قيصرها لم يكن رجل قول بل كان الفعل أقرب الى قلبه والعمل أسهل لديه من تحريك اللسان فلما تولى الملك استبدل الفتيان والصبيان بالشيوخ والكهول فجدد بذلك حياة الامبراطورية وقيد اسمها في سجل الدول الكبرى التي يدير دفتها الشباب وتدبر أمورها الفتوة فكأنه قدَّ من حديد أو صيغ من فولاذ لا يستقر على حال يتجول في الارض فكأنه ملك من ملوك القرون الوسطى تقمصت نفسه في نفس غليوم

أشتهر عن غليوم بانه من رجال العمل ولكن شتان بين عمله وعمل غيره من الملوك وحسبنا على صدق هذا القول ما تكتبه الصحف عنه كقولها « غليوم السائح » و« غليوم الخطيب » و« غليوم ينادي بأنه ملك ملوك الارض » و« غليوم يؤنب أشراف مملكته ويمتدح جندها » و « أمبراطور المانيا يغير ثياب الجند وملابس رجال البلاط » و « القيصر غليوم يطرد بسمارك ويتفرد بالملك والسياسة » و« امبراطور المانيا يضرب الارض باعدائه »

و «امبراطور المانيا الشاعر المصور المستعمر »

وقد يعجز القلم عن ذكر ما للامبراطور من الصفات الكريمة والسجايا الفاضلة التي تميز الملوك عن غيرهم ومن تلك الصفات شجاعة الامبراطور وأمانته واصلاحه ويحكى عنه في صباه ان معلماً أراد ان يتقرب اليه في شبابه ليقربه الامير أيام ملكه فدنا منه وأسرَّ اليه بأن الفحص سيكون في باب كذا من كتاب كذا . هذا ليجدَّ الامير الصغير في التحصيل ويفوز على اقرانه في حلبة الامتحان ولكن شجاعة غليوم واخلاصه عكستا آمال المعلم المتملق فان الفتى صبر حتى جاء وقت الامتحان وتقدم بقدم ثابتة وجأش ساكن الى لوحة الكتابة وكتب عليها يكون الامتحان في كذا كما أسرَّ اليَّ المعلم .

وكان روزفلت رئيس الولايات المتحدة في شبابه يحتقر أكثر المشتغلين معه في السياسة لعلمه بأنهم ثرثارون لا يؤثر عنهم عمل يذكرونهم فئة تقول ما لا تفعل وتخاف التصريح بآرائها وأفكارها ولقد كتب في صباه كثيراً ولكن أغلب ما كتبه في المسائل السياسية والحربية التي عرضت له في حياته وله بعض الكتب في التاريخ وفنون الصيد والرياضة البدنية وغيرها يصف فيها الحياة في غرب أميركا .

وكتب زهاء عشرين كتاباً في أقل من عشرين سنة . وقد ظهر أول كتاب من قلمه سنة ١٨٨٢ ثم كمنت قوته الادبية ست سنوات وأخرج بعدها في سنة ١٨٨٨ رسالة كبيرة مزج فيها العلم بالسياسة وحلل فيها نظام الحكومة الجمهورية تحليلاً دقيقاً وباح بآراء مهمة جعلت له مركزاً سامياً بين اقرانه سيما وقد أفرغ في تلك الرسالة كل ما مر عليه من تجارب في تملقي

ستين قضاها في وظائف الحكومة السامية ومن كتبه كتاب سير الابطال وحياة الفكر والعمل وحياة اوليفر كروموبل وتاريخ نيويورك وقد جمعت وطبعت كلها في خمسة عشر مجلداً وله غير هذه الكتب مقالات كثيرة نشرت في المجلات الانكليزية والاميركية

وقد صرح روزفلت بجميع أفكاره الحرة في كتاب كبير اسمه منتهى الكمال ضمنه مااستطاع من الآراء السياسية والاجتماعية وحلّ فيه كثيراً من المشكلات التي عرضت له في صباه وقد أظهر روزفلت بهذا الكتاب للملاء انه هو الرجل الوحيد الذي يمكن لامة كبيرة قوية ان تضع ثقتها فيه . ومن آرائه في هذا الكتاب انه ليس المجرم الحقيقي هو الذي يسلب ويقتل ويكون هدفاً لسهام العقاب والقصاص انما المجرم الحقيقي هو السياسي أو الصحافي الكبير الذي يثق به الناس وهو غادر منافق يسعى لمنفعته الخاصة والمجرم الحقيقي هو الغني الكبير الذي يلعب بالعدل ويعبث بالقانون ليموت ويترك بعده القناطير المقنطرة من الذهب للورثة الفاسدين . ان المجرمين الحقيقيين هم أرباب المال الذين يظلمون العمال الفقراء حقوقهم ويشربون دماءهم ويبذلون كل مرتخص وغال في سبيل الذهب ويسيرون الى الامام ولو فوق الجثث البشرية . وهاك شذرة من قلم الرئيس روزفلت يصف بها أرباب الملايين في أميركا قال: ليس في العالم أقبح خلقاً وإغراقاً في الدناءة وقلة الشرف من أرباب الملايين الذين ليس لهم عمل ولا غرض في الحياة يسعون اليه سوى جمع المال وحبسه عن المحتاجين والفقراء . ومن الاسف انهم يجمعون تلك الاموال الطائلة ويحرزون ألوف الالوف من الذهب ليستعملوها في أغراض وغايات دنيئة فان أحدهم يلعب بالاسهم المالية والشركات ويملك في يده

زمام المضاربات فيفقر قوماً ويغني آخرين لمحض لذته وسروره أو يهب ابنه الجاهل مقداراً عظيماً من المال فيعيش الولد عيشة الكسل والخمول والفساد والفجور ويندفع في طلب الملاذ السافلة ويجري وراء شهواته الدنيئة أو يشتري لابنته زوجا شريفا فقيراً يلقب (بلورد) أو (دوق) لتكون (لادى) أو (دوقة) وفي بعض الاحيان يؤسس مدرسة أو يجري رزقاً على كنيسة فينسى الناس ذنوبه الكبيرة بتلك الحسنة الصغيرة ويغضون الطرف عن عيوبه ويغفرون له خطاياه ويحسبون ان هذا العمل الحقير الخيري الذي تم على يده يبرر أعماله السابقة واللاحقة بأسرها . هذا الرجل هو الذي لا يحفل بالعمال الذين يموتون من أجله ويقتلون أنفسهم في معامله ومناجمه وهو يسلب حقوقهم ويهددهم بالطرد اذا شكوا اليه بثهم وهمهم وكلما أمكنه نقص من من أجورهم وزاد ساعات عملهم واذا سألته الحكومة في ذلك هزأ بها وسخر منها ومن دستورها وقوانينها . هذا الرجل خطر دائم على الحكومة والامة لانه يرى بعينه الفساد ولا يمد يده للاصلاح ويسمع باذنه أخبار الرشوة المنتشرة بين الحكام والقضاة ولا يحرك لسانه بكلمة تعود بالنفع على وطنه الذي ينتمي اليه والجمهورية التي تحميه بل يجلس ويضحك كأنه من الدنيا في ملعب ولا يحس بأنه فرد من هيئة حية نامية تسأله عن الواجب الذي عليه نحوها قبل نفسه هذا هو المثري الاميركي الذي يحترمه الناس ويبجلونه ويشيرون اليه بأطراف البنان ويثنون عليه قائلين انه من أرباب المال والاعمال.

وانك لترى في أميركا غير تلك العجول الذهبية وهم أكثر عدداً ولكنهم أقل خطراً وأعني بهم أصحاب الافكار المادية المحضة الذين لا يمدون يدهم الى عمل الا اذا علموا انهم ينالون منه كسبا ولا يستحسنون شيئا الا اذا

عرفوا انه مال ومن المال والى المال . ولا يعرفون ان شاعراً واحداً يفيد الامة بعرائس أفكاره أكثر الف مرة من صاحب أكبر معمل لسبك الفولاذ في الولايات المتحدة ولا يعرفون انه مهما زادت التجارة وكثرت الارزاق وقلت الواردات عن الصادرات لا تعوقنا تلك الامور شيئاً عن الفضيلة الضائعة ولا يمكننا بها ان نحل المسائل الاجتماعية الهائلة التي تشغل الآن جميع الامم المتمدنة ويقولون بأن التجارة والاملاك اقدس جانبا وأغلى ثمنا من الحياة والشرف والمجد بما لا يقدر على ان هؤلاء معذورون لانهم لا يحسون بعاطفة كبيرة ولا ينبض في جسمهم العرق الذي ينبض في أجسام أهل الفضل اه

القاهرة محمد لطفي جمعة

تحية حبيب

حي بلاد الشمال خلاق تلك المناظرْ

يامي اين العهودُ هلا ولاك يعودُ قد طال منك الصدودْ

إني أسيرُ الغرام صريعُ لطف الحرائرْ

بالله رقي لضعفي ياخيرَ محبوبَ واشفي سقام مضنىً بطرفِ

يخافُ وقعَ النبالِ بمن تفوق الجآذرْ

ان جال يوماً بفكركْ خيال مُضنى بذكركْ إسقيه من مسك سؤركْ

نفسي أتتْ في خيالي زارتْ وعقلك فاكرْ

ان كنت تمشين صبحاً بالروض والزهر أوحى اليك معنى ونفحا

فذا شعوري وحالي بدا بزي الازاهرْ

كم بتُّ أبكي لبُعدي وما البكاء ليجدي وكلما هاج وجدي

من لطف أهل الدلال خشيت فضح السرائر

كنا وكان اللقاء والشام فيها الدواء حتى دهانا القضاء

أيام صفو الليالي بالبين والكل ناكر

لكن بعد الحبائب يهيج مافي الترائب فالقلب يغدو يخاطب

قلب المحب الموالي على ربوع الخواطر

رودي مهب الجنوب فيه سلام الحبيب ولن يخف نحيبي

حتى أرى للوصال من الشمال البشائر

بيروت عبد الرحمن شهبندر

عود الشباب

كانت العقول في أوربا قبل انتشار العلوم والفنون بين خاصتها وعامتها أشبه بالعقول الآن في معظم البلاد العربية تستهويها الخرافات والخيالات، وتستغويها الاباطيل والترهات ، فيتلقى المرء فكره عن أمه ومرضعته، أو عن خادمه وخادمته ، أو عن محيطه وبيئته ، وكلها عوامل جهل مركب، وأدوات إضلال وانحلال . ومن ذلك ما كان القوم يذهبون اليه من المذاهب في إطالة الاعمار ويتناولون من أجله الاشربة والمعاجين، ويعمدون الى اتخاذه من أساليب تنتهي بالموت لا بالحياة . ولا يزال فينا قسم عظيم من اهل التخريف ، يعتقدون هذا الاعتقاد السخيف ، ويعملون بوصفات وردت في بعض كتب الطب القديم التي ما كانت قط عند الثقات معمولا بها أو يذكرها العجائز والشيوخ وينقلونها خلفاً عن سلف

وقد بحث هذا الشهر أحد علماء الافرنج في أسرار الشبيبة فقال ما تعريبه :

غصت الاجيال القديمة بالاساليب الغريبة لحفظ الشبيبة وكان المفكرون يصرفون من ذكائهم وأعمالهم شطراً كبيراً ارادة تمديد حدود الحياة البشرية . وما من حكيم إلا واهتدى الى مذاهب في هـذا الباب . وقد حوى علم التنجيم والكيمياء والطب وما يتصرف عليها من أنواع هذه الادوية ألواناً وضروباً

نشر أحد أطباء الالمان في القرن الثامن عشر كتاباً رأى فيه ان خير مايبعد الهرم ويبقي على الشباب مااستعمله النبي داود في شيخوخته قائلا ان الجسم المثقل بالايام يستفيد من الاحتكاك بالجسم القريب العهد بالولادة أي الجسم الهرم البالي من الجسم الفتي الشديد . وقد عمد الى استعمال هذا الدواء كثير من أهل الحكمة والفلسفة ومنهم غاليين في القديم وهو عالم التشريح اليوناني المناقض لابقراط في مبادئه الطبية وممن قال به في العهد الحديث روجر باكون الراهب العالم الانكليزي الكبير المتوفى سنة ١٢٩٤ . ذلك لانهم زعموا ان ريح الشباب تعدي الشيوخ والاجسام السليمة الجيدة التركيب ولا سيما النضة الاهاب تزيد الشيوخ والضعفاء قوة لما ينبعث منهم من الروائح الطيبة والابخرة السليمة الشهية ولما فيهم من المزايا والقو

وعند ما بلغ داود على ما في الكتاب الاول من سفر الملوك السبعين من عمره اقترح عليه خدمته ان يتزوج فتاة فانتفع بذلك . وارتأى كثير من الاطباء ومنهم كوهزن ان نفس الفتاة من أنفع الامور للشيخ الهم قائلا ان نفس القوي يقوّي كما أن نفس المسلول يؤذي . وما على من شك في هذا إلا أن يذكر ان رائحة الزهور الياسمية تنعش منا الجسد وتحفنا بالصحة والبهجة . وتوسع كوهزن فذكر أمثلة كثيرة من رجال أوشكوا ان يقضوا نحبهم فأعيدوا الى الحياة بما نفخ فيهم حاشيتهم من روحهم .

وأورد بوريللي الفسيولوجي الطلياني المتوفى سنة ١٦٧٩ وتاكيوس وغيرهم أسماء من أشرفوا على الموت وردت اليهم قواهم بما نفخ أصحابهم الصحاح الاجسام في أفواههم . وكذلك الشأن في استنشاق عرق الفتاة

قال كوهزن حدث ان فتى تزوج بعجوزة فعاد اليها شبابها ورجعت اليها قوتها وصحتها على حين كان زوجها يذبل كل يوم كالزهرة ويقترب من الشيخوخة فتراً وشبراً . وهكذا بلغ كورجياس دي ليونتيوم المئة والثماني سنين واناف ايزوكراتس الفيلسوف الأثيني على المئة سنة . دع عنك الفيلسوف زينون وتيوفراست وغيرهما ممن أعجب معاصروهم بقوتهم ونضرة وجوههم وقد نسب لويز كورنارو الطبيب البندقي المشهور جودة صحته في شيخوخته الى بطانته بيدان الباحثين لم يهتدوا الى ضرر أنفاس الناس شباباً كان أصحابها أو شيباً الا بعد أن ثبت ذلك لطبيبين نطاسيين سنة ١٨٨٧ وأكدا أن الانفاس سم ناقع وان هناك طرقاً ثانية لعود الصحة الذاهبة والنشاط الضائع

ولقد كان لاطباء اليهود والرومانيين كافة طرق خاصة لاطالة الاعمار وكانت أدويتهم في هذا الشأن تختلف باختلاف الزمان والمكان كأن يحتوي بعضها على دهن الاسد وجلد الحرباء ودم الاطفال والبالغين ولكن هذه الادوية لم يكن لها عمل في الاجسام غير القاء الحرارة فيها وبقي العمل بهذه الادوية الى القرن السابع عشر والثامن عشر أيام أخذ الطب والعلم يرتقيان وانقلب الطب ظهراً لبطن ولم يعد يقبل النسبة بين ماضيه وحاضره

وهناك أنواع كثيرة من المقويات والمنعشات واكسير الحياة الذي كان يستعمله القدماء كالاكسير الذي استعمله أحد أطباء السويد وبلغ به المئة والسبع سنين من عمره فأعتقد بنفعه كثيرون . والوسواس والاغراء

ينفعان في مثل هذه الاحوال ولطالما اعانا أصحابهما على ما يريدون .

نشر الكتاب في الغرب منذ تسعة قرون كتباً ورسائل في معنى إطالة الحياة وعددوا من انتفع بمقوياتهم ووصفاتهم من كبار الرجال ولم يعرف اليوم كيفية تحضير تلك المقويات وبقيت أخبار معظمها مجردة لا مستند لها

ولقد مضى على تأصل هذه الاوهام عشرون قرناً ولا يزال الى يوم الناس هذا من يعتقد بأن العود الى الشباب ميسور وان لتلك الادوية أثراً في النفع وما برحت أندية العلم تشتغل وتبحث وكل سنة نسمع باختراع جديد لطول الحياة قد ينجح بعضها بعض الشي وقد تكون فائدتها أقصر من عمر الكرام . وما ننس لا ننس تجارب المجمع العلمي في لندن واللائحة التي تلاها الدكتور فبير واعمال الاستاذ متشنكوف التي نشرها مؤخراً وأعمال كثير من الفسيولوجيين والاطباء والبيولوجيين وكلها ترمي الى الغاء الشيخوخة من سجل الوجود . وقد نشر منذ حين أستاذان من شيكاغو بحثاً ادعيا فيه انهما يعيدان الشباب بالحقن بمصل عجلة ولم يثق الناس بأقوالهما .

وهنا نغفل الاسباب التي تنهك صحة الشباب وتسارع بالهرم الى الجسم ونقف على الذرائع التي تنتج النتائج السيئة فنقول : حاول كثير من علماء منافع الاعضاء ان يعينوا المقدار الضروري من الغذاء للانسان في أدوار حياته واختلفت مناحيهم في ذلك الا ان معظمهم في الغالب قد قدروا ما يلزمه زيادة عن الحاجة . ومن رأي التواتير انه يكفي البالغ ان يتناول كل يوم ١٢٣ غراماً من الزلال (البومين) و١٢٥ من الدهن و٤٠٠ من الهيدروكربون (المواد التي تولد الحرارة) وقال رايك انه يكفيه ١٠٠ و١٠٠ و٢٤٠ وقال مولشخوت ١٣٠ و٤٠ و٣٤٠ . وقال فوستر ١٣١ و٦٨ و٤٩٤ . وقال ارمند غوتيه

انه يكفيه ١٠٠ غرام من الزلال مضافة الى ٦٥ من الدهن و ٤١٠ غرامات من الهدروكربون

واللحم يحتوي على ٢٠ في المئة من الزلال فيكفي الانسان أقل من رطل (مصري) من اللحم في اليوم لايجاد الزلال اللازم ولا ينبغي ان يستعمل مع اللحم شيء آخر من المغذيات كالبيض والجبن وغيرهما . وانت ترى فيما تقدم غلواً وإسرافاً . وفي الابحاث الاخيرة انه لايكفي الجسم ٤٠ غراماً من الزلال . وقال غيرهم من اكابر الاطباء المعاصرين ان ٥ الى ٧ غرامات من الازوت وهي توجد في ٣٠ الى ٤٥ غراماً من الزلال تحفظ قوام الصحة وتقوم بحاجة أقوى الاجسام وهذه الكمية تتيسر بتناول بعض الاغذية النباتية وقد جرب أحد الاطباء فتناول كمية من الازوت من ٦ الى ٧ فكان من ذلك أن تحسنت صحته كثيراً وشفي من داء المفاصل الذي كان أصيب به منذ سنين كما ثبت نفع ذلك لغيره من أصدقائه بالفعل . وخفف ثمانية من طلبة كلية يال الجامعة في أميركا طعامهم فانتهت بهم الحال ان اقتصروا على ٥٠ غراماً من الزلال وهم ممن اعتادوا الرياضة البدنية العنيفة مثل ركوب الخيل والبحر والصيد وغيرها فجادت صحتهم ايما جودة

وارتأى أحد المتطببين في باريز ان املاء المعدة بالطعام وهو مما عمت به البلوى بين الناس كلهم إجمالا لا ينتج الا الضرر فاختار لمن يطبهم الصيام ـ عملا بالمأثور صوموا تصحوا ـ وقد جرب بنفسه فعل الامتناع عن الطعام مرات كثيرة فاسفر عن نجاح بين وثبتت لمرضاه فائدة الاقلال من الطعام بل الامتناع عنه في الاحيان

وكذلك كان مذهب الدكتور باردت في رأيه الذي عرضه على جمعية مداواة الامراض الباريزية وأثبت خطأ قدماء الاطباء في كمية الغذاء المقتفي بزعمهم وقال بأن حواسنا تسمم بالاكثار من الغذاء ذاك الاكثار الذي يجلب لامحالة أمراضاً عضالة وأوصاباً كثيرة

ألا وان الافراط في تعاطي المشروبات والغذاء ليسبب عدة أمراض يكون من مجموعها سرعة الشيخوخة والهرم . ويا ما أشد هول الشره على الاجسام فهو خطيئة أصلية ينبغي تطهير الارض منها وقلما نذكر معاشر البشر فيه على ان الطبيعة تعاقبنا من أجله عقوبات شديدة وتكافئنا فيه فلا نرعوي . متى جاء اليوم الذي يقتنع فيه الناس بالقناعة من العيش وسداد من عوز ويقتصرون من الطعام على ما ينفع ولا يثقل المعدة بشر الصحة والشباب بالقوة

ولقد أبان كثير من نطس الاطباء في كلية باريز الطبية امثال هذه الملاحظات وأبان بعضهم الاضرار التي تنبعث من إكراه الاطفال على إطعامهم كثيراً . وحال الجسم في إثقاله بالاطعمة والزلال كحال آلة تجعل فيها كمية من الزيت تفيض عن حاجتها فانها تنتهي بالوقوف عن الجري على قانونها المعتاد وكذلك جسم الانسان اذا أنضت عليه ما لا يحتمله ويكفيه أقل منه

وبعد فقد أصيبت اليوم الطبقة النازلة من الناس بنقمة الاشربة الروحية بحيث يموت عشرهم منها كما أصيب أهل الطبقة العالية بالنهم والشره والاكثار من المواد الزلالية وكلتا الطبقتين الغنية والشقية تلتقيان في طريق الآلام والاوصاب ومهما يكن من الامر فان الحرمان من الطعام أقل ضرراً من

الافراط فيه والجوع خير من الشبع. واني لارى ان يكف المكثرون من الاطعمة عن تناول أكثر من اللازم ويتركوا الفائض عن حاجتهم لاولئك المعوزين المحاويج فيحفظون بذلك سلامتهم فينتفع بذلك الاغنياء والفقراء معاً. فان التكافل نافع على كل حال وقد أبان علم اطالة الاعمار فوائد الغيرية الاجتماعية وبعبارة ثانية الايثار على النفس وفائدة الاقلال والاعتدال والامتناع عن الاكثار والاقلاع عن المضار

من ملاهي الاندلسيين

ذكر الشقندي في رسالته تفضيل الاندلس على بر العدوة في آثارها وحضارتها وفيما خصت به كل بلد من المزايا الطبيعية والصناعية مما يشبه فرنسا لهذا العهد انه سمع ما في اشبيلية من اصناف ادوات الطرب كالخيال والكريج والعود والروطة والرباب والقانون والمؤنس والكثيرة والفنار والزلامي والشقرة والنورة وهما مزماران الواحد غليظ الصوت والآخر رقيقه والبوق وان كان جميع هذا موجوداً في غيرها من بلاد الاندلس فانه فيها اكثر واوجد قال وبابدة من اصناف الملاهي والرواقص المشهورات بحسن الانطباع والصنعة فانهن احذق خلق الله تعالى باللعب بالسيوف والدك واخراج القرى والمرابط والمتوجه .(كذا)

صحف منسية

شذرات حكمية

سئل أبو سليمان المنطقي لِمَ لم يصف التوحيد في الشريعة من شوائب الظنون وأمثلة الالفاظ كما صفا ذلك في الفلسفة فقال: انا لا نظن ان كل من كان في زمان الفلاسفة بلغ غاية أفاضلهم، وعرف حقيقة أقوال متقدميهم، بل كان في القوم من رأى رأي العامة وحط الى ماحطت اليه ولم يبن منهم كثير شيء مع قدم الزمان ولقاء المحققين الفاضلين وهذا اذا حل لا يكون قادحاً فيما نصصناه من القول في حقائق التوحيد الذي ظفر به خلصان الحكمة، وفرسان الصناعة، على أن الترجمة من لغة يونان الى العبرانية ومن العبرانية الى السريانية ومن السريانية الى العربية قد أخلت بخواص المعاني في أبدان الحقائق اخلالا لا يخفى على أحد ولو كانت معاني يونان تهجس في أنفس العرب مع بيانها الرائع، وتصرفها الواسع، وافتنانها المعجز، وسعتها المشهورة، لكانت الحكمة تصل الينا صافية بلا شوب، وكاملة بلا نقص، ولو كنا نفقه عن الاوائل أغراضهم بلغتهم كان ذلك أيضاً ناقعاً للغليل وناهجاً للسبيل ومبلغاً الى الحد المطلوب ولكن لا بد في كل علم وعمل من بقايا لا يقدر الانسان عليها وخفايا لا يهتدي أحد من البشر اليها وذلك للعجز الموروث عن الهيولى، والضعف الثابت في الطينة الاولى، وهذا لكي يكون الله تعالى ملاذاً للخلق ومعاذاً للعالم

قال أبو حيان لابي سليمان ماالفرق بين طريقة المتكلمين وبين طريقة الفلاسفة فقال ماهو ظاهر لكل ذي تمييز وعقل وفهم طريقتهم مؤسسة

على مكايل اللفظ باللفظ وموازنة الشيء بالشيء إما بشهادة من العقل مدخولة وإما بغير شهادة منه البتة والاعتماد على الجدل وعلى ما يسبق الى الحس أو يحكم به العيان أو على ما يسنح به الخاطر المركب من الحس والوهم والتخيل مع الالف والعادة والمنشأ وسائر الاعراض الذي يطول إحصاؤها ويشق الاتيان عليها وكل ذلك يتعلق بالمغالطة والتدافع واسكات الخصم بما اتفق واتمام القول الذي لا محصول فيه ولا مرجوع له مع بوادر لا تليق بالعلم ومع سوء أدب كثير نعم ومع قلة تأله ، وسوء ديانة ،وفساددخلة ، ورفض الورع بتحمله ، والفلسفة أدام الله توفيقك محدودة بحدود ستة كلها تدلك على أنها بحث عن جميعها في العالم من ظهر للعين وباطن للعقل ومركب بينهما ومائل الى حد طرفيهما على ماهو عليه واستفادة اعتبار الحق من جملته وتفصيله ومسموعه ومرئيه وموجوده ومعدومه من غير هوى يمال به على العقل ولا الف تعتفر معه جناية التقليد مع أحكام العقل الاختياري وترتيب العقل الطبيعي وتحصيل ماندّ وانقلب من غير ان يكون أوائل ذلك موجودة حساً وعياناً وكانت محققة عقلاً وبياناً ومع أخلاق الهيئة واختيارات علوية وسياسات عقلية ومع أشياء كثيرة يطول ذكرها وتعدادها ولا تبلغ أقصى مالها من حقها في شرفها

ثم قال وكان شيخنا يحيى بن عدي يقول اني لا عجب كثيراً من قول أصحابنا اذا ضمنا واياهم مجلس نحن المتكلمون ونحن أرباب الكلام والكلام لنا بنا كثر وانتشر ، وصح وظهر ، كأن سائر الناس لا يتكلمون أو ليسوا أهل الكلام لعلهم عند المتكلمين خرس وسكوت . أما يتكلم ياقوم الفقيه والنحوي والطبيب والمهندس والمنطقي والمنجم والطبيعي والالهي والحديثي

والصوفي قال وكان يلهج بهذا وكان يعلم أن القوم قد أحدثوا لانفسهم أصولا ، وجعلوا مايدعونه محمولا عليها ومسؤولا من عرفها وان كانت المغالطات تجري عليهم ومن جهتهم بقصدهم مرة وبغير قصدهم أخرى قال وكان يصل هذا كثيراً بقوله والدليل على ان النحو والشعر واللغة ليس بعلم انك لو لقيت في البادية شيخاً بدوياً قحا محرماً لم ير حضريا، ولاجاور أعجمياً ، ولم يفارق رعية الابل ، وانتياب المناهل ، وهو على قبح هيئته التي لايشق غباره فيها أحد منا وان كلف(كذا) فقلت له هل عندك علم لقال لا : هذا وهو يسير المثل ، ويقرض الشعر ،ويسجع السجع البديع ، ويأتي بمالو سمعه واحد من الحاضرة وعاه واتخذه أدباً ، ورواه وجعله حجة ، وكان يقول هذه الآداب والعلوم هي قشور الحكمة وما انتثر منها على فائت الزمان لان القياس المقصود في هذه المواضع والدليل المدعى في هذه الأبواب معها ظل يسير من البرهان المنطقي والرمز الالهي والاقناع الفلسفي .

قال أبو حيان رويت لابي سليمان كلاماً لبعض المتصوفة فلم يفكه ولم يهش عنده وقال لو قلت أنا في هذه الطريقة شيئاً لقلت : الحواس مهالك، والاوهام مسالك ، والعقول ممالك ، فمن خلص نفسه من المهالك، قوي على المسالك ، ومن قوي على المسالك ، أشرف على المهالك ، شرفاً يوصله الممالك ، قال أبو الخطاب الكاتب أيها الشيخ هذا والله أحسن من كل ما سمع منهم فلو زدتنا منه فقال : الحواس مضلة ، والاوهام مزلة،والعقل مدلة ، فمن اهتدى في الاول وثبت في الثاني أدرك في الثالث ومن أدرك في الثالث فقد أفلح ومن ضل في الاول وزل في الثاني خاف ومن خاف في الثالث فهو من الهمج واستزاده مظهر الكاتب البغدادي فاستعفى قال :

هذا حديث قوم أباعد منا على بعض المشاكهة . قلنا وما قلناه كاف فيما قصدنا فان استتب خفت العار، واستحليت الغار، (كذا) ولكل افق يقطفون منه، ولولا هذه اللطائف التي هي شعلة النفوس الوافرة والناقصة ، لكانت الصدور تتقرح بأساً ، والعقول تتحير يأساً، والارواح تزهق كمداً ، والاكباد تتفتت صمداً ، فسبحان من له القدرة وهذه الخليقة ، وهذه الاسرار في هذه الطريقة

مطبوعات ومخطوطات

المقابسات

في المؤلفين ناس رزقوا الحظ في مؤلفاتهم فانتشرت في حياتهم وبعد مماتهم انتشاراً وأي انتشار ومن هؤلاء الغزالي والماوردي وابن جرير وابن تيمية ومنهم من بقيت تواليفهم مستورة عن الاعين احياء وأمواتا ولم ينالوا الحظوة فيها كأن يكون من تلامذتهم أو أولادهم أو أصدقائهم من يحتفظ بما كتبوه وينشره في كل أفق على نحو ما فعل ابن الرومية ونشر في المشرق كتب ابن حزم ولولاه لما أبقى منها التعصب باقية . والغالب ان أبا حيان التوحيدي صاحب كتاب المقابسات هو من أهل الفئة الثانية اذ لم أر واحداً في العشرة من الخاصة من سمع باسمه دع عنك من قرأ له رسالة أو فصلا مع انه من أمراء الانشاء وجهابذة الحكماء والعلماء

نشأ المؤلف في زمن خدمه السعد وحف بالبركة بفضل قوة الاستمرار وما كان في العصرين الزاهرين قبله من علية العلماء وجلتهم والعلم لا يذكو

الا بالامن والراحة ولا يغني غناءه الا اذا تسلسل في أجيال عدة حتى صار لهم ملكة راسخة وسنة متبعة .والتوحيدي علي بن محمد نسبة لنوع من التمر ببغداد يقال له التوحيد قال ابن قاضي شهبة وانما قيل له التوحيدي لان أباه كان يبيع التوحيد ببغداد وعليه حمل بعض من شرح ديوان المتنبي قوله

يترشفن من فمي رشفات هن فيه أحلى من التوحيد

قال ابن خلكان إن أبا حيان كان قد وضع كتاباً سماه مثالب الوزيرين ضمنه معايب أبي الفضل ابن العميد والصاحب بن عباد وتحامل عليهما وعدد نقائصهما وسلبهما ما اشتهر عنهما من الفضائل والافضال وبالغ في التعصب عليهما وما أنصفهما قال وكان أبو حيان فاضلا مصنفاً له من الكتب المشهورة الامتاع والمؤانسة في مجلدين وكتاب البصائر والذخائر وكتاب الصديق والصداقة . وتوفي أبو حيان على رأس الاربعمائة. وكلام المرء أحفل ترجمة تعرب عن صفاته ومناقبه .

ولابي حيان من الكتب كتاب المقابسات وهو صغير الجرم كبير الفائدة ذكر فيه وأكثره من محفوظه بعض ما وقع له من مفاوضات علماء عصره في بغداد وكانوا يجتمعون في دار أبي سليمان المنطقي وعنه أكثر مروياته فيتذاكرون في موضوعات شتى في الفلسفة والادب . وأكثرها على طريق السؤال والجواب لرجال جمعت بينهم كلمة العلم والحكمة وهذبت نفوسهم الآداب الحقيقية ولم يفرق بينهم اختلاف نحلهم ومذاهبهم. والعلم أعظم دين جامع بين عباد الله .

المقابسات اقتبسها أبو حيان من مساجلات إخوانه في الحكمة مثل أبي سليمان المنطقي وهو محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني وابي زكريا

الصيمري وأبي الفتح البوشجاني وأبي محمد المقدسي العروضي وأبي بكر القومسي ويحيى بن عدي وعيسى بن ثقيف الرومي وابن مقداد وابي القاسم الانطاكي وكان يعرف بالمجتبى وأبي محمد الاندلسي النحوي وأبي اسحق الصابي والخوارزمي الكاتب ووهب بن يعيش الرقي وابن سوار وماني المجوسي وأبي الحسن محمد بن يوسف العامري وعبيد الكاتب والبديهي وأبي اسحق النصيبي وأبي علي عيسى بن زرعة المنطقي ومظهر الكاتب وأبي الخطاب الكاتب وغيرهم « من كل من هو واحد في شأنه وفرد في صناعته »

والغالب أن مذهبهم في الفلسفة كان مذهب أرسطاطاليس شأن معظم المتأخرين من فلاسفة الاسلام كما قال الشهرستاني في الملل والنحل مثل يعقوب بن اسحق وحنين بن اسحق ويحيى النحوي وأبي الفرج المفسر وأبي سليمان السنجري وأبي سليمان محمد المقدسي وأبي بكر ثابت بن قرة وأبي تمام يوسف بن محمد النيسابوري وأبي زيد أحمد بن سهل البلخي وأبي محارب الحسن بن سهل بن محارب القمي وأحمد بن الطيب السرخسي وطلحة ابن محمد النسفي وأبن حامد أحمد بن محمد الاسفزاري و يسي بن علي الوزير وأبي علي أحمد بن مسكويه وأبي زكريا يحيى بن عدي الصيمري وأبي الحسن العامري وأبي نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي وغيرهم وانما علامة القوم أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا قد سلكوا كلهم طريقة ارسطاطاليس في جميع ماذهب اليه وانفرد به سوى كلمات يسيرة ربما رأوا فيها رأي أفلاطن والمتقدمين

وقد عرف أهل الهند فائدة هذا الكتاب فطبعوه فيما أعلم مرتين والغالب أن النسخة الاصلية يغلب التحريف عليها كثيراً حتى يكاد المعنى

لا يفهم . وقد نقلنا منه شذرات في باب الصحف المنسية . وفي الكتاب دليل على حرية ذلك العصر وانطلاق الافكار فيه ولطالما كان العلماء الذين أخذ عنهم أبو حيان يقولون في مجالسهم عند احتكاك الافكار وظهور بوارق الحق : « يا حسرة الطبيب والمهندس والمنجم والموسيقار والمنطقي والكلامي وجميع أصحاب النظر والقياس » على أنهم ما عرفوا التشنيع على علم لا يعلمونه بل كانوا يجلون أقدار أصحاب الصناعات والافكار على اختلاف طبقاتهم وجمعية أصحاب المقابسات كانت من الجمعيات المرتقية في الاسلام وكان لها أمثال وكل أفرادها من أهل الاخصاء . وللمؤلف كتاب اسمه الاشارات الآلهية في التصوف أطلعت على الجزء الاول منه في خزانة الكتب الظاهرية بدمشق

طبقات الشافعية الكبرى

شرع حضرة الشريف مولاي احمد القادري المغربي بطبع هذا الكتاب بمصر لمؤلفه تاج الدين ابي نصر عبد الوهاب ابن تقي الدين السبكي وهو في ستة مجلدات جاء الاول منه في ثلثمائة صحيفة وليس هو مقصوراً على تراجم رجال المذهب بل هو كما قال مؤلفه كتاب حديث وفقه وتاريخ وأدب . وقد قسم حفاظ الشريعة لعهده الى عشرين طبقة وترجم اصحابها على طريقة الفقهاء لا طريقة المؤرخين . واستفدنا منه أن أول من صنف في الطبقات أبو حفص عمر بن علي المطوعي المحدث الاديب صنف لأبي الطيب سهل الصعلوكي كتاباً سماه المذهب في ذكر شيوخ المذهب ثم القاضي أبي الطيب الطبري وأبي عاصم البغدادي وابي اسحاق الشيرازي وأبي محمد الجرجاني وأبي محمد عبدالوهاب الشيرازي وأبي حسن البيهقي المعروف بفندق وأبي النجيب السهروردي وابن الصلاح وأبي زكريا النووي والحافظ المزي وعماد الدين بن باطيش . وقد جعله الطابع بالاشتراك فجعل من يدفع الاشتراك دفعة واحدة خمسين قرشاً ومن يدفعه بعد تمام الطبع ثمانين مع أجرة البريد . يخابر بذلك محل الحاج محمد ساسي بالقاهرة . وسنتكلم على هذا الكتاب بعد مطولا . فنشكر للطابع عنايته ونرجو له حسن التوفيق الى انجازه

آراء المدنية الفاضلة

اهدانا الاديب الفاضل الشيخ مصطفى القباني نسخة من هذا الكتاب تأليف المعلم الثاني ابي نصر الفارابي من فلاسفة الاسلام وقد قدم له ترجمة لطيفة للمؤلف . والكتاب على أسلوب متدين عاقل ومما طربنا له القول في خصال رئيس المدينة الفاضلة ومضادات المدينة الفاضلة وآراء أهل المدن الجاهلة والضالة . وهذا الكتاب مما يقرأوه المطالع ويعيد مطالعته لجمعه بين الفائدة واللذة وجودة تنسيقه وتأليفه . فنثني على ناشره أجمل ثناء وهو يباع في محله بخان الخليلي بمصر

البيـان

وافانا العدد الاول من السنة الخامسة لهذه المجلة النافعة وهي تصدر بالعربيـة والاوردية في مدينة لكناو من بلاد الهند لمنشئها الفاضل المولى عبـد الله العمادي وتحت أدارة الفاضل الشيخ عبد العلي المدراسي وقد اخذت تصدر مرتين في الشهر بعد ان كانت تصدر مرة ساعية في تهذيب حال الامة الاسلامية في عوائدها واخلاقها متوخية اظهار الحقائق العلمية وابداء الآراء الحكمية والالمام بسيرة رجل عظيم اثر بعض الاثر في المجتمع الانساني واندية العلم وحلقات الادب وقيمة اشتراكها ١٠ شلينا خارج بلاد الهند فنرجو لها الاقبال الذي تستحقه ويستحقه منشئها الاديب

تدبير الصحة

أوان المسكرات

نشر الدكتور شارل دانا استاذ النرولوجيا في كلية كورنل من ايتاكا في أميركا نتيجة أبحاثه في المشروبات الروحية فثبت لديه من حوادث كثيرة أن أوان ادمان المسكرات يبتدئ قبل سن العشرين وان قليلا من الناس يتعاطونها بعـد سن الاربعين . ومن رأيه اذا أرادت الحكومات ان تفلح في مقاومة المسكرات أن تحظر مبيع الكحول الى كل ولد أو شاب قاصر بعقوبات شديدة تجري أحكامها على من يخالف ذلك من المتجرين بها وهذه أنجع واسطة لاقلال عدد من اعتادوا هذه المادة السيئة في ادمان الخمور . قال ان جمعيات الامتناع عن المسكرات في انكلترا وخصوصاً في

ايرلاندا تمنح جوائز من المال لمن يمتنعون كل الامتناع عن تناول الالكحول الى الخامسة والعشرين من سنهم وهذه الطريقة جيدة لان كثيراً من الشبان لاينقضون يميناً أقسموه في هذا المعنى خيفة أن لايقبضوا ما وعدوا به من الدراهم ولو جرت بعض البلاد التي تضعف في أبنائها ارادة النفوس على قانون تضعه في عقاب بائعي المسكرات من تغريمهم وحبسهم مثلا لأتى ذلك بفوائد جمة . ويظن هذا العالم ان هذه الطريقة تؤثر في سير المسكرات تأثيراً محسوساً في بضع سنين بمعنى أنها لا تزيل أثرها بل تقلل من عدد من يتعاطونها ويقل سواد من تضر بهم . وقد عمدت انكلترا الى اتخاذ مثل هذا التدبير ولكن المسكرات ما برحت في بلادها تخرب الاجسام وتزيد الاسقام . وقد جاء في احصاء أخير ان عدد الممتنعين عن المسكرات في انكلترا ثلاثة ملايين وعدد الأولاد ممن سنهم دون الخامسة عشرة أربعة عشر مليوناً فبذلك كان عدد من يتعاطون المسكرات في انكلترا أربعة وعشرين مليوناً يصرف كل منهم في السنة ماقيمته ١٣٥ فرنكاً من المشروبات الروحية . ويقدرون ان كثيراً من أسرات العملة في انكلترا تنفق سدس مالها على المسكرات وأن ماينفق على المسكرات في انكلترا كل سنة يعادل ما أنفقته حكومتها على حرب البوير . هكذا يبحث علماء أمم لا حظر في أديانها على المشروبات الروحية فما هو حال شعوب أصبحت تتعاطاها من غير حرج ولا نكير من دون ما حاجة اليها الا تقليد الغربيين على أن ديانتهم تحظرها وعاداتهم تنكرها وأصقاعهم لا تحتملها .

السياحة والصحة

كان البشر منذ عرف التاريخ يسيحون في الارض الا أن سياحاتهم الاولى كانت للغارة والفتح فلما لرتقوا قليلا في سلم التمدن صارت السياحات للعلم والاتجار ولما أوغلوا في المدنيـة صارت اكثر الرحلات لحفظ الصحة . ومنذ تسلط الانسان على المملكة الحيوانية بعد ان كان في عهده الاول يألف البحيرات ويسكن المغاور والغابات مازال معروفا بميله الى الرحلة ونزوعه الى الانتقال فطرة فيه ينتقل كما تنتقل بعض الحيوانات والطيور ثم تعود ادراجها الى كهوفها واوكارها محافظة على طريقتها الاولى . ولم تكن السياحة في هذا القطر مثلا ضرورية لابنائه ونزلائه قبل ثلاثين سنة كما هي اليوم وقد زادت مرافق الحياة واتخذت اسباب تحسين الهواء واقيمت المعالم النافعة لان مشاغل الحياة ومتاعب المجتمع كانت اقل من الآن واطعمة تلك الايام واشربتها كانت الى البساطة اقرب وطرق العيش كانت الى السلامة . فالعيش اليوم في مصر اشبه بالعيش في لندن

وباريز مع أن الطريقة القديمة كانت ملائمة لهواء البلاد اكثر . وشتان بين طبيعة غربي أوربا وشرقي افريقية .

وقد ارتأى احد أطباء الافرنج في هذه العاصمة ان خير طريقة يلجأ اليها من لايستطيعون مغادرة هذه البلاد في الصيف ان لايفرطوا في شيء أصلا ويمشوا هادئين ويخففوا من العمل ومن الطعام فيتناول المرء في الصباح والمساء طعاما لطيفاً ولا يأكل عند الظهر مانتعب المعدة بهضمه بل يتناول قدحا من الشاي وشيئاً مما يقال له التلمق (عصرونية) وان يعتدل جداً في تناول الاشربة الروحية أو يمتنع عنها كل الامتناع وهو الاسلم ويستحم في النهار والليل بالماء البارد مرتين أو ثلاثاً ولا سيما في منتصف الليل ليستريح الجسم من وعثاء التعب وبرحاء القيظ والحر . قال والسياحة ضرورية لمن لم يولد في هذه البلاد ربما يكون من أبناء أبنائه من يألفون اقليم البلاد أما المصري فان السياحة تكسبه صحة وتجعل فيه قوة ومضاء وتفيده من حيث الاطلاع على معالم الحضارة وآثار العلم والتهذيب

طول الاعمار

شغل هذا الموضوع بال الباحثين من العلماء ومن رأي احد حذاق الاطباء العارفين بعلم الحياة أن العمر يطول مدة تبلغ ست أو سبع مرات من المدة التي يقضيها الحيوان ليستكمل نموه ويبلغ اشده فالقط ينمو في ١٨ شهراً ولذلك كان معدل حياته من ١٠ الى ١٢ سنة والكلب يكبر في سنتين فيعيش من ١٢ الى ١٤ سنة والخيل تنمو في خمس سنين فمعدل حياتها من ١٥ الى ٣٠ سنة فنتج من ذلك ان الانسان لما كان ينمو في عشرين سنة فمعدل عمره من ١٢٠ الى ١٤٠ سنة وقد أورد على ذلك برهاناً أن هنري جانكين الانكليزي عاش ١٦٩ سنة وأنه مات في بلاد المجر في العهد الاخير بطرس سكورتان وعمره ١٨٥ سنة وانه كان في مستشفى بروسيا رجل بلغ المائتي سنة وبيده جواز أعطيه سنة ١٧٦٣ وكان في سن الستين وهو اذ ذاك منذ ١٢٣ سنة ومات ابنه سنة ١٨٢٤ في التسعين من عمره . وقد ارتأى ان اللبن والملح والخبز الجيد والاقلاع عن المشروبات الروحية اعظم باعث على طول الاعمار

سير العلم

خطوط الناس

في الغرب فريق كبير يقولون بمعرفة الرجال من النظر الى خطوطهم ويدعى هذا العلم بالغرافولوجيا فيدعون ان خط المرء صورة منعكسة عن روحه كما ان كتابته تشعر بصفاته · وقد ارتأى احد الاطباء مؤخراً ان هذا العلم ينفع في تشخيص الامراض فلا يسأل الطبيب مريضه عن حاله وما اتاه من الاعمال ويسمع من فيه ماتلقيه عليه المخيلة أو توحي اليه به السوداء بل يتقدم الى مريضه ويستكتبه اسطراً يتعرف بها لاول وهلة حالة صحته فاذا كانت حروفه مائلة بعض الميل ثابتة الأواخر دلت على ظرف صاحبها واذا كانت على العكس من ذلك رخوة لا اشباع فيها دلت على قلة احساسه وهكذا جعل لكل خط صورة تنبئ عن كاتبه وربما يعرف بها مزاجه وكرازة يديه وبسطها في دفع أجرة الطبيب · قالت الصحيفة التي ننقل عنها ولا شك ان اشياع هذا المذهب يتكاثرون بعد

سبر الاغوار

هي آلة اخترعها مخترع نروجي وسماها (بانيمتر) يتأتى بواسطتها سبر غور البحار بالضبط وهي كما جاء في احدي المجلات العلمية مصنوعة على مبدأ رجوع الامواج الداوية التي تعود اذا انبعثت الى النقطة التي خرجت منها بعد ان تلطم اسفل المحيط وبعبارة ثانية هذه الآلة قائمة على مبدأ الصدى وهي كناية عن آلة ناقلة وآخذة ومقيدة ·

ضباب البحار

اخترع احد الالمان آلة يهتدي بها ربان السفينة في الضباب الكثيف الى السفينة القريبة منه ويعرف المسافة التي بقي عليه ان يجتازها ليكون منها قاب قوسين او ادنى وذلك فيما اذا حال الضباب فلم تنتبه تلك السفينة الى رفع الاشارة البحرية المتعارفة اليوم وبذلك لا تصطدم باخرة مع اخرى

عشرون سنة على اميركا

زاراحد اعضاء دار الندوة الانكليزية بلاد الولايات المتحدةسنة ١٨٨٠ وعاد نزارها هذه السنة فدهش من ارتقاء تلك البلاد ماديا في العشرين سنة الاخيرةقال ويظهر انكل طبقةمن طبقات المجتمع هناك اغنى من الطبقة التي تقابلها في أوربا ٠ ومما وقع في نفسه موقع الاستغراب ارتقاء التعليم العالي اذ ترى اليوم في تلك البلاد من١٠ الى ٢٠ كلية جامعة تجاري اشهر كليات أوربا وكل سنة يتضاعف عدد طلبتها ففي كلية يال من التلامذة ما يربو عددهم على طلبة كلية اكسفورد الانكليزية وفي خمس كليات في شرقي اميركا من الطلبة ما يزيد على عدد طلاب الكليات في انكلترا باسرها ٠ قال ان الذوق العام والشعور الادبي قد بلغا عند الاميركان اليوم مبلغ الكمال وعيش الطبقة العالية منهم خيرمن عيش الطبقة التي تقابلها في انكلترا واحسن سبيلا وقد بقي في اميركا الآن ثلاثة امور لم يدخلها قلب ولا ابدال الا وهي الحياة السياسية والادارات البلدية ومسألة العبيد وهذه المسألة لا تزال على ما كانت عليه منذ عشرين سنة ٠

الانتقاد الادبي

رأى احد علماء فرنسا ان يجعل للنقد طريقة انجح من طريقته المتبعة الآن وذلك بأن لاتنقد الا الكتب أو الروايات التي واتفقت على استحسانها جمعية مطالعة مؤلفة من طبقة عالية من الصحافيين والمؤلفين ويرى ان هذه الطريقة مما يزيد به انتشار الكتاب ويبعث القراء والمبتاعين على مطالعته وابتياعه ٠

مقالات المجلات

طبقات الناس

في مجلة افرنسية بحث في أنه من المتعذر علمياً جعل الناس في طبقة واحدة من المسئولية وعدمها وانه ليس من العدل تقسيمهم الى طبقتين غير مسئولة وهي المجانين ومسئولة وهي العقلاء بل ينبغي تقسيمهم الى ثلاث العقلاء المسئولون والمجانين غير المسئولين ونصف المجانين نصف مسئولين ٠

التعليم في يابان

تناقلت المجلات العلمية ماهو موضوع البحث بين المجلات اليابانية اليوم من انشاء مدارس جديدة وقد اختلفت آراء اليابانيين في طريقة التعليم فبعضهم يريدون ان تتعدد الدروس والفنون في المدارس وبعضهم يودون الاقلال منها لئلا تشغلهم النظريات عن العمليات . ورأى بعضهم أن التعليم على ما هو عليه عندهم الآن في معظم المدارس ناقص الجهاز عقيم الاسلوب اذ أن التلامذة يتعلمون اللغات الاجنبية ولا يتقنونها ولا يكتبون فيها ولا يقرأون فيجيدون وقد حسدوا أهل الغرب على انهم يكثرون من مواد التعليم في مدارسهم الابتدائية والوسطى والعالية ليعدوا عقول التلامذة للاكتشاف والاختراع .

مناجاة الارواح

المقتطف ـ ان انخداع الناس بما يرونه ويسمعونه أكثر مما يظن لاول وهلة فقد اتفق مراراً ان شاهدنا بعض المدعين مناجاة الارواح نحن وجماعة من الادباء فخيل لهم انهم رأوا وسمعوا مالم نره نحن ولا سمعناه وزاد الفرق بيننا وبينهم حينما تكلم كل منا عما رآه وسمعه فان الوهم صور لهم الامور على غير حقيقتها حتى صرنا نرتاب في كل ما نسمعه من غرائب التنويم ومناجاة الارواح . فان كانت روح الميت تبقى في هذه الدنيا حول الاحياء تناجيهم وتؤثر فيهم وتسمع كلامهم وتجيب طلبهم فعلى م لاتفعل أهم شيء يزول به الاشكال وهو ان تقول للاحياء انا روح العالم فلان جئتكم لأثبت لكم ماكنتم انكروه . ان اشهر من ادعوا مناجاة الارواح اعترفوا اخيراً انهم كانوا يستعملون الحيل لخداع الناس . ان الارواح التي يزعم مستحضروها انها ارواح الموتى لاتفعل الا اسخف الاعمال واحقرها فلا تكشف سراً في كشفه فائدة لاحد ولا تنبيء بامر من الانباء به نفع ما مع أن مستحضريها يدعون انها تفعل ما هو اقرب من ذلك ومن يصدقون بمناجاة الارواح ويمارسون ذلك تضعف قواهم العصبية رويداً رويداً ويتنهي امرهم الى الجنون ومن كانت أعصابه كذلك لايركن الى احكامه وتصوراته . ثم ان مدعي استحضار الارواح مشعوذون كلهم ماهرون في تحويل انتباه الذين امامهم عن الامور الجوهرية في حيلهم أي مالا علاقة له بها . والمكان والزمان لايصلحان للبحث والتنقيب فيتعذر على الرائي ان يكتشف الحيل لا سيما وهو غير معتاد على ذلك

الطوتمية

الهلال ـ الطوتم لفظ دخل اللغات الافرنجية في أواخر القرن الثامن عشر من لغة

أوجيبي من هنود اميركا ويراد به كائنات تحترمها بعض القبائل المتوحشة ويعتقد كل فرد من افراد القبيلة بعلاقة نسب بينه وبين واحد منها يسميه طوتمه وقد يكون الطوتم حيواناً أو نباتاً او غير ذلك وهو يحمي صاحبه وصاحبه يحترمه ويقدسه او يعبده واذا كان حيواناً لايقدم على قتله او نباتاً فلا يقطعه او يأكله وتختلف الطوتمية عن عبادة الحيوانات والنباتات الشائعة عند بعض تلك القبائل المعبر عنها بالديانة الفتشيه أن هذه عبادة صنم بصورة حيوان وتلك تقديس نوع من انواع الحيوان او النبات او عبادته . والطوتمية الآن منتشرة في العالم المتوحش فهي عامة بين قبائل اوستراليا وكثيرة الانتشار في شمالي اميركا وفي بناما . والطوتم الشائع هناك الببغاء ولا تخلو اميركا الجنوبية من آثار الطوتمية على حدود كولمبيا وفنزويلا وفي جيانا وبيرو . وللطوتمية شأن كبير في افريقية فانها شائعة في سينغمبيا وبين قبائل البقالي على خط الاستواء وعلى شاطئ الذهب والاشانتي وبين الدامارية والبكوانية في جنوبي افريقية وفي اماكن كثيرة من تلك القارة المظلمة ولها آثار في مدغسكر وبعض جزر ملقا اما في آسيا فلها أثر في اواسط الهند بين بعض قبائل البنغال غير الآريين وفي سيبريا وبعض جهات الصين وجزائر المحيط

لا جديد تحت الشمس

مما رواه صاحب نفح الطيب من ذكاء أهل الاندلس في استخراج العلوم واستنباطها أن أبا القاسم عباس بن فرناس حكيم الاندلس هو أول من استنبط بالاندلس صناعة الزجاج من الحجارة وأول من فك بها كتاب العروض للخليل واول من فك الموسيقى . وصنع الآلة المعروفة بالمثقال ليعرف الاوقات على غير رسم ومثال واحتال في تطيير جثمانه وكسا نفسه الريش ومد له جناحين وطار في الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتيال في وقوعه فتأذى في مؤخره ولم يدر أن الطائر انما يقع على زمكه ولم يعمل له ذنبا وفيه قال مؤمن بن سعيد الشاعر من أبيات

يطم على العنقاء في طيرانها   اذا ما كسا جثمانه ريش قشعم

وصنع في بيته هيئة السماء وخيل للناظر فيها النجوم والغيوم والبروق والرعود

المقتبس

غرة رجب سنة ١٣٢٤

صدور المشارقة والمغاربة

« ابن الحناط الكفيف »

كلما نظرنا في تراجم رجال الاسلام نظر الناقد المستبصر يتجلى لنا ان من نفعوا الأمة نفعاً حقيقياً هم في الاكثر ممن كانت لهم ولو مشاركة قليلة في العلوم الطبيعية والرياضية والتاريخية لان هذه الفنون تلقح فكراً جديداً وتكبر دائرة تصور المشتغل بها ولو نظر فيها نظرة إجمالية فما الحال به اذا احكمها كل الاحكام . وذاقها كما يذوقها ارباب الاحلام .

خذ لك مثالاً من ترجمة الرازي وابن تيمية والغزالي وغيرهم فقد كانوا من المتمكنين من علوم الاوائل وتواريخهم لذلك كتبت لهم الاجادة في كل ما أثر عنهم من المصنفات الدينية وغيرها . وصاحب الترجمة ابو عبد الله ابن الحناط الاندلسي هو احد الامثلة في هذا الباب إلا انه انصرف بكليته الى علوم الدنيا فافاد واستفاد ولم يصده فقد البصر عن توفر البصيرة في العلم

والادب . ولا غرو فقد كان عصره وقطره مبعث النور ومنبثق الفضائل .

قال في الذخيرة : هذا زعيم من زعماء العصر كان ورئيس من رؤساء النظم والنثر في ذلك الاوان . وجمرة فهم لفحت وجوه الايام . وغمرة علم سالت باعلام الانام فكم له من وقذة لا يبرأ أميمها . ونكزة لا يسلم سليمها . وكانت بينه وبين أبي عامر بن شهيد بعد تمسكه باسبابه . وانحياش كان الى جنابه . مناقضات في عدة رسائل وقصائد اشرقت ابا عامر بالماء . وأخذت عليه بفروج الهواء . وقد اوردت من ذلك ما يكون انطق لسان بنباهة ذكره واعدل شاهد على براعة قدره

وقد ذكره ابن حيان في فصل من كتابه فقال : وفي سنة سبع وثلاثين واربعمائة نعي الينا ابو عبد الله محمد بن سليمان بن الحناط الشاعر الضرير القرطبي بقية الادباء النحارير في الشعر . هلك في الجزيرة الخضراء في كنف الامير محمد بن القاسم . وهلك أثره ابنه الذي لم يكن له سواه بمالقة فاجتث أصله . وكان من اوسع الناس علماً بعلوم الجاهلية والاسلام . بصيراً بالآثار العلوية . عالماً بالافلاك والهيئة حاذقاً بالطب والفلسفة . ماهراً في العربية واللغة والآداب الاسلامية وسائر التعاليم الاوائلية . .

من رجل مرهق في دينه مضطرب في تدبيره . سيء الظن بمعارفه شديد الحذر على نفسه فاسد التوهم في ذاته . عجيب الشأن في تفاوت احواله . وولد أعشى ضعيف البصر متوقد الخاطر فقرأ كثيراً في حال عشاه ثم طفئ نور عينيه بالكلية فازداد براعة . ونظر في الطب بعد ذلك فانجح علاجاً . وكان ابنه يصف له مياه الناس المستفتين عنده فيهتدي منها الى ما لا يهتدي اليه البصير ولا يخطئ الصواب في فتواه ببراعة الاستنباط وتطبب عنده

الاعيان والملوك والخاصة فاعترف له بمنافع جسيمة وله مع ذلك اخبار كثيرة مأثورة

عميان يؤلفون

تكاد تكون قاعدة لا تتخلف ان من فقد احدى حواسه تقوى فيه غيرها فمن فقد بصره مثلاً تقوى ذاكرته ومن فقد سمعه يشتد ادراكه . ولما قرأت ترجمة هوميروس الشاعر اليوناني وعلمت انه كان ضريراً وقرأت ترجمة ملتون الشاعر الانكليزي وعلمت انه كان كذلك وقرأت ترجمة ابي العلاء المعري الشاعر العربي وقلت انه كان مثلهما وقرأت ترجمة ابن الحناط وقع في نفسي ان اكتب مقالاً في عميان صنفوا واجادوا ايام كان العرب يؤلفون ويجيدون

فمنهم قتادة بن دعامة كان اكمه وكان يقول لقائده سعيد بن أبي عروبة تجنب بي الحلق التي فيها الخطأ فانه ما وصل الى سمعي شيء فاداه الى قلبي فنسيه . وكذلك كان بشار بن برد رأس طبقة شعراء المولدين اكمه وغاية في ذكائه وتوقد خاطره . وكان ابن الثمانيني نحوياً الف فيه وانتفع بالاشتغال عليه جمع كثير توفي سنة ٤٤٢ هجرية وكان شمس الدين بن جابر الاندلسي ضريراً وهو صاحب بديعية العميان وله امداح نبوية كثيرة وتآليف منها شرح الفية بن مالك وغير ذلك وله ديوان شعر جيد توفي سنة ٧٨٠ . وكان ابو بكر بن هذيل الكفيف عالم أدباء الاندلس اخذ عنه صناعة الادب جماعة منهم الرمادي الشاعر القرطبي المشهور . وكان ابو عبد الله محمد بن الصفار القرطبي حافظاً للآداب اماماً في علم الحساب مع انه كان اعمى مقعداً مشوه

الخلقة ولكنه اذا نطق عرف كل منصف حقه

وكان العلامة ابو القاسم الشاطبي صاحب حرز الاماني والعقيلة وغيرهما المقري الفقيه الحافظ من كبار أئمة الاسلام مكفوف البصر قوي الحفظ وكان يقول عند دخوله الى مصر انه يحفظ وقر بعير من العلوم وكان عالماً بكتاب الله قراءة وتفسيراً وبحديث رسوله مبرزاً فيه وكان اذا قرئ عليه صحيحا البخاري ومسلم والموطأ يصحح النسخ من حفظه ويملي النكت على المواضع المحتاج اليها وهو اوحد في النحو واللغة. وكان ابو البقاء العكبري شارح ديوان المتنبي وغيره من الكتب الجيدة مكفوف البصر حاسباً فرضياً نحوياً ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله في فنونه وكان الغالب عليه علم النحو توفي سنة ٦١٦

وكان ابن سيده المرسي الحافظ اماماً في اللغة والعربية جمع في ذلك جموعاً منها كتاب المحكم في اللغة وكتاب المخصص الذي طبع حديثاً وله غيره من الكتب الممتعة التي لم يؤلف في فنها مثلها وكان ضريراً وابوه ضريراً ايضاً وكان ابوه قيماً بعلم اللغة وعليه اشتغل ولده في اول امره توفي ابن سيده سنة٤٥٨ وكان يحفظ عشرات من امهات كتب اللغة. وكان ابو الحسن علي ابن عبد الغني الفهري المقري الشاعر عالماً بالقراآت له عدة تآليف توفي سنة ٤٨٨. ومن مشايخ عبد اللطيف البغدادي الفيلسوف المشهور الوجيه الواسطي كان تلميذه يحفظه ويحفظ معه ثم يذهبان الى كمال الدين عبد الرحمن الانباري فيقرأ درسه .

وكان ابو الحزم الماكسيني الموصلي المقري النحوي المتوفى سنة ٦٠٣ جامع فنون الادب وحجة كلام العرب اخذ الناس عنه وانتشر ذكره في

البلاد وله رواية واسعة . وكان خليفة ابي العلاء المعري في عماه وادبه وهو ينحو منحاه . وكان ابو عبد الله هشام بن معاوية النحوي الكوفي ضريراً وله عدة تصانيف في النحو ومن جملة من اخذ عنه الخليفة المأمون. وكان ابو العز مظفر ابن ابراهيم العيلاني المصري الاعمى شاعراً مجيداً صنف في العروض وله ديوان توفي سنة ٦٢٣ وكان ابو القاسم بن الخطيب الاندلسي صاحب الاشعار الكثيرة والتصانيف الممتعة المتوفى سنة ٥٨١ مكفوفاً ضريراً

وكان ابو عيسى ابن الضحاك السلمي الحافظ المشهور احد الائمة المصنفين في الحديث ضريراً . وكان ابو العيناء صاحب النوادر والشعر والادب مكفوفاً كف بصره وقد بلغ الاربعين . وكان ابو بكر ابن الدهان النحوي الواسطي ضريراً وهو من مدرسي النظامية . وهكذا لو تقصيت اسماء الرجال لقرأت العجب من احوال أولئك العميان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

الحق مشاع

لعل بعض الناظرين في هذا العنوان يعده خروجاً عن القصد وخطلاً في القول وضلة عن سبيل السلامة وما حكم من يبادر الى التنديد بادىء الرأي إلا حكم من استغواه الهوى واستهواه الغرض فان الحق كان ولا يزال مشاعاً بين الامم والبلدان والمذاهب وما قط كان وقفاً على أمة معينة ولا على بلد خاص ولا على مذهب معلوم . الحق كنز ثمين يأخذ كل منه بحسب استعداده واسبابه بل نور يعم العالمين على قدر خلاصهم من العوائق وبصرهم بالاستنارة به

يخطيء كل الخطأ من يذهب الى ان كل ما يعتقده أهل المذاهب والنحل لا ظل له من الحق وان اهل النحل المتعددة في الاسلام مثلاً كالاباضية

والسنية والمعتزلة والشيعة قد ضلوا إلا قليلاً والحقيقة التي يقتضي اعتبارها ان الحق تقسم بين اهل هذه المذاهب والنحل ومن اراد ان ينشده فلا يتأتى له ذلك إلا بالنظر فيما كتبه أئمة هذه المذاهب ثم ينخل ما يقرأه وينتحل ما يراه الحق المطلق وهكذا الحال في العلم الذي هو من الاوضاع البشرية فانه ما خص بقبيل ولا بجيل بل هو موزع على القدماء والمحدثين والشرقيين والغربيين

توخيت ان أصرح هنا بهذا الفكر على جليته حباً بتقرير جملة تقطع السن من يشاغبون في كل ما لم تألفه اسماعهم ويعتقدون ان ما لم يعرفوه ولا آباؤهم ليس من الحق في شيء . فلا يعظمن على بعضهم اذا قرأوا في طريد هذه الصحيفة ما لا ينطبق مع رغباتهم فالعلم كالحق كثير الافنان والفنون لا دين له ولا نحلة وناشره معه خازن أمين يجمعه ليصرفه عند مسيس الحاجة. وربما كان فيما يجمعه كحاطب ليل يجمع بين الجيد والرديء ولا يكاد يشعر ولذلك كان على من أوتي نوراً من الحق اكثر من غيره ان يقبسه صاحبه ويدله على عوراته .

فقد خالف ابن عباس عمر وعلياً وزيد بن ثابت وكان اخذ عنهم وخالف كثير من التابعين بعض الصحابة وانما اخذوا العلم عنهم وخالف مالك كثيراً من اشياخه وخالف الشافعي وابن القاسم واشهب مالكاً في كثير من المسائل قال ابن الازرق وكان مالك اكبر اساتيذ الشافعي وقال لا احد أمنّ عليّ من مالك وكاد كل من أخذ العلم عنه ان يخالفه بعض تلامذته في عدة مسائل وما عدّ ذلك من سوء أدب التلميذ مع شيخه ولا من الخروج عن مراجعة الحق الذي توزعته عقول الناس ونال كل منهم قسطاً منه .

روى ابن جرير عن ابي مخنف عن الصقعب بن زهير عن الحسن قال

أربع خصال كنَّ في معاوية لو لم يكن فيه منهنَّ إلا واحدة لكانت موبقة انتزاؤه على هذه الامة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير وادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله (ص) الولد للفراش وللعاهر الحجر وقتله حجراً ويلاً له من حجر واصحاب حجر مرتين — روى ابن جرير هذا وما عدَّ من الشيعة

ورأى المنذر بن سعيد ارجوزة لابن عبد ربه يذكر فيها الخلفاء ويجعل معاوية رابعهم ولم يذكر علياً فيهم ثم وصل ذلك بذكر الخلفاء من بني مروان الى عبد الرحمن بن محمد فلما رأى ذلك منذر غضب وسب ابن عبد ربه وكتب في حاشية الكتاب

او ما عليٌّ لا برحت ملعناً　　يا ابن الخبيثة عندكم بامام
رب الكساء وخير آل محمد　　داني الولاء مقدم الاسلام

قال هذا منذر بن سعيد قاضي الجماعة بالاندلس وما عدَّ شيعياً . وكم في تاريخ السلف من أمثال هذه الانباء التي تدلنا على مبلغ حرية القوم وان الحق مشاع ليس وقفاً على فئة وان التقيد برأي واحد او عدة آراء ولاسيما في المسائل العلمية ليس من السداد في شيء بل هو سبب عظيم من اسباب انحطاط العلم في الشرق

الفينيقيون

منقولة عن الافرنجية

« صور وقرطاجنة »

وصفها فينيقية من بقاع الارض الضيقة طولها خمسون فرسخاً وعرضها من ثمانية فراسخ الى عشرة وهي بين بحر سورية وأعلى سلسلة في جبل لبنان. بل هي على التحقيق عبارة عن سلاسل اودية ضيقة ومجارٍ حرجة متخللة بين هضاب وعرة ممتدة الى البحر ومسايل من الثلوج . تعبث بها العواصف الى آخر الربيع أما في الصيف فينضب ماؤها إلا ما خزن منه في الآبار والصهاريج. ولقد كسيت جبال هذه الناحية بالاشجار فكان في القمم أرز لبنان المشهور وفي المنحدرات الصنوبر والسرو وفي السفوح اشجار النخيل بالغة شاطيء البحر وفي الاودية ينمو الزيتون والكرم والتين والرمان

مدنها — تتألف عن بعد على طول الشاطيء الصخري رؤوس من البحر أو جزر منه تكون منها مرافيء طبيعية ففي هذه الموانى أقام الفينيقيون مدنهم. فقامت صور وارواد في جزيرة يزدحم فيها السكان في المنازل وكانت ذات طبقات ست وسبع وثمان ويجلبون الماء لشفاههم في القوارب . أما مدينة جبيل وبيروت وصيدا فكانت في اليبس. ولم تكن أرض هذه البلاد لتقوم باود هذا العدد الدثر من الناس ولذلك مال الفينيقيون الى الملاحة والتجارة .

الخرائب الفينيقية — لم يحفظ عن الفينيقيين كتاب فقد ضاعت حتى كتبهم المقدسة . ولقد جرى الحفر في مواضع مدنهم ولكن الخرائب على ما قال العالم المندوب الى ذلك لم تسلم إلا في البلاد المهملة المتروكة . على ان السوريين عنوا كثيراً بالخرائب فانتهكوا حرمة القبور واخذوا حلي الموتى

وهدموا العمارات ليستعينوا باحجارها على البناء وحطموا النقوش وذلك لكراهة المسلم الصور المنحوتة بحيث لم يبق اليوم سوى شقيف من الرخام المحطم واحواض ومعاصر نحتت في الصخر وبضعة نواويس من الحجر . اطلال قلما تجدي نفعاً وتأتي العلم بفوائد وليس ما عرف عن الفينيقيين إلا ما علمناه كتاب اليونان وانبياء اسرائيل

حكومة الفينيقيين — لم تكن فينيقية مملكة قائمة برأسها بل كان لكل مدينة ناحية صغيرة تستقل بها ولها مجالس وملك تحكم نفسها بنفسها وتبعث بمندوبيها الى أعظم مدينة فينيقية لفض المصالح المشتركة وكانت صور محط رحال المندوبين منذ القرن الثالث عشر . واذ لم يكن الفينيقيون أمة حربية خضعوا لسطوة جماع الفاتحين من مصريين واشوريين وبابليين وفرس وادوا لهم الجزية عن يد وهم صاغرون .

صور - كانت هذه المدينة منذ القرن الثالث عشر من أهم المدن الفينيقية ضاقت على أهلها فاقيمت اذ ذاك مدينة جديدة قبالتها . ولقد أسس تجار صور مستعمرات في البحر الابيض كله يصيبون الفضة من مناجم اسبانيا وساع العالم القديم أجمع . دعاهم أشعيا النبي الامراء ووصف حزقيال النبي تلك القوافل التي كانت تأتيهم من كل صوب وأوب وطلب سليمان النبي الى هيرام احد ملوك صور عملة يشغلهم في بناء القصر والمعبد في بيت المقدس .

قرطاجنة — كانت هذه المدينة مستعمرة صور ففاقت هذه بالعظمة وذلك ان الصوريين نبذتهم احدى الثورات فاسسوا مدينة قرطاجنة على شاطيء افريقية بالقرب من تونس بعثهم على ذلك امرأة اسمها ايليسار ونحن ندعوها ديدون (الفارة) ويحكى ان سكان البلاد ابوا ان يبيعوها إلا مسافة تكفي

لتغطية جلد ثور فقصلت جلد الثور سيوراً رقيقة بحيث اقتضت مكاناً واسعاً يستوعبها فبنت القلعة اذ ذاك . ولقد اتسعت قرطاجنة لموقعها في منتصف البحر الرومي ولان فيها مرفأين فاقامت هي أيضاً مستعمرات وفتحت فتوحاً حتى آل امرها الى ان حكمت شاطيء افريقية باجمعه واسبانيا وسردينيا وكان لها في كل مكان مكاتب لتجارتها ورعايا يؤدون لها الجزية

الجيش القرطاجني - اقتضى لقرطاجنة ان تدرب لها جيشاً لتصون مكاتبها التجارية من حيف الوطنيين وتربأ برعاياها عن الانتقاض . ومن ثم كانت حياة القرطاجني ثمينة لا يخاطر بها إلا عند الضرورة . آثرت قرطاجنة اكتراء الجند فجندت لها جنداً من البربر سكان بلادها ومن متشردي كل صقع وناحية فصارت صبغة جيشها مبرقشة ملونة يتكلم اللغات كلها ويدين بالاديان كافة . ولكل جندي بزته واسلحته الخاصة به تخالف بزة رصيفه واسلحته. فترى فيهم النوميديين يلبسون جلد الاسد يتخذونه وطاء كما يتخذونه غطاء يركبون خيلاً سريعة صغيرة بدون نظام ويطلقون القوس وخيولهم تعدو عدواً . كما كنت ترى فيهم الليبيين وجلودهم سوداء مسلحين بحراب . وطائفة من الايبيريين في اسبانيا لباسهم بياض مزين بحمرة وسلاحهم سيف طويل محدد . وغاليين عراة الى الزنار يحملون تروساً كبيرة وسيفاً محدباً يمسكونه بكلتا يديهم . وجماعة من الباليارِيين مدربين من طفوليتهم على رمي الحجارة او كرات الرصاص بالمقاليع . أما القواد فكانوا قرطاجنيين تخافهم الحكومة فترقبهم عن أمم وربما صلبتهم اذا غلبوا ولم يحرزوا نصراً مؤزراً

القرطاجنيون - كان في قرطاجنة ملكان والامر والنهي لمجلس الشيوخ وهو مؤلف من أغنى تجار المدينة ولذلك كانت كل قضية ينهى بها الى الحكومة

مسألة تجارية . كره الناس القرطاجنيين لقسوتهم وطمعهم وغدرهم ولما كان لهم أسطول منظم وعندهم مال يستأجرون به جنداً وحكومة باطشة تهيأ لهم توطيد دعائم ملكهم في غرب البحر المتوسط مدة ثلاثة قرون (من القرن السادس الى الثالث) بين ظهراني شعوب بربرية منشقة على نفسها مختلفة كلمتها

الديانة الفينيقية - للفينيقيين والقرطاجنيين دين يشبه الديانة الكلدانية فالرب الذكر ويسمى عندهم بعل هو الشمس والربة الانثى وتدعى بعلت هي القمر . والشمس والقمر في نظر الفينيقيين قوى هائلة تحيي وتميت . ولكل من المدائن الفينيقية ربان. فلصيدا بعل صيدون (الشمس) وعشتروت (القمر) ولقرطاجنة بعل عمون وتانيت ولجبيل بعل تموز وباليت .ويختلف اسم الارباب في الاعتبارات ايجاداً وعدماً وهكذا يعبد بعل مثلاً في قرطاجنة باسم مولوش ويعتبر عدماً . وقد تنوب عن هذه الارباب أصنام ولها معابد ومذابح وكهنة يعظمون من شأنهم ويقيمون لهم المآدب والاعياد الحافلة باعتبار كونهم موجدين ويقدمون لهم ضحايا بشرية باعتبار كونهم مخربين وتعبد عشتروت ربة الصيد العظيمة في الغابات المقدسة ويصورونها على شكل هلال القمر والحمامة ويرسم بعل مولوش في قرطاجنة تمثالاً عظيماً من القلز باسطاً ذراعيه ومدليهما واذا ارادوا تسكين غضبه يرفعون على يديه اطفالا تسقط للحال في هاوية من نار .وقد قدم اعيان مدينة قرطاجنة مائتي طفل من اولادهم ضحايا للربة مولوش في خلال حصار اغاتوكل لقرطاجنة

هذا وان تلك الديانة على ما نشأت عليه من الشهوات وسفك الدماء لترهب الشعوب الاخرى ولكنهم يحاكونها ويأتمون بها فكان يذبح اليهود

لبعل على الجبال ويعبد اليونان استارتيه وصيدون باسم افروديت وبعل ملخارت من صور تحت اسم هيراكليس

التجارة الفينيقية

اشغال الفينيقيين عاش الفينيقيون بالتجارة لازدحام أقدامهم في بقعة ضيقة من الارض ولم يكن لسائر شعوب الشرق من مصريين وكلدانيين واشوريين ولا قبائل الغرب البربرية (الاسبان والغاليين والطليان) عهد بركوب البحار وشق العباب والفينيقيون وحدهم جرأوا في تلك الايام على تجشم البحر فصح ان يدعوا من اجل هذا عملاء تجارة العالم القديم وقادة البيع والشراء يبتاعون من كل شعب سلعه ويتقايضون معه على غلات البلاد الاخرى تجارة كانت مستحكمة الصلات مع الشرق براً والغرب بحراً

القوافل -- اعتاد الفينيقيون ان يرسلوا في البر قوافل تتجه وجهات ثلاث احداها الى بلاد العرب لتأتي منها بالذهب والعقيق اليماني والبخور والصبر وعطور بلاد العرب واللؤلوء والابازير والعاج والابنوس وريش النعام وقرود الهند. والقافلة الثانية ترحل الى بلاد اشور لتعود منها بانسجة القطن والكتان والخمر والاحجار الكريمة والماء المعطر وحرير الصين. وتقصد القافلة الثالثة انحاء البحر الاسود لتستجلب منها الخيل والرقيق والاواني النحاسية من مصنوعات سكان جبال قافقاسيا « القوقاز »

بحريتهم - بنى الفينيقيون بخشب ارز لبنان المتين قوارب باشرعة ومجاذيف حملوا عليها متاجرهم البحرية وما مست حاجتهم ان يكونوا ابداً على مقربة من الشواطئ في ركوبهم البحر اذ كانوا يتجهون حيثما ارادوا بجعل نجمة القطب قيد نواظرهم وكانوا يستدلون بها على الشمال . ولقد فطر

الفينيقيون على الاستخفاف بركوب اليمّ فالهوا بانفسهم في مراكب صغيرة تغدو بهم وتروح في اطراف البحر الرومي بل جرأوا على اجتياز مضيق جبل طارق او كما دعاه القدماء « اعمدة هيركول » فيجتازون البحر المحيط الى شواطئ انكلترا وربما بلغوا بلاد النروج . سافرت عصابة منهم في خدمة احد ملوك مصر في القرن السابع وجازت البحر الرومي لتطوف حوالى افريقية ثم رجعت على ما قيل بعد ثلث سنين من البحر الاحمر وغادرت قرطاجنة حملة ضربت نحو شاطئ افريقية الى خليج غينة . وقد كتب القائد حانون قصة في هذه الرحلة

البضائع — كان الفينيقيون يبتاعون محاصيل صناعات الشعوب المتمدنة ويبحثون في البلاد المتوحشة عما يقل الظفر به في المشرق من المحاصيل . يصطادون الصدف من شاطئ بلاد اليونان ومنه يستخرجون صباغاً احمر وهو الارجوان . وكانت الانسجة الارجوانية تستعمل عند الاقدمين كافة ملابس للملوك والامراء ويجلبون الفضة التي يستخرجها أهل اسبانيا وسردينيا من مناجمهم وكان القصدير من ضرورياتهم يستعملونه في صنع النحاس الاصفر وهو مركب من نحاس وقصدير لا أثر له في بلاد الشرق ولذا كان الفينيقيون يرحلون في طلبه وينشدونه حتى في شواطئ انكلترا في جزائر القصدير المعروفة بجزائر كاسيتريد . وحيثما حلوا يتخذون الرقيق يبتاعونه تارة كما كان يبتاع النحاس العبيد في ساحل افريقية . اذ الشعوب القديمة كلها كانت تتجر بالرقيق . وينزلون طوراً في احدى السواحل فجأة فيختطفون النساء والاطفال وينقلبون بهم الى بلادهم او يبيعونهم في القاصية . واذا واتتهم الحال ينقلبون قرصاناً ولا يتحامون إطالة يد التعدي على الاغيار

سرّ اختص به الفينيقيون — لم يقلق الفينيقيون إلا من قيام تجارة الامم الاخرى الى منازعتهم السلطة على البحار ومجاراتهم في الملاحة والاتجار فمن ثم كانوا يكتمون الطريق التي يسلكونها لان عودتهم من الاقطار النائية ولذا لم يعرف احد في القديم جهة جزائر الكاسيتريد المشهورة التي جلبوا منها القصدير . وقد رأت احدى المراكب بلاد اسبانيا التي كانت لها صلات تجارية مع فينيقية منذ قرون عرضاً بدون تعمل . وكانت قرطاجنة تغرق من تصادفهم من التجار الاجانب في سردينيا او في ناحية جبل طارق. حتى ان ربان احدى المراكب أغرق سفينته ذات يوم عند ما رأى سفينة غريبة تطارده مخافة ان تطلع على خطة سيره

مستعمراتها — انشأ الفينيقيون مكاتب تجارية في البلاد التي اتجروا فيها وهي مراكز للبرد حصينة واقعة على شاطئ بحر على مرفأ طبيعي يخرجون اليها بضائعهم وهي في العادة انسجة وفخار وحلي واصنام فيأتي أهل تلك البلاد بغلاتهم فيقايضونهم عليها كما يقايض اليوم تجار الاوربيين زنوج افريقية . تقام أمثال هذه الاسواق في قبرص ومصر وجميع بلاد البحر الرومي التي كانت على همجيتها مثل اقريطش (كريت) وبلاد اليونان وصقلية وافريقية ومالطة وسردينيا وشواطئ اسبانيا (مالقة وقادس) وربما أقاموها في بلاد الغول (موناكو) وكان اهل البلاد يبنون اكواخهم حول بنايات الفينيقيين فيصبح السوق مدينة ويقتبس السكان ارباب الفينيقيين وقد دامت عبادة ربة على صورة الحمامة حتى بعد ان صارت المدينة يونانية كما في سيتير والرب ملخارت كما في كورنت ورب ذو جبهة ثور يفترس الضحايا البشرية كما في اقريطش

نفوذ الفينيقيين – لم يكن يخطر للفينيقيين شيء على بال لما أسسوا مكاتبهم التجارية إلا الاحتفاظ بمصلحتهم الخاصة ولكن حدث ان نفعت مستعمراتهم التمدن فان برابرة الغرب اخذوا عن أمم الشرق وكانت اكثر منها تمدناً كيفية صنع الانسجة والحلي والماعون وتعلموا محاكاتها . مضى حين من الدهر واليونان لم يعرفوا غير الاواني والحلي والاصنام التي يأتيهم بها الفينيقيون وعلى منوال هذه البضائع نسجوا بعد فان الفينيقيين حملوا من مصر واشور الصناعة والبضائع معاً

الابجدية – حمل الفينيقيون ايضاً الى البلاد التي نزلوها ابجديتهم وحروف الهجاء ولم يخترعوا الخط اذ كان المصريون يعرفون الكتابة قبلهم بقرون وقد استعملوا حروفاً تدل كل منها على صوت كما هو الحال في حروف الافرنج . على ان خطهم كان مشوشاً بعلامات قديمة يدل بعضها على مقطع وآخر على كلمة برمتها . لا جرم انه اقتضى للفينيقيين اذ ذاك طريقة أبسط لكتابة رسائلهم التجارية فاطرحوا العلامات كلها من مقاطع وصور ولم يبقوا سوى اثنين وعشرين حرفاً يدل كل منها على صوت او على لفظ باللسان فاقتبست الشعوب الاخرى هذه الابجدية المؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً. فقد كتب اليهود من اليمين الى الشمال كما كتب الفينيقيون وكتب غيرهم كاليونان من الشمال الى اليمين وكلهم بدلوا شكل الحروف إلا قليلاً . والخط الفينيقي على التحقيق أصل الابجديات كلها من يهودي وليسي ويوناني وايتاليكي وابتروسكي وايبيرسكي وربما كان الخط النروجي ايضاً فالفينيقيون هم الذين علموا العالم الكتابة

حسنات القرن الماضي وسيئاته

لقد تناول الانقلاب الذي طرأ على الاخلاق العامة أسلوب الطعام ايضاً فان سرعة المواصلات وسهولتها وميل الحواس الظاهرة وارتقاءها قد ابدل ضرورة الطعام بضرورة الحس الظاهر بمعنى ان الانسان رجاء ارضاء شهواته الذوقية قد تعدى حدود القناعة بان آثار الشهوات الصناعية بالتوابل الخاصة والمنبهات الداعية الى النهم حباً بالاكثار من ضروب الاطعمة والملاذ فقد انتشر فن الطبخ واجادة الالوان في الاقطار على اختلافها من حيث الحرارة والبرودة وما اختلفت كمياته وكيفياته . كل ذلك لتحقيق شهوات النفوس واذواق السكان في انواع الطعام دون النظر الى ما يحول دون ذلك من عدم الملاءمات الشخصية والمكانية مع هذه الطريقة في التغذية المختلفة الالوان والاشكال . وما اصدق ما قاله احدهم من ان ما نتناوله اليوم من الاطعمة ينقسم الى ثلاث درجات احدها لضرورة الغذاء وثانيها لضرورة الذوق وثالثها توقعاً للامراض التي تصيبنا في المستقبل . وقال شيشرون الخطيب الروماني: لقد احدث الشره من المصائب اكثر مما احدث الحرب فانه مصدر كثير من الاوصاب والادواء . فارباب الشره مستسلمون لعاداتهم في طعامهم وشرابهم بحكم الذوق لا بحكم الضرورة ولذلك تراهم عرضة لكثير من الامراض ومنهم من يغتر بما يكرعه من المياه المعدنية في فرنسا والنمسا (في فيشي وكارلسباد) وسائر البلاد التي تنبجس فيها امثال تلك المياه فترى في كل سنة يزور كلاً من تينك البلادين زهاء خمسين ألف زائر ويغرهم تسهيلها الهضم معهم حتى اذا رجعوا الى أهلهم قريرة أعينهم بما شاهدوه من التحسين في صحتهم يعودون الى سالف عاداتهم من النهم والبطنة « والبطنة كما قيل تأفن الفطنة » فيندمون

على ما فرطوا في جنب معدهم ولكن بعد ان يسبق السيف العذل

وان السواد الاعظم من العاملين الذين يتألف منهم جيش المجاهدين في الحياة ليقضون النهار في اماكن محصورة بعضهم في مصنع وآخر في غرفة عمله وفريق في مكتب وغيره في مخزن وكلهم يعملون بلا انقطاع بايديهم او بعقولهم فيصرفون جميعاً جزءا عظيماً من قواهم الطبيعية والعقلية ولا يتناولون اطعمتهم في اوقاتها ولا يرتاحون بعد غذائهم راحة كافية لتعمل الاعضاء الهاضمة عملها ولا يألفون من انواع المسليات غير اماكن القهوة ودور التمثيل فيستنشقون هواء ملوثاً باكسيد الكربون وحامض الكربون وغيرهِ من الهواء المنبعث من تضايق مئات من الانفاس المجتمعة في اماكن مغلقة يعوزها الترويح والهواء النقي المستنشق مما يؤدي بمن يختلفون الى تلك المحالّ الى اختلال احوال الهضم والبنية والقوة وتكون ابدانهم مرتعاً خصيباً لجراثيم الامراض وفي مقدمتها السلّ

وما جاء بهِ هذا القرن من الاعمال العلمية والعقلية والطبيعية قد اثر في محيط الناس كل التأثير وخصوصاً في الغذاء والمجموع العصبي. وما احلى ما قالهُ ارسطو من ان الانسان يريد امتاع حواسهِ ويبحث عن اسبابهِ اذ من الملذ للباصرة ان تنظر وللسامعة ان تسمع وللجلد ان يمس وللسان ان يذوق وللشامة ان تستنشق

وجملة الامر ان نشوء المجتمع الانساني في القرن التاسع عشر قد جرى بقوة الجهاد المتواصل الذي اودى بحياة مئات الالوف من الضحايا البشرية وقد نبه في المجاهدين وفي اخلافهم حب الارتقاء والتهذيب العقلي بحيث دخل الفكر الانساني في دائرة من الحركة المعجلة تسير ابداً الى غاية لا حد لها واهلها ابداً في قلق حرصاً على كشف اسرار الطبيعة والانتفاع بقواها المكنونة والوقوف على القوانين القائمة بها · ولئن عني الانسان بقمع جماح الطبيعة وفتح الترع وحفر القنوات وابتناء الطرق الحديدية في القفار والسهول الواسعة المتجمدة حباً بربط القارَّات بعضها ببعض فانهُ لم يعمل كل هذا رغبة في توسيع ميدان جهاده وزيادة في مصادر الثروة العامة والخاصة بايجاد مصارف لمصنوعاتهِ بل هناك شيء من سائق الفطرة دعاهُ ان ينقل بذور التمدن الى البلاد الشاسعة في آسيا وافريقية لانها ظلت مباينة لافكار الارتقاء والشعور الانساني وهما من خير ما انتجهُ القرن من صالح الاعمال ولكن هذا الجهاد العظيم الذي اضطرت الانسانية ان تحملهُ مدة قرن كامل قد احدث امراضاً مختلفة كما انهُ زاد الشقاء الاجتماعي واشتدت حرب الحياة بما لم يعهد لهُ نظير · نعم وقف ولاة الامر على فساد النظام الاجتماعي الحاضر وايقنوا بالحاجة الماسة الى مداواتهِ

بيدانهم تضاءلوا عن الاقدام عليهِ بداعي قلة ما لديهم من الاسباب في تخفيف نتائج حركة الارتقاء وضعف الاساس الذي يقوم عليهِ بناء المجتمع الحديث · على ان الفطرة هدتهم الى الاخذ من معارف حملة العلم في فروع المعارف الاجتماعية المختلفة والاهتداء بهديهم وخصوصاً فيما من شأنهِ ان يكون فيهِ النظافة العامة واصلاح حال الطبقة النازلة من العملة وكانت البلجيك اول الدولات التي دعت الدول الى مؤتمر صحي دولي سنة ١٨٥١ و١٨٥٢ ثم حذت فرنسا حذوها ومذ ذاك اصبحت المؤتمرات الصحية الدولية تجتمع كل سنتين في عواصم اوربا. وتنقسم هذه المؤتمرات بحسب معارف من تتألف منهم فيعني بعضها بالمباحث المتعلقة بالامم وباحصاء حركة الشعوب العامة في كل قطر وباسباب موت الاولاد في سن الطفولية وبحفر القنوات في المدن وارواثها بماء طاهر عذب · ويعنى البعض الآخر بالامراض السارية وطرق الوقاية منها · ويدرس بعضها الانسان من حيث صنعتهُ او حفظ صحتهِ في صناعتهِ من تغيير هواء المعامل والمصانع حيث يقيم العامل ويمس بيدهِ مواد مضرة او تركيبات كيماوية تفعل فعل السموم او مواد نباتية او معدنية تخرج منها غبرة تسبب امراضاً رئوية · ويعني بعضهم ببناء بيوت للعملة ومساكن رخيصة · ويبسط بعضهم جناح حمايتهِ على الاطفال في المدن الكبرى ويقوم على حفظ الصحة في المدارس · ويهتم بعضهم بوقاية الناس من السل والامراض الزهرية · ويبحث بعضهم في الطرق التي تحول دون انتشار تعاطي الالكحول · وبالجملة فكلهم يد واحدة يسيرون نحو غاية واحدة الاً وهي درس كثير من المشكلات الصحية وتدبير الصحة العامة ليوفروا لكل مملكة سكانها ويكثروا سوادها ولينقبوا عن اسباب من شأنها ان تؤدي بالجنس البشري الى الكمال باصلاح ملكات الطبقة النازلة وتحسين غذائهم وتطهير الارض والهواء والماء استبقاء لصحة سكان المدن العظمى وتقوية للمقاومات الحيوية في الافراد ومقاومة لغارة جراثيم الامراض السارية

وبالنظر لارتفاع كلمة الاشتراكية في اوروبا اضطرت حكوماتها والطبقة العالية من علماء الاقتصاد فيها الى القيام باعمال تضمن سلامة العملة ومستقبلهم وبعنايتهم تألفت عدة جمعيات تتوخى بذل الاحسان للبائس والفقير وجمعيات متعاضدة على حب الخير. ووافقت دور الندوة والاندية السياسية في ممالك كثيرة على قوانين تقي الشيوخ والزمنى مصارع السوء وموارد الهلكة وتقوم باودهم في اوقات مرضهم ومصائبهم · ومتى عرف الناس كافة قيمة الهواء النقي والماء الجيد السائغ وما يفعلانهِ في الصحة والخطر الذي تتعرض لهُ الحياة البشرية من فساد الارض بالمواد الآلية العفنة متى عرف الناس هذا يقدرون الانطباع على الاعتدال

حق قدره في اطالة الاعمار · ولا مندوحة للبشر اذا توفروا على اسباب النظافة والاعتدال ان يعنوا بتطهير الاخلاق العامة والخاصة من الشوائب وترقية الشعور الادبي في الافراد ومن مجموع هذه الصفات تتحقق نيات زعماء التمدن الحديث والداعين الى البلوغ بهِ اوج الكمال · واذا القيت رائد الطرف على ما تم في الاعوام الاخيرة ادركت ان ما انبعث في النفوس من المضاء يقوي املك في ان يتم القرن العشرون ما فات شقيقهُ الاكبر

وان ما ساعد الانسان على بلوغ درجة من الترقي فاق بها اسلافهُ في القرون الماضية هو « التعاضد والتكافؤ » فهو العمل الذي كلل هامة التمدن في هذا القرن · ورمز هذا النظام: ان من الاتحاد قوة L, Union fait la force وغاية هذا التكافوء تقوية صلات الاسرات بالمعارف الاجتماعية ومساعدة المرء العاجز عن العمل من مرض وحادث او عطلة او شيخوخة او هرم فتألفت جمعيات حديثة غايتها ان تعطي رواتب ضماناً للحياة او في حال الوفاة وقامت بعضها باعمال خيرية وتهذيبية صناعية وبذل بعضها مجهوده لنشر المعارف العلمية في مدارس عملية وتأسيس خزائن كتب وحدائق للعملة وبعضها اخذت على نفسها القيام بالاعمال الصحية وتطهير المساكن وتحسين الشروط الحيوية في العملة وتعاهد بعضهم على مقاومة السل وذلك اولاً بالبحث عن اسباب الشقاء الاجتماعي ثم باحداث ملاجيء ومصاح · وتألفت بعض جمعيات للقيام بحماية الامومة والطفولة · ناهيك بان مبدأ التكافل الاجتماعي قد اشربت النفوس حبهُ في البلاد الافرنجية حتى ان فرنسا بعد ان كان فيها عام ١٨٩١ ٩١٤٤ جمعية واعضاؤها ١ ٤٧٢ ٢٨٥ ورأس مالها ٤٥٠ ٥٨٧ ١٨٣ فرنكاً قد صارت سنة ١٩٠٤ ١٨ ٥٠٠ جمعية واعضاؤها ٣ ٧٠٠ ٠٠٠ ورأس مالها ٣٨٠ مليوناً ودخلها ٥٤ مليوناً · وكفى بانهُ تألف في شهر ابريل فقط سنة ١٩٠٤ في فرنسا ١١٧ جمعية جديدة

هذا ولا ريب انهُ ستعظم صلات التكافوء بين مصالح الافراد ومصالح الاسرة البشرية العظمى بكثرة تلك الجمعيات الراقية وتأصل ملكة التكافل الانساني فتزيد تلك الصلات في كل يوم عن امسهِ توطيداً · وكيفما دارت الحال فان هذا يعد من الارتقاء العظيم في السلم الاجتماعي على حين كان معدوداً من قبل من الخيالات الباطلة ولا بد ان يأتي يوم يعد فيهِ من الضرورات للسلامة العامة · فان افتخر القرن التاسع عشر بان بسط المشاكل الاجتماعية ومثلها على بساط الوجود فمن الفروض المتحتمة على القرن العشرين ان يأتي على حلها الى عالم الشهود اهـ

تعليم العميان

اهتم العالم المتمدن في الايام الاخيرة بتعليم العميان اذ رأى علماء الاجتماع انهم يصلحون لاعمال كثيرة لا يصلح لها اغلب المبصرين وذلك مثل التوقيع على آلات الموسيقى والغناء وغيرهما من الفنون الجميلة . وليس تعليم العميان في الغرب بعيد العهد كثيرًا بل يرد عهده الى النصف الاخير من القرن الثامن عشر . فقد اسست سنة ١٧٨٤ في باريز اول مدرسة للعميان وكانت قراءة التلامذة في هذه المدرسة باستعمال الحروف البارزة . وفي سنة ١٧٨٦ عرض فالانتين هاي الذي اشتهر بحب الانسانية وتفانيهِ في خدمة بني جنسهِ تلامذتهُ على الملك لويس السادس عشر وحاشيتهِ في بلاط فرسايل . وفي تلك السنة نفسها نشر مقالة في تعليم العميان شرح فيها طريقته . ولكن هاي لم يكن غنيًا وحدث ان نضب نبع عطاء الكرام فعجز هاي عن اتمام عمله فقررت الحكومة الفرنسوية ان تأخذ المدرسة تحت حمايتها لتنفق عليها من ماليتها وكان ذلك في سنة ١٧٩١

وقد اخذت بلاد الانكليز من فرنسا تلك الطريقة الشريفة فاسست في انكلترا مدرسة العميان بليفربول وملجأ العميان في ادنبرج ومدرسة العميان في لندن وغير هذه في بلفاست ودوبلين و يورك . وفي سنة ١٨٦٨ اسس الدكتور ارمتياج جمعية معاونة العميان وكان غرض هذه الجمعية ترقية تعليمهم فاسست المدرسة الملوكية لتعليم الموسيقى وكان الغرض من تأسيس هذه المدرسة ترقية تعليم فن الموسيقى لانهُ كان الفن الوحيد الذي برع فيه العميان لسهولة تعليمهم اياهُ وقد نجح في هذه المدرسة ٨٩ في المئة وكلهم اليوم في مكنة من الكسب والتعيش بصنعتهم . وقد رأى القائمون بامر هذه المدرسة ان اهم شيء في تعليم العميان هو تقوية اجسامهم وتربيتهم تربية بدنية عقلية وذهب بعضهم الى ان العمى ليس هو السبب الوحيد في خيبة المصابين بهِ بل السبب في خيبتهم انما هو خمولهم وضعف الارادة والعزم فيهم فادخل في هذه المدرسة كثيرًا من الالعاب الرياضية كالمشي والعدو والطعن والسباق وركوب الدراجة والتجذيف والانزلاج على الثلج . وكان التهذيب العقلي يشمل تقوية الفكر وتنمية قوة الملاحظة والذاكرة وتنبيه الميل الى الدرس والمطالعة والتمرين على النطق بالتأني مع قلة الكلام . وفرض على كل طفل اعمى ان يتعلم فن الكتابة على آلة الكتابة المسماة تيبرايتر ويختص البنات بتعلم الخياطة والحياكة وصنع الحلل

واول من اخترع حروفًا لقراءة العميان اسباني اسمهُ فرنسيسكو لوكاس اخترع طريقة

حفر الحروف على الواح الخشب وقدم هذه الطريقة الى الملك فيليب الثاني ملك اسبانيا ثم اخترعت طريقة للقراءة غريبة وهي استعمال الدبابيس والوسائد بدل الحروف والطروس · واخترع الماني طريقة القراءة بتجويف الورق الغليظ · وعلم بهذه الطريقة الآنسة بارديس التي نبغت في فن الموسيقى نبوغاً عظيماً

وتدل الاحصائيات العلمية على ان عدد العميان قد اخذ ينقص شيئاً فشيئاً فقد كان في انكلترا وويلس في سنة ١٨٥١ اعمى واحد من كل ٩٧٩ وفي ١٨٦١ كان فيهما اعمى في كل ١١٣٨ وفي ١٨٩١ كان فيهما اعمى واحد في ١٢٣٥ و ينسب هذا النقص الى ترقي فن الجراحة البصرية واهتمام الاطباء بدرس امراض العين واعتناء الاهلين بعيون ابنائهم عند ولادتهم · وفي انكلترا وويلس ٢٥ مدرسة للعمي و٣٣ معملاً لتعليم الحرف و٤٦ جمعية تختص بفحص احوال العمي وتدبير امورهم · والصنائع الشائعة التي تعلم في هذه المدارس هي عمل السلال والفرش والحصر والاكياس والحبال والمكانس والبسط والسلال والكراسي للذكور والخياطة والغزل والنسيج للاناث وقد افاض الاغنياء على هذه المدارس وهاتيك الجمعيات والمعامل ضروب العطاء وجاد كثير منهم بارزاق واسعة بعد موتهم وقفوها على تعليم العميان واصلاح حالهم

وبعد فلا يسعني بعد ان اتيت على ما اتيت عليه من اخبار العمي وتعليمهم الآن ان احيي الغرب وبنيه الذين احسنوا الانتفاع بكل شيء وعلموا حتى العميان واؤنب الشرق واهله الذين اساءوا استعمال كل شيء واهملوا حتى تعليم المبصرين · فلله در ارض يبصر فيها المكفوفون ولا در در ارض يعمى فيها الناظرون وسقيا لجدث شاعرنا الذي قال

ان يأخذ الله من عينيَّ نورهما   ففي فؤادي وقلبي منهما نور

القاهرة   محمد لطفي جمعة

جيوش المستقبل

جاء في العدد الاخير من مجلة البابيروس التي ينشئها صديقي ميخائيل مونان الكاتب الاميركاني البليغ مقالة من قلمهِ تحت عنوان « صورتان » يقابل فيها بين كلام لكاريل في الحرب وكلام لكارل مركس (١) فاستحسنت نقلها الى المقتبس لا رجاء نشر محاسن مجلة صديقي الصغيرة النفيسة التي لا تنفعها الشهرة العربية بل حرصاً على بث رأْي الفيلسوف الالماني الجليل وحبًّا بالسلم العام الذي لا يستتب كل الاستتباب الاّ اذا تأَصلت جرثومة بغض الحرب في قلب كل انسان . لكاريل فصل مشهور يصف فيه جيشين متعاديين واقفين في ساحة القتال ينتظران اوامر قوَّادهما على حين ليس من عداوة بين رجال الجيشين ولا ثأْر ولا ترات ولا يحملهم على القتال شيءٌ من الضغائن الشخصية ولا دعاهم الى ساحة الحرب داعٍ من دواعي الأُمة والوطنية التي يحسبها بعضهم شريفة جليلة فهم هناك امتثالاً لارادة حكامهم المطلقة وطوعاً لاوامرهم العالية . هم ثمت لا لاسباب لها مساس بشؤُونهم العالمية ولا لدواعٍ تستلزمها مصالحهم الخصوصية ولا لاغراض ينفعهم تعزيزها وتنفيذها ولا لمباديءَ يهمهم نشرها ومعرفتها وتراهم مع هذا هجروا نساءهم واولادهم وبيوتهم وآباءهم وأُمهاتهم وكل ما يرغبهم في الحياة ليريقوا دماءهم الطاهرة ودماء غيرهم من الابرياء من اجل اهواء حكامهم الخبيثة او مطامعهم الباطلة . وفي كلا الجيشين كهنة يحرضون الرجال على القتال ويزينون لهم الجهاد في سبيل الأُمة والوطن . يزينون لهم سفك الدماء الذي يؤَهلهم الى الخلاص بالمسيح كما يزعمون . ويبرهنون لهم احسن برهان بان عملهم هذا مطابق للارادة الالهية التي يمثلها في حكامه المختارين المباركين ولما كان الكهنة يعزون مثل هذا الجهاد الى ارادة الالهية

---

(١) هو شيخ الاشتراكيين وزعيمهم (١٨١٨ ــ ١٨٨٣) وكتابه « رأْس المال » شبه انجيل عند اصحاب هذا المبدإ . يروى عنهُ انهُ عزم مرة على السفر الى اميركا بعد ان نفي من وطنه المانيا ومن فرنسا ايضاً وكان يسكن لندره اذ ذاك قانعاً بشظف العيش راضياً عن الاضطهاد ثم عدل عن السفر قائلاً : اذا سافرت الى اميركا فاني اتعاطى فيها التجارة ولا شك اني اغتني ويكون الغنى آخرة « كارل مركس » وفي ذلك دليل على ان التآليف اللطيفة الدقيقة الزائلة هي بنت الفخفخة والترف في الحضارة واما الكتب الموحاة الخالدة فهي غالباً بنت الفاقة وخشونة العيش . وبعد ان عدل عن السفر الى اميركا اخذ في تأْليف كتابه المذكور الذي خدم به علمي الاقتصاد والعمران كما خدم داروين في تآليفه علمي النبات والحيوان

شأنهم في كل حرب منذ بدأت القبائل والشعوب تغزو بعضها بعضاً للقتل والسلب والنهب فينتج عن ذلك ان الله عز وجل هو المسئول وحده عن الحرب واهواله . وهكذا يهجم المتحاربون بعضهم على بعض هجوم الوحوش الضارية وقد فعلت هذه المنبهات الدينية في الرؤوس فيذبحون اخوانهم ويفادون بانفسهم للذبح راضين قانعين لان حكامهم أمروا بذلك وكهنتهم آذنوا به بل حرضوا عليه . على انهم يسيرون الى ساحة الحرب بادئ بدء بفتور همة وتردد حتى اذا تقابل الجيشان تتغير الوجوه وتلعب في القلوب روح الهمجية ونهمة القتال . فينقلبون سريعاً واي انقلاب . ولم يكونوا من قبل ليفكروا في غير بيوتهم وعيالهم المهجورة وفي النول والمحراث والمعمل وادوات الصنائع المتروكة . واما الآن فلا يهزهم سوى نهمة وحشية واحدة فتراهم قد فقدوا كل عاطفة بشرية تراهم يفرحون ويتهللون بسفك الدماء فيصرخون وقد ملأت رائحة الدم خياشيمهم اقتلوا اقتلوا اقتلوا . هذه هي الصورة الهائلة التي صورها كارليل

وهناك صورة أخرى تمثل الجيشين المتعادين صورها كارل مركس بقلمه . وليست الصورة هذه مشهورة كالأولى ولكن ستصبح عزيزة فريدة في المستقبل فتفوق صورة كارليل شهرة وتستمطر على موحيها ومؤلفها رضوان الله وثناء العباد . وليست هي في الحقيقة صورة بل هي نبوة قد يشاهد احفادنا تحقيقها عياناً . وصف كارل مركس اجتماع الجيشين يقتتلان كما وصفهما كارليل فهما ايضاً مؤلفان من عامة الناس الذين يقدمهم الحكام طعمة للحرب قال : ها قد دعوا الآن الى ساحة القتال ولا مصلحة تبعثهم عليه ولا غرض ولا ثأر ولا مبدأ ولا داع البتة ولا سبب يتعلق بشؤونهم الخصوصية ولا واجباً حقيقياً نحو الامة والوطن يوجب عليهم سفك الدماء الزكية ومع هذا كله ترى الكهنة بينهم يحرضون على عادتهم عملاً بتقاليد تجارتهم وبعد ان يبثوا في الجيشين روح الدين – بعد ان يشحذوا في قلوب الرجال نهمة القتال يتقهقرون ساكنين ويتخذون لهم مراكز آمنة في مؤخرة العسكر . وكأنك بالجيشين قد تقابلا وصدرت اوامر القوّاد ولكن بدل ان يهجم الرجال بعضهم على بعض هذه المرة هجوم الاعداء تراهم قد رموا بسلاحهم الى الارض وتصافحوا مصافحة الاخوان . وعندئذ يختفي الى الابد شبح الحرب الهائل . ويهجر الكهنة والعقبان ساحة القتال آسفين . ويتنازل الحكام عن عروشهم ويتعزز الاخاء الحقيقي ويبتدئ عصر الانسانية

ومن لا يفضل صورة كارل مركس هذه على صورة كارليل : من لا يعمل استطاعته ليقرب اليوم الذي فيه تتحقق هذه النبوة ؟ ومن لا يبذل ما في وسعه في سبيل هذه الامنية الجميلة ؟ فسقيا لليوم الذي فيه يبتدئ عصر الانسانية والمحبة البشرية لبنان امين ريحاني

النهضة الاميركية

« معربة عن الفرنسوية »

انتشر مذهب مونرو وقوي في نفوس الاميركيين الادلال باميركيتهم فتوسعت احوال الولايات المتحدة وزادت بسطة في الجاه والثروة · وحذا خلفاء مونرو حذوه في التمسك بمبدإ الاكثار من الضرائب على الواردات مع ميل بعضهم الى حب التوسع وتوفير الصلات مع البلاد الاجنبية وخفف جاكسون احد رؤسائهم مكوس الجمارك فنقص الدين العام وكان بلغ ١٢٧ مليون دولار بتخفيف الضرائب ووفي كله · ثم جاء بعد هذا من الرؤساء من حافظوا حق المحافظة على مبدإ مونرو ورفعوا سدود الجمارك من وجوه السلع الاجنبية وانذروا العالم ان من مبدئهم السياسي القويم في المستقبل الضرب على يد كل دولة اوروبية تطمح الى ان تنشئ لها مستعمرة او تستحل لها ارضاً في اميركا الشمالية وان الولايات المتحدة هي الحاكمة المتحكمة التي لا تسأل عما تفعل في تلك الاصقاع وسعوا السعي الحثيث حتى ضموا الى بلادهم يوكاتان واريغون وجزيرة سان دومينيك · وصرح كرانت احد رؤساء الجمهورية ان الوقت ربما لا يطول وان مجرى الحوادث الطبيعية والصلات السياسية الاوربية مع اميركا قد انقضت ايامها وان الولايات المتحدة تعمل يداً واحدة مع الممالك الاسبانية الاميركية على احراز خصل السبق والذهاب بفضل العمل على الاوربيين للاستمتاع بمبدإ سنه مونرو وادامس وكلاري · وبعد خمس وعشرين سنة قام الرئيس كليفلند وصرح لانكلترا بأن لجنة اميركية عهد اليها النظر في مسألة فنزويلا فاذا عبثت بريطانيا بما تقرره تلك اللجنة يكون في ذلك الحرب ويعني بذلك ان الولايات المتحدة اشتد ساعدها بحيث صارت في غنية عن الاستمداد من غيرها وانها حامية اميركا الشمالية والجنوبية معاً وكان لهذا النبإ في العالم القديم (اوربا) دويّ كدويّ الرعد تحت سماء من الرصاص وظهر مبدأ مونرو هذه المرة سيفاً لامعاً في ظلمات الماضي وبه نهضت نهضة الشمير البصير

وبعد فان المراد من النهضة الاميركية مذهب الاميركان الداعي الى التفاف اميركا برمتها حول الولايات المتحدة سياسياً واقتصادياً وذلك حرصاً على مصلحة عالية اخذ مصدرها الاساسي عن مبدإ مونرو · ذاك المبدأ الذي سنه هذا الرئيس وجرى عليه العمل في ازمان رؤساء كثيرين وفيه بقاء الولايات المتحدة وضمان توسعها وتبسطها في مناحي السلطة والثروة

والبقاء وليس غير هذا المبدإ دافعاً عن مصلحة البلاد غارة الاوربيين لاسيما وهم يأتونها زرافات ووحداناً

ولم يكن الرؤساء بولك وكرانت وكايفلند واولنيه الا مريدين لمونرو وعاملين على نشر مبدإه الاقتصادي . وقد ابان احد علماء تلك البلاد بان مبدأ مونرو لم يعمل به هو ولا اشياعه من بعده وان اميركا لم تنهض حق نهضتها وذكر اثباتاً لرأيه امثلة طفيفة من تداخل الاوربيين في شؤون اميركا بالفعل دون ان تقيم الولايات المتحدة الحجة على ذلك . فحصار انكلترا سنة ١٨٤٢ لسان جان دي نيكاراغا ولمرافيء السان سلفادور سنة ١٨٥١ وقبض السفن البرازيلية سنة ١٨٦٢ انتقاماً من التعدي الذي وقع على البرنس اوف فالس كلها من الامثلة في هذا الباب . قال هذا الناقد ان مبدأ مونرو لم يسن لمعاضدة حقوق الممالك الاميركية ومصالحها بل للاحتفاظ بحقوق الولايات المتحدة ومصالحها فقط

ثم ان مبدأ التكافل الاميركي من ادنى اقليم الالاسكا في الشمال من اميركا الى اقصى ارض النار من اميركا الجنوبية هو من الاوهام التي يصعب تحقيقها وقد حلمت زمناً بهذا التكافل جمهوريات الجنوب الصغرى الى ان ظهرت الولايات المتحدة في مؤتمر باناما سنة ١٨٢٦ بمظهر الاثرة وحب الذات . فان كان مبدأ مونرو هو الصلة الاساسية التي تضم شتات الاميركيين بعضهم الى بعض فان اوربا لا تعد من الاميركان غير اهل الشمال اي سكان الولايات المتحدة . وما عداهم من سكان الجنوب فحجة يتوكأون عليها وذريعة يتشبثون باهداب الدفاع عنهم في الاحايين وما معنى النهضة الاميركية الا انضواء الامم الاميركية الضعيفة تحت علم الأمة القديمة ملتفة حول لواء المسكنة ملتحفة ثوب الصغار والذل

وما زال الحق بجانب القوة اي ان الاميركيين يهددون بسيف قوتهم كل أمة اوربية تريد ان تستبيح حماهم فيدافعون بذلك عن حقيقتهم ومصلحتهم . فقد قيل ان الاميركي تحيط به تمائم ثلاث « التوراة والدستور ومذهب مونرو » هذه هي عدته الاجتماعية وسلاحه الذي يستعمله في جهاد هذه الدار . ولئن أسيء استعمالها فليس من داع لملام الاميركان اذ يقضي على كل أمة ان تقضي اربها وتنال حظها ويحق لكل أمة هددت مصالحها بمصالح امة متغلبة ان تقاوم جهد قوتها وتدافع عن بيضتها وان تغير غارة شعواء على من يتربص بها الدوائر فلا تتسامح مع الانانية الوطنية الا بقدر ما لا يضر هذا التسامح بالرغبات الخاصة المحترمة عند الشعوب الاخرى . نعم « كل يجر النار الى قرصه » و « كل امريء في شأنه ساع » ولكن يقتضي على القوي القادر ان لا يروح مدفوعاً بعوامل حب منفعته قائلاً للضعاف او

المستضعفين جهاراً او رئاء : « اني اعمل لمصلحتي لا لمصلحتكم ولكنكم اعملوا لي كما لو كنت انا اعمل لكم »

بيد ان هذه الجمهورية الكبرى في اميركا الشمالية لم تسلك مسلكاً آخر امام جمهوريات الجنوب الصغرى فان الاولى عالمة علم يقين بان ليس بينها وبين جاراتها من تكافل المصالح الاّ ما يفيد الولايات المتحدة في مادياتها اي ان طريقة حماية التجارة تؤدي الى الافلاس والشقاء في البرازيل والارجنتين فان هاتين المملكتين خصيبتان ولكنهما ضعيفتان من حيث الارتقاء الصناعي ولذلك اضطرتا بحكم الحاجة الى ان تفتحا اسواقهما للواردات الشمالية بدلاً من ان تغلقاها · وهاتان المملكتان مضطرتان الى تحسين صلاتهما مع الكافة لان معنى اعتزالهما تحت برقع النهضة الاميركية وابتعادهما عن الاوربيين حباً بان تكونا من حروف الزوائد مع سكان الشمال انهما كسلانتان جاهلتان محافظتان على القديم مضادتان للاهواء المعادية للتمدن راغبتان في الفناء الطبيعي الذي يلحق الاجناس ويدب فيها سوس الفساد الادبي

هذا ولم تتمالك احدى المجلات الاميركية الشهيرة من التصريح بان الولايات المتحدة تلجأ الى القوة اذا جرى في الجنوب ما يخالف هواها · ولذا لم يستغرب احجام انكلترا سنة ١٨٩٥ في مسألة فنزويلا وكيف طرد الاسبانيول من جزيرة كوبا سنة ١٨٩٨ وكيف فتحت بورتوريكو وكيف كادت تباع جزائر الارخبيل الدانيمركية وكيف يطوف الاسطول الاميركي ابداً محافظاً او قاهراً البحر المتوسط الاميركي حيث تمتد اصقاع سان دومينيك او فنزويلا او باناما وكيف يتبجحون عند اقل فرصة ولو في حدوث مسألة خاصة ان مبدأ مونرو يأمرهم بان يحموا جمهوريات برازيل او الارجنتين او بيرو او شيلي اي ان يقوموا بشؤون تلك البلاد قيام الوصي والمعلم

واذ كانت النهضة الاميركية الاقتصادية مرتبطة بالنهضة السياسية ولا تحقق النهضة الاقتصادية لما هناك من اختلاف المصالح التجارية بين سكان الشمال والجنوب وبعبارة ثانية بين اميركا البرتستانتية الساكسونية واميركا اللاتينية الاسبانيولية رأت الجمهوريات الصغرى ان تحتفظ بحقوقها فقاومت ما تدعو اليه الولايات المتحدة من النهضة الاقتصادية خشية ان يلحق سلامتها نقصان · فعقدت مؤتمرات حضرها مندوبو الحكومات الاوربية ومن جملة ما عقد من المعاهدات معاهدة بين اميركا الشمالية والمكسيك سنة ١٨٨٣ تدخل بموجبها سلع الشمال الى بلاد المكسيك حرة بلا جمرك كما ان الشمال يقبل حاصلات المكسيك الطبيعية

كذلك. ومع هذا لم يظفر سكان الشمال بطلبتهم فقد باع سكان الولايات المتحدة سنة ١٨٩٤ لسكان الجنوب بضائع بمبلغ ١٣٥ مليون دولار وابتاعوا منهم غلات بمائتين وستة وار بعين مليونًا

قال الكاتب وكل ما قامت به اميركا الشمالية من الاعمال من حرب وضم ارض وفتح بلاد من ارض الجنوب ان هو الاَّ للتفادي من ان ينال مذهب مونرو بعض ضعف وما هذه الاعمال الاَّ دالة اصرح دلالة على ما تحوي ضلوعها من فكر الاعتداء والفتح المنطوي تحت اسم نهضة اميركا

لا يعدم الحق انصارًا وان من الاتحاد قوة. فقد قام بوليفار من رجال السياسة وابطال الحرية الملقب بواشنطون اميركا الجنوبية فحرر كولمبيا وفنزو يلا و بيرو وخط الاستواء و بوليفيا ثم اراد ان يجمع هذه الامم الحرة كلها في ظل العلم الدستوري ويجعلها مملكة قائمة برأسها ففشل في دعوته ثم عاد فدعاهم باسم المحافظة على مبدإ مونرو فاجابت بعض البلاد الجنوبية دعوته. وتلكأت الولايات المتحدة كثيرًا كأَنها قالت بلسان الحال ان هذا المبدأ سن لحماية مصالح الشمال لا لمصالح الجنوب واشارت الى مندو بيها بان لا يصغيا الى ما يقرر الاَّ باذن صماء فعرفت جمهوريات الجنوب الصغرى ان جمهورية الشمال الكبرى ليست اختهنَّ. ذلك لان بوليفار لم يتصف كواشنطون بارادة ثابتة منظمة بل كان من شدة الحمية بحيث يستهين بروحه ويهريق دمهُ حبًا بمصلحة العالم و يرى الامم كلها اخوة والناس احرارًا سواء ولذلك لم يحسن ادارة ما افتتحهُ من البلاد وغنمه من الطارف والتلاد

وظلت الولايات المتحدة سائرة تلتهم كل ما تصادفهُ في طريقها من المغانم والفرائس ومنها ضم جمهورية التكساس اليها وهي ضعفا مساحة فرنسا. ضمٌ لم يخل من المخاطر اذ ان الولايات المتحدة تحظر الرقيق ولا تقول هذه الجمهورية بمنعه. وبعد جدال طويل الاذيال مع المكسيك بل بعد الاخذ بالتلابيب واشهار المكسيك الحرب على اميركا ضمت التكساس الى هذه وصارت الولايات المتحدة صاحبة القول الفصل في الشمال بالقوة ومن ذلك تداخلها في جزيرة سان دومينيك وقد انقسمت قسمين مستقلين وثارت بينهما ثائرات العداء ولكنها تلطفت في هذا التداخل. وكانت تود الحاقهما ببلادها لو لم تكن خارجة منهوكة من حرب الرقيق. ولا يزال لسان الثورات يندلع في تلك الجزيرة وكثيرًا ما هددت اميركا من اجلها ولعلها تلتهمها بعد لانها واقعة بين جزيرتي كوبا و بورتوريكو اللتين بسط النسر الاميركي مخالبهُ عليهما. ومرفأ هذه الجزيرة «سان نيقولا» هو بمثابة جبل طارق لاميركا. وفاوضت الولايات المتحدة حكومة الدانيمرك عام ١٩٠٢ في ان تبيعها جزائرها في الارخبيل «الانتيل»

يبلغ خمسة ملايين دولار وهي ثلاث جزائر مساحتها السطحية ٣١٠ كيلومترات مربعة وسكانها ٧٨٦ ٣٢ . فاكتشفت في خلال هذه المدة حبالة نصبها احد اعضاء مجلس البلاد الدانيمركية وتبين انهُ ارتشى لتحقيق رغبات الاميركان . فتأخر النظر في امر الجزائر الآن ريثما تجيء الفرصة المناسبة (والاميركان كالانكليز لا يضيعون الفرص ولا يخترعونها)ولئن لم تسقط هذه الاجاصة في ارض الاميركان فذلك لانها الآن آخذة بالنضج وما نضجها على الصابرين ببعيد

انحطاط المشرق بانحطاط الاخلاق

بسطنا الكلام في فصل سابق عن انحطاط المشرق وابنا ثمة ان سببهُ انحطاط الاخلاق وعراقة الشرقيين في الحضارة وبلوغهم منها غاية قضت بتمكن الضعف منهم منذ زمان مديد ووعدنا بالعود الى هذا البحث واتمام الكلام عليه ووفاء بالوعد نقول :

اشرنا في ذلك الفصل الى ان الاخلاق السافلة التي تقضي بانحطاط الأُمم وضعفها كثيرة وان ما نراهُ منها مظنة انحطاط المشرق واهله لا ينحصر بالملاذ البدنية بل هو اعم من ذلك وان عامة الاخلاق الفاضلة في المشرق قد تطرق اليها الضعف فاضعف قوى الشرقيين ونفوسهم عن النهوض مع الناهضين والتسابق مع السابقين من أُمم المغرب والخطر من هذا على المشرق عظيم يتهدد اهلهُ بناموس الانتخاب الطبيعي القاضي ببقاء الانسب . وحسبك دليلاً على ذلك هذا السكون المطلق الذي يخيم بسحبه المظلمة على آفاق المشرق بينما المغرب في حركة مستمرة يخترق صداها حجب الفضاء وتهتز لها جوانب الغبراء. فلو هبط الآن على الارض هابط من عالم النجوم لخيل لهُ ان المشرق واهلهُ عالم آخر لا اتصال لهُ بالمغرب لما بينهما من التباين الذي يكاد يكون مستحيلاً في نظر العقل في عصر وصلت فيه الكهربائية والبخار بين جوانب الارض واصبح فيه العلم مشاعاً بين الأُمم لا يقصر عنهُ نظر المتطاول ولا يد المتناول . وما هذا التباين الاَّ اثر من آثار الاخلاق في رقيها وتدليها والانسان انما دعي انساناً مميزاً بنفسهِ لا بجثمانه فالنفس هي التي تعلو بهذا الانسان الضعيف حتى تبلغ به عنان السماء وتهبط به الى الحضيض حتى يلتصق خدهُ بأديم الارض

فكل ما في المشرق من وهن في العزائم . وفتور في الهمم . واخلاد الى السكون . وعجز عن النهوض . وتخاذل يفرق المجتمعات . ويأكل القوميات . ونفور من العمل . واسترسال في الجهل والخمول . ورضا بالضيم واستسلام للفاتحين والمستعبدين من الغربيين

انما هو نتيجة ضعف في النفوس تأصل فيها بضعف الاخلاق و يوشك ان يرجع بهذه النفوس البشريةُ الى الجبلة البهيمية لو لم يقابلهُ حكم هو اقرب لسنن الوجود واشد انحاءً على الشرقيين الا وهو : فناء الضعيف في وجود القوي · سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا

اذن فداء المشرق كما تبين لك عضال ومرضهُ خطر قتال · وهو فساد الاخلاق وضعف ملكات العلم بلوزام الحياة · ولا بد لتقويم الاخلاق من حسن المعالجة بمزاولة التربية الصحيحة واحياء موات النفوس بالفضائل التي يرشد اليها العلم · والوصول الى ذلك انما يكون باحد امرين : اما بالشعوب او بالحكومات : وفي كلا الحالين فان نهوض المشرق وقصد اهله هذا القصد يتوقف على وجود قادة في أممهِ وشعوبهِ يحسنون بهم السير و يأخذون بهم الى سبيل الرشاد · على انا نرى ان وجود القادة من زعماء الاصلاح الاجتماعي في المشرق لا يوصل الى منتهى الغرض الا اذا وجد اولئك القادة عضدًا من الحكومات وناصرًا من زعماء الرياسة والسياسة الذين اصبح في ايديهم قياد الامم الشرقية · ذلك لما ثبت لنا من تناهي ضعف النفوس في المشرق وفقدها الشعور بالحاجة الى الاصلاح النفسي والتربية العقلية

ولنضرب لك مثلاً على ذلك بمن قاموا من قادة الافكار في المشرق في عصر واحد وهو عصرنا هذا فقد سعى المركيز ايتو الياباني لانهاض قومهِ في اقصى الشرق فانجح سعيهُ ونهض باليابانيين الى أفق السعادة لما اخذ بيدهِ امبراطور اليابان كما هو معروف · وسعى غيرهُ كثيرون في ادنى الشرق فاخفق سعيهم لما لم يجدوا من زعماء الرياسة على الشعوب من يأخذ بايديهم و يعضد سعيهم · ذلك لان شعوب المشرق كما قدمنا قد مرنوا على الخمول لما تأصل فيهم من مرض الضعف وفساد الاخلاق الفاضلة التي تنهض بالنفوس الى ذرى الاستقلال الذاتي فاصبحوا اتكاليين لا يسعون الى عمل نافع الا اذا سيقوا اليهِ سوقا · واقتدوا بروؤسائهم اذا كانوا لهم عونا يضاف الى هذا غرور الشرقيين ببقايا مدنيتهم الدارسة غرورًا يقعد بالهم عن تطلب غايات الكمال على ان اخفاق المخفقين انما كان في الحصول على الثمرة العاجلة التي جناها ايتو اليابان واما الآجلة فلم يكونوا يائسين من نيلها اذا ثابر الخلف من محبي خير الشعوب ومصلحي النفوس والمخلصين في النية والعمل لاقوامهم على ارشاد أمم الشرق الى سبيل النجاة واستنهاض همم ذوي المروآت من زعماء الحكومات الشرقية الى بسط جناح الرحمة على الرعية ومعونتها في القيام على اصول العلم النافع وتلمس وجوه الخلاص من براثن الفناء الذي يتهدد أمم المشرق في كل آن ولا يعدم المشرق افذاذًا من المصلحين في كل عصر توافق دعوتهم

من بعض الزعماء آذاناً واعية وقلوباً رقيقة ونفوساً سامية نقية من شوائب الفساد تنطبع عليها صورة الخير وتنزع الى النهوض بالشعوب الشرقية من وهدة الذل والخمول

ورب معترض يقول ان نهوض زعماء الحكومات بالأمم امر غير متوقع الحصول لا سيما في المشرق وما دام الشرقيون قد بلغوا من الضعف ذلك المبلغ فاحرِ بزعمائهم ان يكونوا كذلك فالاولى ان تحث الأمم على النهوض بنفسها وترك الاعتماد على حكوماتها فالجواب عن هذا ان ذاك الاعتراض وجيه لا يقبل النقض بل هو القاعدة الاساسية في حياة الأمم لكن ذلك يجوز على اهل المغرب واما اهل المشرق فقد اقعدهم عن العمل بهذه القاعدة طول عهدهم بالجمود والخمول الناشئين عن الاغراق في الحضارة كما قدمنا وتماديهم اجيالاً كثيرة في الاعتقاد بالوهية زعمائهم وما يتبعها من تسليم النفوس اليهم والتعويل في كل الشؤون عليهم وهي عقيدة وان محتها الشرائع الالهية من اكثر ارجاء المشرق الاَّ ان ادمان الأمم عليها غادر في نفوس الشرقيين من آثارها القبيحة اعتماد الشرقيين على حكوماتهم في كل شأن من شؤونهم العامة

وهل تظن ايها القارئ ان الأمة اليابانية كانت تتحول عن مثل هذا الاعتقاد بيكادها (امبراطورها) لو لم يتنازل هو نفسهُ عن الوهيته بمحض ارادته وحب الخير لامته ويفهم شعبه انهُ بشر مثلهم لا قوة لهُ ولا حول الاَّ بهم ولا حظ لهم من سعادة الحياة ومسابقة الأمم الاَّ بجدهم وهل تظن الصينيين يبلغون من الرقي مبلغ اليابانيين اذا لم يفهمهم امبراطورهم ابن السماء انهُ ابن الارض ويهدم مختاراً ذلك السور الهائل القائم بينهُ وبين أمتهِ فيقودهم الى الطريقة التي سلكها ميكادو اليابان بقومهِ ورفع لهم فيها بنيان الفضيلة والعلم باخلاصهِ وعلو نفسهِ . وبالاجمال فالشرق يحتاج في نهوضهِ الى حكوماتهِ اذا أُريد التعجيل في الحصول على الثمرة المبتغاة من دعوة المصلحين في كل قبيل منهُ وعند تعذر الحصول على هذه الثمرة يعدل فيه الى الرأي الآخر ولا بد في هذه الحال من قيام طائفة من كل قوم على تربية النفوس وبيان الفضائل التي تسمو بها النفس الى أُفقها الأعلى حق البيان والله بحسن العاقبة كفيل

حلوان رفيق العظم

الاحتفاء بالاحياء والاموات

قرأت في الجزء الثالث من المقتبس ص ١٤٧ مقالاً تحت عنوان « روح جديدة » جاء فيه ان الأمة اخذت تنصبغ بصبغة الغربيين منذ انشأت تأخذ العلوم عنهم ومن ذلك اجلال رجال العلم والادب احياء وامواتاً . وقد رأيت دعوى ان ذلك روح جديدة وان ذلك من اخذ الشرقيين عنهم منظور فيها اذ قد دون التاريخ من امثال هذه الاحتفالات ما لا يحصى . وما ذنبنا الا القصور بعدم التنقيب

ان الفقهاء باجمعهم على تنوع مذاهبهم عدوا من البدع تأبين الميت وذكر محاسنه ورثاءه قبل الدفن وبعده واستدلوا على ذلك بما روي من الآثار المعروفة في دواوين السنة اليس هذا لان القرون المتقدمة كان فيها شيء من ذلك: انشاد مراث وتعديد مناقب وبث خطب . بلى ولولاه لما كان لتنبيههم معني . ولم يزل ذلك معروفاً في عواصم البلاد فلا يموت عالم الاَّ وتتلى قبل الصلاة عليهِ عدة قصائد وذلك قبل نفخ هذه الروح الجديدة في صور الشرق

واما تكريم الاحياء للاحياء فلم يزل يحتفل بختم دروس الكتب المهمة كالصحيحين والموطإ في دور مشايخ الحديث او احد اصحابهم احتفالاً يحضره كثير من اهل الفضل والادب وان اعوزهم مدح العلم والكتاب نظماً فلم يفتهم ذلك مذاكرة او لسان حال هذا اثر من آثار ما كان . ما الذي كان . كان اذا ختم عالم كتاباً مهماً من مؤلفاتهِ يحتفل بهِ افاضل العصر احتفالاً يذيع في كل قطر

اذكر من ذلك ما جرى عام ٨٤٢ لما ختم الحافظ ابن حجر كتابه فتح الباري شرح البخاري بالتاج والسبع وجوه بين كوم الريش ومنية الشيرج خارج القاهرة حضره من العلماء الذين حفظ التاريخ اسماءهم ثمانون بل نيفوا على ذلك واما من كان من الطبقة الوسطى فما دونها فأولئك لا يبلغهم الحصر ونظم من ادبائهم ومشاهيرهم في التنويهِ بهذا المشروع عدة قصائد فمن ذلك قول الصلاح الاسيوطي من قصيدة

كم للبخاري من شرح وليس كما ... قد جاء شرحك في فضل وتتميم

وقول الشهاب المنوفي مطلع قصيدة ابياتها ٧٥

تمنعت بدموع الصب في حجب ... فانظر لشمس الضحى في حلة السحب

ومنها شرحت صدر البخاري مثل جامعه ... فراح ينشد هذا منتهى الطلب

ومنها هذا وحقك عام الفتح حج به ... لبيت فضلك وفد العلم عن رغب

وقول البرهان البقاعي صاحب التفسير المعروف من قصيدة

بابي الخدود نواضرًا حسناتها   كنواظر الغزلان في الدينار
قصدت يكون المسك حسن ختامها   فتعلت من ختم فتح الباري

وقصيدة لشمس الدين الدجوي وقصيدة للخطيب برهان الدين المنيجي وقصيدة لمحب الدين البكري اولها

حديثك لي احلى من المن والسلوى   اذا حل سمعي حرّم اللوم والسلوى
ومنها   وكم من شروح للبخاريّ عدة   طواها بفتح الباريْ اعجب لما يطوى
كساهُ جمالاً من عذوبة لفظهِ   ففازت بهِ الدنيا وسلمت الدعوى

ولهُ قصيدتان أُخريان وقصيدة لشرف الدين الطنوبي ولشمس الدين النواجي قصيدة كبرى منها

وكم طوى نشره كتابًا   على ممر الدهور سرمد
ومن يكن علمهُ عطاء   من فتح باريهِ كيف ينفد

ولما فرّق مؤلفهُ صرر فضة ومجامع حلوى انشد الدجوي

بفتح الباريْ انشرح البخاري   واحمد ختمهُ بالفضل جامع
ادار دراهما صررًا فأنشى   وحلوى فيهِ تأخذ بالمجامع

واذكر ايضًا ان في سنة ١١٨٨ اكمل اللغوي الشهير السيد مرتضى الزبيدي عليه الرحمة شرحهُ تاج العروس على القاموس واحتفل في داره بالتنويه بهذا المصنف البديع احتفالاً حضرهُ شيوخ الوقت وكبار الادباء كان منهم شيخ الجماعة الشيخ علي الصعيدي والدردير والسيد العيدروس والامير الكبير وعطية الاجهوري وعبادة العدوي وابو الانوار السادات ومن في طبقتهم والطبقة الوسطى وما بعدها كما فصلهُ الجبرتي. ومن المشاهير في التنويه بذوي الادب والاحتفال بهم في القرن الغابر الامير المجاهد السيد عبد القادر الحسني الجزائري ثم الدمشقي الشهير فانه كان اذا قدمت اليه مقامة ادبية يدعو للتنويه بمنشئها شيوخ الشام ويولم لهُ انفس الولائم شتاء في البلدة وصيفًا في متنزهه بدمر وقد خدم لاجله الصناعتين عدد ليس بالقليل فلكل عصر افراد وكل وقت لهُ صبغة خاصة ومهما تباينت الانواع فالجنس واحد.

واما الاحتفالات القديمة التي اشرتم اليها آخر المقالة فاذكرني منها ما شرطهُ المعظم بن العادل الايوبي لكل من يحفظ المفصل للزمخشري وذلك مائة دينار وخلعة قال في وفيات الاعيان: فحفظهُ لهذا السبب جماعة ولم اسمع بمثل هذه المنقبة لغيره   دمشق   ج. ق

منتخبات من كتاب النبراس

في فلك الاقتباس لاحد شعراء الشام

لا تجهدنَّ النفس في تدبير ما   حاولت في الشدة من رخاء
وهو الذي تلطفاً بخلقهِ   (يدبر الامر من السماء)

بدنياك التي دسمت فسمت   وليس لها علي حرٍّ بقاء
عليك اذ انكسرت لجيش هم   (بنصر الله ينصر من يشاء)

قيسوا قضاياكم على من مضى   (اذ انتم بالعدوة الدنيا)
واستكثروا الزاد لكي تلتقوا   فيهم (وهم بالعدوة القصوى)

عباد الله لما جاهدوا في   نفائسهم جهادهم الغريبا
(فانزل) من سكينته (عليهم)   سناً (واثابهم فتحاً قريبا)

تجليات ربك هلٍ   احاط بكنهها لب
وهل كشف الغطا الاَّ   (لمن كان لهُ قلب)

لمن اشاعوا سلوتي   عنكم اقول ما يجب
(يا ويلكم لا تفتروا)   جهلاً (على الله كذب)

يا من بنظم الشعر دعواهم غدت   تستوجب التنكيت والتبكيتا
ابياتكم منها الحجارة فصلت   (ام تنحتون من الجبال بيوتا)

اذا دعيت لكأسٍ   صهباؤُها قد تراءت
قل حيث حلت بجرمٍ   (بئس الشراب وساءت)

اقاصيص الفرنجة كم تؤدي   تلاوتها الى معنى خبيث
فدعها لا تكن في العلم ممن   بلهوٍ (يشتري لهو الحديث)

قالوا وداد الكريم صفه   وود من لؤمهُ مزاج
فقلت (هذا عذب فرات)   يحيي (وهذا ملح أُجاج)

التعليم والتربية

الارادة والعزم

اهتم الفرنسيس للكتاب الذي وضعهُ المسيو دومر(١) والي الهند الصينية السابق ورئيس مجلس النواب في فرنسا واحتفوا به لما وجدوا فيه من ادوية ادوائهم الاجتماعية وطرق تربية النشء تربية تقيهم آفات العصر التي ضجّ منها العقلاء وحار في معالجتها الحكماء . وهناك سبب آخر لتلقي القوم هذا الكتاب بايدي الاعتبار وهو غير ما يتبادر للذهن من بهرج الالقاب التي تحف باسم موءلفه . بل هو ما عرفوهُ من مبادئ نشأته ووسائل رفعته حتى كانت سيرته مثالاً يحتذى في الشهامة والاقدام واخلاقه خير وسيلة لاستكشاف اسرار النجاح . وقد تسابقت جرائدهم ومجلاتهم الى شرحه وتقريظه ونقلت حسب عادتها فصولاً منهُ توضيحاً للدلالة عليه والتعريف به . فآثرت تعريب هذا الفصل لشمول فائدته كل قارئ من اي قوم كان قال في الارادة والعزم :

تعلم الارادة واعمل ما ينبغي . بذلك يمكن ان تلخص النصوص العديدة التي تتخذ قواعد للحياة . ادِّ الواجب وكن في الجملة رجل حق ابداً . هذه هي الوصية السامية والفريضة الادبية التي تسود في سيرة الانسان . ولا ينبغي لامتثالها ان نرغب فيها فقط بل يجب ان نكون اهلاً للعمل بها او لي ارادة وقوة تحكم على انفسنا . هذا هو المهمّ وهذا هو الصعب . من اجل ذلك كان اول ما يجب على الفتى المتقدم لاحتمال اعباء الحياة وتبعاتها ان يتأهل لامتلاك قياد نفسه فتكون لهُ السلطة المطلقة على هواهُ وخطرات قلبه كما لها على جسمه واعمال جوارحه . فاذا كان المرء كذلك اوشك ان يكون امرأً خيراً وان يقبض في الغالب على زمام حياته وقياد سعادته

كيف السبيل الى تأمين سيطرة مستمرة مثل هذه على النفس وهي تظهر متعسرة بادئ بدء وان تكن تهونها المزاولة حتى لقد تصير آلية ؟ انى لنا الصبر على الانفعالات الجاهلية وعلى الجواذب والفواتن التي تحيط بالانسان ؟ كيف نغلب الميل الى البلادة والاستسلام الى الاميال الطبيعية التي يحلو الاسترسال معها ما لم نقدر عواقبها ؟ كل ذلك ينال بتعلم الارادة والتمرن عليها

---

(١) راجع ص ١٤٨ ج ٣ من المقتبس

نظم الفلاسفة الارادة في سلك القوى الانسانية الاولى فلا نظير لها في الاهمية الاَّ العقل الذي يضبط الفكر والواجب والحكم · ثم الاحساس الذي هو مبدأ الحواس والعواطف والشهوات · وان الذوق السليم ليتفق مع الفلسفة على وضع الارادة في الموضع الاول بين القوى البشرية وصفات الانسان الكامل · فان الارادة القوية الثابتة تُمكّن من كل امر من حيث الشؤون المعنوية وكثير من الامور المادية

رجل الارادة هو وحدهُ الحر في الحقيقة فهو رب احكامه وافعاله · يقود افكاره وعواطفه بل وخياله ويخضع كل شيء لسلطة العقل · فهو يسير بمقتضى احكام عقله و يأتمر باوامر وجدانه مع قابليته ِ للسلوك وفق قواعد الحياة التي دعتهُ الحكمة الى اتخاذها

وفي الامكان ان يتغلب الانسان بالارادة الثابتة على الشهوات الضارة متطرفة او مهلكة وان لا يدع سلطة على نفسهِ لغير العواطف الكريمة والخواطر النبيلة · ولا يصغي الى العواطف الاَّ اذا لم تقتض شيئًا ينافي الواجب · فلا بدَّ اذًا من ارادة حديثة ليكون المرءُ امرأً خيرًا فاضلاً حقيقة · وكلٌّ يمثل تلك الارادة يستطيع الكمال مهما كان مزاجهُ ومعايبه وكيف كانت مشاربه ومذاهبه

ويحسن في المزاولات الحيوية والاعمال اليومية العديدة التي تهمنا جدا اذ منها يتكون نسيج وجودنا ان لا نضطر الى التحاور في الفكر عند كل امر لنتبين اني العمل بهِ تكون الفائدة ام في الامتناع عنهُ · ولكن يجب ان يكون لنا قواعد ثابتة وان تكفي ادنى حركة من ارادتنا المتنبهة لتوعز الينا بالجزم

فاذا كنت تعرف قيمة العفة وكان من قاعدتك ان لا تفرط في الطعام وايقنت بمضرة المسكر والدخان مثلاً ثم تعددت المثيرات وتوالت الدواعي الى ما يخالف ذلك فينبغي ان تتقيها الارادة بالعزم · وتمرن الارادة يوميًا على مغالبة مثل هذه الصغائر يجعلها نافذة السلطان في غيرها من الامور المهمة

لا ينال الخير في الشؤون الخصوصية والعمومية الاَّ بالارادة · نعم ليست هي المادة الوحيدة للنجاح الا انها شرط اوليّ لا اثر لغيرهِ من الشروط بدونه · فان كنا نجد لهذه القوة الحيوية اعني الارادة تأثيرًا محتمًا في كل امر لو نظر فيه على حدة فماذا نجد من تأثيرها في حياة يتوالى عملها فيها ؟ لا جرم ان الرجل الذي عرف ان يتملك تلك القوة يصير اليه في الغالب تعيين حظه حتى لا يدع للمصادفات والطوالع السيئة الاَّ ادنى ما لها من التأثير في حياته بحيث يكون هو الكاسب لفلاحه والباني لسعادته

واما الرجل الذي لا ارادة لهُ فلا يكون لهُ من التأْثير في حظه الاَّ القليل ولو كان ذا عقل كبير فيظل أُلعوبة بيد الحدثان وامره الى الاتفاق · يجري في الحياة كما جرت فلك لا دفة لها فوق بحر هائج فهي تجري من غير ما ادارة تتجاذبها الارياح وتتدافعها المجاري الى ان تصير الى لجة تبتلعها

والجامدون من الرجال الذين فقدوا الارادة بتة هم شواذ كأُولي الارادة الثابتة المطبوعين على العزم والعمل · اما السواد الاعظم فمؤلف من ضعفاء الارادة وذوي العقول المترددة ولقد كان في امكان هؤُلاء ان يكونوا احسن حالاً مما هم عليه ثبات عزيمة وسداد رأْي لو تعلموا الارادة · فالتردد والحيرة اللتان تفترسانهم هما مرضان يؤُولان بمرور الزمن الى شلل الارادة بالفعل · وقد تكون الحيرة والتردد في بعض الاحوال اشد النواقص خطرًا وتؤَديان الى الى الرزايا اذا كان صاحبهما رئيسًا ما لان العزم هو الصفة الاصلية للقواد والحكام والامراء هكذا تقتضي كلتا الحياتين العمومية والخصوصية ان يعرف المرء ان يعتزم ويريد

فالارادة التي يقودها العقل اذا ما عملت في الانسان بصورة مستمرة حتى تبلغ الغاية من نشاطها ويتم لها الكمال تصير عزمًا وذو العزم هو رجل ارادة وثبات واقدام وذلك خير ما يوجد في المجتمع وافيد ما فيه واندر · الاوان كل ما يقال عن مآثر الارادة فهو حق وان شئت فقل ما يقال عن مآثر العزم · العزم يحتاجه الانسان ليكون فاضلاً يصنع الخير كما يحتاجه لانشاء حظه وسعادته · وبه يربي شخصيته الادبية والعقلية ويكوّن حياته جماء · وحكم العزم نافذ في هذين الامرين الحسي والمعنوي على السواء · فذو العزم ينمو عقله وهو يتحسن ويتكمل ابدًا

الطريقان المفتوحان امامنا طريق الخير وطريق الشر بينهما فرق اما طريق الشر فسهلة وهي على منحدر يستدرج فيكفي من الانسان ان يميل ميلاً حتى يتردى الى الحضيض · واما طريق الخير فهي اكثر عناء اذ ينبغي لسلوكها جهد مستمر وارادة ثابتة وبالجملة ينبغي لها عزم والعمل في اصلاح النفس وتكميلها عمل يومي وشغل لا ينقضي من مثابرة المكارم والفضائل لاكتسابها والتنقيب عن النقائص والمعايب لمكافحتها وازالتها وعن المبادئ التي تستدعي الحذر والشهوات التي يجب ان تقهر · هنالك الخير خيرٌ يفعلهُ الانسان لذاته وثمت خير آخر لا يقل فائدة عن ذاك وهو ما يفعلهُ الانسان مع غيره ادبيًا كان او ماديًا بالنصيحة والاسوة الحسنة قولاً او فعلاً

صاحب العزم الثابت لا يتحول البتة عن هذا العمل النبيل والصنع الجميل يقوم به بامانة

ودقة مستضيئًا بمصباح العقل معتمدًا على جزم الارادة . وانه ليمكنهُ بل يجب عليه ان يفحص كل يوم ضميره واعماله فيعتبر اليوم الذي لم يتيسر لهُ ان ينفع فيه احدًا يومًا مضيعًا ثم يتفكر ويتدبر ويستمد من تفكيره حياة جديدة لعزمه وقوى غضة لحرب الحياة فان ذا الارادة القوية ليفلح اكثر من غيره فيما لا محيص عنهُ من الجهاد في سبيل الحياة اذ يكون مجهزًا للعمل فيما ينفعهُ وينفع ذويه وفيما ينميه ويرفعهُ ويحقق امانيه . العزم يفيد في تحصيل الرفاهية والسعادة ما لا يفيده العقل او الحظ فعلى كل من اراد النجاح في حياة تليق بهِ ان يلتمس عزمًا عريقًا في الثبات وبعد فبقية اسباب النجح تأتي زائدة

ارى في الناس عمومًا والافرنسي خصوصًا — لاني اليه انظر — جرثومة الارادة الثابتة وارى فيه قوة ومتانة ظلت مهملة حتى جمدت وصارت كأن لم تكن لعدم العناية بها والالتفات الى تهذيبها . ارأيت الرجل يسترخي عضله ويضعف جثمانه اذا هو اهمل الرياضة وترك العمل ؟ فكذلك الشأن في القوى الادبية

اذا كنا نهذب العقل في إبان الشبيبة فمتى نربي العزم ؟ لقد آن للشباب الذين اوجه اليهم هذا الخطاب ان يشرعوا في هذه التربية والتنمية الادبية بانفسهم ويجب ان يكون هذا اكبر همهم . وعليهم لكي يتعلموا الارادة ويحصلوا منها على نتيجة ان يعزموا عليها ويمارسوها من غير انقطاع ولا استراحة فيستعملونها في تكميل انفسهم وكل شأن من شؤون وجودهم اذ الغاية ان يجعل الانسان ذاته رجلاً ذا عزم يملك هواه ويقتدر على ادارة حياته وتدبير اعماله وان يكون هو المنشئ لسعادته وسعادة الآخرين من بني جنسه وان يشرف بلاده وينفعها بخدمته . فيا ايها الشاب الذي تقرأ كلامي ان كنت عازمًا على بلوغ هذه الغاية فاذكر الكلمة الاولى من هذا الفصل وهي تعلم الارادة . يقول مترجمه واضف اليها هذا البيت العربي

اذا لم تك الحاجات من همة الفتى   فليس بمغن عنك عقد الرتائم

بيروت   عبد المعين خلوصي

صحف منسية

جملة من نثر ابن الحناط

فصل له من رقعة: الاسهاب كلفه · والايجاز حكمه · وخواطر الألباب سهام يصاب بها اغراض الكلام · واخونا ابو عامر يسهب نثرًا و يطيل نظمًا شامخًا بأنفه · ثانيًا من عطفه · متخيلاً انه قد احرز السباق في الآداب · وأوتي فصل الخطاب · فهو يستقصر اساتيذه الادباء ويستجهل شيوخ العلماء

وابن اللبون اذا ما لزّ في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

وهذه قصيدة انشأتها في ليلة كأنما سماؤها روضة تفتحت النجوم وسطها زهرًا · وتفجرت المجرّة خلالها نهرًا وادٍ يسيل بعسجد · على رضراض زبرجد · فلما اصبت الغرة · واقصدت الثغرة تقلبت مرارًا · وتناومت غرارًا · حتى نبهني الفجر ببرده · وسربلني الصباح ببرده · وهببت من النومة وصحوت من النشوة · زففتها اليك بنت ليلتها عذراء · وجلوتها عليك كريمة فكرها حسناء · تتلفع بحبرة حبر · وتتبختر في شعار شعر · مؤتلف بين رفها ومدادها · ومجتمع في بياضها وسوادها · الليلُ اذا عسعس · والصبح اذا تنفس · رقعتها كافور نمنم بمسك · وختامها يا قوت نظم في سلك · تحسب خطها تيم لفظها فشكا · وتخال القلم رقّ لما به فبكى · فانشدها اخاك الشهيدي وكلفه على العروض والقافية معارضتها · واحملهُ على اللين والشدة مقارضتها · فستوقد بقلبه قبسا · وتضرب في أُذنه جرسا · فستبين به حظه وتتعرف فضله · وختم الرقعة بابيات

اقصر عن لومي اللائم   لما درى انني هائم
ما زلت في حبه منصفا   من لم يزل وهو لي ظالم
أُسهر ليلي غراما به   وهو اخو سلوة نائم

ومن شعره في قصيدة في ابن حمود

ولم ارَ مثلي كيف صار بقلبه   من الوجد بركان وفي الجفن طوفان
ولا مثل هذا العدل كيف اعاده   عليَّ وقد مرّت على الظلم ازمان

شعر البلفيقي

كان ابو البركات محمد البلفيقي احد اساطين العلم والادب في القرن الثامن ببلاد الاندلس معروفا بالصلاح موسومًا بالعلم · قال لسان الدين بن الخطيب في الاحاطة ومن

مقطوعاتهِ التي هي آيات العجائب وطرر حلل البدائع في اسنى الاغراض والمقاصد قوله يعرض لبعض الطلبة وقد استدركته بعض حلق العلم بسبتة

ان كنت ابصرتك لا ابصرت بصيرتي في الحق برهانها
لا غرو اني لم اشاهدكم فالعين لا تبصر انسانها

ومنها قولهُ وهو من الغريب البديع

ومصفرة الخدين مطوية الحشا على الجبن والمصفر يؤذن بالخوف
لها هيئة كالشمس عند طلوعها ولكنها في الحين تغرب في الجوف

ومنها قولهُ في النصح ولهُ حكاية تقتضي ذلك

لا تبذلن نصيحة الاَّ لمن تلقى لبذل النصح منهُ قبولاً
فالنصح ان وجد القبول فضيلة ويكون ان عدم القبول فضولا

ومنها في الحكم

ما رأيت الهموم تدخل إلاَّ من دروب العيون والآذان
غض طرفاً وسد سمعاً ومهما تلق همًّا فلا تثق بضمان

ومنها قولهُ وهو من المعاني المبتكرات

حزنت عليك العين يا مغني الهوى فالدمع منها بعد بعدك مارقا
ولذاك قد صبغت بلون ازرق اوما ترى ثوب المآتم ازرقا

ومنها قولهُ في المعاني الغريبة في التفكر في المعاني

أبحث فيما انا حصلتهُ عند انغماض العين في جفنها
احسبني كالشاة مجترة تمضغ ما يخرج من بطنها

ومنها وقال ومما نظمته بين اندرش وبرجة عام اربعة واربعين وانا راكب مسافر وهو مما يعجبني اذ ليس كل ما يصدر عني يعجبني قال لسان الدين ويحق لهُ ان يعجبهُ

تطالبني نفسي بما ليس لي به يدان فاعطيها الاماني فتقبل
عجبت لخصم لجَّ في طلباته يصالح عنهُ بالمحال فيفصل

ومنها

رعى الله اخوان الخيانة انهم كفونا مؤنات البقاء على العهد
فلو قد وفوا كنا اسارى حقوقهم نراوح ما بين النسيئة والنقد

مطبوعات ومخطوطات

المدونة الكبرى

الامام مالك بن انس عالم المدينة وامام دار الهجرة والمحدث الاعظم المتوفى سنة ١٧٩ اخذ العلم عن تسعمائة شيخ فأكثر وما افتى حتى شهد له سبعون اماماً انه اهل لذلك وكتب بيده مائة الف حديث وجلس للدرس وهو ابن سبعة عشر عاماً قال الشافعي اذا جاء الاثر فمالك النجم واذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب ولم يبلغ احد مبلغ مالك في العلم لحفظه واتقانه وصيانته وما احد امنَّ عليَّ في الله من مالك وجعلت مالكاً حجة بيني وبين الله تعالى. وقال الشافعي قال لي محمد بن الحسن ايهما اعلم صاحبنا ام صاحبكم يعني ابا حنيفة ومالكاً رضي الله تعالى عنهما قال قلت على الانصاف قال نعم. قال: قلت ناشدتك الله من اعلم بالقرآن صاحبنا ام صاحبكم قال اللهم صاحبكم قال قلت ناشدتك الله من اعلم باقاويل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المتقدمين صاحبنا ام صاحبكم قال اللهم صاحبكم قال الشافعي فلم يبق الاَّ القياس والقياس لا يكون الاَّ على هذه الاشياء فعلى اي شيء نقيس

هذا هو الامام مالك وهو غنيٌّ عن التعريف بعد ان قال ابن عبد البر ان الناس الفوا في فضائله كتباً عديدة. وناهيك بمن يشهد له الشافعي مثل تلك الشهادة وهو صاحب الموطإ المشهور احد الكتب الستة في الحديث النبوي وعنه روى الامام سحنون بن سعيد التنوخي عن الامام عبد الرحمن بن القاسم العتقي كتاب المدوَّنة الكبرى في فقه مالك. وهذا السفر الجليل عند المالكية ككتاب الأُم عند الشافعية وقد ظلَّ قروناً في خزائن الكتب مخطوطاً لا ينتفع به الاَّ افراد حتى قيض له الفاضل الحاج محمد الساسي المغربي فبذل ما بذل للحصول على نسخة قديمة منه كتبت بعد المئة الرابعة على رقٍّ صقيل وخط جميل فكانت النسخة الاصلية ملوكية كما يقولون بل اكثر من ملوكية خصوصاً وعليها حواش مطرزة باقلام الثقات من اهل المذهب كالقاضي عياض واضرابه

وماذا عسانا نقول في الاشادة بهذا العمل الشريف ولو عني المشتغلون بالطباعة منذ قرن بطبع الكتب الدينية واللسانية والعلمية على هذا الوضع والنحو واختاروا الأُمهات الممتعة وجعلوها مقدمة بين يدي نجواهم لربحوا اكثر مما ربحوا وافادوا اكثر مما افادوا. وقد اتحفنا

الطابع المنوه به بالاجزاء التسعة التي صدرت من الكتاب في هذه العاصمة ولا يزال يواصل اكمال السبعة الباقية منه فكانت لجودة طبعها وجلاء ورقها ورونق حرفها تضطرنا الى الاستغراق في تلاوتها الساعات وقد استفدنا أمورًا ما كنا نظن احدًا من الفقهاء حرك فيها بنانًا ولا غرو ففي مذهب مالك من التوسع في العبادات والمعاملات ما لا تراه في غيره ولذلك كتب الله ان ينتشر في شمال افريقية حيث كثر اختلاط الناس بالافرنج قديمًا وحديثًا ولا يسعهم في الاغلب الاّ مجاراتهم في شؤون معاشهم . فنثني على الطابع بما هو اهله ونتمنى ان يحذو حذوه كل طابع في اختيار اجود الورق والحروف وانتقاء خيرة المصححين لنقول انا جارينا المرتقين في طباعتهم وماثلناهم في تفانيهم بنشر الامهات من كتب امتهم

مجلة عرفات

لصاحبها العالم العامل محمود بك سالم من رجال الاصلاح في هذه الديار وهو ممن جمعوا الى العلوم الحديثة العلوم القديمة وضموا الى المدنية تدينًا . نشر في العام الماضي جريدة باللغة الفرنسوية بهذا الاسم لتبحث فيما تمس حاجة الاسلام الى التعريف به عند من يجهله وحاجة المسلمين الى ما ينفعهم ويعلي كلمتهم وقد جعل جريدته منذ مدة في قالب مجلة ليتيسر جمعها وحفظها ويتسع معه الوقت لانتقاء موضوعاتها . اتحفنا بما صدر من عرفات جريدة ومجلة فطالعنا منه طرفًا صالحًا لم تزدنا بالرجل تعريفًا ولم تكن على غيرته واخلاصه دليلاً جديدًا وكفى في الاشادة بذكر صاحب المجلة بانه يبذل وقته وعلمه ودرهمه في خدمة أمته فاكرم بابوين يهذبان مثله وببلاد تخرج النوابغ اذا علم ابناؤها العلم الصحيح والآداب الطاهرة . وفي هذا المقام نقترح على العالم المشار اليه ان يتفضل ولو بنشر ملحق صغير مع كل جزء يلخص فيه الى العربية ما ينبغي لقرائها ان يطلعوا عليه . والمجلة ترسل مجانًا لمن يطلبها

لامية العجم ولامية ابن الوردي

شرح الكاتب الاديب حكمت بك شريف لامية العجم للطغرائي الكاتب الشاعر المشهور المتوفى سنة ٥١٥ ولامية ابن الوردي الفقيه الاديب المتوفى سنه ٧٤٩ شرحًا موجزًا ينتفع به طلاب الادب ويعين على فهم ما أبهم من الفاظهما وتراكيبهما

السل الرئوي

افرد اجدادنا ايام كانوا يشتغلون بالعلم على انواعهِ بعض الادواء بالتأليف لاهميتها وانتشارها كما فعل الرئيس ابن سينا وابو مروان بن زهر وابو الوليد بن رشد وحنين بن اسحق و يوحنا بن ماسو يه و يعقوب بن اسحق الكندي وثابت بن قرة الحراني وابو بكر الرازي وغيرهم . وكلما ارتقت العلوم أُفرد كل فرع منها بكتب وانصرف اليها ناس بحسب الحاجة. وأمامنا الآن كتاب في الوقاية من السل الرئوي وطرق علاجه من تأليف العالم النطاسي الدكتور خليل بك سعادة من المتميزين في الطب والعلم والمشهود لهم بالاجادة في إحكام العربية والانكليزية على ما علم ذلك من تآليفهِ باللغتين ورسائلهِ في بعض جرائدهما ومجلاتهما

والكتاب موضوع على اسلوب غربي في قالب عربي يعزو فيه معظم المواد لقائليها قسمه ابوابًا تدعو المطالع الى مطالعته لما حوى من الفوائد الصحية والعلمية وقد قدم له مقدمة تدل على علو كعبه ونبالة غايته قال : « يفتك السل الرئوي كل عام بستة ملايين من البشر فيربو عدد قتلاه في بضع سنين على سائر مجموع القتلى الذين سقطوا في ميادين الوغى ايام معارك الاسكندر وهنبال وقيصر و بونابارت والحرب الاهلية الاميركية وحرب السبعين والحرب اليابانية الروسية » و بعد فيحق للعربية ان ترحب بهذا الكتاب الجليل وهو في ٢٢٥ صحيفة جيدة الطبع والورق و يطلب من مكتبة المعارف وثمن النسخة عشرة غروش صحيحة

وقاية الاسنان

لما أُلقيت الينا هذه الرسالة ظنناها مبتكرة ولكن عدنا فذكرنا ان لابن ماسو يه كتابًا في السواك والسنونات ولحنين بن اسحق كتابًا في حفظ الاسنان واللثة أُلفت بالعربية منذ نحو الف سنة وما يدرينا ان كان السلف الف في هذا الموضوع ايضًا كما الفوا في موضوعات لا يكاد ابن هذه العصور يظن انها خطرت لهم على بال. وهذه الرسالة هي للفاضل الدكتور علي بك بقلي الطبيب الاختصاصي بامراض الفم والاسنان تكلم فيها على كل ما لهُ علاقة بالاسنان والاضراس والانياب وصحتها وسقمها وهي نافعة في بابها وثمنها خمسة غروش صحيحة فنشكر لهُ همته

نيل المراد

رسالة في تشطير الهمزية والبردة و بانت سعاد للشاعر الاديب الشيخ عبد القادر سعيد الرافعي علق عليها شرحًا يفسر كلماتها اللغوية فجاءت لطيفة الاسلوب مقبولة عند طلاب هذا الفن وهي تطلب من مكتبة نجل المؤلف في السكة الجديدة

تبيان التعليم

لحضرة العالم الاصولي ذي المعزة السيد احمد بك الحسيني من رجال الفضل والنبل في هذه العاصمة يد طولى في وضع المصنفات الاصولية والفقهية النافعة فبالامس نشر كتاب دليل المسافر ونهاية الاحكام والقول الوضاح والقول الفصل واليوم نشر رسالة سماها تبيان التعليم في حكم غير المبدوء ببسم الله الرحمن الرحيم وما اصدق ما قاله في مقدمتها : « والمسئول ممن وقف على ما كتبته ان يدع الهوى والتقليد ولا يسترسل في مدح القديم وذم الجديد بل ينظر الى المقال بعين الانصاف والاعتدال ولا ينظر الى من قال فالرجال يعرفون بالحق وليس الحق يعرف بالرجال »

الدليل الى البرازيل

كتاب ادبي اجتماعي انتقادي لمؤلفه الاديب جرجي افندي توما الخوري ضمنه وصف المشاهد والآثار التي رآها منذ غادر سورية الى ان وصل برازيل وذكر ما يلقاه المسافر والمهاجر مازجًا الجد بالهزل احيانًا . وقد قدر عدد السوريين في برازيل وحدها بخمسين الفًا وامتدح من صحفهم العربية وارباربها الا انه تمنى لو ابطلت عادة نشر الرسائل المأجورة في الجرائد وفي الكتاب فوائد لا يستغني عنها المقيم والمسافر

الدين في نظر العقل الصحيح

هي مقالات كان نشرها في مجلة المنار الغراء الدكتور النطاسي الفاضل محمد توفيق صدقي في العقيدة الاسلامية واثبات صدق النبوة المحمدية على وجه اقرب الى عقول المتعلمين وقبول المدنيين وفي آخرها مقالة في حكمة نجاسة الكلب والخنزير وتحريم لحمهما فجاءت في ١٦٠ صحيفة صغيرة وافية بالغرض تدل على بعد غور كاتبها . وثمن النسخة قرشان ونصف تطلب من مكتبة المنار بشارع درب الجماميز

الاجوبة المسكتة

تأليف الاديب الاريب احمد افندي صابر جمع فيه ما شاق وراق من الاجوبة اللطيفة التي فتح بها على كبار العرب والفلاسفة قديمًا على نمط توخى فيه الايجاز والاقتضاب فجاء كتابه في ١٨٠ صحيفة صغيرة مطبوعة طبعًا نظيفًا على ورق جيد . وعساه يضيف اليه في الطبعة الثانية ما اخره بالقصد من المواد التي لها علاقة بالكتاب ويردفه بما هو شائع اليوم على ألسن القوم من هذه الاجوبة الادبية اللطيفة التي قد تقع لاحد العامة فيستفيد

منها الخاصة والعامة معاً . والكتاب يطلب من مؤلفه بديوان الاوقاف وثمنه خمسة قروش

الحقيقة الباهرة

في اسرار الشريعة الطاهرة من تأليف سماحة الاستاذ الشيخ محمد ابو الهدى افندي الصيادي الرفاعي بنى ابوابه على عدد شعب حديث «الايمان بضعة وسبعون شعبة» وقد طبع في القاهرة على ورق جيد وطبع نقي

ذكرى فريد

نشرت جمعية تهذيب الشبيبة السورية في بيروت المراثي واقوال الجرائد وبعض آثار فريد عوض وترجمته وكان من اذكياء الشبان في المدرسة الكلية الاميركية فتوفي منذ ثلاث سنين فرأى اصحابه ان ينشروا له كراسة يخلدون بها ذكره مخافة ان يضيع كما ضاع كبار رجالنا باهمالنا فنثني على غيرة من تولوا ذلك

روايات جديدة

رواية البعث — معربة عن الانكليزية بقلم الاديب رشيد افندي حداد وهي من وضع الفيلسوف الروسي ليون تولستوي تطلب من المكتبة الشرقية

عشيقات الملك — تعريب الكاتب الاديب ابراهيم افندي سليم نجار تطلب من صاحبها وقيمتها فرنك واحد .

رواية سرولاسر — للعقيلة استير مويال تطلب من مسامرات الشعب

الساحر الخالد — معربة عن الانكليزية بقلم الكاتب الاديب محمد لطفي افندي جمعة وهي احدى روايات مسامرات الشعب

هدية الابن

كراسة كتبها الاديب بشاره افندي الياس عيد الحاج بطرس من جالية السوريين في البرازيل اهداها الى والده ووصف له فيها حال البرازيل ومن رأيه ان البرتغاليين لما اكتشفوا البرازيل سنة ١٥٠٠ م كان في جملة من بعثتهم الحكومة البرتغالية اليها عيال كثيرة من بقايا السلالة العربية في الاندلس لتطهير بلادها من النسل العربي ولذاك كان في الامة البرازيلية نقطة دم عربي . فلكاتبها منا الثناء

الاقتصاد لبلوغ المراد

رسالة في النحو لمؤلفها الشيخ احمد مصطفى بن محمود ابي النصر من طلبة الازهر

تدبير الصحة

الخبز الابيض

ما زال علماء الصحة يوصون بالاعتماد على الخبز الاسمر بدل الابيض وقد انذر احد رجال الاميركان الآن ان من يعتمد في طعامه على الخبز الناصع البياض يصاب بالهزال وفقر الدم اذ ان هذا البياض لا يكون الأ بوسائط صناعية تستلب من الخبز صفاته المغذية

اللحوم والبقول

اثبت احدهم ان الانسان خلق ليغتذي باللحوم ـ خلافاً لرأي القائلين بان البقول هي خير ما يعتمد عليه المرء في تغذيته ـ قال ومما لا ينكر ما يحدث تناولها من اضطراب في المعد عند كثير من الناس لكن ذلك ينشأ من طريقة الأكل لا من الطعام نفسه وقلة المضغ في الغالب تضر الهضم وتجعل فيه عسراً

جمع الحواس

طلبت احدى المجلات اليابانية من الكتاب ان يوافوها بما يرونه من انجع الاسباب واحسن الطرق وابرك الساعات لجودة التصور فقال بعضهم ان الفكر لا يجري بدون تأمل وهو محتاج لجمع الحواس . وقال بعضهم ان احسن الساعات للافتكار هي عند الانتباه من النوم صباحاً اذ يكون الدماغ مستريحاً ولذلك كان من احسن الامور القاء الدروس على التلامذة صباحاً . وآثر آخر ان يبدأ المرء بعمله بعد التنزه ومن ذلك تعظم فوائد الدروس التي يتلقاها الطالب في صفوف تقام بعد الرياضة البدنية . وارتأى آخر ان البداءة بالعمل العقلي ينبغي ان يستعد لها بالقراءة واوصى الاساتذة ان يعمدوا الى هذه الطريقة

القيلولة

هي نوم الظهر والراحة فيه لا غنية لسكان البلاد الحارة عنها وقد يستغنى عنها في البلاد الباردة . وقد اخذ اهل العلم في انكلترا يتناقشون هذه الايام في فائدتها وخصوصاً لطلبة المدارس لان هؤلاء يصرفون من دقائق الدماغ كل يوم جانباً كبيراً في استخدام القوى المفكرة والباحثة والمدققة والمشبهة والحاكمة لحالتهم والامر على ما ذكر تستدعي راحة اعظم

بالنظر لما يبذلونهُ من الاجهاد العقلي والقيلولة تنفعهم في صحتهم اكثر من الرياضات المألوفة في المدارس وما هي الاَّ عناءٌ آخر عضلي بعد ذاك العناء العقلي وخير للتلميذ ان ينام في فراشهِ ويريح عقله وجسمه من أن يسير في الهواء الطلق ويصرف وقت راحته في ترويض جسمه رياضة طبيعية مستمرة عنيفة . وارتأى القائلون باستعمال هذه الطريقة ان يُفحص التلامذة كل يوم فحصاً طبيًا بمعرفة اطباء من اهل الاخصاء يعهد اليهم فحص تراكيب التلامذة الفسيولوجية وينظرون في قواهم العقلية

سير العلم

التعليم في مصر والسودان

لا تزال مصر في مؤخرة الأمم بعدد متعلميها وكثرة أميها والسودان في مؤخرة المؤخرة . فحيا الله يومًا نرى اهل هذين القطرين يقبلون على تعليم اولادهم اقبال الممالك الصغرى في الغرب على تعليم بنيهم . فترى سويسرا والبلجيك وهولاندا والدانيمرك والسويد ونروج واليونان ورومانيا وبلغاريا والصرب وكل منها هي دون مصر والسودان بعدد سكانها وغناها الطبيعي ارقى من هذين القطرين في التعليم بل الفرق بين التعليم وعدد المتعلمين هنا وبين التعليم والمتعلمين هناك كالفرق بين الشرق والغرب

ويؤخذ من تقرير اللورد كرومر عن مصر سنة ١٩٠٥ م ان عدد التلامذة الذين حضروا مدارس الحكومة سنة ١٩٠٥ هم ٧٤١٠ في الكتاتيب و١٤٧٨ في دار تخريج المعلمين للكتاتيب و٧١٧٥ في المدارس الابتدائية العالية و٥٦١ في المدارس الصناعية و١٣٤٥ في المدارس الثانوية و٧٤٣ في المدارس الفنية ومجموعهم ١٨١٨٢ انفقت معارف مصر عليهم ٢٧٦ الف جنيه مصري

اما في السودان فكان عدد المتعلمين في مدارس الحكومة آخر السنة الماضية ١٠٣٣ صبيًا منهم ٣٩٢ في كلية غوردون و٢٢٩ في المدارس الابتدائية العليا و٢٩ في كليتي المعلمين في ام درمان وسواكن و٧٢٣ في المدارس الابتدائية الاهلية

وقال في كلامه على التعليم الثانوي بمصر ان عدد الناجحين ١٧٧ تلميذًا او ٤٠ في المئة ممن تقدموا للامتحان — والامتحان بالانكليزية او الفرنسوية — منهم ١١٧ من المسلمين و٦٠ من المسيحيين فيظهر من ذلك ان ٦٦ في المئة كانوا مسلمين اي اقل قليلاً مما كانوا عليه سنة ١٩٠٤ وقل عدد الناجحين من المسلمين في امتحان الشهادة الابتدائية فان عدد الناجحين في

هذا الامتحان بلغ ١١٧٣ تلميذاً منهم ٧١٧ او ٦١ في المئة من المسلمين يقابلهم ٦٦ في المئة سنة ١٩٠٤ قال وهذه النسبة ليست مما يوجب الرضى والسرور لاسيما اذا تذكرنا ان المسلمين ٩٣ في المئة من مجموع سكان القطر

وكان عدد المدارس الخصوصية التي تقدم منها تلامذة للامتحان ٩٩ مدرسة منها ٥٠ يديرها المسلمون و٢٧ الاقباط و٢١ يديرها المرسلون و١ اليهود · قال فلو ان ما يبذل من المال والهمة على المدارس الخصوصية التي على الطراز الاوربي يوجه الى التعليم الاهلي باللغة العربية وهو على غاية الانحطاط لنتج عن ذلك فائدة عظيمة للبلاد عموماً

وتكلم على الكتاتيب التي قامت بهمة الافراد في احدى عشرة مديرية من مديريات مصر فقال انها انشأت حتى الآن ٧٥٨ كتاباً جديداً وهي تبني ١٨٧ كتاباً آخر ورممت ٣٦٦ كتاباً وبلغ عدد الكتاتيب التي هي تحت مراقبة الحكومة ٤٨٥٩ كتاباً منها ٢٥٦٥ كتاباً منحتها الحكومة اعانات قدرها ١٣١٦٤ ج م وقد بلغ عدد المتعلمين فيها ١٣٦٠٨٣ و٩٦١١ بنتاً وعدد المعلمين ٦٢٩٥ والمعلمات ٣٢ وتحت ادارة نظارة المعارف ١٠٩ كتاتيب اخرى يتعلم فيها ٥٧٧٧ صبياً و٨٣٣ بنتاً وبلغ عدد كتاتيب البنات وفي جملتها الكتاتيب التي تحت مراقبة الحكومة ٢٠٥٣ وعدد تلميذاتها ١٢٠٠٦

وفي بولاق مصر مدرسة للصناعة فيها ٤٢٣ تلميذاً منهم ٢٨٥ مسلماً وفي المنصورة مدرسة صناعية فيها ٦٨ تلميذاً · ولا يزال عدد من يدخلون دار المعلمين الناصرية يزداد وفيها يتعلم المعلمون العلوم باللغة العربية فقد بلغوا ٢١٠ في السنة الماضية وفي المدرسة السنية لمعلمات المدارس الابتدائية ١٨ معلمة وفي مدرسة بولاق لمعلمات الكتاتيب ٣٩ وفي مدرسة عبد العزيز لمعلمي الكتاتيب ١٠٦ وفي مدرسة الفيوم ٦٢ ودار التعليم في درب الجماميز ٦٩ معلماً

وفي مدرسة الزراعة الآن ٧٠ تلميذاً منهم ٣٩ من المصريين والباقون من امم مختلفة · قال اللورد ومما يسوءني ذكره ان ٢٢ تلميذاً من التلامذة المصريين مسلمون وفي مدرسة الهندسة ٥٧ تلميذاً ومجموع تلامذة مدرسة الحقوق ٢٧٣ منهم من يدرسها بالفرنسوية ومنهم بالانكليزية وفي مدرسة الطب ١١٦ تلميذاً اثنان منهم في القسم الصيدلي وفي مدرسة البيطرة ٣٢ تلميذاً وعدد تلامذة مدرسة العميان بمصر ٢٧ وتلامذة مدرسة العميان بالاسكندرية ١٧ وفي كلية فكتوريا في الاسكندرية ١٧٥ تلميذاً المسيحيون منهم ٧٨ واليهود ٦١ والمسلمون ٣٦

الاختراعات في اميركا

تكاد تكون الولايات المتحدة مستأثرة بالاختراعات والاكتشافات في الغرب لهذا العهد فان ما يخترعه ابناؤها ويكتشفونه يدل على ان قوة الابداع والايجاد وقف عليهم ومع ان حكومة تلك البلاد تتصعب كالمانيا في اعطاء البراءات للمخترعين المكتشفين ما لم يثبت لديها ثبوت الشمس ان صاحب البراءة ابتدع ما لم يسبق اليه حقيقة فقد أحصيت البراءات التي منحتها الحكومة الاميركية سنة ١٨٥٥ فكانت ٢٠٠٠ براءة ولم تبرح ترتقي سنة عن سنة حتى كانت سنة ١٩٠٣ — ٣١٧٠٠ براءة

النساء العالمات

ألفت في لندن احدى بنات احد الماليين مجمعاً للنساء العالمات في العالم ونشرت هذه الآونة تأليفاً سيصبح فيما بعد مجلة تصدر في اوقات تعين لها جاء فيه اثنان وثلاثون خبراً ومبحثاً وقطعة شعرية موقعاً عليها من نساء عالمات من انكلترا واميركا وفرنسا وايطاليا والمانيا وهولاندا ورومانيا وكل منهن تكتب بلغتها فكان للانكليزية الحظ الاوفر وتلتها الافرنسية فالايطالية ولا يقصر هذا المجمع النسائي اعماله على نشر مقالات الجنس اللطيف في الغرب واشعارهن بل يتخذ له مراكز في عواصم العالم المهمة يكون فيها ما يلزم للمشتركات من انواع الراحة وضروب المسليات المباحة وخزائن كتب وقاعات اجتماع وقاعات طعام وقد دعون في لندن و برلين كبار رجال السياسة فلبوا دعوتهن وكان في تلك الاجتماعات غناء ومعارض صناعية من اشغالهن يبعنها بواسطة مكتب تجاري اقمنه لهذا الغرض وكلما تزايدت اعمال هذا المجمع زادت فائدته للمشتغلات بالعلم والصناعة من بنات العقول في الغرب . فمتى يكون للشرق يا ترى مجتمعات كهذه للرجال ثم للنساء

البنات اليابانيات

نالت شهادة الطب من الدرجة الاولى من كلية ماربورغ الالمانية الآنسة ايادا ماثا من مدينة كوموتو اليابانية . وليست هذه هي المرة الاولى التي نال فيها اليابانيات ارقى شهادات العلم واثبتن ذكاءهن وبعد نظرهن في المطالب العالية فان كليات نيويورك وشيكاغو وسان فرنسيسكو غاصة باليابانيات ممن يدهش العالم بفهمهن وعلمهن . وامبراطورة اليابان هاروكوف هي من اشد انصار النساء وتعليمهن لتحريرهن من رق الجهل فقد بعثت منذ جلست على عرش الامبراطورية بكثير من البنات على نفقتها الى كليات اوربا واميركا . بدأت بذلك سنة ١٨٧١ ولا تزال ترسل كل سنة طائفة من البنات تطلبهن الى حضرتها

قبل ذهابهن وتلقي عليهنَّ المواعظ الحسنة وتحثهنَّ على ان يكتبنَ لها كل ثلاثة اشهر على الاقل بما تلقينهُ من اساتذتهنَّ و يطلعنها على نتائج دروسهنَّ وابحاثهنَّ و يشرحنَ لها ما احدث في نفوسهنَّ اختلاطهنَّ بالحياة الاميركية . وليت شعري متى يكون للشرق الادنى بعض ما للشرق الاقصى من العناية بتعليم البنات وتهذيبهنَّ

مكتبة نفيسة

حزن العلماء لضياع مكتبة المثري الاميركي الشهير المستر سوترو في زلزال سان فرنسيسكو الاخير فلم يكن فيها اقل من ٢٢٥ ألف مجلد ومعظمها من كتب العلم والصنائع والادب القديمة ونسخ مخطوطة بخط مؤلفيها ولا سيما كتب من طبع غوتنبرغ مخترع الطباعة وهذه الخزانة هي انفس مكتبة في اميركا الشمالية فلا عجب اذا تأسف العلماء لفقدها ولا تأسفهم على ما ضاع في ذلك الزلزال من المكاتب الخاصة والعامة والعروض والاموال

مكاتب فرنسا

وضعت احدى الصحف اليومية الباريزية مقالة افتتاحية في خزائن كتب فرنسا وما تم فيها من الارتقاء في مئة سنة فقالت كان عددها سنة ١٨٧٣ـ٧٧٣ مكتبة فيها. . ٨٣٨٠ تأليف فصارت في السنين الاخيرة ٢٩١١ مكتبة فيها ٤١٦٦٤١٧ مصنفاً وذلك عدا مكاتب المدارس وعددها اربعون الف خزانة كتب . قالت ان رغبة الناس انصرفت في العهد الاخير الى مطالعة الصحف و بعض المجلات حتى عدَّ فريق من ارباب النظر تلك المطبوعات الدورية اعداء الكتب والرسائل . وقال آخر ان المجلات والجرائد تعين على انتشار الكتب والرغبة فيها والصحف اكبر مساعد على خدمة العلم بما امتازت بهِ من الاساليب فانها تكتب بحسب الاحوال والدواعي فتبعث المطالع على النظر فيها رغم أنفهِ . ثم ذكرت ان فرنسا متخلفة عن المانيا من حيث انتظام مكاتبها ووفرة عددها كما ان هذه متخلفة عن انكلترا واوربا كلها متخلفة عن الولايات المتحدة وما مكاتبها اذا نسبت لمكاتب العالم الجديد الاَّ اكواخ . ومن لاوربا بكريم يشبهُ كارنجي المثري الشهير الذي يبذل من مالهِ كل سنة خمسة او ستة ملايين ريال اميركي لاصلاح خزائن الكتب في بلادهِ وهو يقول ان المكتبة مدرسة في الحقيقة وفيها مؤدب ومرشد

نفقات الجيوش

قدر احد الصحافيين في اميركا ما انفقتهُ الدول منذ خمس وثلاثين سنة على تسليح جيوشها

فكان معدله السنوي ثمانية عشر مليارًا من الفرنكات ذهب اكثرها هباء منثورًا وان ميزانية الدول جمعاء تضاعفت منذ ذاك العهد

اعتصابات العملة

كثر اضراب العملة عن العمل في السنين الاخيرة فقدرت احدى المجلات الاشتراكية ما حدث من الاعتصابات منذ ست سنين فكانت ٤٢٧٠ اعتصابًا والمعتصبون ١١١٩٠٥٠ عاملاً منهم من نالوا مطالبهم ومنهم لم ينالوا سوى جزء منها ومنهم من اخفقوا

السخاء الاميركي

رأى احد علماء الالمان ان ما لفت انظاره في اميركا هو سخاء افرادها فهم ينفقون الملايين على انشاء الكتاتيب والمدارس والكليات حتى ان احدهم وهب اربعة ملايين ريال لانشاء كلية شيكاغو وحدها

نقل الابنية

في اميركا ينقلون البناء الهائل من اساسه ويجعلونه في مكان آخر دون ان يطرأ عليه ما يخربه ويكون ذلك في الابنية غير الشاهقة وقد نقل الالمان هذه الآونة منارة مدينة وتيمبرغ بالقرب من همبورغ وكان وزنها نحو ستين طنًا وعلوها ٣٨ مترًا ودامت النقلة ٣٢ دقيقة وكلفت عدا ثمن الاخشاب ٨٣٥٠ فرنكًا فتأخرت المنارة عن محلها عشرة امتار وكبر بذلك مدخل السفن في الميناء

مقالات المجلات

سقوط الكتب

تكلم احدهم في احدى المجلات الفرنسوية عن سقوط الكتب فقال ان طريقة الاعلانات قد احدثت تدجيلاً تجاريًا هائلاً فان بعض المؤلفين ينشرون عن مصنفاتهم اعلانات ويبذلون في هذا السبيل من الاموال ما لا يوفي ما ينفقونه الا طبع عشرين الى ثلاثين الف نسخة فتراهم يبتاعون العمود الاول في بعض الجرائد ينشرون فيها صورهم وشيئًا من تراجمهم ويودعونها مفاوضات العلماء بشأنهم ويشغلون الصحف بمناقبهم كل هذا لترويج سلعتهم

الآلام البشرية

رأى المستر ستيد صاحب مجلة المجلات الانكليزية ان يأسو جراحات الانسانية بخمس مواد وضعها وايقن ان فيها خلاص البشر في هذه الدار فدعا الاغنياء والفقراء وارباب السلطة والضعفاء ان يعملوا واياه يداً واحدة في تحقيق هذه المشروعات الخمسة الخيالية . وهي (١) إخاء عام اساسه العدل والحرية مع بث روح الوئام بين الانام واتفاق كلمة الانكليز والاميركان وألفة الدول والعطف على الاجناس المحكوم عليها وتحكيم دولي (٢) اجتماع الاديان كلها واهل المباحث العلمية الشرعية في عالمي المادة والروح (٣) الاعتراف بحقوق المرأة في المجتمع واعطاؤها حقها من الامتيازات الوطنية (٤) اصلاح حال الشعوب (٥) تحسين قوى الشعوب طبيعية كانت او عقلية وذلك ببعثها على المطالعة واللعب في الهواء الطلق والموسيقى والتمثيل

اتحاد اوربا

كتب احد نبلاء الانكليز في مجلة القرن التاسع عشر رسالة قال فيها انه موقن بان الدول لا يعملن باخلاص على الوفاق الودي الاجماعي بينهن وانه لا بد من نشوب ثورة يكون شؤمها مما لم يره الراؤون ولا رواه الراوون ولكنه رجا ان يتم بفضل رئيس الوزارة الانكليزية الحالية تأليف اتحاد عظيم يرمي الى السلم ويقي العالم هذا الخطر المحدق وقال ان كثرة المعدات الحربية اضطرت الحكومات الى انفاق نفقات طائلة ولا غاية منها الا تقوية عددها وعديدها استعداداً لما عساه يطرأ من التعادي فهن يتحملن نفقات فاحشة في ميزانياتهن وكان عليهن ان يعرفنَ مصالحهن المشتركة ويفضضنها على اهون الاسباب . وقد اراد الغاء الجمارك كلها لان مبدأ حماية التجارة برأيهِ لا يتأتى عنه الا خراب البلاد الاقتصادي

التعليم الابتدائي

ارتأى احدهم في احدى المجلات البريطانية انه ينبغي ان تصرف عناية كل أمة الى تقليل عدد التلامذة في جميع الصفوف وان تجزأ هذه وتقسم الى اقسام وان يلقن الاولاد كيفية التعليم بانفسهم اذ قد دلت التجارب على ان الدروس التي يتعلمها المرء من تلقاء ذاته هي احسن ما يتلقنه من ضروب العلم في حياتهِ

عدد الصينيين

ظهر لاحد الباحثين من الانكليز ان في سكان الصين وهم اربعمائة مليون ٣٧٨ مليوناً ينتحلون ديانة كونفوشيوس وبوذا وتاواست و٢٠ مليوناً يدينون بالاسلام ومليونين يدينون بالنصرانية

السل البقري

جاء في مقالة لاحد علماء الالمان ان السل البقري يزداد في اوربا فتكاً فان فرنسا تخسر به ثلاثين مليون فرنك والمانيا خمسة وعشرين مليون مارك وان لبن الامهات ينقص كلما كثر عدد سكان المدن كما هو المشاهد في المانيا فان ثلث اطفال برلين محرومون من ثدي أُمهاتهم لنضوب درهم وارتأى ان احسن طريقة للبقران تحقن حتى يكثر نوعها ودرها ولا تصاب بالسل

رسوم اللغات

المحيط — في الارض نحو ثلاثة آلاف لغة تختلف لهجتها كلها بعضها عن بعض ولكن بينها لغات كثيرة متشابهة كالتركية والعربية او الفرنسوية والانكليزية وبينها ما يكثر فيهِ الاختلاف رسماً وكتابة ومطالعة فبعضها يقرأُ ويكتب من اليمين الى اليسار وبعضها من اليسار الى اليمين والبعض من اعلى الى اسفل كلغات الصين واليابان وما جاورها . اطلع على كتيب جمعت فيهِ امثلة من ٢٩٦ لغة وقد كانت الجمعيات الدينية السبب الاكبر في رسم لغات كثيرة منها لم تكن من اللغات المكتوبة من قبل وذلك توصلا الى اتمام ما قصدته من نشر التوراة والانجيل بين جميع الشعوب

ديانة الكالا

المشرق — كالا بكاف ثقيلة تركية وان شئت فبجيم مصرية ولام مشددة كلمة ينعت بها الاحباش النصارى الامحريون من سكان الحبشة الأُميين الذين لا يدينون باحدى الديانتين الشائعتين في شرق افريقية وهما الاسلام والنصرانية . ومعنى اللفظة «من لا كتاب له» ثم عمَّ استعمال هذه الكلمة فاشتهر بها اسم هذه الامة التي تدعو نفسها اورومو والكلمتان اليوم مشهورتان ودونهما شهرة كلمتا «أُركتا» و«كوتو» اللتان يعرف بهما هذا الشعب . فالكالا اسم لامة كبيرة تعد من اكبر شعوب افريقية عدداً تقطن في شرق هذه القارة بلاداً فسيحة متسعة تعم بلاد منليك كلها وسهولاً معظمها مجهول تمتد بين المملكة الحبشية وما وراء بحر الغزال غرباً وبلاد الكنغو جنوباً . ويقدر عدد الكالا الخاضعين فقط لسلطة النجاشي بضعف عدد الامحريين اي باثني عشر مليوناً ويقسمون من حيث اديانهم الى ثلاث طوائف اولها الكالا المسلمون وهم طائفة لا يتجاوز عددها الثمانين الفاً تقطن في المقاطعة المرربة فقط وقد دانت بالاسلام على يد المرربين ومن يجاورهم من المسلمين . وثانيها الكالا النصارى وهم طائفة قليلة لا يتجاوز عددها مائة الف نفس تسكن بين الامحريين نصفهم

كاثوليك والنصف الاخر يعاقبة · وثالثها الكالا الام وهم الطائفة العظيمة وهي ليست وثنية بل تعبد الهاً واحداً وتحرم السرقة والقتل وكل ما يدل العقل على انهُ منكر وتأمر باحترام الشيوخ والوالدين وبالتضرع الى « واكا » وهو الله جل جلاله وتنهى عن اكل اللحم البشري

تطور الامم

المنار ـ افاض في اطوار الامة الاسلامية قديماً وحديثاً من حيث سياستها واخلاقها وعلمها ومما قالهُ : ثبت بالتجربة والاختبار ان المتعلمين للعلوم الكونية هم الذين يسودون امتهم كما ان الامم السابقة في مضمار هذه العلوم تسود المتخلفة فيه فالناس تبع لهؤلاء المتعلمين صلحوا ام فسدوا فهم التيار الجديد الذي يحول الامة من حال الى حال وعقول هؤلاء المتعلمين وقلوبهم بين ايدي الاجانب فهم الذين يودعون فيها و ينقشون في الواحها المستعدة ما يريدون على علم منهم بغايته واثره · ومما نشاهد من اثره ان اكثر المتعلمين لا قيمة للدين الذي هو الرابطة العامة للمسلمين في نفوس اكثرهم فهم لا يصلون ولا يصومون ولا يحللون ولا يحرمون وانما همُّ اكثرهم التمتع باللذات الحسية ولو بذلوا في سبيلها جميع المصالح العامة · ثم هم مع هذا مغرورون بانفسهم يحسبون انهم ارقى من سلفهم الصالح عقولاً وارجح احلاماً واوسع علوماً وافضل آداباً واقدر على الاعمال الاجتماعية فلا الدين عرفوا ولا حب الامة أُشربوا وكيف وهم على جهلهم بشريعتها يجهلون تاريخها الذي لم يتفضل عليهم ساداتهم الاجانب بشيء حقيقي منهُ الاَّ بعض المسائل المنتقدة التي صوروها بغير صورتها

الاطباء ومدارس الطب

الحكمة ـ كان من يتعاطون الطب في عهد الفراعنة ثلاثة اقسام وهم الحكيم العادي والراقي والمشعوذ الساحر كما وجد في رسالة مكتوبة في عدة صفحات من ورق البردي · كتب هيرودتس ان الطب كان موزعاً في مصر توزيعاً علمياً دقيقاً بحيث كان الحكيم يشتغل بفرع واحد لا بعدة فروع منهُ · بعضهم يطب الرمد وبعضهم اوجاع الرأس وآخرون المعدة وغيرهم الامراض الباطنية · وكان الرمديون اكثرهم عدداً ومهارة حتى اشتهروا خارج مصر لان المصريين كانوا عرضة لرمد موضعي لم يزل شائعاً · ومن الاطباء عدد ليس بقليل كان مشتغلاً بمرض الاسنان لان المصريين كانوا ايضاً عرضة لهذا المرض لرطوبة البلاد ولحسن سمعتهم في البلاد وخارجها استحضر قورش ودارا (من ملوك الفرس) اطباء منهم لمعالجة الامراض التي كانا مصابين بها وكذلك نجد في مراسلات دارت بين بلين وتراجان (وكلاهما روماني) يهنئ فيها الاول نفسه لنجاته على يد طبيب مصري يدعى ابوقراط وكان اطباء

مصر يسيرون في المعالجة حسب قواعد واصول مكتوبة وصفها عدد كبير من قدماء الاطباء وكذلك المهندسون المعماريون كانوا يتبعون تصميماً واحداً في بناء معابدهم والنقاشون يرسمون العظماء من الرجال على طريقة واحدة ثابتة

نفاضة الجراب

منام الوهراني

للوهراني صورة منام رآه او تخيله اتى فيه بكل حلاوة اعتذر ابن خلكان بطوله عن ذكره في ترجمة الرجل. رأى كأن القيامة قامت والناس يعرضون على الديان باعمالهم فوصف حال فريق الجنة وفريق السعير بالفاظ لو عرت عن البذيء لساغ نشرها على رؤوس الملإ فسأل عن بعض من يدعون التصوف وهم بعيدون منه فقيل له هؤلاء قوم غلب عليهم العجز والكسل في الدنيا فهربوا من كد الصنائع والاعمال الى زوايا المساجد والمشاهد بحجة العبادة والانقطاع فلا يزال احدهم يأكل و ينام حتى يموت. قال: فبأي شيء كانوا ينفعون الناس و يعينون بني آدم فقيل له: والله بلا شيء البتة ولا كانوا الا كمثل شجر الخروع في البستان يشربون الماء و يضيقون الطريق وليس لهم ثمرة

ثم قال: ومشينا معه (في المحشر) مقدار اربعة فراسخ واذا بجمع عظيم يحتوي على مشايخ وشبان وكهول قد حف مجلسهم السكينة والوقار وجلالة الملك والرياسة تلوح على وجوههم فسألنا عنهم فقيل هؤلاء السادة والقادة من بني عبد شمس فدخل قسيم الاعور حتى وقف بين يدي عظيمهم فقال: يا خال (كذا) المؤمنين يا كاتب وحي رب العالمين نحن قوم من محبيكم وقد طردنا عن الحوض لاجلكم ونحن ها لكون من شدة العطش بسببكم فقال: لك بينة تشهد بما تقول فقال: نعم جماعة من شيعتكم ومحبيكم الاكراد فقال: احضرهم فقال: ابعث معي رجلاً شامياً فتخلل الناس ونادى باعلى صوته: يا عبد الملك بن درباش(؟) قاضي قضاة مصر في ايام الملك الناصر صلاح الدين فلم يجبه احد. فوقع ابن بدر مغشياً عليه من شدة الأوام فقعدنا عند رأسه وسألنا هل عندكم قطرة ماء نبل بها حلقه. فقالوا: لا والله لو تقدمتم قليلاً لما احتجتم الى هذا كله. فقلنا له: وكيف ذلك. فقال: لان أم حبيبة زوجة النبي (ص) تبعث الى اخيها معاوية كل يوم خمس ثلجيات مزملات كل ثلجية مثل جبل الثلج عشرين كرة فيها الماء الخاص من عين التسنيم. يدفع واحدة منها الى عمرو بن العاص والاخرى

الى زياد بن ابي سفيان وذويه والأُخرى الى مروان بن الحكم وذويه والأُخرى الى سعيد ابن العاص وذويه ويقسم الواحدة في آل ابي سفيان

وما كان اسرع من ان حضر القاضي في جماعة من الاكراد فتقدموا الى معاوية فسلموا عليه ثم التفتوا الى ابنه يزيد فقالوا : السلام عليك يا امام العدل السلام عليك يا خليفة الله في الارض السلام عليك يا ابن عم رسول الله السلام عليك يا سيدي ورحمة الله وبركاته نفعنا الله بطاعتك وادخلنا في شفاعتك ورفع درجتك في الجنة كما رفعها في الدنيا فردا عليهم ردًّا خفيفًا وقال للقاضي صدر الدين : الحمد لله الذي جعل في اصحابي وشيعتي من يصلح ان يكون قاضي قضاة المسلمين . فقال لهُ القاضي : كل ذلك ببركة الفقيه عيسى ضياء الدين. فقال لهُ اوصيك باصحابك الاكراد خيرًا فانهم اولى بحسن تدبيرك من سائر الناس فقال : نعم يا امير المؤمنين ما احتاج فيهم وصية هذا انا قد وليت القضاء لجماعة منهم انا اعرفهم في بلادنا لا يعيشون الاَّ من لصوصية البقر في الليل وسرقة الحمير بالنهار ولم افعل ذلك الاَّ لاني أُلزمت باستقصاء قوم انحس منهم بكثير

الانتقاد على المقتبس

تفضل كثير من رجال العلم والادب بنقد هذه المجلة فقال حافظ افندي ابراهيم ان المقتبس مصبوغ بصبغة شرقية قديمة فينبغي لهُ نبذ القديم من الموضوعات واتخاذ لباس قشيب ينضيه كلما جدَّ غيره . وقال ابراهيم افندي الجمال كلامًا يقرب من هذا وان للتفنن في ايراد الابحاث الجديدة الحاضرة طلاوة ووقعًا في النفوس Variété, nouveauté, actualité وقال محمد لطفي افندي جمعة كلما عمدت الى النظر في المقتبس تعاظمت ابحاثه وتجافت نفسي عن عباراته لاني اجدني بين مادة صرفة وجد بحت ولا شك ان معظم القراء يشعرون شعوري فلا بدَّ لمن اراد ان يعلم غيرهُ ان يتنزل في عباراته وموضوعاته ويحتال عليه ليطالع شاء ام ابى . وقال احمد بك زكي ارى في بعض الابحاث اقتضابًا يكاد يكون مخلاً فعليك باشباعها وعندي ان الاجدر ان نترك « قال احدهم وروى بعض العلماء او احد الاساتذة » وتنسب القول الى قائلهِ مباشرة فان هذا الباب فتح قديمًا باب التلاعب في كثير من العلوم وكذلك اليوم . فلا غنية لمن يريد ان يخدم العلم عن التصريح باسماء المنقول عنهم

وكتب من بغداد الاب انستاس ماري الكرملي يقول : « عربتم فصلاً عن احدى المجلات العلمية ص ٩ ولم تذكروا اسم المجلة وهو امر مهم في مثل هذا المقام . وكذلك لم تنوهوا

باسم الكاتب الاصلي · وقد تكرر فعل ذلك عدة مرار فاظن ان الاحسن ذكر كل جريدة باسمها وكل مؤلف باسمه . ثم حاولتم بعض الاحيان ذكر لفظة بلفظة اخرى طلباً للجلاء من ذلك ذكرتم في ص ٥٦ العكرش فقلتم . . . وبزركالجاورس ــ وهو حب يؤكل مثل الدهن (وهو من خطإِ الطبع وتريدون الدخن) ولعلهُ الدخن . قلنا ليس العكرش بالدخن بل هو نبات آخر مشهور عند جميع اعراب البادية في العراق ولا يشبهُ الدخن إلاَّ في الحب فقط . وقلتم ص ١٠٨ التوابل (السلطات) والصحيح ان هذه غير تلك . وذكرتم ص ١٣٦ اسم الفنطيس بمعنى البرميل · ولا مشابهة بين الاثنين وكلاهما معروف عندنا باسمه وبمميزاته . وذكرتم النيرات (ولعلها النيترات) باسم (البورق) وليس الامر كذلك وبينهما بونٌ بين

وقد وقع في اجزاء المقتبس اغلاط طبع كثيرة فالامل انها تصلح في ما يلي او يمنع وقوعها . وحسناً عملتم وتعملون عند خفاء معنى لفظة ان تكتبوها على علاتها ثم تضعون وراءها علامة الاستفهام او كلمة (كذا) . فان ما لا يفهمهُ هذا يفهمه ذاك . مثلاً كلمة « وبة » فهي مستعملة في العراق وقد جاءت في ص ٣١ وهي من المكاييل سعتها ٢٤ مداً

واما المقالات العلمية فانها لا تخلو من المغامز ولعلَّ السبب انكم اردتم ان تجمعوا فوائد جزيلة في حجم صغير . فجاءت الفوائد مبتورة غير مشبعة بالتحقيق . وقد ذكرتم في مستهل المقتبس ان مجلتكم « تتمحض للعلم المحض فلا يتحرج من تلاوتها الموافق والمخالف » والحال قد ورد في العدد الثالث مقالة عن حرق مكتبة الاسكندرية يستشف من خلال سطورها ان المقتبس لم يتمسك بما وعد فقول الكاتب التركي « ان نسبة الحريق لعمر او لعمرو أكذوبة لفقها ابو الفرج . . . » الى آخر ما هناك واستحسانكم اياهُ يخالف الحق . فقد ذكر كتبة المسلمين ومؤرخوهم ما يزيل الشبهة في هذا الصدد منهم ابن القفطي في تاريخه وموفق الدين عبد اللطيف البغدادي في الفصل الرابع من كتاب الافادة والاعتبار ومنهم المقريزي الخ الخ فيجدر بالانسان ان يذكر الأمور التاريخية على صورتها بدون ان يوقع الاهانة بقوم او بجماعة ولاسيما في مسألة كثر فيها الخلاف والنزاع »

حبوتك القاب العلا فادعني باسمي   فما تخفض الالقاب حرًّا ولا تسمي
يقولون محمود ويا ليت انني   كما زعموا يا ليت لي طالعًا كاسمي

محمود سامي البارودي

المقتبس

غرة شعبان سنة ١٣٢٤

صدور المشارقة والمغاربة

كيتي

١٧٤٩ _ ١٨٣٢

ليس الغنى أبداً مفسدة لصاحبه معواناً على الشر والاشر كما ان الفقر لايهذب النفوس ويربي الملكات . فابن الغني اذا حسنت تربيته وجاد تعليمه يجيء منه رجل قلما يجيء مثله من أبناء الزعانف والسوقة . وليست هذه القاعدة على اطلاقها في البلاد الراقية والبلاد المنحطة ففي الشرق اليوم لا يتعلم ويتهذب سوى ابن الفقير ويندر ان يشيع العلم والتهذيب بين أبناء الاغنياء كما تشيع الفاحشة وسوء السلوك . والحال في الغرب على العكس من ذلك اذ ترى هناك لاولاد الاغنياء حظاً من العلم وسهماً من التهذيب . شاع ذلك بين أهله منذ نهضوا نهضة الشمير الخبير لتلمس أسباب الحضارة وكثر ذلك بين اظهرهم في هذا القرن والذي قبله فبات الغني موقناً بانه لايستوفي الظرف ويذهب بفضل الشهرة وتنهال عليه ضروب المحمدة إلا اذا تهذب

التهذيب الحقيقي وتعلم التعليم العالي وهماها داعية مجده وفخاره لاواسع عقاره ووافر نضاره ٠

وكيفما تقلبت الدنيا بأهلها فان الموسر خير من المعسر على نحو ماسيرد عليك في ترجمة كيتي أحد أعاظم شعراء المانيا ورجال نهضتها العلمية والادبية ٠ فقد قيل في ترجمته انه كان من اسعد السعداء خدمه الحظ وهيأ له عامة الاسباب وتمكن من الانتفاع بالمواهب العالية التي وهبته الطبيعة اياها ٠ ولم يكن كصاحبه شيلر مضطراً معوزاً بل كان السعد يبسم له والرفاهية طوع أمره وهو من أسرة شريفة كان والده مستشاراً للمملكة وفقيهاً مشهوراً ورجلا فاضلا مهذباً اما والدته فكانت سليمة الصدر جيدة الفطرة توفرت على تربيته وتثقيف عقله ولطالما كانت تلقنه في طفوليتـه قصصاً ثم تقطع عليه سلسلتها ليتصور ماذا يكون تاليها ٠

ولقد استحكم الجمال من شعور هذا الشاعر حتى لم يكن يطيق ان يرى ولداً بشع الصورة امامه فكيتي والحالة هذه جمع الى الغنى مالامثال اللورد ليتلتون الانكليزي وفيكتوردروي الفرنسوي وهو من بيت غنى ومجد يضاف اليهما حسن تربية والدته فقد كانت والدته تدر به على الاخلاق الفاضلة وتسوقه الى المنازع الشريفة اما والده فكان يعلمه ويلقي عليه ويكلمه منذ صغره بالطليانية والفرنسوية وكان يحسنهما ولا سيما الطليانيـة لان طول مقامـه في ايطاليا حبب اليه لغتها وفنونها فشغف بها ٠ ولما ترعرع كيتي أحكم هاتين اللغتين مع لغته وظهرت عليه امارات الميل الى الشعر كما عرف بحب النقد والولوع بالعلوم فمال باديء بدء وهو في الحادية عشرة الى شعر راسين من شعراء الفرنسيس ثم أنشأ يرتاح الى شعراء الرومان واليونان ٠ وفي سنة ١٧٦٣ دخل مدرسـة

الحقوق في ليبزيك وكان يأوي الى دار عجوز لها فتاة فشغفته حباً فنظم فيها رواية هزلية واعتاد مذ ذاك العهد على نحو ماقال عن نفسه ان يصيغ في قوالب الشعر كل ما كان في الواقع يوليه فرحاً أو ألماً ويروض العقل ويربي النفس وعاد الى بيت أبيه من المدرسة سنة ١٧٦٨ بعد ان فارقه ثلاث سنين وقد أيقن ان الآداب الالمانية ضعيفة متأخرة ثم رجع بعد مرض اعتراه الى ستراسبورغ سنة ١٧٧٠ واقام فيها حولا كاملا كان نافعاً له في تهذيب عقله وتخطيط خطة يجري عليها في حياته . قالت الدائرة تعلم كيتي في ليبزيك ما ينبغي اجتنابه وعرف في ستراسبورغ ما ينبغي عمله . وفي سنة ١٧٧١ أتم دروس الحقوق . وكان في خلال الدراسة يضرب في فنون الشعر ويهيم فى أوديته وشجونه .

وبينا كان شاعرنا ينشر طرف أقواله او يعدها للنشر كان يتقرب من كبار رجال عصره ويستميل قلوبهم اليه ويحرص على عقد الصلات الادبية معهم فطاف كثيراً من بلاد المانيا وسويسرا وايطاليا وتعرف الى رجالها وفلاسفتها وعظمائها ثم تولى منصباً سياسياً في الحكومة . ولم تكن مشاغله لتحول دون أعماله العلمية . فكنت اذا رأيته حسبته منقطعاً عن كل عمل ليس لقلمه في ميدان التأليف جولة وان المتاعب العالمية صرفته عن وجهته العلمية على حين كان عقله يفكر ولسانه يحبر ويعبر .

ولقد ثبت ان وظيفته ما كانت الا باعثة له على الاستزادة من المعارف . ولو كان يريد ان ينحو منحى قدماء الشعراء لانقطع في غرفته واعتزل الناس ومخالطتهم ولكن كان يطمح الى ان يجمع فى شعره مثال القدماء الى ما يتأثر به ويتعرف به بذاته من أحوال المجتمع .

وفى سنة ١٧٨٨ تزوج الشاعر بفتاة اسمها كرستيان فولبيوس شقيقة احد الكتاب فنظم في التقائه معها قصيدة من الشعر قال فيها ما ترجمته :

« كنت اتنزه في الغابة سائراً في طريقي ولا شيء يعنيني ولا فكر ينازعني .

« فرأيت في الظل زهرة مطلة تلمع كالنجم الثاقب وهي كالنظرة جمالا .

« اردت ان اقطفها فتقدمت اليَّ بلطف تقول هل يكون ذلك منك ليقضي عليَّ ان اذبل وأنت تجنيني وتقطفني

« فعندها اخذتها من أصولها وحملتها الى الحديقة التي هي زينة داري

« وما هو الا ان أعدت غرسها في مكان ساكن وها هي الآن مخضرة مخضلة تزهر على الدوام » .

ولقد عيب على زوجته انها لم تكن في الدرجة المطلوبة من العلم تساوي بها درجة بعلها بيد انهما كانت كما وصفها الشاعر تعني بمصالح زوجها وبنتها وأولادها وهذا مما كان يزيد اغتباط كيتي بها لانها كانت امرأة حقيقية تنظر في شؤونها البيتية .

وفى سنة ١٧٩٤ بدأت صلات الحب بين كيتي وشيلر وما كان اجتماع الشاعرين بادئ بدء دالاً على الصدقة التي تتأكد بينهما بعد بل كان اجتماعهما لاول وهلة اجتماع تكلف وكره . فتعارفا سنة ١٧٨٨ ولم يتأت تآلفهما حقيقة الا سنة ١٧٠٤ عند ما اسس شيلر مجلة سماها « الساعات » وكان يطمع ان تشترك الطبقة العالية من كتاب المانيا بها فأبى اكثرهم ان يؤازروه فوعده كيتي بالمساعدة وكتبا سوية كتاباً فيه قصائد هجائية كان كيتي هو الذي اقترح موضوعه فالفاه معاً . وكان ذلك واسطة لاتحادهما فتناولا فيه التنديد بالتقاليد القديمة والنقد على ارباب الاذواق السمحة التي كانت تحول دون

تقدم الادب فكان ذلك منهما بمثابة اعلان للطريقة الجديدة التي أسساها في القريض واخذ خيال الشعر والادب من ذاك العهد يوحي اليهما كل طريف وتليد فيتطارحان الافكار ويتناشدان الاشعار وكل منهما محب لصاحبه يبوح له بذات نفسه ويراقب اعمال صديقه مراقبة الود. دامت هذه الصداقة محكمة العرى الى ان توفي شيلر سنة ١٨٠٥.

ولقد حاول كيتي في تآليفه — وكانت أولاً منضمة غير منتشرة كتآليفه بعد — ان يعرف القارئ حال المتفنن وما يشغله في العالم من الاعمال. وبعد ان فقد كيتي صديقه شيلر كما تقدم لم يبق في حياته ما يستحق الذكر وامتاز بنقد من كانوا يستحسنون الثورة الفرنسوية الاولى وأبان عن افكاره قائلا: اني اكرر بانني اكره كل ما فيه شدة وتهور لانه مخالف للطبيعة . وفي سنة ١٨١٣ تنحى الشاعر في خلال الحركة الوطنية وترك المجال لشعراء أصغر منه سناً يؤلفون الاغاني الحربية ويحثون الجمهور . وحاول وهو في السبعين أن ينسج على منوال ديوان حافظ الشيرازي شعراً المانياً في أفكار شرقية وأناس شرقيين فنظم ديواناً سماه ديوان الشرق والغرب . وهو سفر أغان وإن تكن المانية الصبغة فان تنوع أوزانها واختلاف اسمائها واستبدال الاسماء الشرقية بالغربية جعلها غريبة في بابها تصدر من شيخ شاب .

وبعد أن فقد والدته وولده وصديقه الحميم بعد شيلر ضعف سنة ١٨٣٢ فوافاه أجله وقضى عند الظهر جالساً على كرسيه وكان آخر كلامه « ليدخل النور بكمية اكثر »

وقد كتب كيتي كثيراً من الاسفار في كل موضوع وكان كثيراً ما يعاشر أهل الاخصاء في كل فن فيوحون اليه بافكارهم ويبوحون له باسرارهم

وان المرء ليعجب بما خلفه كيتي من التآليف الممتعة المنوعة التي يستغرق وصفها صفحات من مثل هذه .

جاز كيتي كسائر الكتاب ثلاثة أدوار وهي دور التكون ودور النضوج ودور الانحطاط الا ان دور نضوجه كان طويلاً ودور انحطاطه لم يخل من قوة . وقسم بعض مترجميه ادوار حياته الشعرية الى ثلاثة ادوار الدور الاول الحبي والطبيعي الثاني المدرسي الثالث التعليمي . ولم يستنكف كيتي من الاخذ عن كبار شعراء الارض كشكسبير وروسو وهوميروس وكتاب الفاجعات من اليونان والاماديح من اللاتين . وقال في بعض تآليفه : وهل أحسن فينا من القوة وحسن الذوق في امتلاك عناصر العالم الخارجي واستعمالها في مقصد سام . ولذلك امتاز بقوته التقليدية في الشعر والادب وقوته في التحويل وقوته في التجديد مع مزج ذلك بالنقد وقوته على الابداع ولم يشغله الادب والشعر عن معاطاة العلوم الاخرى كعلم النبات والحيوان والجيولوجيا والمنيرولوجيا والطبيعيات ووفق الى اكتشافات مهمة في التشريح والفسيولوجيا النباتية .

هذا هو الرجل العظيم الذي ربي في قصور النعيم وما أفسده الترف والرفاهية جمع في شخصه مزايا كثيرة وعلوما كبيرة قلما يكتب لها إلا لكبار العقول في الامم والقرون العديدة ولا غرو فان قيام أمثاله في القرن الماضي والذي قبله هو الذي فتح على المانيا أن تكون اليوم في مقدمة الخليقة بعلومها وأعمالها . فسبحان من أسعدها برجالها وأسعدهم بها وأشقى رجالاً في الشرق وأشقى الشرق بهم

المكاء

(١ تمهيد) كل من زاول الكتابة في بحث عربي موضوعه علم المواليد يلاقي من العناء ما لا يعرف مقداره الا من يجاريه في هذا الموضوع من ابناء نفس هذه اللغة الشريفة . وعندي ان ليس من خدمة مجردة الغاية تضاهي خدمة من يأخذ على نفسه تخليص اللغة من مثل هذه الالفاظ المبهمة المعاني التي لم يحكم تعريفها أصحاب المتون اللغوية أو أصحاب الفنون الخصوصية فبقيت في دواوينهم وأسفارهم مثل الطلسمات يعاني فكها من لا غاية له الا الغيرة على لسانه اذ ربما يطوي عدة ليال في جانب حلها وهو مع ذلك لا يرجع الا بما رجع به حنين واذ قد كنت ممن عني بمثل هـذا الفرع من العلم وتفرغت له أحببت أن اطرف قراء المقتبس بما وقفت الى معرفته من حقيقة أمر الطائر المعروف باسم المكاء

(٢ تعريفه على ماجاء به كتاب العرب) اذا استشرنا كتبة العرب لمعرفة هذا الطائر فلا نسمع منهم الا تحديدات وتعريفات مجملة لا يتحصل منها ما يصور لنا الطائر بصورته التي يتميز بها بل يوردون لنا ما ربما يصدق أو ينطبق على عدة طيور. فقد قالوا في تعريف المكاء ما هذا حرفه: « المكاء بالضم والتشديد : طائر في طرف القنبرة الا ان في جناحيه بلقاً سمي بذلك لانه يجمع يديه (كذا) ثم يصفر فيهما صفيراً حسناً قال :

اذا غرّد المكاء في غير روضة فويل لاهل الشاء والحمرات

التهذيب : والمكاء طائر يألف الريف وجمعه المكاكي . وهو فعال من مكا اذا صفر . اه (عن اللسان) وقال السيد المرتضى : المكاء : كزنار طائر

صغير يزقو في الرياض . قال الازهري : يألف الريف وقيل : سمي بذلك لانه يجمع يديه (كذا) ثم يصفر ... الخ كما في اللسان وقال في حياة الحيوان الكبرى : طائر يصوت في الرياض يسمى مكاء لانه يمكو أي يصفر كثيراً ووزنه فعال كخطاف . اه . وقال القزويني : المكاء من طير البادية يتخذ أفحوصاً عجيباً وبينه وبين الحية عداوة . فان الحية تأكل بيضه وفراخه . وحدث هشام ابن سالم ان حية اكلت بيض مكاء فجعل المكاء يشرشر أي يرفرف على رأسها ويدنو منها حتى اذا فتحت فاها ألقى في فيها حسكة فأخذت بحلق الحية فماتت اه»

هذا مجمل ماجاء في كتب العرب . ويتحصل منها : ان هذا الطائر يصفر وان أغلب وجوده في الرياض بين الشاء والحمير وان في جناحيه بلقاً . قلت ولذا سماه العرب بالأخرج أيضاً . فاذا تأملنا حق التأمل هذه الافادات لا يمكننا أن نسلم لحضرة الدكتور جورج پوست (في كتابه نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات . الجزء الثاني . الطيور ص ٢٧) ان المكاء هو نوع من الببغاء ولا سيما انه يقول : «أما المكاكي فأكثرها تستوطن أميركا الجنوبية وهي اكبر من سائر هذه العائلة (عائلة الببغاءات) وأذنابها طويلة جداً وألوانها بهجة جداً وتمتاز بكبر منسرها والحيز الخالي من الريش حول العينين وهي تطير الى علو شاهق» فهذا كله لا ينطبق على ما نطق به العرب حتى ولا على بعض منه فضلاً عن قوله ان وطن المكاكي هو أميركا الجنوبية فكيف ساغ للعرب ان يسموا طيوراً لم يروها ولم يعرفوها ولم تكن بلادها معروفة في أيامهم . فلا جرم ان الدكتور واهم في زعمه هذا

(٣ حقيقة المكاء) أما المكاء فعندنا هو ماسماه صاحب الاوقيانوس باللغة التركية «جوبان الدانقجي» اي المحتال على الرعاة وسماه صاحب كتاب

« فرانسزجه‌دن تركجه يه جيب‌لغتي » وهو وزنطال افندي : «مكاء وخاطف الرياح وجوبان الدادن » وهو احسن المؤلفين الذين ضموا الى حقائق الالفاظ صحيح المصطلحات

(٤ اسمه عند الافرنج والعرب ومعناه في لسانهم ولساننا) يسمى الافرنج المكاء Engoulevent ومعناه « بالع الريح او خاطف الريح وبعضهم يطلق عليه اسم Crapaud volant اي الضفدع السام الطيار وآخرون يسمونه Tette-Chèvre أي مصاص المعز وبمعنى هذا اللفظ يسميه العلماء أي Caprimulgus وكذلك الانكليز goatsucker وكذلك أيضاً في لغات سائر الاعاجم ولا غرو فان هناك سبباً حمل الناس على تسميته بهذا الاسم وهو وجود هذا الطائر في المواطن التي يكثر فيها الماعز والغنم والبقر توهماً بان هذا الطائر يأتي الدواب ليمتص لبنها وهذا وهم قديم نظنه هو الذي حمل العرب أيضاً على تسميته بالمكاء فان اللغويين قالوا في سبب تسميته بذلك انه مأخوذ من المكو او المكاء بمعنى الصفير . وهو محتمل . على انه قد يكون مأخوذاً من الملك وهو المص وأصله المكاك أي المصاص اشارة الى مصه اللبن . ثم قيل في مك : مكا كما كان ذلك معروفاً عند قوم من العرب أي جعل المضاعف ناقصاً كالمسبي في المسبب (التاج في مستدرك س ب ب) وتقضى في تقضض والتمطي في التمطط . قال أبو عبيدة : العرب تقلب حروف المضاعف الى الياء ومنه قوله تعالى : وقد خاب من دساها وهو من دسست . وقوله : لم يتسنه من مسنون وقولهم : سرية من تسررت . وتلعيت من اللعاعة (عن المزهر ١ : ٢٢٥)

وقد يحتمل أن يكون أصل المكاء : المكان بتشديد الكاف ونون في الآخر ثم قلبوا النون ياء كما قلبوها في الفاظ كثيرة مثل قولهم التزييد في

التزنيد (الصحاح) والميشار في المنشار (عن التهذيب للتبريزي)والصيدلاني في الصندلاني (الصحاح) وفي ليلة طلمسانة قالوا : ليلة طلمساية (التاج في طلمس) ومثل ذلك كثير عندهم.ومعنى المكان المصان اوالملجان : وهو الذي يرضع الغنم من لؤمه ولايحلب (التاج) فيكون هذا موافقاً للمكاء لما اشتهر عنه من امر مصه او رضعه للغنم ٠

وهذا الطائر هو الذي سماه الدكتور جورج بوست (في كتابه المذكور آنفاً ص٥١) « ماص المعز » وسنذكر عن قريب وصفه وهو مما يوافق كل الموافقة لوصف المكاء من كل وجه

(٥ تعريف الطائر بموجب العلم الحديث) المكاكي جنس من الطير من رتبة العصافير المشقوقة المنقار وهي قريبة من الخطاطيف وتميز بمنقار كثير التفلطح معقوف الطرف بشعر عند قاعدته كثير الانفتاح عند الحاجة وريشها اغبر اصدأ بخطط سوداء وسيقانها مسرولة

(٦ وصفه) أصل هذا الجنس مكاء الحجاز ويسميه العلماء بمكاء أوربية قال الدكتور جورج بوست في وصفه : « ظنّ القدماء ان هذا الطير (أي الطائر) يمص بزاز المعز (أي أخلافها) الا ان ذلك وهم لا طائل تحته . وانما يقتات القسافس والفراش والعث والناموس والبعوض والزيز وغير ذلك من ذات التفاصيل التي تظهر في الليل ومما يعين على لقط هذه الحشرات وجود سائل لزج داخل الفم وهاب خارجه.أما ألوان ماص المعز (المكاء) فغير ناصعة الا انها جميلة فان الريش ذو نمش وخطوط ونقط سمر وسود وسنجابية وصدائية والمنقار صغير مسطح معقوف الطرف وعيناه كبيرتان سوداوان وساقاه خشنتان حرشفيتان قصيرتان وعليهما ريش أسفل الركبة والاصابع

متحدة بغشاء الى نهاية المفصل الاول والاصبع الوسطى أطول من غيرها والمخلب مسنن على جانب واحد ولم يتفق الطبيعيون على فائدة هذا العضو فظن بعضهم ان الطائر يستعمله لنزع قطع الفسافس من هلب فيه والبعض الآخر انه يمسك فريسته بواسطته . ويستوطن هذا الطير المواضع البعيدة من مساكن الناس ولا يعشش بل تبيض على الارض (أي تتخذ لها أفحوصاً) قيل اذا رأت عدواً مقبلا دحرجت بيضها الى موضع امان » اه كلام الدكتور قلنا : ولهذا الجنس أنواع مختلفة أغلبها غريب عن هذه البلاد لا حاجة الى ذكرها هنا بغداد أحد قراء المقتبس

الاسرائيليون

﴿ معربة عن كتاب تاريخ الحضارة ﴾

« العبرانيون »

التوراة — جمع اليهود أسفارهم المقدسة باسرها في سفر واحد دعوه التوراة وهو اسم يوناني معناه الكتاب. هذا هو سفر اليهود الجليل وقد صار لاهل النصرانية أيضاً كتاباً مقدساً . وفي التوراة أيضاً تاريخ الامة اليهودية ولقد استفدنا من كل ما اتصل بنا عن الشعب المقدس من الكتب المقدسة .

العبرانيون — لما نزل الساميون من جبال ارميفية الى سهول الفرات أخذ احد اسباطهم على عهد مملكة الكلدان الاولى يضرب نحو الغرب فجاز الفرات فالقفر فسورية وبلغ بلاد الاردن وراء فينيقية وتعرف هذه الاسباط بالعبرانيين يعني أهل ما وراء النهر وهم كمعظم الساميين شعب من الرعاة الرحالة لم يحرثوا الارض ولا سكنوا الدور والمنازل بل كانوا ينتقلون من

مكان الى آخر في قطعان بقرهم وغنمهم وجمالهم منتجعين المراعي آوين الى الخيام على نحو ما يعيش العرب في البادية اليوم . وفي سفر التكوين وصف هذه العيشة البدوية

البطاركة — كان للسبط منهم أسرة كبيرة مؤلفة من الرئيس ونسائه واولاده ومواليه وكان للرئيس على الجميع سلطة مطلقة فكان بهذا السبط اباً وكاهناً وقاضياً وملكاً . من اجل هذا دعونا هؤلاء الرؤساء البطاركة واعظمهم ابراهيم ويعقوب فالاول اب العبرانيين والآخر والد الاسرائيليين اظهرتهما التوراة في مظهر رجلين ارسلهما الله ليرأسا شعباً مقدساً وقد اعطى ابراهيم ربه ميثاقا ووعده الطاعة هو ومن يأتي بعده من قومه فبشر الله ابراهيم بذرية تفوق نجوم السماء عدداً واطمأنت نفس يعقوب بان تكون منه امة عظيمة وشعب جم

الاسرائيليون — سمي يعقوب باسم اسرائيل اي مدافع عن الله لرؤيا رآها ودعي سبطه ببني اسرائيل او الاسرائيليون . وذكرت التوراة ان القحط حدا يعقوب ان يغادر بلاد الاردن ليسكن واهل بيته صغارهم وكبارهم على التخوم الشرقية من مصر وهي البلاد التي دعاه يوسف احد ابنائه الى هبوطها وقد صار وزيراً لعزيزها احد الفراعنة . وظلّ بنو اسرائيل في تلك الارجاء قروناً كثيرة لجاؤا وعددهم سبعون نسمة ونموا على قول التوراة حتى صار عددهم ستمائة الف رجل. خل عنك النساء والاولاد

نزول الوحي على موسى — افتتح عزيز مصر يسوم الاسرائيليين ضروب المظالم ويضطرهم الى صنع الملاط والقرمد لابتناء مدن حصينة فقام من بينهم اذ ذاك موسى احد ابنائهم وقد اوحى اليه ربه وعهد اليه ان ينقذهم من الجور

والعسف . وكان يرعى غنمه ذات يوم على الجبل فظهر له ملك وسط عليقة تتلظى ثم سمع هذه الكلمات : « انا رب ابراهيم واسحق ويعقوب رأيت مادهم شعبي في مصر من الحزن وسمعت شكواه ممن يظلمونه وعرفت ماينالـه من العذاب ولذا نزلت لخلاصه مما ينتابه من المصريين لأنزله بلاداً من ارض كنعان تفيض لبناً وعسلاً فتعال اذاً ارسلك الى فرعون تخلص شعبي ابناء اسرائيل وتخرج بهم من مصر » فقاد موسى الاسرائيليين وهاجروا من مصر وهذا مايدعى بالخروج اوسفر الخروج واجتازوا بسفح جبل طورسيناء وهناك تلقوا شريعة الرب وأخذوا يتيهون جيلاً كاملاً في القفار جنوبي سورية

اسرائيل في القفر — وكثيراً ما كان الاسرائيليون يودون الرجوع الى البلاد التي تركوها فيقولون : « انا لنذكر ما كنا نطعمه في مصر من السمك والقثاء والبطيخ والكراث والبصل فخليق بنا أن نؤمر علينا زعيماً يقودنا الى بلادنا وكان موسى يدعوهم الى الطاعة ثم بلغوا الارض التي وعد الله بهاذراريهم

الارض الموعودة — دعيت أرض كنعان أو فلسطين فدعاها اليهود بلاد اسرائيل ثم دعيت بعد بلاد اليهودية ودعاها أهل النصرانية الارض المقدسة وهي بلاد جافة قاحلة في الصيف ولكن فيها جبال وآكام وصفتها التوراة بما يلي : لقد ساقك ربك القيوم الى بلد طيب ذات أنهار وينابيع في الارض تنبجس من الوادي وعلى الجبل بلد البر والشعير والكرم والتين والرمان والزيتون والزيت والعسل بلاد تأكل فيها خبزك آمناً من القحط لا ترزأ في مال ولا ينقصك شيء من رفاهية الحال . وبلغ عدد الاسرائيليين بعد الاحصاء عندئذ ٦٠١٧٠٠ رجل يحمل السلاح منقسمين الى اثني عشر سبطاً عشر منها من نسل يعقوب واثنان من نسل يوسف هذا عدا عن اللاويين

أو الكهنة وعددهم ٢٣ الف رجل ٠ وكانت تسكن البلاد التي نزلوها عدة شعوب صغيرة تدعى الكنعانيين فابادهم الاسرائيليون واستولوا على بلادهم

« ديانة الاسرائيليين »

الله الفرد — عبد سائر الشعوب القديمة اربابا كثيرة أما الاسرائيليون فاعتقدوا بوجود إلاهٍ منزه عن الهيولى برأ العالم ودبره ٠ ففي سفر التكوين ان الله خلق في البدء السموات والارض وقد خلق النبات والحيوان وخلق الانسان على صورته ومثاله فالبشر كلهم صنعة الله

شعب الله — بيد ان الله اختار من بين الناس جميعاً ابناء بني اسرائيل ليجعلهم شعبه وامته فدعا ابراهيم وقال له سأجعل بيني وبينك وبين ذريتك عهداً لاكون ربك ورب ذريتك من بعدك. وقد تمثل الله ليعقوب قائلاً له: انا الله القادر اله آبائك فلا تخام نزول مصر فسأجعلك فيها امة عظيمة ٠ ولما سأل موسى ربه عن اسمه اجابه : تقول لابناء اسرائيل انني انا الله السرمد اله آبائك ابراهيم واسحق ويعقوب ارسلني ربي اليكم هذا هو اسمي على الدهر

العهد — فبين الاسرائيليين والمولى تعالى اذاً اتحاد او عهد فالقيوم جلّ جلاله يحب الاسرائيليين ويدفع عنهم البوائق فهم والحالة هذه امة مقدسة « واعلى الشعوب كافة في نظره » وقد وعد ان يجعلهم سعداء اقوياء وتعهد الاسرائيليون ان يقابلوه على ذلك بان يعبدوه ويخدموه ويطيعوه فيما يريدهم عليه كما يطاع المشرع والقاضي والمعلم

الوصايا العشر — أوحى القيوم الصمد عزّ شأنه مشرع بني اسرائيل بوصاياه الى موسى على جبل طورسيناء بين البرق والرعد وهي مسطورة في

لوحين وهما اللوحان اللذان كتب الله عليهما وصاياه العشر بما نصه : لا يكن لك آلهة اخرى امامي لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الارض من تحت وما في الماء من تحت الارض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لاني انا الرب الهك إلهغيور افتقد ذنوب الآباء في الابناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي واصنع احساناً الى ألوف من محبي وحافظي وصاياي لا تنطق باسم الرب الهك باطلا لان الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا اذكر يوم السبت لتقدسه ستة ايام تعمل وتصنع جميع عملك واما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك لا تصنع عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وامتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل ابوابك لان في ستة ايام صنع الرب السماء والارض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه اكرم اباك وامك لكي تطول ايامك على الارض التي يعطيك الرب الهك لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد على قريبك شهادة زور لا تشته بيت قريبك لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا امته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك

الشريعة — على الاسرائيليين ما خلا هذه الوصايا العشر ان يعملوا بكثير من الاوامر الالهية مما ذكر في اسفار التوراة الخمسة الاولى وهي التي تتألف منها شريعة اسرائيل . فالشريعة تنظم عندهم احتفالات العبادة وتعين الاعياد (السبت كل سبعة ايام والفصح ذكرى خروجهم من مصر وجمعة الحصاد وعيد المظال في موسم قطف العنب) والشريعة هي التي ترتب الزواج والاسرة والتملك والحكومة وتعين العقوبات على الجرائم وتحدد الاطعمة والادوية فالشريعة عندهم والامر على ما ذكر مجلة الاحكام الدينية والسياسية والمدنية

والجزائية وللمولى الاسرائيليين تعالى أن ينظم أعمال حياتهم جميعها

(الديانة الفت الشعب اليهودي) لم يقبل الاسرائيليون بحكم الله قبول من خضع وخنع فقد قال موسى للاويين وهو على فراش الموت دافعاً اليهم كتاب الشريعة « خذوا هذا الكتاب ليكون شهادة عليكم يا اسرائيل لاني عارف بما أنتم عليه من شكاسة الخلق وقساوة القلب ولم تبرحوا طول حياتي تبدون نواجذ العصيان على المولى القيوم فليت شعري ماذا يكون من شأنكم بعد مماتي . وقد حدث أن مرت قرون ومن العبرانيين من يعبد الاصنام وربما كانت هذه الفئة هي السواد الاعظم من الامة على انهم أصبحوا أشبه بسائر الساميين في سورية وظل الاسرائيليون وحدهم على قدم الاخلاص للمولى جل شأنه فتألف منهم الشعب اليهودي وخرج الشعب المبارك بدين الله المتعال من قبيلة مجهولة على التدريج . نعم انها لامة قليلة الحصا والعدد ولكنها من الامم التي لها الشأن الاعظم في تاريخ العالم

« مملكة القدس »

القضاة — نزل العبرانيون أرض فلسطين ولكنهم ظلوا منشقين قروناً كثيرة لم يكن لذلك العهد كما تقول التوراة ملك لاسرائيل بتة بل كل يعمل على شاكلته ويحكم بما يوحي اليه رأيه . وكثيراً ما كان الاسرائيليون ينسون ربهم ويعبدون أرباب القبائل المجاورة فاستشاط ربهم عندئذ غضباً من سيئات أعمالهم وأسلمهم الى أيدي أعدائهم يفعلون بهم الافاعيل حتى اذا ندموا على ما فرطوا في جنب الله وأصبحوا خاضعين خانعين يرسل ربهم اليهم قضاة يسعون في خلاصهم من أعدائهم المباغتين وربما مات القاضي وعاد دبيب الفساد يدب في نفوس الاسرائيليين فيسجدون لمعبودات أخرى . وكان

هؤلاء القضاة مثل جدعون ويفتاح وشمشون من الغزاة يحررون القبائل باسم القيوم الابدي ثم لا يلبث الشعب أن يعود الى عبادة الاوثان والتلطخ بحمأة العبودية

الملوك - سئم الاسرائيليون آخر الامر وطلبوا الى شمويل (سموأل) الكاهن العظيم أن يجعل لهم ملكاً فملك عليهم شاول على رغم ارادته وكان على هذا الملك أن يكون منفذاً خاضعاً لارادة الرب لكنه حاول الخروج عن الطاعة وشق عصا الجماعة فراح الكاهن العظيم يقول له : لقد نبذت كلام الله ظهرياً فسيبعدك ربك عن الحكومة وينزع السلطة من يدك . ثم ان داود وكان زعيماً جندياً خلفه وحمل على أعداء اسرائيل كافة واسترجع لهم جبل صهيون ونقل اليه عاصمته وهي القدس .

بيت المقدس - كانت القدس بالنسبة الى بابل ونينية عاصمة بلاد فقيرة . وما كان العبرانيون يتعاطون البناء ويميلون الى العمران بل كانت ديانتهم تحظر عليهم اقامة المعابد وكان يقضى على مساكن الخاصة أن تشبه تلك المكعبات من الحجر التي لا تزال تشاهد الى اليوم في شواطيء لبنان وقد غشيتها الكروم والتين ولكن كانت القدس بلد اليهود المقدسة وكان فيها للملك قصر يسكنه ألا وهو قصر سليمان الذي دهش العبرانيون بعرشه المصنوع من العاج وهناك أقيم بيت الرب وهو أول معبد عبراني

المعبد - كان المعبد الذي أقيم على عهد سليمان كبيت القربان المقدس عند النصارى مقسوماً الى ثلاثة أقسام ففي داخله يقوم قديس القديسين حيث كان تابوت العهد ولم يكن يسمح لغير الكاهن العظيم أن يدخله مرة في السنة وفي وسطه المكان المقدس وكان فيه مذبح البخور ومسرجة ذات أغصان

سبعة ومائدة الخبز يدخل اليه الكهنة لحرق الغالية ووضع القرابين وفي المقدمة ساحة البيعة مفتحة أبوابها للناس تنذر فيها الضحايا على المذبح الكبير. وعليه فقد صار معبد القدس بعد' واسطة عقد الامة يقصدونه من اقاصي فلسطين لحضور الاحتفالات وكان الكاهن الكبير الذي يرجع اليه أمر العبادة من أعاظم الرجال وربما كان في الاحايين اكبر سلطة من الملك

الانبياء

نكبات اسرائيل — ان سليمان آخر ملك عرف بالحول والطول وانفصل بعده عشرة اسباط ألفوا مملكة اسرائيل تلك المملكة التي عبد سكانها عجول الذهب وأرباب الفينيقيين ولم يخلص منها الدين لله وحده أو لملك بيت المقدس سوى سبطين ومنهما قامت مملكة يهوذا (٩٧٧) ولقد انتهكت قوى تينك المملكتين بما اضطرا الى دخوله من المعارك حتى اذا جاءتهما جيوش الفاتحين من الشرق خربت مملكة اسرائيل بايدي بختنصر ملك الكلدان (٥٨٦)

احساس الاسرائيليين — رأى المؤمنون من الاسرائيليين هذه المصائب عقوبة لهم وان الله عذب شعبه لخروجه عن طاعته على نحو ماجرى قديماً على عهد القضاة وأسلمه للفاتحين يمزقونه كل ممزق . وركب ابناء اسرائيل هواهم واجترحوا الآثام في جانب مولاهم فبنوا علالي وقصوراً في المدن كافة وحذوا حذو الامم المحيطة بهم فخالفوا بذلك أمر ربهم وماحرمه عليهم فصنعوا صوراً مسبوكة وسجدوا للكواكب وعبدوا الصنم بعل ولذا نبذ الله تعالى أصل اسرائيل وعاقبهم فجعلهم طعمة لمن يكتسح بلادهم ويسلب طارفهم وتلادهم

الانبياء - على ذاك العهد ظهر الانبياء وهم الياس وأرمياو أشيعيا وحزقيل وفي العادة أن يخرجوا من القفر بعد أن يقضوا زماناً في الصيام والصلاة

والاعتبار والتدبر يأتون باسم الله لا غزاة مثل القضاة بل منذرين ومبشرين يدعون الاسرائيليين الى الانابة وقلب الاصنام والتوبة الى باريء النسم وينذرونهم بالخطوب التي يبعثها الله عليهم بعد اذا لم ينيبوا اليه فكانوا من ثم يدعون ويتنبأون

التعليم الجديد - رأى هؤلاء الرجال المستمسكون بالامر الالهي أن العبادة الرسمية في القدس غثة باردة . وليت شعري لم يذبحون البقر ويحرقون البخور اجلالاً لله على نحو ما يفعل الوثنيون . يقول عيسو : « أصيخوا إليَّ باسماعكم وعوا ما يقوله تعالى : ما ذا أعمل بجموع قرابينكم فقد شبعت من ضحايا الغنم ومن دهن الحيوانات السمينة وماعاد يلذ لي دم الثيران ولا الخرفان ولا التيوس فكفوا إذاً عن أن تقدموا لي ضحايا هي من العبث فان نفسي عزفت عن استنشاق بخوركم ومتى ترفعون أيديكم أحول نظري عنكم لان أيديكم ملأى بالدم المهراق فقوموا وطهروا أنفسكم وارجعوا عن سيئات أعمالكم وعودوا أنفسكم عمل الصالحات وخذوها بتوخي طريق الرشاد وحماية المظلومين واقسطوا اليتيم ودافعوا عن الايم وعند ما تصير خطاياكم كالقرمزي حمراء تبيض كالثلج » وبهذا رأيت ان الانبياء أرادوا الاستعاضة عن القيام بالنذور والضحايا بالعدل وصالح الاعمال

المسيح - استحق بنو اسرائيل ما دهمهم من المصائب ولكن لكل قصاص حد ينتهي اليه وغاية يقف عندها فقد قال عيسو باسم الحي القيوم أيها الشعب لا تخشى الاشوري أبداً فانه سينالك من عصاه مثل ما كان ينالك من المصري في الزمن الغابر ولكن ستفثأ سورة غضبي قريباً ويرفع عن كاهلك ذاك العبء الثقيل . وعليه فقد علم الانبياء الشعب اليهودي أن ينتظروا بعثة من يخلصهم وهيأوا السبل للمسيح

الشعب اليهودي

الرجوع الى بيت المقدس ــ جاء ابناء يهوذا من سهل الفرات ولم ينسوا وطنهم ولطالما احتفلوا به وتذكروهُ في أناشيدهم يقولون جلسنا على شاطئ انهار بابل وبكينا وقد ذكرنا صهيون . فعيداننا كانت معلقة في اشجار الصفصاف على ضفة النهر وكان يقول لنا من أتوا بنا : تغنوا ببعض أناشيد من جبل صهيون ولكن أنى لنا ان نتغنى بنشيد للرب في ارض غريبةٍ وبعد سبعين سنة في العبودية اذن سيروس فاتح بلاد بابل ان يعودوا الى فلسطين فجددوا بناء البيت المقدس والمعبد وعادوا الى احياء الاعياد والاحتفاظ بالكتب المقدسة وجددوا العهد مع ربهم علامة على انهم عادوا الى طاعته وعدوا من شعبه وهذا العهد عبارة عن ميثاق على الاصول كتبهُ اعيان الشعب ووقعوا عليهِ .

اليهود ــ دامت مملكة القدس الصغرى مدة سبعة قرون يحكمها ملك تارةً وكاهن كبيرٌ أُخرى وفي كلتا الحالتين كانت تؤدي الجزية الى زعماء سورية فجبى جزاها الفرس اولاً ثم المقدونيون ثم السوريون ثم الرومانيون . وإن صدق اليهود (دعوا كذلك لدن رجوعهم) مع ربهم ظلوا على عهدهم الاوَّل من العمل بشريعة موسى والاحتفال بالاعياد وتقديم النذور في القدس وكان الكاهن الاكبر يحفظ الشريعة بمظاهرة مجمع الاعيان والكتبة ينقلونها والعلماء يفسرونها للشعب وجمهور المؤمنين يرون من واجباتهم الجري عليها والعمل بدقيقها وجليلها واشتهر الفريسيون خاصة بغيرتهم وتفانيهم في القيام بضروب الاعمال الصالحةِ

المدارس (الكنائس) ــ ومع هذا فقد كان اليهود يرحلون في التجارة وينتشرون خارج بلادهم في مصر وسوريا وآسيا الصغرى وايطاليا وكانت طائفة من اهل مذهبهم في المدن الكبرى جميعاً كالاسكندرية ودمشق وانطاكية وافيس وكورنت ورومية وكانوا ابداً يجتمعون في صعيد واحدٍ ليحفظوا كيانهم ويجمعوا شملهم المشتت بين الوثنيين ولم يقيموا المعابد لان الشريعة كانت تحظر عليهم ذلك وليس لهم ان يبنوا سوى معبد يهودي واحدٍ ألا وهوَ معبد القدس حيث كان يحتفل بالاعياد وتتمام المواسم والشعائر بيد انهم كانوا يجتمعون ليشرحوا كلام الله ويتلوهُ ودعيت هذه الاماكن باسم يوناني (الكنيس) ومعناه المجالس

خراب المعبد ــ ظهر المسيح في خلال تلك المدة فصلبهُ اليهود واضطهدوا حوارييه سواء كان في بلادهم او في المدن الكبرى التي حلَّ فيها الجم الغفير منهم . ولقد شقت القدس عصا الطاعة عام ٧٠ على الرومانيين فاخذت عنوة وذبح سكانها كافة او بيعوا بيع الاماء والعبيد فالقى الرومانيون النار في المعبد وقدحفل وطابهم بالاعلاق المقدسة . ومن يومئذ لم يعهد لليهود مجمع لدينهم

مما كتب على اليهود بعد تفرقهم — عاشت الامة اليهودية بعد خراب عاصمتها ولما تشتت شملها تحت كل كوكب في العالم انشأت تستغني عن المعبد وابقت كتبها المقدسة مكتوبة بالعبرية . والعبرية لغة بني اسرائيل الاصلية لم يتكلم بها اليهود منذ رجوعهم من بابل بل اقتبسوا لغات الشعوب المجاورة كالسريانية والكلدانية وخصوصاً اليونانية . على ان المنوَّرين في الدين من الربانيين ظلوا يعرفون العبرية وهم يشرحون التوراة ويفسرونها وهكذا حفظت الديانة اليهودية وبفضل اللغة العبرية ايضاً بقي الشعب اليهودي وكثر اشياع هذا الدين في الاغيار فكان في المملكة الرومانية اناس كثيرون ممن يدينون باليهودية وليسوا من العنصر اليهودي في شيء .

قويت شوكة الكنيسة المسيحية في القرن الرابع فطفقت تضطهد اليهود اضطهاداً دام الى يوم الناس هذا في البلاد المسيحية جمعاء . ومن العادة ان يتسامح مع اليهود في اجراء مراسيم ديانتهم لغناهم واستئثارهم بفروع الاعمال المالية ولكنهم يمحونهم عن ممارسة الوظائف الادارية ولقد اكرهوا في معظم المدن ان يلبسوا ثياباً خاصة وينزلوا في حي خاص مظلم وخيم وبيل وان يبعثوا احياناً باحدهم يصفع في عيد الفصح والناس يرمونهم بانهم يسممون الينابيع ويقتلون الاطفال ويدنسون القربان المقدس وربما يثورون بهم في الاحايين فيقتلونهم ويغنمون ما في دورهم ويسقيهم قضاة البلاد السمَّ أو يعذبونهم او يحرقون لاقل حجة تافهة ولطالما نفتهم الحكومات زرافات من بلادها وصادرت اموالهم ولقد اجتث دابر اليهود من فرنسا واسبانيا وانكلترا وايطاليا ولم تبق منهم بقية الا في بلاد البرتغال والمانيا وبولونيا وفي البلاد الاسلامية ومن هذه الممالك رجعوا الى سائر قارة اوروبا منذ انتهت ايام اضطهاداتهم وكفَّ الناس عن ارهاقهم واعناتهم

حكم الاعدام

اكثر معاني هذه القصيدة منقول عن فيلسوف فرنسا وشاعرها فيكتور هوكو من مقدمة كتاب له عنوانه « اواخر ايام المحكوم عليه بالقتل »

بين القضاة وآلة الاعدامِ حكم يشين عدالة الحكامِ
حسب القضاةُ القتل اردعَ رادعٍ يثني محللَ افظعِ الآثامِ
وهمَ القضاة فليس يعدلُ حاكمٌ إلاَّ بقتل مفاسد الايامِ
هيَ أوجبت سفكَ الدماء ومهدت للاشقياء سبيلَ كلِّ حرامِ
هي خالفت ما بين اخلاق الورى فتفرقوا فرقاً بغير نظامِ

هي علمتهم كيف يفتك بعضهم ... بالبعض فتك الذئب بالاغنامِ
كم مذنب يأتي الذنوب وجهله ... أو فقره يقتاده بزمامِ
يا للقضاء أما تهاب حكومة ... ان تزهق الارواح في الاجسام
هل قل في الارض الهولاء فلاغنى ... عن حكم موت للشقي زؤام
أيضيق جوف السجن عن امثاله ... والقبر أضيق منه عند زحام
لا تستقيم حكومة الا اذا ... قامت معالجة لكل سقام
تغني أخا البؤس اليتيم بفضلها ... حتى تكون كفيلة الايتام
وتزيل أسباب الخصام فيغتدي ... ابناؤه اعداء كل خصام
ما للعقوبة ان تعلم جاهلاً ... لا يذهب الاعدام بالاعدامِ (١)

القاهرة — نقولا رزق الله

مكتبة الاسكندرية

(نشر المقتبس في الجزء الثالث مقالة ملخصة من كتاب تركي في نفي تهمة حريق مكتبة الاسكندرية عن عمرو بن العاص وعمر بن الخطاب بالادلة التاريخية ولما اطلع عليها العلامة المتفنن الشيخ شبلي النعماني احد كبار دعاة الاصلاح في البلاد الهندية بعث لنا برسالة له كان كتبها بالانكليزية في معنى حريق المكتبة الاسكندرية فدفعناها الى صديقنا محمد لطفي جمعة فعربها ملخصة على ما ننشرها. وفي مأمولنا ان لايحمل القراء هذا الموضوع الا على ارادة تصحيح خطاء تاريخي اذ ليس في نسبتها لاحد رجال الاسلام ما يدعو الى الطعن في الدين نفسه كما انه ليس في نسبتها لبعض رجال النصرانية طعن عليها بالذات والمجلة علمية ادبية اجتماعية وهذه الابحاث هي موضوع اهتمامها ابداً) . قال العالم الهندي:

ان ما يوجهه الغربيون عامة من اللوم الى المسلمين ويتهمونهم به من احراق مكتبة الاسكندرية ليس سوى احد أمور كثيرة ظلم فيها الغرب الشرق ووجه الاغيار الى المسلمين سهام اللوم بغير حق وقد سرى هذا الاعتقاد الى جميع المشتغلين بالعلم والادب من الافرنج بحيث لا تجد كتاب علم او قصة او تاريخاً او خرافة او مثلاً سائراً الا وفيه ذكر لاحراق مكتبة الاسكندرية وتقريع للمسلمين الذين احرقوها وقد دخلت مكتبة الاسكندرية حتى في القضايا المنطقية وهي من العلم الصراح الذي لا ينبغي ان يشاب بالاغراض والاهواء وهاك

---

(١) الفقر

سؤالاً منطقياً وضعه الممتحنون في سنة ١٨٨٢ في مدرسة كلكتا الجامعة وردفيه ذكر المكتبة :
بين خطأ القضية الآتية : ان الكتب التي تتفق مع القرآن في شيء لا فائدة منها لوجوده والكتب التي تخالفه يجب اتلافها

لم يكتب تاريخ كبير في حوادث العالم الا وورد فيه ذكر مكتبة الاسكندرية . وكثيراً ما كان كبار المؤلفين يشفعون الحادثة التاريخية برأيهم الخاص في هذا الموضوع مظهرين خطأ التهمة او صوابها ويحسن بنا في مثل هذا المقام ان نأتي على الكتب التي استند عليها المؤلف في المراجعة قبل كتابة هذه الرسالة فاول هذه الاسفار تاريخ رومية تأليف العلامة جيبون ونحن نوجه الانظار الى ما كتب في هذا الكتاب عن « فتوح الاسكندرية » وثانيها كتاب اجيبتكا او ملاحظات فلسفية على بعض الحوادث التاريخية تأليف الاستاذ هو يت مدرس اللغة العربية في مدرسة اكسفورد الجامعة وفي هذا الكتاب ناصر المؤلف القائلين باتهام المسلمين باحراق المكتبة .

ثم كتاب « الخلفاء الراشدين » تأليف وشنجتون ارفنج صحيفة ١١٣ ثم كتاب « تاريخ العرب » صحيفة ٢٥٤ ثم تاريخ بلاد العرب قديماً وحديثاً تاليف العلامة اندريو كريستون صحيفة ٣٩٣ ثم تاريخ نزاع العلم والدين تأليف العلامة درابر الشهير صحيفتا ١٠٣ و ١٠٤ ثم مقالة دائرة المعارف الانكليزية الكبرى عن « الاسكندرية » ثم تاريخ العرب العام تأليف العلامة سدليو . ثم شرح العلامة دي ساسي على تاريخ عبد اللطيف البغدادي وفيه كلام مطول وبحث ممل عن احراق المكتبة ثم رسالة الهير كربل العالم الالماني التي تليت في مؤتمر المشرقيات في جلسته الرابعة في فلورنسا سنة ١٨٧٨

واغلب كتاب هذه الكتب سيما من يثبتون هذه الاشاعة يبرئون انفسهم بقولهم انهم لم يأتوا بها من عند انفسهم بل هم يستندون في تقرير هذه الحقيقة الى ما كتبه العرب انفسهم في كتبهم وما دونوه في تواريخهم

واول من اشاع هذه الاشاعة في اوروبا رجل اسمه ابو الفرج وهو ابن رجل من بني اسرائيل اسمه هرون الطبيب . وقد ولد ابو الفرج هذا في ملاطية سنة ١٢٢٦ م . وانتحل ابوه المسيحية فنشأ الولد عليها وتفرغ في صباه لدرس فقهها وتمحيص حقائق تلك العقيدة وكان يحسن العربية والسريانية ولما ظهر علمه وبان فضله عين اسقفاً لجوبا وهو حينئذ في الحادية والعشرين من عمره وما زال يرتقي في درجات الكهنوت حتى صار رئيس طائفة اليعاقبة ولم يكن فوقه سوى البطريرك وكتب ابو الفرج تاريخاً جمعهُ من مصادر شتى عربية وفارسية وسريانية ويونانية واختصرهُ في سفر صغير كتبهُ بالعربية وسماهُ « مختصر الدول » وكان

هو اول من ذكر خبر احراق مكتبة الاسكندرية فلما نقل الكتاب الى اللاتينية سنة ١٦٦٤ بدأت الاشاعة تتفشى في اوريا بأسرها. واليك ما ذكره جيبون في تاريخه بالحرف : وقد ذكر ارفنح وكريستون وفلين وغيرهم ان ما اشيع عن الاسلام والمسلمين من المساوئ لم يكن له ذكر قبل نقل هذا الكتاب « مختصر الدول » الى اللاتينية ومن ذلك الحين ابتدأ الغربيون يبغضون المسلمين ويحتقرونهم وهاك ما جاء في مختصر الدول بهذا الشأن :

ولما احب عمرو يوحنا فيلوبونوس لعلمه وادبه وقرَّبه من مجلسه وادناه من نفسه وصارت ليوحنا دالة على عمرو لقيه يوماً وقال له : لقد ملكتم كل شيء في هذا البلد (الاسكندرية) بعد فتحه . فنحن لا نعارض في امتلاككم ما ينفعكم كما انني لا ارى مانعاً من ان ننتفع بما لا تريدون فسأله عمرو عن غرضه فقال اريد ما في المكاتب الملكية من الكتب والمؤلفات الفلسفية .

فقال عمرو لابدَّ لي ان اسأل الخليفة في ذلك وكتب اليه يشاوره في الامر فاتاه من عمر هذا الجواب

اذا كانت الكتب التي تشير اليها تتفق مع كتاب الله فلا حاجة لنا بها واذا كانت تخالفه فاتلافها خير واولى .

فوزع عمرو الكتب على حمامات الاسكندرية وامر باحراقها لاحمائها فاستمرت النار ستة اشهر تأكل الكتب . « فاقرأ وتعجب » اه ماجاء في مختصر الدول

وقد انتشرت الاشاعة في اوروبا على هذه الصورة وكان العلامة جيبون اول من نبه الناس الى خطئها فانه قال في كتابه « انني لا اعتقد بصحة هذه الرواية لاسباب قوية منها ان ابا الفرج بن هرون ولد بعد فتوح الاسكندرية بخمسة قرون وجاء قبله كثيرون من المؤلفين والمؤرخين ونحن لم نجد لهذه الاشاعة فيما كتبوه عن مصر ذكراً فكيف نعتمد على قوله ونحله من الصدق غير نحله .

وقد نبه جيبون بذلك اذهان علماء الغرب فانقسموا قسمين قسم نهض لمناصرة جيبون وقسم قام لمعارضته ومناهضته ومن هؤلاء المستر كريستون الذي كتب تاريخاً للاسلام فانه قال :

« لو فرضنا ان ابا الفرج كاذب فيما قال واستغنينا عن روايته فاننا لانستطيع ان نغض الطرف عن غيره من كتاب المسلمين انفسهم امثال عبداللطيف البغدادي والمقريزي وكلاهما ذكر القصة في تاريخه بالتطويل . وكذلك قال الهير كيربل وهو يقول ان عبد اللطيف اول من ذكر هذه الحادثة وهو ايضاً ولد بعدها بخمسة قرون

واذ ان منبع هذه الاشاعة هو ما كتبه مؤرخو العرب فنحن أعلم بما كتبه هؤلاء من غيرنا والمثل العربي يقول « وصاحب البيت ادرى بالذي فيه »

ونحن نعلم ان الافرنج الذي ايدوا الاشاعة اعتمدوا في كتبهم على ما كتبه عبد اللطيف والمقريزي وحاجي خليفة وقد سرت عدوى التقليد الى بعض جهال المؤلفين فنقل احدهم الخبر وعزاه الى ابن خلدون مما دلّ على انه لا يعرف من العربية وكتبها شيئاً. ومن العجيب انه ينقل ما نقل عما كتبه ابن خلدون عن عمر هذا على شهرة الكتاب بين قراء العربية وعلمهم بانه لم يحدث لهذه القصة الكاذبة ذكراً

اما كتاب المقريزي فهاهو بين ايدينا في الجزء الاول من ص ١٥١ وصف المؤلف عمود السواري وهو احد الاعمدة الشهيرة بالاسكندرية نقلاً عن عبد اللطيف البغدادي حرفاً بحرف. اما مكتبة الاسكندرية فقد ورد ذكرها عرضاً في تاريخ المقريزي ولذا يرى الموسيو لانجل ان ما كتبه المقريزي عن المكتبة لم يجئ في كتاب المقريزي الا عرضاً ايضاً.

ومن الغريب ان المؤلفين من الافرنج ممن لم يروا تاريخ المقريزي مرة في حياتهم ويشيرون اليه في كتبهم والى سابقه تاريخ عبد اللطيف. اما الموسيو لانجل فقد قرأ تاريخ المقريزي في لغته بالحرف ونقل منه تاريخ فتوح الاسكندرية نقلاً وافق فيه الاصل فلم يرد لمكتبة الاسكندرية في خلال ما كتب ذكر او شبه ذكر

وعليه فلا يبقى لدينا الا مؤرخان هما عبد اللطيف وحاجي خليفة وكثيراً ما يشير مؤرخو الافرنج الى الاخير ولكنهم لا يقتبسون منه حرفاً. وقد اراحنا دي ساسي من عناء بحث طويل في هذا الموضوع بان نقل ما كتبه حاجي خليفة بهذا الشأن وهو :

اهتمّ الناس في صدر الاسلام بدرس فروع الشريعة وفنون الطب لاحتياجهم الى الامرين وضربوا صفحاً عما سواهما. ولما كانت العقيدة لم تثبت بعد ولا تزال مقلقلة في قلوب الكثيرين ممن انتحلوا هذا الدين رأى اولو الامر ان يحرقوا ما وجدوه من كتب العلم والحكمة في مكاتب البلدان المغلوبة لئلا يجد الشك سبيلاً الى قلوب المسلمين . اه

ويرى القارئ ان حاجي خليفه نفسه لم يذكر الاسكندرية او مكتبتها بحرف انما ذكر امر احتراق الكتب عامة ولم يعين مكاناً وهذا نوع من التعمية والنقص في التاريخ لا ينبغي الركون اليه او الاعتماد عليه فلم يبق بعد الا عبد اللطيف البغدادي وهو الذي كتب كتاباً فيما شهده في مصر وقد فرغ من تصنيفه في العاشر من شهر شعبان سنة ٦٠٣ للهجرة . وقد جاء فيه من الاغلاط والاكاذيب في وصف منارة سافاري ونسبتها الى ارسطو والاسكندر وغيرهما ما يزعزع الثقة فيما كتبه هذا « الثقة » . وقد ذكر هذا الهير كيريل

في رسالته التي قرأها على اعضاء مؤتمر علماء المشرقيات

على ان لدينا دليلاً آخر لهدم ما بناه عبد اللطيف لو فرضنا صدقه . وهو ان عبد اللطيف البغدادي على سعة علمه وفضله لم يكن مؤرخاً بل كان طبيباً حاذقاً ومن يقرأ كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء يعرف فضل عبد اللطيف في الطب وفروعه ولا يخفى ان من يطلب من الطبيب ان يكون مؤرخاً كمن يطلب من المؤرخ ان يكون طبيباً ولو ان ابن سينا والفارابي او احدهما كتب لنا حادثة تاريخية هل يجب علينا ان نثق بها ونعول على صدقها مع علمنا بانهما اختصا بفرع من العلم غير فن التاريخ ؟

اضف الى ذلك ان عبد اللطيف لم يكن مؤرخاً بل كان كتابه عبارة عن مجموعة حوادث رآها في عصره واحب ان يدونها بدون امعان نظر او اعمال فكرة

و بعد فان الواقف على حقيقة التاريخ يعلم حق العلم ان مكتبة الاسكندرية احرقت قبل دخول الاسلام الى مصر اذ لا يخفى ان ملوك الوثنيين هم الذين اسسوها فلما جاءت المسيحية الى مصر وكانت في نشأتها متعصبة لدينها وعلومها بتحريض القسيسين والكهنة سعى اهلها في احراق مكتبة الاسكندرية وقد سلم بذلك كثيرون من كبار العلماء في الغرب ومنهم العلامة ارنست رينان الذي القى خطاباً اسمه « الاسلام والعلم » في المجمع العلمي الفرنسوي وذكر فيه ان العلم والدين الاسلامي يجتمعان ولكنه عند ماوصل الى ذكر مسألة مكتبة الاسكندرية قال انه لا يعتقد بان عمراً هو الذي احرقها لانها احرقت قبله بزمن طويل .

وكذلك ذكر العلامة درابر في كتابه ان يوليوس قيصر عند قدومه الى مصر لنجدة كلوبطرة احرق نصف المكتبة وقلده بطارقة الاسكندرية فاحرقوا البقية وذكر اورسيوس انه رأى بعينه اماكن الكتب خالية منها بعد ان صدر امر الامبراطور ثوديوس باحراقها

اما وقد انتهى مالدينا من الادلة بطريق النقل فنحن نعمد الآن الى العقل فقد جاء من الرواية التي اثبتنا كذبها ان الكتب وزعت على حمامات الاسكندرية و بقيت تشتعل ستة اشهر وكتاب الافرنج يقولون ان حمامات الاسكندرية كانت في ذلك الحين تزيد على اربعة آلاف فما مقدار تلك الكتب التي تحرق في ستة اشهر في اربعة آلاف حمام ؟ ثم لننظر في مسألة اخرى تحتاج الى تحكيم العقل : وهي هل يعقل ان عمراً وهو الذي اشتهر بحب العلم واهله وتقريبهم من مجلسه واكبر دليل على ذلك تقريبه ليوحنا منليوبوس ان يعمد الى احراق كتب ثمينة امتدحها له صديقه ولو قيل لنا ان عمراً لم يكن حر التصرف نقول لا بد ان يكتب على الاقل كلمة في نفاسة المكتبة في كتاب الى عمر ولا نظن ان الخليفة كان يخذله في امر كهذا لما للفاتح عنده من المقام والمكانة . مثال ذلك ان الخليفة لم

يكن يريد فتح مصر ولكن عمرا اخذ ذلك على نفسه فاطاعه الخليفة في فتح مملكة فكيف لا يرضى له ابقاء مكتبة .

ومما يدل على ان المكتبة لم يكن لها وجود في عهد عمرو انه لما كتب تقريره المطول الى الخليفة بعد فتح الاسكندرية جاء فيه : « وفي هذه المدينة اربعة آلاف حمام واربعة آلاف دار لها شرفات واربعون الف اسرائيلي يدفعون الضرائب واربعمائة مكان للرياضة والتنزه واثنا عشر الف حديقة تخرج الاثمار » فهل يعقل ان الرجل الذي لا يغفل في تقريره الحدائق والديار ان يهمل ذكر مكتبة الاسكندرية لو كانت موجودة في عهده على مالها من الاهمية ونحن نختم هذه الرسالة ببيت من الشعر الانكليزي : « اننا نوجه اليهم سهام اللوم وليس جديراً باللوم سوانا »

الامة الشرقية

وذكرى المستنصرية والنظامية

أيُّ خطب دها واي بلية قد احاطت بالامة الشرقية
قد وكلنا احوالنا للاماني والاماني مضـلة للبرية
بعد ان كان علمنا شائعاً تأ خذ عنا الطوائف الغربية
قد غدونا نتيه في مهمه الجهـ ل ونرضى بحالنا المخزية
نرفض العلم قائلين حرام حرّمته الاوامر الدينية
مثل هذي الدعوى تشوه وجه الد (م) ين والدين كاللآلي المضية
اين منا الحزم المذلل للصعـ ب واين الحمية العربية
اين منا الشعور ياقوم والنجـ دة بل اين تلكم الاريحية
عيشنا كله سبات عميق ان بعض السبات صنو المنية
أنسيتم دارَ السلام وعارٌ ان تقولوا لقد غدت منسية
ولكم ضمَّ قطرها من ربوع الـ علم بلهَ المراصد الفلكية
فطلول المستنصرية لم تـ ـح ولكن هناك منها بقية
تلك كانت مأوى لكل مريد راغب في العلوم والمدنية
كم افاضت على أناس علوما فابادوا مناشيء الهمجيـة
ونظاميـة النظام ألم تتـ ـلَ عليكم اخبارها المروية
أخرجت من أئمة العلم قوماً ناطحوا (اورانوس) في العلوية

كان عيش التلميذ فيها رخاءً ... فيض رزق وحكمة فلسفية
فخليق بنا ونحن اباة الضـ (م) يم ان ننبذ الشؤون الدنية
وبأن نقتدي باسلافنا من ... رفعوا اصرح الفخار العلية
فمن العار ان نكون بعصر الـ ... علم ما عنــدنا ولا كلية
اترى حالنا تبدَّل ام نبـ ... قى مدى الدهر أُمة جاهلية
ليت قومي يذَّكرون عساهم ... يتــلافون خطبنا بروية
ومن العجز ان ننام عن السعـ ... ي ونرجو سعادة مرضية

القاهرة — حسين وصفي رضا

سدوم القديمة وسدوم الجديدة

اختلف علماء الآثار ورجال البحث والاستقصاء في موقع سدوم اختلافهم في سواها من المسائل العلمية العويصة والمشاكل التاريخية الغامضة والمباحث الاثرية الدارسة فذهب فريق منهم الى ان موقع سدوم كان في الجنوب الغربي من بحيرة لوط في جانب الجبل المعروف بسدوم. وذهب آخرون الى ان هذه المدينة القديمة كانت ممتدة من جنوبي بحيرة لوط الى غربي شاطئ نهر الاردن. وزعم غيرهم ان موقع سدوم وعمورة وادمة وصبوئيم كان على شاطئ بحيرة لوط ثم عمرت بعد ان خربت. وصرح فريق آخر بان موقع هذه المدن هو بحر الميت نفسه او بحيرة لوط عينها وقد استدل اصحاب هذا المذهب على ذلك باقوال التوارة. فسكان موقع سدوم اذا صحَّ مذهبهم تحت مياه الجانب الغربي من البحيرة. ومهما تكن تلك الآراء متباينة فقد اجمع اولئك الباحثون على ان مواقع تلك المدن كان في انحاء بحر الميت في القسم الغربي من قارة آسيا

يظهر للمطلع على الاصحاحين الـ١٨ و١٩ من سفر التكوين ـ السفر الاول من الاسفار الخمسة لموسى الكليم ـ ان سدوم وعمورة وادمة وصبوئيم المتقدم ذكرها قد انحطت آداب سكانها بحيث لا تطيقها شريعة الهية كانت او ادبية او اجتماعية فقضى الله جلَّ جلاله بان يعاقب سكانها واطلع ابراهيم الخليل يومئذ على ما سيحل باهل سدوم فسأل واحداً من اهل الله ممن زاروه من قبل لخلاصها والرفق باهلها . فذهب اثنان منهما الى سدوم ولما لم يجدا فيها الا فشو الفاحشة والشر الفاضح اخرجا لوط ابن اخي ابراهيم مع امرأته وابنتيه الى بلدة مجاورة اسمها صوغر. ثم هطلت نار من السماء فاحرقت سدوم وعمورة وادمة وصبوئيم ومزقت

شمل اهلها كل ممزق

ولقد صادق كثير من العلماء القدماء على رواية موسى بشأن احراق سدوم وخراب سائر المدائن المذكورة وتناولها شعراء اليونان ودونوها في قصائدهم بيد انهم مزجوها بخرافاتهم الفاسدة. ومن اولئك المقرين على تلك الرواية استرابون الجغرافي الشهير المولود في نحو ٢٠ سنة ق. م. و يوسيفوس المؤرخ العبراني الذي ولد سنة ٣٧ ق. م واذ ان آراء اهل التنقيب والعلم تباينت في موقع سدوم فقد اختلفت ايضاً آراء المفسرين من علماء الدين في كيفية احراق سدوم وسائر المدائن السابقة الذكر

ذهب فريق من العلماء الى ان الله انزل الكبريت والنار على تلك المدن حقيقة فاحرقتها ودمرتها ودكتها الى الحضيض. ودليلهم على مذهبهم ان التوراة المنزلة صرحت بالامر بحيث لم تبقِ شكاً فيه. وارتأى غيرهم من رجال الدين الى ان بركاناً ناريًا انفجر في بطن الارض فاحرق تلك المدن ودليل ارباب هذا المذهب هو ان ابراهيم الخليل تطلع على تلك البقعة فرأى اذ ذاك دخاناً كثيفاً متصاعداً من قلب الارض.

وبعدُ فقد عنيت بعض الجمعيات الاوربية بالبحث عن سدوم وسواها افادة للعلم باثر يجدونه في ارجائها. ورجال العلم الحقيقي في هذا العصر - عصر التحقيق والبحث - باذلون مافي وسعهم لكشف النقاب عن كل مسألة غامضة تفيد العلم والمجتمع.

وقرأت ان احد السياح الباحثين وجد تمثالاً من ملح في جانب جبل سدوم في جنوبي بحيرة لوط ولعل هذا التمثال هو نصب امرأة لوط التي تقول التوراة عنها بانها عوقبت بذلك من اجل مخالفتها لامر رجلي الله فالتفتت الى ورائها لترى ما حل بسدوم

اما تاريخ احراق سدوم ودمارها فيرجع الى ايام ابراهيم الخليل جد اليهود. وتاريخ ابراهيم يرد الى زهاء اربعة آلاف سنة. ولما كانت التوراة اهم مستند لدرس العلماء الملاحدة على رغم الحادهم لانها اقدم تاريخ من حيث المادة التاريخية يرجعون اليها في كثير من المسائل القديمة. ولما كانت موضوع بحث الباحثين من ائمة الدين وعلمائه من شرقيين وغربيين لم ارَ بدّاً من الرجوع الى التوراة في بعض وصف مدينة سدوم وعمورة وتوغلهما في القدم والعمران

فقد سمي موسى الكليم تلك البقعة مدن دائرة الاردن ووصفها بقوله انها جنة وان اراضيها تسقى بمياه نهر الاردن ولا غرو فقد هام الشعراء في هذا العصر بجمال بقاع بحر الميت فنظموا فيها القصائد. وأمها السياح من كل حدب وكانت كتاباتهم مجمعة على جمال موقع تلك البقعة وخصب اراضيها وطيب هوائها وعذوبة مائها. ولم يرد في التوراة شيء عن عدد سكان تلك المدن الاربع غير ان كثرة فساد الآداب في سدوم وعمورة خصوصاً على ذلك العهد

تدل على ان تينك المدينتين كانتاماً هولتين بالسكان . والفاحشة في الغالب لا تتفشى بكثرة الا في المدن الكبيرة وحيث يكثر الزحام و ينمو السكان

وصرح موسى الكليم بانه كان لكل مدينة من مدن الدائرة ملك . فكان بارع ملك سدوم و برشاع ملك عمورة وشنئاب ملك ادمه وشمئبير ملك صبوئيم وانه قد حدثت لهؤلاء الملوك مع ملوك شنعار والاسار وعيلام وجوبيم وان ابراهيم الخليل استرجع من هؤلاء الملوك مدن الدائرة والاسلاب بعد ان تغلبوا على ملوك مدن الدائرة وان ابراهيم اتبعهم الى حوبه قرب دمشق شمالاً هو ورجاله الثلاثمائة والثمنية عشر حيث استظهر عليهم

***

هذا بعض ما لخصته واستنتجته من ابحاث رجال العلم والدين التي طالعتها . وقد اذكرني بالكتابة في الموضوع حادث سان فرنسيسكو التي سماها رجال الدين في اميركا « سدوم العالم الجديد » لما اصابها في ١٨ نيسان سنة ١٩٠٦ من البلايا التي تشبه بلايا سدوم العالم القديم

اكبر ولاية في الولايات المتحدة بمساحتها هي تكسس وثاني ولاية كاليفرنيا واكبر مدينة واشهرها في كاليفرنيا سان فرنسيسكو او هي اكبر مدينة في غربي الجبال الصخرية في الولايات المتحدة تقع على شاطىء الاوقيانوس الباسيفيكي من الجهة الشرقية منه وهي مفتاح ولاية كاليفرنيا وميناها امين جداً . والحاجة العمرانية تستلزم وجودها في تلك البقعة دع عنك اهمية موقعها التجاري والبحري . ولقد دعاها الاميركيون باريس المدن الغربية في الولايات المتحدة وعروس الباسيفيك . ولا غرو فان مركزها من اجمل مراكز الدنيا وهي كعبة السياح واصحاب البذخ والترف ومتنزه ارباب المال والجاه ففيها الملاهي على تباين انواعها والمقاصف على اختلاف اسمائها والحانات وما يتبعها و يتصرف عليها . وكما ان اهل العالم الجديد سموا مدينتهم الغربية باريس كاليفرنيا هكذا دعوها رتاج الذهب لكثرة النضار في ولاية كاليفرنيا فان هذه الولاية اغنى الولايات في البلاد المتحدة بمعادنها الثمينة لا بلجينها فقط بل بنضارها وسائر معادنها .

ولم تكن شهرة قصورها الفخيمة ودورها الجميلة وابنيتها الشاهقة ومحالها البديعة باقل شهرة من قصور سائر مدائن الولايات المتحدة الكبرى كنيو يورك وشيكاغو وفيلادلفيا وسواها ففيها ابنية عظيمة وجميلة وثمينة مؤلفة من ست طبقات الى سبع عشرة طبقة وهي الثالثة من نوعها في العالم الجديد . اما نزلها الشهير المعروف بالبالاس الذي كلف بناؤه سبعة ملايين دولار (ريال) فهو اجمل نزل في العالم الجديد بل في سائر اطراف المعمور . وما قيل في نزل عروس الباسيفيك من حيث الجمال والاتقان والشهرة يقال في دار الحكومة التي انفق في سبيل بنائها تسعة ملايين دولار اميركي واشتغل مئات العملة في بنائها ربع قرن .

ويرجع تاريخ هذه المدينة الى اكثر من مئة سنة ايام كانت فرضة تجارية ليس فيها من العمران الا اليسير على انها اخذت بالتقدم والنماء منذ ثلاثة ارباع قرن شأن المدن الراقية حتى بلغت مابلغته وناهز سكانها اربعمائة الف نسمة

هذا بعض وصف مدينة سدوم العالم الجديد قبل الحادثة الاليمة التي ألمت بها. اما اليوم فقد صارت قصورها البديعة رماداً ودورها الجميلة خراباً وسائر ابنيتها الثمينة قفراً يباباً حتى ابتلعت الارض كثيراً من رياضها الغناء وحدائقها الزهراء واصبح معظمها اطلالاً دوارس وآثاراً طوامس

تناول شعراء الاميركان فاجعة غادة الباسيفيك ونظموا فيها القصائد المؤثرة فرثوها بما يذيب سماعه قلب الجماد. واشتغلت الاسلاك البرقية في كارثتها العظيمة في كل انحاء البلاد وبلغ نبأها ارجاء العالم المتمدن وانقضت اسابيع على المصيبة والجرائد الاميركية بالاجمال تصف هذا الخطب الجلل

حدث زلزال شديد في الساعة الخامسة والدقيقة الثانية عشرة من صباح ١٨ نيسان (ابريل) الماضي في مدينة سان فرنسيسكو دام دقيقتين فانشقت الارض وابتلعت شطراً من المدينة بما فيها ومادت الابنية وسقطت الدور ودمرت القصور وفاضت مياه الاوقيانوس على المدينة واخذ البركان في جوف الارض ينذرها بالويل والشقاء والدمار. حدث هذا الزلزال بينما كان الناس نياماً فزعزع اركان المدينة واشد ما كانت وطأته على اهم بيوت التجارة والاعمال فيها ثم توالت الزلازل فاتت على البنايات المتزعزعة ودمرتها وثبتت الابنية المتينة المشيدة هيا كلها بالحديد بادئ بدء

ثم تصدعت انابيب الغاز من الزلازل التي توالت بشدة فشبت النار في المدينة والتهمت مابقي من الدور الفخيمة والابنية العظيمة وحاول رجال المطافيء اخماد النيران ولكن مساعيهم ذهبت ادراج الرياح ثم عادوا بالديناميت لنسف الابنية المجاورة لالسنة اللهيب الهائلة فلم يستطيعوا ايقافها وما انقضى بضع ساعات على شبوب النيران في الحي التجاري حتى اتصلت باحياء السكن فالتهمتها فاصبحت المدينة كطود من نار

واذا رأى الفرنسيسكيون ان عروسهم الجميلة قد دكت الى الحضيض ودفنت طي اللحود فرّ منهم نحو مئة الف نفس الى اوكلاند كاليفرنيا وفرّ الثلاثمائة الف الباقون الى الجهات المجاورة للمدينة والمطلة عليها يتوسدون الغبراء ويلتحفون السماء ويقاسون آلام الطوى اشكالاً ويذوقون البلوى الواناً حتى بيع رغيف الخبز بدولار. ولم تنحصر الفاجعة الاليمة في عروس الباسيفيك بل قد امتد خطبها الفادح الى غيرها من البلاد المجاورة فالحقت بها اضراراً فاحشة

ولما حلت هذه الكارثة واتصلت انباؤها المشؤومة بالشعب الاميركي الغيور قامت البلاد باسرها تجمع الاموال وتبعث بها و بالمآكل والملابس الى المنكوبين تخففوا عنهم وطأة الخطب و برهنوا لهم بروأتهم وغيرتهم انهم شركاؤهم بالضراء وان الاموال التي جمعت ترجع مجد مدينة المغرب وان الشعب النشيط الذي اصبح في مدة قرن في مقدمة شعوب الارض بالنفوذ والثروة والتمدن والذي عمر القفار واقام المدن والامصار يستطيع ان يبني على انقاض سدوم العالم الجديد مدينة من اجمل مدن العالم

ولقد بلغت الاعانات التي قدمت الى منكوبي سان فرنسيسكو حتى الآن ثلثمائة مليون دولار وتبرع كثير من كبار المتولين الاميركيين كل منهم بمئة الف دولار وتبرع مجلس الامة في العاصمة (واشنطن) بمليون دولار وكثير من افراد الاميركان الموسرين تبرع كل منهم بالمبالغ الكثيرة . ومما يذكر ان محسنًا دفع الى حاكم مدينة نيو يورك خمسة وعشرين الف دولار لمنكوبي سان فرنسيسكو ولم يذكر اسمه

وقد قدرت خسائر سان فرنسيسكو بـ ٣٥٠ مليون دولار . وكانت اشدها وطأة على ١٧ غنيًا وغنية من الفرنسيسكيين نخسروا وحدهم ٩٧ مليون دولار . وكانت خسارة السور بين في الكارثة ٣٢ الف دولار ولم يفقد منهم احد وقدر الهالكون من الاميركيين بالفي نفس . واما قيمة الارزاق المضمونة في سان فرنسيسكو فهي ٢٦٨ مليون دولار اذا دفعت شركات الحريق المبلغ برمته تضطر خمس عشرة شركة منها الى اشهار افلاسها

هذا وان حريق سان فرنسيسكو اعظم ما حدث من نوعه حتى الآن في الولايات المتحدة باعتبار خسارة المال والانفس . لحريق شيكاغو الذي حدث في يومي الاحد والاثنين الواقعين في ٨ و٩ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٨٧١ اتلف من الارزاق ما قيمته مئتا مليون دولار . على حين كان عدد البنايات التي اكلتها النار ١٧٫٤٥٠ بناية . ومساحة البقعة التي جرى فيها الحريق ٧٣ ميلاً . اما مساحة البقعة التي حدث فيها الحريق في سان فرنسيسكو فهي ٢٦ ميلاً وكذلك حريق بالتيمور و بوسطن وكالفستن لا يحسب شيئًا بالنسبة الى حريق سان فرنسيسكو . اما الزلازل التي حدثت في سان فرنسيسكو في ١٨ نيسان سنة ١٩٠٦ فقد حدث مثلها في نفس المدينة في تشرين الاول سنة ١٨٦٥ وسنة ١٨٦٨ . على ان الخسائر التي سببتها اذ ذاك على فداحتها لا تذكر في جنب الخسائر الفاحشة التي نجمت عنها في العهد الاخير

وفي سنة ١٨١١ حدثت زلازل في الولايات المتحدة هي اعظم ما جرى من نوعها حتى يومنا هذا فانفتحت كوات الارض من شدتها على مسافة ثلاثمائة ميل من حدود ولاية

اوهايو الى حدود سانت فرانس وانخفضت الارض مئات اقدام في بعض الانحاء وارتفعت في سواها ودمرت البلاد الكثيرة وسببت الخسائر الفادحة. وقد ابتدأ حدوث هذه الزلازل في ١٦ كانون الاول (يناير) سنة ١٨١١ وظلت تتراجع بكل طولها وحولها حتى اوائل شهر شباط (فبراير) ١٨١٢. ورؤى الهنود ـ سكان اميركا الاصليون ـ انهم شاهدوا في القرن السابع عشر بركاناً نارياً في بقعة سان فرنسيسكو يقذف المواد المائلة من جوف الارض الى مئات الاقدام علوّاً في الجو. ولقد عرف العلماء الباحثون ان موقع سان فرنسيسكو هو على نفس خط بركان فزوف في ايطاليا الذي لا تزال ويلاته متوالية على العباد هناك

ومن المحتمل اعادة مجد سدوم العالم الجديد لان الهمم العلية المبذولة في عمران المدينة تخترق جبال المصاعب الصعبة المرتقى ولا تقيم مدينة بل مدائن تكون من اقوى واجمل وابدع مدائن العالم. وقد باشر المهتمون للامر باستجلاب الكميات الطائلة من الحديد لانهم عزموا على ابتناء القصور والدور والبنايات الكبيرة من الحديد ورأوا ان الابنية القائمة بالحديد قلما تؤثر فيها الزلازل ولعله يتأتى للمعمرين في المستقبل اختراع طريقة للعمران لا تقوى عليها قوات الطبيعة. ولا عجب فالعصر عصر عجائب وغرائب. وما متاعب هذه الحياة الا عقاب لما يجنيه الانسان فسبحان الفعال لما يريد

اوماها نبراسكا (الولايات المتحدة) يوسف جرجس زخم

في قلبي

خواطرُ في قلبي يضيءُ بها الفكرُ أشعتها في كلّ منبثق فجرُ
لها رَونقٌ من حكمةِ العبرِ التي تسامت بها الدنيا أوِ انحدرَ الدهرُ
كما من شعاعِ الشمسِ والريحِ والندى تناولَ سرَّ الحسنِ في أرضهِ الزهرُ
جلوتُ على الايامِ أسرارَ وحيها بوصفٍ يقولُ الناسُ انَّ اسمهُ الشعرُ
تجسمَ فيهم لفظهُ وتحكمتْ معانيه حتى ذاك درٌّ وذي سحرُ
اذا قلبوا في شطرِ بيتٍ عيونهم تنزّلَ من وحيِ القلوبِ لهم شطرُ
وما عرفوا من خدعةِ السحرِ عندها أقطرٌ على زهرٍ هنالكَ أمْ سطرُ
كأنَّ يراعي من أشعة «رنتج» يري من وراء الحبرِ ما سترَ الحبرُ
بلفظٍ ترى معناهُ من قبلِ لمحهِ كما فاحَ من زهرٍ على غصنهِ العطرُ
تهاداهُ اهواء النفوسِ كأنه من الدهرِ للنفسِ التي ساءها عذرُ

وما كلماتي غيرُ نبضِ العلى وما | لساني الاّ قلبها وهيَ الصدرُ
اعدتُ نشاطَ الدهرِ بعدَ مشيبهِ | فقد باتَ مختالاً وطرّتهُ البدرُ
فقولوا لحسادي على بُعدِ بيننا | تظنونَ أنَّ السحب فوقَ السما جسرُ
فان كانَ في هذي العصافيرِ طائرٌ | هجفٌ فما شاؤوا سوى اسمك يانسرُ(١)
ولي كلماتٌ لو يطيرونَ مرّةً | لأمست ومنها كلُّ قافيةٍ وكرُ(٢)
ولكنهم إن يصعدوا يتسفلوا | دواليكَ ذا شبرٌ وذلكمُ شبرُ(٣)
صغارٌ على كبرٍ وشرُّ فضيحةٍ | وسخريةٍ طفلٌ صغيرٌ بهِ كبرُ
على انها من سنةِ الكونِ لم يزلْ | يضايقُ من خلطِ الترابِ بهِ التبرُ

***

وفي القلب مني لوعةٌ لو تخلصتْ | من الصبرِ يوماً واحداً قتلَ الصبرُ
وفيهِ وكمْ فيه من الحبِّ والجوى | فذاكَ لهُ امرٌ وهذا لهُ امرُ
وفيهِ من الآمالِ ما العمرُ دونهُ | فلا سعدَ الا ان يزاد لنا عمرُ
وفيهِ منَ الايامِ ماضٍ مُكفنٌ | بدمعي عليهِ من طفولتهِ قبرُ
وفيهِ وما فيهِ وذا الدهرُ لم يزل | يعدُّ علينا موجةً وهي البحرُ
على انني لم أُفرغ الهمَّ كلهُ | ولكنهُ نزرٌ وقلَّ لهُ النزرُ
تعلمتُ لطفَ الوصفِ من لغةِ الهوى | ففيها جنونُ القلبِ قيلَ لهُ الهجرُ

طنطا — مصطفى صادق الرافعي

السكك الحديدية في آسيا الصغرى

عن مجلة الطبيعة الفرنسوية

استفاض في الناس امر السكة الحديدية البغدادية التي تجتاز آسيا الصغرى من اقصاها الى ادناها وتقرب بلاد فارس والخليج الفارسي من اوربا. وسيبلغ السير بالقطار الحديدي عما قريب الى بغداد وكانت معدودة من قبل من مدن الف ليلة وليلة. فترن صفارة البخار وتجاوبها اصداء بلاد الكلدان والفرات ويحرك التمدن الحاضر بما خصَّ به من الصفات قبور اخلاف بختنصر. وليس الخط البغدادي اول سكة امتدت في ذاك الرجا فقد وجدت

(١) في القاموس الهجف الظليم المسن ولم يزد على هذا الحصر من انواع الطير ولكن ورد في شعر العرب نقل هذا الوصف الى النسر وقد جعل هنا في العصافير لمكان النكتة

(٢) ضمن الوكر معنى القفص (٣) دواليك اي مداولة مرة بعد مرة

منذ عهد بعيد في غربيه خطوط حديدية اخرى نال امتيازها ماليون مختلفة اجناسهم والدولة تمدّ معظمها بالمال وتعطيها ضمانات عن كل كيلو متر تختلف من عشرة الى تسعة عشر الف فرنك . أُنشيء اول خط حديدي سنة ١٨٥٦ وهو من ازمير الى آيدين واحتفل بافتتاحه سنة ١٨٦٦ ثم اتصل بدينار وامتدت منه ناشطة او فرع الى تيره وسوكه وجوربلي وبوجه وسيدي كوي ودكزلي . وطول هذه الخطوط خمسمائة كيلو متر . وسنة ١٨٦٦ ايضاً افتتحت سكة حديد ازمير — قصبة التي امتدت بعد الى افيون قره حصار واخذت منها ناشطة الى صوما وطول هذا الخط باجمعه خمسمائة كيلو متر ايضاً

وفي نحو سنة ١٨٧١ شرع بانشاء خط مدانيا — بورصة . وفي نحو ذلك العهد انشأت الحكومة خطاً يكون متمماً لخط عظيم يصل الى الخليج الفارسي بادئاً من اسكدار او حيدر باشا ومنتهيا بازميد . وسنة ١٨٨٩ نالت شركة المانية امتيازاً بمد خط حديدي من ازميد الى انقرة مارا باسكي شهر وطوله ٥٧٦ كيلو متراً ولم يتسن ايصال الخط الى بغداد ماراً بسيواس . وفي غضون ذلك انشيء الخط الحديدي من مرسين الى آذنة ماراً بطرسوس وهو الخط الذي سيصبح من فروع السكة البغدادية . وكل هذه الخطوط تربط المدن الساحلية ببعض الداخلية الا قليلاً .

اما خط انقرة وقيصرية فاخذ امتيازه لكنه لم يجرِ تخطيطه . وفي سنة ١٨٨٨ مدّ خط من يافا الى القدس وسنة ١٨٩٠ شرع بمد خط حديدي من بيروت الى دمشق ماراً برياق ثم دمشق — مزيريب ثم فرع رياق — حماة . دع الخط الحديدي الذي انشيء من دمشق وسيتصل بالمدينة ومكة ماراً بمعان فانه ليس من الخطوط المعدودة من آسيا الصغرى .

ولا بأس من التصريح هنا بان من تتمة الخط الحديدي البغدادي انشاء الخط الذي كان بديء به سنة ١٨٩٥ من حيدر باشا الى قونيه ماراً بافيون قره حصار فهو يصح ان يسمى من متممات خط ازمير فمن مدينة قونية اذاً تسير سكة حديد الخليج الفارسي مقتربة من خليج مرسينا . ويتحدث الانكليز منذ نحو نصف قرن بهذا الخط لانه يسهل المواصلات مع الهند حتى انهم وضعوا سنة ١٨٥١ امشروع خط حديدي يمتد من السويدية في جنوبي اسكندرونة من اعمال سورية ماراً بانطاكية وحلب والموصل فبغداد فالبصرة فالكويت . وفكر بعضهم في انشاء خط حديدي من البوسفور الى الموصل ماراً بسيواس وديار بكر كما اقترح الروس ان يجعلوا طرابلس مبدأ الخط . وكان ينوي اصحاب امتياز خط انقرة — قيصرية ان يصلوه بدجلة والخليج الفارسي لكن شركة المانية فيها بعض الفرنسيس نالت الامتياز الى ٩٩ سنة بانشاء خط حديدي من قونية الى الخليج الفارسي يكون خط حيدر

باشا قبالة الاستانة رأساً له فاذا اجتاز الخط اركلي يصل الى سهل ثم يصعب تمديد الخطوط الحديدية لانه يضطر الى قطع سلسلة من جبال طوروس وفي شمالي الاسكندرونة يجتاز سلسلة اخرى من سلاسل جبال سورية ومن هناك ينشأ فرع صغير لتسهيل نقل الادوات ونتصل حلب مع الخط الاصلي بفرع آخر يصل بينها و بين خط سورية و يستقيم سير الخط من اذنة الى الموصل ومن هنا يتبع الخط مجرى دجلة الى بغداد .

وفي مأمول القائمين بتمديد خط الخليج الفارسي ان ينجزوه سنة ١٩١٠ وهو مما يستبعد . وكيف دارت الحال فسيأتي هذا الخط بفوائد جزيلة اقلها تقريب المسافة بين اوربا والهند فان معدل البريد الآن من لندن الى بومباي في ١٤ يوماً و١٦ ساعة ومتى نجز خط بغداد يرسل البريد عن طريق آسيا الصغرى الى مابين النهرين في ثلاثة ايام و١٥ ساعة . لاجرم ان عدد الذاهبين الى الهند والشرق الاقصى ممن يسافرون في البحر الاحمر وهو قرابة ربع مليون في السنة سيزيد كثيراً . واذا صحَّ مايتحدثون به الآن من انشاء جسر على البوسفور فسيجيء يوم تختصر فيه المسافة كثيراً فتسافر القطارات من كالي في فرنسا او من لندن بدون ان تفرغ شحنها حتى تبلغ مصب شط العرب

تأثير العلم في المانيا

من مقالة لاحد علماء الفرنسيس

ارتقى التعليم العام وانتشر كثيراً في المانيا منذ نحو قرن واصبح التعليم الابتدائي اجبارياً وان كان ناقصاً وفيه نظر . وبالتعليم فتحت العقول واستعدت لقبول الافكار الحديثة فرقَّ شعور الافراد ومرنت قواهم واحتد ذكاؤهم وقويت عقولهم وقلَّ الاختلاف بين الطبقة العالية والطبقات النازلة في المجتمع وذلك في الامور الذهنية على الاقل

قامت منذ خمس عشرة سنة معاهد التعليم وتهذيب الامة على امتن الدعائم وانتشرت في الآفاق الالمانية ايما انتشار . وانك لترى في كل ناحية او عمالة لها بعض الاهمية صفوفاً ومدارس يتلقى فيها الكبار العلم ومدارس ليلية ومؤتمرات تعليمية اجبارية في كثير من النواحي للشبان ممن سنهم بين الثالثة عشرة والثامنة عشرة ولكل مدينة بل لكل اقليم مكتبة موقوفة على سكانها عامة تحبب اليهم المطالعة متى ارادوا بل تضطرهم الى الاختلاف اليها . دع ما هناك من تمثيل الروايات العامية التي تطلعهم على اسرار الفنون وتحسن اذواقهم وخل عنك اندية المطالعة واندية التمثيل وجمعيات الغناء والموسيقى التي تتكاثر الحين بعد الآخر

وهكذا تجد العامي من الالمان قد خرج من غفلته وتغفله وصقل ذكاؤه ورق احساسه

و بدأ يفكر في غير الضرور يات المادية فى حياته اليومية واتسع امامه ميدان النظر وامتد أفق الغايات السامية وراح يود الاطلاع على ما يحدث في العالم وعلم ان ليس لكل الشعوب ملوك وليسوا دونه في السعادة وان بعض الشعوب تتألم لانها محرومة من الحقوق السياسية واخذ الالماني يفكر في قوانين حكومته واوامرها ويبحث فيها ناظراً ما يتعلق منها بمصالحه واحترامه الشخصي ورأى من الظلم ان تكون الشؤون السياسية بيد طبقة خاصة من الامة فينال النعم غيره على حين لم يكن دونه في المدارك وهو لا يرضيه الشقاء الذي قاساه حتى اليوم بل يتطلب الظهور ونيل حظه من اللذائذ

ولما استحكم اساس الوحدة الالمانية تقدمت الديمقراطية بين اهلها كثيراً وسهل ذلك في سبيلهم ارتقاء الصناعات والتجارات ارتقاء لا مثيل له . فصارت المانيا مملكة صناعية بعد ان كانت الى سنة ١٨٧٠ زراعية فكان يستخرج منها اذ ذاك ٨٩٧٠٠٠ طن من الفولاذ فبلغ ما استخرج من هذا المعدن سنة ١٨٩٩ ٦٣١٧٠٠٠ وكان المستخرج من الحديد المسبوك سنة ١٨٨٩ ٣٣٨١٠٠٠ فصار سنة ١٩٠٠ ٨٥٢٠٠٠٠ وكان قدر انوال المنسوجات سنة ١٨٨٧ ٥٣٨١٠٠٠ فاصبح بعد احدى عشرة سنة ٧٨٨٤٠٠٠ ونجحت الصناعات الكيماوية والكهربائية نجاحًا باهراً . وللمانيا المقام الاول بين الامم في استخراج السكر .

كانت نفوس المانيا سنة ١٨٧١ ــ ٣٩٣٦٠٠٠٠ نسمة تقريبًا فبلغت سنة ١٨٩٠ ــ ٤٧ مليونًا وسنة ١٩٠٥ ــ ٦٠ مليونًا اي ان الشعب الالماني يزيد في السنة ٨٠٥٠٠٠ نسمة وكل مولود جديد يحتاج الى مرتزق جديد له وقلما يجده في الزراعة اذا لم يجده في الصناعة والتجارة لان موارد الزراعة ضيقة النطاق في تلك البلاد بحكم الطبيعة ولا يتأتى ان يعيش بها الا عدد محدود من السكان فلم يبق من ثم الا الصناعة يقيمون لها كل يوم انواع المعامل الجديدة والمشاريع الصناعية والتجارية الحديثة وسينتهي الحال بان تغدو المانيا بحكم الطبيعة فى مقدمة الامم بصناعتها .

ولقد كان لهذا التقدم الاقتصادي نتائج اجتماعية وسياسية كثيرة ذلك لان هذا الارتقاء زاد في رفاهية الأمة وحسن الاخلاق وسعدت الحياة في المانيا واصبحت داخلية المدن الى اللطف والذوق يتوفر فيها الزخرف والبهرج والنظافة المفرطة . وانك لترى في كل مكان خطوط الترامواي والانارة بالكهربائية مألوفة في البلاد كلها وواجهات الدكاكين مزدانة وامارات الغنى تتجلى في جميع الاعمال وترى احياء العملة في المدن الكبرى كهمبورغ و برلين وكولون لا تشبه غيرها من المدن الفرنسوية مثلاً اذ ترى في تلك البلاد دلائل الحضارة ماثلة والناس يظهرون في اجمل بزة وزي وشارة . وللوالدين مطامع يرجونها لابنائهم و يحثون

عن ايجاد اعمال احسن من اعمالهم . وبالجملة فان الشعب الالماني يرفع اسبابه المادية والادبية عن معدلها السابق في المدن على الاقل

ومعلوم ان كل نجاح مادي لايقوم الا ببذل النفس والنفيس في سبيله فالعامل والسوقة من الالمان يدفعون اجور منازلهم اغلى من ذي قبل وهي جديدة البنيان واذ اصبحوا ينفقون على معيشتهم اكثر اضطروا ان يسعوا في زيادة اجورهم ومداخيلهم وهذا هو السر في قيام الاعتصابات واتحاد الطبقة النازلة مع اهل حزب الشمال الذي يعنى اهله بتحسين حالة الشعب واعطائه من النفوذ السياسي اكثر مما كان له .

زاد نماء الشعب وانتشار الصناعة عنصر سكان المدن في المانيا. فكان سكان برلين سنة ١٨٧١ ٨٠٠ الف فانافوا اليوم على مليونين وصار سكان همبورغ زهاء ٨٠٠ الف وارتقى عدد سكان كولون من ٢٠٠ الى ٤٤٠ الف فزاد عدد سكان المدن الكبرى ثلاثة اضعاف بعد الحرب السبعينية وهو يزيد على معدل ١٥ في المئة كل خمس سنين وليس في الارياف غير ٤٣ في المئة من مجموع سكان البلاد . وانتشرت الديمقراطية في المدن اسرع منها في الضواحي والقرى حيث يعتزل الاصاغر فيضعف امرهم ولا يلتفت الناس الا الى القيام على الزراعة وتربية الماشية اما ساكن المدن فهو اكثر علماً وحركة وحضارة . ويسهل بث الدعوة الديمقراطية في عقول عملة المدن فان اجتماعهم في صعيد واحد من الارض يزيدهم قوة ومضاء . وقد كان الصناع في كل زمن اسرع الى النشوء في الديمقراطية من سكان الريف المزارعين اذ الفلاح في العادة من المحافظين وعامل المدن من الديمقراطيين . هكذا هو الحال الآن وهكذا كان الشأن في قديم الزمان . فقد ظلت اسبارطة منصرفة الى الزراعة وحكمها ارستوكراطياً عدة قرون واصبحت آثينا ديمقراطية منذ انتشرت فيها الصنائع وراجت اسواق التجارة

نوع من نقد الشعر

(قل في رجال الادب قديماً وحديثاً من تكتب لهم الاجادة في النظم والنثر وقد عرف مصطفى صادق افندي الرافعي بين قراء العربية بانه من افراد الشعراء البلغاء ولو انصفوه لوصفوه بالكتابة كما وصفوه بالشعر . والنبذة التالية مقتبسة من مقدمة الجزء الثالث من ديوانه وهو تحت الطبع وفيها نموذج من نثره)

الشعر تصوير عالم حي من المعاني والالفاظ فالجيد من جمله مختصراً من صورة العالم كله . ولا بدّ فيه من شعاع من الروح اذا تجردت له النفس امتزجت لطافتها بلطائفه .

وربما أُخذ المرء بلذة التصوّر فظنها في مكان نفسه وحسب نفسه في مكانه

ونحن ناظرون الى نقد الشعر من هذه الجهة التي يتمثل فيها حيًّا من الاحياء . تتنازع انواعه البقاء . فقد افاض المتقدمون في الاسباب التي يحسن بها ما يحسن من ظاهره و يقبح منه ما يقبح . وجردوا الكتب في طبقات الالفاظ ومخارج الاشعار وسقطات الكلام وألطفوا النظر في وجوه المعاني ومواضعها . واصابوا منها صفة التمكن في مبادئها ومقاطعها . وانك لتجد فيما وضعوه من علوم البلاغة البحر الزاخر بهذه الامواج . والفلك الدائر بتلك الابراج

يرتقي المبتدئ في الشعر من مطلق النظم الذي هو النمط المصطلح عليه في اقامة الوزن الى الفكر فيما يجيء به . فاذا صارت له هذه المنزلة ادته الى الخيال . فاذا ارتفع شيئًا بعد ذلك فهو في جو الروح الذي يسمونه التصوّر وهناك حد الطبيعة القائم . وحجاب الغيب القاتم . فيكون في منزلة بين الوحي والالهام ويمر هناك خاطره على النفوس كما ينتقل على الارض ظل الغمام .

وتلك هي اطوار الشعر من طفولته التي يعبث فيها بكل شيء ولا يفقه شيئًا . الى شبيبته التي يتماسك فيها وقاراً ويندفع . الى شدته التي تعتصم بها الحكمة وتمتنع . الى مشيبه الذي هو نور الجمال . والحظ المقسوم له من الكمال

والشاعر في الطور الاول كالصبي في يده القوس يُغرِقُ في نزعها ما يغرق ثم لا يكون الا ان يسمع لها ارنانًا ضعيفًا فلا هو غلب وهمه . ولا رمى سهمه . فاذا اشتد ساعده وانتقل الى الطور الثاني كان في منزلة بين الخطإ والصواب . فاذا بلغ الى الثالث احكم التسديد . واستوى عنده في الاصابة ما كان من قريب وما كان من بعيد . ومتى صار الى الطور الرابع وهو منتهى كماله حسب توزُّعَ الطير في الجو لمخافته . وتفرق الوحش في البر لمهابته . وصارت هي السهم لانه في اثرها . ولفظته عن القنيصة هي القضاء لانه في خبرها

وما يكن من عيب في الشاعر فلن تجد فيه كتسلط فكره عليه وعبثه بقوافيه فتراه ينظم الكلمة ابياتًا لا معرفة بين اولها وآخرها ثم يجيء بعد جفاف الريق وتخلخل اللسان وانقطاع النفس فيمضي فيها اختياره ويأخذ في التوفيق بينها وهي متنافرة . و يعمل على التعريف وهي لا تزال متناكرة . فمثلُ الكثير من هذا الشعر مثل الكلمة المفردة اذا نطقت بجملتها ادت اليك معناها على اتم ما يكون فاذا فككت احرفها ولفظتها حرفًا حرفًا انقلبت الى قول هراء . ولم تزد على ان تكون اصواتًا ذاهبة في الهواء . واولئك هم الذين قال في شعرهم ابن ميادة انه « كلفة وتملح »

فاذا لم يكن فكر الشاعر عند ارادته ولم تكن ارادته عند اتجاه عواطفه أُخذت عليه

منافذ القول فاختل . واضطربت جهات رأيه فانحل . وصار من نضوب المادة في آخرة امره كمن يكتب بقلم ليس عليه الا مسحة من ردع المداد فكلما كدّه جمد . وكلما هزّه ركد . فاذا كتب مع ذلك جاء الحرف مفرق الجهات لثيماً في الحروف فلا هو كتابة ولا هو محو

ولقد يحار المرء اذا نظر في شعر العرب ورأى الكثير منه لا يتعدى الوزن والتقفية ولكن اكبر حظ القوم من شعرهم ان ينقلوا الكلام الى نمط يتفق مع النغم كما ترى في غناء هذه الايام فهو لا يزيد عن سائر الكلام الا النمط والايقاع بحيث انك لو سمعته وقد جرد من الحانه لخرجت منه على حساب ما دخلت فيه لا طرب ولا عجب .

والغناء على أي وجوهه ينقل النفس من تنقيبها بين الالفاظ عما هو حسن وغير حسن الى تحركها على الالفاظ نفسها . وانما النظم العربي اوزان موسيقية . فكل من جاء بعد العرب من الشعراء لا ينظر الا في اعطاف اللفظ وتلاحم الكلمات وانتظام تلك المعاني القديمة فهو من الجاهلية الثانية وان كان الاولون قد سموا جاهلية لعبادة الاوثان . فهؤلاء لعبادة الاوزان

ويكاد شعر العرب ينحصر في غرضين الشاهد والمثل فقد كانوا لا يطلبون من الشعر غيرهما كما لا يطلبون من الخبر الا الايام والمقامات . وكان ابدع ما يروج عنهم من اجل ذلك مساق الخبر ومضرب المثل ومقطع الحكمة . والحكيم فيهم يومئذ نبي

ومن ههنا تجد مثار الخلاف بينهم في قولهم هذا اشعر الناس في كذا وذلك اشعر الشعراء وغيرهما اشعر الانس والجن . وهلم جرا

وما عدا ذلك ففي شعرهم من الطرف المستنكرة ما يغلظ على الطبع ويثقل على الذوق فمنهم من يشبه وجه الحسناء ببيضة النعام . ومنهم من يشبه جسمه الناحل بأشلاء اللجام . . . الى غير هذا مما تهجنه الحضارة ولهم مع ذلك وجه عذر فيه ومنفسح للوم عنه . وانما ذكرناه مأخذا على قوم جاؤا بعدهم فجعلوا الشعر صوراً من تلك المعاني تخطر في حليٍّ من الالفاظ على اكثرها صدأ الركاكة وغبار القدم . . . فتراجع الشعر بينهم وتعطلت قرائحهم حتى اصبحوا في اتصالهم بهتن اولئك الشعراء كما شبه ابو هفان شعر آل ابي حفصة الذين كان آخر شعرائهم متوّج وكان رجلاً ساقطا وذلك في قوله : (شعر آل ابي حفصة بمنزلة الماء الحار ابتداؤه في نهاية الحرارة ثم تلين حرارته ثم يفتر ثم يبرد . وكذا كانت اشعارهم الا ان ذلك الماء لما انتهى الى متوج جمد . . .)

واعجب شيء رايته في تاريخ الشعر انه كان عصرٌ يسمون فيه المولد (بالرقيق) ثم صار هذا الاسم علماً بالغلبة وأُطلق على الغزل السبط والرثاء السائل ثم عدوا منه انواعًا عرفوها (بالالفاظ الملوكية) وأجروها في بعض التشبيهات والاوصاف وما اليها . كأن الشعر كان

مقضيًّا عليه ان يبقى في الموتى حتى يموت الاحياء . وان يكون اهله نصبًا على جانبي تلك البطحاء التي كان فيها شعراء الجاهلية . ! وحسبك ان اعداء ابن المعتز لم يزروا على غير مجنته وسبكه ولم يحاولوا اسقاطه الا من بينهما وهو بالاجماع في السطح من طبقات الشعراء

ومنتهى الحمق أن يتخذ مولد ذلك النمط الجاهلي فان السر في بقاء شعر الجاهلية والمخضرمين بعد اهله حاجة الرواة والعلماء الى الشاهد منه فلما اسقطوا الاستشهاد بكلام المولدين لما يدخل عليهم من الغلط واضعف الثقة بلغتهم سقطت هذه الطبقة بعلة طبيعية وهي سنة (بقاء الانسب)

والعرب انما ابتدأت الشعر بما كان عندها من جزالة اللفظ واتقان بنية القريض واحكام عرض القافية ونحوها مما هو طبيعة فيهم فكان على من يخلفهم ان يأخذ في زخرف البناء وزينته بعد ان يكون قد تمّ منه ما لم يتم وهو الذي فعله ابو تمام والمتنبي ومن في طبقتهما من اهل القوة والكفاية ثم كان على من يجيء بعد هؤلاء ان يزيدوا من تحف عصورهم ومدنيتها طبقة بعد طبقة حتى يكون ذلك الموضع ديوانًا للتاريخ ترتب فيه العصور . وتقف على ابوابه الدهور . ولكنا نجد الى عهدنا طوائف تنقض ذلك البناء وتقيم على اساسه فلا يلبث ان يقع الاثنان معًا

والشعر اقسام كانت محدودة على ما نوعها ابو تمام في حماسته ثم جاء من تفنن فيها وذهب كل مذهب كابن ابي الاصبع وغيره . وقرأت ان البديع الاسطرلابي رتب ديوان ابن حجاج (١) على مائة واربعين بابًا وواحد . ثم قفى كل بابٍ وجعله في فنّ من فنون شعر الرجل

ولكن الذي قطع بالشعر العربي دونه انما هو النوع الذي يسميه الافرنج بالشعر القصصي ومنه الملاحم الكبرى عندهم كالالياذة وغيرها . والبسيط منه نادر في العربية بل هو في بسطتها كالظل شيء كلا شيء

ذلك لان الشعر العربي روح هذه اللغة وهو من اللطافة بحيث لا يفيء فيه المعنى الا بشعاع من الخيال . فاذا اردت ان تقيم منه حديثًا سويّ التركيب . كامل الترتيب . زوت عليك القافية وتقطع الشعر فلا تدري من اين تأخذ ولا من اين تدع . كالنور اللطيف تحاول ان تلقي عليه كثافة الغطاء فاذا هو منبسط فوق ما تلقي فمهما تأتِ من ذلك لا تكون قد صنعت شيئًا

ورأس هذا الامر عندنا على ما يقول شبيب بن شبة « حظ جودة القافية وان كانت كلمة واحدة ارفع من حظ سائر البيت » فلا بدّ لهذا النوع في لغتنا من وضع جديد يكون وسطًا

---

(١) ابن حجاج هذا رجل من شعراء العراق كان في القرن الرابع للهجرة وكان كثير السخف في شعره يمزجه بلغات الخلديين والمكدين وامثالهم وهو النمط الذي انفرد به

بين النثر والنظم حتى يحمل الالفاظ والمعاني معًا فيتعلق فيه الشعر بالنفس ويمتد السباق على النفَس كما فعل الاندلسيون في وضع الموشحات لحاجتهم التي بعثتهم عليها والعصر يومئذ لهو وترف . والادب مجد وشرف

وأساس هذا الشعر سلامة الذوق فهي الحاسة التي تتجه بها النفس الى المعاني وتنقلب عنها . بل هي العين المركبة في الروح تجمع جمال الطبيعة في نظرة واحدة فتنقله الى الاحساس كما تمدّ العين الباصرة بمرئياتها وهي المخيلة . ومن الشعراء من يكون سقيم الذوق فهو في نظره الى الشعر مع فساد ذوقه كاللص في نظرته الى الحسناء اذا وسوس حليها في سمعه . يغفل منها عما ينتبه اليه الناس وينتبه لما يغفلون عنه

ومن هؤلاء طائفة الشعراء المصنّعين وهم الذين لاحظ لهم الا في (الصنعة الشعرية) وفنونها لا تعد فيجيئون بالقصيدة كلها رقع ثم يتنافسون في هذا التصدير ولا يدرون ان الثوب الساذج من قطعة واحدة خير من هذه الرقع كلها وان كانت من انفس الخز والديباج وانظر ما يكون موقع هذا الثقل من الادباء فقد اراد ديك الجن الشاعر مرة ان يهول على دعبل ويقرع سمعه فانشده بيتًا مضطربًا . . . فقال له دعبل اسكت فو الله ما ظننتك تتم البيت الا وقد غشي عليك او تشكيت دماغك . ولكأني بك في جهنم تخاطب الزبانية او تخبطك الشيطان من المس

والعلة الطبيعية في بؤس الشعراء هي ذلك الاحساس المتصل بالنفس فكلما غمزته المؤثرات تحول منه بمقدار الضغط بخار روحاني ينتشر حولها وذلك هو الشعر . وقد ترى النفس فيه ضوءًا كأنه تبسم القلب الحزين الذي تشابه جلال الطبيعة بجلاله . لانها مخلوقة في رأي النفس على مثاله

وقد يكون للشاعر متسع في غلوه وكبريائه على هذه الطبيعة الا في العواطف التي هي روابط القلوب بالقلوب . وموضع الصلة بين ما في الوجود وما وراء الغيوب . فقد يضرب في كلامه بسيف لم يطبع . ويرمي بقذيفة لم تصنع . ويقطع من خيوط الحياة ما لم يقطع ولكنه فيما دون ذلك لا يقدر ان يذكر الحب من قلب لم يحب . ويثبت للشيء الذي لم يجرِ عليه حكم الوجوب شيئًا مما يجب . فاذا هو فعل اطفأت الطبيعة من روائه . وقامت عواطف الناس شاهدة على كذبه في ادعائه . وقد ذكروا ان كسرى سمع الاعشى يتغنى ذات يوم بقوله :

أرِقتُ وَما هذَا السهادُ المؤرّقُ وَما بيَ منْ سقمٍ وما بيَ معشقُ

فقال ما يقول هذا العربيُّ ؟ قالوا يتغنى بالعربية فأمرَ ان يفسروا قوله فقالوا زعم انه سهر من غير مرضٍ ولا عشق . فقال هذا اذا لص . . . ؟

وللشعر اساليب تنتجها القرائح ولكن جماع القول فيها انها تمثيل للطبيعة فكأن الشاعر ينقل مناظر الارض الى الروح العالية التي ترسل الى الجسم شعاع الحياة فتزيد تلك المناظر في قوة الشعاع الالهي فلا يتصل بالجسم حتى تفيض هذه القوة على القلب فتهزه الهزة التي نعرف منها الطرب

فاي امرىء اجتمعت له قوة التمثيل وسلامة الذوق وهما يكونان عند سعة العقل وسمو الطبع فذلك الذي هو في معناه بين الملاك والانسان وهو الشاعر

مطبوعات ومخطوطات

الموسيقى الشرقي

فن الموسيقى من الصنائع الجميلة التي تضعف في كل امة بضعفها وتقوى بقوتها. ولقد كان العرب ايام حضارتهم يعنون بها كما يعنون بالشعر والادب والتاريخ والفلسفة وعلوم الطبيعة وكان بعض العلماء في امهات المدن لا يتحرجون من الغناء ولا يرون الضرب على العيدان والاوتار وسائر آلات الطرب حطة في قدرهم وثلماً لشرف وقارهم. ولما رغبت الامة عن العلم اياً كان نوعه وزهدت في الضروري من المعارف دع عنك الكمالي اخذ معظم الناس يحتقرون الغناء والموسيقى ومن يتعاطاهما ولا ذنب بعد الجهل.

ولقد الف الموسيقار الفاضل كامل افندي الخلعي من مشاهير ارباب هذا الفن في مصر كتاب الموسيقى الشرقي فعرف القوم فائدة هذا الفن ومركزه من المجتمع وما الى ذلك من وصف الالحان وآلات الطرب ورسومها ومشاهير المطربين والموسيقيين في مصر هذا العصر مشفوعة بصورهم فجاء كتابه غاية ما يكتب لمؤلف في فنه من الاجادة بحيث اصبح المرجع في كل شاردة ونادرة في هذه الصناعة الجميلة الشريفة.

اجاد المؤلف اثابه الله في وضع تأليفه كما اجاد في طبعه واتقان صنعه فجاء في زهاء مائتي صحيفة كبيرة القطع على اجود ورق والطف حرف وهو يباع بعشرين قرشاً مصرياً ويطلب من جميع المكاتب الشهيرة بالقطر فنثني على المؤلف لما عاناه من التعب في وضع مصنفه ونحث كل اديب على مقتنائه فهو زينة المكاتب والقماطر ومن كتب العلم الحقيقي النافع

نظام العالم والامم

للعالم الاديب الشيخ طنطاوي جوهري طريقة تكاد تكون خاصة به من مزج العلوم الحديثة بالعلوم القديمة وتطبيق المعقولات على المنقولات وقد وضع فيها عدة كتب ومنها

هذا الكتاب الذي جعله على خمسة ابواب الاول في الرياضيات وما يتبعها والثاني في الفلك وما يتصرف عليه والثالث في نظام الارض وما اليه والرابع في عجائب النبات والخامس في نظام الحيوان . وفي جميع ذلك تقريب لهذه العلوم من اذهان القاريء ومزجها بما ورد في الكتاب الكريم وروي عن سلف الامة العاملين . والكتاب في ٤٢٦ صحيفة منصفة القطع مطبوع طبعا نظيفا فنحث القراء على اقتنائه ونثني على همة مؤلفه

ابدع ما نظم

جمع الفاضل الاديب يوسف افندي سنو ديوانا في الاخلاق والحكم ما اثر من لطيف الشعر عن القدماء وضم اليه مليناسبه من منظوماته ولاسيما ما اشتمل على اقتباس من القرآن وتحرى مع ذكر القصيدة اسم ناظمها وعصره واجداده وبلاده نابذاً منها ما خالف الشرائع فجاء الكتاب في ٢٣٥ صحيفة تشهد للناظم الجامع بالبراعة في الادب والشعر والكتاب يطلب من مكتبته في شارع محمد علي بالقاهرة وثمنه اربعة قروش فنحث على مقتناه

اسلوب الحكيم

في منهج الانشاء القويم — للفاضل الشيخ احمد الهاشمي وفيه موضوعات انشائية شرعية ادبية وعظية علمية تاريخية اقتصادية طبية طبيعية سياسية زراعية صناعية تجارية جغرافية عمرانية قال في مقدمته : « شرحت فيه مواضع الانشاء العصرية مستنداً في شرحي الى الآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة النبوية وضمنته الجم الغفير من امثال الحكماء وآداب البلغاء » فوقع في ١٨٨ صحيفة صغيرة جيد الطبع

كتب ورسائل وروايات

اهدانا العالم الاستاذ مرجليوث المستشرق الانكليزي المشهور كراسة في المناظرة التي جرت بين متى بن يونس القنائي الفيلسوف وبين ابي سعيد السيرافي مشفوعة بترجمتيهما الى الانكليزية معلقا عليها حواشي تدل على بعد غور ناشرها في علوم العرب وآدابهم

واهدى الينا العالم الفقيه الشيخ محمد بخيت المطيعي « رسالة ازاحة الوهم وازالة الاشتباه عن رسالتي الفونوغراف والسوكورتاه »

والكاتب المجيد سليم افندي سركيس « رواية تحت رايتين »

والاديب البارع نقولا افندي حداد « رواية اسرار مصر »

والاديب ابراهيم افندي شحاده فرح « مكسيم غوركي وثلاث من رواياته »

والاديب الشيخ محمد خالد حسن العمادي الصباغ « رسالة تنبيه الغافلات من النساء المتبرجات »

والاديب احمد افندي شاكر « رسالة مسامرة الوحيد »

والتقرير الثالث السنوي لجمعية تهذيب الشبيبة السورية في بيروت وكان الباقي في صندوقها لغاية يونيو الماضي ٢٥٨ر٤ ١٤ غرشاً صحيحاً

واهدانا الاديب السيد ابراهيم الحسيني كتاب(لسان البيان ومنهل العرفان) وهو في احوال المتصوفة

واهدانا الاديب محمد افندي محمود الرافعي نسخة من « مقامات بديع الزمان الهمذاني » التي شرحها وصححها وطبعها على نفقته بالشكل الكامل وقد رخص ثمنها فجعله اربعة قروش

وطبعت المطبعة الميمنية لاصحابها الادباء مصطفى افندي البابي الحلبي واخويه بكري افندي وعيسى افندي كتاب(شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق)وبهامشه (الاساليب البديعة في فضل الصحابة واقناع الشيعة) ورسالة (سبيل النجاة) ورسالة (جامع كرامات الاولياء) من تأليف صاحب الفضيلة الشيخ يوسف النبهاني

وأهدينا (حواء الجديدة او ايفون مونار)وهي موضوع اجتماعي في قصة غرامية للاديب البارع نقولا افندي الحداد تطلب من المكاتب الكبرى بمصر وثمنها خمسة قروش

الاقلام

« مجلة عمومية تبحث في كل فن ومطلب » لمنشئيها الكاتبين البارعين جورج افندي طنوس ومحمود افندي ابي حسين وهي تصدر مرة في الشهر « و يشترك في تحريرها خيرة الشعراء والمنشئين » وقد تصفحنا الاعداد الثلاثة التي صدرت منها فقرأنا فيها من الآداب المنثورة والمنظومة ما يستفاد منه و يستملح وقيمة اشتراكها ٤٠ قرشاً صحيحاً في القطر و١٥ فرنكا في الخارج فنرجو لها الثبات والنجاح

المنهل الصافي

مجلة ادبية علمية تهذيبية لصاحبها ومحررها الكاتب البارع محمد افندي نجيب الحارتي قسمها الى اربعة ابواب باب الادبيات وباب المقالات وباب تاريخ الشهر وباب المنتقيات تصفحنا الاعداد الثلاثة الصادرة منها فرأيناها تبحث في الاغراض المشار اليها وقيمة اشتراكها ٣٠ قرشاً في مصر و١٠ فرنكات خارجيا وهي شهرية تصدر في ٣٢ صحيفة فنتمنى لها الفلاح والنجاح

كلما زادت المنافسة بين اهل بلد او قطر او مملكة نجم عن ذلك فوائد كثيرة وكلما نافس اهل مملكة مملكة اخرى او جنس جنساً آخر عاد من ذلك الخير على المنافِس والمنافَس. مثال ذلك الجرائد في هذا القطر فقد كان يصدر فيه منذ عشرين سنة جريدتان او ثلاث وادارتها لا تكاد تقوم بالضروري من نفقاتها فلما انشئت جرائد اخرى قال الناس ان الجديد منها يسقط القديم ولكن لم يلبث الجديد ان خدم القديم بعد ان مهد السابق للاحق السبيل

ومنذ ربع قرن لم يكن في مصر سوى جريدة يومية واحدة وهي الاهرام وكان قراؤها لا يتجاوزون الالفين فاصبح اليوم فيها اثنتا عشرة جريدة يومية وقراؤها يعدون بالالوف وهي الاهرام والمؤيد والمقطم واللواء والظاهر ومصر والوطن والجوائب المصرية والامة والبصير والشرق والمنبر. صدر هذا المنبر في الشهر الماضي بالقاهرة لصاحبيه الكاتبين الفاضلين محمد افندي مسعود واحمد حافظ افندي عوض وهما مشهوران بتحرير المؤيد اعواماً طويلة فجاء منبرهما في موضوعه وتنسيقه دليلاً على سلامة ذوقهما وبعد نظرهما في الابحاث الاجتماعية والسياسية فنرحب به ونتمنى له انتشار الكلمة والتأثير الحسن في نفوس قرائه

تدبير الصحة

طعام العامل

انتشر السل هذه الايام انتشاراً غريباً وصرفت المبالغ لصد غاراته فلم تأْتِ بنتيجة وان خففت وطأَته بعض التخفيف واكثر الاسباب التي تدعو اليه الادمان على تعاطي الكحول والعدوى والسكنى في بيوت فسد هواؤُها لعدم وصول الشمس اليها. ومن جملتها الغذاء فان الغذاء الناقص هو واسطة لانتشار السل واكثر ما يقع ذلك لارباب الفاقة والعملة. فانك ترى الواحد منهم يصرف قسماً وافراً من اجرته في غذاء ناقص وقد يتأَتى له بالقيمة نفسها او باقل منها ان ينال غذاء كاملاً فترى الرجل الذي يصرف كمية وافرة من قوته العضلية يأْكل كثيراً من اللحم ويشرب الاشربة الروحية فيخصص الشاب الذي دخله في النهار اربعة او خمسة فرنكات نصفها للشراب واذا دققنا نرى كثيراً من المآكل الباهظة الثمن ليس فيها كمية وافرة من الكالوري (١)

(١) المقدار الذي يصرف من الحرارة لايصال غرام الماء من درجة الى درجة فوقها

ففي ليتر من اللبن٦١٦من الكالوري وفي ١٠٠ غرام خبز ٢٣٥وفي١٠٠غرام لحم١١٧ وفي ١٠٠ غرام بقول ٣١٥٠ فيتبين من هذا ان البقول مع كونها ارخص من اللحم تعطي حرارة اكثر منه بثلاث مرات· وان كيلوغراماً واحداً من المعجنات (طحين وسكر) ليعطي ٤٢٠ من الكالوري اربع مرات اكثر من اللحم · وفي عشر قطع من السكر قيمتها خمسة سنتيمات من الكالوري اكثر من نصف لتر من الخمر الذي تساوي قيمته من ٢٥ الى ٣٠ سنتيماً · ويحتاج الرجل الذي يشتغل بقوة جسمه اذا كان وزنه ٧٥ كيلوغراماً لصرف ٣٦٠٠ من الكالوري بمعدل ٤٨ كالوري بالكيلوغرام فاذا انفق العامل نفقة معتدلة وجرى على الجدول الآتي في كل منها ـ حفظ صحته وطال عمره :

	غرام	سنتيم
خبز	٥٢٠	١٨
لبن	٣٠٠	٩
سكر	٨٠	٦
زبدة	٤٠	١٢
جبن	٤٠	١٠
لحم	٢٠٠	٥٠
بطاطس	٥٠٠	٠٠
(او غيرها من البقول اليابسة)	١٥٠	٨
ارز	٣٠	٢
اثمار	٢٠٠	١٠
قهوة	قدح واحد	٨
خمر	ليتر واحد	٤٠
		٧٣ر١ فرنك

هذا ما قرأته في احدى المجلات الاوروبية وهو يختلف في كل قطر بحسبه ❊

آثار الغبار

توصي المجلات العلمية بالتوقي من الغبار ما امكن وتقول ان غبار الشوارع والسكك الحديدية والبيع والمساكن كلها ضارة تدخل الرئة فنلقيها في خطر مبين على دون انتباه منا وانه قلما ينجو من شرها احد كل النجاة · وقد علم من تشريح الجثث ان تسعين في المئة من

الرئات تكون مرتعاً للسل وان لم يحدث عن ذلك الموت فان نصف السكان في مدينة نيو يورك مثلاً مصابون بمرض في الانسجة الرئوية يختلف شدة وخفة . وبذلك ثبت للباحثين ان جراثيم داء السل الوبيلة لا تنفذ الى الرئة الا بواسطة الغبار على الاغلب . وان هذه الجراثيم يبتلعها ابناء السبيل عند ما يجتازون بدار تهدم وبناية تهد وبمسكن ينفضون من نافذته او امام بابه البسط والطنافس بل يلتقطها الناس في كل مكان تنتشر فيه الجراثيم المعدية في الهواء المستنشق فينتج منها السعال والتهاب الشعب وذات الرئة ومرض الصدر . ولقد شوهد ان كثيرين ماتوا فجأة بينا كانوا مسافرين في الحوافل (الاومنيبوس) او في القطارات اذ قضوا امداً طويلاً في وسط طافح بحامض الكربون وبالجراثيم القتالة . وقد ألفت في انكلترا عصابة تدعو الى تطهير الهواء من الجراثيم واخذت على نفسها مطالبة الحكومة بسن قوانين لحل مسألة الغبار وذلك باكراه الناس والتشديد عليهم في الحرص على نظافة الشوارع وداخل البيوت ورمز هذه العصابة (حفظ الصحة سلامة الانسان)

سم الطوابع

رأى بعض كبار الاطباء ان في تندية صمغ طوابع البريد باللسان ضرراً لا يقل عن التسمم بحال وانه ثبت بتتبع حوادث كثيرة ان أناساً أصيبوا بامراض وانحراف في صحتهم لانهم يبلون الطوابع بريقهم ويقال ان اسباباً كيماوية حملت ذاك الطبيب على القطع بسم الطوابع ولا سيما الانكليزية منها لانها معمولة بصفار (الكروم) (معدن يتكون منه اللون اللامع) او كرومات الرصاص ومن رأي هذا الطبيب ان لا تلقى الطوابع في ايدي الاطفال لان وجهها ايضاً يحتوي على مادة سامة فاذا وضعوها على السنتهم تسمموا بها

سير العلم

نشوء الرسائل

انتدبت بعثة علمية من كلية مدينة شيكاغو للبحث في خرائب بابل فوفقت الى اكتشاف الفي لوح كتبت بالخط المسند البابلي يردّ تاريخ معظمها الى خمسة آلاف سنة قبل المسيح . وقد جعلت هذه الالواح على اشكال شتى من الطول والعرض فكانت صورة اقدمها عهداً كصورة البرتقالة رسم عليها الكاتب بخط غليظ حروف الكتابة ثم حفظها في الشمس ولم يلبث هذا الشكل السمج ان استبدل به غيره وجعلت الرسائل تكتب على أطر مسطحة مستديرة . وفي نحو سنة اربعة آلاف ق . م توصل البابليون الى استخدام الرسائل المسطحة

القائمة الزوايا او المربعة ولم يتحولوا عنها بعد . ومن الغريب ان شكل القرميد في الهندسة ايضاً جرى في نشوئه على مثال الرسائل فكان جانب القرميد باديً بدءٍ مسطحاً محدباً ثم بدا للقدماء ان جعلوها مسطحة من جميع جوانبها

وهنا مجال ليقال ان ما نراه من آثار الارتقاء فنتخيله قد تمَّ في نصف ساعة قد اتت عليه القرون حتى شهدناه على ماهو عليه وقد وجد اولئك العلماء في جانب تلك الالواح القائمة الزوايا التي كانت تستعمل في الكتابة بضعة من الالواح جعلت لاغراض اخرى مثل الالواح التي يكتب عليها الاطفال لعهدنا وكانت مدورة . ومن اغرب اشكال هذه الالواح مااستعمل منها للمراسلة بين المتباعدين منذسنة ٢٤٠٠ ق . م فقد كانت من الخزف يكتب عليها مايراد تسطيره على العادة حتى اذا نقشت كلها تغطى بغطاء رقيق من الخزف ايضاً بحيث يكون المكتوب في مأمن من اطلاع احد عليه ثم يختم المرسل رسالته بخاتمه او يكتب عليها بعض الكلمات تكون عليها عنواناً ثم يجففها في الشمس او في تنور . وانت خبير بما يقتضي هذا العمل من النصب والزمن بحيث لم يكن لاحد ان يبعث رسالته الا في احوال اضطرارية وبواعث قوية — قالته مجلة الطبيعة

الاشتراكية في العالمين

بحث عالم في مجلة المجلات الاميركية في امتداد الاشتراكية في اميركا كما انتشرت في اوربا فقال انها اليوم في العالم الجديد قليلة الانصار والدعاة ولكنها انتشرت انتشاراً هائلاً في النمسا وايطاليا وسويسرا والمانيا واسبانيا ففي المانيا ٣٠٠٨٠٠٠ اشتراكي وفي فرنسا ١١٢٠٠٠٠ اشتراكي وفي النمسا ٧٨٠٠٠٠ اشتراكي وفي البلجيك ٥٠٠٠٠٠ اشتراكي وفي الولايات المتحدة ٤٤٢٤٠٠ اشتراكي وفي استراليا ٤٤١٢٧٠ ويبلغ عدد الاشتراكيين في العالمين القديم والجديد (اوربا واميركا) ٧٦٠١٣٨٤ اشتراكياً يصدرون ٦٣٨ جريدة منها ٧٧ يومية

القوة الكهربائية

قالت المجلة الفرنسوية : اخذ انتقال القوة الكهربائية يدعو الى قلب كيان الصناعة من حين الى آخر وخصوصاً في البلاد التي يتأتى لها الحصول على قوة محركة عظيمة بفضل انحدار المياه فيها . وهذا من شأن بلاد السويد ونروج فان لهما من ذلك الحظ الوافر ولذا لم يغفل اهل تينك البلادين عن استخدام ما خصتهم به الطبيعة من الشلالات فرأت مدينــة لوند ان تستخدم بعض شلالاتها من نهر لاكا لتجهيز الكهربائيــة لعدة بلاد في جنوب السويد

كما تجهزها لمدينة لوند نفسها وتألفت نقابة دانيمركية لابتياع هذه الشلالات واستثمارها . اما نهر لاكا فينبع من جبال ساما لاند ويجتاز ولاية هالاند فينتهي الى لاهولم ويتألف منه في مجراه شلالان عظيمان احدهما واسمه ماجفوس علوه زهاء ثمانية امتار وثانيهما اسمه كانفوس ينحدر من علو عشرة امتار . وستقيم تلك النقابة محطات كهربائية بالقرب من ذينك الشلالين فتنقل الكهربائية بالسلك البحري الى مدينه هلسنكبورغ على الشاطئ الجنوبي من السويد ومن هناك تنتقل بالسلك من تحت البحر وتمر باورسند الى بلاد الدانيمرك وهذه الطريقة في نقل القوة الكهربائية بالسلك البحري من مملكة الى اخرى سيكون منها وسيلة جديدة لانتشار الصناعة الكهربائية لجمعها بين اطراف بلاد السكاندينافيا من حيث الشؤون الاقتصادية

الخطوط الحديدية

كان طول السكك الحديدية في العالم في نهاية سنة ١٩٠٣ ـ ٨٥٩٣٥٥ كيلو متراً منها ٤٣٢٦١٨ في اميركا او ٣٣٤٦٣٤ في الولايات المتحدة وحدها وفي اوربا ٣٣٠٤٢٩ وفي آسيا ٧٤٥٤٦ وفي استراليا ٢٦٧٢٣ وفي افريقية ٢٥٠٣٩ . وطول خطوط المانيا ٥٤٤٢٦ وروسيا في اوربا ٥٣٢٥٨ وفرنسا ٤٥٣٢٦ والامبراطورية الهندية ٤٣٣٨٢ واوستريا والمجر ٣٨٨١٨ وبريطانيا العظمى وايرلاندا ٣٦١٤٨ وكندا ٣٠٦٩٦ وللبلجيكا المقام الاول في كثرة الخطوط الحديديه بالنسبة لمساحة ارضها ففيها ٢٣١ كيلو متر في كل مئة كيلو متر ثم تجيء حكومة ساكس ودوقية باد والالزاس لورين وبريطانيا وايرلاندا وروسيا ونروج

سرعة المناطيد

نشرت احدى الجرائد البلجيكية المنصرفة الى البحث في المناطيد (البالونات) جدولا قالت فيه ان العارفين بتسيير المناطيد في الاجواء لا يشكون في المسافة المعينة التي تقطعها على نسبة قوة الهواء وسرعة المنطاد واليك الجدول في سيرها :

	في الثانية	في الساعة
	متر	كيلو متر
ريح خفيف	٠ر٥	١ر٨٠٠
نسيم ساكن	٠ر١	٣ر٦٠٠
ريح معتدلة	٠ر٢	٧ر٢٠٠

	في الثانية	في الساعة
	متر	كيلومتر
ريح متوسطة	٥ر٥	٨٠٠ر١٩
ريح شديدة	٠ر١٠	٠٠٠ر٣٦
ريح شديدة جداً	٠ر٢٠	٠٠٠ر٧٢
عاصفة	٥ر٢٢	٠٠٠ر٨١
عاصفة كبيرة	٥ر٢٧	٠٠٠ر٩٧
إعصار	٠ر٣٦	٠٠٠ر١١٩
اعصار شديد	٠ر٤٥	٠٠٠ر١٦٢

الطول والثقل

عرض على جمعية علم الحياة الفرنسوية بحث في طول الاولاد وثقلهم تبين منه ان الذكور والاناث ليسوا على معدل واحد في اجسامهم بالنسبة لاعمارهم فالبنات الى التاسعة من عمرهنَّ اصغر جرماً من الاولاد ووزنهنَّ اقلُّ ومن التاسعة الى الثانية عشرة يتقدمنَ على الاولاد في الطول والوزن ومن الثانية عشرة يفقنهم في الطول وفي الخامسة عشرة ينحططن عنهم في الثقل وعند ذلك يبدو بين الجنسين فرق محسوس

الصحة في المانيا

بلاد المانيا من احرص الامم الغربية على مداراة الصحة والنظر في المواليد والوفيات ويؤْخذ من الاحصاءات التي قدمت الى مؤتمر السل الدولي في تلك البلاد ان الوفيات بهذا المرض قلت ٣٨ في المئة منذ سنة ١٨٧٥ فان المصاح التي انشئت لهذا الغرض ولجأ اليها المسلولون قد شفي فيها ٣٤ في المئة فقد مرض في خلال سنة ١٩٠٥ زهاء ٢٦٦٠٠ مريض اغلبهم من العملة وبذلت شركات ضمان الحياة الالمانية من سنة ٩٠١ الى سنة ٩٠٥ نحو ٤٨ مليون فرنك لمقاومة هذا المرض الخبيث واسست هذه الشركات ٣٦ مستشفى فيها ٢١١١ سريراً للنساء و٥٤١ سريراً للاطفال واسست هذه الدور الصحية تحت رعاية امبراطورة المانيا

المجهر الجديد

المجهر لفظة وضعها بعض المعاصرين للمكرسكوب تلك النظارة التي ترى بها الاشياء التي لا ترى بالعين المجردة وقد اخترع اثنان من اهل العلم مجهراً يرى فيه ما لم يكن يرى من قبل باعظم المجاهر واقواها وسماه « اولترا مكرسكوب » ومعنى اولترا المتجاوز الحد اذ يرى

بهذا المجهر الذرات التي هي دیامترمن اربعة ملايين من المليمتر على ان المجاهر القديمة لا يتمكن بها من رؤية ما هو ثلاثة من عشر الالف من المليمتر

تقليد اليابانيين

ذكرت احدى مجلاتهم ان الامة اليابانية غدت في نشوئها الاجتماعي تقلد الاوربيين حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل ولم تقتصر في تقليدها اهل الغرب في افكارهم ومناحيهم فقط بل قلدتهم في كل فرع من فروع العادات والاخلاق حتى اصبح القوم يستعملون في المدن الكبرى كطوكيو واوزاكا بطاقات البريد وافرطوا في استعمالها في مراسلاتهم حتى نفدت من المخازن وايدي الباعة وتناول التقليد نزوع اليابانيين في العهد الاخير الى لبس ازياء الاوربيين والبستهم حتى ان من كانوا منذ سنين يحرصون على البستهم اليابانية القديمة غدوا اليوم يلبسون اللباس الانكليزي والفرنسوي بل والروسي وتعدى التقليد سكان المدن الى سكان الريف والقرى واخذ ابناء الشمس المشرقة يعتاضون عن اعيادهم القديمة بالاحتفالات الغربية ويستخدمون (البيانو) بدل (الكمنجة) وسائر ادوات الطرب القديمة وقد بدأ هذا التقليد قبل حرب اليابان والروس الاخيرة بيد انه اصبح على اتمه بعد ان وضعت الحرب اوزارها وهكذا تأخذ يابان عن الغرب وتعطيه سنة الله في خلقه

القطن الصناعي

اخترع في ايطاليا قطن يستخرج من الياف شجر الصنوبر بعد ان يقلع عن الخشب لحاؤه ويجهز تجهيزاً كيماويًا ميكانيكيًا

الدوار

كثرت اختراعات الادوية الواقية من دوار البحر ورأى احد الالمان اخيراً ان الجلوس على كرسي يكون مقعده معرضًا لاهتزازات سريعة عمودية منحرفة تنشأ عن محرك موضوع تحت الآلة ومناط بالمجرى الكهربائي في السفينة مما يدفع عن الانسان عواقب الدوار ومبدأ هذا الاختراع ان الدوار ألم عصبي يقل ثم يزول باهتزازات المقعد

اداة الصياد

كانت الاشرعة وحبائل الصيد وحبال المراكب معرضة للتلف بسرعة فاخترع في نروج طريقة لطول بقائها ومتانتها وهي ان تغطس في ماء ممزوج بخلاصة البلوط الاميركي الذي يستعمل للصباغ وتبقى ٤٨ ساعة ثم تنشف وتغطس في محلول آخر مؤلف من ماء وبيكورمات البوتاس وملح النحاس وتبقى ساعتين او ثلاثًا فتقوى بذلك على انواع الصدمات وتظل مينة

مستشفى نباتي

اقيم في بروملي على مقربة من لندن منذ نحو ثلاث سنين مستشفى يطبب فيه المرضى على اختلاف ادوائهم وتعمل فيه اهم العمليات الجراحية وهو بادارة الدكتور اولدفلد وثلاثة من معاونيه ومما امتاز به هذا المستشفى على سواه ان تدبير الطعام يجري فيه على الطريقة النباتية اي طريقة الاقتصار على النباتات والبقول دون اللحوم والشحوم ويعتمد في المداواة على اصناف منوعة ولكنها لا تخرج عن حد الثمار من مثل التفاح والكمثرى والتوت الافرنجي والبلح والخوخ وغيرها والدقيق والحمص والعدس والخس والبطاطس والسمن واللبن والجبن والبيض والعسل وهذا المستشفى بناء عظيم عبارة عن عدة قاعات فسيحة ومكان خاص بلعب الكرة تحيط به حديقة غناء يتنزه المرضى فيها سحابة النهار وزلفاً من الليل اذا كان الهواء موافقاً . واذا لم يجب المريض ان يتعرض للهواء كل التعرض يأوي الى الرواق حيث يجد الريح بليلة بما يحيط به من الخضرة . ومن خصائص المداواة بالهواء ان يعمد المرضى بحسب طبيعة المرض الى الاستظلال بشجرة يختارونها من كمثراة او تفاحة او غيرهما مما يلائم حالة المرض . قالت المجلة التي ننقل عنها ولم يمت في هذا المستشفى الى اليوم سوى مريضين احدهما طفل دخله وهو مدنف وثانيهما شيخ مسن جداً

ورق الاريقي

الاريقي نبات ويسمى بالفرنسوية « لابروبير » وقد صنع منه في المانيا ورق يرجى ان ينافس الورق المعمول من الخشب عما قريب والاريقي ينبت بكثرة في اقليم لونبورغ من بلاد المانيا وسوف يحل الورق الجديد محل القديم وسيستعمل ايضاً في صنع الالبسة والاحذية الصحية والصدر الشتوية التي يستعاض بها عن الانسجة الصوفية

اكتشاف زحاف

اكتشف على عمق عشرين متراً في ارض صلصالية من معمل للقرميد بجوار بتربورغ من اعمال انكلترا اكتشاف يهم المشتغلين بعلم مطمورات الارض من النبات وغيره (باليونتولوجيا) وهو عبارة عن بقايا اعظم الزحافات المدفونة حتى الآن واستدل من هيكل عظامها على انه لا يقل طول هذه الزحافة عن خمسة امتار وجسمها اشبه بالتمساح ولكن له ذنب طوله متر او يزيد . والمظنون انه لم يكن لهذا الحيوان ارجل وانه كان له اعضاء تشبهها ولو لم تكن تلك الزحافة بلا رأس لعرفت في الحال حقيقتها والعلماء يبحثون للوصول اليها

مقالات المجلات

طول البقاء

بحث الاستاذ رومبرغ في المجلة الالمانية عما ينبغي للانسان ان يقوم به حتى يطول عمره فقال ان النوم احسن الوسائط لتسكين الاعصاب فقد كان العالم فيرشو الالماني يشتغل الى الساعة الثالثة او الرابعة بعد منتصف الليل وفي الساعة التاسعة يبدأ دروسه فلا ينام الا غراراً ولكن هذا لا يقاس عليه لانه من الشذوذ . قال ان موت الاولاد في الطفولة والامراض المعدية والسل هي من الاسباب الرئيسة في قلة السكان وضعف نسل الانسان وان الارادة اجدى الطرق في إطالة حبل الحياة

الشرقيات وكيتي

نقلت المجلة الفرنسوية عن مجلة لاكونتامبوراري رفيو الانكليزية خلاصة مبحث مهم لكاتبه يوسف علي (١) نقد فيه حياة كيتي ووصف اشتغاله بلغات الشرق وعلومه فقال ان هذا الشاعر الالماني الكبير لم يكتفِ بالتوفر على دراسة الآداب الشرقية دراسة المولع بالموسيقى مثلاً بل درسها درس متبحر فدقق في تاريخ الشرق واساطيره واخلاقه وتقاليده على ما يفهم من الشروح التي علقها على ديوانه وكان منذ صباه مغرماً بقراءة اسفار انبياء اسرائيل ثم اولع بتلاوة ديوان حافظ والقرآن تلاوة مستفيد لا تلاوة متفكه

المرأة في الاجيال القديمة

نشرت المجلة الآسياوية بحثاً للموسيو رفيلو ابتدأه بقوله ينبغي ان يقسم تاريخ الانسانية الى دورين احدهما قامت فيه الاخلاق بتأليف الشرائع وثانيهما غيرت فيه الشرائع الاخلاق ومثل للدور الثاني بشريعة حمورابي في بلاد الكلدان و برعمسيس الثاني و بوخوريس واماسيس في مصر و بيلكورك وصولون في يونان و بالمشرعين العشرة في الرومان . فبين المؤلف حال المرأة في زواجها وارثها وحقوقها على عهد كل مشرع من هؤلاء المشرعين المدنيين كل ذلك بالاستناد الى نصوص مقبولة والفاظ من لغات اولئك الاقوام بنى عليها حكمه واستنتاجه

---

(١) لعله القاضي امير علي العلامة الهندي المشهور ولو لم يتفق اننا اطلعنا على هذه الخلاصة عند اعداد هذه الملزمة الاخيرة من هذا الجزء للطابع لرجعنا الى ما كتبه العالم المنوه بقدره

ترويض الجسم بالتنفس

المقتطف ــ اذا اراد الانسان ان يتمرن على التنفس بالحجاب الحاجز (الصدر مسيج بالاضلاع ومسدود من اسفله بعضلة مصفحة متينة هي الحجاب الحاجز وهو على شكل قبة) فليضطجع على الارض وليحرك بطنه ما استطاع عند التنفس وليمنع صدره عن الحركة ما استطاع بضغط اضلاعه بيديه وبعد ان يتمرن على ذلك مدة ليضع على بطنه كيساً من الرمل لا يزيد ثقله على اربعة ارطال مصرية وليعد التجربة . والتمرن على التنفس باسفل الصدر يكون والانسان واقف او مضطجع او جالس على كرسي ووجهه نحو ظهر الكرسي فاذا كان واقفاً او مضطجعاً فليضع يديه على اضلاعه السفلى بحيث تتماس اطراف الاصابع وليتنفس طويلا وليمنع بطنه وترقوتيه من الحركة ما امكن . والتنفس باعلى الصدر يكون باطالة النفس واجهاد الاضلاع العليا وابقاء البطن ساكناً على قدر الامكان مع عقد اليدين على الرأس . ويمكن التنفس برئة واحدة فاذا اردت التنفس بالرئة اليمنى مثلاً فارفع اليد اليمنى فوق رأسك وضع اليد اليسرى في ابطها وانحن عليها ثم تنفس وافعل عكس ذلك اذا اردت التنفس بالرئة اليسرى فقط

ومن الطرق التي اوصى بها الدكتور هوي كيل لتمرين الجسم بالتنفس قوله (١) قف منتصباً وتنفس تنفساً طويلاً عميقاً ثم اخرج النفس ببطء وسهولة وحاول ما استطعت ان لا تحرك بطنك (٢) اخرج النفس من صدرك وانت تنحني الى الامام ثم تنفس تنفساً بطيئاً (٣) تنفس تنفساً طويلاً ثم اخرج النفس وانت تنحني الى الامام (٤) قف مفرشحاً وخذ نفساً طويلاً حرك به بطنك ما استطعت من غير ان تحرك صدرك ثم اتبع ذلك بزفير سهل بطيء (٥) اجلس على الارض وضع يديك في حضنك وانحن الى الامام ما وسعك ذلك وخذ نفساً عميقاً من بطنك وفمك مطبق ثم ارفع رأسك رويداً رويداً وضع يديك فوق رأسك وخذ نفساً عميقاً من صدرك ولا تتجاوز مدة ذلك كله ست ثوان ثم اخرج نفسك متنهداً في ثانية واحدة . وينبغي ان يكون الهواء نقياً والجسم مجرداً من كل ما يعوق سير الدورة الدموية مثل القبات الضيقة والزنانير والمشدات وسائر الاربطة وان يكون الفم مطبقاً فيمر الهواء في الانف منقى من الغبار مسخناً

اغلاط المولدين

الضياء ــ فيه بحث مطول جليل في ان المجمع على صحته من اللغة هو كلام اهل الجاهلية ومن تلاهم من المخضرمين ممن نشأ قبل عهد الاسلام وهو الذي جمعه اصحاب المعجمات العربية من القرآن والشعر واثبتوه في مصاحفهم ويلحق به ما تلقوه عمن بقي لعهدهم من العرب الخلص

اي الذين لم يختلطوا بالاعجام وهم اهل البادية واما ما سوى ذلك من كلام المولدين وهم اهل الامصار فالمقبول منه ما كان قائله من علماء العربية فاذا اتى باللفظة المحدثة جاء بها على اسلوب العرب وطريقتها . وبعد ان اورد ماوقع لبعض المولدين من اصحاب المعاجم والدواوين والادباء من الاغلاط في الشعر غالبًا مما لا يكاد يخلو منه ديوان من دواوين المولدين ليوجب بذلك التثبت عند النقل عنهم قال انهم لم يكونوا ابعد من اهل هذا العصر عن الخطإ واللحن وان تقدم زمانهم قال ومما ذكرنا في هذا الفصل تعلم مرادنا بما طالما حثثنا عليه من التزام طريقة العرب في الوضع والقصد من ذلك انما هو الحرص على وحدة اسلوب اللغة وتواطؤ قديمها وحديثها على وجوه من الوضع لا تنافر بينها ولا تباين وهذا انما يكون بمتابعة سنة الواضع في صوغ القوالب اللفظية وتفريع بعض المعاني من بعض بحيث تتوفر المجانسة بينها ويتهيأ رد كل فرع الى اصله وهو ما يشف عنه صنيع الواضعين الاولين فيما نقل الينا من الفاظهم الا ما شذ من ذلك

تأديب الاحداث

المشرق — نشر الوصية المعزوة الى افلاطون وهي مترجمة بقلم اسحاق بن حنين الناقل المشهور على عهد الخلفاء العباسيين جاء فيها : ايها الاخوة المحبون للعلم اسمعوا واحفظوا وصاتي فاني كأحدكم كنت لما احببت العلم فاني كاتب لكم مقالة سهلة أُبين لكم المدخل الى العلم بكل صناعة نظيفة التي يتنعم بها ويلذها كل محب متعلم فأول ذلك ان تكونوا طاهرين لا عيب فيكم قبل ان تشرعوا في هذا العلم فانه لا يجب ان تقرب الاشياء الطاهرة الى الاشياء الدنسة ولا الاشياء الدنسة الى الاشياء الطاهرة ولا تعلموا الذين ليسوا طاهرين بل الذين هم اطهار ابرار طهارة حسنة ولا يقرب ذو العيب الدنس من المبرَّإ من الدنس وليعلم انه لا يستطيع مكيال من ماء عذب صاف لطيف يقاوم جب حمأة منتنة ولا تقوى العين الرمدة على خرق شعاع الشمس . لا يكون ادب النفس في بدن قد استجنّ فيه الجهل والشره لا قبح بالعاقل من ان يوسم نفسه عند الناس بالعقل ويأمرهم به وهو خلو منه صفر الادب مرتكب للمآثم . قال وينبغي للاحداث ان يأخذوا طرفًا من الاسباب التي يحتاج اليها في تدبير الحروب وترتيب الصفوف وتعلم المثاقفة والرمي والمصارعة والطلب والهرب من غير استهانة ولا انهاك فيه وليتعودوا ركوب الخيل وجريها والعمل بالسلاح . وينبغي ان ينظروا في الموسيقى فانه من التعاليم الاربعة (وهي التصوير ونحت التماثيل والموسيقى والرقص) حتى يقفوا على المناسبات وتأليف اللحون واصناف ما ينسب اليها من العود والمعرفة بسائر آلات الموسيقى وافضلها الارغن التي عليها ثمانون وترًا مهيأة على الطبائع الاربع

المقتبس

غرة رمضان سنة ١٣٢٤

صدور المشارقة والمغاربة

جول سيمون

١٨١٤ — ١٨٩٦

كان سيمون مثل كثير من رجال الادارة في الاسلام جامعاً بين العلم والسياسة يشبه بعلمه وعقله يحيي بن خالد وزير الرشيد ويحيي بن اكثم وزير المأمون ولسان الدين بن الخطيب وزير بني الاحمر ويعقوب بن كلس وزير العزيز بالله الفاطمي والصاحب بن عباد وزير بني بويه وأبي بكر بن زهر الاندلسي وزير المصامدة وابن سينا وزير شمس الدولة صاحب همذان وعبد الملك بن سعيد وزير يحيي بن غانية الملثم ملك الاندلس وأبو القاسم الحسين بن المغربي وزير العبيديين وصاحب ديار بكر وميافارقين والقاضي الفاضل وزير صلاح الدين يوسف وغيرهم من الافراد في العلم والرئاسة على اختلاف في الطباع والبقاع . لكن هؤلاء الاعاظم تمكنوا من العلم ونشأوا على معاطاة الاعمال بفضل عقولهم وقوة ولوعهم ومترجمنا هذا نشأ وسط أمة

منورة ترغب في التعليم والتهذيب وتنشط القائمين بأمرها فكان له من جودة طريقة العلم أعظم سبب يوصله الى غاية الفضل والفضيلة

ولد صاحب الترجمة من أبوين فقيرين في احدى قرى مقاطعة لوريان احدى العمالات الفرنسوية فلما ترعرع دخل المدرسة وناهيك بما يقاسيه ابناء المعوزين في المدارس للقيام بحاجاتهم المدرسية واداء أجور الدراسة . بيد ان فقره لم يثن من عزمه ودرس في مدرستي لوريان وفان اللتين درّس فيهما بعد. ولما أتم الدراسة عين أستاذاً في مدرسة رين عام ١٨٣٢ وما زال يتقلب في التعليم من دار علم الى دار علم حتى انتهى الى مدرسة السوربون الباريزية الكبرى وعهد اليه تدريس الفروع الحكمية العالية وظلّ طول هذا الدهر حليف فاقة اضطرته أن يشغل أوقات فراغه من التدريس في مؤازرة الصحف وتأليف الكتب فقضى في ذلك تسع سنين أتته بأجزل الفوائد . وقد بدأ أولا يؤازر في مجلة بريتان ثم في مجلة العالمين وما زال يؤازر في الجرائد والمجلات طول حياته فقد ذكروا انه ساعد في كتابة جريدة البريس والسيكل وكان مديراً لهذه من سنة ١٨٧٥ الى سنة ١٨٧٧ وادار شؤون الغولوا من سنة ١٨٧١ الى سنة ١٨٨١ والماتين والفيغارو والطان والديبا وغيرها من الجرائد والمجلات ومنها مجلة البيوت

قالوا ان الاحوال توجد الرجال وهو قول يصدق على سيمون كما يصدق على غيره فلو لم تطرأ على فرنسا طوارىء سياسية هائلة لظلّ سيمون يعلم في المدارس ويكتب في الصحف وينشر الكتب ولكن حب بلاده دعاه الى الدخول في غمار السياسة فخطب في قاعة السوربون بعد سقوط الحكومة الملكية سنة ١٨٥١ داعياً الى الحكم الجمهوري فقال وهو مما اشتهر به كثيراً :

ما جئت لالقي عليكم درساً في الاخلاق بل جئت وعامل الواجب يدفعني ان اكون لكم مثالا تجرون عليه لا أن ألقنكم درساً تحفظونه . جئت لاقول لكم ان غداً تجتمع فرنسا وتلتئم منتدياتها لتندد بما أحدثته الحكومة أو اتقرر عليه . أما أنا فأصرح على رؤوس الاشهاد بانه اذا لم ير الراؤون غير رأي واحد يناقض الاراء ويكون الى التنديد فانا اكون صاحب هذا الرأي لاغيري . اه

فكانت هذه الجملة المأثورة سبباً في تنحيته عن التدريس في السوربون واضطر الى الاعتزال في نانت زمناً انقطع فيه الى الابحاث التاريخية . وبعد فان الثورة الفرنسوية الثانية (١٨٤٨) هي مبدأ دخول سيمون في السياسة فعين بعدها بقليل وزيراً للمعارف والاديان والفنون الجميلة وكان اكبر همه اصلاح التعليم فوضع مشروع التعليم الابتدائي الاجباري ثم استقال ولما كان في مجلس الشيوخ عني أيضاً بمسائل العلم وحاول أن يحول دون نشوب الحرب بين فرنسا وبروسيا فلم يفلح ولما انتخب سنة ١٨٦٣ عضواً في المجلس التشريعي استمال بما رزقه من شدة العارضة وقوة البيان قلوب من كانوا عليه إلباً حتى صاروا من أعز أنصاره فعرفه قومه بانه من أشد أعوان الفقيرات من النساء وداعية الحرية الدينية ومصلح حال العملة والعلم والتعليم . وعين أيضاً عضواً في المجمع العلمي الباريزي وهو المجمع المؤلف من أربعين عالماً من كبار علماء الفرنسيس وسنة ١٨٧٦ تولى رئاسة الوزارة كما تولى رئاسة عدة جمعيات وحفلات سياسية وعلمية وأدبية .

هذا هو الرجل العظيم الذي جمع في جنبيه العلم والعمل فكان العلم والتهذيب اكبر دافع له الى مقاومة أنصار الباطل والصبر على المكاره فيما

يلقاه من فقر وقلة ولم يتنازل عن مبدإه الذي ثبت عليه طول حياته . وأنت ترى بهذا النظر ان لسيمون من حيث السياسة والعلم شركاء ونظراء ليسوا بقلائل في كل أمة مرتقية لهذا العهد وانما سمت منزلته منزلة من عداه بالاخلاق الفاضلة والتفاني في خدمة الانسانية والمدنية . عاش من شق القلم وظل كذلك طول حياته بعد ان خطبته المناصب ورقي درجات العلى ولو أسف قليلا للتنازل عن مذهبه في الاخلاق لاصبح في رئاسة الجمهورية وعد من كبار ساسة الارض كما هو من اكبرهم في العلم والعمل ولقضى حياة طيبة خصوصاً في اخريات أيامه فقد ذكروا انه كان يكتب في الصحف ليعيش بما يكتب حتى ان احدى الصحف الكبرى نشرت مقالة من قلمه كان بعث بها في خلال مرضه ليأخذ أجرتها فصدرت يوم وفاته .

يعد سيمون من مؤسسي الجمهورية الثالثة الحالية ومن أشد أنصار التكافل الاجتماعي كما يعد رأساً في الكتابة والخطابة. وكتبه ومقالاته وخطبه ومقاماته تعد بالمئات وأول كتاب نشره « الواجب » و« الدين الطبيعي » و « الحرية الدينية » و « الحرية السياسية » و « الحرية المدنية » وهذه الكتب الثلاثة الاخيرة موضوع واحد قسمه ثلاثة أقسام وأراد بها تعليم الجمهوريين وتنشئتهم على حب الجمهورية واشرابها قلوب الامة. ونشر أيضاً عدة كتب مثل « كتاب الفلسفة » و « الطبقة العاملة » و « المدرسة » و « اصلاح التعليم الثانوي » و « الوطني الصغير » و « موت سقراط والفلسفة الاسكندرية » و « المرأة في القرن العشرين » و « التعليم المجاني الاجباري » وغير ذلك من الاعمال العلمية النافعة وكلها دالة على روح فاضلة ونفس شريفة طاهرة تألم للظلم وتطمع في الاهابة بالانسانية الى حظيرة التعاضد والتكافل وتنزع الى اصلاح

حال البائسين اليائسين .

والناظر في كتبه يقرأ فيها أحسن ترجمة لحياته فقد كان على ما يظهر منها متديناً تدينا معقولا مازجته الحكمة والاعتدال فصح أن يدعى فيلسوفاً إلهياً وهو ممن نحتاج الى أمثالهم في مثل هذا القرن الذي قل الاعتدال في أهله فمن متدين غر جاهل لا يدري من أحوال العالم شيئاً ومن متعلم ينكر كل ما يقره المتدينون ويعد حطة عليه أن يتنزل الى ما لا يفيد بزعمه .

ألا أكرم برجل كسيمون بل اكرم ببلاد رفعته من حضيض قرية حقيرة كان فيها فلاحا خاملا الى منصة العلم والوزارة فصار عضواً عاملا في أمته بل اكرم بمبادىء صالحة وعلم صحيح سار على منهاجها فعف عن مالها وعاش عيشة حرية بمن يكتب في الحرية الحقيقية ويدعو الناس اليها عاش عيشة من وافق علمه عمله فكان العالم العامل والسياسي المحنك والغيور الصادق والنزيه المستقيم والحكيم العاقل . وقد كافأته أمته بان نصبت له تحت رعاية الجمهورية تمثالا في باريز خطب في الاحتفال به عظماؤهم في يونيو سنة ١٩٠٣ ورددوا أعماله وتأثيراته في عالم السياسة والعلم وأثنوا خصوصاً على طيب أخلاقه وفضيلته العملية

مملكة العربية

اللغات من أحكم الصلات بين البشر ومن أقوى عوامل النهوض والارتقاء وعلى نسبة انتشار لغة الامة يكون نفوذها في سياستها وآدابها وصناعاتها وكل أمة زهدت في لغتها أو تخلت عنها ولم تجر في ترقيتها مع الزمن تغلب على أمرها ويفنى كيانها . يقول أحد العارفين اذا استعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها . وكان نابوليون يقول علموا الفرنسوية ففي تعليمها خدمة الوطن . وباللغة قامت الوحدة الاميركية والايطالية واليونانية والالمانية والصربية والرومانية والبلغارية فنجت هذه الامم بلغاتها من استعباد عداتها .

جاء القرآن على ما فيه من قواعد التشريع والاعتبار بالامم الخالية حاوياً قاعدة من اهم قواعد العمران واعني بها الدعوة الى توحيد اللغة فقضى على كل مسلم على اختلاف الاجناس ان يتعبد بالقرآن ويتلوه بلغته الاصلية فانتشرت بذلك العربية في القاصية والدانية وأخذ ابن الصين يتفاهم مع ابن مراكش بالعربية على بعد الديار

ولقد قامت الحكومات الاسلامية على اختلاف لغاتها بهذه اللغة وجعلتها لغة دواوينها وكتبت بها رسائلها وخطبها ومراسيمها . فجعلت حكومات الفرس والديلم والترك والبربر والكرد والجركس لغة العرب لغتها ولم تتخلف عن هذه القاعدة في العصور المتأخرة إلا بعض الحكومات جعلت كل منها لغة أسرتها المالكة لغة رسمية لبلادها فاستغرب هذا منها حتى خاصة أهلها

كان يرجى لمصر أن تكون كعبة العربية في العهد الاخير يحج اليها الطلاب

من أقطار العالم لو جاء بعد محمد علي رأس الاسرة الخديوية من أنجز العمل الذي كان وضع أساسه وتوفر على تعهد النبتة التي غرسها وأعوانه من الافرنج في بث ملكة العربية ونقل العلوم الضرورية اليها من لغات الاعاجم ولو دامت تلك النهضة سائرة سيرها الاول لكان لمصر حضارة عربية صرفة لم تمازجها عجمة الافرنج

نعم ان تعلم لغة قوم تحببهم الى نفس المتعلم في الغالب فمن تعلم الافرنسية كان محباً للفرنسيس ومن أحكم الانكليزية شغف بالانكليز ومن شدا الالمانية أعز الالمان ولكم رأينا أوروبياً تعلم العربية فاصبح يكرم العرب ويغار على مصلحتهم وآدابهم وبلادهم ولا غيرة ابنها العربي البحت .

أقول هذا وأنا على يقين من ان لغة القرآن قد خدمها علماء المشرقيات من الغربيين اكثر من خدمة خاصتها ورؤساء حكوماتها لها فطبعوا لها من نفائس الكتب وامهاتها واقاموا لها محافل ودروساً وسافروا في تعلمها وبذلوا في سبيلها البذول منذ وجهوا وجهتهم قبل المدنية الاسلامية حتى ان اول الكتب التي طبعت بعد اختراع الطباعة في القرن الخامس عشر للميلاد كانت كتباً عربية من مؤلفات ابن سينا والرازي وابن رشد وغيرهم من فلاسفة الاسلام . ودامت تلك الروح تسري في جسم الحضارة الغربية حتى صار اليوم من علمائهم المختصين بدراسة لغتنا من يحسنون التكلم والتأليف فيها إحسان خاصتنا لها رأيت منهم الاميركي والانكليزي والالماني والافرنسي والنمسوي والاسوجي والهولاندي والروسي وكلهم محل الدهشة والاستغراب وشهدت من حميتهم وغيرتهم على لغة القرآن مالا اجد بعضه عند كثيرين من خاصتنا

وليس في اهل الاسلام اليوم مثل اهل فارس عناية بالعربية وآدابها لانهم لم ينسوا فيما احسب ان تعلمها من الدين وان من ناهضها ووضع السدود في سبيل سيرها فكأنما ناهض الدين وعاق دعوته عن الانبعاث ولذلك كان تعلمها عندهم على حصة موفورة . وقد يجيد متعلمهم فهمها وكتابتها إجادة العربي القح . ولا عجب فللفرس في تاريخ النهضة الاسلامية القديمة اثر مشكور على غابر الدهور

ومع ان التعليم في مصر غدا انكليزياً والاساس الذي قامت عليه نهضة العربية في اوائل القرن الماضي ترك وبني على غيره لا تزال العربية بالنظر لوحدة اللغة في القطر ولما وقر في النفوس من ان الازهر اعظم مدارس الاسلام في الارض وان فيه جهابذة علماء ولما ينفخه فيها نوابغ البلاد المهاجرين اليها — مع كل هذا لا تزال مصر موطن العربية من هذا الشرق العربي وفيها تصدر اهم المطبوعات والصحف العربية ولا يبعد ان يكون لها شأن غير شأنها الحاضر في المستقبل القريب وان قل تخرج النوابغ من ابنائها وإحكامهم ملكة اللسان العربي الاحكام الذي يسهل عليهم التأليف والانشاء والخطابة وقرض الشعر والتمييز بين صحيح الكلام وفاسده

وكانت قويت ملكة العربية في سورية بما قام في بيروت من المدارس الكبرى منذ اربعين سنة ولما استبدلت تلك المدارس اللغات الافرنجية باللغة العربية وجعلوها لغة التدريس والخطاب عاد حب لغات الاعاجم فاستحكم من النفوس خصوصاً بعد ان ايقن كثيرون من اهل الفئة التي هي اجرأ السوريين على الهجرة للاتجار والكسب ان العربية لا يأتي تعلمها بمال يعود على صاحبه بالرفاهية فلا تنفع في الماديات نفع اللغات الاوربية لهم في ذلك .

اللهم إلا تلك الفئة الفاضلة من كتاب السوريين في أميركا ممن أنشأوا الصحف وأخذوا يسعون جهدهم في بث ملكة اللسان العربي بين المهاجرين في مهاجرهم كما يعنى مهاجرة الالمان في الاحتفاظ بلغتهم في وسط بلاد الولايات المتحدة .
قلت ان ملكة العربية ضعفت في بلاد الشام ويكفي انك تجتاز البلد والبلدين ولا تجد من يحسن الكتابة والقراءة بلا غلط بل انك لتستقري حال المئة الف نسمة في حواضر مدن الشام ولا تجد فيها خمسة يكتبون على وجه الصحة . وهكذا الحال في العراق ونجد والحجاز واليمن . وللشعر في هذه الاقطار الاخيرة أثر من الآثار القديمة اكثر من النثر ولا عبرة بالافراد فهم لا يتجاوزون عدد الانامل في هاتيك الديار التي كان يعد رجالها بالمئات في العصور السالفة . والافراد ليسوا معياراً في هذا الباب

ومن اهل الاقطار التي يعنى أهلها بالعربية على عجمتهم مسلمو قافقاسيا والهند فان تدريس العربية في مدارسهم وكتاتيبهم شائع كل الشيوع وهم معتقدون ان في تعلمها تعلم الدين . من أجل هذا رأينا كثيرين من أهل النهضة فيهم في العهد الاخير طافوا بلاد الشرق العربي للبحث عن طريقة سهلة تمكن ناشئتهم من إحكام العربية في أقرب مدة ومن أيسر السبل ولما يئس بعضهم من وجود بعض أفراد توفرت فيهم هذه الشروط من أبناء جامعتهم ليغنوا الغناء المطلوب عمدوا الى اختيار أساتذة هم في الاصل أعاجم على نحو ما فعلت كلية عليكدة في الهند وأقامت انكليزياً يعلم العربية على طريقة اللغات الاوربية تسهيلا على المتعلمين من ابنائها

وحال القطر التونسي فيما أرى من إحكام ملكة العربية حال سورية حذو القذة بالقذة ولعل الناشئة المتمكنة من آداب القوم يكثر عددها فيعملون

وجرائدهم ومجلاتهم وجمعياتهم على النظر في ترقيتها بينهم. أما الجزائر ومراكش فما إخالهما يعرفان من العربية إلا بقدر ما يعرف منها أهل مالطة او اكثر بقليل. دع أهالي شنقيط فانهم أعظم أهل الارض عناية بالعربية وحفظاً لدواوين شعرائها وخطبائها فقد تجد الطفلة تحفظ من اسفار الادب ما لا عهد للخاصي به عندنا ولكن نظرهم في الادب والشعر نظر مجرد لا محل للعمل فيه. وهناك بلاد اسلامية كزنجبار ورأس الرجاء وجاوه وبعض مدن الصين وافغانستان وبخاري فانها ضعيفة في عربيتها ضعف الترك فيها

وبعد فان من رأي توفر الغربيين على دراسة العربية يكاد يوقن بان هذه اللغة لا تحيا الا على أيدي هؤلاء الافرنج فقد جعلوا لها المقام الاول بين اللغات الشرقية ولم يحسبوها من اللغات الميتة وأحيوا من مآثر الاسلاف ما يبيض الوجوه وينمي على الاخلاف وناءهم وتقاعسهم

وأقدر الامم الغربية على تلقف العربية فيما أحسب الشعب الجرماني فان فيه رجالا يلفظون ويكتبون على مثال كتاب العرب انفسهم ويليهم في باب العناية بها على ما أرى الانكليز والاميركان والنمساويون والفرنسويون والهولانديون والروسيون والطليان والاسبان. وكان الفرنسيس فيما مضى في مقدمة الامم بالاشتغال بالعربية ولا سيما في عصر العالمين دي ساسي وكاترمير فاصبحوا اليوم في وسطها

ولا يبعد اذا دام الفرنجة على تمهد هذا اللسان بطبع كتبه ودراسة أصوله وفروعه أن يهاجر ابناؤنا الى بلادهم بعد ليتلقوه عنهم اذا دمنا على خمولنا وتخلفنا. ولولا بعض كتب قديمة تحيا بالطبع اليوم لقلنا بالنظر لما نراه من ندرة المطبوعات العربية العلمية انه سيجيء يوم نأخذ فيه عن الافرنج حتى

أصول ديننا. ومن الاسف ان جماع ما ينشر من تآليفنا منذ سنين لا يتعدى الروايات والهزليات أما كتب الجد كالفلسفة والتاريخ والرياضة والطبيعة والاقتصاد والاجتماع فلا محل لها من الاعراب في جملة أعمالنا .

ولعل العربية في هذه الديار لا تمنى بما منيت به في سائر الاقطار فيكثر في ابنائها المتأدبون بآدابها وان قل عدد النوابغ أي يعم تعلمها اكثر مما يخص. وعندي ان الرجاء معقود على الاكثر بالمجلات والجرائد اذا صرفت العناية بانشائها واختيار موضوعاتها فهي هي المدرسة الكبرى للامة وتأثيراتها متصلة باتصال صدورها وهي تبعث على المطالعة اكثر من الكتب . وما دام القرآن يتلى بلسان العرب فسيبقى أثر له في البلاد الاسلامية كافة وتضعف ملكته الحقيقية بضعف العمل به من دراسة آدابه

الملاهي وادوات الطرب

عند الاندلسيين من العرب

ذكر المقتبس في الصفحة ٢٩٨ من هذه السنة نصاً للشقندي في أدوات الطرب التي كانت معروفة في عهد المؤلف في اشبيلية . الا ان بعض أسماء تلك الملاهي لا توجد في دواوين لغتنا ولا ذكر لها في كتب أهل الفن . ولما كنت قد كتبت رسالة في هذا الموضوع وكنت قد أصلحت فيها نص الشقندي اجابة لطلب أحد الادباء اذ ان النساخ قد أفسدوا بقلمهم ما غمض من تلك الالفاظ رأيت الآن ان ادرج هذا الاصلاح واشرح تلك الكلمات العويصة لتتم الفائدة . فأقول :

أما الخيال وهو أول أدوات الطرب التي ذكرها الشقندي فهو تمثال

معضّى يتخذه أهل اللهو في العابهم ويحركونه حركات مختلفة مضحكة بخيط أو بزنبرك خفي وهو الذي يسميه البعض بالكركوز أو العيواظ وبالفرنسية Marionnette, polichinelle قال في شفاء الغليل في مادة بابه ص ٥٠ وبابه احدى بابات الخيال اما لخيال جعفر الراقص واما لخيال الازاد . وجعفر اسم الذي اخترع الخيال الراقص . اه

والكريج (وصحيح روايته والكرج) وهي « تماثيل خيل مسرجة من الخشب معلقة باطراف اقبية يلبسها النسوان ويحاكين بها امتطاء الخيل فيكررن ويفررن ويثاقفن » وهي من آلات الرقص (عن ابن خلدون في المقدمة ص ٣٧٤ من طبعة بيروت الاولى) وبالفرنسية يسمى الكرج Carrousel; chevaux de bois.

أما العود فمعروف فلا حاجة الى زيادة تعريفه وبالفرنسية Luth

أما الروطة فلا ذكر لها في كتب اللغة وهي معربة عن الاندلسية rota أو rotta وهي ضرب من الرباب كان يتخذها الشعراء المتجولون ليوقعوا عليها ألحانهم وأغانيهم واول من اتخذها الغلطيون . وهي بالفرنسية rote او rotte

والرباب مذكورة في معاجم اللغة فلتراجع وبالفرنسية rebec

وكذلك القانون فهو اشهر من أن يذكر وبالفرنسية Harpe

اما المؤنس فهو قربة يركب فيها مزمار يتخذها اهل البادية في ملاهيهم واغلب ما تكون في مزمارين. ولعل اللفظة من اصل اسباني يقابلها بالفرنسية Musette او Cornemuse وهذه اللفظة العربية لا توجد في كتب اللغة الا انها اليوم مشهورة في بلاد العرب بهذا المعنى

والكثيرة مصحفة عن كيثرة Cithare وهي في القديم نوع من الرباب

ويراد بها اليوم ضرب من السنطور تنقر اوتارها بالاصبع .

والقنار (وصحيح روايتها القثار) هي guitare بالفرنسية ويراد بها آلة ذات ستة اوتار ولها يد مقسومة الى انصاف الحان مركب عليها دساتين .

والزلامي : « نوع من المزمار وهو شكل القصبة منحوتة الجانبين من الخشب جوفاء من غير تدوير لاجل ائتلافها من قطعتين منفردتين كذلك بانخاش معدودة ينفخ فيها بقصبة صغيرة توصل فينفذ النفخ بواسطتها اليها وتصوت بنغمة حادة يجري فيها من تقطيع الاصوات من تلك الانخاش بالاصابع مثل ما يجري في الشبابة » (عن ابن خلدون بحرفه في الص ٣٧٠ من الكتاب المذكور) والزلامي تصحيف الزنامي نسبة الى زنام وهو زمار مشهور كان عند هرون الرشيد يضرب به المثل في حسن صناعته . قال الشريشي : « زنام هو الذي استنبط الناي وهو المزمار الذي تدعوه عامتنا في المغرب الزلامي صحفوه بابدال نونه لاما وانما هو زنامي » . اه

اما الشقرة والنورة فقد عرفهما المؤلف نفسه بقوله : « وهما مزماران الواحد غليظ الصوت والآخر رقيقه » .

والبوق ايضاً معروف . وقد ذكره ابن خلدون في المقدمة ص ٣٧٠ بقوله : وهو بوق من نحاس اجوف في مقدار الذراع يتسع الى ان يكون انفراج مخرجه في مقدار دون الكف في شكل بري القلم وينفخ فيه بقصبة صغيرة تؤدي الريح من الفم اليه فيخرج الصوت ثخيناً دوياً وفيه انخاش ايضاً معدودة وتقطع نغمة منها كذلك بالاصابع على التناسب فيكون ملذوذاً. » اه

ثم تطرق الشقندي الى ذكر اصناف الملاهي والرواقص وحسن انطباعهن وصنعتهن وانهن احذق خلق الله باللعب . ومن انواع العابهن اللعب

بالسيوف وهو معروف

والدك (وصحيح الرواية الدكر بدال مهملة مكسورة بعدها كاف ساكنة) هو نوع من الرقص او اللعب يعرفه الزنج والحبش ولا يزال الزنج في البصرة يلعبونه في عهدنا هذا وهو النوع المسمى بالفرنسية Kalenda

واخراج القرى. (وصحيح الرواية واخراج القزى بزاي في الوسط جمع قزة كعزى جمع عزة. والقزة الحية) هو نوع من اللعب يعمد المشعوذ او اللاعب الى كيس او جراب ويريه للحاضرين انه فارغ وبعد ان يتلو عليه بعض الآيات يخرج منه حيات او قزى او حبالا او خيوطاً وغير ذلك. وكل هذا من أعمال المشعوذين يستلزم خفة عجيبة ومهارة غريبة في اللاعب وربما اخرج من الكيس محابس وخواتم وحلقاً ونحو ذلك.

والمرابط. يعني واخراج المرابط وهو جمع مربط وهو ما يربط به الدابة. والمعنى واضح مما تقدم شرحه

والمتوجه. والاصح الفتوخة وهي جمع فتْخة او فتَخة وهي خاتم كبير يكون في اصابع اليد والرجل او حلقة من فضة كالخاتم لا فص فيها فاذا كان فيها فص فهو الخاتم. ومن ثم فيكون اخراج الفتوخ من قبل اخراج القزى والمرابط

هذا ما اردنا ايضاحه في هذا الباب حرصاً على كلام المؤلف من التصحيف والتحريف وربك فوق كل علم عليم

بغداد احد قراء المقتبس

الفرس

معربة عن كتاب تاريخ الحضارة

دين زردشت

ايران — بين نهري دجلة والسند و بحر الخزر والخليج الفارسي صقع عظيم يعرف ببلاد ايران تبلغ مساحته خمسة اضعاف مساحة فرنسا او تزيد ولكن معظمه مجدب قاحل فهو يتألف من صحارى رمال محرقة ومن انجاد باردة قارسة تشقها اودية عميقة شجراء وتحيط بها جبال شاهقة. واذ حيل بين الانهار وجريها فهي لا تسير الا ريثما تضيع في الرمال او في بحيرات مالحة. و يشتد هواء هذه البلاد و ينقلب فيكون حرّاً في الصيف وقرّاً في الشتاء وقد يجتاز من يهبط هذه البلاد من منطقة تبلغ درجة حرارتها نحو ٣٢ تحت الصفر الى منطقة حرارتها ٤٥ سنتغرادا بمعنى ان تلك البلاد جمعت الى بردسيبيريا حرارة السنيغال. وهناك تعصف الرياح الزعازع فتفعل في الاجسام فعل الحسام. بيد ان الاودية وضفاف الانهر مخصبة منبتة. وهذه البلاد هي ولا جرم مصدر الدراق وشجر الكرز ومستنبت الثمار والمراعي

الايرانيون — سكنت بلاد ايران قبائل من الآريين (١)(القاطنين ببلخ اي بكتريا وهي الوطن الاصلي للجنس الآري) كانوا كسائر ابناء هذه البلاد جنساً من الرعاة المسلمين المحاربين. ولقد كان الايرانيون يقاتلون على ظهور الخيل و يطلقون السهام و يلبسون البسة من الجلد يجعلونها وقاية على ابدانهم من هواء بلادهم الشديد.

زردشت — عبد الايرانيون اولا ما عبده قدماء الآريين من قوى الطبيعة وخصوصاً الشمس « ميترا » وقام بين اظهرهم حكيم اسمه زردشت (مه اباد وله كتب كثيرة منها ما له علاقة بالشريعة ثم ظهر زردشت واصلح هذا الدين) و يدعوه الافرنج زرواستر فاصلح ديانة الايرانيين بين القرن العاشر والسابع قبل الميلاد ولم يبلغنا من اخباره غير اسمه.

الزاندافستا (الزندو بازندوافستا) — لم يبق شيء مكتوب يؤثر عن زردشت ولكن تعاليمه المؤلفة بعده بزمن طويل قد حفظت في الزاندافستا اي الشريعة والاصلاح وهو كتاب الفرس المقدس. وقد كتب هذا السفر بلغة قديمة لم يفهمها اتباع هذا المذهب انفسهم ودعوناها

---

(١) ما كان في هذا الفصل بين هلالين هو في الغالب من املاء العالم الدكتور مرزا مهدي خان زعيم الدولة ورئيس الحكماء صاحب جريدة حكمت الفارسية الغراء بمصر واليه رجعنا في تصحيح بعض الاعلام

اي الافرنج بازند » وكانت تنقسم على ماورد في اساطيرهم الى احدى وعشرين نسخة كتبت على اثني عشر الف جلد ثور ضم بعضها الى بعض باسلاك من الذهب وابادها المسلمون لما فتحوا بلاد فارس واحتفظت بعض اسرات ايرانية بتعاليم زردشت واخلصوا دينهم له فلجأوا الى بلادالهند لحفظ فيها اخلافهم المدعوون بارسيس تلك الديانة القديمة. وقد وجد عندهم سفر تام من الزاندافستا وقطع من الكتابين الآخرين

اورمزد « هرمز وهرمس » واهريمن « رمز الى العقل والنفس وعند العامة اله الخير والشر »هذه ديانة زردشت على نحو ما ورد في تلك الكتب الا ان هرمز الذي يدعوه الافرنج اورمزد وهو الديان الذي لايخفى عليه شيء خلق العالم والقوم يصلون له بهذه الالفاظ: ادعو الخالق هرمز واحتفل بشعائره فانه النور والضياء عظيم رحيم كامل شهم ذكي جميل سام طاهر يعرف العلم الصحيح مصدر اللذة وهو الذي برأنا وصورنا واطعمنا » واذ كان على جانب من الصلاح لم يخلق الا ماهو كذلك وما يرى في العالم من شر فقد برأه رب الشر انكرامانيو اي روح العذاب وندعوه اهريمن (وديو اي شيطان)

الملائكة والشياطين ـ يقف اهريمن الشقي المخرب قبالة هرمز الباريء الحليم ولكل منهما طائفة من الارواح فجنود هرمز هم الملائكة المطهرون « يازاستا » وجنود اهريمن شياطين خبثاء (ديو) و يسكن الملائكة في الشرق في ضوء المشرق والشياطين في الغرب في ظلمات الشفق وكلا الجيشين لا يزالان في حرب دائمة والعالم ساحة قتالهما لان كليهما حاضر في كل مكان فيسعى هرمز وملائكته الى الاحتفاظ بالخلق واسعادهم وصلاحهم و يطوف اهريمن وشياطينه حولهم لاهلاكهم وسوء طالعهم وطلاحهم

خلائق هرمز واهريمن ـ كل حسنة في الارض هي من صنع هرمز وتستخدم للخير فالشمس والضياء اللذان يطردان الليل والكواكب والشراب المخمر الذي يتراءى كأنه ضوء سيال والماء المروي للانسان والحقول المزروعة التي تغذيه والاشجار التي يستظل بها والحيوانات الاهلية والكلب والطيور منها خصوصا ما يعيش منها في الضوء ولا سيما الديك لانه يبشر بالنهار هذه كلها برأها هرمز. وعلى العكس ينبعث كل ما يضر من اهريمن فيكون شراً مثل الليل والجفاف والبرد والقفر والنباتات السامة والشوك والحيوانات الكاسرة والافاعي والحلمات الطفيلية (كالبعوض والبراغيث والبق) والحشرات التي تعيش في الجحور المظلمة كالضبان والعقارب والضفادع والجرذان والنمل ـ وهكذا تنبعث الحياة والطهارة والحقيقة والعمل وكل ما حسن في عالم الاخلاق من هرمز. والموت والقذارة والكذب والكسل وكل ما خبث وساء ينبعث من اهريمن

العبادة ـ مصدر العبادة والاخلاق من هذا الاعتقاد فعلى المرء ان يعبد رب الخير (١) ويناضل عنه . يقول هيرودتس : ان من عادة الفرس ان لا يقيموا هيا كل ومعابد ومذابح للارباب ويعدّ من أتى ذلك كافراً بالنعمة لان هذه الامة لا تعتقد اعتقاد اليونان من ان للارباب صورة على نحو صورة البشر . وان هرمزليبدو بهيئة النار او الشمس ولذا يحتفل الفرس بعبادتهم في الخلاء على الجبال امام موقد مشتعل فينشدون الاناشيد تمجيداً لهرمز ويذبحون له الحيوانات (كذا) دليلا على عبادته

الاخلاق ـ ناضل الانسان عن هرمز محسناً لعمله مقبحاً لعمل اهريمن فيجاهد في الظلمات وهو يمدالنار بالحطب الجاف والعطور ويجاهد في القفر بحرث الارض وابتناء البيوت ويجاهد حيوانات اهريمن بقتل الحيات والضباب والحلمات الطفيلية والحيوانات الكاسرة ويجاهد الدنس وذلك انه يتطهر ويدفع عنه كل ما مات وخصوصاً الاظافر والشعور وحيثما وجدت الشعور والاظافر المقصوصة فهناك يجتمع الشياطين والحيوانات القذرة . ويجاهد الكذب جارياً على قدم الصدق . قال هيرودتس ان الفرس يستقبحون الكذب وهو عندهم عار وسبة كما انهم يكرهون الاستدانة لان المديون يكذب بالضرورة . ويجاهد الموت وذلك بالزواج والاستكثار من الولد . جاء في الزاندافستا ما اقبح البيوت التي حرمت من النسل والذراري

الجنائز ـ متى مات الانسان تعود جثته الى رب الشر ولذلك يقتضي انقاذ الدار منها لا باحراقها فانها تنجس الدار ولا بدفنها فانها تنجس الارض ولا باغراقها فانها تنجس الماء ومن فعل ذلك فيكون قد تلطخ بحمأة القذارة ابد الدهر . وطريقة الفرس في دفن موتاهم تختلف عن غيرهم من الامم فيحملون الجثة في مكان عال مكشوفة جبهتها نحو السماء مثقلة باحجار ثم يركنون الى الفرار خشية من الشياطين لانها تجتمع بزعمهم في اماكن الدفن حيث مأوى المرض والحمى والقذارة والرعب والشعور القديمة وعندها تجيء الكلاب والطيور وهي من الحيوانات الطاهرة فتطهر الجثة بافتراسها

مصير الارواح ـ تنفصل روح الميت عن جسده وفي اليوم الثالث من موتها يؤتى بالروح على الصراط (شنيواد) المؤدي الى الجنة ماراً فوق هاوية جهنم فيسأل هرمز الروح عندئذ عن حياتها السالفة فان كانت محسنة تعضدها الارواح الطاهرة وارواح الكلاب وتأخذ بيدها لاجتياز الصراط ويدخل بها الى مقام السعداء (برودس اي فردوس)

---

(١) ان بعض زنادقة الفرس لعهدنا (هم في ارض الجزيرة) يعبدون رب الشر على عكس ذلك ويذهبون الى ان مذهب الخير لما كان في ذاته صالحا ورحيماً لا حاجة ان يخضع له ويتقرب اليه بانواع القربات وتدعى هذه الطائفة اليزيدية (عبدة الشيطان) قاله المؤلف

فيهرب الشياطين لانها تتجافى عن روح الارواح التقية اما روح الشرير فتصل على العكس من ذلك الى الصراط ضعيفة مرتجفة لا يأخذ احد بيدها و يلقي بها الشياطين في الهاوية و يتناولها روح الشر و يقيدها في قعر الظلمات .

طبيعة الديانة الهرمزية او الهرمسية المزدية ـ نشأت هذه الديانة في بلد يشتد فيه الاختلاف والتناقض ففيها الاودية الباسمة بزرعها والاراضي البائرة المحزنة والواحات الرطبة والقفار المحرقة والحقول والسهول الرملية بحيث تتراءى قوى الطبيعة فيها كأنها في حرب عوان ابداً . وهذا الجهاد الذي يمثل للفارسي فيما يحيط به قد اتخذه شريعة للعالم . وهكذا تألفت ديانة خالصة من الشوائب تدفع بالانسان الى العمل والفضيلة على حين قد انتشر هذا الاعتقاد بالشيطان والجن في الغرب وشغل شعوب اوربا كافة بالاوهام

المملكة الفارسية

الماديون (١) ـ سكنت بلاد ايران عدة قبائل ولم يشتهر من بينها سوى الماديين والفرس خيم الماديون في غرب بلاد فارس وهم اقرب الى الاشوريين ولذلك كان على ايديهم خراب نينوى و بلادها « ٦٢٥ » ولكن لم يلبثوا ان استغرقوا في الترف وانشأوا يتخذون ثياباً مسدولة و يألفون البطالة و يعتقدون اعتقادات خرافية شأن الاشوريين الساقطين وما زالوا على ذلك حتى امتزجوا معهم اي امتزاج

الفرس ـ اما الفرس فكانوا في الانحاء الشرقية (والجنوبية) واحتفظوا باخلاقهم وديانتهم وشدتهم . يقول هيردتس : ان الفرس لا يعلمون اولادهم الى سن العشرين غير ركوب الخيل ورمي النشاب وقول الصدق .

قورش اوسيروس اوكيخسرو ـ قام رئيسهم قورش حوالى سنة ٥٦٠ وخلع ملك الماديين (الذي هو جده لامه) وجمع تحت لوائه شعوب ايران كافة ففتح بهم ليديا و بابل وجميع بلاد آسيا الصغرى . و يروى لهذا الملك قصة فصلها هيرودتس في تاريخه تفصيلاً شافياً قال انه دعا نفسه في بعض مآزبره على الاحجار بقوله انا قورش ملك الكتائب والعظمة والاقتدار انا ملك بابل وسومير واكاد ملك الاقاليم الاربعة وابن كمبيز (كيكاوس)وسلطان سوزيان

رسوم بيستون ـ اهلك كمبيز بكر اولاد قورش اخاه سمرديس وفتح مصر (على قول اليونان) علمنا ذلك مما اتصل بنا من الرسم الذي مثل فيه ذلك ولا تزال ترى الى اليوم في تخوم الفرس

(١) (بلاد مادي يسميها العرب بلاد الجبل والعراق العجمي وازربايجان واستراباد اي ولايات فارس وكرمان ومكران اي بلوجستان وخراسان)

وسط سهل افيج صخرة هائلة نحتت نحتًا عموديًا علوها ٤٥٠ متراً وهي صخرة بيستون وهناك حروف ناتئة على الحجر تمثل ملكاً متوجًا و يده اليسرى على قوس وهو يدوس اسيراً وتسعة اسرى آخرون واقفون امامه وقد قيدهم بنفسه . وكتبت ترجمة حياة الملك في رسم بثلاث لغات فقد اعلن الملك داريوس « دارا » ذلك فقال :هذا ما قمت به قبل ان اغدو ملكا فقد كان كمبيز بن قورش من بني جنسنا يحكم هنا قبلي وكان له اخ لابيه وامه واسمه سميرديس فقتل ذات يوم كمبيز اخاه سمرديس ولا علم للقوم بما جنته يداه . ثم وجه كمبيز وجهته نحو مصر و بينا هو نازل فيها ثار به الشعب وكان قد اصبح الكذب مألوفًا اذ ذاك في تلك البلاد وفي بلاد مادي وسائر العمالات فقام مو بذان « ١ » كان حاضراً اذ ذاك اسمه غوماتا وخدع الامة بقوله : انا سميرديس بن قورش وعندئذ انتقض الشعب اجمع وانصرفوا نحوه متخلين عن كمبيز . ثم قضى كمبيز نحبه بجراح جرح نفسه به و بعد ان اتى غوماتا ما اتى من هذه الحيلة واستلب من كمبيز بلاد الفرس ومادي وسائر الاقطار جرى في الخطة التي شاءها فصار ملكاً على هذه البلاد وحاكماً متحكماً في اهلها . فخافه الشعب لظلمه وكان لا يستنكف من قتل الامة عن بكرة ابيها لئلا تنكشف حيلته و يعرف القوم انه لصيق بسمرديس بن قورش ودعي في نسبه وقد اظهر للملك داريوس هذه الخديعة ولم يكن احد في بلاد الفرس ومادي يجرأ على استرجاع تاج الملك من هذا المو بذان غوماتا . قال دارا بعد ان قدم ما سلف وعندئذ تقدمت ودعوت الرب هرمز فاعانني بالتوسل به وكان في صحبتي ناس ذوو اخلاص وصدق فاعانوني على قتل غوماتا وخاصة رجاله فاصبحت ملكاً بمشيئة هرمز واستعدت الملك الذي كان بنو قومنا سلبوه وارجعته الى حوزتي واخذت اعيد المذابح التي طوى بساطها المو بذان غوماتا وذلك لاني كنت مخلصاً للامة واعدت الاناشيد والاحتفالات المقدسة الى سابق عهدها . واضطر دارا بعد ان ضرب ذاك الدخيل غوماتا ضربة قاضية ان يقاتل عدة زعماء ثائرين فقال لقد قاتلت تسع عشرة مرة وغلبت تسعة ملوك

المملكة الفارسية — علم بما مضى ان دارا اخضع المملكة المختلسة واعاد مملكة الفرس وقد وسع نطاقها بفتح تراس « تراثيا وهي اليوم بلاد البلغار والروملي » وولاية من الهند . وكان ينضم تحت لوائه شعوب الشرق اجمع من ماديين وفرس واشوريين وكلدانيين و يهود وفينيقيين وسوريين وليديين ومصريين وهنديين فكان سيف سطوته يحمي الاصقاع الواقعة بين نهر الدانوب « الطونة » غربًا ونهر الاندوس (السند) شرقًا و بين بحر الخزر شمالاً الى شلالات النيل جنوبًا . مملكة لم يعهد لها مثيل في الضخامة (١٢٠ مملكة) بيد ان قبيلة جاءت بعد

(١) (موبذ موبذان اي رئيس الكهنة) .

واستولت على تركة الممالك الآسياوية باجمعها

اقيال الفرس — قلما يعنى ملوك الشرق بامر رعاياهم الا ليستنزفوا اموالهم ويمتهنوا في سبيل سلطانهم ابناءهم وينالوا مديحهم وثناءهم وما قط اخذوا انفسهم بالنظر في شؤون من يحكمونهم. وكان شأن دارا (١) في هذا المعنى شأن سائر ملوك الشرق ترك كل قبيل في بلاده يحكم نفسه على ما يشاء ويشاء هواه محتفظاً بلغته ودينه وشرائعه واحياناً برؤسائه وسادته من قبل. على انه كان يعنى بتنظيم دخل المملكة الذي يتقاضاه من رعاياه فقسم بلاده الى عشرين(١) حكومة سماها امارة. وكان في كل حكومة شعوب مختلفة كل الاختلاف سواء كان بلغتها او بعاداتها ومعتقداتها وكان على كل حكومة ان تؤدي مسانهة خراجاً معيناً بعضه نقد« ذهب وفضة» وبعضه غلات ونواتج« قمح وخيل وعاج» فيتقاضى حاكم كل مقاطعة او قبلها ممن وسد اليه امرها الخراج ويبعث به الى مولاه الملك

دخل المملكة — بلغ مجموع دخل الملك ثمانين مليوناً بسكة زماننا ما عدا خراج الغلات. واذا اعتبرنا قيمة النقود في ذاك العصر فانها تعادل ستمائة مليون جنيه (؟) في ايامنا. وكان الملك ينفق هذا على حكومته وجيشه وخاصته وبذخ قصره ويبقى عنده كل سنة سبائك عظيمة من العين يدخرها في صناديقه وكان ملك الفرس مثل سائر المشارقة يرى امتلاك الكنوز العظيمة من دواعي الابهة والتمجد

السلطان الاعظم — لم يكن في العالم اغنى ولا اقدر من ملك الفرس فقد كان اليونان يدعونه السلطان الاعظم. (ملك الملوك شاهنشاه) وكان له كسائر ملوك الشرق سلطة مطلقة على رعاياه كافة فرساً كانوا ام غيرهم من سائر الشعوب الخاضعة لعرشه. وانت ترى فيما ذكره هيرودتس كيف كان كمبيز يعامل اعظم سادات قصره: سأل يوماً بريكستاسب (بري كشتاسب اي روح العظمة)وكان ابنه يسقيه ماذا تقول الامة في امري ؟ فاجابه: مولاي انهم يثنون على محامدك اطيب الثناء ولكنهم يذهبون الى ان لك ميلاً قليلاً للخمر

---

١ (هو ابتدع طريقة البريد وتجنيد العشرة والمئات والالوف الخ وجعل لكل مملكة حاكماً مدنياً وحاكماً عسكرياً وجعل كلا عيناً على صاحبه يرسلان اليه بتقاريرهما كل اسبوع)

٢ قال المؤلف ذكر هيرودتس عشرين حكومة وقد عثر في الرسوم المزبورة على احدى وثلاثين حكومة قال مرزا مهدي خان الظاهر ان هذا الالتباس في تقدير الاعداد جاء من ان ممالك هذا الفاتح العظيم كانت منقسمة ثلاثة اقسام منها مملكتا مادي والفرس الخاصة وما بقي منها قسمان قسم استعماري وقسم استملاكي

قال كمبيز وقد استشاط غضبًا من هذا : اعلم اذا كان الفرس يقولون حقًا وصدقًا. فاذا انا رميت بسهمي قلب ابنك الذي تراه واقفًا امامك في هذا البهو فذلك ان الفرس لا يعرفون ما يقولون . وما هو الا ان اعد قوسه وضرب ابن بريكستاسب نخرَّ الفتى صريعًا فجاءه الملك ينظر اين اصابه سهمه فرآه قد اصماه ومزق حشاه . فاستفز السرور الملك وقال لوالد الغلام وهو ضاحك : لقد رأيت بهذا ان الفرس قد اضاعوا رشدهم فقل لي هل عهدت احداً يطلق السهم اطلاقي له فيصيب الغاية على ما رأيت من الرشاقة . فقال بريكستاسب لا اعتقد ايها المولى انه في وسع الرب نفسه ان يرمي النبال مثلك في الدقة والاعتدال

اعمال الفرس ـ ادى شعوب آسيا في كل دور من ادوارهم جزية للفاتحين وخضعوا للظالمين والغاشمين فنفعهم الفرس كثيراً بان كفوا بعضهم عن مقاتلة بعض وازالوا من بينهم اسباب الشحناء وذلك لانهم اخضعوا كل الشعوب لرئيس واحد . وكان عهدهم عهد سلام لم تعهد فيه مدن تحرق ولا ديار تخرب ولا سكان تذبح او تؤخذ زرافات وافواجًا لتستعبد

مدينتا سوس و برسو بوليس(١) ـ عُني ملوك الماديين والفرس باقامة القصور على نحو ما كان يقيم ملوك اشور. واحسن ما اتصل بنا خبره من تلك القصور قصور دارا في سوس و برسو بوليس وقد حفر المسيو ديولافوا الافرنسي خرابات سوس فعثر فيها على نقوش وقرامد مزينة بالمينا تبين ارتقاء الصنائع اذ ذاك وقد بقيت من قصر البرسو بوليس خرائب عظيمة وقد نحت في صخر الجبل سطح عظيم قام عليه القصر وهو يوصل اليه بسلم واسع بانحدار قليل بحيث كان يتأتى لعشرة فرسان ان يصعدوه معًا

النقش الفارسي ـ حذا نقاشو الفرس حذو الاشوريين في اقامة قصورهم فتجدها في برسو بوليس كما تجدها في بلاد اشور سقوفًا متسعة السطوح يحرسها اسود من الحجر والنقوش الناتئة تمثل صيودا واحتفالات . وقد احسن الفرس في اتمام نموذجاتهم في ثلاثة اشياء وذلك بان استعملوا الرخام عوضًا عن القرميد وجعلوا في الردهات سقفًا بالخشب المصور وانشأوا اعمدة خفيفة على شكل جذوع الاشجار في اقصى ما يعلم من الحذاقة واللطف وهي اعلى من محيطها باثنتي عشرة مرة . ولذلك جاءت نقوشهم اجمل اثراً واوقع في النفوس من نقوش بلاد اشور . وقلما نجح الفرس في الصنائع و يظهر انهم كانوا احشم شعوب ذاك العصر

(١) (سوس في ولاية ششتر هي التي ظهرت فيها شريعة حمورابي و برسو بوليس هي اصطخر في ولاية فارس بالقرب من مدينة شيراز)

واظهرهم واشجعهم وكانت وطأة حكمهم في آسيا مدة قرنين اخف جوراً مما عرف من ضروب الحكومات وكانوا اميل الى الرفق بمن يحكمون

خواطر سائح

لا نخال احداً من الناطقين بالضاد يجهل مكانة الاستاذ العالم الشيخ عبد المحسن الكاظمي البغدادي نزيل القاهرة ورسوخ قدمه في الشعر بعد ان حمل المؤيد والمنار قصيدته العينية الشهيرة الى الاقطار التي يتكلم اهلها بالعربية ولقد اتحفنا حفظه الله بالقصيدة الآتية ارسلها الى صديق له جواباً عن قصيدة وقد ضمنها ما رآه واختبره في رحلته من — ابوشهر — احد الثغور الفارسية الى القاهرة وهي كما يراها قراء المقتبس تصورات عصرية باسلوب بدوي متين وسبك محكم رصين وهذه هي :

جوىً اودى بقلبك ام وجيبُ — غداة حدا بك الحادي الطروبُ
بعدت عن الديار وصرتَ تدعو — على البعد الديارَ ولا تجيب
رحلت وأنت للعلياء صاد — تحوم على الموارد او تلوبُ
وخلفت المنازل آنسات — سروب الغيد تتبعها سروب
تشق حشاك من كلف عليها — وتأنفُ ان تُشقَّ لك الجيوب
وتسحب كالأنيس فضول برد — وفي برديك ذو شجن كئيب
تشدُّ الرحل من بلد لاخرى — وما لمناك من بلد نصيب
وتبلو الناس فرداً بعد فرد — وما في الناس الاَّ ما يريب
كأنك ترود مرعى كل انس — ومرعى الانس في الزورا خصيب
وفي مصرٍ اراك وانت لاهٍ — وقلبك في العراق جويً يذوب
فكم والى مَ تنحب ثم تبكي — ولا يجدي البكاء ولا النحيب
وتشرب ماء جفنك وهو ملح — ووردك بالحمى عذب شروب
كأن الدمع ينطف وهو قان — عصارةُ كرمة والجفن كوب
دع الانفاس تصعد محرقات — وخل الدمع من عَلقٍ يصوب
لقد بان الخليط فلا خليط — وقد بعد الحبيب فلا حبيب
فلا تتكلفنَّ لي التصابي — ولا تسم الحشا ما لا يثيب

فلا « حلوان » في عيني تحلو … ولا طيب « الجنينة » لي يطيب
وما في ذا الحمى لي من حميم … بصحبته أَلذُّ واستطيب
ورب اخ رماه البين عني … بعيدًا وهو من قلبي قريب
اناديه ولم ارَ من انادي … واسأله النوال فلا يجيب
اقول له وقد احصى ذنوبي … من الحسنات ان تحصى الذنوب
يعاتبني وقلب الحرّ ادرى … بما تطوي الاضالع والجنوب
ويزعم انني ثمل طروب … وما انا ذلك الثمل الطروب
أخيّ أعر مناديك ابن سمع … يُصيخ الى الدعاء ويستجيب
عساك ترد من ذا العتب عني … لنفسك او الى العتبى تثوب
اراك ارتبت من حالات نفسي … وما في النفس من حال يريب
اعد نظراً تجد عذري صريحًا … وعـذر المرء آونة مشوب
فما كانت قطيعتنا جفاء … فيوهم ظنك الحلمُ الكذوب
فكن مني على ثقة وحوّل … ظنونك ان بارقها خلوب
فما انا مَن تغيره الليالي … وتثنيه الحوادث والخطوب
ينوب بهاك لي عن كل حسن … وما عن حسن وجهك من ينوب
اذا ما عنّ ذكرك لي تنزّت … له كبدي وطار بها الوجيب
اعيذك من جوى شبت لظاه … ببينك واستمرّ لها الشبوب
وأُشفق ان ابثك بعض ما بي … وبعض الغيب يعلمه اللبيب
اؤمل اوبة مما نقضي … واعلم ما نقضي لا يؤوب
فكم عبثت بنا لطف التصابي … ومالت للقبول بنا الجنوب
فبينا تجمع الشملَ الاغاني … اذا بالشمل فرقه نعيب
بنفسي ما بنفسك يوم شطت … (ابو شهر) وسرت ولا صحيب
اقمنا برهة والفجر طفل … بطلعته قرون الليل شيب
وسرنا والهموم لها انسياب … علينا والظلام له دبيب
وعجنا راكبين اليم فلكاً … وهل اغني الفوارس ذا الركوب
بواخر من بنات الماء شماً … على هام السحاب لها سحوب
تحلق كالعقاب بنا وتهوي … هويّ الطود او هتهُ الخطوب
ولم يرع الحشا منا ومنها … صعود بالعواصف او صبوب

تكفّ الموجَ وهو بها محيط ... نزاع النفس لاقتها شَعوب
ومن عجب على الامواه تطفو ... وبين ضلوعها ابداً وجيب
بلغت بها قرارة كل لج ... بعيد القعر لؤلؤه رطيب
هنالك شمت لألاء اللآلي ... ولم تعبث بزونقها الثقوب
وجزت به اقاصي كل ثغر ... تسيب به المخاوف ما تسيب
وظلت اجزْ لمة كل ليل ... له الولدان من هول تشيب
وارض جزتها من بعد ارض ... سباسبها المربعة والسهوب
اعوج بحارها طوراً وطوراً ... اجوب من الموامي مااجوب
الى ان قادني املي لمصر ... قياد الجامحات وهنّ لوب
وجاذبني اليها الشوق حتى ... سلست وراض مصعبي الجذيب
اذا بالنيل رقراق الحواشي ... قريب النيل جارفه عزيب
اذا ما سال سال بكل شعب ... وسالت في اباطحه الشعوب
كأنَّ عليه من ذهب مذاب ... ...زيج باللجين ولا مذيب
وما احلى «الجزيرة» من محل ... ترفّ على جوانبه القلوب
تحفّ بها رياض طيبات ... يطيب بنشرها الارج المطيب
عليها تصدح الورق ارتياحاً ... ويشدو في رباها العندليب
والفيت البلاد طغت خمولاً ... ودب باهلها الكسل الدبوب
واسواق البطالة عامرات ... ووادي الموبقات بها عشيب
وفيها من سمات الخصب لفظ ... يفاه به ومعناه جدوب
وماء العز ادركه نضوب ... بها او كاد يدركه النضوب
بقاصمة الفقار رمي قَراها ... ولما يخطها الرامي المصيب
وهل ابقى لما الا بقايا ... حشاً بليت كما بلي الشعيب(١)
فلا ينفك ينهبها وكل ... بها من حيث لا يدري نهيب
فقمت مغاضباً شعباً فشعباً ... وكل جوارحي منها شعوب
ابا اهل الحمية كيف اضحى ... حماكم وهو من عزٍ حريب
اليس الشرق بالاشراق احرى ... واجدر منه بالغرب الغروب
فما لطنوبكم قصرت وطالت ... من الغربي فوقكم طنوب

---

(١) القربة البالية

تطول جبالكم منها الروابي ... وتعلو هامكم منهـا الجبوب
رضيتم بالقعود على الدنايا ... ومنهجكم الى العليا لحيب
ترومون الفخار على الاعادي ... وعن خطط الفخار لكم نكوب
وترجون الخلاص من احتلال ... وعار الاحتلال بكم لصيب
كما يرجو الفريس خلاص نفس ... وقد علقت من الاسد النيوب
ابيت لاستطب فزاد سقمي ... وقد يفضي الى الداء الطبيب

لما بقية

النشوء العقلي والاجتماعي(١)

في مصر

اخذ التقدم يرتقي في مصر بعد ان كانت مثل جميع البلاد الاسلامية لقلة العلم والزهد في معاناة الحياة التجارية تقول ان الحياة الدينية والمدنية شيء واحد وان في القرآن والسنة احكام الحياتين وفي مضامينها جميع القوانين. اما الاديان السماوية الاخرى فقد رأت من الضرورة الفصل بين السلطة الزمنية والروحية ولم يتسن للاسلام ان يشذ عن هذا القانون. ومن تأمل ما جرى في مصر منذ خمسين سنة فقط وقاس ما نتج من دخول التمدن الى هذا القطر خلال هذه المدة يدرك بان النشوء يكون على اتمه بعد قليل وان هذا التغيير يجري تحت طيّ السكون جارياً في مجراه الطبيعي من دون اكراه ولا اعنات . ومع هذا ظن كثير من المفكرين بان البلاد الاسلامية تبقى بعيدة عن التمدن. حملهم على هذا الظن ما رأوه من شدة تحمس المسلمين لدينهم وخضوعهم لما امر به القرآن خضوعاً اعمى

وحجة اهل الاسلام في هذا الباب ان التمدن الاسلامي لما كان منتشراً اكثر من غيره كانت العقائد سالمة لم تمس وراسخة لم تزعزع الا انه يقال لهم ان علماء العرب في تلك العصور لم يكونوا يدرسون سوى علوم مقررة قام بها تمدن الشعوب الاخرى ولم يقتربوا من الكتب التي حوت علوماً غيرها اومن المصنفات الادبية والصناعية التي تفتح على العقل باباً جديداً .

(١) عربت لجريدة الظاهر اليومية ثلاث مقالات وردت في جريدة الديبيش كولونيال الفرنسوية بقلم الدكتور جورج بك سمنة فاشار بعض الفضلاء ان انقل للمقتبس ماله علاقة بموضوعه منها لتحفظ ذكرى نافعة لمن كتبت لهم

على ان التمدن العربي لم تعهد له طفولية اذ ولد كاملاً وبلغ رشده في قرنين فكان من الاسلام كما كان من سائر الاديان ان عدَّل من امتداد تأثيرات الذكاء ونقهقره في آن واحد وذلك مما لا يتأتى ان يجدد اليوم عهده . لان تحاكك البلاد الاسلامية بالعنصر الاوربي وانتشار العلم وضروريات الحياة الجديدة ستؤدي ولا جرم الى تحرير العقول من قيودها وتنتهي بفصل السلطة الدينية عن السلطة الزمنية لامحالة على نحو ما نرى من سرعة النشوء الذي بدأ الآن يظهر في مصر آخذاً نحو المدنية الحديثة

ومما لا شك فيه ان الاسلام بعيد ان يضمحل الآن بل انه على العكس ينتشر ويزداد اشياعه ويتجدد له انصار حتى في اوربا واميركا حيث تجدله الآن طوائف من المسلمين ولكن هذا السير سيكون ابطأ من ذي قبل ويقوم المسلم بفروضه الدينية سراً . نعم يكون للمسلم كما للمسيحي لعهدنا حياتان احداهما ظاهرة والثانية باطنة ولا تكون الثانية سبباً في التشويش على الاولى . يقول المسيو هوداس « من علماء المشرقيات من الفرنسيس » ان المتعلمين يحبون ان يريحوا عقولهم بعض الراحة وذلك بأن يتناسوا ان لهم عقولا . ولذلك تبقى الاديان الرئيسة في اوربا سنين كثيرة بعد على حالة ملائمة بعض الملائمة

فنشوء الجنس الاسلامي لا مناص من وقوعه لانه يجري بطبيعة الحال والدين لا يكون عائقاً له في باديء الامر لان جميع الديانات في الاصل تعمل كأنها اعنة تحول دون كل تقدم على ان اليهودية والنصرانية اللتين لهما تعاليم ضيقة وهما اقل حرية من الدين الاسلامي لم يحولا دون نشوء الاجناس الاوربية .

يمثل الاسلام صورة مجتمع ديمقراطي فلا يعوقه عائق من سلطة الاشراف ولا عائق من سلطة رجال الدين ولا عائق من البابوية اى ليس فيه رئاسة دينية . وهذه العوائق هي من الاسباب المؤخرة فلا يخشى منها ان تؤثر في نشوء العنصر الاسلامي

ومنذ سقوط الدولة العباسية اصبح الخلفاء لا يجمعون في شخصهم وحدهم بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية « الدينية والسياسية » واخذت الشعوب الاسلامية تنمو وتنتشر في اطراف العالم بأسره ولا تخضع لسلطان واحد

ولقد عرف التعصب في جميع الاديان واعني بالتعصب ذاك الاحساس الذي يحمل صاحبه على الجهاد دفاعاً عن دينه وحفظ التاريخ حوادث هائلة من هذا القبيل لكل طائفة من طوائف اهل الاديان وردد ما سكرت به من حب الغلبة وبسطة السلطان اما الاسلام فعلى العكس من ذلك ظهرت فيه مظاهر التسامح اكثر من غيره مما يرجع الفضل فيه الى اسباب خاصة بالاقليم الذي قامت في وسطه تلك الديانة اوهو خاصة من خواص

العنصر الذي دان بها

وكان الداعي الى المذابح التي أهرقت فيها الدماء في هذا الدور الجديد من الهجرة بواعث سياسية لا بواعث دينية . والدليل على ذلك انك تجد في الشرق عناصر مسيحية كما فيه عناصر اسلامية وترى فيه الجامع مجاوراً للكنيسة والمسلم يعيش مع المسيحي وصلاتهما حسنة ومنافعهما متبادلة . وليس في الشرق ما يعد خطراً على نشوء الامة الاسلامية السريع سوى جهل السواد الاعظم ممن لم يرزقوا حظًا من الذكاء يكفي لتكبير عقولهم فيراقبون اعمال رؤسائهم مراقبة فعالة ويعارضون اذا دعت الحال الى معارضة سوء استعمال الاحكام

ونذكر من الاسباب التي تؤخر سير التقدم الى الامام قلة الاتفاق بين المصري المسلم والمصري غير المسلم . فان الاول لا يعترف للثاني بان يقول عن نفسه انه مصري ويزعم ان مصر له دون غيره . نعم ان المسلمين اكثر عددا ولكن المسلمين مع غير المسلمين في مصر من حيث التهذيب العقلي ومن حيث وجود طبقة عالية يكادون يتعادلون ويتوازون وكذلك نفوذ الطائفتين وتأثيراتهما . واقول هذا وانا على يقين من ان التعصب الاسلامي غير ممتد الرواق في مصر بحيث يحول دون سير المسلمين نحو الارتقاء واذا فرض وجوده بقوة التقاليد فالتربية تكفي لازالته .

قلت ان الاسلام بعيد عن ان ينافي التمدن بل هو على العكس دين يسمح لمنتحله ان يقصد الى الارتقاء مطلق الحرية والتصرف . ومن المعلوم ان المسلمين ليسوا تابعين لامام واحد وانه ليس من ضرورة في الدين ان يتبعوا خليفة واحداً يتولى السلطة السياسية والسلطة الدينية فتوسيد الامر الى رجل يجمع بين السلطتين متعذر في الاسلام . واني لاعرف من الانكليز والاميركان من دانوا بالاسلام فما عاقتهم وطنيتهم الانكليزية والاميركية عن التفاني في نصرة دينهم الجديد فتراهم خاضعين لحكوماتهم ونظامات أمتهم عاملين بشعائر الدين الذي انتحلوه

كان للعلم مقام جليل بين المسلمين بحيث كان من يعرف القراءة والكتابة يعد من الطبقة الراقية ويحترمه الناس ويبجلونه . وليس لرجال الدين عند المسلمين واعني بهم العلماء والائمة ما لامثالهم عند اهل النصرانية . بل تؤلف تلك الفئة في الاسلام من جميع الناس على السواء مهما كانت طبقتهم . فاذا احرزوا قسطًا من العلم يخضع لهم الناس وان لم يكن في ايديهم شهادات تؤذن بان لهم حق التسلط عليها .

والباعث الثاني على نشر التمدن بين المسلمين اختلاطهم باوربا فان كل من رأوا انتشار التمدن المصري وقدروا تأثير السياحات الى اوربا حق قدرها وعرفوا ما ينتج من اختلاط

المسلم بغيره في هذه السياحات يتجلى له الشوط البعيد الذي قطعته الامة المصرية والتقدم الذي سعى اليه هؤلاء السائحون فصحَّ ان يدعوا من الممهدين لسبيل الحضارة والتمدن .

والفرق في الحقيقة بين هؤلاء السائحين وبين المقيمين في البلاد جوهري محسوس اذ ان السياح سواء كانت رحلتهم للنزهة او التجارة قد غيروا شكل البلاد وكان منهم ان جعلوا مصر اليوم تخالف مصر منذ ستين سنة وبين هذين الدورين بون شاسع كما لا يخفى على الناظر البصير. ومن يجرأ ان يشبه بلاد الجزائر اليوم بالجزائر قبل ان يفتحها الفرنسيس؟ ومثل ذلك يلاحظ في جميع البلاد الاسلامية حتى ان مراكش تلمس باصبعها المدنية الرافعة في جوارها اعلامها. وساكن الشاطيء اسمى عقلا ومدنية من ساكن الداخلية لانه يختلط على الدوام بالعناصر الراقية وينال بذلك علماً لا يناله سكان الوسط

اعتبر ذلك في اوربي يتوغل في داخلية مراكش فان المسلمين يسبونه ويشتمونه . واذا كان الاوربي في صحبة مراكشي تهذبت نفسه بالاختلاط بالاجانب فان هذا يحاول ان يشرح للاوربي خطأ ابن دينه مستدلاً على دعواهُ بجهل مواطنه وانه ما زال على الفطرة متعصباً ومتشبعاً بافكار أمته القديمة

وبعد فان تهذيب المرأة سيكون من اعظم العوامل في المدنية الاسلامية . ولا يسعنا في هذا المقام الا ان نعترف بأن ما تم من الارتقاء لبعض الطبقات المنورة في المسلمين كان الباعث الاكبر عليه تأثير تربية المرأة . لان الشريعة المحمدية خولتها من الشعور ما تعرف به كرامتها لتكون مستقلة ولأن محمداً « صلوات الله عليه » اراد انهاض المرأة من سقوطها الذي كانت فيه قبل الاسلام فتسامح بتعدد الزوجات. ومن المحقق ان اسباباً شديدة كانت تقضي بنيلهن هذا الامتياز. ذلك ان في تعدد الزوجات مضاعفة الامة ونموها وتكثير سواد الموحدين مما حسن اثرهُ في هذه الامة. نعم كان تعدد الزوجات من الدواعي الى تجنب الفسق فاستطاعت بذلك المرأة التي تحدثها نفسها بمن في خارج بيت زوجها ان تجد لها من الشرع نصيراً يجعلها في حلٍ من التزوج ممن تحب. وبهذا لم يعهد بين المسلمين الزواج غير الشرعي ورفع عنهم عار التسري واضطروا الى احترام الابكار في بيوت غير بيوتهم

والدليل على هذا بانهُ منذ قلَّ تعدد الزوجات في البلاد التي نال اهلها نصيباً من التعلم اصبحت بيوت الفجور مملوءة بالوطنيات المسلمات بعد ان كان اهلها من غير بنات البلاد وقامت بيوت العهر الوطنية تجاري مواخير الدخلاء وتتغلب عليها

ظلت المرأة المسلمة راضية بما قسم لها من مال زوجها بعد وفاته الى ان استنارت بقبس من المعرفة فانشأت تدرك بأن حظها هذا يسجل عليها بانها دون الرجل في المنزلة . وانا

لنلاحظ اليوم ان الرجل المسلم في البلاد المتحضرة لا يتزوج بغير زوج واحدة وقلما كانت الزوج فيما مضى تقضي اوقاتها مع زوجها بل تبقى في خدرها ولا تخرج منهُ الا محجبة مبرقعة ولا تزور غير النساء اذ لا يزورها غيرهن فتخلصت المرأة اليوم من هذه العادات وهذا الزوج مهما بلغ من تدينه يتسامح مع زوجه تخرج لمقابلة الناس على الطريقة الاوربية

وهذا مما احدث في الرجل ايضاً احسن تأثير لانهُ بالاختلاط المتواصل مع المرأة في البيت اخذت اخلاقه تتدمث وعواطفهُ تلطف وترق واقتبست المرأة المسلمة بما عرفت به من الرقة المعهودة عن المرأة الاوربية — لما نزلت هذه بلاد الشرق مع زوجها الموظف — اساليب الانبساط والبهجة اللذين ما كان زوجها يجدهما من قبل الا في البيوت الاوربية

ومن الغريب ان تعدد الزوجات الذي كان في القديم خاصاً بالغني اصبح لعهدنا عادة من عادات الفقير لان هذا يستخدمهن آلات ينتفع بها في أُموره المعاشية فاذا كان لهُ عدة زوجات يكنَّ لهُ بمثابة اجيرات يحرثن ارضه ويزرعن زرعه ويوفرن عليه ماله فلا يحتاج بهنَّ الى ايدي العامل والزارع

لا جرم ان تعليم المرأة المسلمة سيكون من الدواعي الرئيسة في نشوء العنصر الاسلامي ويساعدها على ذلك فقدان الرئاسة الدينية عند المسلمين وخلاص المسلمة من التأثيرات السيئة التي ترجع بها القهقرى اذا تولى بعض امرها احد خدمة الدين

وهنا نلم بالارتقاء الاقتصادي في المسلمين لانه احدث تغييراً في حالتهم . فقد ظلوا قروناً كثيرة بعيدين عن الحركة الاقتصادية محتفظين بتقاليدهم في متاجرهم فكان منهم لما رأوا تكاثر الاعمال المالية ان عقدوا الصلات التجارية مع غيرهم من الشعوب . واي واسطة احسن في قلب العادات القديمة من المراباة . فقد كان المسلمون لا يقولون بجمع رؤوس اموالهم وقلما كانوا يستدينون بالربا فانشأوا اليوم يستدينون بالربا ولكنهم لا يدينونه فنجحت بذلك اعمالهم واخذوا يملكون اموالاً طائلة اضطرتهم الى استثمارها والمسلمون اليوم يتعاطون جميع اعمال المصارف والخصم . وانك لترى الآن في مصر شركات عظيمة ورؤوس اموالها من اهل الاسلام خاصة

وجملة القول ليس الاسلام كما رأيت جامداً لا يتحرك بل انه يجري في نشوئه بحسب الحاجات والضرورات الحالية وانا موقن بانهُ يضرب الآن نحو المدنية ويسعى لها سعيها بطبيعة الحال

نظام الطبيعة والانسان والحيوان

نظام الارض ان تدور دورة من الغرب الى الشرق في كل اربع وعشرين ساعة فيكون الليل والنهار . ودورة في كل ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً من الغرب الى الشرق فتتأتى عنها فصول السنة وهي الربيع والصيف والخريف والشتاء

اتى على هذا النظام الذي سنه الخالق العظيم لحفظ الكون نحو ستة آلاف سنة عند علماء الدين وتسعة او عشرة آلاف عام على رأي علماء طبقات الارض . وما برحت الطبيعة محافظة على نظامها لانه من لزومياتها . ومتى تشوش اختلت الارض وقضي على مَن فيها بالتقهقر الملازم والخراب الدائم

وما يقال في الارض من حيث محافظتها على نظامها الطبيعي يقال في كل ما دبّ عليها من انسان وحيوان وكل ماينبت فيها من اعشاب ونباتات ومزروعات وغياض ورياض وغيرها

فالبشر سنّ عقلاؤهم والمتمدنون منهم نظامات لهم لحفظ حقوقهم ومصالحهم المدنية والعمرانية والعمومية والخصوصية وغير ذلك . وللحيوانات على تباينها نظامات تمشي بموجبها وان لم يدركها اكثر البشر

هذه طائفة الذئاب من الوحوش الكاسرة يظنها معظم الناس لا ترتيب لديها ولانظام على ان لها نظامات يجهلها الانسان . وهذه طائفة النمل التي ينظر اليها المرء نظرة الازدراء والاحتقار حازت من النشاط والترتيب والنظام ما يذهل العقول ويحير الافكار

راقب سرباً من الذئاب يسير في البرية ترى له قائدا يقوده . وكل ذئب منه يسير بترتيب وراء رفيقه وكأنها كلها جنود مدربة يقودها قائد محنك . وتأمل طائفة من النمل في جدار تلقَ ما لقيته في سرب الذئاب من القيادة او الزعامة والترتيب والنظام

وما يقال في الذئاب والنمل يقال في سائر الحيوانات كاسرة كانت او داجنة وطائرة او سابحة . ويلحق كل من يخالف النظام من تلك الحيوانات قصاص بقدر جرمه . فالذئب الذي لا يسير على سنن النظام او يخالفه اذ يمشي سربه يرتد عليه قائد السرب ثم سائر الذئاب فتمزقه تمزيقاً . وبديهي ان هذا القصاص عند طائفة الذئاب من الحيوانات بمثابة قتل القاتل عند البشر . وكل مايقال في الذئاب بهذا الشأن يقال في غيرها من الحيوانات

خلق الله الانسان الاول آدم وسنّ له شريعة ونظاماً كما برأ تعالى الخليقة وسن لها نظامات تمشي عليها منذ البدء فقال له « من جميع شجر الجنة تأكل اكلاً واما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها » وهذه الشريعة او النظام اساس شرائع الجنس البشري

وقوانينه فهي اولها . وكان لجماع الآباء الاولين والشعوب القديمة شرائع ونظامات وما فتئت نظامات هؤلاء الموسويين وشرائعهم مدونة في اسفار موسى كليم الله . وتلك الشعوب والامم التي عاصرت الموسويين وجاءت بعدهم كالكلدانيين والاشوريين والفينيقيين والحثيين والمصريين والادوميين والكنعانيين والعرب واليونان والرومان وغيرهم كان لهم شرائع ونظامات نقلها الينا المؤرخون القدماء كهيرودتس اليوناني الذي ولد عام ٤٨٤ ق . م وزنفو الروماني الذي ولد نحو ٣٨٠ ق . م ويوسيفوس العبراني الذي ولد عام ٣٧ ق . م وغيرهم

ولقد عني اليونانيون في ايامهم بالنظامات المدنية والشرائع الدولية . على ان الرومانيين نظموها واتقنوها . ثم اخذت شعوب الارض مبادئ نظامات الرومانيين وشرائعهم وفي مقدمتهم الامة النابليونية . وزادوا عليها كثيراً وشرحوها شروحاً حسب مقتضيات المكان ومطالب الزمان

ولا يزال معظم دول المعمور ساعياً الى سن نظامات جديدة وشرائع مفيدة ومهتماً بتحسين قوانين بلاده وحكوماته . حتى ان الصين التي استولى الانحطاط عليها قروناً افاقت من رقادها وبدأت بضبط نظاماتها وتحسين شرائعها وسنها على مثال شرائع العالم المتمدن

وارسال الصين البعثة المؤلفة من اثني عشر عضواً من كبار رجال الامة الصينية ومتهذبيها في هذه الشهور الاخيرة الى العالم الجديد واوربا لدرس شرائع القارتين ونظاماتهما العصرية اكبر شاهد على نهضة هذه الامة واشهر دليل على شدة اهتمامها بنظامات بلادها وشرائع دولتها . فالنظامات المدنية والشرائع الدولية والقوانين العمرانية رافقت الانسان منذ وجد الانسان الاول الى الآن . وهي ضرورية للدول ضرورة الهواء للانسان . ولازمة للامم والبلاد لزوم الماء للانسان والحيوان والنبات

وليست هذه النظامات من حاجات البشر ولا هي محصورة فيهم فقط بل هي من ضروريات كل ما نراه امامنا ووراءنا وفوقنا وتحتنا من هذه الخليقة العجيبة او هذا الوجود الذي لا يزال موضوع بحث الباحثين من علماء غربيين وشرقيين

فلتلك الامطار التي تهطل وتحيي الزرع والضرع والانسان والحيوان والنبات نظامات وما تحويلها احياناً في البلاد الباردة الى الثلج الآ من برودة الجو . وما المضار التي تأتي منها الا منبعثة من تلك الطوارئ الخارجية التي هي سبب من اسباب تشويش نظامها الطبيعي لولا تلك الاهوية والرياح التي نظنها مضرة مانمت الزروع والاشجار النمو المطلوب ولما انت بالاثمار والفوائد المنتظرة منها . فالرياح المعتدلة تقوي جذوع المغروسات والمزروعات ومتى تقوت جذوعها كثر نموها . والرياح تسبب اللقاح المعروف بلقاح المغروسات ومتى تمّ

هذا الازدواج او اللقاح اثمرت المغروسات. اما المضار الناشئة من الرياح الشديدة فهي من عوامل الطبيعة الخارجية. فاعتدال الرياح نظامها واختلال الرياح طوارئ خارجية تطرأ عليها فتشوش نظامها ويكون بذلك تشويش نظامها واختلاله

وتلك الاشجار الزهراء التي تتضام بعضها الى بعض عند تموجات الهواء وتلك الزروع الخضراء التي نشاهدها تتمايس وتتعانق وتلك الرياحين الجميلة التي تنفح عبيرها وتلك الازاهير العطرية التي يعبق شذاها هي كلها ذات نظامات طبيعية وفي نموها وجمالها ورائحتها وثمرها وفائدتها ادلة على نظاماتها التي دونت في كتاب الطبيعة العظيم

بل هذه القبة الزرقاء ونجومها وسياراتها وكواكبها كالشمس والقمر والثوابت وغيرها فان لها نواميس طبيعية ونظامات سطرتها لها انامل الطبيعة . ونواميس النور معروفة وهي « ان النور ينبعث بالتساوي من الجسم المنير الى الجهات كلها وانه يسير في خطوط مستقيمة اذا اخترق وسطاً متجانس الاجزاء. وان كثافته تنقص بقدر ما يزيد مربع بعده »

اما التشويش النظامي الذي يحدث للطبيعة بسبب الطوارئ الخارجية التي تطرأ عليها فهو بمقام الاختلال النظامي الذي يعرو الشعوب والدول فيفسدها ويلحق بها اضراراً فاحشة بل يسقطها من ذروة مجدها وقمة سعدها الى حضيض الشقاء والدمار

هذه بلاد السودان من افريقية قد كانت قبل ان احتلتها بريطانيا العظمى مسرح الجهل ومجزر سفك الدماء وفي اقصى دركات التأخر والانحطاط والتوحش لان النظام فيها كان معدوماً. اما اليوم فقد سنت الدولة الانكليزية نظاماً للقطر السوداني على حسب مقتضيات العصر فساد الامن في ربوعه وافتتحت مدارس التهذيب فاخذت تبدد غياهب الجهل من بلاده

ولا يسع الواقف على تواريخ القدماء الا التصريح بان كل امة حافظت على نظامها وكل دولة سارت على سنن قوانينها وكل قبيلة اتبعت شرائع بلادها حازت مقاماً من المجد والعز والرقي وان كل من خالف تلك النظامات من تلك الامم والدول انقلب عزها ذلاً وهناؤها شقاء وارتفاعها سقوطاً وتقدمها تأخراً

ولا حاجة الى القول ان الامة الاسرائيلية لما خالفت شرائعها ونظامها المدنية والدينية دبت في مجتمعها روح الموت الادبي والمدني وعبث بجامعتها عابث فمزق شملها وانفصل حبلها وما المصائب والاضطهادات التي لقيتها هذه الامة في جميع قارات العالم بل ما المذابح التي جرت على شعبها المتفرق بل ما السيف الذي عمل في رقاب كثيرين من هذا الشعب العريق في القدم اينما كان وحيثما حل في خلال القرون الخالية وفي كل قرن من القرون المتوسطة والحديثة ما خلا القرن الثامن عشر للميلاد بل ما الداعي الى انفصام عروة اليهود على وجه البسيطة

الا بسبب مخالفتهم للنظام والشريعة . وهكذا يقال في البابليين الذين بلغت اسوار مدينتهم العظيمة ٣٠٠ قدم ارتفاعاً و٨٧ قدماً عرضاً وبلغ محيط دائرتها ٤٨ ميلاً . فقد سقطت بيد الماديين والفرس سنة ٦٤٤ ق . م . لانهم سكروا في عيدهم السنوي فغفلوا عن واجباتهم نحو الشريعة الدولية والنظام الادبي فهبطوا ذلك الهبوط المريع وخسروا تلك المدينة العظيمة التي اجمع المؤرخون القدماء على انها كانت سيدة الممالك ودرة تاج فخار الامصار .

خسر البابليون على ذاك العهد بخسارة بابلهم مئة باب مصفحة بالنحاس وخسروا هيكل بابل الذي كان ارتفاعه ٦٠٠ قدم والبحيرة الصناعية التي بلغ محيطها مئة ميل وعمقها زهاء ٣٥ قدماً . وفقدوا ايضاً الجنائن الصناعية التي جعلت طبقات بعضها فوق بعض وبلغ علوها علو البرج . دع الدور الفخيمة والقصور الشاهقة والابنية الجميلة

والواقف على تاريخ اليونان القدماء وامتداد سلطتهم وما بلغوه من قوة السعد وعلى تاريخ الرومان وما وصلوا اليه من مناعة العز والمجد لا يرى بداً من التصريح بان تشويش نظامهم الدولي واختلال شرائعهم المدنية كانا قاضيين على تلك السلطة وذلك المجد والسعد بالتلاشي والزوال .

فحري والحالة هذه بحكام البلاد الذين تشوش نظامهم واخذ سوس الفساد ينخر جسم مدنيتهم وعمرانهم وحقيق بالآخذين بنواصي العباد ممن استولى عليهم الرقاد ان يستيقظوا ويعتبروا في مصير تلك الدول القديمة التي درست آثارها ويتأملوا في ما فعل التشويش النظامي بالشعوب الماضية التي طمست اخبارها . وان يتمثلوا بالدول الراقية والامم الناهضة ويقوموا بمطالب التمدن ويلبوا نداء هذا العصر . بل جدير بكل فرد يحب شعبه ويغار على وطنه ان يحافظ على قوانين بلاده ويساعد في تأييد نظام دولته وحكامه . فمتى تحسنت شؤون الافراد تحسنت شؤون العيال فالجماعات فالشعوب

واذا كان الانسان ماكاً او مملوكاً وجيهاً او صعلوكاً رئيساً او مرؤوساً غنياً او فقيراً عالماً او جاهلاً لا يجد من نفسه دافعاً يدفعه الى المحافظة على نظام البلاد والدول والمشاريع المدنية والعمرانية فله امثلة مما يراه في الجهات الست من جماد ومياه وحيوانات ونباتات واجرام ما يجعله ينادي على رؤوس الاشهاد بوجود النظام ووجوب المحافظة عليه ووجوب ضرورته للبشر ضرورة الهواء والماء والشمس والطعام للانسان

اوماها نبراسكا (الولايات المتحدة) يوسف جرجس زخم

أيتها السماء

اليك تتوق أيتها السماء ... نفوسٌ قد اضرَّ بها الشقاء
ومضّتها على الارض الرزايا ... واسأمها بمجبسها الثواء
احقٌ يا سماء ُمني نفوس ... اليكِ لها اليك لها التجاء
ُترَجي فيكِ بعد الموت عيشاً ... فوا اسفاه ان خاب الرجاء
عِدينا ثمَّ ان شئت امطلينا ... فانا بالوعود لنا اكتفاء
وانَّا نحن قومٌ قد أُهنا ... وانَّا نحنُ قومٌ ابرياء
وانَّا قد عشقنا الموت لما ... سمعنا ذكره فمتى اللقاء
اذا امست حياة المرء داءً ... فليس سوى الحِمام لها دواء
يشاء المرء ان يحيا سليماً ... ولكنَّ الحوادث لا تشاء
وما حبُّ المعيشة في ديارٍ ... لاحرار النفوس بها جفاء
فلا سقياً ولا رعياً لارضٍ ... تراقُ على جوانبها الدماء
وما سلمت عليها قبل هذا ... من الارزاء حتى الانبياء
انفسي ان جزعتِ من المنايا ... فاني منكِ يا نفسي براء
عبدتِ الادنياء رجاء دنيا ... حوتها بالخداع الادنياء
وأوردتِ الهوانَ فلم تعافي ... فأينَ تحدثي اين الاباء

* * *

ابيني يا سماء وخبرينا ... بما لم ندرِ دامَ لكِ العلاء
ولا زالت على مرّ الليالي ... نجومكِ يستضيء بها الفضاء
هل الارواح بعد الموت منا ... لها في جوّك السامي بقاء
ام الارواح تابعةٌ جسوماً ... لنا تبلى فيلحقها الفناء
فضاؤكِ هل يصيرُ الى انتهاء ... ام الابعاد ليس لها انتهاء
وحقٌ انَّ للاجرام حداً ... ام الحد الذي يعزى افتراء
وبعد نهاية الاجرام قولي ... خلاءٌ في الطبيعة ام ملاء
يحيرني امتدادك في الاعالي ... ويبهجني بزرقتك الصفاء
احبّ ضياء انجمك الزواهي ... فاحسن ما بانجمك الضياء
نجومكِ في دوائر سابحات ... يحفّ بها المهابة والبهاء

ترائى في تحرّكها بطاءً — وما هي في تحرّكها بطاء
ولا هي في الجسامة لو علمنا — ولا في بعدها عنا سواء

* * *

ابيني يا سماء وخبريني — والاّ دام في قلبي امتراء
ابقى المكثرون من الخطايا — اذا ماتوا وليس لهم جزاء
لعمرك لا تريد النفسُ هذا — فما اجاني وذو التقوى بواء
رأيت البعض يخشع للمنايا — فيذكرها ويغلبهُ البكاء
مخافة ان يلمّ الموتُ يوماً — ببنيتهِ فينهدمَ البناء
ويضرب عن وراء الموت صفحاً — كأنّ الموت ليس له وراء
فان تسأل يقل ما الموت الا — نهاية كلّ من لهم ابتداء
اضاءتك الحياة وكنت قبلاً — بليل حشو ظلمته العماء
وجودك بعد ذاك الليل صبحٌ — وهذا الصبح يعقبه المساء
رقيت من الجماد فصرت حياً — تميزهُ الدراية والذكاء
اقول كذا ولم ازدد يقيناً — بما في الامر لو كشفَ الغطاء

* * *

فقلت لهُ وبعض القول حقٌ — صريحٌ لم يجز فيهِ المراء
أليس مُركّبَ الاحياء طراً — عناصرُ اوضحتها الكيمياء
فقال بلى فقلت لهُ اليس الا — عناصر لا تحسّ ولا تشاء
فقال بلى فقلت اذن فما ذا — جرى حتى استتبّ لها النماء
وصارت بعدُ في الانسان جسماً — يفكرُ عاقلاً ولهُ دهاء
فقال السرُّ في التركيب انّ الا — مركب قد يقوم بهِ ارتقاء
اذا اتحدت عناصرُ في بناءٍ — تغير وصفه ذاك البناء
وجدّ لهُ خصائصُ ذاتُ شان — عناصرُ جسمهُ منها خلاء
وانّ حياتنا والموت فاعلم — اجيجٌ في العناصر وانطفاء
ولكنّ التعصب في اناس — اضلهم الهوى داء عياء
وافهامُ الجهول الحقَ مراً — عناء ليس يشبهه عناء
وفي الاصل الجواهر لو علمنا — قوىً منها الاثيرُ له امتلاء

تلاقى بينها فتكون منها ... جواهرُ في النفار لها ولاء
صغيرات الحجوم محقراتٌ ... ومنها الكائناتُ لها ابتناء
تضمَّن قوتي جذب ودفع ... كما يبديهِ هذا الكهرباء
وانَّ الشمس والاجرام طرًّا ... من الحركات ولدها السماء
لكلٍّ مقولة منها اليها ... على الدور ابتداء وانتهاء
فان برزت فذاك لها وجودٌ ... وان خفيت فذاك له فناء

***

سماؤُك هذهِ تحوي نجوماً ... لا كثرها عن البصر اختفاء
فتحسب ما يريك الليلُ منها ... شموعاً في الصباح لها انطفاء
وما هي لو تعي الاَّ شموسٌ ... بها ليدي منوّرها اعتناء
شموس قد اضاء الجوّ منها ... وزال بها عن الكون العماء
يصغّرُها بعينك حين ترنو ... لها بعدٌ هنالك واعتلاء
اهمّ بان اعد الارض منها ... كواحدة فيمنعني الحياء
فانّ الارض تابعة لشمس ... الى امّ النجوم لها انتماء
فنبهي يا سماء فليس شيءٌ ... تكوّن فيكِ عنك لهُ غناء
فأنتِ لكلّ موجودٍ وجودٌ ... وأنتِ لكلّ موجودٍ وعاء
وهذا الجوّ انت لهُ امتدادٌ ... وهذي الارض انتِ لها غطاء
وانَّ وجود ما في الكون طراً ... عليكِ اذا تأملنا ثناء
يليق يليق (مااستعليت كبراً) ... بشأنكِ يا سماء الكبرياء
فقبل القبل كنت كذا سماء ... ولا شمسٌ هناكَ ولا ضياء
ستفنى الكائنات وليس الاَّ ... لوجهِ الله ثمَّ لكِ البقاء

***

فقلت لهُ رعاكَ الله هذا ... على ما جاء في العلم اعتداء
فان حقائق الاشياء سرٌّ ... خفيٌّ ما لغامضهُ انجلاء
وابدت قبلنا الحكماء فيها ... اقاويلاً فما برح الخفاء

العراق

ج · ص

تاريخ علم الهندسة وكبار المهندسين

كل فنّ من الفنون المعروفة اليوم نشأ نشوءاً تدريجياً وانتقل بنموه من البسائط الى المركبات وقد كانت مبادىء العلوم جميعها موجودة في عقول البشر وهم بعد في طور الهمجية ثم اخذت تلك المبادىء تنمو وتزيد بالاستدلال والاستقراء الى ان انتهت في طريق تكاملها الى الحالة التي نجدها عليها في هذا الزمان . وقد كانت الحاجة امًّا للاختراع والاكتشاف وكثرة مطالب الناس في مجتمعاتهم ومقتضيات عمرانهم كانت تدعوهم الى التوسع في مالديهم من المعرفة وتحملهم على التجربة والقياس فوطدوا اساس العلم الذي وضعه لهم العقل ورفعوا عليه البناء الذي انشأه لهم الاختبار حتى شخص الى عنان السماء واصبح اليوم يغيب البصر في بعد مداه وترامي اطرافه وقسمه القائمون به الى فروع كثيرة اختص بكل فرع منها فريق من العلماء الاعلام واخذوا على انفسهم الاحتفاظ به والزيادة فيه فكان ما نراه اليوم من المعلومات في كل فن خلاصة عصور كثيرة مرّ بها الانسان وعمل عقول جمة تعاقبت عليه الواحد بعد الواحد . من ذلك علم الهندسة الذي نحن في صدده في هذه المقالة التي كتبناها لقراء المقتبس ونحن على ثقة اننا لم نأت الا على نزر من غزر ووشل من بحر من اسماء الجهابذة الاعلام الذين انشأوا هذا الفن وتعاونوا على ابلاغه حده في هذا العصر .

الهندسة علم يبحث في اوضاع الخطوط المستقيمة والمنحنية وفي الزوايا والسطوح والاجسام مع النسب التي بين المقادير وهي اقسام منها الهندسة البسيطة للسطوح والمجسمات وهي تبحث في صفات الخطوط القياسية والسطوح المستوية مع ما تحيط به من الاجسام وينطوي فيها ابحاث الخطوط والزوايا والمثلثات والمضلعات والدائرة والكرة مع الاجسام المحاطة بسطوح قياسية مثل المكعبات والاهرام وغيرها . والهندسة العالية وهي التي تبحث في المنحنيات الحاصلة من قطع المخروط والاشكال الشلجمية والذهلولية . ومنذ عهد غير بعيد ارتقت الهندسة العالية ارتقاء باهراً وتفنن العلماء في ادخال الطرق الجبرية لحل القضايا الهندسية وتوسيع ما يعرف عندهم اليوم بالهندسة الحلية او التحليلية . ومن اقسام هذا الفن الهندسة الوصفية او الرسمية وهي عبارة عن توسع في معالجة الاظلال العمودية او المرتسمات الهندسية ورسم اشكال الاجسام على السطوح المستوية وهذا القسم من الهندسة يحتاج اليه كثيراً في صناعة البناء واقامة القباب والجسور وغيرها .

قال الحكيم فانديك في احد كتبه « الهندسة قسم من التعليميات موضوعة المقدار

وهو كمٌ ذو امتداد اي كل ماله واحد من ثلثة اشياء وهي الطول والعرض والعمق ويقال لها الابعاد الثلثة . ولذلك يكون كلٌ من الخط والسطح والجسم مقداراً دون الحركة فانها وان كانت كماً لا تعد مقداراً اذ ليس لها شيءٌ من الابعاد المذكورة » وهو تعريف محكم لهذا الفن اخترنا الحاقه ُ الماماً باطراف البحث .

قلنا ان الهندسة مثل غيرها من العلوم بدأَت بالبسائط وتدرجت الى المركبات ومدارها اوليات بسيطة وحقائق مدركة بالبداهة مثل قولهم الكل اعظم من جزئه والاشياء المتساوية لشيء واحد هي متساوية والكل يساوي مجموع اجزائه وامثال هذه من الحقائق المفهومة بدون برهان وغير المفتقرة الى اقامة الدليل . وهذه الاوليات هي اساس فن الهندسة وعليها مداره ُ وهي قد ادركها الانسان منذ ظهوره وانسلاخه عن العهد الحيواني . واول رجل استعان بشبره او بقدمه او باصبعه او بذراعه او بباعه او بقامته او بخطوته او بسهمه او بنشابة تناولها من الارض وقاس بها طول طريقه او عرض كهفه او محيط جذع شجرته او ارتفاع جداره يكون هو المهندس الاول الذي ظهر بين الناس . وكما يستحيل علينا اليوم ان نعرف البادىء بعلم الحساب وواضع الاعداد وقواعدها الاولى كذلك يستحيل ان نعرف البادىء بالقواعد الهندسية ونكتفي بالقول انها وجدت منذ وجد العقل ونمت معه مصاحبة لنمو العمران وارتقاء تمدن الانسان . ويرجح الباحثون ان المصريين هم اول قوم دققوا في المقاييس وعينوا بعض الاشكال الهندسية مثل المربع والمثلث والدائرة ومسحوا الارض ودونوا في اطوالها وعروضها جداول وسجلات حفظت في دار الملك ورجع الناس اليها عند الحاجة . وذلك انهم كانوا في اول امرهم يقسمون الحقول بينهم ويقيمون عليها تخوماً من الطين فيعدو عليها النيل عند فيضانه ويذهب بها فتضيع الحدود والفواصل ويضل الفلاحون ارضهم فدعا رعمسيس الثاني في القرن الرابع عشر قبل الميلاد جماعة العلماء وامرهم بالتفتيش عن طريقة يخلصون معها من هذا الارتباك وتكفيهم شر المنازعة على التخوم كل سنة فمسحوا الحقول المستثمرة ووضعوا قواعد مسح المربع والمستطيل من السطوح واستخدموا الزوايا والاقواس في تعيين الحدود واقامة الفواصل والفوا كتباً وقسموا الارض على موجبها وفرضوا الجزية بحسبها وجرت دولة المصريين على ترتيبهم عهداً طويلاً . وقبل عهد رعمسيس كان المصريون قد عمروا الاهرام وشيدوا الهياكل والابنية الضخمة على اصول هندسية ادركوها بالتجربة والعقل وجروا عليها في الاعمال غير انهم لم يجعلوها فناً ولا كتبوا فيها شيئاً انتهى الى المنقبين في هذا العصر . وعلى هذا النمط جرى الكلدان بين النهرين في بناء القصور واقامة الآثار التي ما زال بعضها ماثلاً الى هذا اليوم .

قال هيرودتس ان مشأ علم الهندسة كان في مصر وذلك يوم جعل سيزوستريس او رعمسيس الثاني المزارعة دورية بين الفلاحين فاضطر الناس في مثل هذه الحالة الى مساحة السطوح المستطيلة والمثلثة والمستديرة لاجل تعيين الحدود بين الحصص في ارض لا يوجد فيها شيء من التخوم والفواصل الطبيعية كالصخور والمسايل والرجم والسدود وغيرها واكد ارسطوطاليس هذا القول بان العلوم الرياضية نشأت في مصر.

هذا وان كان المصريون والكلدان بدأُوا بوضع القواعد الهندسية الا انهم لم يتجاوزا فيها القدر الذي دعتهم اليه احوال معيشتهم في مسح الارض وتشييد الهياكل ومراقبة النجوم لمعرفة الاوقات مما له دخل في زراعتهم وعبادتهم وبقوا واقفين عند هذا الحد حتى ظهر اليونان ومدوا يدهم الى كل جرثومة من جراثيم التمدن والعلم في الشرق فاخذوها ونمت على ايديهم نموًّا عجيبًا فوسعوا اطراف الهندسة ورفعوها الى منزلة جديرة بالاعتبار وبسطوا قواعدها واكتشفوا فيها الاسرار العميقة والفوا الكتب المطوّلة بالاقسام والابواب حتى صار فن الهندسة يصف بين ارفع العلوم شأنًا واجلها قدراً. وابعد مهندسي اليونان عهداً ممن انتهى الينا خبرهم طاليس الفيلسوف احد الحكماء السبعة (٦٣٩—٥٤٨ق.م) نزل مصر ودرس المعروف عند علمائها وكهنتها من مبادىء الهندسة وقاس ارتفاع الاهرام بواسطة اظلالها وحمل العلم الى اليونان حيث رجع واسس المدرسة الايونية جاعلاً الهندسة احد الفنون القانونية فيها فقرأه عليه عدد كبير من طلاب الحكمة ومحبيها ونبغ فيه بعضهم وهو الذى اكتشف اكثر القضايا في المثلث متساوي الساقين وخواص الزوايا المحيطية في الدائرة وقضايا المثلثات المتشابهة فكان اول من جعل لهذا الفن حلقة تدريس خاصة به وجمع الاشتات المعروفة منه ولقنها الطلبة وفتح بابًا لمن بعده الى الاكتشاف والزيادة.

اوسع تلاميذه فضلا واسيرهم شهرة فيثاغورس الفيلسوف الذي ولد سنة ٥٧٠ قبل الميلاد ورحل الى مصر متشبهًا باستاذه بعد ان طاف اكثر بلدان الشرق ثم رجع الى جنوبي ايطاليا واسس مدرسة صار لها شأن عظيم في تاريخ التمدن. وهو الذي اثبت عدم التناهي في قياس قطر المربع بالنسبة الى ضلعه واثبت القضية المشهورة في ان مربع وتر المثلث قائم الزاوية يساوي مجموع مربعي القاعدة والعمود ويذهب بعضهم الى ان هذه القضية كانت معروفة عند المصريين قبل زمن فيثاغورس والصحيح انهُ اول من اقام عليها البرهان الهندسي. واكتشف عدة قضايا في الاشكال والاجسام القياسية والمضلعات التي محيطاتها متساوية وهو اول من جعل الهندسة فنًا استقرائيًا

وقام بعد فيثاغورس عدد عديد من علمائهم صرفوا اهتمامهم في كشف القضايا واقامة

البرهان عليها منهم اناكساغورس المتوفى سنة ٤٣٠ ق٠م وهو اول مهندس جرَّ على من بعده ويلاً كبيراً وحملهم عبئًا ثقيلاً بتفطنه الى تربيع الدائرة وصرف القسم الاعظم من وقته في حل هذه المشكلة التي تعاصت عليه وعلى من اتى بعده الى يومنا هذا والغرض من تربيع الدائرة هو رسم مربع بطريقة هندسية تساوي مساحته مساحة دائرة مفروضة فمات رحمه الله واوصى من يعقبه في علم الهندسة باكمال العمل الذي بدأ به فصرفت الايام والشهور والسنون والمعضلة في مكانها كلما زادوها احتفاء زادتهم ابهامًا وخفاء حتى ادركوا في العصور الاخيرة انهم يطلبون الابلق العقوق كما ادرك كيمو الاقدمين ان حجر الفلاسفة لا ينال ٠ قال الحوراني في رثاء استاذه الرياضي الشهير المرحوم ميخائيل مشاقة :

والصبرُ عزَّ على الجميع كأنه تربيعُ دائرةٍ ورسمُ مسبع

ومنهم اينوبيدس مكتشف طريقة رسم العمود ورسم زاوية مساوية لزاوية مفروضة

ومنهم هبوقراط الرياضي المولود سنة ٤٥٠ ق٠م الذي تقبل مثال صاحبه في الاشتغال بتربيع الدائرة٠ وهو اول من اشتغل بالبحث في مسح السطوح المحادة بخطوط منحنية فاكتشف طريقته لتربيع الاهلة المعروفة عند المهندسين باهلة هبوقراط والتي جعلت اساسًا لمسح السطوح المنحنية وهي انك اذا رسمت على كلٍّ من الوتر والضلعين في المثلث قائم الزاوية نصف محيط الى جهة رأس القائمة فمساحة الهلالين الحادثين من تقاطع المحيطات تساوي مساحة المثلث ٠ ومسح ايضًا اهلة اخرى بطرق متعددة جميعها قاصرة على انطباقها على الاهلة دون سائر السطوح المكتنفة بالخطوط المنحنية ٠ وعرضت عليه قضية تضعيف المكعب التي كانت شغل الرياضيين الشاغل في ذلك العصر٠ ذلك ان الطاعون تفشى في جزيرة ديلوس وثقلت وطأته حتى اعيت به حيلة السكان ولم يطيقوا معه مقامًا فلجأوا الى هاتف ابولون في تلك الجزيرة وسألوه عن الوسيلة لانكشاف الوباء عنهم فأشار عليهم بان يجعلوا المذبح المكعب الذي في هيكله مضاعفًا في حجمه ففعلوا في الحال بان زادوا على المذبح ما يساويه مقداراً واقاموا ينتظرون انفراج الازمة فما ازداد الوباء الا فتكاً ولم يجدهم التوسل نفعًا فعادوا الى الهاتف فاجابهم ان ابولون يريد ان يبقى المذبح مكعبًا في شكله مع اضافة مقدار جرمه اليه٠ فوقع القوم في ارتباك وحاروا في حل هذه القضية ثمَّ عرضوها على العلماء الراسخين في ذلك الزمان فلم يوفقوا الى معرفة طول ضلع المكعب المطلوب ليكون حجمه مساويًا لضعفي حجم المذبح وارتبكتهم المسألة كما اربكت كثيرين بعدهم من الرياضيين اصحاب الشهرة وطول الباع وقد عرضت على افلاطون فعجز عنها ولجأ الى المغالطة والسفسطة في اثباتها٠ ولم يقم رياضيٌّ بعد ذلك العهد الا ضرب رأسه بها وحاول حلها فاعجزت جميعهم حتى افضى امرها اخيراً

الى ديكارت في القرن السابع عشر فمثلها بالشكل الشلجمي من قطع المخروط و بالدائرة متقاطعين واثبت ان حلها بالخطوط والدوائر مستحيل. اما بالاعداد فهي من ابسط المسائل التي يعرفها المبتدئون لا تزيد عن استخراج الجذر الكعبي فاذا كان ضلع المذبح الصغير قدماً وجب ان يكون ضلع المذبح المطلوب بناؤه $\sqrt[3]{2}$ = ١٫٢٥٩٩٢١ واذا كان ضلع الصغير اربع اقدام كان ضلع الكبير $\sqrt[3]{128}$

ثم ظهر افلاطون (٤٣٠—٣٤٧ ق.م) و بعد ان اقام في مصر زمانًا واخذ العلم عن كهنتها عاد فوقف على المذاهب الفيثاغورية واعلن اهتمامه وعنايته بعلم الهندسة فكتب على باب مدرسته « لا يدخلها الا من كان محبًا للهندسة » وكان يدعو الله سبحانه « المهندس الازلي» وهو اول من بحث في القطوع المخروطية وهو صاحب الرأي المتعلق بالنقط والاوضاع الهندسية واتلف جزءًا كبيراً من وقته في الاشتغال بقضية تضعيف المكعب فعجز عن حلها بالاثبات الهندسي ولكنه اهتدى الى طريقة عملية واصرَّ على انها اخراج صحيح للمسألة وهي ليست كذلك . هذه القضية جرها هاتف ابولون على العلم والعلماء فذهبت باثمن الساعات وارفعها قدراً بدون ان تأتي بفائدة لاصحابها غير انهم اهتدوا وهم يعالجونها الى حل عدة قضايا هندسية واكتشاف عدد كبير من القواعد والحقائق الرياضية حتى ان افلاطون تدرج منها الى وضع اساس الهندسة التحليلية لانها هي التي جرته الى استخدام الجبر والحساب في الهندسة كما جرت غيره الى وضع مقدمات مسهبة وتأليف رسائل مطوَّلة تمهيداً لحلها وتذرعًا الى بابها. ولا يخطر لي الآن ان علم الهندسة استفاد من الدين في غير هذه المرَّة .

(البقية تأتي)

دمشق — فارس الخوري

الحياة

كم ساعة آلمني مسها   وازعجتني يدها القاسية
فتشت فيها جاهداً لم اجد   هنيهة واحدة صافية
وكم سقتني المرّ اخت لها   فرحت اشكوها الى التالية
فاسلمتني هذه عنوة   لساعة اخرى وبي مابيه
ويحك يامسكين هل تشتكي   جارحة الظفر الى ضارية
حاذر من الساعات و بل لمن   يأمن من تلك الفئة الطاغية

وان تجد من بينها ساعة　　جعبتها من غصص خالية
فاله بها لهو الحكيم الذي　　لم يند ه حاضره ماضيه
وامرح كما يمرح ذو نشوة　　في قلق من تحتها الهاوية
فهي وان بشت وان داعبت　　ختالة قتالة عادية
عناقها خنق وتقبيلها　　كما تعض الحية الباغية
هذا هو العيش فقل للذي　　تجرحه الساعة والثانية
ياشاكي الساعات اسمع عسى　　تنجيك منها الساعة التالية

المعنى مأخوذ من المثل الفرنسوي المشهور وترجمته « آه لو يعلم الشباب وآه لو يقدر المشيب » .

لم يدر طعم العيش شبا　　ن ولم يدركه شيب
جهل يضل قوى الفتى　　فتطيش والمرمى قريب
وقوى تخور اذا تشبث　　بالقوي الشيخ الاريب
بينا يقال كبا المغفل　　اذ يقال كبا اللبيب
اوّاه لو عقل الشباب　　وآه لو قدر المشيب

القاهرة　　اسماعيل صبري

صحف منسية

حكم ابن المقفع

ظفرت في دار الكتب الخديوية بالقاهرة برسالة في الحكم من تأليف ابن المقفع ولعلها رسالته المشهورة في الادب كتبها علي بن احمد الحلبي سنة ٨٤٤ هـ وقال في آخرها انها كتاب الادب الصغير وذكر في اولها انها كتبت برسم خزانة المقر الاشرف الكريم العالي الجمالي ناظر الخواص الشريفة بالممالك الاسلامية عظم الله شانه وصانه عما شانه . ومعلوم انه لم يطبع حتى الآن لابن المقفع سوى كتاب كليلة ودمنة ورسالة الدرة اليتيمة

قال القفطي في ترجمة ابن المقفع ما نصه : كان فاضلاً كاملاً وهو اول من اعتنى في الملة الاسلامية بترجمة الكتب المنطقية لابي جعفر المنصور وهو فارسي النسب الفاظه حكمية ومقاصده من الخلل سليمة ترجم كتب ارسطوطاليس المنطقية الثلاثة وهو كتاب

قاطيغورياس وكتاب باري ارمينياس وكتاب انالوطيقا وذكر انه ترجم اسياغوجي تأليف فرفوريوس الصوري وغيره وترجم ذلك بعبارة سهلة وترجم مع ذلك الكتاب الهندي المعروف بكليلة ودمنة وله تواليف حسنة منها رسالته في الادب والسياسة ورسالته المعروفة باليتيمة في طاعة السلطان اه

واليك الرسالة كما هي في الاصل :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الله بن المقفع رحمه الله تعالى

عمل البر خير صاحب. احق ما صان الرجلُ امر دينه. الآلف للدنيا مغتر. من الزم نفسه ذكر الآخرة اشتغل بالعمل. المغبون من طلب ثواب الآخرة في الدنيا. القلب اسرع تقلباً من الطرف. احسن العفو ما كان عن عظيم الجُرم. الاعتراف يؤدي الى التوبة. الاصرار وعاء للذنوب. الجواد من بذل ما يُضَنُّ به. المتكلف لما لا يعنيه متعرض لما يكره. الفكر مفتاح القلب. الاستماع اسلم من القول. كمون الحقود ككمون النار في العود. اكرم الاخلاق التواضع. التواضع يورث المحبة. الكبر مقرون به سوء الظن. من عذُب لسانه كثر اخوانه. من استبعد الآخرة ركن الى الدنيا. سرور الدنيا كاحلام النائم. المغبون من طلب الدنيا بعمل الآخرة. المصيبة العظمى الرزية في الدين. سرور الدنيا مخوف المغبة. من اهلك نفسه في مرضاة غيره عظمت جنايته. انفع الكنوز العمل الصالح. احقُّ الناس بالبر اعلمهم بالعاقبة. من ابصر العاقبة فآثرها امن الندامة. الوالي من وزرائه بمنزلة الرأس في اعضائه. من عرف ثمار الاعمال كان حقيقاً ان لا يغرس مراً. اهن دنيا بائدة تستكمل كرامة. ابقى الجروح مضضاً جرح الآثام. إئت الى الناس ماتحب ان يؤتى اليك. استصغر المشقة اذا ادت الى منفعة. راس البر الورع. اطلب الرحمة بالرحمة. خير الاعمال ما دبر بالتقوى. بالحزم يتم الظفر. من احب التزكية تعرض للضحكة. الدنيا نوم نائم والدولة حلم حالم. من سالم الناس ربح السلامة ومن تعدى عليهم كسب الندامة. بادر لعمل الخير اذا امكنك. من حصن سره امن ضرر ذلك. الدنيا قد تدرك بالجهل كما تدرك بالعقل. احسن العمل الصالح ما كان بصدق النية. خسر من انفق حياته في غير حقها. طوبى لمن ترك دنياه لآخرته. من الحق على السلطان رفع ذي الفضيلة وان يسد فاقته. لاتحمد نفسك على ما تركت من الذنوب عجزاً. بالرسول يعرف قدر المرسل. رفق الرسول يلين القلب الصعب. لا رأي لمن انفرد برأيه. من ترك رأي ذي النصيحة اتباعاً لما يهوى استوخم العاقبة. المشاورة اوثق ظهير. المستشار مؤتمن. اعتبر عقل الوالي باصابته

موضع اصحابه . من صحب السلطان لم يزل مروّعاً . كثرة اعوان السوء مضرة بالعمل . بالحزم يتم الظفر . باصالة الرأي تظفر بالحزم . استوجب الطاعة من ذوي الرأي بالمودة الصنيعة عند الملك . (كذا) الحازم من استمسك برأي الحزمة من ذوي الرأي . لا صلاح لرعية واليها فاسد . خير مستفاد الهدى . اكثر محادثة من يصدُقك عن عيوبك . حلية الملوك وزراؤهم . اكمل النصحاء من لم يكتم صاحبه نصيحة وان استثقلها . فساد الوالي اضرّ بالرعية من جدب الزمان . استعن بالصمت على اطفاء الغضب . لا تجنين على نفسك عداوة و بغضة اتكالاً على ما عندك من العمل والقوة والمنعة . كن في الحرص على معرفة عيبك بمنزلة عدوك في معرفة ذلك . البصير من عرف ضره من نفعه . (التواضع يورث المحبة . اكرم الاخلاق التواضع . الكبر مقرون به سوء الظن) ربما تحولت البغضاء مودة والمودة بغضاء . قرب الصالحين داعٍ للصلاح . احسن العفو ما كان عن عظيم الجرم . المال عون قويّ على المروءة وانفاقه مهلكة للمروءة . من عدم ماله انكره اهله . خير الملوك من يرى انه لا يضبط ملكه الا بالعدل بين رعيته واضيعهم الفظّ المتهاون . لا تغتر الاقوياء بفضل قوتهم على الضعفاء . الضعيف المحترس من العداوة اقرب الى السلامة من القوي المغتر . اخوف الاحقاد احقاد الملوك . ابصر الوزراء من بصّر صاحبه عيبه بالامثال . من قلّ كلامه حمد عقله . من عرف قدره قلَّ افراطه . احسن والدولة لك يحسن اليك والدولة عليك . (كمون الحقود ككمون النار في العود) من حرم العقل رزيء دنياه وآخرته . آفة العقل العجب . الهمُّ مرض العقل . احذر صولة اللئيم اذا شبع . احسن المدح اصدقه . الاحسان يقطع اللسان

مطبوعات ومخطوطات

كتاب المعجب

في الناس من يحكمون على الاشياء بظواهرها وعلى كليات الامور بجزئياتها فيأخذون من الغلط صواباً ومن الباطل حقيقة و ياليتهم ما استنتجوا ولا استنبطوا . عادة يكفي في وصف قبحها بانها تخلط بين الحق والباطل والصدق والكذب . ولقد كنت استحلي من بعض اهل العلم تأففه من سماع الاستنباط في الاخبار علماً منه بان صحة البرهان تكاد تكون مفقودة في الامة فكان شأنه اذا قصّ عليه احد قصة ان يشير اليه بترك الاستنباط وان يكتفي بذكر نبإه مجرداً عن الشروح والحواشي وحواشي الحواشي

ومن سوء الاستنتاج او الاستنباط دعوى بعضهم ان سوق الشعر لما راجت في الاندلس كانت السبب في زوالها وتبديد شمل اهلها لتشاغل القوم به عن الذود عن حياضهم . والظاهر ان القائل بهذا القول طالع بعض كتب التراجم وفيها شيء من الشعر للمترجَم بهم فظنّ ان هذه العناية بالقريض سلبت من النفوس الاستقلال ونزعت منها قوة الارادة واغرقتها في بحور الترف والسرف وفاته ان الشعب في تلك البلاد كان في اخلاقه وعلمه وقت زوال ملكه احسن من كثير من الشعوب الباقية اليوم وان ملوكهم هم الذين يبوءون بالتبعة واحق باللوم والتعنيف

نعم كان للقوم غرام ايامئذ بالشعر والادب لانهما وسيلة الى العلوم كافة حتى قيل عن المعتمد بالله بن عباد الاندلسي انه كان « لا يستوزر وزيراً الا ان يكون اديباً شاعراً حسن الادوات فاجتمع له من الوزراء الشعراء ما لم يجتمع لاحد قبله » ولم يكن الشعر هو القاضي على تلك المملكة وانما هو اختلاف كلمة المتغلبين ووجودهم وسط اعداء اشداء يسعون كل يوم الى تأييد سلطانهم والنيل من عداتهم والاخذ بالقديم من ثاراتهم على حين كان امراء الطوائف بالاندلس لاهين ساهين « همة احدهم كأس يشربها وقينة تسمعه ولهو يقطع به ايامه » وبلغ من تخاذل ملوك الاندلس وتواكلهم ان كان ملوك النصارى يأخذون « الاتاوة من ملوكها قاطبة » يدفعونها اليهم في حين ضعفهم عن يد وهم صاغرون . ولما تمكن حب الاثرة من جوانحهم اخذ احدهم يلتجيء الى عدوه الافرنجي ليعينه على اخيه وابيه

ولذا كان العقلاء يتنبأون بذهاب الاندلس عن حكم المسلمين قبل سقوطها بزهاء قرنين ومن هؤلاء الرجال عبد الرحمن بن خلدون شيخ فلاسفة العمران . على ان فتح الاندلس كان من الغلطات التي جرت على الامة وبالاً كان في الوسع تحاميه . بيد ان الغلط في فتح هذه البلاد كان باعثاً على ظهور ابداع العرب وفضل ذكائهم في الغرب فحمل ذاك الشعب المبذعر البائد لجيرانه من الاوربيين نموذجاً من الحضارة والعلم

واني لاحمد الله على ان ارانا دوراً سقطت فيه كلمة المخرقين والسفسطائيين فطبع من كتب الاسلاف ما سهل الوقوف على حقائقهم واخبارهم ومن جملتها كتاب « المعجب في تلخيص اخبار المغرب » لمحيي الدين ابي محمد عبد الواحد بن علي المراكشي طبعه في ليدن احد علماء المشرقيات العلامة دوزي الهولاندي صاحب كتاب « المسلمون في اسبانيا » المكتوب باللغة الافرنسية وناشر كثير من مؤلفات الاندلسيين كما طبعه طبعة ثانية غيره من علماء المشرقيات .

لم اعثر لمؤلف المعجب على ترجمة وانما قال عن نفسه في كلامه على مراكش « وبهذه

المدينة اعني مراكش مسقط رأسي وهي اول ارض مس جلدي ترابها وكان مولدي بها لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ٥٨١ في اول ايام ابي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ابن علي ثم فصلت عنها وانا ابن تسعة اعوام الى مدينة فاس فلم ازل بها الى ان قرأت القرآن وجودته ورويته عن جماعة كانوا هناك مبرزين في علم القرآن والنحو ثم عدت الى مراكش فلم ازل متردداً بين هاتين المدينتين ثم عبرت الى جزيرة الاندلس في اول سنة ٦٠٣ فادركت بها جماعة من الفضلاء من اهل كل شأن فلم احصل بحمد الله من ذلك كله الا معرفة اسمائهم ومواليدهم ووفياتهم وعلومهم وانفردوا دوني بكل فضيلة ولا مانع لما اعطى الله ولا معطي لما منع يختص برحمته من يشاء وهو ذو الفضل العظيم »

وهذا الكتاب هو كما وصفه مؤلفه : « اوراق تشتمل على بعض اخبار المغرب وهيئته وحدود اقطاره وشيء من سير ملوكه وخصوصاً ملوك المصامدة بني عبد المؤمن من لدن ابتداء دولتهم الى سنة ٦٢١ » « ينضاف الى ذلك نبذة من ذكر » من لقيه المؤلف او لقي من لقيه او روى عنه « بوجه ما من وجوه الرواية والشعر والعلماء وانواع اهل الفضل » ومن الوجوه التي ذكرها لمن قدم له كتابه عذر في غاية اللطف وان كان في غنية عنه الا وهو قوله « ضعف عبارة المملوك وغلبة العي على طباعه فمها وقع في هذا الاملاء من فنور لفظ او اخلال بسرد فهو خليق بذلك » على ان عبارة الكتاب في الغاية جزالة و بلاغة شأن معظم ما أُثر عن الاندلسيين .

حدد المؤلف اولاً جزيرة الاندلس اجمل تحديد مندمج واضح وذكر خبر فتحها واتى باجمع تفصيل لاخبارها وسير ملوكها ومن كان فيها من الفضلاء وذكر هناك حديثاً ضعيفاً في فضل الاندلس وهو في معنى الاحاديث التي يرويها اهل كل بلد من بلاد الاسلام في فضل بلدهم وقال ان معظم ما يروى من هذا القبيل فيه نظر . واحسن بان عدّ من جملة فضائل الاندلس « انه لم يذكر قط احد على منابرها من السلف الا بخير » اشارة الى ان بني مروان وان استولوا على تلك البلاد بعد سقوط دولتهم في المشرق بايدي العباسيين لم يعمدوا ثمت الى لعن احد على منابرهم كما جروا مع الخليفة الرابع نحو الف شهر .

اوجز المؤرخ في ذكر الامويين لانه لم يضع كتابه لذكر اخبارهم وانما اورد طرفاً مجملاً منها حباً بتسلسل الحوادث وعني بذكر دولة المصامدة خاصة فلم يصف عبد الرحمن الداخل باكثر من قوله : (فلم يزل مستتراً يتنقل في بلاد المغرب حتى دخل الاندلس ودخلها حين دخلها طريداً وحيداً لا اهل له ولا مال فلم يزل يصرّف حيلته ويسمو بهمته والقدر مع ذلك يوافقه الى ان احتوى على ملكها وملك بعض بلاد العدوة وكان ابو جعفر المنصور

اذا ذكر عنده قال ذاك صقر قريش وكان عبد الرحمن بن معاوية من اهل العلم وعلى سيرة جميلة من العدل »

وبعد فلو اعتدل المترجمون في ذكر مترجميهم الى هذا الحد لما احتاج المطالع في تمحيص الحقائق الى روية زائدة ولسقط كثير ممن تلتمس بركاتهم ويترضى عنهم كلما ذكروا . وقال في هشام بن عبد الرحمن انه كان « حسن السيرة متحريًا للعدل يعود المرضى ويشهد الجنائز ويتصدق بالصدقات الكثيرة وربما كان يخرج في الليالي المظلمة الشديدة المطر ومعه صرر الدراهم يتحرى بها المساتير وذوي البيوتات من الضعفاء ولم يزل هذا مشهوراً من امره » وذكر ولده الحكم بن هشام الملقب بالمرضي بانه طاغ مسرف وله آثار سوء قبيحة قال (وفي ايامه احدث الفقهاء انشاد اشعار الزهد والحض على قيام الليل في الصوامع اعني صوامع المساجد وامروا ان يخلطوا مع ذلك شيئًا من التعريض به مثل ان يقولوا يا ايها المسرف المتمادي في طغيانه المصرّ على كبره المتهاون بامر ربه أفق من سكرتك وتنبه من غفلتك وما نحا هذا النحو فكان هذا من جملة ماهاجه واوغر صدره عليهم وكان اشد الناس عليه في امر هذه الفتنة الفقهاء وهم الذين كانوا يحرضون العامة ويشجعونهم الى ان كان من امرهم ما كان)

*
* *

يقسم المعجب الى قسمين طبيعيين ينتهي الاول بقيام محمد بن تومرت صاحب دولة الموحدين وينتهي القسم الثاني بسنة ٦٢١ ففي القسم الاول خلا التاريخ السياسي تراجم كثير من اهل السياسة والعلم والادب . وتراجم المشاهير هي في الحقيقة تاريخ السياسة . فممن ذكرهم من اهل العلم ابو محمد بن حزم (١) واورد له قطعة من شعره ومما قاله في رجل نمام

انمُّ من المرآة في كل ما درى   واقطع بين الناس من قضب الهند
كأن المنايا والزمان تعلما   تحيله في القطع بين ذوي الود

وذكر ابن عبدون وابن وهبون القائل

قلَّ الوفاء فما تلقاهُ في احد   ولا يمرُّ لمخلوق على بال
وصار عندهم عنقاء مغربة   او مثل ماحدثوا عن الف مثقال

وترجم ابن زيدون وابن عمار وقد اورد له من قصيدة بيتًا لم يسمع لمتقدم ولا لمتأخر بمثله وهو

السيف افصح من زياد خطبة   في الحرب ان كانت يمينك منبرا

(١) راجع الجزء الاول والثاني من المقتبس

وأَلمَّ بذكر ابن اللبانة الذي اكثر من رثاء المعتمد على الله وقد حبسه صاحب مراكش باغمات واستلب منه ملكه وقتل ولده

ومما قاله ابن اللبانة في المعتمد

والدهر في صبغة الحرباء منغمس　　الوان حالاته فيها استحالات
ونحن من لعب الشطرنج في يده　　وربما قُمرت بالبيدق الشاة

واطال المؤلف في ترجمة ابن عمار واجاد لانها دالة على حالة سياسية وقد يورد من الاشعار ارقها واعذبها و يعتذر بانه خالف الغرض الذي فرضه على نفسه من الاختصار كل مرة باسلوب . ولابن عمار لما حبسه المعتمد (قصائد لو توسل بها الى الدهر لنزع عن جوره او الى الفلك لكف عن دوره فكانت رُقىً لم تنجع ودعوات لم تُسمع وتمائم لم تنفع)

فمنها قوله: سجاياك ان عافيت اندى واسجح　　وعذرك ان عاقبت اجلى واوضح

وان كان بين الخطتين مزية　　فأنت الى الادنى من الله تجنح
حنانيك في اخذي برأيك لا تطع　　عَداي ولو اثنوا عليك وافصحوا

الى ان يقول :

وما ذا عسى الواشون ان يتزيدوا　　سوى ان ذنبي واضح متصحح
نعم لي ذنبٌ غير ان لحلمه　　صفاة يزلُّ الذنب عنها فيسفح
عليك سلام كيف دار به الهوى　　اليّ فيدنو او عليّ فينزح
ويهنئه ان مت السلو فانني　　أموتُ ولي شوق اليه مبرح
وبين ضلوعي من هواه تميمة　　ستنفع لو ان الحمام يجاحُ

واطال صاحب المعجب ايضاً في نقل رسائل ابن عبدون وهي في الغاية جزالة ورشاقة وشعره الجيد المنسجم وهو صاحب القصيدة التي يقول في اولها

الدهر يفجع بعد العين بالاثر　　فما البكاء على الاشباح والصور

وكان ابن عبدون (اديب الاندلس وامامها وسيدها في علم الآداب) ومن شعره

لاح المشيب على رأسي فقلت لهُ　　الشيب والعيب لاوالله ما اجتمعا
ياساقي الكأس لا تعدل الي بها　　فقد هجرت الحميا والحميم معا

ومنه　اني نظرت الى المرآة اذ جليت　　فانكرت مقلتاي كل ما رأتا
رأيت فيها شييخًا لست اعرفه　　وكنت أعرف فيها قبل ذاك فتى

ومن لطيف الشعر ما رواه لابي عمر القسطلي من شعراء الطبقة الثالثة في الاندلس —

قال ابو منصور الثعالبي في اليتيمة القسطلي عندهم كأبي الطيب بصقع الشام — يمدح بها ابا علي القالي :

من حاكم بيني وبين عذولي الشجو شجوي والعويل عويلي
أأقصر فما دين الهوى كفر ولا اعتد لومك لي من التنزيل
عجبًا لقوم لم تكن اذهانهم لهوى ولا اجسـادهم لنحول
دقت معاني الحب عن افهامهم فتأولوه اقبح التـأويل
في اي جارحة اصون معذبي سلمت من التعذيب والتنكيل
ان قلت في عيني فثم مدامعي او قلت في قلبي فثم غليلي

ومما ارتجله ابو عمر في بعض مجالسه

أجد الكلام اذا نطقت فانما عقلُ الفتى في لفظه المسموع
كالمرء يختبر الاناء بصوته فيرى الصحيح به من المصدوع

ولما ملك امير المسلمين يوسف جزيرة الاندلس وكان صاحب المغرب الاقصى وضخم سلطانه واستحق اسم السلطنة وتسمي هو واصحابه بالمرابطين وانقطع اليه (من الجزيرة من اهل كل علم فحوله حتى اشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم واجتمع له ولابنه من اعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الاعصار فممن كتب لامير المسلمين كاتب المعتمد على الله ابو بكر المعروف بابن القصيرة) (كان على طريقة قدماء الكتاب من اتيان جزل الالفاظ وصحيح المعاني من غير التفات الى الاسجاع التي اخذها متأخرو الكتاب اللهم الا ماجاء في رسائله من ذلك عفواً من غير استدعاء) وذكر غيره مثل ابن عبدون واورد له بعض رسائله التي كتبها عنه وهي مسجعة منمقة كما كان اورد له طرفًا صالحًا من شعره . قال ولم يزل حال امير المسلمين من اول امارته يستدعي اعيان الكتاب من جزيرة الاندلس وصرف عنايته الى ذلك حتى اجتمع له منهم مالم يجتمع لملك كأبي القاسم بن الجد المعروف بان القبطرنة وابي عبـدالله محمد بن ابي الخصال واخيه ابي مروان وابي محمد عبد المجيد بن عبدون المذكور آنفًا في جماعة يكثر ذكرهم وكان من انبههم عنده واكبرهم مكانة لديه ابو عبد الله محمد بن ابي الخصال) وهنا نقل المؤلف شيئًا من رسائل هذا وبها انتهى القسم الاول باختلال احوال المرابطين واستبدادهم بالامر حتى خرج عنهم

*
* *

يبتديء القسم الثاني من هذا الكتاب بقيام محمد بن تومرت الذي قام بدعوى الامر

بالمعروف والنهي عن المنكر سنة ٥١٥ وادعى المهدوية ولحقه جماعة في بلاد المغرب واسس دولة المصامدة في الاندلس بمالأة عبد المؤمن بن علي. افاض المؤلف في ترجمة هذا المهدي فكشف الغطاء عن حقيقته ولا عجب فان ابن تومرت من اعاجيب الخلق ورجال العالم ثم ذكر خليفته من بعده عبد المؤمن واولاده واحفاده ووزراءهم وكتابهم وقضاتهم واخلاقهم وصفاتهم واخبارهم. ولما دانت اكثر بلاد الاندلس لعبد المؤمن وتشوفت اليه اعيانها «سار حتى نزل سبتة فعبر البحر ونزل الجبل المعروف بجبل طارق وسماه هو جبل الفتح فقام به اشهراً وابتنى به قصوراً عظيمة» «واجتمع له في مجلسه فيه من وجوه البلاد ورؤسائها واعيانها وملوكها من العدوة والاندلس ما لم يجتمع لملك قبله واستدعى الشعراء في هذا اليوم ابتداء ولم يكن يستدعيهم قبل ذلك انما كانوا يستأذنونه فيؤذن لهم وكان على بابه منهم طائفة مجيدون فدخلوا فكان اول من انشد ابو عبد الله محمد بن حبوس من اهل مدينة فاس وكانت طريقته في الشعر على نحو طريقة محمد بن هاني الاندلسي في قصد الالفاظ الرائعة والقعاقع المهولة وايثار التقعير»

كرر المؤلف الثناء على عبد المؤمن ومما قاله فيه وقد كرر هذا المعنى مراراً (وكان محبًا في الآداب مؤثراً لاهلها يهتز للشعر ويثيب عليه اجتمع له من وجوه الشعراء واعيان الكتاب عصابة ما علمتها اجتمعت لملك منهم بعده) وافاض ما شاء وشاء بيانه في وصف ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وكان عالمًا مفننًا مكرمًا للعلماء والشعراء كثيراً ولم يزل (يبحث عن العلماء وخاصة اهل علم النظر الى ان اجتمع له منهم مالم يجتمع لملك قبله ممن ملك المغرب وكان ممن صحبه من العلماء والمتفننين ابو بكر محمد بن طفيل احد فلاسفة المسلمين كان متحققًا بجميع اجزاء الفلسفة) (يأخذ الجامكية مع عدة اصناف من الخدمة من الاطباء والمهندسين والكتاب والشعراء والرماة والاجناد الى غير هؤلاء من الطوائف وكان يقول لو نفق عليهم علم الموسيقى لانفقته عندهم وكان امير المؤمنين ابو يعقوب شديد الشغف به والحب له بلغني أنه كان يقيم في القصر عنده اياماً ليلاً ونهاراً لا يظهر وكان ابو بكر هذا احد حسنات الاندلس في ذاته وادواته) (ولم يزل ابو بكر هذا يجلب اليه العلماء من جميع الاقطار وينبهه عليهم ويحضه على اكرامهم والتنويه بهم وهو الذي نبهه على ابي الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد فمن حينئذ عرفوه ونبه قدره عندهم)

وابن الطفيل هو الذي استدعى ابن رشد يومًا وقال له: «سمعت اليوم امير المؤمنين يتشكى من قلق عبارة ارسطوطاليس او عبارة المترجمين عنه ويذكر غموض اغراضه ويقول لو وقع لهذه الكتب من يلخصها ويقرب اغراضها بعد ان يفهمها فهمًا جيدًا لقرب مأخذها

على الناس فان كان فيك فضل قوة لذلك فافعل واني لارجو ان تني به لما اعلمه من جودة ذهنك وصفاء قريحتك وقوة نزوعك الى الصناعة وما يمنعني من ذلك الا ما تعلمه من كبر سني واشتغالي بالخدمة وصرف عنايتي الى ما هو اهم عندي منه قال ابو الوليد فكان هذا الذي حملني على تلخيص ما لخصته من كتب الحكيم ارسطوطاليس » وابن الطفيل هو صاحب رسالة حي بن يقظان في اسرار الحكمة المشرقية التي استخلصها من كلام الرئيس ابي علي بن سينا

وختم المؤلف ترجمة ابي يعقوب بقوله وهو شاهد على انطلاق في الفكر : (وفي الجملة لم يكن في بني عبد المؤمن في من تقدم منهم وتأخر ملك بالحقيقة غير ابي يعقوب هذا) ومما دل على حرية خاطره ما وقع له مع استاذه ابي جعفر الحميري علم الاندلس في الآداب والعلم وقد نظم بيتين استحسنهما وقال لابنه هذا والله الشعر لا ما تصدعني به طول نهارك فما كان من ابن استاذه الا ان عمل بيتين اخذ معني بيتي المؤلف واعدمهما رونقهما ومسخهما جملة فلما تلاهما الحميري على تلميذه استحسنهما فقال : هذا والله احسن من شعري فتغير له وقال : (يا بني دع عنك هذه العادة فان اسوأ ما تخلق به الانسان الملق وتزيين الباطل سيما اذا اضاف الى ذلك الحلف الكاذب والله انك لتعلم ان هذا ليس بشيء والا فقد اختل ميزك وساء اختيارك وما اظن هذا هكذا)

وكتب المؤلف ثلاثاً وثلاثين صفحة في ترجمة امير المؤمنين ابي يوسف وكان يخالف من تقدمه في مشربه تداخل في عقائد الناس والزمهم بعقيدته وطلق الحرية بتاتاً واضطر اليهود ان يلبسوا ثياباً غير ثيابهم تمييزاً لهم واهانة والغالب ان سوق الشعر لم ترج في ايامه كل الرواج كما كانت في ايام غيره من الملوك وكانت كلها حروباً وفتناً وسفكاً وبطشاً وعمارة قصر واحياء مدينة

ومما رواهُ حيلة لطيفة احتالها ابن عمار رجل الجزيرة على ملك الاسبانيول الادفنش عند ما خرج في جيوش ضخمة يقصد بلاد المعتمد طامعاً فيها (وذلك انه اقام سفرة شطرنج في غاية الاتقان والابداع لم يكن عند ملك مثلها جعل صورها في غاية الاتقان اظهرها بحيث بلغ امرها ملك الاسبان وكان مولعاً بالشطرنج وكان ابن عمار طبقة عالية فيه فاراده الملك على ان يلعبا معاً فما كان الا كلا ولا حتى غلب ابن عمار ملك الافرنج غلبة ظاهرة لجميع الحاضرين لم يكن له فيها مطعن فقال له ابن عمار هل صحَّ ان لي حكمي قال نعم . فما هو قال ان ترجع من هاهنا الى بلادك فاسود وجه الملك وقام وقعد ورجع عن قصد الفتنة بعد ان اخذ اتاوة عامين بفضل ابن عمار . ومن نكت الكتاب ما رواه من ان ابا العلاء

صاعد بن الحسن الربعي دخل على المنصور ابي عامر يوماً في مجلس انسه وقد كان تقدم له ان اتخذ قميصاً من رقاع الخرائط التي كانت تصل اليه فيها الاموال منه فلبسه تحت ثيابه فلما خلا المجلس ووجد فرصة لما اراد تجرد وبقي في القميص المتخذ من الخرائط فقال له ما هذا يا ابا العلاء فقال هذه الخرائط التي وصلت اليَّ منها صلات مولانا اتخذتها شعاراً وبكى واتبع ذلك من الشكر فصلاً كان رواه فاعجب ذلك المنصور وقال له لك عندي مزيد وكان كما قال

وألف له ابو العلاء هذا كتباً فمنها كتاب سماه كتاب الفصوص على نحو كتاب النوادر لابي علي القالي واتفق لهذا الكتاب من عجائب الاتفاق ان ابا العلاء دفعه حين كمل لغلام له يحمله بين يديه وعبر النهر نهر قرطبة فخانت الغلام رجله فسقط في النهر هو والكتاب فقال في ذلك بعض الشعراء وهو ابو عبد الله محمد بن يحيى المعروف بابن العريف بيتاً مطبوعاً بحضرة المنصور وهو

قد غاص في البحر كتاب الفصوص وهكذا كل ثقيل يغوص

فضحك المنصور والحاضرون فلم يرع ذلك صاعداً ولا هاله وقال مرتجلاً مجيباً لابن العريف

عاد الى معدنه انما توجد في قعر البحار الفصوص

ومما يستفاد من هذا الكتاب وهو حريٌّ باهل هذا العصر ان يتدبروه ما ذكره لبعض الاولاد ممن لا يتجاوزون الخامسة عشرة من الشعر والنثر فمن ذلك قصيدة للرصافي الشاعر قالها في حضرة الخليفة في يوم الحفل ولم تكمل له عشرون سنة ورسالة اوردها لصبيٍّ بعث بها للمؤلف من مدينة سوس يخبره بفتح عظيم تم على يد السلطان وقطع دابر من كان نازعاً الى الفتنة وهي من اللطافة بحيث يتعذر على كثير ممن يسمون العلماء الافاضل لعهدنا ان يكتبوا مثلها او دونها بدرجات

والمؤلف في سير المصامدة واخبارهم وقبائلهم واحوالهم في ظعنهم واقامتهم وذكر صفة اقامة الجمعة عندهم وذكر خطبتهم وكيفية دعائهم لملكهم وهو عندهم الامام المعصوم والمهدي المعلوم . وهكذا تجد الكتاب من اوله الى آخره على نسق واحد يتنقل فيه المطالع بين السياسة والتاريخ وتراجم الرجال وذكر العلماء ومفاوضاتهم والشعراء وشعرهم والوزراء واخبارهم والكتاب ورسائلهم والفلاسفة وما جرى لهم . كل ذلك لم يخرج فيه عما قصده من التلخيص وذكر اقاليم المغرب وعين مدنه وحدد ما بينها من المراحل عدداً من لدن برقة الى سوس الاقصى وذكر جزيرة الاندلس وما يملكه المسلمون من مدنها . عمل ذلك عملاً بارادة الملك الذي صنف الكتاب باسمه وقال في الاعتذار عن ذلك وما اخلاه من اعتذار:

فلم يرَ المملوك بدّاً من اجري على العادة في سرعة الاجابة وامتثال مرسوم الخدمة لوجوب

ذلك عليه شرعًا وعرفًا هذا مع ان هذا الباب خارج عن مقصود هذا التصنيف وداخل في المسالك والممالك

فجاء الكتاب كما ترى سفر جغرافية للمغرب فيه ذكر معادنها وانهارها ومدنها وتاريخ مختصر لها بل تاريخ للآداب والعلم والاجتماع فيها يطالعه المستفيد فيكاد لا يترك القلم من يده يقيد من شوارده وفوائده مع ان صفحات الكتاب لا تتجاوز ٢٧٣ من القطع الوسط وهو على اختصاره يغني عن مطالعة المطولات لقلة الظفر بها . وما اخال عالمًا في هذا القرن على جودة طرق التعليم في بلاد الافرنج ووفرة اسباب العلم عندهم لو اراد ان يؤلف في موضوع هذا الكتاب ان يكتب اصغر منه جرمًا واكثر منه فائدة وإمتاعا . وقد قيل ان الاسماء تدل على مسمياتها ولكل شيء من اسمه نصيب . وكتاب المعجب هو في الحقيقة مما وافق اسمه مسماه وطابق لفظه معناه لا يقرأه مستفيد الاّ ويعجب به كل الاعجاب وقد اجاد طابعه في اتباعه بفهرست للاسماء الواردة في الكتاب واسماء الكتب المذكورة فيه وذلك على عادة الغربيين في كل ما طبعوه من الكتب العربية جزاهم الله خيرًا

تاريخ التمدن الاسلامي

من الكتب النافعة التي عُني بتأليفها تاريخ التمدن الاسلامي لرصيفنا المؤرخ الفاضل جرجي افندي زيدان صاحب الهلال الاغر وهو يبحث في نشوء الدولة الاسلامية وتاريخ مصالحها الادارية والسياسية والجندية وبيان ثروتها وتاريخ العلم والادب والتجارة والصناعة فيها ونظام الهيئة الاجتماعية وآدابها والعادات والاخلاق . وقد تفرع عن كل مبحث مباحث وعن كل باب فصول تدل على مبلغ علم المؤلف فتمّ له هذه السنة الجزء الخامس منه وهو آخر الكتاب . وكان كل سنة يصدر جزءاً فيتحفنا بنسخة منه نطالعها بروية واستبصار . ومن يطالع فهرس الكتب العربية والافرنجية التي رجع اليها اثابه الله في وضع مصنفه يتجلى له قدر التعب والمعاناة . اما وقد وضع الآن صديقنا المؤلف الخطوط المهمة من رسم هذا الموضوع الواسع فسيجيء يوم يستوفيه هو بنفسه فيزيد فيه او ينقص منه او يجيء غيره من متعاطي هذا الفن فيصلحون بعض ما وقع له منها مما لانسميه هفوات بل اضطراريات لا مناص للواضع في فرع من فروع العلم من الوقوع فيها . والكتاب مطبوع طبعًا جيداً وهو يطلب من مكتبة الهلال بالفجالة بمصر فنهنيء المؤلف على هذا العمل النافع الذي جعله خلاصة علمه وزبدة ما وصل اليه اطلاعه على الفن الذي يمت به ونسأل الله ان يكثر فينا من امثاله العاقلين الفضلاء

المدونة الكبرى

صدر الجزء العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر من هذا الكتاب الجليل رواية الامام سحنون عن الامام عبد الرحمن بن القاسم عن الامام مالك وبقي منه جزءآن فيقع الكتاب بذلك في ستة عشر مجلداً وقد تبين لنا من تصفح هذه الاجزاء الاخيرة ان في بعض الاحكام المنقولة عن محدث المدينة احكام وافقه فيها القانون الفرنسوي ولذلك اصبح من الجدير بكل مشتغل بالحقوق المدنية كما هو حري بطالب العلوم الشرعية ان يقتني هذا الكتاب الممتع ليقابل بين القديم والحديث وليعلم ان الفقه الاسلامي لم ينقل عن الفقه الروماني بل ان مأخذه الكتاب والسنة والاجماع والقياس. وانا نثني في هذا المقام اطيب الثناء على طابعه الغيور الحاج محمد افندي الساسي المغربي كما لا نزال نشكر له ما بذله من العناية في سبيل الحصول على النسخة الاصلية المقروءة على رجال هذا الشأن ليخرج للامة هذا الكتاب المعدود من امهات كتبها التي يرجع اليها ويعول في هذا الباب عليها

منتخبات المؤيد

جمع سعادة الصحافي الفاضل الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد الاغر وجريدته اقدم جريدة اسلامية كبرى تصدر في هذا القطر منذ ست عشرة سنة—منتخبات سنة جريدته الاولى جمعها في كتاب وقع في زهاء خمسمائة صفحة وقد اتحفنا بنسخة منه فقرأنا فيه لباب تاريخ تلك السنة السياسي والاداري والعلمي وكل ما يتصرف على ذلك من الاوامر والمنشورات والحوادث المهمة الخاصة بمصر والسودان والدولة العلية فجاء سفراً حافلا بما يلذ ويفيد نرجو له التوفيق الى انجاز سائر السنين في اقرب وقت فان في بعض الصحف اليومية من الابحاث التي نقع لها في الغالب ما يجدر بار بابها ان يحرصوا على تخليدها لتنقل خلفاً عن سلف وتكون في القماطر يرجع اليها عند اللزوم. وحبذا لو جرى على مثال صاحب المؤيد الاغر غيره من ارباب الجرائد اليومية ممن يكتبون اليوم ويفقد ما تعبوا بانشائه غداً. وهذه المنتخبات جيدة الطبع وثمن الجزء عشرون قرشاً مصرياً فنحض كل محب للاطلاع على اقتناء نسخة منها

روح التسامح من القرآن

هو كتاب وضعه بالفرنسوية حضرات الافاضل قيصر افندي ابن العطار والهادي افندي السبعي وصديقنا السيد عبد العزيز الثعالبي التونسي ترجموا فيه الآيات والاحاديث النبوية

الآمرة بالتسامح واحترام المخالفين وافاضوا في حرية الاعتقاد في الاسلام ورفع شأن المرأة وبينوا فيه ان الاسلام دين عام لا خاص جاء للعرب فقط وانه يأمر بتعليم الرجل كما يأمر بتعليم المرأة ويقضي باحترام كل صالح من اي نحلة كان وبينوا فيه ما كان من شأن الاسلام في خدمة الحضارة والمدنية ونعوا على المسلمين اغفالهم اصول دينهم والتمسك بخرافات واضاليل من مثل تقديس الائمة ومشايخ الطرق وغير ذلك وهو كتاب اصلاحي مفيد قدموه الى المسيو فالي احد اعضاء مجلس الشيوخ في فرنسا وناظر حقانيتها سابقاً فشكرهم على غيرتهم ونشاطهم . والكتاب طبع في باريز احسن طبع ويطلب من مؤلفيه في تونس

امالي الزجاجي

لبعض العلماء في القديم طريقة كانوا يملون فيها مسائل من علمهم يسمونها الامالي وممن اشتهروا بذلك ابن الشجري امام الادب والشعر وايام العرب الف اماليه فكان احسن كتبه ومنهم ابو العباس ثعلب النحوي له امالٍ ولابي علي القالي كتاب في الامالي عرف به ولابي بكر محمد بن القاسم الانبارى امالٍ ولابي القاسم الزجاجي النحوي المتوفى سنة ٣٣٧ هـ امالٍ ايضاً وقد طبعت هذه الايام امالي الزجاجي بمصر وشرحها الفاضل الاديب الشيخ احمد ابن الامين الشنقيطي فجاءت في نحو ١٤٠ صفحة جيدة الورق والطبع فنثني على طابعيها الالباء احمد افندي ناجي الجمالي ومحمد امين افندي الخانجي الكتبي واخيه وهي تطلب من مكتبة امين افندي الموما اليه بالحلوجي وفيها فوائد لغوية وادبية وتاريخية لا يستغني عنها متعاطي هذه الصناعه فنشكرهم على هذه التحفة

سقوط نابليون الثالث

قلما ينشر بيننا من الروايات المفيد الصحيح الاسلوب والتراكيب النابي عن طور الخلاعة والرقاعة ولكن رواية سقوط نابوليون التاريخية الاجتماعية الادبية الغرامية العصرية جاءت وافية ببعض الغرض فهي بلا مراء من احسن ما عرب لنا . الفها الكاتب الفرنسوي اميل جابوريو وعربها الشاعر الكاتب المجيد نقولا افندي رزق الله ولم يقع المعرب في مثل ما وقع فيه غيره من كتاب الروايات من التراكيب الافرنجية والالفاظ المبتذلة العامية والتراكيب الركيكة بل انها على طولها نسق واحد في جودة عبارتها وتعبيرها مع انطباقها على الاصل في الغالب بحيث جاءت في ثلاث مجلدات تقرب من الف صفحة . ويقيننا انه لو رجع المعرب الفاضل على ما كتب لحذف بعض ما جاء على رأس قلمه عفواً من التجوزات وبعض الالفاظ التي لا يكاد يسلم منها كاتب عربي في هذا العصر على ان ما كتبه غاية

ما يمكن لكتاب الروايات ان يجيدوا فيه الآن فنثني على همته وادبه كما نثني على طابعها الاديب عزتلو خليل بك صادق صاحب مجلة مسامرات الشعب وصاحب مكتبة الشعب ومطبعتها بمصر وهي تطلب من مكتبته وثمنها ثلاثون قرشاً صحيحاً

ديوان الرافعي

صدر الجزء الثالث من هذا الديوان لناظمه الفاضل الاديب مصطفى افندي صادق الرافعي وهو تمام ديوانه وقد صدره بباب التهذيب فالحكمة فالنسائيات فالوصف فالغزل والنسيب فالمديح والتقريظ فالاغراض والمقاطيع فالمراثي ويدخل في كل باب ضروب من الحكمة والادب تدخل السرور على قلب الكئيب وتحمل النور الى عقل الاديب الاريب من ذلك قوله:

قومي (ولا فخر) على حالة　　لا يعرف الانسان انسانا
فكلهم مأربه واحدٌ　　فيما ارى شيباً وشبانا
(وظيفة) تكتب تحت اسمه　　او (رتبة) تذكر عنوانا

وقال في الطبيعة والناس

ضلت الناس لا الفقير ممنى　　بثراء ولا الغني يبالي
خفض الدهر ثم اعلى فامسى　　بعضهم سادة و بعض موالي
اخوة كالغصون ينبتها الجذ　　ع قصار تكون تحت طوال
ايهذي النفوس ملت عن الفط　　رة حتى بليت بالاذلال
الثرى ينبت الحبوب جزافاً　　والورى يقسمون بالمكيال

والشاعر على ما يعرفه القراء مطبوع في شعره مجيد في نثره فله منا الشكر على همته ونشاطه وقد وقع هذا الجزء في ١٥٠ صفحة جيدة الطبع والورق وهو يطلب من المكتبة الازهرية في السكة الجديدة وثمنه خمسة قروش واجرة البريد قرش واحد فنحث المتأدبين على مقتناه

الرحلة الحجازية

هو كتاب في ٢٢٨ صفحة من جمع الاديب الشيخ عبد الله القدومي فيه حوادث ومسائل علمية اثرت عن الشيخ عيسى القدومي النابلسي من علماء القرن الماضي وفيها مطالب دينية و بعضها مما لا يقره اهل التحقيق الراجعين الى هدى الكتاب والسنة من اقوم طريق ممن ردوا مفتريات الحشوية واهل التلفيق. وانا اذا عذرنا المؤلف على ماوقع فيه لما عمت به البلوى من السخافات في عصره عصر التقهقر والجهالة فانا لا نعذر الطابع اليوم وعصره عصر الارتقاء والعلم

روايتان جديدتان

اهدانا الاديب ابراهيم افندى فارس صاحب المكتبة الشرقية نسخة من رواية القبطان بول تعريب الاديب حبيب افندي فهمي ونسخة من رواية حورية الفلك تعريب الاديبين توفيق افندي حبيب وقسطنطين افندي نوفل وهما تطلبان من مكتبته

مجلات جديدة

(الجامعة) هي المجلة التي اشتهرت بابحاثها الادبية والاجتماعية المعربة عن علماء الافرنج وكتابهم وبعد ان صدرت اربع سنين في الثغر الاسكندري انتقلت منذمدة الى ثغر نيويورك فاصبحت تصدر هناك مرتين في الشهر وقد انتهت الينا اعدادها الخمسة من سنتها الخامسة فالفيناها سارت سيرتها الماضية من التوسع في المطالب المشار اليها فنثني على منشئها الفاضل فرح افندي انطون ونحث الادباء على مقتناها وقيمة الاشتراك بها ثلاثة ريالات في القطر المصري

(الحياة) هي المجلة الاسلامية العمرانية الفلسفية التي اصدرها الفاضل محمد فريد بك وجدي ثمانية عشر شهراً ثم انقطع عن اصدارها وقد بدا له هذه الآونة اعادتها فصدرت شهرية جاعلة مذهبها في الاصلاح مواجهة انصار القديم وزعماء الجديد وطائفة المعتدلين والسعي في احداث حركة فكرية بينهم في ابواب قسم عليها ابواب المجلة فنثني على نشاط منشئها الفاضل ونتمنى له التوفيق الى ما يقصد اليه وقيمة اشتراك المجلة ٢٠ قرشاً في مصر وريال ونصف في البلاد العثمانية

(النبراس) مجلة علمية ادبية تاريخية فكاهية تصدر في كل شهر مرة لصاحبها الاديب احمد افندي شاكر وهي في ١٦ صفحة وقيمة اشتراكها ١٥ قرشاً اميرياً وخمسة فرنكات ونصف في الخارج فنتمنى لها الثبات والبقاء

(فتاة الشرق) صدر العدد الاول من هذه المجلة الادبية التاريخية الروائية لصاحبتها الاديبة العقيلة لبيبة هاشم وهي مشهورة بانشاء بعض الروايات والمقالات في الصحف سابقاً ولذلك يرجى ان تحسن الاضطلاع باعباء هذا العمل ولا نتكل على اقلام الرجال في كتابة مجلة لربات الحجال وقيمة الاشتراك ٥٠ قرشاً في القطر و١٣ فرنكا و٥٠ سنتيما في الخارج

اهديت الينا بعض كتب كبيرة لم نتمكن بعد من النظر فيها فمعذرة الى مرسليها وموعدنا الاجزاء التالية

سير العلم

صحافة مصر

يؤخذ من تقرير البريد المصري عن سنة ١٩٠٥ انه يصدر في القطر المصري ٣٣ جريدة سياسية وتجارية عربية و٨ جرائد شرقية غير عربية و٥٣ افرنجية وجريدتان عربيتان هزليتان وثلاث جرائد افرنجية وعشرون مجلة ادبية وعلمية وصناعية عربية ومجلة واحدة شرقية ومجلتان افرنجيتان و١١ مجلة دينية عربية ومجلتان دينيتان عربيتان و٤ مجلات طبية عربية ومجلة واحدة نسائية افرنجية ومجلة عربية ماسونية . فمجموع ما يصدر في القطر بين صحف ومجلات عربية وافرنجية ١٤٦ منها ٦١ افرنجية و٩ شرقية غير عربية و٧٦ عربية

تطهير الهواء

هواء المدن في العادة فاسد مضر رديء فالابخرة والغازات والغبار المتراكم والدخان والروائح القذرة العفنة التي تتكاثف في الجو بلا انقطاع تفسد المناخ ولاسيما اذا زاد سكان المدينة عن المليون يحيط بهم مليارات من الامتار المكعبة من الهواء الذي تنمو فيه الجراثيم القتالة . وقد عرض طبيبان من اطباء غلوستر في مقاطعة الماساشوست في اميركا الشمالية طريقة ادعيا انهما وفقا اليها وانها تطهر الاهوية وذلك بان تقام مئات من الآلات المفرغات تنقي كل منها عشرة آلاف متر مكعب من الهواء كل دقيقة . واقترحا ان تجرب طريقتهما تحت القبة الارضية من السكة الحديدية الجديدة التي انشئت منذ بضعة اشهر تحت مدينة نيويورك . ويكلف اقامة مئة آلة مفرغة مليون جنيه فتجمع المواد الحيوانية والنباتية والمعدنية المعلقة في الفضاء بعد اجراء التطهير في حفر ذات بواليع (مجارير) فيستخدم ما يجمع في بعض الاعمال الزراعية والصناعية فيكون من ذلك ارباح توفي النفقات وتزيد

نفق المانش

أُقيم منذ اشهر نفق (تونيل) بين ايطاليا وسويسرا واليوم يراد اقامة نفق ثان تحت بحر المانش بين انكلترا وفرنسا ويكون طول هذا النفق ثلاثين ميلا او ثمانية واربعين كيلو متراً على عمق ٤٥ متراً عن قاع البحر فتستفيد الامتان من اتصال بلادهما مباشرة بدون

ركوب اليم و يصبح ثغر دوفر اعظم الثغور فينافس ثغر همبورغ وانفرس وتتصل لندن بباريز ومجريط « مدريد » ولشبونة وبروسل وفينا ورومية والاستانة وآثينا وبطرسبرج

القهوة (البن) الخالصة

تصعب معرفة جيد القهوة الناعمة من رديئها وقد نشر مكتب الزراعة في الولايات المتحدة كراسة لاحاطة القوم علماً بالقهوة الرديئة جاء فيها اذا كانت القهوة المسحوقة ذات شكل واحد تفحص بالعين المجردة او بالمدسية واذا لم تكن على شكل واحد فتكون القهوة مخلوطة بفول او حمص او هندباء او غيرها من المواد وللوقوف على سلامة القهوة ضع قليلاً من مسحوقها في زجاجة ملىء نصفها ماء وحركها حتى يبتل كل جزء من اجزائها فيكون في القهوة الخالصة بعض مادة زيتية وبها تطفو على وجه الماء اما ما كان من غير مادة البن فيرسب في اسفل الزجاجة . اما الهندباء فتترك عند ما تذاب في الماء اثراً مائلاً الى السمرة تخدع النظر

الفقراء والاغنياء

ارتأى بعض الاميركيين ان اختلاف كثير من فتيان الاغنياء الى المدارس الكلية يجلب على فكر الشبيبة ضرراً وخطراً . وقد وافق رئيس كلية يال على هذا التعبير ومن رأيه ان معايب الطلبة الاغنياء كمعايب الطلبة الفقراء ولكلا الفريقين صفات يمتاز بها وفي العادة ان يكون الفقراء اصحاب انانية وان يكون الاغنياء ضعافاً في الغالب قال وليس الفقر منقذاً من الاهواء والنزغات .

اللغة الجديدة

قيل لما رأى تيمورلنك التتري في القرن الثامن للهجرة جيشه مزيجاً من اجناس مختلفة ذات السنة متبلبلة اوعز الى بعض خاصته بانشاء لغة يتفاهمون بها على تباين لهجاتهم فأنشأوا لغة « اردو » اي الجيش فانتشرت حتى اصبحت الآن لغة الهند الرسمية يتكلم فيها الهنود على اختلاف ولاياتهم ومناحيهم . وان هذه اللغة الاردية او الهندستانية كانت من جملة الامور التي حملت في العهد الاخير احد اهل العلم في روسيا فانشأ لغة سماها الاسبرانتو ألفها من لغات اوربا وسهل مفرداتها وتراكيبها ونحوها وبيانها حتى شاعت في مدة قصيرة بين الافرنج على تنوع لغاتهم واخذت تصدر فيها الكتب والصحف ويترجم بها الايطالي الى الرومي والالماني الى الاسباني والصربي الى الانكليزي والبلغاري الى الفرنسوي . وقام في اذهان العلماء ان يسعوا لجعل هذه اللغة لغة دولية كما كانت الفرنسوية من قبل فاخذت

بعض الجمعيات الساعية في نشر الوية السلام بين الانام تبذل الجهد لتكون هذه اللغة التي ألفها البشر عمدة لكل المتمدنين وانقاذهم من عناء تعلم لغات جمة ليتآلفوا مع بقية الامم . ويؤخذ من لهجة الصحف الغربية ان عدد المتكلمين بهذه اللغة يزيد كل يوم مئات وان مجموعهم اربى على مئات الالوف

فلز جديد

يتألف هذا الفلز (برونز) اللدن السهل التطريق من النحاس المعروف والقصدير وغيرهما من المعادن الصلبة دعاه مخترعه فورميتال (المعدن القوي) وانه للينه الخاص به ليصنع كما يصنع الحديد والفولاذ والنحاس فيتأتى سبكه صفائح متجانسة ويصنع على نحو ما تصنع هذه المعادن فيدق محمياً وبارداً ويطرَّق ويصفح ويطبع ويحدب ويجعل اسلاكاً وقطعاً . وهذا المعدن لا يصدأ ويقاوم فعل ماء البحر فلا يتأكل كما يتأكل الحديد وغيره ويصبر على رطوبة الارض والحوامض المحلولة . وكل هذا مزايا خاصة به يفضل بها الحديد والفولاذ وليس هو اغلى قيمة من اجود انواع النحاس ويستعمل للمضخات والاسطوانات المائية والكراسي الميكانيكية واللوالب التي تقذف المواد المدمرة وعدادات توزيع المياه والدواليب المسننة وغيرها

المشي على الماء

اخترع ضابط في اميركا قبقاباً اذا وضع الانسان فيه رجله يسير به على سطح الماء فيعوم ولا يغرق وسمى هذا القبقاب ايضاً « زورق الرّجل » او « حذاء الماء » وهو من خشب على شكل زورق صغير تدخل فيه الرجل بسهولة وينحني اللابس الى الامام على نحو ما يفعل من يريد التزحلق على الجليد ثم يحرك الرجل اليسرى فيسير الماشي على النحو الذي يسير به الهندي من السهولة اذا ركب زورقه المعمول من القش . وليس هذا الحذاء ثقيلاً وقد كانت الاحذية التي جرب بها الضابط اختراعه بادىء بدء طويلة ثم صغر مقياسها فاصبح الماشي يلبسها ويسير بالسرعة التي يتطلبها ويتجه به حيثما شاء . ويحتاج لبس القبقاب المائي الى قليل من المعرفة ليتوازن جسمه معها ومتى تعلمها يسير بها كما يسير راكب الدراجة (بسيكلت) ومتى مشى هذه المشية ثلاث مرات يمهر فيها مهارة تبعده عن الخطر . واذا حدث ان سير القبقاب انكسر فلا يغرق لابسه لان القبقاب المائي يستعمل عند الحاجة كما تستعمل الاطواف (الكلكات المشدودة) وهذا السير يكون على وجه الترع والانهار لا في تيار البحار . قالت المجلة الافرنجية التي نقلنا عنها هذا النبأ ولقد كان بعضهم حاول اختراع شيء يماثل

هذا الحذاء الغريب في القرن الماضي وجربه في نهر السين في باريز فلم يفلح اما اختراع الضابط الاميركي اليوم فواف بالغرض المقصود . قلنا وقريباً نرى السائرين على سطح الماء يعبرون النيل والفرات ودجلة وبردى والاعوج والعاصي ونهر ابراهيم ونهر ابي علي وسيحان وجيجان وغيرها من الانهار والترع ويصدق ما كان يزعمه بعضهم من انهم كانوا يمشون على الماء ولكن دعواهم كانت بلا علم ولم يقم برهان واحد على صحتها نقبله العقول السليمة ودعوى المخترع الجديد يدعمها العلم والبرهان

الري

الشائع ان الاراضي التي تروى على نظام واحد تأتي ثلاثة اضعاف الغلات والثمرات التي تأتي من ارض من مثلها بالتعهد بالسقيا وقد بحث عالمان من علماء الفلاحة من الافرنج في هذا الامر فاثبتا ان عدة اسباب تدعو الى عدم كفاية الري وان حاجة الارض الى الماء ليست على معدل واحد في كل مكان على انك تجد اكثر الفلاحين في معظم الاقطار يسقون زروعهم على طريقة واحدة وبكمية واحدة ويشحون بالماء على الارض التي تتطلب مزيد ري على حين كان عليهم ان ينظروا في كل ارض الى حالة رشحها ويعطوها من الماء ما تقتضيه طبيعتها . وذلك بان لا تسقى التربة القليلة الرشح سوى كميات كثيرة فيكون ما ينفق على الري متعادلاً مع الغلات التي تأتي منها . ويعني هذا العالمان بوضع رسم على ما يقتضي لكل ارض صرفه من الماء يتوازى مع غلاتها وعلى حسب طبيعة كل تربة

مستقبل الشمس

قال كثيرون من علماء الفلك ان الشمس آخذة بالهبوط وانها ستظلم بعد ان كانت ضياء العالمين وتوشك ان تنطفىء شعلتها وتبطل حرارتها . وقد اثبت اللورد كلفن ونوكمب وبل من رجال هذا الفن انه سيكون لعمل الشمس حدّاً وانه انقضى زهاء نصف عمرها ولم يبق لها الا اقله . وخالفهم الاستاذ سي من المرصد البحري في كليفورنيا باميركا قائلاً ان الشمس لم تبلغ حتى الآن سوى ربع عمرها وان المستقبل كفيل بما سيكون من حالها بعد بانياً حكمه هذا على اعمال رياضية قام بها قيام الابطال وصبر حتى تناول النتيجة صبر المتخاصمين يوم النزال فبان له ان ما مضى من ملايين السنين على ما ارتآه داروين في النظام الشمسي هو من الاستقراء الناقص في حالتها لان الجاذبية هي التي تفعل في الشمس وان حظ معظم السيارات الثابتة كحظ الشمس اي انه ما زال فيها نصف حرارتها وزيادة . وقد اهتم بعض ارباب

هذا الشأن باستقراء الاستاذ سي واخذوا يبحثون في امره وعلى كل فان كلامه يبعث على الاطمئنان من ناحية الشمس وانها ستبقى ايضاً بضعة ملايين من السنين

مركبات القطارات

كل من ركب القطارات يعلم ما ينالها من الغبار خصوصاً عند ما تصل الى آخر الخط بعد ان تسير ساعات متواليات وان السكك الحديدية تستعمل في الغالب المكانس لازالة الاوساخ التي تعلق في المركبات وقد استعملت بعض البلاد مؤخرا اداة ميكانيكية لكنها لم تأت بنتيجة نافعة لان الغبار كان يزول عن ظاهر المقاعد ويعلق في الثنايا والطيات التي لا تصل اليها تلك الآلة وجربت الشركات الفرنسوية منظفات متحركة ذات منفخات فارغة من المواد تدار بمحرك كهربائي وتنقلها عجلات فاسفرت عن نتيجة حسنة وسرعة مطلوبة . وجربت بعض الخطوط الالمانية هذا الاختراع في ضاحية برلين فظهر لها نفعه

الطماطم (البندورة)

كان يحظر على المصابين بداء المفاصل والآم العضلات ان يتناولوا الطماطم لما فيها من حامض ملح الحماض (Ox alioque) الذي يزيد في الم المصابين بهذين الدائين وقد اقام العالم الفرنسوي ارمندغوتيه الحجة على هذا الحظر اذ استبان له ان في الطماطم كمية وافرة من الحامض الليموني وحامض الماليك مما يصفه الاطباء للمصابين بآلام العضلات

كتاب فرنسا

قدرت احدى المجلات ان لفرنسا في هذا القرن مئة الف كاتب او دعي في الكتابة منهم ٦٤٧٥٠ لا صفة لهم اي ليس لهم حسنات ولا سيئات و٣١١٠٠ كاتب هم وما تخطه اناملهم سخرية وهزؤ و١٣٥ رجلاً يكتبون اموراً مهمة بانشاء وسط و٢٨ هم كتاب حقيقيون مما دل على ان المجيدين قلائل في كل امة

الصنائع العربية

قال احد الباحثين في المجلة التونسية ان جودة الصناعة العربية تتمثل في التحف منها وفي المصنوعات العادية وان العرب أخذوا عن الروم والفرس اولا كيفية اقامة دورهم وان صناعة تطريق المعادن ارتقت عندهم كما فاقوا غيرهم في صنع النسيج ويقال ان الفينيقيين اخذوا صناعة الزجاج عن زجاجي العرب

مدرسة الكتاب

في ميلان احدى المدن الايطالية مدرسة اسست سنة ١٨٨٨ على يد جمعيات الطباعة في تلك المدينة دعوها مدرسة الكتاب اي صنع الكتاب وما يتوقف عليه من طبع ووضع وقد كانت الحكومة الايطالية تساعدها مسانهة بالف وخمسمائة فرنك وظلت حقيرة حتى سنة ١٩٠٠ وهي السنة التي وهبها بعضهم ملايين من الفرنكات وقفها عليها وقفاً شرعياً تنتفع تلك المدرسة بغله مادامت الارض والسماء . فعندها اقامت عمدة المدرسة لها بناء فخيما كلف ثلثمائة الف فرنك وجعلت فيها صفوفاً لتعليم تنضيد الحروف وصفها باليد وعلى الاداة وصفوفاً للطبع والتصحيح والقطع والحفر على الخشب وطبع الحجر والتذهيب والتخييس وصفوفاً لدرس طريقة التصوير الميكانيكي والتجليد والرسم وتعلم اللغة الايطالية وغيرها ومدرسة لتعليم المستخدمين في حوانيت الكتبية . ويتعلم التلاميذ في هذه المدرسة ما يروقهم من هذه الصناعات مجاناً لا يدفعون شيئاً

بحيرة زئبق

اكتشفت في الجبال المجاورة لفراكروز في المكسيك بحيرة من الزئبق سطحها نحو ١٢٥ فدانًا وعمقها خمسة امتار ويساوي الزئبق الذي فيها عدة ملايين من الفرنكات وكانت هذه البحيرة معروفة عند اهل الجوار منذ اجيال ولكن يصعب الوصول اليها لما في طريقها من الصخور والتلعات حتى اذا فعلت الحوادث البركانية فعلها سهلت السبيل اليها وسيقام نفق في الجبل ليصل اليها الناس آمنين

هواء المدن والارياف

ثبت لاحد الباحثين في هواء المدن العظمى ان ميزان الحرارة « الترمومتر » يعلو علوّاً متوسطاً في المحال التي تجتمع فيها البنايات بكثرة وقد اخذ معدل الحرارة في لندن وبرلين وباريز وقاسه بحرارة ضواحي تلك المدن فكانت في الغالب انقص في الارياف منها في المدن درجتين او ثلاث درجات . واكد الشيوخ من الانكليز ان البرد في انكلترا لا يقرس الآن كما كان يقرس منذ خمسين سنة وعلل ذلك اصحاب الشأن بأنه كان هناك مستنقعات جففت فانقطعت الرطوبة وكان الشتاء قديماً يبدأ في انكلترا في شهر دسمبر (كانون الاول) بل وفي نوفمبر (تشرين الثاني) اما الآن فنصل الى يناير (شباط) وقد خلصت من البرد . اذا عرفت هذا فانه يسوغ لك ان تقول بان هواء سيبيريا الجليدي سينقلب عما قريب .

ومعلوم ان درجة الحرارة في فرخويانسك وهو ابرد مكان في الارض من ولاية ايا كوستك يبلغ معدل الحرارة فيه في الشتاء ٩ر٦١ تحت الصفر ثم ان لقطع الغابات دخلاً في تغيير الهواء فان قطع الاشجار من الغابات التي لم تقطع منها من قبل شجرة قد احدث في اميركا اسوأ التأثير في الزراعة التي كانت تلك الاشجار في الحقيقة بمثابة واق لها من بوائق الجو

قوى الامم

كتب احدهم في المجلة الاستعمارية النيابية مقالاً جاء فيه ان ما يتنبأ به العالم من ظفر أمة على امة قد يكون تخرصاً فلا يصدق فأل المتفائل ولا حدس الحادس من ذلك ان اليابان وكانت سنة ١٨٩٤ اربعين مليوناً قد دحرت جيش ابن السماء وكان عدد الصينيين اذ ذاك ٣٦٠ مليوناً وها ان جمهوريتي الاورانج والترانسفال ولم يكن فيهما اربعمائة الف نسمة ولا جيش دائم قد تغلبا على الجيش الانكليزي وقهرا انكلترا ذات الحول والطول وضخامة الملك والسلطان وكان من اليابان ان غلبت الجيش الروسي وهو جيش القياصرة الجرار . قال الكاتب وانا لنجهل مع هذا تقدير قوى الممالك الجندية على وجه التقريب وكل امة لا تكون قوية بدون تنمية الشهامة الطبيعية وتعويد افرادها النظام في العمل واقباسها قبس التهذيب والتعليم والتثقيف هيهات ان تعد من القوة في شيء فقد كان لروسيا مورد عظيم للرجال ولكن كان ينقصها التمدن ويكفي ان العمل بين سكانها كان غير مكرم على الجملة وان الامة في روسيا لتضطر ان تنقطع عن العمل في السنة ١٣٥ يوماً في اعياد بطالة

قانون الوراثة

نشرت مجلة اميركا الشمالية بحثاً في كيفية انتقال الصفات والعيوب الطبيعية والعقلية بالوراثة من الآباء للابناء ومن جيل الى آخر ظهر منه كيف خلطت الوراثة بغيرها من المؤثرات الكسبية او الناشئة من المولد والموطن فاستنتج الباحث بان الامراض الظاهرة او الكسبية لا تنتقل اصلا وان الاستعداد للامراض هو الذي ينتقل لا المرض نفسه . مثال ذلك السل فقد تبين اليوم ان المسلول لا تنتقل اليه من آبائه جراثيم العلة بل ينتقل اليه الاستعداد لهذا الداء ولولا ذلك ما تيسر الشفاء منه . واستنتج بان عيوب التراكيب الظاهرة لا تنتقل في العادة وانه من الممكن ان ينتقل الخلل الباثولوجي في الحواس الداخلية

وقع خطأ في ص ٤٢٥ س ٨ «وابي بكر بن زهير» والصواب وابا بكر وس ١٠ ابو القاسم والصواب ابا القاسم وفي ص ٤٥٩ س ٥ فما اجاني والصواب فما الجاني

المقتبس

غرة شوال سنة ١٣٢٤

صدور المشارقة والمغاربة

ياقوت الحموي

٥٥٤ ـ ٦٢٦هـ

لا يستقر بارض أو يسير الى		أخرى كشخص قريب عزمه نائي
يوماً بحزوى ويوماً بالعقيق ويو		ماً بالعزيب ويوماً بالخليصاء
وتارة ينتحي نجداً وآونة		شعب الحزون وحيناً قصر تيماء

هذا ما استشهد به ياقوت على تنقله في الرباع والبقاع وما كان تنقله سوى تنقل عاقل يرحل في اقتناص شوارد العلم ولقاء الرجال واستنفاض البلاد فهو اشبه بعالم غربي لهذا العهد يقطع المساوف و يركب البحار و يجوب القفار متنقلاً من قارة الى قارة يدرس و يشاهد و يعتبر . ولكن شتان بين عالم اليوم وعالم امس . فالاول يقله البخار والكهرباء والثاني يركب الخيل والبغال والجمال . الاول يضرب في مناكب الارض ووراءه دولة تحميه وامة يعتز بها وجمعيات تنفق عليه وناس يقدرون عمله قدره والثاني يخذله سلطانه وتسلمه أمته يعيش بكده ويعتمد في كل

شأن على ارادته . وغايته من دنياه في عمله الشاق ان يخلص مما تنتج قريحته رأساً برأس غير متوقع خيراً من مستحسن ولا شراً من مستهجن . وبهذا ساغ لنا ان نقول ان السائح العالم في القرون الوسطى اعظم من السائح العالم في القرون الحديثة وان الناظر في التاريخ ليستعظم اكثر ما يأثره من نور المعرفة للقدماء وقلما يستكثر ما يتم على ايدي طبقات المحدثين فما وفق اليه الجغرافي الفرنسوي الشهير اليزه ركلو مثلاً في القرن التاسع عشر من التآليف والاجادة بعد صفاء الزمن وانتظام الحال لا يستعظم كما يستعظم صنيع ياقوت الحموي الجغرافي العربي في القرون الوسطى

نشأ ياقوت اسيراً ذليلاً أسر من الروم فقيل له الرومي و بيع في بغداد فاشتراه تاجر يعرف بعسكر الحموي واليه نسب فقيل له ياقوت الحموي ولما صار ملكه جعله في الكتاب ليتعلم ما يستفيد هو منه في ضبط متاجره (تجائره) وكان مولاه اقرب الى الأمية لا معرفة له بغير الكسب . و يؤخذ مما قاله صاحب وفيات الاعيان ان ياقوتاً قرأ شيئاً من النحو واللغة وشغله مولاه بالاسفار في متاجره فكان يتردد الى كيش وعمان وتلك النواحي ويعود الى الشام ثم جرت بينه و بين مولاه نبوة اوجبت عتقه فأبعده عنه وذلك في سنة ست وتسعين وخمسمائة فاشتغل بالنسخ بالاجرة وحصل بالمطالعة فوائد ثم ان مولاه الوى عليه واعطاه شيئاً وسفره الى كيش ولما عاد كان مولاه قد مات فحصل شيئاً مما كان في يده واعطى اولاد مولاه وزوجته ما ارضاهم به و بقيت بيده بقية جعلها رأس ماله وسافر بها وجعل بعض تجارته كتباً

و بهذا سهل على ياقوت ان يطوف الشام والعراق والجزيرة وخراسان واستوطن مرو ثم دخل خوارزم وغيرها واتى من الشدائد والمصائب ما يلقاه في العادة ارباب الافكار . منها انه ذاكر يوماً احدهم في بعض اسواق دمشق وذكر له رأيه في امير المؤمنين علي بن ابي طالب وكان منحرفاً عنه بما علق في ذهنه من

مطالعة كتب الخوارج فثار الناس عليه وكادوا يقتلونه وبلغ امره الوالي فطلبه فلم يرَ بدًّا من الفرار ولسان حاله ينشد قول الوزير ابن زيدون وقد فرَّ من قرطبة

فررت فان قالوا الفرار ارابه فقد فرَّ موسى حين همّ به القبط

غادر دمشق سنة ٦١٣ كما غادر خوارزم يوم اتاها التتر لا سبد له ولا لبد متخلياً عن كل ما ملكت يمينه · خرج من بلد ذكر فيه رأيه وربما كان ايراده له بالاعتدال لانا لم نرَ ما قاله هو او بعض المنصفين في هذه الكائنة · فاعجب لأمة يلعن على منبرها الخليفة الرابع نحو الف شهر من دون حرج ولا نكير ويجيء بعد قرون من يذكره بالادب من الوجهة التاريخية في تلك العاصمة نفسها فتقوم عليه القيامة فما اسرع تبدل الاخلاق والاحوال في القرون والاجيال · من النصب الى التشيع ومنه الى غيره من المنازع والنحل

كان الادب والتاريخ وتقويم البلدان او الجغرافيا هي العلوم الغالبة على ياقوت وفي الجغرافيا برّز وبذّ لانها تتوقف على كثرة الاطلاع والرحلة وهما كانا ديدنه ودينه وما الفه من الكتب هو من ارقى ما جادت به القرائح في عصره وبعده وان جاء عرضاً في بعضها ما يعده علماء العصر من قبيل الخرافات مثلاً فانه كان من لوازم عصره · والعلم والمعتقدات في عهدنا لا تشبه العلم والمعتقدات في عهده · على ان ما صنفه لا يزال الى اليوم معتمداً ومعدوداً من الامهات الطيبات وكتابه الذي اشتهر به لعهدنا خصوصاً «معجم البلدان» كما ان له كتاب معجم الشعراء ومعجم الادباء — وهذا يطبع الآن في مصر كما طبع معجم البلدان فيها ثانية — وله كتاب المشترك وضعاً والمختلف صقعاً وكتاب المبدإ والمآل في التاريخ وارشاد الالباء الى معرفة الادباء وكتاب الدول ومجموع كلام ابي علي الفارسي وعنوان كتاب الاغاني والمقتضب في النسب واخبار المتنبي وغيره

هذا هو الرجل الذي رباه عاميٌّ من عامة التجار فبلغ بحدة ذهنه وتوفره على الدرس مبالغ الاعاظم الكبار وكانت حياته حياة جهد وعمل لاقى من الدهر الاّ لاقي واضطهده قومه وحسده معاصروه إلا انه عرف قدره في علمه على ما كان هناك من الصعوبة في معرفة الرجل في تلك القرون في حياته · قال ابن خلكان وكان الناس عقيب موته يثنون عليه ويذكرون فضله وادبه · و ياقوت الرومي في ولوعه بالعلم والرحلة كمعاصره ابن سعيد المغربي ذاك كان في الشرق وهذا في الغرب فحيا الله زماناً ينبغ فيه امثالهما

العلم الصحيح

نشرتها بجريدة الظاهر اولا

قالوا العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان او دنيوي وديني فالدنيوي علم ما فيه صلاح المعاش وحفظ النظام في عالم الكون والفساد والديني كل ماله مساس بالمعاد وتهذيب النفس والابتعاد عن المنكرات في هذه الفانية للظفر بالباقيات الصالحات في تلك الدار الباقية

كان العلم الديني لاول امره موجزاً مندمجاً لم يتعد قواعد مقررة واصولاً نافعة فكان العربي يقصد الرسول عليه السلام يعلمه الدين في ساعة ثم يحيله على القرآن و يقول له اذهب راشداً و بشر عشيرتك واهلك فقد عرفت من الدين جوهره وسره وما ينبغي له · فمن ثم دام الاسلام الى السذاجة حتى قامت قائمة العصبيات من اجل التنازع على الملك وتجاذب حبل السلطة فمزج الدين بالسياسة ودخل في الاسلام من لا يهمه منه غير المغانم وراح بعضهم يدسون ما لم يقل فيما قيل و كثر المنافقون ممن سعوا بالدين في سرهم وهم من اتباعه في جهرهم وانشأوا يلبسون ثياب الاصدقاء وهم له اعداء ماكرون

دسوا عوامل افسادهم وفي القوم يومئذٍ صفوة من الاخيار توفروا على محاربة البدع والموضوعات بكل لسان و بنان بل بكل سيف وسنان وكانوا على اخلاصهم وتأثيرهم كلما استاصلوا شأفة فاسد نبض من الافسد نابض ورجال السياسة واكثرهم لا يرجع في الغالب الى رأي ومذهب يدهنون من وراء ذلك لحملة الدين و يبذلون لهم ما يستغوونهم به لينطقوا بالسنتهم ولا يفسدوا عليهم امرهم اذا رفعوا اصواتهم ونعوا عليهم تبديلهم لما انزل وإلصاقهم به ماليس منه · ولما رأى العقلاء عائث الفساد يدب دبيبه في علوم المعاد خافوا ان يتدرج من العبث بالاعراض الى العبث بالجواهر فلم يروا بدًا من التدوين والتقييد والدلالة على مواضع الضعف والسخف ليبدو السليم لا شائبة فيه · وانت خبير بما يقتضي ذلك من التطويل دع عنك ما يتخلله بالطبع لان في القائمين به العالم العامل وفيهم صاحب البدعة والمقالة

مضى على هذه الحال ردح من الزمن وعلوم الدين لم تمتزج بشيء من علوم الدنيا الى ان دخلت علوم الحضارة في الملة وسموها علوم الاوائل ورأت من بعض خلفائها من اخذ بيدها وهيأ لها اسباب انتشارها فعندها كثرت المذاهب والاراء ونشأ العراك الاول بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية اي بين الدين القائم بالتسليم وبين الفلسفة المبنية على البرهان

وظلت حال العلم الديني تابعة لمجرى السياسة ان جاء عاقل من الامراء والملوك بكل امره لجهابذة من المحققين ينظرون فيه وهم مؤتمنون مأمونون واذا ولي رقاب الناس جاهل ينزل نفسه في كل المنازل فيتولى من الخلق امور دنياهم ودينهم ويقرب اليه كل من يتابعه على اهوائه ولا ينكر عليه فعلاته والعقلاء بمعزل لا ينطقون إلا كارهين و ربما تدرعوا الخمول وآثروا الانقطاع على الدخول في المجتمع لامحاضه النصح وتخليصه من المفاسد الطارئة عليه · نعم ان التاريخ لم يخل من وجود عقلاء

في كل دور من ادواره ولكن قوتهم ضئيلة لاتنفع وصوتهم خريد لايسمع اذا نسبتهم لاولئك المنافقين في خدمة الآمرين والناهين وقد قلّ عددهم كثيرًا في هذه الديار خصوصا بعد الدولتين النورية والصلاحية وصار العلم اشبه بتقاليد ورسوم منه بعلم وعمل ومناطيق ومفاهيم ٠

وما فتئت العادات يتخيلها بعضهم من الدين ويدسونها فيه وللجهل الكلمة النافذة في الهيئة الاجتماعية الى ان كان القرن التاسع والعاشر وما يليهما من قرون الهجرة وهي من العصور المظلمة في تاريخ الاسلام حقيقة فعندئذ قل المميز والمفكر و بطلت علوم الحكمة جملة واحدة وصار من يتعاطاها في نفسه و بين خاصته كمن يأتي امرًا إدًا ويخون دينه وامته و بطل النظر في الاصول وتحتم على كل عقل ان لا ينظر في غير الفروع مما املته خواطر المتأخرين ٠ فاصبح بذلك يعد العالم كل العالم من يحفظ من هذه الفروع اكثر ٠ اعتبر ذلك بما تتلوه في تراجم اعيان العلماء في هذه القرون فانك لا تراها تتعدى الاقوال والاراء واهل كل جيل يقدسون قول من سلفهم ولو ببضع سنين نعم انك لو انصفت لا تكاد ترى لهم تأليفًا تقرأ فيه نور العقل والخلاص من التقليد البحت ولقد اتت ايام في معظم الاصقاع الاسلامية حرم النظر فيها حتى في الكتاب والسنة وعد الناظر فيهما محاولاً للخروج عن سنن الجماعة فاذا خالف فرد ما الفوه اهانوه ومن قاوم بفكره سجنوه او نفوه وشردوه واذا خافوا بأسه قتلوه وجعلوه عبرة ومثلاً للاخرين

تأصلت الاوهام فعدت من اقدس القربات وسار الناس مع تيار الجهل وتقديس اقوال ادعياء العلم والتقوى وصدرت الاحكام بعوامل الاوهام وغدت هذه البلاد كبرج بابل في التبلبل والتشويش اتخذت كل منها لها ائمة واولياء وانشأت تكبر امرهم وتدعي لهم مقاما ماادعوه لانفسهم وراح الفقيه يكفر الصوفي

والصوفي ينقم على الحديثي والاصولي يحمل على الفروعي واشتغل اهل كل قطر بل اهل كل مصر بتقديس من تواطأوا على تقديسهم والطعن فيمن عداهم ممن لم يصوروا لهم بالصورة المناسبة لما وقر في نفوسهم وركز في طبائعهم وعشش في مخيلاتهم . وهكذا امتزجت علوم الدين بالمشاغبات والمماحكات لو بعث الشارع واصحابه لرأوا الاختلاف بين ماورد وما صار اليه مستحكماً بعيد الاطراف يصعب الجمع بينهما كما يصعب الجمع بين النقيضين . ماذا اصف من تسرب الجهل الى العبث بالمعقول في تلك القرون وانك لترى اثراً من آثاره لهذا العهد عند بعض من فطموا انفسهم عن النظر في المعقولات فترى كلمات التضليل والتكفير والتبديع والتفسيق اسرع الى افواههم من الماء الى الحدور وتشهد الغر الغمر يتحكم بالجنة فيعطيها لمن يشاء ويحرمها من يشاء فوارحمتاه على اناس اضاعوا فضل عقولهم في الجدل ولكم كان الخير يأتي من جهتها لو اشتغلت بالمفيد ونبذت الاهواء ظهرياً ولكن اذا اراد الله بقوم سوءاً رزقهم الجدل ومنعهم العمل

قلت فيما سلف ان علوم الدنيا دخلت في الملة لما رأت من يعضدها من رجال السياسة وكان ذلك في القرن الثاني . بيد انها لم تنتشر الانتشار المطلوب الا في القرن الثالث . شاعت قرنين ثم اخذت تضعف الى اواخر القرن السابع ايام قل المشتغلون بها ولو على طريقة نظرية بعلوم العقل التي لا قائمة لأمة بدونها مهما اخلصت في دينها . واذا استقنيت تواريخهم تجد المتلبسين بشعار العلماء لا يعدون في جملتهم ذاك الرياضي والجغرافي وربما فضلوا عليهما المعمار والتمثار . من اجل هذا نرى المدارس على تفنن القوم في انشائها بعد القرون الوسطى فنازلاً خاصة بالفقيه والمحدث والقارىء والرباطات للمجذوبين والمعدمين والكسالى ولم نجد مدرسة اللهم الا بعض مدارس الطب موقوفة على الرياضيين والطبيعيين والفلكيين

والمؤرخين كأن علومهم هذه اباطيل لا تصح الاعانة عليها وحسب الرياضي ان يغضي الفقيه عنه ما دامت الحال بين هبوط وصعود والاجدر بها ان تدعى سقوطا الى منتصف القرن الماضي ايام اخذ السلطان عبد المجيد في البلاد العثمانية ومحمد علي باشا في هذا القطر يسهلان السبل لهذه العلوم ويعدان اهلها في مصاف العلماء وأنشئت المدارس لتعليمها وغدا المشتغلون بالعلوم الدنيوية حزباً والمتوفرون على تعليم العلوم الدينية حزباً آخر على انه لم تحمد عودة تلك العلوم الدنيوية التي سماها بعضهم عصرية وبعضهم دعاها حديثة لما نتج عنها من حركة كانت اشبه برد فعل ماثلت الامة معها صائماً اخذ منه الجوع فلم يجد ما يطعمه حتى ساقته الاقدار الى مائدة مترف موسر وقد حوت ما طاب وحلا من صنوف الاطعمة والحلواء فاخذ يلتهم ما وصلت يده اليه بدون ترو ويزدرده بلا مضغ ويمزج بارده بحاره وحلوه بحامضه ويؤخر ما يقتضي تقديمه ويقدم ما يحسن تأخيره . ونشأت ناشئة لم تدر من العلم الحقيقي غير قشوره شربت مصة من مورده ظنتها غاية ما يرتوي به المرتوون وراحت تعد المروق غاية النور والازراء على النبوات من آيات الحكماء والطعن بالشرائع من عمل الجهابذة النحارير وانكار القديم مهما كان نفعه والتعلق بالحديث مهما ضؤل قائله من دواعي النهوض والاستنارة . وعلى الجملة ينبذون كل ما ليس لهم به علم من تراث اجدادهم حاسبين الصحيح منه والسقيم في مقام واحد مما حكين ولو بان لهم الراجح من المرجوح .

يقول فتية اليوم انه لانجاح للامة الا بنبذ ذاك القديم مباشرة والاخذ بهذا الحديث على علاته وفاتهم ان ما يسوغ في الغرب لايتم في الشرق وان لكل امة طبيعة ومنازع لامناص من مراعاتها وان اقامة مدينة جديدة في بادية اسهل من اصلاح مدينة قديمة لاغنية عن البناء فيها وان من العقل ان لاينبذ ذاك القديم

بل يرجع فيه الى الاصل القليل و يؤخذ النافع منه ويترك ماعدا ذلك من تحريف المخرفين وضلالات المبتدعين والاخذ من هذا الحديث بالعلم الصحيح الذي تمس اليه الحاجة واطلاق الحكم للعقل يعمل معمله في طريقه ٠

العلم الصحيح هو الذي يبعث صاحبه على عمل النافع ولو كان في ذلك ضياع مصلحته الشخصية فلا يبالي حامله بغضب الرؤساء والزعماء ولا يستغويه رضى الغوغاء والدهماء ٠ يتجشم المخاطر في نشر خاطر ٠ و يركب كل صعب وذلول لانارة مظلمات العقول

العلم الصحيح هو الذي خلص من ضغط الاهواء السياسية والمذهبية وسلم من التأثيرات والغايات فلقنه صاحبه بريئاً من شوائب النزعات والنزغات واثر في نفسه تأثيراً مجرداً فاذا نطق بمده فلا ينطق الا بما يوحي اليه هاتف الفهم السليم والعقل الحكيم فلا يتعصب للآباء والجدود ومألوفات المحيط وعادات الاهل والاقليم ويتحزب لشيخه واستاذه ولو تجلى له انهما عن طريق الحق ناكبون

العلم الصحيح هو الذي يحترم صاحبه به آراء غيره ولو كانت مباينة لافكاره كل المباينة ولا يعدها سخافات وترهات فينكر كل مالا يعلم و يستكثر ما وعى ولا يعد حطة عليه ان يتسقط الحكمة انى وجدها وفي أي المظاهر ظهرت فيأخذ نفسه بالتعلم ولو شاب وجاوز الثمانين ٠

العلم الصحيح هو الذي تكون نتائجه اكثر من مقدماته وفروعه خيراً من أصوله يأخذ له حامله من نفسه فلا يتكبر عن افادة ولا يستنكف من استفادة و يسعى الى بث ما يعرف في كل أفق و يعد البشر اخوة فلا يقصر في تعليمهم مما علم يقين ان صلاح الافراد سلم للوصول الى اصلاح الجماعة والمصلحة العامة هي ابداً موضوع نظر من رزق حظاً من هذا العلم

العلم الصحيح هو الذي يربي الملكات ويهذب النفوس فلا يستخدم صاحبه علمه اداة للغلبة بالباطل والادلال على الاقران والذهاب بفضل الشهرة والمحمدة الزائلة والتبجح والتنطس فمنح اللهم بفضلك هذه الديار شيئاً من هذا العلم و كثر فيها سواد اهله بمنك وحسن تسديدك

صفحة من تأريخ مصر

معربة عن مجلة الا كونوميست اوربين الفرنسوية للمسيو ادمون تيري

يبتدئ تاريخ مصر الحديث من عهد محمد علي مؤسس الامارة الخديوية الحاضرة ومحمد علي هذا ولد في الروم ايلي وهو رجل شجاعة وفرط ذكاء سعى فوفق الى ان ينصب والياً على القاهرة وحاكماً على القطر المصري سنة ١٨٠٥ وذلك بمساعدة المماليك الذين اباده بعد ست سنين من استلامه ازمة الحكم عند ما طمح هؤلاء النبلاء بعد ان كانوا عبيداً واجناداً .وصوفين بحب السلب والنزوع الى الفتنة في تهديد قوته ·

بلغت مصر على عهد قدماء ملوك المماليك التركمان والجراكسة (١٢٥٤ـ١٥١٧) ارقى درجات الحضارة الشرقية ولكن كان الشعب يؤدي المغارم بطريقة وحشية قاسية ولم يكن حكمهم الذي دام ٢٦٣ سنة سوى سلسلة طويلة من الحروب الاهلية والمؤامرات وانقلاب في احوال القصور وجرائم وجنايات يباع فيها الدم بيع السماح · حتى ان السلطان سليم الاول العثماني لما استولى على مصر سنة ١٥١٧ رآها وقد استحكمت فيها الفوضى المطلقة فجعلتها خراباً يباباً

ولم تكن البلاد على عهد الفتح العثماني(١٧٩٨ ـ ١٥١٧) اسعد منها على عهد المماليك الذين عادوا بعد قليل واسترجعوا نفوذهم القديم واليك ما قاله

نابوليون الاول في وصف هذا الدور الذي دام ٢٨١ سنة وذلك نقلاً عن مفكراته على الحملة المصرية :

ابقى السلطان سليم اربعين الف جندي حامية تحفظ البلاد التي افتتحها وقسمهم الى سبعة فيالق وكان الستة منها مؤلفة من العثمانيين والسابعة مؤلفة من المماليك . وجمع لذلك كل من سلم من ايدي هؤلاء . وعهد بادارة البلاد لباشا واربعة وعشرين بيكاً وجماعة من الافندية والى ديوانين وكان احد هؤلاء البكوات الاربع والعشرين قائممقام الباشا ونائبه ولقد كثر عدد فيلق المماليك وهو مؤلف من اجمل الرجال واشجعهم واخذت الفيالق الستة بالضعف ونزل عددهم بعد قليل الى سبعة آلاف جندي على حين بلغ المماليك وحدهم زهاء ستة آلاف . وفي سنة ١٦٦٦ اخذت الفوضى يدب دبيبها في كل رجا وزحزح العثمانيون عن القلاع والمعاقل فاستولى المماليك على كل شيء ودعي رئيسهم شيخ البلد . ثم اخذ القوم ينفرون من الباشا ويحتقرونه فنادى علي بك شيخ البلد سنة ١٧٦٧ بالاستقلال والاستئثار بالسلطة وضرب السكة باسمه واستولى على مكة وحارب سورية واتحد مع الروس وغدا البكوات كلهم عندئذٍ من المماليك . وفي سنة ١٧٩٨ اصبح لكل بك من هؤلاء البكوات الاربع والعشرين قصره الخاص به وفيه من الحاشية والغاشية ما يختلف قلة وكثرة وكان عند اضعفهم بأساً مائتا مملوك وكان لمراد بك الف ومائتا مملوك بحيث كان هؤلاء الاربع والعشرون بيكاً يؤلفون جمهورية تخضع لاعظمهم نفوذاً فيهم ويتقاسمون بينهم الاموال ويتوزعون المعاقل . وقد قدر عدد المماليك نساءً ورجالاً واطفالاً سنة ١٧٩٨ بخمسين الف نسمة يخرجون منهم اثني عشر الف فارس اه

اهلك الجيش الفرنسوي في حرب الاهرام في يوليو سنة ١٧٩٨ سبعة الاف مملوك واباد محمد علي سنة ١٨١١ ما بقي منهم . ثم ان الباب العالي صدق على

ولاية محمد علي على مصر لقاء سبعة ملايين من الفرنكات يدفعها خراجا في السنة فحاول ان يعيد الى القطر ما فقد من بهائه القديم فوطد اسباب الامن في البلاد ونظم له جيشاً قوي الشكيمة ·

وبينا كان ولدا محمد علي طوسون وابراهيم يستأصلان شأفة الوهابيين سنة ١٨١٨ ويستوليان على النوبة وسنار وكردوفان التي كانت أُضيفت الى امارة مصر باسم السودان المصري وخرطوم عاصمتها سنتي ١٨٢١ و١٨٢٢ وينجدان السلطان محمود العثماني في قتال اليونان المتمردين سنتي ١٨٢٤ و١٨٢٩ ثم يغيران بعد ذلك بسنتين على سورية والاناضول انتقاماً من السلطان على عدم اعترافه بالجميل بينا كان ابنا محمد علي يقومان بهذه الاعمال كان محمد علي والدهما يتقدم الى فرنسا وكان يحبها كثيرًا ان تبعث اليه بمهندسين وكيماويين ومعماريين وميكانيكيين وغيرهم يحفرون له الترع ويصلحون سدود النيل القديمة ويقيمون قناطر حديثة ويعمرون الاطيان القابلة للزراعة في الدلتا والصعيد ويدخل اليها المزروعات الجديدة وينشيء المعامل لينجح في توفير الغلات والتجارة الوطنية ·

ولكن محمد علي لم يحسب حساب العمل وما يقتضي له في هذا التبديل الاقتصادي الذي كان يرغب فيه فأباد الفلاحين على نحو ما صنع المماليك بما حملهم اياه من السخرة والضرائب وسلبهم اراضيهم التي جعلها الا قليلا ملكا خاصا له وترك للخزانة الاستئثار بالتجارة الخارجية ·

على ان ما بذله هذا الوالي لم يكن متناسبا مع قوة البلاد المساعدة ولم يحدث عنها لسوء الطالع النتائج التي كان يتوقعها فلم تلبث تلك المصانع ومعامل القطن والسكر التي انشئت بالاموال الطائلة في جميع امهات مدن القطر ان تداعت اركانها عقيب ما قام بنيانها وذلك لسوء ادارتها ولقلة استكمالها اسباب الجودة

بحيث ان محمد علي لما أُصيب بمرض في عقله وتخلى عن الادارة لبكر اولاده ابراهيم (١٨٤٨) كان الشعب المصري في بؤسه وشقائه على نحو ما كان في آخر حكم المماليك ·

خلف ابراهيم اباه بموجب وفاق تم عقده بين محمد علي والباب العالي وصادقت عليه الدول العظمى (١٨٤١) اللائي ضمن لعزيز مصر ان تكون له ولاحفاده الذكور من بعده ملكا ابدياً يتوارثها بكر الاولاد مع حفظ سيادة الباب العالي على القطر · ولكن لم تطل مدة حكم ابراهيم اكثر من بضعة اشهر وخلفه ابن اخيه عباس باشا (١٠ نوفمبر سنة ١٨٤٨) وكانت ادارته للبلاد الى الضعف ·

تولى عباس باشا سنة ١٨٥٤ فخلفه سعيد باشا رابع اولاد محمد علي · يقول المسيو رافيس في بحث له جليل في مصر انه كان ذا حظ من الذكاء الباعث على العمل والحامل على حمل اسباب الحضارة على نحو ما كان لوالده مع ما امتاز به من التهذيب الاوربي الذي لقنه احسن تلقين فاتسعت مداركه ولذلك اتم اصلاحات والده وتوسع فيها · فالغى بعد سنتين النخاسة والجمارك الداخلية والاحتكار واطلق للفلاح حريته الشخصية وحرية التملك ووفى ديون القطر القديمة وهو الذي انجز قناطر النيل ورخص للمسيو دي لسبس صديق صباه ان يخرق ترعة السويس وهو اول من جعل للامير راتباً واقام خزينة خاصة ·

مات سعيد باشا سنة ١٨٦٣ وخلفه اسمعيل بن ابراهيم فنال هذا من الباب العالي (١٨٦٦) حق الارث في الامارة لاولاده والغاء حق بكر الاولاد فيها في فروع القرابة غير الفرعية ونال لقب خديوي فجاء ذكره في مجموعة القوانين العثمانية بعد ذكر اسم السلطان مباشرة · ولقد حرص اسماعيل على ادخال التنظيمات الجديدة ولكنه كان منفاقاً متلافاً للمال فساق البلاد المصرية بادارته المحزنة الى

الافلاس واضعاف الاستقلال الوطني الذي كان حلم باسترجاعه ·

قال ادمون ابو في كتابه العجيب المسمى «الفلاح» الذي نشره قبيل الاحتفال بافتتاح ترعة السويس بعد ان وصف جمال الصنعة في مساجد القاهرة ووصف عجائب الهندسة الدقيقة التي دعوها بدون مسوغ قبور الخلفاء وقام القوم بصنعها بحيث تعجز جميع الايدي العاملة في مصر عن مضاهاتها ما نصه :

عهد جميع هذه المصانع الصالحة الجميلة كعهد امثالها عندنا نقرأ فيه الكآبة والتشويش ولعمري كيف تأتى لاولئك القدماء ان ينشئوا أعاجيب من المصانع والمعاهد يتعذر على مصر الحديثة اصلاحها ؟ يتداعى كل شيء و يبيد فيذهب غير مأسوف عليه هباء منثوراً ولا يحاول الاحياء اليوم ان يدعموا ما وهى من تلك الخرائب الفخيمة · هم اهل اخلاص في اعمالهم لم تضعف نفوسهم كما ضعفت نفوسنا منذ اقمنا بناء بيعنا الكبرى على الطرز القوطي · ولعمري كيف جوز اولئك المؤمنون ان يتركوا تلك المصانع الدينية تتداعى اركانها على حين نحن بذلنا كل مرتخص وغال لصيانتها على الحادفينا ·

أنشئت المصانع العامة في جميع الممالك بفضل المعاونة الحقيقية والشخصية وقامت بفضلات ماتنفقه الامة في سبيل حاجياتها · نرى المصريين الماثلين امامنا يصرفون اقل مايمكن صرفه و يقومون على مايظهر لي باعظم الاعمال الجسدية وان لم يكادوا يقومون بالانفاق على انفسهم وتأدية الخراج للحكومة · ليت شعري هل فسدت الارض ام سكانها ام حكومتها ام يتحتم علينا ان نعتقد بان استبداد المماليك فتح هوة يتعذر ردمها اه

كتبت هذه السطور منذ زهاء نصف قرن بعد ابادة المماليك المتأخرين فثبت بها ان محمداً علياً واخلافه قلما عنوا بتحسين حالة هذا الشعب الخاضع العامل

الذي لم يعمل قط الا للغرباء ولم ينله نفع من كده واليك ما قاله الان اليزه ركلو بعد ادمون ابو بعشرين سنة :

ان النقوش الناتئة في المصانع المصرية تمثل هذا الشعب بانه كان منذ ثلاثة آلاف سنة كما هو اليوم يحني رأسه تحت ضربات السياط . ولقد كان الفلاح المصري ابداً مظلوما . وحقاً لاقدرة له على الانتقال كما ينتقل البدوي الرحالة وليس في سهل الدلتا العظيم المنبسط ولا في وادي النيل الضيق المضطرب مكان يسعه ان يحاول الالتجاء اليه ليكون فيه بأمن ولذلك كان عرضة للشقاء لامستقبل له ولا امل يرجو نيله ومع هذا تراه يحب مسقط رأسه حبا جماً واذا طرحته النوى مطارحها وابعدته عن ضفاف نهره المحبوب تعروه الكآبة ويموت معذباً بالإرب اي مرض فرقة الاوطان اه .

عود الى موضوعنا ـــ فقد فتحت ترعة السويس في نوفمبر سنة ١٨٦٧ ثم اتخذ اسماعيل سياسة التغلب التي افلح فيها جده ووسع حدود مصر الى البحيرات العظمى في افريقية الوسطى سنتي ١٨٧٠ و١٨٧٦ وصادق له السلطان على نصف استقلال الخديوية فيما يتعلق بالباب العالي ولكن اسماعيل انشأ في خلال عشر سنين من حكمه يسرف ويتلف فعد عهده عهد اسراف مالي شرع يستدين من فرنسا وانكلترا حتى اقترض ٢٥٠٠ مليون فرنك بشروط كانت من الفداحة بحيث اصبح الافلاس لا مناص من الوقوع فيه .

نعم حدث ذلك بالفعل فرضي اسماعيل سنة ١٨٧٦ بقبول المراقبة الاجنبية على المالية المصرية وبعد انقضاء ثلاث سنين على هذا ومحاولة اعادة النظام الاداري الى نصابه الاول عين في الوزارة المصرية اثنان من المراقبين احدهما انكليزي المستر ريفرس ويلسون والاخر فرنسوي المسيو دي بلنيير سنة ١٨٧٩ وعندها نشأ

عن ذلك ما هو معلوم من المشاكل بين الادارة المصرية ووكلاء الدائنين وان وقع الاستحسان على المراقبة الانكليزية الفرنسوية في جميع مايختص بالمالية المصرية ·

جاء في كتاب المسألة المصريه الذي نشر حديثاً كلام للمسيو فريسنيه (احد وزراء فرنسا) حكم فيه الحكم التالي على عزل اسماعيل وحلل مؤلف هذا الكتاب الممتع التقلبات المنوعة في السياسة الفرنسوية بمصر منذ حملة بونابرت الى ايامنا قال الوزير:

وهكذا انتهت ايام امير كان في مكنته ان يكون حظه غير ماتم له فقد كانت له على نقائصه الكبيرة صفات محمودة فلئن كان محتالاً موسوساً مهوساً مفرطاً في العجب مسرفاً محباً للعظمة فقد كان ايضاً صاحب سلطة وذكاء في تعاطي الاعمال يحسن التمييز بين مصالحه المختلفة وتظهر كفاءته في حسن خدمتها · وقد دل اصلاحه القضائي وما بذله من مد يد المعونة في مشروع ترعة السويس وماتوفر عليه من القيام بكثير من الاعمال النافعة على انه اهل للعمل بالافكار السامية · ولو كان لفرنسا في مصر اذ ذاك معتمد حازم حاذق وثابت (١) لنالت بواسطته نفوذاً كبيراً وكان يتأتى بمعونة الدول وفي الاحوال الحرجة التي وقعت البلاد فيها ان يؤخذ بيد اسماعيل في طريق يكون الى السلامة اكثر من الطريق الذي سلكه

فقام على عرش الامارة المصرية بقيام توفيق امير مهذب سليم الطوية تام الاخلاق مقتصد ولكنه ضعيف الرأي لانفوذ له متوسط الذكاء تتقاذفه التأثيرات المتناقضة بحيث يعجز عن التغلب على مركز حرج · ولذلك رأيت مصر في خلال ذلك عرضة الاضطراب وعدم التماسك ثم للاختلال وانتشار الحوادث اه

(١) كان لفرنسا في خلال السنتين والنصف التي انقضت من الاصلاح المالي سنة ١٨٧٦ الى عزل اسماعيل ثلاثة وكلاء سياسيين على حين كان اللورد كرومر في مصر منذ زهاء ثماني عشرة سنة

وعلى الجملة فقد كان من اثر الحوادث التي تلت اعادة المراقبة المالية ان راح اشياع اسماعيل يستثمرون المغانم منها فنشأ عن ذلك اضطراب شديد بين المسلمين من المصريين انتهى بثورة السودان وقيام المهدي محمد احمد يدعو الى الجهاد (اغسطس ١٨٨١) وادى الى الفتنة المشهورة في القاهرة (٩ سبتمبر ١٨٨١) التي اثار ثائرها الحزب الذي سمى نفسه الحزب الوطني وكان الاميرالاي عرابي زعيمه المعروف

شيء من تاريخ الكائنات والانسان

خلق الله النور ثم الجلد ثم النبات والاشجار والاعشاب والمياه . ثم الشمس والقمر والكواكب ثم الاسماك والطيور ثم الدبابات والبهائم ثم الانسان

لا يعلم العلماء مقدار المدة التي كانت بين خلق النور وبين الجلد وبين سائر المخلوقات المتقدم ذكرها . فقد يمكن ان المراد في الايام التي ذكرها موسى اول مؤرخ ظهر على وجه الارض عصر او مدة طويلة . فانه لا يوجد كلمات في اللغة العبرانية التي كتب فيها موسى تاريخه او الاسفار الخمسة في التوراة تدل كلٌّ منها على يوم ومدة وعصر على حدتها . ولقد دلَّ كلٌّ من علم طبقات الارض وعلم الفلك على ان المراد بتلك الاعصر الوف عديدة من الاعوام

بيد ان قسماً كبيراً من البشر يعلم حق العلم بان الله جلَّ جلاله سلط الانسان على الكائنات وعلى هذه الطبيعة العجيبة او انه اقامه سيداً على كل ما نراه امامنا وورائنا وفوقنا وتحتنا وحولنا من جمال هذا الكيان وبدائع هذه الخليقة التي حار في فهم اسرارها القدماء والمحدثون

آدم جد الاسرة البشرية كلمة عبرانية معناها التراب الاحمر . وحواء جدة الجنس البشري كلمة معناها ام كلّ حي . ولقد دلت الآثار القديمة في جميع قارات العالم — في آسيا وفي افريقية وفي اوربا وفي اميركا على خلق آدم وحواء . فوجدت صور منقوشة على الصخور تدل على رجل وامرأة وبيد هذه ثمر

اما موقع الفردوس الارضي الذي وجد فيه الابوان الاولان فقد اختلف فيه الاثريون ورجال البحث . فقال فريق انه كان في ما بين النهرين او في ارمينية بدليل ذكر موسى

الكليم للنهرين دجلة والفرات . وقال آخر انه كان في بابل او في بلاد الكلدانيين

كانت كل امة في هذا الوجود تنسب خلق الابوين الاولين الى وطنها او بلادها فجاء العلم يفند هذه الدعوى حتى صار من المرجح في هذا العصر ان خلق آدم وحواء كان في جهات ارمينية او فيما بين النهرين

على ان هذا الاختلاف في هذه المسائل التاريخية والمشاكل العلمية لم يكن باعثاً على الاختلاف في ان الابوين الاولين قد سقطا حسب مذهب اهل الايمان وان الله طردهما من جنة عدن وانه قال لهما : بعرق وجهكما تأكلان خبزكما

ولد للابوين الاولين قايين وهابيل الا ان الاول قام على الثاني فقتله حسداً . فكان قايين اول من حسد واول من اوجد المطامع البشرية التي لا تزال تئن منها البشرية والانسانية

ثم ولد سائر الاباء الاولين فكان عددهم كلهم عشرة . وهم آدم وشيث وانوش وقينان ومهلائيل ويارد واخنوخ ومتوشالح ولامك ونوح . ولقد اطال الله حياة كل منهم فبلغ بعضهم من العمر نيفاً وتسعمائة سنة لمقاصد جليلة منها انماء النوع الانساني

قال موسى الكليم ما ملخصه : لما كثر الجنس البشري على وجه البسيطة وكثرت شرور الانسان اهلكه الله بالطوفان . واختلف العلماء فيما اذا كان الطوفان عاماً ام خاصاً واخذ كل من الفريقين المختلفين يؤيد مدعاه . فمن براهين علماء الدين ان الطوفان كان عاماً لاخاصاً لان التوراة صرحت بان المياه « غطت جميع الجبال التي تحت السماء » وانها « اهلكت كل جسد يدب على وجه الارض » وان آثار الامم القديمة تدل على كونه كان عاماً لا خاصاً

ومن براهين الفريق الثاني من علماء الآثار وعلماء الجيولوجيا ان قبائل المغول في الصين وبلاد الاحباش والسودان من اصل قبل الطوفان . وقد اثبت علم طبقات الارض ان الطبقة الثالثة من الارض طبقة طوفانية . على ان علماء هذا الفن يقولون بان تلك الطبقة ناشئة من طوفانات عديدة فطوفان سنة واحدة كطوفان نوح لا يمكن ان يكونها

اختلف العلماء فيما اذا كان الطوفان عاماً ام خاصاً كما اختلفوا في « مستقر السفينة النوحية ومهد الجنس البشري بعد الطوفان » فقد ذهب جماعة من اهل البحث والتنقيب والعلم الى ان الفلك النوحية استقرت على جهة من سلسلة جبال الهند وبلاد كوش بدليل ان تقليدات الفرس والهنود تدل على ذلك . وذهب غيرهم من الباحثين الى ان مهد البشر ومقر سفينة نوح كانا في ارمينية ويقول موسى الكليم ان فلك نوح استقر على جبال اراراط وهو اصح قول اذا اعتقدنا بصحة ما كتبه موسى . وكيف لا نعتقد بصحة الاسفار الخمسة وقد برهنت على صحتها

الخطوط الهيروغليفية المصرية والمسمارية والكلدانية التي كان اول من اكتشف اسرارها فقيد العلم يوحنا فرنسيس شامبوليون المتوفى سنة ١٨٣٢ م

قال الكتاب الشريف « اقيم ميثاقي معكم فلا ينقرض كل ذي جسد ايضاً بالطوفان ولا يكون ايضاً طوفان ليخرب الارض » وقال « وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الارض » وقال « وكانوا بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساماً وحاماً ويافث » تكوين ص ٩ عدد ١١ و١٣و١٨و١٩

اذا لم نتبع مذهب الذاهبين الى ان اهل الصين والسودان وهنود اميركا من اصل قبل الطوفان فيكون سام وحام ويافث اصولا لجميع الجنس البشري بعد الطوفان . فقد اقام سام في آسيا واقام حام في افريقية واقام يافث في اوربا فالآسياويون القدماء من ذرية سام والافريقيون الاصليون من اصل حام والاوربيون من اصل يافث . واما نوح فهو جد الآسياويين والافريقيين والاوربيين بعد الطوفان

ذهب عدد كبير من العلماء الى ان موسى الكليم اقتصر على ذكر انساب النوع الابيض من البشر . واما انساب النوع الاصفر والنوع الاسود والنوع الاحمر فلم يتعرض لها . ولعله اراد بهذا التخصيص او الاقتصار ذكر الشعوب التي كان يعرفها العبرانيون في ايامه . غير ان العلماء اهتدوا الى حل هذه المسألة فقالوا ان نوحاً عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة فلا يبعد ان يكون ولد له ابناء او اولاد في اثناء تلك المدة فكانوا اصولاً لشعوب اخرى

فالشعوب القديمة التي ظهرت بعد الطوفان وذكرها موسى الكليم والمؤرخون القدماء كالاشوريين والعبرانيين والعيلاميين والعرب والآراميين هم من اصل سام . والايرانيون والتتر والجومريون والاتراك واليونان والسلافيون والايياريون من اصل يافث . والمصريون والغوطيون والكنعانيون والكوشيون من اصل حام

واختلف اهل البحث في لغة الانسان الاولى اختلافهم في غيرها من المسائل الغامضة فمنهم من قال بانها كانت عبرانية ومنهم من قال بانها كانت احدى اللغات السامية كالسريانية والكلدانية والعربية . وقد تكون اللغة الاولى نوعاً من اللغات السامية ثم طرأ عليها تغييرات واصلاحات وتحسينات . على ان هذه جميعها لم تغير شيئاً من جوهرها الاصلي . ولما كان نوح وذووه هم الذين بقوا بعد الطوفان كانوا بلا مراء يستعملون او يتكلمون لغة الانسان الاولى . ظل نسل نوح يتكلم هذه اللغة مدة اربعة قرون حسب الترجمة السبعينية . اما الذين اخترعوا الحروف الهجائية فهم الفينيقيون الذين فضلوا على العالم بأسره بمصنوعاتهم وآدابهم التي منها اختراع الحروف الهجائية . ثم كثرت اللغات وتنوعت الى ان بلغت ما بلغته في هذا العصر

ذهب عدد كبير من علماء الدين الى ان المدة التي كانت بين الخليقة والطوفان بحسب النسخة العبرانية هي ١٦٥٦ سنة وبحسب الترجمة السبعينية هي ٢٢٤٢ سنة فاذا صحّ هذا المذهب فهذه الاعوام العديدة تكفي لاكثار نسل آدم وجعل سورية مأهولة بالسكان في تلك الحقبة التي بين الخليقة والطوفان. قال المطران يوسف الدبس في تاريخ سورية « ان الحجة القاطعة علي ان سورية كانت مأهولة بولد آدم قبل الطوفان هي موقع سورية الطبيعي » « وحيث ان المرجع عند العلماء ان مهد الجنس البشري كان اولا فيما بين النهرين او في ارمينية وكانت هذه البلاد متاخمة لسورية وكان لا يوجد بين البلادين جبال وبحار يستعصي مسلكها بل سهول خصيبة طيبة الهواء جيدة المرعى فقد كانت سورية بلا مشاحة مأهولة بالسكان »

هذه خلاصة ما قال المطران العلامة بهذا الشأن . اما احوال البشر قبل الطوفان من زراعية وصناعية وتجارية واجتماعية ومدنية فلم يتوصل اليها الباحثون بعد. وكل ماذكره موسى بهذا الصدد هو ان يابال كان ابًا لساكني الخيام ورعاة المواشي وان يوبال كان ابًا لكل ضارب بالعود والمزمار وان قوبال قايين كان الضارب كل آلة من نحاس وحديد

ان اشهر الشعوب التي قامت قائمتها في سورية بعد الطوفان الى عهد اسكندر الاول هم الاراميون والكنعانيون والعبرانيون والموآبيون والاسماعيليون والمدنيون والعمونيون والادوميون والفلسطينيون والسامريون والعناقيون . واشهر هذه الامم جميعها الحثيون والفينيقيون والعبرانيون

هذا ولي سلسلة كتابات في هذا الموضوع ساقتبسها من مباحث اشهر علماء الشرق والغرب كما اقتبست هذه المقالة خدمة لمجلة اجلها ولامة احبها

اوماهانبراسكا — الولايات المتحدة يوسف جرجس زخم

احدى نقائص الاجتماع

واقعة حال

وقفت باشيبين الى مرام لي اصاديه
يديران الحديث على زمان ربيا فيه
فقلت مضي زمانكما فما تذكار ماضيه
فقالا ياله زمناً ونذكاراً نواليه
رأينا قبلكم ما لم تروا شيئاً يحاكيه
فقلت نعم وسوف نرى من الآتي وخافيه
اموراً لن يراها الشيخ فالموت ملاقيه
فنابهما لذكر الموت غيظ خيف باديه
وقالا هل رأيت الغيب لا لست برائيه
لعلك ان تلاقي الموت تعدونا عواديه
فقلت لعل تمركما يقر العين غاليه
فقالا لا غلاء ولن ترى تمراً يضاهيه
فلم ابخل به ثمناً يهيج البخل رائيه
ورحت يكاد يفضحني لعاب لج جاريه
فلما ان اتيت البيت في جهد اعانيه
اذا بالتمر قد اربت فما تحصى مساويه

العظة

عجبت لمن دعاه الى لقاء الله داعيه
فتاق الى الحياة ولم تحل عنها امانيه
وحارب ربه شرهاً الى فلس يواتيه
اما للشيخ مزدجر فينزع عن معاصيه
اما يوقن ان الموت قد شمر حاديه
وان قد اوشك المنزل ان يبلغ قاصيه

دمنهور

احمد محرم

المدارس والاخلاق

« لا تقوم واجبات المدارس بتعليم العلوم فقط بل ان بث روح الفضيلة والاقدام من اخص واجباتها »

جول سيمون

تنبه الناس حديثاً لانشاء المدارس في الشرق ورغب بعضهم فيها بعد ان ذاقوا لذة العلم ورأوا اعظم تأثيره في الغرب فعملوا على تأسيسها جهدهم ولم يمض زمن حتى كثرت معاهد العلم وتعددت لاسيما في اليابان مملكة الشمس المشرقة مدهشة العالم بسرعه ترقيها . أتى على بلادنا ازمان عفت فيها آثار المدارس او كادت الأ ما كان هناك من كتاتيب قليلة ضئيلة فعادت تنفض عنها غبار الاهمال وتزهو بما أنشيء فيها من بيوت العلم حتى اوشكت تضاهي بعض بلاد الافرنج العامل اهلها على توطيد اركان العمران فيها والخلاص من مستو بل المفاسد بالتهافت على العلم والرغبـة في التهذيب توصلاً الى بلوغ الكمالات الانسانية والتمتع بما يجعل الحياة على الارض هنيئة صافية لا شرَّ فيها ولا شقاء وهو مما يسر ولا جرم المحبين المنصفين ويحقق آمال العاملين المخلصين وينبيء بمستقبل باهر وارتقاء اكيد ينهض بالشرق من كبوته ويعيده الى سابق عظمته

ولقد مرّت على مدارسنا اعوام وهي الى يومنا هذا لم تعن بتحسين الاخلاق واصلاح الملكات والعادات اعتناءها بقواعد اللغات والرياضيات والطبيعيات على حين نرى الحاجة ماسة الى تقويم اود الاخلاق وعجن النفوس في مركن الوطنية وحب الخير والاحسان وتنظيفها من اقذار ما توالى على البلاد من النوائب والاحن وعوامل الجهل والانحطاط وتنشئتها على الجرأة والعزم والحزم والاقدام والتساهل والمسالمة والتعاضد والاتفاق وتدريبها على الصدق والاخاء والاجتهاد والترتيب والاقتصاد وتقويتها على احتمال اثقال الحياة ومتاعب العمر وتذليل العقبات ومقاومة التجارب بالعفة والنزاهة والمكاره بالصبر والترفع عن الصغائر والتمسك باهداب الفضائل والنهوض الى معالي المجد والجهر بالحق وعدم الاعتداد بالقيل والقال والتشبث باهداب المحال وتربيتها على احترام حق الضعيف واكرام المستحق ومعاونة القاصر وتنشيط المستعد وطلب النافع ونبذ المضر الى غير ذلك مما يؤهل المرء ليحسن القيام بواجباته والتمتع بحقوقه ويؤدي به الى ما يتمناه له المصلحون . وهذه كما رأيت امور اولية ينبغي ايثارها على كل شيء

وقلما نظرت مدارسنا مع ما فيها من العلماء والادباء وما لها من الفضل في انارة الاذهان

وترقية العقول وتوسيع المدارك الى تلك المقومات نظر حكيم مخلص يعرف كيف يداوي الاعلاء ونقاوم ادواء الامم ولم نقصر جلَّ اهتمامها الاَّ على حشو الادمغة بقواعد اللغات والرياضيات والطبيعيات على ما مرَّ بنا آنفًا غير مفسحة للادبيات والاجتماعيات الاَّ القليل من اوقات الدراسة فيها كأنها تجهل قيمة النفس وتأثير الاخلاق في الوجود . والانكى ان ما تعلمه الواحدة ونذهب اليه تشجبه الاخرى وتبعد عنه وما تحض عليه هذه تقاومه تلك اذ ندر وجود مدرسة عندنا لاغاية لها في العلم ولا مأرب خاص على ان العلم لا مشرب لهُ ولا دين كما قال المقتبس الاغر في عدد اسبق

ولا تنحصر واجبات المدارس فيما تجري عليه مدارسنا الحاضرة التي تفقد الاولاد كثيرًا من الامور الطاهرة الآتية معهم اليها وتضعف فيهم اميالاً سامية فطروا عليها مذ تكونوا في احشاء امهاتهم وتلاشي منهم نزعات شريفة ورغائب عظيمة مقدسة وتبث فيهم مبادىء تافهة وتعودهم عادات سيئة وتمكن منهم اخلاقًا فاسدة وتنشئهم على التعصب والادعاء والكبرياء والضعف والجبن والكذب والرياء وما اشبه ذلك من النقائص التي اكلت من لحومنا وشربت من دمائنا مئين من السنين حرمنا فيها الهناء والارتقاء . ولولا اعداد المدارس طلبتها للاستنارة بنفوسهم لنفوسهم وتأهيلها لهم بالعلم لدرس الآداب والعمل على تحسين الاخلاق لما بالغنا اذا قلنا ان مدارسنا اضرت قدر ما نفعت . ومن راقبها بنزاهة واخلاص وبحث في طرائق التربية فيها بحثًا دقيقًا اذا جاز لنا ان نقول ان فيها تربية تتضح له الحقيقة باجلى بيان . . . واصلاح المدارس خير اساس يجب ان يقوم عليه الاصلاح

الضغط على العقول وارهاق الوجدانات وخنق الافكار ومعاكسة النوابغ ومعاملة التلاميذ بالقسوة والجور والشراسة والاستبداد والشتم والضرب وقلة الادب على نحو ما بينت ذلك في فصل من كتابي الانسان ابن التربية (١) وايثار اهواء المعلمين على القوانين ومآرب الوالدين على مصالح البنين وعدم الاعتداد بالغرائز وعدم تنشيط العزائم وتعزيز الصدق والجرأة والاقدام وعدم جعل المعلمين انفسهم قدوة حسنة للتلاميذ وتطبيق افعالهم الخاصة والعامة على اقوالهم وما شاكل ذلك مما يأتي به كل معلم غير مؤهل للتعليم باخلاقه وآدابه على ما نشاهد في كثير من مدارسنا مما لا حاجة الى اعادة ذكره الآن واثارة الاشجان بتعداده — كل هذا اساس فساد الاخلاق في المدارس

راقبت مرة طلبة احدى المدارس في وقت الراحة فرابني امر تلميذ منهم كان كمن يبحث

(١) هو كتاب ادبي اخلاقي انتقادي تحت الطبع

عن ضائع وعرفت بعد البحث انه يحمل (السنيال) (١) وقد رأيته يأتي من ضروب الرياء والتجسس ما احزنني على مستقبله ومستقبل ابناء مدارس من مثل هذه تدرب بنيها على عادات سيئة واعمال دنيئة . وهل اسوأ وادنى من جاسوس يغتاب الناس و ينم بهم . ولو اعترض احد على مثل هذه الامور لاحتجت المدارس على اتيانها بحجج و براهين لا تخرج عن حد (الغاية تبرر الواسطة) وعندي ان شرف الاخلاق واباء النفس مع العلم القليل خير من الصغار والدناءة مع اتقان التكلم بعدة لغات

مَن المسئول عن فساد اخلاق شبان العصر وسوء احوالهم الادبية يا ترى غير البيوت والمدارس ؟ واذا كان الوالدون على ما يعهدهم الجميع لا يعرفون من شؤون التربية غير اسمها ولا من الاخلاق الاَّ ما شبوا عليه ولا من العادات سوى ما تأصل فيهم افلا يجدر بالمعلمين المتعلمين المهذبين ان يعوضوا عن هذا النقص جهدهم و يسدوا من الخلل ما يستطيعون؟ نعم لا انكر ان المعلمين اليوم هم ابناء هذه المدارس ايضاً وما يتقاضونه من الرواتب لا يرغب في المهنة المهرة البارعين ولا يدني منها غير الكسالى العاجزين في اغلب الاحوال ولكن اين تأثير الادارة والرئاسة ورواتب المديرين والرؤساء لا تحول دون انتخاب المستعدين والمستعدون على ازدياد ؟

يقولون اكثروا من المدارس واستكثروا . ولا نجاح لنا بلا مدارس ولا ارتقاء . ولكن فاتهم ان ما عندنا منها لو عرفت كيف تربي اخلاق بنيها على ما يعوزنا لكان الاغنياء منهم ينشئون المدارس من تلقاء انفسهم دون ان يحوجونا الى النداء والمطالبة والحكام يديرونها حسب الاصول دون استبداد بالاولاد وتلاعب بالحاسات والمعلمون يهذبون النفوس و يكفوننا مؤونة الكلام في هذا الموضوع الخطير . وقد كثرت مدارسنا وحسبنا من انواعها ما عندنا وخير من زيادتها ايضاً العناية بتحسين طرق تربية الاخلاق فيها وهذا الركن العظيم الذي يتوقف عليه نجاح الامة

لا ريب ان المدارس تكيف الامم و بواسطتها تستطيع كل امة تغيير ما تريد من عاداتها ومبادئها واخلاقها اذا توحدت فيها غاية التربية والتعليم ووافق كلاهما حاجات الامة لاسيما وابناء المدارس و بناتها سيصبحون يوماً آباء وامهات يتولون تربية الاولاد الاولى الاساسية التي تدوم آثارها بدوام العمر ولا يلاشيها الاَّ القبر . فعلى المدارس فقط يمكننا ان نعتمد الآن في تهذيب الاخلاق واصلاحها هذا اذا عرفت كيف نتوصل الى ذلك بالتربية الصحيحة والتعليم القويم . وقد اكثر العلماء والفلاسفة الغابرون والحاضرون من ايضاح اصول

---

(١) علامة يتناقلها الطلبة الذين يتكلمون العربية اوقات اللعب في بعض المدارس الافرنجية

التربية والتعليم وما على من يتعاطى صناعة التدريس ويتولى شيئاً من امور المدارس الا مراجعة ذلك في اماكنه ودرسه حق دراسته وانتخاب ما يلائم حالة السكان ويوافق حاجاتهم واتقانه تمام الاتقان والا فسدت اعمالهم وساءت نتائجها كما هو الواقع لعهدنا

وبعد فكيف نرجو ايجاد امهات مدركات واباء عاقلين نعتمد عليهم في تنشئة ابناء الغد على المبادىء السامية والاهابة بهم الى اسمى قمم الاجتماع وادراك مراتب التمدن الرفيع ومدارسنا الحاضرة لا عناية لها بالاخلاق كما ينبغي ؟ كيف نتمنى بلوغ المجد والاخذ بحظ وافر من الانسانية وحفظ الثروة واحسان التمتع بالحقوق والقيام بالواجبات واخلاقنا على ماهي من الفساد والالتواء ؟

الاخلاق الاخلاق خير ما تطالب به المدارس واصلاحها من الاوليات الضروريات التي يجب ان تنحوها مقاصدها وتسدد اليها خطى المسعى . وعلى كل معلم ان يضع هذه الغاية الشريفة نصب عينيه ويلهج بذكرها في الليل والنهار كيفما حلَّ وسار . ولا يغني المرء عن شريف الخصال مال ولا جاه ولا عزّ ولا بنون ولا ينيله حب الناس واحترامهم ونفعهم له الا مافطر عليه من كريم السجايا وما اعتاده من حميد العادات . وما الاخلاق في عرف الناس الا مجموع عادات والعادة نتيجة ممارسة

فاذا قام الوالدون والمعلمون بالوسائل الفعالة على منع الاولاد من ممارسة كل مالا يحسن بهم ان يعتادوا عليه يحفظوا لهم مستقبلهم من ثقل وطأة تلك العادات ويخلصوهم من شرها واذا فات ذلك الاباء والامهات لجهل وغباوة لا يجب ان يفوت الاساتذة الذين يدعون العلم والمعرفة ويتنصلون من وصمة الجهل والغباوة

بيروت — جرجي نقولا باز

ميت الاحياء وحي الاموات

تيقظ فما انت بالخالد — ولا صرف دهرك بالراقد
تخلد بسعيك مجداً يدوم — دوام النجوم بلا جاحد
وابق لك الذكر بالصالحات — وخل النزوع الى الفاسد
ورد ماينادبك عنه الصدور — الا درّ درّك من وارد
وسر بين قومك في سيرة — تميت الحُقود من الحاقد
فان فتى الدهر من يدعي — فتأتي اعاديه بالشاهد

ولا تك مرمي بداء السكون فتصبح كالحجر الجامد
وكن رجلاً في العلى حوّلاً تفنن في سيرة الراشد
اذا اطردت حركات الحياة وجاءت على نسق واحد
ولم تتنوع افانينها ودامت بوجه لها بارد
ولم تتجدد لها شملة من السعي للشرف الخالد
فما هي الاّ حياة السوام تجول من العيش في ناقد

* * *

وما يرتجى من حياة امرء كماء على سبخة راكد
وليس له في غضون الحياة سوى النفس النازل الصاعد
يغض على الجهل اجفانه و يرضى من العيش بالكاسد
كأكل الطعام ولبس الثياب وامرار وقت بلا عائد
فذاك هو الميت في قومه وان كان في المجلس الحاشد

* * *

وما المرء الاّ فتى يغتدى الى العلم في شرك صائد
سعى للمعارف فاحتازها وصاد الانيس مع الآبد
وطالع اوجه اقمارها بعين بصير لها ناقد
فابدى الحقائق من طيها والقى القيود على الشارد
اذا هو اصبح نادى البدار وشمر للسعي عن ساعد
فكان المجلّي في شأوه بعزم يشق على الحاسد
وان بات بات على يقظة بطرف لنجم العلى راصد
واحدث مجداً طريفاً له واضرب عن مجده التالد
وما الحمق الا هو الاتكال على شرف جاء من والد
فذاك هو الحي حي الفخار وان لحدته يد اللاحد

بغداد — معروف الرصافي

تاريخ علم الهندسة وكبار المهندسين

انتهينا بكلامنا في الجزء السابق الى آخر ما جاء به افلاطون من الابحاث الهندسية وهانحن الآن نسرد اسماء الكبراء في هذا الفن الذين قاموا بعده الى هذا العهد

في اواخر عصر افلاطون اشتهر اخيتاس(Achitas) الذي اضاف شيئًا مذكوراً الى المعلوم من خواص المنحنيات والقضايا المتعلقة بها واشتغل كثيرًا في قضية تضعيف المكعب التي فصلناها في مقالتنا السابقة ووضع اساسًا للمكتشفات التي قام بها ارخميدس في الميكانيكيات واصطناعها على الاصول الهندسية ·

ثم قام دينوكراط خريج افلاطون وقسم الزاوية الى ثلث زوايا متساوية مستعينًا عليها بالقوس التي سماها الرباعية · وجاء برسيوس (Perseus) فبحث في خواص اللولبيات وهو اول من اشتغل بالخطوط والسطوح اللولبية ووضع لها معادلات لاستخراج نصف قطرها ومعرفة زاوية الهبوط فيها ·

وفي هذا العهد طلع كوكب الهندسة الشارق وبدرها الآفق نعني به المهندس اقليدس الشهير (٣١٥ — ٢٥٥ ق · م) ولعله اعظم من اشتغل بفن الهندسة منذ ظهورها الى هذا اليوم · وليس هو منشئها او مكتشف مبادئها كما يزعم الكثيرون من غير العارفين لان اكثر قضاياها الخطيرة كانت معروفة قبل عهده ولا اشتغل بمسائلها الصعبة ولا اضاع زمانه للتوصل الى حل قضية غير ممكنة ولا كشف كثيرًا من خفاياها ولكنه خدمها اكثر من جميع العلماء الذين سبقوه او تأخروا عنه فهو جمع كل القضايا التي كانت معروفة الى عهده والتي حلها كبراء الفن قبله ورتبها في سلسلة محكمة الوضع مرتبة الحلقات جاعلاً برهان كل قضية مستنداً الى ماقبلها وادخل البرهان الخلفي في اثبات كثير من القضايا الهندسية وذلك عبارة عن رد الوجوه المطلوب نفيها الى عــدم الامكان فلا يبقى الا وجه واحد ممكن كقولهم « اذا فرض تفاوت زاويتي مثلث وجب تفاوت وتريهما والزاوية الكبرى يقابلها الضلع الاطول » فهو يثبت هذه الدعوى بان الضلعين لا يمكن ان يكونا متساويين لان ذلك يقضي بكون المثلث متساوي الساقين ويفضي الى تساوي الزاويتين وهذا مخالف للغرض القائل بتفاوتهما ولا يمكن ان يكون الضلع المقابل للزاوية الصغرى هو الاطول لان ذلك يقضي لزاويته بالزيادة وهو مخالف للغرض ايضًا فلم يبق اذن الا ان يكون وتر الزاوية الكبرى اطول من وتر الزاوية الصغرى وهذا هو المطلوب اثباته · وقد استخدم اقليدس هذا الاسلوب من البرهان في اثبات كثير من القضايا التي لم يجد لها مخرجًا غيره · وجعل جملة القضايا التي تمكن

من جمعها واستخراجها في ثلثة عشر كتابًا وقف الستة الاولى منها على هندسة الخطوط والزوايا والسطوح البسيطة والاربعة التي بعدها على الهندسة الحسابية من خواص الاعداد ونسبتها لبعضها وعلاقتها بالاشكال الهندسية والثلثة الاخيرة على المستويات المتقاطعة والمجسمات والى هذه الثلثة اضاف هبسكل (Hypsiclès) مهندس الاسكندرية الذي ظهر بعد اقليدس بنحو قرن ونصف قرن كتابين اكمل بهما الناقص من كتب اقليدس في تلك الابواب. وما زالت الستة الاولى مع الحادي عشر والثاني عشر من كتب اقليدس معوّلا عليها في اكثر المدارس لتلقين فنّ الهندسة والى اليوم لم يستطع المشتغلون بهذا العلم ان يأتوا بتبويب يفضل تبويب اقليدس ويختار عليه لسهولة التحصيل. وينقل ايضًا انه وضع كتابًا في المقاريض وبعض مقالات في قطوع المخروط وثلثة كتب في قضايا المسائل السيالة التي يفضي حلها الى نتائج متعددة غير انه لم يحفظ للخلف شيء من هذه الكتب. وبعد اقليدس اصبح علم الهندسة سهل المأخذ قريب التحصيل وصار لا بد للراغبين فيه من درس كتبه قبل كلّ شيء. ولم يعد يحسب من فطاحل الفن والمكتشفين فيه الا من زاد شيئًا خطيرًا على ما في تلك الكتب او ادخل اسلوبًا جديدًا او اكتشف قضايا مجهولة لها شأن يذكر وهذا راجع الى ان علم الهندسة مثل غيره من العلوم الرياضية لا تخلق جدته ولا تنقضه الايام بمرورها او العصور بكرورها. وكان بطليموس ملك مصر يقرأ الهندسة على اقليدس فوجد صعوبة في حفظها وتعاصى عليه فهمها لانه كان يتوقع انها تهون لديه كما هانت عقبات الملك وصعوبات السلطان ويكره ان يعنت فكره وينهك قواه في ادراكها فالتفت الى معلمه وقال له « الا يوجد الى الهندسة طريق اسهل من هذه ؟ » فاجابه اقليدس بقوله « ليس الى العلم سكة سلطانية » وعنى بها ان السلاطين والعامة سواء في اعتبار العلم وتحصيله فذهب قوله مثلاً عند اليونان واخذه عنهم الغربيون في هذا الزمان وجروا عليه بالعمل فوضع الملوك اولادهم في المدارس الكبرى والصغرى يتلقون العلوم مع رعاياهم ويأخذون الفنون عن الاساتذة كما يأخذها غيرهم ويحتملون القصاص ويأخذون الجوائز التي يستحقونها بجدهم ونشاطهم وآدابهم بدون اقل مزية على الفقراء الخاملين من الطلبة

بعد انصراف اقليدس برز ارخميدس الصقلي وهو يعدّ من اكبر الرياضيين القدماء ان لم يكن اكبرهم (٢٨٧—٢١٢ ق.م) فقد اضاف الى الفن قضايا كثيرة جديدة لم تكن معروفة قبله وتعمق في مباحث المجسمات الى ان كشف حقائق جمة واعدّ لعلماء المتأخرين قواعد نفيسة جعلوها اساسًا لطرائقهم في قياس السطوح المنحنية والمجسمات. نعم ان اقليدس وضع في كتبه شيئًا من الابحاث في الاشكال المنحنية غير انه اقتصر منها على القليل ولم

يتعرض لتمثيلها وقياسها بالآحاد المربعة من السطوح المستوية والمكعبة من الحجوم اما ارخميدس فقد وضع القواعد التي يقتضيها هذا التمثيل في مقالاتهِ النفيسة التي ألفها في « الكرة والاسطوانة » وفي « المقاطيع الكروية والمخروطة » وفي « قياس الدائرة » وقضيته التي اثبتها في ان « مساحة قطعة من سطح ثلجي تساوي ثلثي مساحة شكل متوازي الاضلاع محيط بها » هي بالحقيقة اول القضايا التي وضعت في تربيع سطح محاط بخط منحنٍ . ومباحثه في اللولبيات بالغة من التدقيق والتعمق درجة عالية بحيث يعسر فهمها حتى على العلماء الراسخين في هذا الزمان . وتوسع في تفصيل الاشكال الاهليلجية المعروفة بالقطع الناقص وهو الذي اثبت النسبة بين محيط الدائرة وقطرها واحسن استخدام الحقائق التي اتصلت اليه ممن قبلهُ كما انه اجاد في بسط افكارهِ وآرائهِ وصبها في اسلوب قريب المنال على من بعدهُ . واستخدم الهندسة في الميكانيكيات وكشف كثيرًا من القواعد الاساسية اللازمة لهذا الاستخدام واكتشف ناموس الثقل النوعي واستعان به على ترويض القوى الطبيعية وهكذا صرف عمره في العلم والعمل الى ان قتل وهو لاهٍ في الاشكال الهندسية التي رسمها على الرمل المنبسط امامهُ في غرفتهِ قتلهُ الرومان يوم فتحهم مدينة سرقوسة في جملة من قتلوا غيرهُ من العلماء والفلاسفة والخطباء في كل فتح فتحوهُ وبلادٍ دوَّخوها

قلت عند ما وصلت الى هذا الموضع من مقالتي وذكرت مقتل ارخميدس على يد الجند الروماني القيت القلم من يدي ووقفت برهة أُجيل في خاطري تاريخ الدولة الرومانية التي يطنب الافرنج بها ويفخرون بعرض جاهها وسعة سلطانها فما مررت للرومان على عملٍ جليل خدموا به الانسانية ومهدوا فيه سبيل العلم . نقول عملاً جليلاً ونريد بهِ عملاً يليق بمثل دولتهم ويذكر معهم فيعرف الانسان حقهم عليه ما دام ودامت الارض بسكانها . ولم اعثر لهم الاَّ على جيوش متألبة وقوادٍ متنازعة وسيوف مخضبة بالدماء ومدنٍ تركوها خرابًا ودول اسكتوا نأمتها آخر الدهر وعلم اجهزوا على بقية القائمين فيه بدون ان يرثوهُ عنهم . فهم محقوا التمدن الفينيقي في قرطجنة وقوَّضوا عمران البطالسة في مصر واستأصلوا جرثومة العبرانيين من فلسطين واجهزوا على الدولة السلوقية في سورية والعراق وحالوا دون ترقي العمران الساساني في بلاد فارس واخمدوا شرارة التمدن الذي بدأ يظهر في آسيا الصغرى ونقضوا معاهد العلم والفلسفة والصناعة والسياسة في بلاد اليونان وما تفرَّع عنها في جزائر البحر المتوسط وبسطوا ظلهم الكثيف على انقاض هذه الامم والدول وملأُوها بملاعبهم ومراقصهم وساحاتهم التي شغلوها بصراع الاسود والثيران ومواقف الجنود والفرسان . ولولا ان قام العرب في اواخر دولتهم واخذوا العلم اليوناني واحتفظوا به الى الخلف في العصور

المتأخرة لما كان وصل الينا من علوم المتقدمين شيء لا ينقع الغلة . واغرب من هذا ان كتاب الافرنج في هذا العصر يغضون الطرف عن الاضرار التي الحقها الرومان بالتمدن الانساني ولا يعدونهم من المخربين الاشرار ولو كان الرومان دولة شرقية لاسرع كل كاتب فيهم الى نعتها بالتخريب والتدمير والاضرار والفساد كما ينعتون دولة التتر التي رفعها جنكيزخان وتيمورلنك هذه جملة معترضة مرت في خاطري وانا اكتب هذه المقالة فاثبتها وانا اعلم ان ليس هذا موضعها ولكنه خاطر عن فاثبتناه وفكر الم فقيدناه

وبعد ارخميدس اشتهر ابولونيوس المولود حوالى سنة ٢٤٠ قبل الميلاد بما كشفه من اعمال الهندسة الوضعية وهي تعيين محال النقط والخطوط المجهولة وله مقالات في قطع المخروط جاءت في ثمانية كتب انتهى الينا سبعة منها واستخرج الثامن هالي الفلكي في القرن السابع عشر للميلاد مستعينًا على استخراجه بما نقله بابوس من مكتشفات ابولونيوس منثوراً في فقر شتى . وهذه المقالات كان لها شأن باهر بين علماء الهندسة بعده حتى لقبوه بالمهندس الاكبر فقد اوضح فيها خصائص البؤر والمحترقات ووضع مبادىء المباحث في القطبيات والناميات والحدين الاعظم والاقل . والذي بقي الى هذا العصر من مؤلفاته كان اكثره محفوظاً في الكتب اليونانية وكان قسم منه منقولاً الى العربية فأُخذ عنها .

بعد ما تركه ارخميدس وابولونيوس من الآثار في الهندسة صار يصعب على من يأتي بعدهما ان ينال نصيباً من الشهرة في هذا الفن فانهما لم يتركا للخلف باباً مغلقًا الا ما كان بالغًا حد الاعجاز فمر اكثر من قرن قبل ان ظهر نيقوميدس في اواخر القرن الثاني قبل الميلاد واشتهر بابحاثه في المنحنيات وقياسها مستعينًا عليها بالطرق الميكانيكية وفي قضايا النسبة ذات الوسط المشترك وفي تثليث الزاوية .

وظهر معه هبار كوس الذي هو اول علماء الفلك المعروفين ومخترع الاسطرلاب ومكتشف الاعتدالين وواضع التقاويم للنجوم باطوالها وعروضها السماوية والذي هو مرجع بطليموس في علم الهيئة . اما في الهندسة فقد اكتشف عدة حقائق في المثلث الكروي والمرتسمات والاظلال وغيرها مما له تعلق في علم الهيئة وهو آخر من بقي له ذكر من علماء الهندسة قبل الميلاد .

وفي آخر القرن الاول بعد الميلاد ظهر منالاوس (Ménélaüs) فوضع مؤلفًا في الكرويات كشف فيه كثيراً من خواص المثلث الكروي وهو اقام القضية الاساسية في ابحاث القاطع وصفاته .

وفي اوائل القرن الثاني بعد الميلاد قام بطليموس الذائع الصيت في فني الهيئة والجغرافيا ووضع عدة تآليف اهمها كتابه الذي سماه العرب المجسطي وعنوا بها « الاعظم » وعنهم اخذ

الافرنج الكتاب واسمه وفي النقول التي عثرت عليها رأيتهم يقولون ان العرب وضعوا له هذا الاسم ولعلهم اخذوه من اليونانية (Megisti) ثم ادخلوا عليه اداة التعريف. وهذا الكتاب يبحث في علم الفلك انما فيه كثير من مباحث المثلثات المستوية والكروية وفيه حقائق كثيرة في خواص الكرة منها ماهو من مكتشوفات بطليموس ومنها ما هو مأخوذ عن هبّاركوس الفلكي

بعد بطليموس لم يشتهر احد في فن الهندسة حتى اواخر القرن الرابع للميلاد حين ظهر بابوس (Pappus) ونشر كتابه الذي سماه « المجموعة الرياضية » واثبت فيه كل القضايا والاكتشافات التي كانت في ايامه منقولة عن اشهر الرياضيين ونسب كل واحدة الى صاحبها واضاف اليها كثيراً من الحواشي تسهيلاً لفهمها وهو اول من ذكر التناسب غير الموسيقي. وفي القرن الماضي عثروا له على عدة قضايا في مسح السطح المتعرج الممتد الواقع بين خطين متعرجين مؤلفين من اقواس كثيرة مثل مجاري الانهار والطرق غير المستقيمة وكان الاب غولدن (Guldin) اليسوعي قد نشر هذه القضايا في اوائل القرن السابع عشر وادعاها لنفسه وعبرت دعواه هذه على العلماء نحو قرنين حتى ظهرت الحقيقة عند العثور على كتب بابوس ووجود قضايا غولدن فيها قبل ان يولد هذا الاب اليسوعي باكثر من اثني عشر قرناً

« البقية تأتي » فارس الخوري

النهضة الاميركية

معربة من مبحث لاحد علماء فرنسا

يقول بعض الباحثين انه لم يعهد ان تحسنت الصلات السياسية بين الاسبانيين والاميركيين في دور من ادوار التاريخ وانما كانت صداقة بين الامتين قط. حالة متسلسلة من عهد خريستوف كولمبس فاتح اميركا الاول فانه اعتبر هذه القارة ارضاً مفتوحة فراح الاسبانيول من سهول قشتالة الوعرة والعجب آخذ من نفوسهم ينقضون على تلك الاراضي البكر و يسخرونها لامرهم. فلم يحترموا معابد الشمس في بلاد الانكاس ور بطوا خيولهم في قاعات القصور في المكسيك وراحوا يسفكون الدماء و يملأون جيوبهم بالمال نهمين الى اخذه وبذلك اصبحوا ملوكاً في العالم الجديد واخضعوا اميركا الجنوبية الا اقلها لسلطان قهرهم بالسيف والنار واطاعتهم جزائر الارخبيل « الانتيل » وجزء عظيم من اميركا الشمالية حتى ساغ لشارلكان ملك اسبانيا ان يقول « ان الشمس لا تغرب عن ممالكي » ولكن لكل فجر شفق

ولكل علو نزول. فقد تألفت في حجر البلاد المفتوحة على توالي القرون اجناس جديدة تنبه فيها فكر الاستقلال

وبينا كان ملوك اسبانيا في قصر الاسكوريال غارقين في فسادهم (كما كان اسلافهم ملوك الاندلس لما طردهم الاسبانيون منها) غافلين عما يدبر في تلك الاصقاع النائية من بلاد اميركا كانت حركة الافكار على اتمها في هذه البلاد. ولم يكد يجتاز نابوليون جبال البرينيه الفاصلة بين فرنسا واسبانيا حتى قامت بلاد اميركا الجنوبية على ساق وقدم وحذت المكسيك حذوها فانسلخت عن اسبانيا تلك الزهرات واحدة بعد اخرى. وفي غضون ذلك كانت تنمو مملكة الشمال من اميركا قد تجسد فيها فكر التبسط والتوسع داعية اسبانيا عدوتها القديمة للقتال مستندة الى طالع قوتها وكان نجماً ساطعاً على حين كان نجم اسبانيا قد خوى وهوى

وكان غير مذهب مونرو كيان تلك البلاد كما حرر سيف بوليفار ارض الجنوب من رق العبودية للدول الغربية. ولم يبق للاسبانيين من تلك الاصقاع المتنائية الاطراف بامرها غير جزيرة كوبا فكانت لهم بمثابة جوهرة بديعة من بين تلك الحلي التي اضاعتها. فكوبا لؤلؤة الارخبيل بلاد الاحلام والخيالات التي يمتد فيها سماط من الذهب الاخضر من حقول قصب السكر وتختلط بنجوم الارض وسهوبها المعشبة وبحقول التبغ التي يعبث بها النسيم وترنحها نسمات الغدو والآصال وبالغابات الغلباء الغبياء حيث يدوي الجراد الوردي الحاد ويطير وهناك بحيرات صافية تضطجع فيها التماسيح مستلقاة على فرش من النيلوفر المزهر

ظل العلم الاوربي خافقاً على تلك الجزيرة التي طالما تسكعت في العبودية ولم تبد نواجذ الشر وسكان الولايات المتحدة من وراء ذلك يحرقون الأرَّم غيظاً من ذلك. وما فتئ سكان الشمال منذ انتشر مذهب مونرو الى ان انتشرت مذكرة ماكنلي سنة ١٨٩٨ يتربصون الدوائر بالاسبانيول ولا يكتمونهم العداء وقد دارت سياستهم في تلك الجزيرة على منع اية دولة اوربية مهما كانت قوتها من الاستيلاء على كوبا. واغتنمت الولايات المتحدة فرصة ضعف اسبانيا لتأخذ منها كوبا بالمال مباشرة او بمعاضدة الثوار او اشهار الحرب بالواسطة ودامت اسبانيا سنين طويلة ترقب وقوع هذه القنيصة في كفها. وما اشبه اميركا في مراقبتها اسبانيا الا بنسر بالغ اشده ممتع بقواه ينقض على باز هرم لا منقار له ولا مخلب.

وفي غضون ذلك تبايع الماسونيون في تلك الجزيرة على الموت او الاستقلال وقامت من بعد ومن قبل ثورات طفيفة كان القائمون بامرها يخافون لاول امرهم البوادر حتى اذا كان عام ١٨٦٠ قام ثلاثة رجال ممن أُشربت قلوبهم حب الحرية الحقيقية يحاولون استقلال بلادهم وقد خص كل منهم بمزية لا يشاركه فيها صاحبه وكان ثالثهم قائد جموع الزنوج وهم

ثلث سكان الجزيرة فاشتعلت بهم جذوة الفتنة وكانوا النافخين في ضرامها من اقصى البلاد الى ادناها . وبيعت الاسلحة للثائرين ودامت الحرب عشر سنين بين الثائرين والاسبانيين والولايات المتحدة ترقب من طرف خفي مايحل بالجزيرة وتشهد اسبانيا تنفق اموالها وتمزق رجالها . ثم فسدت احوال الموظفين والاسبانيين في كوبا وصاروا ينالون وظائفهم بالرشى والمحاباة فضج السكان وراحوا يتألفون عصابات تحت راية القائم هناك واتتهم النجدات من كل الجهات . واتفق ان ارسلت اسبانيا عليهم احد قوادها فاجرى من الفظائع والفضائح ما اسودَّ له وجه اسبانيا امام العالم المتمدن فزادت نفوس الكوبيين شموساً واشمئزازاً وقويت شكيمتهم على دفع صائل الاسبانيين وخلع نير سلطتهم .

وفي ١٢ ابريل (نيسان) سنة ١٨٩٨ اصدر رئيس جمهورية الولايات المتحدة بلاغاً اخيراً الى اسبانيا اعلن فيه الحرب عليها وحجته ان انتشار الفوضى في الجزيرة وطول امدها وحب الانسانية والاضرار التي لحقت بمصالح حكومته التجارية دعته ان يضع حداً لهذه الفتن لئلا يكدر صفاء الجزيرة . وقد عرف الكوبيون ما انطوت عليه صدور الاميركان من الرغائب فخاطبهم احد رجال السياسة بقوله : « انتم الدولة التي فسحت للايرلنديين والبولونيين مجال الرجاء في الاستقلال » وظهرت هذه المرة حكومة اميركا بمظهر العظمة وان القول قولها فيما تريد لا تنازعها دولة اوربية فيما تنويه من حماية حقوقها . وكانت حرب الاميركان مع الاسبانيول ذات بال وهي في الحقيقة لاخطر فيها عليهم ولم تمض ايام حتى حطم اسطولهم اسطول الاسبانيين في سانتياغو وعقدت عهدة الصلح في باريز فتخلت اسبانيا عن جزائر الفيليبين لقاء عشرين مليون دولار وعن بورتوريكو وكوبا بدون ان تتعهد الولايات المتحدة بدين كوبا

دخلت كوبا تحت حكم الولايات المتحدة سنة ١٨٩٨ وخرجت منها سنة ١٩٠٢ على وجه قلَّ في الدول من يروقه العمل به . ذلك انها لم ترغب في ان تحيد عن سنن الانسانية فعملت بالحكمة المأثورة عن واشنطون مؤسسها الاول من ان المستقبل مضمون لاحسن الناس اخلاقاً فرأت اميركا ان ليس من الانصاف ان يقاتل الاميركان عن جزيرة تريد نزع السلطة الاجنبية ويأخذوها غنيمة باردة وهم انصار الحرية الاقدمون ورجال السياسة المحنكون ولمستقبلهم باسمون وبعظمته مستبشرون . فمن ثم حافظوا على مصالحهم في الجزيرة وجعلوا لها حكومة جمهورية . ورفع تمثال ايزابيلا الكاثوليكية من المتنزه العام وكان قائماً فيه منذ مئتي سنة ونصب تمثال الحرية وغادر الحاكم الاميركي ارض الجزيرة بين الهتاف والدعاء لدولته بالنصر ولكوبا باشتداد الازر (في الشهر الماضي اضطرت الولايات المتحدة

ان تعود فتجهز جيشًا على كوبا لقمع ثائرة الثائرين)

دخلت الولايات المتحدة في مسألة فنزويلا سنة ١٨٨١ رغم انكلترا ولم ترهب اساطيل هذه وعظمتها البحرية بل دفعها الى ما تريد آمالها في النهضة الاميركية وما ترى لنفسها الحق فيه والاحتفاظ به من مثل مبدإ مونر وعدم مداخلة الاوربيين في اميركا تلك القارة التي لها حق التصدر فيها وافضلية الحكم على سائر اقطارها واهلها وانها هي هي المرجع في كل المسائل الاجتماعية التي تعرض لاميركا والاميركان جميعًا وما فتيء الاميركان يهددون انكلترا ضمنًا في المفاوضات السياسية الطويلة حتى ساغ لهم بها ان يجروا ما ارادوا في فنزويلا مشيعين ان المخترع اديسون الشهير قد اكتشف مدافع تطلق قنابل من الديناميت وسلاسل مهلكة وادوات كهربائية تبيد جيوشًا . بمعنى ان اميركا اذا اعلنت حربًا على اية دولة من دول اوربا لا بد ان ترجع مكللة باكاليل النصر وتكون انكلترا او غيرها مثلاً في يد الولايات المتحدة كما كانت اسبانيا في يدها كالفارة بيد القط . ثم فضت المسائل وانتهت بدوي مدافع الاميركان في كوبا على ما ارادت الولايات المتحدة وتخلصت انكلترا من هذه الورطة احسن تخلص خائفة ان يصيب مستعمرتها كندا ما اصاب مستعمرات غيرها في اميركا من قبل

ثم قامت الفتن بين الاحرار والمحافظين في كولمبيا دامت الى سنة ١٩٠٠ فتداخلت الولايات المتحدة بواسطة احد رجالها وكفت عوادي الشر فصار لها بذلك نفوذ ادبي متزايد وعلت مصلحتها فوق المصالح وكان لها الفضل في حقن الدماء واغماد سيف الفتنة والعداء . وبينما كان الامن يعود الى نصابه في كولمبيا كانت حكومة فنزويلا تسيل دمًا نجيعًا لاختلاف الكلمة على رئيسين لها يتنازعان السلطة . حرب قتل فيها نحو ثلاثين الف رجل ومع هذا هوّنت بعض الجرائد امر هذه الفتنة ودعتها بحرب الرواية الهزلية . وقد ساعدت الولايات المتحدة كولمبيا على فنزويلا في الباطن في مسألة التخوم بين تينك المملكتين وقامت اميركا الشمالية تدفع عادية من يريد كولمبيا بسوء وحجتها انها لا ترضى الا باستتباب اسباب التجارة في برزخ باناما وانها ما لجأت الى القوة في هذا المعنى الا لما عجزت كولمبيا عن ذلك

قضت الفتن الاهلية وتجييش الجيوش والتعويضات والنهب ان تكون خزانة حكومة فنزويلا افرغ من فؤاد ام موسى وماليتها اضعف من جسم العليل بعلة قديمة حتى تضرر من ذلك ارباب الاموال من الاجانب النازلين فيها ولا سيما الانكليز والالمان والطليان بل تضررت ثروة الغرباء من الاوربيين كلهم ورعايا الولايات المتحدة ايضًا وانذرت المانيا حكومة الولايات المتحدة بسوء المصير . وسنة ١٩٠١ اعلن سفير جرمانيا الولايات المتحدة ان دولته تضطر الى استعمال القوة في فنزويلا اذا لم تجب هذه مطالب الماليين الاجانب ثم

عادت تلك الدول الثلاث والغضب آخذ منها مأخذه لسلب حقوق رعاياها حتى اضطرت السفن الالمانية ان تغرق سفينتين فنزويليتين وعندها قامت الولايات المتحدة تقول انها ترضى بتحصيل المطاليب من فنزويلا ولكنها لا ترضى بان تضم دولة اوربية الى حكمها ارضاً اميركية تغنمها في حرب تشهرها على فنزويلا . واصحبت هذا البلاغ وعززته بثلاث وخمسين بارجة حربية واربعة عشر الف جندي لايقانها بان غاية تلك الدول والمانيا في المقدمة ان يحصرن مرافيء فنزويلا ويحكمن فيها بعد بما اردن . ثم قرّ رأي كل من المانيا وانكلترا وايطاليا على ان يحكمن المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة في هذه المهمة فابى اباء تلطف ثم عهد الى احد رجاله لحلّ الاشكال سنة ١٩٠٣ وارضى دول اوربا الثلاث الكبرى حتى اعترفن للولايات المتحدة بانها صاحبة الشمال كما هي المسيطرة على الجنوب وان بيدها تطبيق مفاصل مبدإ مونرو في كل ناحية من انحاء القارة الاميركية وانها وان كان منها الغيم والمطر في هذه الزعازع فقد اوردت الاشكال وجرى على يدها حله فحق لمونرو واشياعه من بعده ان يهتزوا في قبورهم طرباً بهذا الظفر وبنجاح مبدإهم رغم انف المعاند والحسود

التفاسير والمفسرون

من كتاب التعليم والارشاد

النفسير من العلوم التي قارنت ظهور الاسلام ونزول القرآن على النبي (ص) اذ كان ما من آية تنزل على النبي (ص) الا ويفسرها لاصحابه الا انه تأخر تدوينه الى عصر تابعي التابعين استغناء بالحفظ عن الكتابة ولندرة الكتاب فيهم مع اشتغالهم كافة بالحروب لنشر الدعوة الاسلامية ثم دوّن على ما ستراه بعد هذا

فالمفسرون من الصحابة الخلفاء الاربعة وابيّ بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وابو موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير وابن عمر وانس بن مالك وابو هريرة وجابر وعبد الله بن عمرو بن العاص

واكثر من نروي عنه في التفسير من الخلفاء الاربعة علي رضي الله عنه لتأخر وفاته وابن مسعود روي عنه اكثر مما روي عن عليّ لاشتغال علي بالخلافة ومحاربة الخوارج وغير ذلك واما ابن عباس حبر الامة وعالمها وترجمان القرآن فقد روي عنه في تفسير كتاب الله ما لا يحصى كثرة واحسن الطرق عنه طريق علي بن ابي طلحة الهاشمي المتوفى سنة ثلاث واربعين ومائة وعليها اعتمد البخاري في صحيحه وطريق قيس بن مسلم الكوفي المتوفى سنة

عشرين ومائة عن عطاء بن السائب وطريق ابن اسحاق صاحب السيرة واوهى طرقة طريقة الكلبي عن ابي صالح والكلبي هو ابو النصر محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ست واربعين ومائة فان انضم اليه رواية محمد بن مروان السدي الصغير فذلك سلسلة الكذب . ومن الطرق الواهية عنه طريق مقاتل بن سليمان الازدي المتوفى سنة خمسين ومائة الا ان الكلبي يفضله لما في مقاتل من المذاهب الرديئة وطريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس منقطعة فان الضحاك لم يلقه فان انضم الى ذلك رواية بشر بن عمارة فضعيفة لضعف بشر وان اخرج له ابن جرير وابن ابي حاتم وان كان من رواية جرير عن الضحاك فاشد ضعفًا لان جريرًا شديد الضعف متروك الحديث ولذلك لم يخرّج له ابن جرير في تفسيره

هذه طرق تفسير ابن عباس جيدها ورديئها نقلناها برمتها وميزنا غثها من ثمينها لئلا يغتر كل احد بنسبتها الى ابن عباس فان لابن عباس منزلة في تفسير القرآن لا تضارع وليس كل من روى عنه شيئًا محقًا في روايته بل فيهم الضعيف والكذاب فينبغي لمن نقل له شيء عن ابن عباس في التفسير ان يتبين الطريق التي روي له منها فان كانت من الطرق الجيدة اعتمدها والا ردها

واما ابيّ بن كعب المتوفى سنة عشرين فعنه في التفسير نسخة كبيرة يرويها ابو جعفر الرازي عن الربيع بن انس عن ابي العالية عنه وهذا الاسناد صحيح ولا اعلم لها وجود الى يومنا هذا . واما مفسرو التابعين فمنهم مجاهد بن جبر المكي المتوفى سنة ثلاث ومائة قال عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة وعلى تفسيره اعتمد الشافعي والبخاري ومنهم سعيد بن جبير المتوفى سنة اربع وتسعين وعكرمة مولى ابن عباس المتوفى بمكة سنة خمس ومائة وعطاء بن ابي رباح المتوفى سنة اربع عشرة ومائة وطاوس بن كيسان المتوفى سنة خمس ومائة وهؤلاء كلهم اصحاب ابن عباس والآخذون عنه

ومنهم علقمة بن قيس المتوفى سنة اثنتين ومائة والاسود بن يزيد المتوفى سنة خمس وسبعين وابراهيم النخعي المتوفى سنة خمس وتسعين والشعبي المتوفى سنة خمس ومائة وهؤلاء اصحاب ابن مسعود ومنهم عبد الرحمن بن يزيد ومالك بن انس والحسن البصري وعطاء الخراساني ومحمد بن كعب القرظي المتوفى سنة سبعة عشر ومائة وابو العالية رفيع بن مهران المتوفى سنة تسعين والضحاك بن مزاحم وعطية بن سعيد المتوفى سنة احدى عشرة ومائة وقتادة والسدي الكبير والربيع بن انس

ثم جاء بعد هؤلاء طبقة دونوا التفاسير وجمعوا فيها بين اقوال الصحابة والتابعين كسفيان بن عيينة ووكيع ابن الجراح وشعبة ابن الحجاج ويزيد بن هرون وعبد الرزاق وآدم بن ابي

اياس واسحاق بن راهويه وروح بن عبادة وعبد الله بن مجيد وابو بكر بن ابي شيبة ·

ثم جاء بعد هذه الطبقة طبقة اخرى حذت حذو التي قبلها الا انها اتسعت في الرواية والطرق التي جاءت الرواية منها كابن جرير وعلي بن ابي طلحة وابن ابي حاتم وابن ماجة والحاكم وابن مردويه وابن المنذر وغيرهم

ثم انتصب من بعد هذه الطبقة طبقة اخرى فألفوا تفاسير مشحونة بالفوائد واقاويل الصحابة والتابعين الا انها محذوفة الاسانيد كابي اسحاق الزجاج وابي علي الفارسي وعلي بن ابي طلحة وابي العباس المهدوي وحذا حذوهم ابو جعفر النحاس وابو بكر النقاش الا انهما اقتصرا فاستدرك الناس عليهما

ثم الف في التفسير طائفة من المتأخرين عن هؤلاء فاختصروا الاسانيد ونقلوا الاقوال بترًا فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل ثم صار كل من نسخ له قول يورده ومن خطر بباله شيء يعتمده ثم تناقل المؤلفون ذلك خلفًا عن سلف واعتمدها الناس واندرست كتب الائمة لعدم الباحث عنها فاندرست كتب التفسير وعلم التفسير ولم يبق في ايدي الناس شيء مما يصح الوقوف به والاعتماد عليه · قال السيوطي رأيت في تفسير قوله تعالى غير المغضوب عليهم نحو عشرة اقوال مع ان الوارد عن النبي (ص) والصحابة والتابعين ليس غير اليهود والنصارى حتى قال ابن ابي حاتم لا اعلم لذلك خلافًا لاحد

ثم نبغ بعد هؤلاء قوم نبغوا في بعض العلوم فكل واحد منهم ملأ تفسيره بما غلب على طبعه من الفنون واقتصر على ما تمهر فيه كأن القرآن انزل لاجل هذا العلم فقط فالنحوي ليس له الا تكثير وجوه الاعراب وان كان بعضها بعيدًا ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدي في البسيط وابي حيان في البحر والنهر والاخباري ليس له الا القصص والاخبار عمن سلف من الامم حقًا كان ذلك او باطلاً كالخازن والبقلي · والفقيه يورد الاحكام الفقهية وربما استطرد الى ذكر ادلتها ورد كلام المخالفين فيها الى غير ذلك مما لا ارتباط له بعلم التفسير بوجه من الوجوه كما فعل القرطبي في تفسيره وصاحب العلوم العقلية يشحن كتابه باقوال العلماء والفلاسفة ومناظراتهم والرد عليهم كما فعل فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير

وصاحب البدعة من اهل كل مذهب يملأ كتابه ببدعه ويؤول كل ما يمكنه تأويله من آي القرآن للاستدلال به على بدعته فان عرض له من الآيات ما يخالف بدعته عمد لصرفها عن ظاهرها واختلاق لها معنى لا يعارض بدعته ولا يبطلها وان لم يكن بيده حجة على تأويل القرآن وصرفه عن ظاهره الذي كلف الناس بالعمل به غير مخالفته لبدعته التي يرى

انها الحق الصراح وان نصوص الشرع وان خالفتها يجب ان ترد بالتا و يل اليها ·

وهذه طريقة عامة المفسرين من اهل الكلام كل واحد منهم يستدل بالآية على ضد مايستدل بها مخالفه عليه ومن قرأ تفاسيرهم رأى كيف يغلب حب النفس على الانسان فيخرج به الى نقض اساس دينه وتشويه محاسنه و يرحم الله ابا العلاء حيث يقول

وكم من فقيه خابط في ضلالة   وحجته فيها الكتاب المنزَّل

والملحد يشحن كتابه بالكفر والخرافات وانواع الالحاد ويجمل القرآن حجة على كفره و يؤول النصوص القرآنية للوصول الى هذا الغرض كما فعل اهل التفسير من المتصوفة ومن قرأ تفاسيرهم لم يصدق ان القرآن انزل بلسان عربي مبين · واكثر الناس يقرأون كل ما يبصرون و يعتقدون كل ما يقرأون لا يفرقون في الاقوال بين حق و باطل ولا في الرجال بين مسلم ومبتدع وملحد والامر لله العلي الكبير

* * *

ومجمل القول في علم التفسير انه مهجور بين الطلاب طلاب العلوم الشرعية في الممالك الاسلامية كلها وان من نظر منهم في كتاب من كتبه نظرة من غير قصد او بقصد لا يصحبه شيء من الاعتناء والاهتمام وعنايتهم بالدواوين الشعرية على انهم لا يتعاطون نظمه ولا يحسنون لو تكلفوه فوق اعتنائهم بعلم التفسير اضعافاً مضاعفة · والذي يقرأون شيئاً من كتب التفسير يشتغلون بكل شيء سوى التفسير فيضيع المقصود من الفن فيما بين تلك المباحث التي لها اول وليس لها آخر ·

والذي ينظر فيما طبع من نحو قرن في مصر وهي محط رحال العلوم الدينية وكعبة العلوم التي يفد اليها الحجاج من جميع الآفاق والقدوة لجميع اهل الامصار يرى العجب العجاب · يرى ان الذي طبع منها الى الآن · تفسير الخازن · تفسير الجلالين بحاشية الصاوي و بحاشية الجمل · البيضاوي بحاشية الشهاب · الكشاف بقطعة من حاشية السيد · تفسير فخر الدين الرازي · تفسير ابي السعود · النسفي · تاج التفاسير · ابن جرير الطبري طبع من نحو سنتين فقط · الدر المنثور للسيوطي · تفسير ابن عباس و بعض تفاسير ضئيلة

هذه هي كتب التفاسير التي تتداولها ايدي الناس اليوم وهي التي يعتمد عليها طلاب العلوم الشرعية في تفسير كتاب الله جلَّ شأنه والوقوف على المراد منه

فاما تفسير الخازن وهو اكثر كتب التفاسير تداولاً واعظمها انتشاراً بين عامة المسلمين وطلبة العلوم الشرعية فهو الكتاب الذي يقف القلم حائراً عند وصفه لا يدري ما يقول فيه وما الذي يحذر به المسلمين منه وخير ما يقال فيه انه مجموعة الاكاذيب ولا ارى الا

ان الانسان لو جرد مافيه من الاكاذيب الموضوعة على لسان رسول الله (ص) والاقاصيص الكاذبة التي وضعها اليهود كقصة بابل والغرانيق وارمذات العماد وغيرها لكانت فوق نصف الكتاب وبعد ذالك فاشياء ان لم تضر لم تنفع

وهو على اشتماله على هذين الوصفين اللذين هما من اقبح اوصاف المؤلفات فهو العمدة لعامة المسلمين واكثر طلبة العلوم الشرعية واكثر انتشاراً بينهم . ولقد ارى ان نسخه التي نشرت في مصر لاتقل عن مائة الف نسخة فسد بواسطتها عشرة اضعاف هذا العدد من المسلمين ودخل عليهم في دينهم ماليس منه من حديث موضوع وتفسير مفترى . ومن العجيب انه لا يوجد في علماء الاسلام من ينهى الناس عن نشر مثل هذه الكتب المفيدة للعلوم والشرائع المضرة بالاخلاق والعقائد وقد لا يخلو بلد من بلاد الاسلام عن قوم من اهل العلم ولو قليلين يعرفون مافي هذه الكتب من المفاسد ولا يحظرون على الناس استعمال هذه الكتب لانقاء شرها بل ربما سئلوا عنها فاثنوا عليها خيراً مسايرة لاميال الناس عامة ومصانعة لهم فيما هو من اهم مهمات الدين

واما تفسير الجلالين بحاشيتيه الجمل والصاوي فهما يساويان تفسير الخازن انتشاراً وكثرة تداول الا ان انتشار الخازن بين العوام اكثر وانتشار هذين بين الخاصة نعني طلاب العلوم الشرعية اكثر. فاما الشرح فهو غاية في الاختصار لايمكن الاستقلال به في فهم كتاب الله تعالى مع علل فيه أخر يعلمها من جمع بينه وبين بعض تفاسير المتقدمين الموثوق بها وبمؤلفيها واما حاشيتاه الضخمتان فهما من مؤلفات متأخري اهل العلم بمصر وحسبك هذا في معرفة منزلتيهما بين المؤلفات . . .

واما الكشاف ومختصره للقاضي البيضاوي فهما المشكلة التي لا تحل اجمالا واغلاقاً وغموضاً ولشدة عراقتهما في ذلك اكثر المتأخرون من تعليق الحواشي والشروح عليهما لبيان عباراتهما وتوضيح مقاصدهما حتي لو جمعت الحواشي والشروح التي عليهما لاربت على الف مجلدة وماذكره صاحب كشف الظنون مما كتب عليهما قليل من كثير ولولا انهما بحيث يخفيان الا على من الف حل الرموز والطلاسم واستخراج المخبآت لم يعتن من جاء بعدهما بالتوسع في الكتابة عليهما والمبالغة في توضيح غوامضهما . وفوق هذا كله اشتمالها على مسائل كثيرة خارجة عن التفسير بالمرة لا ترتبط فيه بوجه من الوجوه كالمسائل الكلامية التي حشيا به كتابيهما وهي ليست من فن التفسير ولا من متعلقاته وانما كان الغرض من ذكرها بيان معتقديهما والاستشهاد له بكتاب الله

ويلحق تفسير ابي السعود بهذين التفسيرين فانه صورة اخرى لهما مع بعض تغييرات

قليلة جداً و يلحق تاج التفاسير بتفسير الجلالين ونسبته اليه كنسبة تفسير ابي السعود الى تفسيري الكشاف والبيضاوي وان اختلف عنه فيسيراً

واما تفسير فخر الدين الرازي وهوكتاب العامة والخاصة وعمدة الناس في هذا الموضوع فابو حيان المفسر يقول في تفسيره تفسير الامام فخر الدين فيه كل شيء الا التفسير . وما احسن ما ترجم به ابو حيان هذا التفسير الكبير بل البحر العميق ولقد يفتح الانسان جزءاً من اجزاء هذا التفسير للمراجعة والكشف فيه عن آية من آي كتاب الله فلا يشعر الا وقد توسط بحرًا لجيًا لايخلص الانسان منه الى ساحل . و يظهر مما كتبه الامام فخر الدين في مقدمة كتابه انه قد اودع كتابه كثيرًا مما لاتعلق له بعلم تفسير كتاب الله ولا ارتباط له

ولقد رأينا لمتأخر من متأخري المصريين يدعى السحيمي حاشية على شرح عبدالسلام على جوهرة التوحيد تقع في اربع مجلدات ضخام على ان الامير وهو اطول باعًا منه في علم الكلام وادق نظرًا استوعب الكلام على شرح عبد السلام في مجلد صغير وكان في قدرة السحيمي ان يضيف الى مجلداته الاربع اربعة اخر ولكن رأى ان الاقتصار على هذا المقدار كاف في البلاغ الى ماقصده من البرهان على سعة اطلاعه .

وجاء الالوسي من متأخري اهل العراق فاخذ تفسيره من تفسير الامام فخر الدين الا انه حذف منه كثيرًا من الزوائد واضاف اليه واحسن غاية الاحسان شيئًا من اقوال سلف المفسرين ومتقدميهم وان لم يميز بين ما قوي سنده من هذه الاقاويل وما وهي فبقي في الامر بعض لبس واشكال واضاف اليه ايضاً جملة كبيرة من تفاسير المتصوفة

واما تفسير الدر المنثور للجلال السيوطي فقد زعم انه اختصر به على حسب عادته تفسير ابن جرير الذي جمع فيه صحاح الاحاديث المتعلقة بتفسير كتاب الله تعالى و بيان اسباب النزول واضاف السيوطي في مختصره احاديث واهية الاسناد في هذا الموضوع نفسه ومزجها بتلك الاحاديث احاديث الاصل فاختلطت بها حتى لايمكن التمييز بينها وقلت الثقة في الجميع

واما تفسير محيي الدين فهو مسخ للقرآن ونقض للدين من اساسه و يرى بعض الباحثين انه ليس من مؤلفات محيي الدين وانما هو من مؤلفات القاشاني احد الملاحدة الباطنية نسبه لمحيي الدين ليروجه بين عوام المسلمين ومن يستميتون الى ما يقوله محيي الدين مهما كان حاله . والظن بمحيي الدين انه لا يضع مثل هذا الكتاب ولا يذهب هذه المذاهب الفاسدة في تفسير كتاب الله تعالى . وسواء كان من مؤلفات محيي الدين او غيره فان انتشاره بين المسلمين بحت ضرر سيما ولا موقف يوقف الناس على الصحيح والفاسد من هذه الكتب .

واما تفسير ابن عباس فهو من مؤلفات مجد الدين الفيروز آبادي صاحب القاموس جمع

فيه رواية محمد بن السائب الكلبي عن ابن عباس وقد علمت مما ذكرناه في المقدمة حال ابن السائب الكلبي وضعفه وقلة ثقة العلماء برواياته

هذه كتب التفسير التي نقرأها اليوم وان كان قد فاتنا ذكر شيء منها فانه لا يخرج عن مضارعة واحد من هذه الكتب التي ذكرناها فلم يبق بيدنا ما يصح الاعتماد عليه والثقة به غير تفسير ابن جرير وهو الحسنة الوحيدة للمطابع الاسلامية بعد قرن واكثر من ظهور المطابع في الممالك الاسلامية ولولا ان بعض امراء الاعراب من سكان الجزيرة العربية راسل بعض تجار الكتب بمصر في شأنه واعانه على ذلك بمساعدات جليلة لم يظهر له ظل في عالم المطبوعات اكتفاء عنه بالخازن والجمل . اه

الاستشفاء بالموسيقى

ملخصة من مقالة في المجلة الباريزية

قال افلاطون : لم يبعث الارباب فن الموسيقى لادخال السرور على البشر واللذة على حواسهم بل لتسكين اضطرابات نفوسهم وتهدئة تلك الحركات المشوشة التي لامندوحة لجسد مليء بالنقص عن الشعور بها . فجعل الاطباء قديماً وحديثاً هذه الكلمات نصب اعينهم عرف ذلك من ثباتهم على المحاولة في شفاء مرضاهم بالانغام فاستعملوا الموسيقى لشفاء او تخفيف الصرع والسويداء والإرب (النزاع الى الوطن) والخبل وضيق الصدر والهوس والجنون والبلادة والسير والتكلم في حال النوم والخدر والنقطة والهستريا والسكتة والفالج والسرسام وداء الاعصاب والحميات والنقرس وعرق النسا والرثية « روماتيزم » والطاعون والحميراء والكلب وغيرها كما استعملوها لشفاء الجروح والقرصات السامة ولتقوية الهضم والتنفس وترشيح الاخلاط فللموسيقى اهمية في الطب وتستخدم للتمريض .

كانت تتم في القديم معرفة فنون الشعر والموسيقى والطب لشخص واحد . يقول الين (الكاتب اليوناني من اهل القرن الثالث) ان تربا ندر وتاليت وترتي كانوا اطباء موسيقيين واوصي كسينوكرات وابقراط واسكلبيادس وكاليين وارتي وسليوس اورليانوس وتيوفراست باستخدام الموسيقى في عدة امراض عند ما تنقطع الحيلة من العلاج في بعض الادواء . وكان الاحياء والاموات يسمعون ادوات الطرب . قال موناركان القدماء كانوا يسمعون المحتضرين بعض الالحان وربما اسمعوها من قضوا نحبهم لعلهم تعود الحياة اليهم . وقال سليوس اورليانوس ان فيثاغورس كان اول من استعمل الموسيقى في شفاء الامراض وانه جرب ذلك في بلاد اليونان . وقال بورهاف (١٦٦٨ — ١٧٣٨) لا بأس بنسبة جميع الخوارق التي رويت

عن الرقيات والاشعار في شفاء الامراض الى الموسيقى التي كان قدماء الاطباء يجيدونها

استعملت الموسيقى في عصرنا لمعالجة عامة الامراض فاصدر بونابرت امره الى اجواق موسيقى كتائب جيش الشرق ان تصدح كل يوم تحت نوافذ المستشفيات ولا تزال اجواق الموسيقى العسكرية الى اليوم في كثير من الحاميات في الولايات تذهب مرة او مرتين في الاسبوع لتنغم بابواقها امام مرضى الجند .

ولقد عزمت احدى جمعيات الاحسان في انكلترا على تحقق تأثير الموسيقى في تسكين الآلام الطبيعية والادبية في كثير من الاسقام فالفت من مرضى الموسيقيين عصابة تقوم في مكان خاص بها تتناوب العمل فيه ليل نهار لنقل الانغام الموسيقية بواسطة اسلاك التلفون الى قاعات مخصوصة من كل مستشفى كبير في لندرا . فاسفر ماجرى من التجارب في هذا الشأن حتى الآن عن نتائج مهمة . واقل مانجم من الفوائد ان اخذ المضطربون من المرضى ينامون ملء جفونهم واستراحوا من التشويش والتبلبل

وتألفت في سهالنبورغ جمعية من النساء المريضات لتصدح كل يوم بالقرب ممن اجريت لهم العمليات بالانغام الموسيقية صوتية كانت او آلية فثبت ان درجة حرارتهم كانت تنزل وان آلامهم تخف . ومثل ذلك جرب في مستشفى بلتون بانكلترا . والكمنجة هي الآلة المستعملة في الاكثر . واحسن الآلات استعمالا في حال الارق علبة موسيقية بسيطة تدور بحركة ساعة دقاقة او بمحرك كهربائي . بيد ان تأثير الموسيقى في المرضى يحتاج الى درس طويل اذا اخذ بمجموعه لا على التعيين

نشر احد اطباء الالمان كراسة في فعل الموسيقى في النفوس فقال انها اذا اضعفت الاصحاء فهي تسكن حواس المرضى وانها لتنفع في اوجاع الرأس والدوار والاغماء واستشهد على ذلك بامرأة كان صوت الارغن يضيع رشدها فيعروها جذب وكانت تلك الآلة بعينها تحدث نفس التأثير في فتى طلياني كان مصاباً بالدودة الوحيدة . ذكر روسو الفيلسوف ان كاهناً كان اذا سمع صوت الارغن يتأثر حتى ليضطر الى مغادرة الهيكل وعلى العكس في رجل من قومه كان يستولي عليه وهو في حالة السماع ضحك عصبي يستلزم اخراجه من الكنيسة

لاحظ الطبيب المشار اليه ان الموسيقى تعدل سير الدم وتحسن حالة التنفس فاذا كانت الانغام الموسيقية حادة بهجة تبرق العين وتزيد حمرة الوجه و يسرع ضرب النبض وتنمو حرارة الجسد و يضرب القلب و يسهل الهضم واذا كانت الانغام الموسيقية كئيبة وبطيئة تحدث للعين غشاوة و يصفر الوجه وتقل رطوبة الجلد و يزداد تواتر الدم الى القلب و يضعف ضرب النبض و يقل التنفس و يطول

قال وتفعل الموسيقى في المجموع العضلي فبها يتحمل الجنود الشدائد والمتاعب فتتضاعف قوتهم عند ما يباشرون القتال وتؤثر ايضاً في التهييج العضلي فانك ترى اناساً يرقصون من الليل و يطيلون الرقص وما كانوا ليقوموا بهذه الرياضة لولا سماع الانغام. فالمرأة مهما بلغ من لطف مزاجها وتأثرها من اقل تعب ينالها يهون عليها الرقص ساعات على صوت آلات الطرب . ثم ان الملاح والمعدّن والبحري يتغنون عند ما يقومون باعمالهم الصعبة

يحب صاحب المزاج الدموي من الموسيقى ما افرح وجاز على السمع وكان طبيعياً في الوضع . و يفضل السوداوي من الموسيقى الشديد القاسي العالي . ولا يحب البلغمي شيئاً من انواع الموسيقى . اما اهل الدعة والسكون والعطلة فلا يجيدون الشعر ولا يحسنون صنعة الغناء . على ان في هذا القول نظراً لان القول بان المزاج الفلاني لا يقبل النغم الفلاني هو ناشيء لا من المزاج فقط بل من الوراثة والمحيط والتربية ولقد عرفت علماء لا يرتاحون للموسيقى ورأيت من لا يفضلون شيئاً عليها وشهدت من يتوفرون عليها و يعتدلون في سماعها

وضع الطبيب المنوه به ست قواعد لاستعمال الموسيقى في شفاء الامراض اولها انه كما كانت الموسيقى طبيعية واعربت عن اللغة الطبيعية في الفكر تؤثر في النفوس كثيراً ولا سيما في نفوس من لم يتعلموا التعليم الكافي. ثانيها لما كان لكل بلاد انغامها الخاصة بها فان الموسيقى تؤثر في الروح كلما قربت من هذه الانغام. ثالثها ينبغي ان تكون الموسيقى متناسبة مع درجة تأثير الموضوع . رابعها ينبغي ان يحدث تأثير الموسيقى ببطء فيبدأ مع السوداويين باستعمال الحان يتدرج فيها من الخفيف الى القوي و يستعمل من الالحان الشديد امام اصحاب النفوس الغضبية . خامسها اختيار الآلات المستعملة للغاية التي تطلب فصاحب المزاج السوداوي يرتاح لسماع الطبل والبوق ذي الانبوبتين Trombon وكذلك المزمار والعود يناسبان مزاجه . سادسها تطرب الموسيقى الطبقات العالية اكثر مما تؤثر في الطبقات النازلة

ومن رأي هذا الطبيب ان الموسيقى تشفي صاحب السويداء كما تزول بها الكآبة والحزن وتبعد الخوف. ولقد اجمع الفلاسفة على ان شيئين اذا عادلا ثالثاً يكونان هما متعادلين فاذا كانت الموسيقى نافعة في ازالة الكدر والسويداء فالكدر والسويداء هما في الحقيقة شيء واحد . فان ابقراط حدد السويداء بانها الكدر والخوف

وهنا اورد صاحب المقالة حوادث من التاريخ في اوربا ولا سيما في فرنسا تدل على ما انتفع من الانغام في مداواة بعض الاسقام ولا سيما الجنون والاختلال وداء النقطة مما دلّ على انه احاط بالموضوع من جميع اطرافه وقتله درساً واطلاعاً . ثم قال ان الاسلام انتفع من تأثير

الموسيقى لتحريض اشياع الحسين الشهيد على الجذب والتهيج وذلك بقرع الطبول المتواتر على ايقاع متساوق سريع فيردد الشيعة على نغم الطنبور الحانا مقفاة حتى ينتهي الحضور بان لا يعودوا يتأثرون للضرب ولا للجرح. وكذلك الحال في دراويش الهند فانهم يستعملون كلمة واحدة ويكثرون من ترديدها فتؤدي بهم الى الجذب مصحوبًا بقلة التأثر.

وبعد ان افاض في ايراد حوادث القدماء واخبار عنايتهم بالموسيقى في شفاء بعض الامراض قال ان مراد الرابع (١٦٢٣) اثرت فيه الموسيقى فعقد النية على ان يبقي على اخوته الذين كان ينوي اهراق دمهم وان فرنسيس الاول بعث الى سليمان الثاني بجوق من الموسيقى فلاحظ هذا ان شراسة خلقه لطفت بسماع الحانهم فاسف من جراء ذلك كثيرًا ولم يلبث ان طرد للحال جميع الموسيقيين من حضرته

وجملة القول ان الموسيقى تؤثر في الدورة الدموية في الانسان والحيوان ويزيد بها ضغط الدم وينقص وتتبع هذه التقلبات تأثير تهييج الاعصاب السمعية. وان آلات الطرب والصفير ليظهر فعلها بتحسن في تشنج القلب خاصة. وتغيير الدم الناتج من تأثير الموسيقى يناسب تحول التنفس وان كان يتجلى ذلك مستقلا عن تحول التنفس. يزيد الستركنين (١) في تأثير التهييج السمعي في الدورة الدموية والكورار على العكس يضعفه

والكلورال (نوع من المخدرات) والالكحول والافيون تضعف ايضًا تأثير التهييج السمعي في الدورة الدموية وتغيير الدورة الدموية تابع لارتفاع الصوت وشدته بل لارتفاع الجرس ونزوله. ولتغير الدورة الدموية دخل كبير في ذاتية الحيوان والانسان ولا سيما في جنسية الانسان وتابعيته

وعلى من اراد الوقوف على تأثير الموسيقى في احد اعضاء الجسم سليماً كان او سقيمًا ان يفرق بين العناصر التي ينبعث منها ذاك التأثير. فالمزج واللحن والايقاع تؤثر تأثيرات مختلفة بحسب تركيبها وتلحينها. وفي الختام نقول ان الاستشفاء بالموسيقى قديم العهد وقد ظلَّ محتفظًا باهميته العلمية والعملية على حالة واحدة رغم اختلاف العصور

---

(١) الستركنين سم شديد مستخرج من الجوز المقيء والكورار سم نباتي شديد يستعمله الهنود في تسميم السهام

مطبوعات ومخطوطات

كتاب التعليم والارشاد

ينقضي الشهر والشهران بل السنة والسنتان ومصر لا يكاد يصدر فيها كتاب ترجح حسناته على سيئاته ونفعه على ضرره ولذلك ترانا عند نشر كتاب نافع في موضوع جدي نهلل له كثيراً ونبتهج به ايما ابتهاج . والكتاب الذي امامنا لمؤلفه الكاتب الفاضل السيد محمد بدر الدين الحلبي هو من الكتب النافعة في الاصلاح الاسلامي . واي اصلاح اجدى على مجتمعنا من اصلاح طرق التعليم بعد ان اجمع عقلاؤنا منذ قرون انه مختل معتل ولا نهوض للامة الا برده الى اصوله والسلوك به في مهيع السداد

تصفحنا الكتاب برمته فرأيناه يدور على ثلاثة اقطاب الاول في العلوم التي يشتغل طلاب العلوم الشرعية اليوم بها و بيان ماتمس حاجة المسلمين الى الاشتغال به وما لا تمس وفي الاسلام غنية عنه لانه دوّن لا لخدمة الدين بل لمصلحة دينية وقد مضى زمن تلك المصلحة ولم يبق من حاجة الى النظر فيه . الثاني بيان حقيقة المؤلفات التي يشتغل بها طلاب العلوم الشرعية وذكر النافع منها من غيره والاشارة الى مايجب الاشتغال به من الكتب الجيدة النافعة والكتاب احد الاستاذين. الثالث النظر في طرق التعليم وكيفيته في المدارس الاسلامية عامة في مصر والغرب والشام والهند وغيرها و بيان جيدها من رديئها وذكر طرق التعليم النافعة التي كان يجري عليها التعليم في القرون الاولى ليعمل به في ايامنا هذه.

ولقد رأينا المؤلف تلطف في ما كتبه وغلب على ذهنه صحته فوصف عقم طريقة التعليم التي هي احرى ان تسمى ازهرية لانها منه نشأت وصف من ذاق فعرف ومما قاله في قلة الناجحين فيها : ولو اردنا ان نحصي عدد الناجحين من اولئك المستعدين لتعلم العلوم الدينية نجاحاً نسبياً لم يكونوا اكثر من واحد في كل مائة ولو طلبنا الناجحين حقيقة الذين يمكنهم القيام بوظيفة التعليم لم يكونوا اكثر من واحد في الالف ان كثر عددهم . وجاء في مكان آخر واثبت بالاحصاء انه لم ينجح في امتحان الفقه الحنفي سوى اثنين في المئة او في المئتين

تكلم المصنف بدون مصانعة على فساد الكتب التي تدرس والطريقة المتبعة في التدريس وذكر علم المنطق وابطل قول القائلين وجوب الاشتغال به و بين انه لا جدوى منه في المطالب العقلية وتكلم على علم الاصول والفقه والتوحيد ومن رأيه في الاجتهاد انه ليس بمحظور على احد من الناس وليس بضربة لازب على كل انسان بل ان من رأى منه مايؤهله

للقيام باعباء هذه الخطة العظيمة فله ان يجتهد ويعمل بما اداه اليه اجتهاده قال وانا لا نجيز لاحد يرى في نفسه صلاحية للاجتهاد ان يدعو الناس الى العمل بقوله والاخذ بما اداه اليه اجتهاده لا لشيء سوى اننا نرى ان فى ذلك توسيعاً لباب الخلاف بين المسلمين ونحن في حاجة الى تضييقه الى ان يقول وخير من الاشتغال بهذا واجدى للمسلمين اختيار مايوافق اهل كل عصر ومصر من اقوال الائمة المجتهدين والعمل بها وترك التقيد بمذهب امام واحد من الائمة وفي هذا من التوسيع على المسلمين والنظر اليهم ما لا ينكر وقعه . واطال في علم الكلام وسماه العلم المشئوم ودعا الى وجوب تركه على نحو ما دعا الى ذلك كبار رجال الاسلام في القديم قائلا ان ليس من فائدة فيه سوى زعزعة اركان الدين ونقض اساسه . وتكلم على علوم البلاغة واثبت ان لا حظ لارباب المدارس الدينية منها وافاض في انه لا عذر للناس اليوم في استعمال كتب المتأخرين مع وجود كتب المتقدمين وقال انه من اقبح آثار هذه الكتب انها تضعف الفكر .

وختم كتابه وهو في ٢٩٠ صفحة بالكلام على الازهر وسوء حاله متعلقاً باهداب الادب الذي يشكر عليه وقد اقتبسنا منه في غير هذا الموضع فصلا في التفسير والمفسرين دلالة على اسلوب المؤلف في الانتقاد واخذنا عليه انحاءه على المدارس النظامية وطرق تعليمها وانكاره ادخال بعض العلوم كالتاريخ والجغرافيا الى الازهر مع انه لا يتم علم العالم الا بمعرفة تاريخ امته وتقويم بلادها على الاقل كما رأيناه لم يصب المرمى في كلامه على علم الاصول ومهما يكن فان الكتاب من جيد المصنفات النافعة وعساه يوفق الى نشر الجزء الثاني المتعلق بالارشاد في اقرب وقت جزاه الله عن العلم خير الجزاء

المدونة الكبرى

انتهى طبع الجزئين الخامس عشر والسادس عشر من هذا الكتاب الذي نوهنا به في بعض الاجزاء السالفة وبطبعهما تم طبع المدونة لامام دار الهجرة مالك بن انس الاصبحي وقد اورد طابعها الفاضل الحاج محمد الساسي المغربي في آخر الجزء سماع هذه المدونة عن اعلام من العلماء آخرهم عبد العزيز بن عامر وذلك في ذي القعدة سنة ثمان وعشرين واربعمائة من الهجرة بالقيروان وقد كان على النسخة الاصلية النفيسة تقارير وفوائد لاكابر علماء المالكية كالقاضي عياض وابن رشد وغيرهما وهي مكتوبة بقلم عبد الملك بن مسرة بن خلف اليحصبي في اجزاء كثيرة جداً وتاريخ كتابتها سنة ٤٧٦ . فنهنئ الطابع الذي ربح من هذا الكتاب مادة ومعنى ونأمل ان يطبع غيره من الامهات النافعة ليستفيد بذلك و يفيد

الاخلاق والسير

هو كتاب مداواة النفوس لابن حزم الاندلسي (١) عني بطبعه الفاضل الاديب الشيخ احمد عمر المحمصاني الازهري طبعه على نسخة قديمة ظفر بها فجاء به بعض زيادات عن الطبعة الاولى التي طبعت منه منها قوله كانت في عيوب فلم ازل بالرياضة واطلاعي على ما قالت الانبياء صلوات الله عليهم والافاضل من الحكماء المتأخرين والمتقدمين في الاخلاق وفي آداب النفس أُعاني مداواتها حتى اعان الله عز وجل على اكثر ذلك بتوفيقه ومنّه . وتمام العدل ورياضة النفس والتصرف بازمة الحقائق هو الاقرار بها ليتعظ بذلك متعظ يومًا ان شاء الله . فمنها كلف في الرضاء وافراط في الغضب فلم ازل أُداوي ذلك حتى وقفت عند ترك اظهار الغضب جملة بالكلام والفعل والتخبط وامتنعت مما لا يحل من الانتصار وتحملت من ذلك ثقلاً شديدًا وصبرت على مضض مؤلم كان ربما امرضني واعجزني ذلك في الرضى وكأَني سامحت نفسي في ذلك لانها تمثلت ان ترك ذلك لؤم ومنها دعابة غالبة فالذي قدرت عليه فيها امساكي عما يغضب المازح وسامحت نفسي فيها اذ رأيت تركها من الانغلاق ومضاهيًا للكبر حتى ذهب كله ولم يبق له والحمد لله اثر بل كلفت نفسي احتقار قدرها جملة واستعمال التواضع ومنها حركات كانت تولدها غرارة الصبا وضعف الاغضاء فقصرت نفسي على تركها فذهبت ومنها محبة في بعد الصيت والغلبة فالذي وقفت عليه من معاناة هذا الداء الامساك فيه عما لا يحل في الديانة الخ وهو في زهاء مئة صفحة صغيرة و يطلب من المكاتب الشهيرة في مصر والشام . وحبذا لو اعتمدته نظارة المعارف المصرية لتدريس الاخلاق

تذكار ديوان راغب وصبري

هو آخر ما طبع الشاعر الاديب الشيخ رشيد مصوبع اللبناني من شعره اللطيف اهداه لعطوفة ادريس بك راغب وسعادة اسماعيل باشا صبري من اعيان مصر ومن شعره في وصف غني كبير توفي عن امرأة حسناء ولم يأْت حسنة في عمره

ليس بدعًا ان لم يشيعك قوم   في الحمى من خيارهم والعيون
من يعش في الحياة غير ثمين   يتولى للقبر غير ثمين
لا تلم حاملي اليراع اذا ما   فزت منهم بالندب والتأبين
ليس بدعٌ بان يلاقى ضنين   من اكف الكرام كف ضنين

---

(١) راجع الجزء الاول والثاني من المقتبس

وقال في انقلاب الزمان

يعبس الدهر ثم يبسم حينا هكذا هكذا نقضي السنينا
وتمر الخطوب تعدو غنيَّ النا س لكن ما فاتت المسكينا
ويعيش الغني دوماً بشوشاً ويعيش الفقير دوماً حزينا
كل دار يحلها المرء ان كا ن غنياً انساً يرى وخدينا
لا جمال ولا جلال ولا علم سوى درهم يرن رنينا

وقال :

وتأوي الى اوكارها طير أيكة وجنب فقير لا يلامس مرقدا
ترى في وجوه البائسين تضاؤلاً وفي وجنات الموسرين تورّدا

وهذا الجزء ٩٦ صفحة جيدة الطبع فنثني على همة الناظم الاديب ونحث الادباء على اقتناء شعره .

مجموع رسائل في اصول الفقه

الاولى من اصول الشافعية للامام ابن فورك الاصبهاني المتوفى سنة ٤٠٦ هـ والثانية من اصول الظاهرية للشيخ محيي الدين بن عربي الاندلسي المتوفى سنة ٦٣٨ والثالثة من اصول المالكية لنجم الدين الطوفي البغدادي المتوفى سنة ٧١٦ والرابعة للجلال الاسيوطي المتوفى سنة ٩١١ جمعها الاستاذ الفاضل الدراكة الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي وعلق على بعضها شروحا نافعة فجاءت نافعة لطلابها في بابها وطبعت طبعاً جيداً فوقعت في ٨٠ صفحة منصفة القطع فنحث على اقتنائها

تاريخ اساس الشريعة الانكليزية

او سنة الارتقاء في نظام الحكومة الانكليزية ومصدر القوانين الاساسية للحكومات الدستورية كلها تأليف دافد وطسن راني وتعريب الكاتب البارع نقولا افندي حداد وهو كتاب اجاد مؤلفه في وضعه ومعربه في نقله وطابعه في طبعه جاء فيه من الفوائد التاريخية الاجتماعية الموجزة ما لا يستغني عن الاطلاع عليه كل محب للاطلاع على تاريخ هذه الامة العظيمة وقد وقع في ١٩٠ صفحة متوسطة فنحث الادباء على مقتناه وهو يطلب من طابعه حضرة ابراهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية بمصر وثمنه عشرة قروش اميرية

٥،٣٧،

كتاب معجم البلدان

كادت تعد كتب الاسلاف التي طبعها الاوربيون في مطابعهم وصححوها بمعرفتهم على المواد التي لديهم في مقام المخطوطات النادرة لغلاء اسعارها وقلة الظفر بها ولذلك يشكر من اعاد طبعها واجاده منا كالذي احيا كتاباً مخطوطاً لم يكن معروفاً من قبل الا عند الخاصة . ومعجم البلدان هو من امهات الكتب الممتعة في الجغرافيا القديمة بل من اهم الكتب الادبية والتاريخية وهو اشبه بقاموس بوليه الفرنسوي في الجغرافيا والتاريخ الا ان هذا كتاب حديث ومعجم البلدان قديم يمتاز على بوليه بالآداب و الاشعار وذكر ابناء هذه البلاد الشرقية واصقاعهم خاصة

طبع احد علماء المانيا منذ عهد طويل هذا الكتاب فكادت تنفد نسخه وعز الظفر بها حتى على الغني وجعله في اربعة اجزاء ضخمة ما خلا الفهرس البديع الذي كان الحقه به وقد عني هذه السنة حضرة الاديب محمد امين افندي الخانجي بطبعه في القاهرة فانجز منه حتى الآن سبعة اجزاء ولم يبق سوى جزء ثامن من الكتاب الاصلي وهو تحت الطبع وسيجعل لهُ ذيلاً في مجلدين آخرين سماه منجم العمران فيما فات ياقوت من اسماء البلدان فيتم بذلك عشرة مجلدات في نحو خمسة آلاف صفحة لا يستغني عنه اديب ولا مؤرخ ولا جغرافي وفي يقيني ان هذا المعجم تنفد نسخه عما قريب بالنظر لما اشتهر عن ياقوت الحموي من العلم الزاخر والتحقيق الباهر بالنسبة لعصره . وقد تولى تصحيح الكتاب الاستاذ الفاضل الاديب الشيخ محمد بن الامين الشنقيطي فنثني على مصححه وطابعه اطيب ثناء والكتاب يطلب من هذا في القاهرة بثمانين قرشاً مصرياً قبل تمام الطبع وبمائة قرش بعده وعساه يوفق الى طبع غيره من الكتب النافعة المهمة

رواية موريس

او ابن الغريب عربها عن الانكليزية بتصرف الاديب كامل افندي بطرس واهداها لصديقه الشاعر الكاتب البليغ محمد افندي امام العبد . قال المعرب : فارتاحت نفسي الى ترجمتها ترجمة لا تغضب اللغة ولا تسيء الى الاسلوب العربي بقلم كالمرآة لا يخدع الناظر اليه وما اقدمت على ما اقدمت عليه الا بعد ما الفيتها كالبكر في خدرها لا تعيب ولا تعاب فكانت في معزل عن كثير من الروايات التي كتبت فكادت تغير من اخلاق البشر بقدر ما غيرته من الحقائق

النهضة الشرقية

وهي مقالات نشرها سعادة الوجيه عطا بك حسني من اعيان القاهرة في بعض الجرائد السيارة وعني بجمعها الكاتب الاديب ذي المعزة عبد المسيح بك انطاكي صاحب جريدة العمران الغراء فجاءت في زهاء ٢٨٠ صفحة صغيرة ووصف فيها رحلته الى الاستانة وذكر اراء له بخصوصية بشأن حكومات الاسلام وثمن النسخة الواحدة عشرة قروش وهي تطلب من طابعها وجامعها في القاهرة

وقائع الحرب

عرف فارس افندي الخوري في مصر بانه عالم كاتب باحث ولم يشتهر عنه ما اشتهر به في الشام بانه شاعر مجيد ايضاً وقد طبع له هذه الآونة صديقه الدكتور الفاضل حسين افندي حيدر اربع قصائد في تاريخ حرب الروس اليابانية التي نشبت في ٨ فبراير (شباط) ووضعت اوزارها في ٥ سبتمبر (ايلول) ١٩٠٥ كان نظمها على ذاك العهد والمّ فيها بالاسباب التي دعت الى اشهار الحرب وذكر المعارك البحرية والبرية المهمة التي دارت بين الصفر والبيض واتي على اسماء القواد والوزراء فصبها في قالب الشعر مع المحافظة على كيفية التلفظ بها في لغاتها الاصلية بدون تكلف « وفسح للانفعالات النفسانية والتخيلات في الوصف مجالا رحباً في تضاعيف الابيات ومزج التقرير التاريخي مع الخيالات الشعرية بحيث لم تعد منظوماته تاريخاً مجرداً ولا وصفاً شعريًا مفردًا بل جمعت بين الاثنين » ولقد كان من المتواتر على ألسن الناس في وصف الشعر بان اعذبه اكذبه فلما تأملنا مليًا ما نظمه الناظم المشار اليه قلنا « ان اعذب الشعر اصدقه » لانه لم يخرج عن الصدق فيما قال عن الحرب او روى. وهذه المنظومات اجمل تاريخ يحفظ لاعظم حرب نشبت منذ عرف التاريخ الى الآن

قال في وعيد الروس لليابانيين

وعيد جله صوت جهور ومن ذا يرهب الصوت الجهورا
ذوات الناب ليس تضر شيئًا اذا صخبت واكثرت الهريرا

وقال عند غرق الاميرال مكروف على الدارعة بترو بالسك

مضى يجتاز فوق نخاخ طوغو كملاح يحاذر ان يجورا
الى ان شقت الغمرات فاها واصعدت البلايا والسعيرا
فشاهد تحت اخمصه جحيما وقد فتحت قذائفه حفيرا
كأن جهنماً وجدت سبيلاً ومطوياتها لقيت نشورا

كأن هناك بركاناً تلظى ... واطلق في الفضا ناراً ونورا
كأن البحر غضبان عليهم ... لما جروا على الدنيا شرورا
طوى بضميره حنقاً فلما ... دنا مكروف كاشفه الضميرا
هوت فيه السفينة في خليج ... وكانت قبل تخترق البحورا

ومن وصفه اليابانيين في وقعة يالو

اقام الروس في يالو قلاعاً ... على تحصينها صرفوا شهورا
مسيل النهر دونهم فظنوا الا ... سعدى لا يستطيعون العبورا
ومن خاض البحور الى الاعادي ... ايأبى ان يخوض لهم نهورا
مشى اليابان لا يخشون بؤساً ... وماء النهر يكتنف الصدورا
بجيش كل من فيه جريء ... تمنى للاعادي ان يطيرا

الى ان يقول

ولا عجب لمختال مدل ... اذا اخلى الحواضر والثغورا
اذا غفل الرعاة عن المواشي ... فمن ذا يدرأ الاسد المصورا
وان الخاشع اليقظان يكوي ... بحد حسامه البطل الفخورا
كذلك من توخى البغي متناً ... تراه بدون معثرة عثورا

وقال في اعجاب الروس بقوتهم واحتقارهم خصومهم لقماءتهم

لقد شمخوا على اليابان لما ... رأوا جنديهم قزماً زميرا
وقالوا سوف نطحنهم فنغدو ... قبورهم الضواري والنسورا
ولكنا على يالو وكنشو ... وجدنا القول بهتاناً وزورا
فعرض الجسم لا يغني فتيلاً ... وطول القد لا يجدي نقيرا
الست ترى الوليد وفيه حزم ... يسوم الفيل خسفاً والبعيرا
رهام الطير تخلع ارتياعاً ... اذا رأت البواشق والصقورا

وقال في انتصار اليابان في معركة شاهو

ترى للعين من حنق شرارا ... والاسنان من الم صريرا
وللارواح من جزع غياباً ... وللاشلاء من عجز حضورا
تمنى الجيش لو كانوا خشاشا ... اذن ولجوا المخافر والوكورا
ولو كان الخيار لهم بمتن ... ضمين للنجا اختاروا الطيورا
تمنى الروس لو خلقوا اناثا ... وسبوا اليوم اذ ولدوا ذكورا

إذن ولي الرجال النضح عنهم — وهم لزموا المنازل والخدورا
وقد حسدوا الشيوخ على مشيب — كما حسدوا المتوّة والصغيرا
وقد لعنوا الحروب وخائضيها — ومن اضحى لجمرتها مثيرا
وقالوا ليتنا كنا اتحدنا — وقاتلنا المسبب والمشيرا
الا رحم امرؤ حر شجاع — يجاهد ملكه او يستشيرا
وقدس سر سلطان تنحى — تفرده وقال الامر شورى

ومما قاله في وصف وقعة مكدن

ملائكة السلام خلت واضحى — شياطين الشرور مشمرينا
كأن رذائل القتل استحالت — فضائل فاعلوها يفخرونا
كأن قذائف النيران رسل — اتت توحي التهور والجنونا
تجيء من السماء بمعجزات — تؤيد ماادعته فيؤمنونا
فما صعقات موسى فوق هذا الـ — هزيم يضعضع الجبل المتينا
على ورع تمجس آل عيسى — كأن النار نار جبال سينا
كأن المهيمن فيها تجلى — اذا ما استقبلوها يسجدونا

وقال في هزيمة الروس

عجب الانام لشدة الغلب الذي — ذاقوا ولو غلبوا فذلك اعجب
فتغلب اليابان فيه غرابة — لكن جهل الروس امر اغرب
هجموا ولا علم لهم بخصومهم — ما ذا اعدوا للدفاع وألبوا
من ذا يغول الليث وسط عرينه — الا الشقي الغمر من لا يحسب
نصبوا حبائلهم وقد وقعوا بها — ان الظلوم يصاد في ما ينصب

الى ان يقول

ركبوا من البغي الوخيم حقائبا — فرس البغاة حقيقة لا تنجب
ما كان في الاسطول الا غرة — وخيانة وظلامة وتعصب
فهوى والاستبداد كان رفيقه — وفساد روسيا كذلك يصحب
عرفوا بأن الظلم ليس بغالب — عدلا ولا صدع التعسف يشعب
والمستبد المستجيش عبيده — ان نازل الاحرار لا يتغلب
ايفوز مهضوم الحقوق بمن لم — حرية بصدورهم تتلهب
ظفر الذي اعتاده جهل بمن — أعتاده علم رجاء مجدب

فالعلم منصور اللواء مؤيد　　والجهل مشقوق الجبين مخيب
والعدل ليث عاصم لجواره　　والظلم خصم ان تعرض ثعلب

وقال في هذا المعنى

كثرت شكاويهم وقالوا خانهم　　قدرٌ وغالبهم قضاءٌ اغلب
ذو الحزم يتخذ النتائج راضيا　　والغمر يتهم الزمان ويعتب

وقال في مولد ولي عهد روسيا اثناء الحرب مخاطبا اهل البلاط الروسي :

طمحت الى ارض السوى ابصارهم　　ولسلبها حشدوا الجيوش وجندوا
امروا بقتل النفس وهي بريئة　　وعصوا وصايا ربهم وتمردوا

الى ان يقول مخاطبا الطفل

ها انت تنمو في عناية والد　　حان يذود السوء عنك ويطرد
والبعض من ابناء جيلك لا ابٌ　　يحنو عليهم ان بكوا وتنهدوا
آباؤهم سقطوا بساحات الوغى　　ليوسعوا لك دولة ويمهدوا
فاذا نموا وملكت فارفق ذاكرًا　　حق الذين على ولاك استشهدوا
وعساك تنشأ عادلاً لا تدعي　　ان الجميع لاجل عرشك أوجدوا
فالملك جسم والعدالة درعه　　درع بجبوك الحديد مسرَّد
والملك بستان اعز سياجه　　عدل به ريح المخاوف تركد
يتوقع الاصلاح منك ولينا　　نحيا لنعرف مايجيء به الغد

وقد الحق الطابع بهذه القصائد كتابا كان بعث به الفيلسوف تولستوي الروسي الى القيصر الحالي يعظه وينصح له ويذكره بحال رعيته معربة بقلم الناظم ايضاً فجاءت هذه الرسالة حاوية من النثر والنظم ارقه وانفعه فنثني على الناظم والطابع بما هما اهله والرسالة تطلب من المكاتب الشهيرة في مصر وثمنها ثلاثة قروش صحيحة وهي جيدة الطبع والورق في ٦٨ صفحة منصفة القطع

سير العلم

آثار مصرية

اكتشف بالقرب من اهرام اونياس ضريح يرد عهده الى خمسمائة سنة قبل الميلاد وعثر فيه على جثة الكاهن هوكنساف وعليه آثار كثيرة من الآنية الخزفية وغيرها وعثر في تل بالزقازيق على حلي اكثرها مرصع بالاحجار الكريمة مثل اسورة واقراط وعقود وكؤوس ومشربيات من الفضة والذهب وكلها حسنة في صنعها ووضعها فنقلت الى المتحف المصري

طلاب الشريعة

يؤخذ من احصاء وضعه العالم ذي المعزّة امين بك سامي ناظر مدرسة الناصرية والمعلمين انه كان عدد طلبة العلم في الازهر هذه السنة ٩٧٥٨ وعدد المدرسين ٣١٧ وعدد طلبة الاسكندرية ٤٤٠ و٣٩ مدرساً وعدد طلبة الجامع الاحمدي ٥١٦١ ومدرسيهم ٧٠ وان مجموع طلاب الشريعة في القطر ٢١٣٥٢ والعلماء المدرسين ١٠٢٥ وان في الازهر ٦٦١ من الطلبة غير المصريين ٠

الخدام

يشكو اهل اوربا من تناقص عدد الخدام سنة بعد اخرى على توفر اسباب الرفاهية وما تقتضيه من الحاشية والغاشية وقد افاض احد الباحثين في هذا الموضوع فظهر له انه كان في فرنسا ٨٩٢٧٥٩ خادماً و١٣١١٤٧١ خادمة سنة ١٨٦٦ فنزل عددهم سنة ١٨٩٦ الى ١٦٠١٨٣ رجلاً و٤٨ ار٧٠٣ امرأة واذا دامت الحال على ذلك تضطر اكثر حكومات الغرب الى تأسيس مدارس للخدمة بعد قليل من السنين

الخطوط الحديدية في اميركا

ذكرت مجلة المجلات النيويوركية بحثاً في الخطوط الحديدية التي أنشئت وتنشأ في خلال هذه السنة في الولايات المتحدة وكندا فكان مجموع طولها ٣٥ الف كيلومتر تقتضي من ثلاثة الى اربعة مليارات فرنك ومن جملة تلك الخطوط خط طوله ١٦٠٠ كيلومتر يجتاز غابات يستخدم خشبها للبناء ولصنع ورق الكتابة ومن جملة ما يستفيد بهذا الخط صقع مضيق هودسون فانه لم يكن يسلكه قبل عشر سنين الا بعض تجار يعطون الدراهم ليبتاعوا بها فراء ٠ وبالسكة اليوم تفتح ابواب هذا المضيق للتجارة العامة

التربية العملية

رأى احد علماء الطليان ان بني قومه مقصرون في تربية اطفالهم ولا سيما الطبقة الوسطى منهم فارتأى ان يغرّب الاطفال عن ايطاليا ويبعث بهم الى انكلترا او المانيا او اميركا ليتمكنوا من تغيير محيطهم وبيئتهم ويكون لهم من التنقل ما يساعدهم على تعلم الصناعات والتجارة بين تلك الشعوب الراقية . وكانت فرنسا منذ نحو اربعين سنة جرت مع ابنائها على هذه الطريقة لاجل تعليمهم اللغات الاجنبية فكانت تغربهم لهذا الغرض الا انها عادت فضعفت عندها هذه الطريقة في التعليم واصبحت عندها نظرية على حين اصبحت عند اميركا عملية . ويرى الاميركان من متممات العلم والعمل ان يبعثوا باولادهم الى اشهر عواصم العالم ليطلعوا عليها ويصرفوا فيها زمناً لتطبيق العلم على العمل .

شلالات نروج

نروج من اكثر بلاد اوربا شلالات فقد قدروا قوتها بمليون وربع حصان بيع منها الى شركات ونقابات اجنبية بما قوته نصف مليون وخمسون الف حصان واقتضى للانفاق على جر هذه القوة خمسمائة مليون كورون

المهندسون في المانيا وفرنسا

اورد رئيس جمعية مهندسي الملكية في فرنسا احصاء مهماً بخصوص تأسيس مدرسة جديدة في باريز للصنائع والفنون فقال ان في فرنسا ١٦٠٠٠ مهندس تخرجوا في مدارس مختلفة و ٣٨٠٠٠ محل في حاجة الى مهندسين وعلى العكس في المانيا فانك تجد فيها ٧٦٠٠٠ مهندس ولا تجد فيها غير ٥٥٠٠٠ مركز لهم ولذلك رأى ان تعنى فرنسا باحداث مدارس عملية ينتدب للتدريس فيها اساتذة تمكنت الصنائع العملية من نفوسهم

التصعيد في حملايا

جبال حملايا سلسلة من الجبال في آسيا تفصل بين بلاد الهند وتبت وقممها اعلى قمم في العالم فيبلغ ارتفاعها في كاوريز انكار ٨٨٣٩ متراً وفي كنشنجا ٨٥٨١ متراً وطولها ٢٢٥٠ كيلو متراً . وقد نشر لونكستاف سياحة سماها نزهة ستة اشهر في حملايا قام بها في العام الفارط فقال انه توصل الى صعود ٧٣٠٠ متر في صخور ناندا ديفي في غربي نبال فلفت بسياحته انظار العالم الى دعوى السائح غراهام الذي ادعى انه بلغ في تصعيده سنة ١٨٨٣ ٦٨٦٣ متراً في جبل مونال و ٧٣٠٠ متر في كابروا وقد قضى السائح لونكستاف ليلة بطولها

مع دليله وارتفع ٧٠١٩ مترًا عن سطح البحر اي ٢٣ الف قدم بعد ان سقط نحو الف متر في الثلج ونجا بقضاء وقدر من الموت . ثم قاسى من الوان العذاب لقلة الطعام والمنام ما جرأه من الغد على اقتحام المصاعب والتصعيد الى ٧٣٠٠ متر وبالجملة فقد اثبت هذا السائح ما كان ادعاه غراهام وكان العلماء في شك من دعواه بانه بلغ ٧٧٢٦ مترًا في هذا الجبل الشاهق .

السلك البحري

انشأت اعظم شركة للاسلاك البحرية في العام الماضي اكبر سلك بحري بين اوربا واميركا انفقت عليه ٧٠٠ الف كيلو من النحاس و٣٥٠ الف كيلو من الطبرخي «الغوتابرشا» و٧٠٠ الف كيلو من اسلاك الحديد والنحاس والقنب والمواد الواقية واقتصدت الشركة ١٥ في المئة من السرعة بالنسبة لبقية الاسلاك الاخرى فتمت به الاسلاك البحرية التي تربط اميركا باوربا الى خمسة خطوط وهي اليوم تنشيء خطين آخرين احدهما من جزيرة مانيلا الى الصين والآخر من غوام الى اليابان ويتمان هذه السنة

مدارس التجارة في اوربا

دهش احد الاميركان ممن زاروا اوربا مؤخرًا من كثرة ماشاهد من المدارس التجارية في سويسرا قال ان مدنها الحقيرة لا تخلو من مدارس تجارية فان لمدينة نوشاتل وسكانها ثمانية عشر الف نسمة مدرسة تجارية يتعلم فيها سبعمائة صبي بينهم خمسة وعشرون من ابناء الاميركان . وفي مدينة فينا ١٩ مدرسة للتجارة ولالمانيا المقام الاول في هذه المدارس والمدارس التجارية قليلة في انكلترا ولذلك ترى الاجانب منهالين عليها من كل صوب ينقلدون الاعمال الحسابية في الغالب

البيض والسود

افاضت احدى المجلات الانكليزية في افضلية الجنس الابيض على الجنس الاسود وقالت ان هذه الفكرة المغلطة هي نتيجة كراهية طالما اثرت تأثيرًا سيئًا في تاريخ الانسانية وان هذا التمييز لا يكون على اتمه الا عند الشعوب القصيرة النظر فما يذهب اليه بعض الشعوب من تفضيل البيض على الزنوج والصفر والحمر هو من الاوهام التي لا تبرر الا اذا كانت هذه الميزة من حيث العقل . وليس للابيض ان يزعم ارجحيته على المتوحش وغير المتمدن الا اذا كان هو متمدنًا بعقله واقتداره وبذلك تهيأت له القوة الاجتماعية واذا حاد عن ذلك يرجع القهقرى ولا يمكن مما اراد الا بالظلم وابادة من فتح بلادهم وغلبهم على امرهم . فليس في

الواقع غير جنس واحد من البشر وهو الجنس البشري عامة ولا يكون اشتراك سياسي واجتماعي بين السود والبيض الا اذا عدل هؤلاء عن اتخاذ قاعدة واهية في اعمالهم تشعر بان قوى الاجناس افعل من الوحدة البشرية

مكاتب الاطفال

لا تزال الولايات المتحدة تكثر من تأسيس المكاتب ليختلف اليها الاطفال خاصة وقد جربوا في نيويورك بان جعلوا في سقوف احدى خزائن الكتب غرفاً للمطالعة فصرت عند ما تزور هذه السقوف بعد الظهر ترى فيها نحو ٤٠ او ٥٠ طفلاً يطالعون الكتب والصحف في الهواء الطلق ولذلك ستكون سقوف المكاتب الثلاثة التي تنشأ الآن في نيويورك على احسن وضع بحيث لا يضيع فراغ منها الا فيما يفيد

سرعة التأثر والانفعال

الايستزيومتريا Esthésiométrie آلة توضع على الرأس لمعرفة سرعة التأثر والانفعال وطرقه المختلفة اخترعها فبير احد علماء المانيا في القرن الماضي وهي كالبركار في شكلها أنيطت بها دائرة ذات درجات وطرفاها رقيقان جداً فتجعل اطرافها على الجلد ريثما يشعر المصاب بألم ويختلف ابتعاد اطراف هذه الآلة بحسب الحالة العصبية وتكون الداء في عضو من الاعضاء. وبهذه الآلة يعرف مقدار التعب العقلي. وقد جرب الآن الاستاذ بينه من كلية السوربون في باريز بمعونة لجنة مؤلفة من عشرين عضواً فعل التأثر بواسطة هذه الآلة في عدة من مدارس باريز فتبين له ان التعب العقلي ناتج من طبيعة العمل ومدته والساعة التي يجري فيها فيبلغ تعب عقول التلاميذ في صفوف المساء ارقى درجاته وذلك لقلة الدم في الدماغ بعد الطعام وان اشتغال التلميذ مساء في منزله يحدث تعباً كثيراً كما يتعب في اثناء الامتحانات . وقد نشر الاستاذ غريسباش الالماني في هذه الآونة ايضاً بحثه في هذا الموضوع المهم فكان من نتائج تجاربه في اولاد من ابناء الرابعة عشرة اختبر حالتهم بواسطة آلة الايستزيومتريا فكانت حركتها الوسطى على جبهة الولد ٥ر٣ مليمتر و٥ قبل ابتداء الدروس في الصباح و١٣ بعد قضاء اربع ساعات في الدرس ورجع مقياسها الى ١٠ بعد الانصراف من المدرسة مساء ويرتقي مقاسها الى ٢٢ درجة بعد درس المساء في المنزل ومن رأي العالم الالماني انه لا يقتضي مداومة اشتغال التلميذ بعد انصرافه من المدرسة فقد يحدث ان التلميذ عند منصرفه من المدرسة يعطى وظيفة (فرضاً) يعملها او درساً يستظهره في بيته بعد ان تعب في النهار فيسقط من الاعياء فما هو الا ان يغلبه النعاس وتتعرض صحته للخطر . وقد

نصح هذا العالم ان يلغى الاستعداد للامتحان مرة واحدة وان يستعاض عنه باسئلة شهرية تجري بملاحظة مفتشي المدارس ونصح لآباء التلاميذ ان يعنوا بصحة ابنائهم العقلية وان يطلبوا الى المدارس ان تصحب شهادات الدروس والسلوك المألوف ارسالها اليهم من المدارس كل مدة بشهادات تؤذن بمقاس اجهادهم العقلي

الاديان والقضاء والقدر

ذكر احدهم في المجلة الكبرى الفرنسوية حالة الاديان في العالم وقدرها بنحو خمسة آلاف دين وقال ان المرء يولد على دين آبائه وليس هو الذي يختار دينه وان من ضعف عقول البشر ما يذهبون اليه من ان الدين يحل مسألة القضاء والقدر ولو كان لاحد الاديان ان يحل هذه المشكلة لاوضح غامضها على طريقة محسوسة جلية لا تختلف ولا تتناقض وتوافق العقل وقال ان كل ما بتَّ في امور العالم انما بت بتأثير العلم لا الدين

طريقة ارتقاء الالمان

ذكرت احدى المجلات الالمانية ان الطريقة التي جرت عليها المانيا فكانت سبباً في نهوضها لم تكن كما يزعم بعضهم محصورة في ارتقاء التعليم فيها بل انه اتى مما اتيح لها من النمو في صنائعها وتجارتها ذاك النمو الذي قضى بتغيير صورة المدارس لتصبح متناسبة مع ما تستلزمه دواعي هذه الاعمال وكثرت هذه التغييرات منذ نحو عشرين سنة وكانت امارة ساكس في مقدمة المقاطعات الالمانية عملاً بهذا القلب والابدال

مرض الحضارة

هو المدعو بالفرنسوية L'agoraphobie يتخوف المبتلى به من النظر الى الناس عند اجتيازه ساحه عامة او شارعاً كبيراً او جسراً طويلاً ويصاب به في الاكثر ارباب الامراض العصبية والهستريا والماليخوليا فلا يجرأ المصاب على المرور من تلك الاماكن ولو لم يكن في ذلك خطر عليه . يخاف المصابون بهذا المرض ان ينتقلوا من رصيف الى آخر ولا يزالون يقدمون رجلاً ويؤخرون اخرى حتى اذا كان هناك خطر حقيقي من الاجتياز يقدمون على المرور ويذهلون فيركضون فيوشكون ان يسقطوا فيما حاذروه من الخطر . ولهذا المرض حوادث تجري كل يوم في باريز وغيرها من العواصم الكبرى . ولذلك دعوناه مرض الحضارة وان لم تنطبق التسمية على المعنى الاصلي لانه يكثر حيث يستبحر العمران وتزدحم اقدام السكان . قال احد كبار الاطباء ان هذا المرض عقام عضال . واشار غيره على المصابين به ان لا يسكنوا الحواضر الكبرى في هذا القرن قرن الحركة الدائمة . وارتأت احدى

المجلات الطبية ان هذا المرض قديم وربما عرف قبل ان يعرف التاريخ وصاحبه يخاف من الحصان والعربة السائرة في وسط الطريق . واحسن ذريعة يعمد اليها في معاملة المصاب به ان يؤخذ من الطريق بيده كما يؤخذ الاعمى الى مكان لا خطر عليه فيه وان يعوّد النظر الى ابناء السبيل وهم سائرون وعن الاخطار بعيدون

التعليم التجاري

نشر احدهم في مجلة العالمين الفرنسوية مقالاً جاء فيه ان الشبان المستعدين في فرنسا للاستخدام او لادارة بيوت تجارية هم على جانب من الكثرة ولا ينبغي ان يصرف الفرنسيس عنايتهم الا الى المحال التي يعدونها ليشغلها ابناؤهم فقد كانت تجارة فرنسا الخارجية سنة ١٨٩٠ ثمانية مليارات و١٩٠ مليون فرنك فبلغت سنة ١٩٠٥ تسعة مليارات و٤٣٦ مليونًا ولكن تجارة المانيا الخارجية ارتقت في خلال هذه السنين من تسعة مليارات و٤٣٦ مليونًا الى خمسة عشر مليونًا و٩٢٤ مليونًا وارتقت تجارة انكلترا الخارجية من ١٧ مليارًا الى ٢٢ مليارًا و٣٠٠ مليون وفي خلال هذه الخمس عشرة سنة تضاعفت صادرات الولايات المتحدة وزادت صادرات ايطاليا ٢٦ في المئة ولم تزد صادرات فرنسا سوى ٢٧ في المئة

بعد المدرسة

كتب كاتب في مجلة المجلات الاميركية يقول ان المدارس كثيرة لمن يريد اتقان فن بعد خروجه من المدرسة الاولى في اميركا وهي المدارس الليلية المنتشرة في جميع اصقاع الولايات المتحدة وفيها تجري المذاكرات العلمية و يستعاض عن الشروح الشفاهية باستعمال الطرق العملية مثل مدرسة الكهربائية في توبكا (كانساس) ومدرسة الصيدلية في بوستون ومدرسة المعادن في لوس انجلس (كاليفورنيا) ومدرسة الرسم في بورتلاند (اوريغون) ومدرسة الاوتوموبيل في نيويورك ومدرسة الحسابات وغيرها من المدارس العملية ومما تمتاز به جميع هذه المدارس على غيرها انك ترى فيها ابن المثري الكبير في جانب ابن العامل والاجير لا تمييز بينهما في حال من الاحوال

تهزيل الانسان

قال ابن سينا في القانون فصل في التهزيل ان تدبير المزال هو ضد تدبير التسمين وهو تقليل الغذاء وتعقيبه الحمام والرياضة الشديدة الى ان يقول وليكن طعامهم (من يراد تهزيلهم) وجبة وليحمل عليهم بالرياضات العنيفة والاستفراغات ووصف لذلك ادوية وافاض في الكلام فيه بحسب ما ارتآه في عصره . ومن رأي الدكتور كارل بورنستين الذي

عرضه امام الجمعية الطبية في ليبزيك هذا الشهر انه على من اراد تهزيل نفسه ان يقلل مايتناوله يوميًا من الهدر وكربون والاغذية الدسمة فتخف بذلك حرارة الجسم وان يزيد في استعمال آح (زلال) البيض او المادة التي تشبهه وان يكثر من العمل الدماغي والاقلال من اللحوم و يغتذي باللبن والبقول التي تطبخ بلا دسم والفواكه المطبوخة وان يختار في المشي الصعود وارتقاء العقاب وان يستعمل التغميز والالعاب الرياضية وان يستحم بماء حار على معدل ٤٥ من الحرارة مدة نصف ساعة وان يستعمل كميات قليلة من الكينا والادوية الحديدية · قال صاحب هذا الرأي انه لايتوقع ان ينتج للحال نتيجة لهذه الطريقة بل انه ثبت له بان من يستعمل هذه الضروب من الاطعمة والرياضة ينتهي جسمه بالنحول والنحافة ولا بد مع ذلك من الرجوع الى رأي الطبيب فان من احب ان يداوي نفسه بدون اخذ رأي المتطببين يضر في الغالب نفسه اكثر مما ينفعها

ابناء المحاويج

ذكرت احدى المجلات العلمية بحثًا في الجمعيات التي تستوكف اكف المحسنين لتستعين بما تجمع من الاموال للانفاق على ابناء المحاويج المعوزين تخرج بهم للنزهة في الضواحي اياماً معلومة في الصيف لتبعث النشاط في صحتهم مما ينالها من الهواء الفاسد في المدن الكبرى · قال الكاتب ان احدى الجمعيات في لندن بعثت الى الضاحية سنة ١٩٠١ بـ ٣٤٢٥٩ طفلاً لينتزهوا على نفقتها · وقد احدثت الدانيمرك منذ تسع وعشرين سنة مستعمرات لها في الخلاء خاصة بترويض الفقراء وهناك يفتح اصحاب الاملاك بيوتهم لقبول من ينزل عليهم من ابناء تلك الطبقة والسكك الحديدية تنقلهم مجانًا · وقد قدم لهم امبراطور النمسا احد قصوره في الارباض ينزلونها على الرحب والسعة · وبعثت جمعية واحدة من مثل هذه في برلين سنة ١٩٠٠ بـ ٣٤٦٩٦ طفلاً الى الفلاة وزعتهم على ١٨٣ مصيفًا وانفقت عليهم ٢١٦٤٣٥ر١ فرنكاً · وحذت هذا الحذو في تنزيه ابناء الفقراء كل من البلجيك وايطاليا وروسيا والسويد ونروج وهولاندا واسبانيا وسرت هذه العادة الحسنة من ملبورن الى كاماكورا فالولايات المتحدة · ولفرنسا المقام السادس بجمعياتها بين الحكومات التي ينفق ابناؤها على نزهة فقرائهم اما في هذه البلاد فلا قدرة للفقراء على الارتحال للنزهة والاغنياء عندنا اذا رحلوا فتكون في الغالب رحلتهم لارتكاب الموبقات التي لا تتيسر لهم على ما تشتهي اهواؤهم في مساقط رؤوسهم

أحتفال بعالم

كلية عليكرة الاسلامية هي اعظم كلية في الهند للمسلمين ينبغ منها تلاميذ افاضل كل سنة ومن جملة رجالها الاستاذ الفاضل الدكتور السيد ضياء الدين احمد. ذهب بعد انجاز الدراسة الى انكلترا والمانيا وفرنسا وقضى سنين في كلية كمبردج الانكليزية وغوتنغن الالمانية والسوربون الفرنسوية ولما حفل وطابه بالعلم عاد الى بلاده لينفعها بفضل علمه واختباره فمر بهذا القطر لدراسة احواله والاطلاع على سياسة التعليم فيه وربط صلات التعارف بين المصريين والهنود ولما عزم على الرحيل قام بعض اصدقائه وفي طليعتهم سعادة الاستاذ الفاضل الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد الاغر فاحتفلوا بوداعه في نزل كونتننتال بحضور نحو ثمانين رجلاً اكثرهم من رجال العلم والادب فالقى صاحب المؤيد خطبة عرفه بها الى الحضور ثم قام المحتفل به والقى خطبة بالانكليزية قال فيها :

في بلاد الهند اكثر من مئة مدرسة مثل كلية عليكرة لكن ما يجعل لكليتنا امتيازاً حقيقياً على غيرها انها الشرقية الوحيدة التي يوجد فيها نظام خاص باقامة الطلبة وسكناهم فيها على الطريقة الانكليزية فيتولون شؤونهم بانفسهم في السير والادارة . ومن حسن حظنا في عليكرة اننا لا نعرف ولا نتبع الطريقة الفرنسوية في ضبط الطلبة ونظامهم بواسطة ضباط فانها طريقة عقيمة ولها مضار كثيرة ظاهرة في مصر. ومن اسرار نجاحنا اننا نتمسك كثيراً بالتربية الدينية والتربية الوطنية اذ يجبر الطلبة على تأدية الواجبات الدينية كلها وينشطون على الاهتمام والاشتغال باحوال المسلمين في انحاء العالم كافة

والكلية الآن تتبع خطة التعليم في الحكومة وتعد الطلبة لامتحان المدارس الجامعة الكبرى على ان الغاية من مبدإ الامر ان تكون عليكرة مدرسة جامعة اسلامية مستقلة . وقد قال المرحوم السيد احمد خان (مؤسس الكلية) منذ زمن طويل في خطبة القاها « ان نجاتنا لا تكون الا في الوقت الذي يصبح فيه امر تعلمنا بيدنا ولا تسترقنا مدارس الحكومة الجامعة فنأخذ اذ ذاك العلوم بيميننا والفلسفة بشمالنا ونحمل تاج « لا إله الا الله محمد رسول الله » فوق رؤوسنا

ثم قال انه تم الاتفاق على تأسيس كلية عربية لا يقصد منها ان يتعلم الطلبة فيها اللغة العربية لتأدية امتحان مخصوص ولكن الغرض منها ان يتلقى الطلبة تاريخ الاسلام بتدقيق وامعان للبحث في اسباب رقيه وانحطاطه . واننا نؤمل ان تظهر هذه المدرسة الجواهر المختبئة في آداب اللغة العربية وتنشر الكتب النادرة بتفاسير وايضاحات . وفي عزمنا ان

نخصص بعض الطلبة بهذه الكلية العربية ونجعل لهم مرتبات لكي يستريح بالهم من جهة المعاش وليتفرغوا للدرس والبحث. ونحن الآن ايضاً ننشيء ازاء تلك الكلية العربية كلية اخرى للعلوم الطبيعية

واطالما سألنا بعض الناس — لماذا يضيق بنا الفكر وحب الذات فننشيء مدرسة جامعة اسلامية ولا يبعثنا سمو النفس ومكارم الاخلاق والتسامح في الدين على جعل جامعتنا عامة مشتركة — ونحن نقول: لا نقصد منع غير المسلمين من الوجود في جامعتنا الاسلامية. فان ابوابها مفتوحة كما هي الحال الآن في عليكرة لغير المسلمين وكل محب للعلم بلا تمييز بين الجنس والدين. وفيها الآن طلبة من اليهود والمسيحيين والوثنيين ولن نسعى مطلقاً في اخراجهم منها ولا نسميها « جامعة اسلامية » الا بالمعنى الذي تنسب اليه اكسفورد وكمبردج الى كنيسة انكلترا الرسمية .

وبعد ان قال ان تعليم الدين اجباري في عليكرة وقابل بينها وبين المدارس الثانوية في مصر وحث القوم على ارسال زمرة من الطلبة لتلقي العلوم فيها الى غير ذلك من الاغراض الشريفة قام حضرة الفاضل حافظ افندي عوض احد صاحبي المنبر الاغر وترجم خطبته الى العربية ثم نهض سعادة صاحب المؤيد والقى خطبة موجزة نافعة قال فيها : وبقيني ان مصر لو رزقت مدرسة جامعة ذات مبادىء قويمة مثل كلية عليكرة وتناسب في عظمتها حالة مصر الحاضرة لكانت مصدر حياة اقوى واعم نفعاً لا للمصريين فقط ولكن لمسلمي العالم كله الذين هم في حاجة كبرى للترقي الصحيح المبني على دعائم العلم والفلسفة. وانني اتمنى من صميم فؤادي ان يقصد هذه الكلية بعض الطلاب المصريين لانهم يستفيدون مع العلوم التي يكتسبونها مزيجاً من آداب التربية الاسلامية العالية ومن الاخلاق الانكليزية التي تطابقها في كل ما هو شريف وعال مالا يستفيدون مثله من كليات اوربا معها ارتقت مبادئها

ثم ختم مقاله بالتعريف بالعالم الهندي وقال انه اعظم نابغ شرقي في العلوم الرياضية والفلكية التي تلقاها في كمبردج وكان من مزايا نبوغه انه سبق جميع مناظريه من ارجاء انكلترا كلها ممن تقدموا للامتحان لنيل جائزة اسحق نيوتن العالم الفلكي الشهير وهي متاجنيه الى ان قال : ولعلكم ترون مثلي ان السيد ضياء الدين احمد هو رجل عالم مخلص في مباحثه وآرائه قد وقف نفسه على العلم حتى كاد يفنى فيه وكل من يفنى في العلم يحيا به . وانه لا يوجد مظهر حياة في الدنيا اقوى من مظهر الحياة العلمية للذين يتجلون بها للعالم

ثم ختمت الحفلة بتناول الحلواء والشاي وابدى الحضور شكرهم للمحتفلين والمحتفل به فلما رأينا كل هذا وابتهاج الحضور بمقدم العالم الهندي بعد مقامه الطويل في بلاد الغرب

ذكرت ما كان من انتشار العلم في بلاد الاندلس ولا سيما عند ما ورد في الخطبة قول احد حكام الهند ان كلية عليكرة ستكون « قرطبة الشرق الحديث » ذكرت هذا وانحطاط المسلمين الآن وانهم تحت ظل حكوماتهم في الغالب اذلة وان عقلاءهم وهم اندر من الكبريت الاحمر يذهبون في طلب العلم لنقله من مصادره الى اهلهم ومواطنيهم كما فعل الاستاذ ضياء الدين وكما كان يفعل يهود اوربا فيأخذون العلم عن علماء المسلمين في الاندلس حتى اذا تشبعوا بآرائهم ومذاهبهم وقضوا زمناً في حلقاتهم واهتدوا بهديهم يغادرونهم لينشروا ما تلقوه في ايطاليا وفرنسا وغيرها من البلاد المجاورة فتأمل كيف دالت الدول وصار الغربيون يعطوننا ما كانوا يأخذونه عنا مع الزيادات التي زادوها عليه . وياليت شعري هل تكون عليكرة قرطبة الشرق حقيقة كما قالوا

وفاة عالم

فجع العلم هذا الشهر بفقد احد اساطينه الحجة الثبت الشيخ احمد ابو خطوة رجل العلم الراجح والفضل الجم . ولد طاب ثراه في بلدة كفر ربيع من اعمال المنوفية وكان والده من اوساط الناس وحفظة الكتاب العزيز فلما ترعرع تعلم ما امكنه تعلمه في بلده وحفظ القرآن ثم اتى الى القاهرة سنة ١٢٧٩ وعمره قرابة خمس عشرة سنة لتلقي العلم في ازهرها فاخذ الفقه الحنفي عن الشيخ عبد الرحمن البحراوي والشيخ عبد الله الدرستاوي وحضر لاول امره في مذهب المالكية على الشيخ الشعبوني واخذ المعقولات عن الشيخ محمد البسيوني البيباني والشيخ احمد الرفاعي الفيومي والشيخ حسن الطويل ولازم الاخير ملازمة متصلة فقرأ عليه المنطق والتوحيد والهندسة والاخلاق والتصوف والحكمة العالية القديمة وغيرها من العلوم التي لم تعهد قراءتها فى الازهر . واستمر على الاتصال بالشيخ الطويل وهو من اعظم فلاسفة المسلمين في هذا القرن بمصر حتى مضى هذا لسبيله كما استمر ملازماً الشيخ الدرستاوي حتى اتمّ عليه دراسة المذهب باجمعه . هؤلاء هم مشايخ الفقيد الذين تخرّج بهم ومنهم الشيخ الشربيني ايضاً

وفي سنة ٩٢ جاز الامتحان لنيل شهادة العالمية من الازهر فحاز الدرجة الاولى وعدّ من نوابغ الازهريين المتمكنين من الفروع والاصول الجامعين الى المنقول المعقول . ولقد اسعده الحظ بملازمة الشيخ الطويل فجاء منه رجل لم يجمد جمود الفقهاء ولم يطش طيش السفسطائيين من المتفلسفين . وكان متضلعاً من علمي الفقه والاصول يمزجهما معاً في درسه . واكد لي عليم باحواله انه كان كنزاً مخفياً في هذين العلمين لم يعهد له فيهما قرين في علماء

زمانه . درّس زمناً طويلاً في الازهر فانتفع الطلاب بعلمه وسعة مداركه وكثرة تحقيقه وكان مفتياً لديوان الاوقاف زمناً ثم عين قاضياً في المحكمة الشرعية في هذه العاصمة

حدثني صديق له نشأ معه وراقب سيره وسيرته انه كان سريع الفهم سريع القراءة سريع الكتابة قوي العارضة متين الحجة بليغ القول حاد الذاكرة بيد انه لم يكتب الا نادراً لاشتغاله بمهام القضاء لما نضج علمه واشتد ساعده ولانه كان بعيداً عن الظهور ولعلّ ذلك كان منه لحكمة اقتضتها التقية التي يضطر اكثر الموظفين في الحكومات الشرقية الى اتخاذها شعارهم . ومن الاسف ان ٩٩ في المئة من النوابغ في الشرق ينصرفون جملة واحدة الى التوظف فلا يعود في وسعهم خدمة امتهم وبلادهم الخدمة المتوقعة منهم وهم في ابان قوتهم وشرخ شبابهم ودور كهولتهم . والموظفون في معظم الامم كالآلات بيد رؤسائهم لا يهمهم الا الأرضاء ويعدُّون ما وراء ذلك من الواجبات الاجتماعية .

كان يعد المرحوم من اخلص اصدقاء فقيد الاسلام الشيخ محمد عبده ونصيره في آرائه الاصلاحية سراً لا جهراً . ولما لغط بعضهم في مسألة الفتوى التي افتى بها مفتي الديار المصرية المشار اليه جواباً على سؤال ورد اليه من الترنسفال في جواز لبس المسلم القبعات وضرب البقر بالبلط والذبح بدون تسمية وجواز صلاة الشافعية خلف الحنفية كان الفقيد في مقدمة من ايدوا الشيخ المفتي في فتواه والف رسالة (ارشاد الامة الاسلامية الى اقوال الائمة في الفتوى الترنسفالية) التي جمع بها من نصوص كتب المذاهب الاربعة ما دحض به آراء المخالفين المشاغبين فكانت من الادلة على بعد غوره في الاطلاع على المذاهب وقد عرض ماجمعه على غير واحد من علماء كل مذهب فاجازوها فعزيت الى جماعة مبهمين . وقيل انه كتب في بعض الصحف اليومية مقالات لم تعز اليه لغرض اقتضى ذلك

وعلى الجملة فقد كان الفقيد على شرط العلماء الاقدمين من الالمام باحوال زمانه فهو علم من علم وحجة حكم وفهم ولو أتيح له ان يهتم بالعموميات لزاد الانتفاع به . ومن اخلاقه انه كان رزيناً وقوراً لين الجانب فكان اذا اجتمع باكبر اعدائه يحسن لقاءه والتأدب معه ولم يجد له المنتقدون ما يتطرقون منه الى انتقاده بما يشينه الا ما كان من قبوله شفاعات اصدقائه مدفوعاً الى قضاء حوائجهم بعامل المروءة العظيمة الناشئة عن شدة ثقته بهم واعتقاده الصدق في اقوالهم وما يقصدون اليه . فلا عجب بعد هذا اذا عدّ فقده خسارة كبرى على القضاء والعلم في هذه الديار . رحمه الله

الجزء الحادي عشر
المجلد الاول

المقتبس

غرة ذي القعدة سنة ١٣٢٤

صدور المشارقة والمغاربة

الجاحظ

لم يأت على الشرق العربي ايام كانت « رياض الازمنة » وعهد السعود حقيقة كاوائل الدولة العباسية ولا سيما زمن المأمون والرشيد علم زاهر وحرية مطلقة وسعة عيش وسيادة تامة ونصر موزر وسلام شامل والقول الفصل لارباب العقل في كل حال وشأن . ولذلك لا يستغرب ان ينشأ ايام تلك الدولة مثل الجاحظ رجل العلم الراسخ والنظر السديد والادب الناضج والبلاغة التي لم يكتب لمتقدم ولا لمتأخر في هذه الامة العربية ان داناها على نحو ما اجمع كبار ارباب هذه الصناعة

ولد الجاحظ وطير اليمن يغرّد في الاصقاع الاسلامية وناهيك بالعراق في قرنه الثاني والثالث . فكانت هذه الاسباب على ما خص به من جودة الفطرة اكبر معين له للقبض على قياد العلم النافع وتحكيم العقل السليم في المنقول ولقد تخرج بالنظام صاحب المذهب المعروف في علم الكلام ولكنه لم يجمد على علمه وحده وان كان رأساً في علم الكلام وله مقالة معروفة به في اصول الدين وفرقة

تعزى اليه من فرق المعتزلة اعقل ارباب المذاهب في الاسلام دعيت الجاحظية

الجاحظ وعاء من اوسع اوعية العلم في الامة لم يحو الا لبابه خالصاً من القشور كلها كان وقفاً على الخير المحض لكل متناول فكانه وكأن مصنفاته الممتعة التي يتجلى فيها بعد نظره وغوره واخلاصه واخلاقه دائرة المعارف او موسوعات العلوم بلغة غربية منتشرة لعهدنا حوت كثيراً من علوم البشر او النافع الراجح منها وهي مسبلة على المطالعة في خزانة كتب اذا قلبت اي صفحة من صفحاتها تعود من تحديقك فيها وقد حفل وطابك بما طاب من ثمرات معارف الناس

فهو ولا مراء احد افراد هذه الامة ما اظنهم يتجاوزون عدد الانامل . هو ممن اذا ذكروا في مصاف رجال الامم رفعنا بما كتبوا رؤوسنا وابتهجت بذكراهم نفوسنا . ناهيك برجل قال في وصف كتبه الاستاذ ابو الفضل ابن العميد الوزير العالم المشهور وقد جرى ذكر الجاحظ في مجلسه فغض منه بعض الحاضرين وازرى به فسكت الوزير عنه فلما خرج الرجل قال ابو القاسم السيرافي وكان حاضراً : سكتّ ايها الاستاذ عن هذا الرجل في قوله مع عادتك في الرد على امثاله فقال : « لم اجد في مقابلته ابلغ من تركه على جهله ولو واقفته وبينت له لنظر في كتبه وصار بذلك انساناً يا ابا القاسم فكتب الجاحظ تعلم العقل اولاً والادب ثانياً ولم استصلحه لذلك . »

نعم ان كتب الجاحظ على ما قال ابن العميد تعلم العقل والادب وان حسده معاصروه فما هو اول ذي نعمة محسود . بيد انه كان عارفاً بشغب المشاغبين وحسد الكارهين واليك ماقاله فيهم في كتاب المحاسن والاضداد : « اني ربما الفت الكتاب المحكم المتقن في الدين والفقه والرسائل والسيرة والخطب والخراج والاحكام وسائر فنون الحكمة وانسبه الى نفسي فيتواطأ على الطعن فيه جماعة من اهل العلم

بالحسد المركب فيهم وهم يعرفون براعته ونصاحته واكثر ما يكون هذا منهم اذا كان الكتاب مؤلفاً لملك معه القدرة على التقديم والتأخير والحط والرفع والترهيب والترغيب فانهم يهتاجون عند ذلك اهتياج الابل المغتلمة فان امكنتهم الحيلة في اسقاط ذلك الكتاب عند السيد الذي ألف له فهو الذي قصدوه وارادوه وان كان السيد المؤلف فيه الكتاب نحريراً نقاباً ونقريساً بليغاً وحاذقاً فطناً واعجزتهم الحيلة سرقوا معاني ذلك الكتاب وألفوا من اعراضه وحواشيه كتاباً واهدوه الى ملك آخر ومتوا اليه به وهم قد ذموه وثلبوه لما رأوه منسوباً الي وموسوماً بي

« وربما ألفت الكتاب الذي هو دونه في معانيه والفاظه فاترجمه باسم غيري وأحيله على من تقدمني عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد والعتابي ومن اشبه هؤلاء من مؤلفي الكتب فيأتيني اولئك القوم باعيانهم الطاعنون على الكتاب الذي كان احكم من هذا الكتاب لاستنساخ هذا الكتاب وقراءته علي ويكتبونه بخطوطهم ويصيرونه اماماً يقتدون به ويتدارسونه بينهم ويتأدبون به ويستعملون الفاظه ومعانيه في كتبهم وخطاباتهم ويروونه عني لغيرهم من طلاب ذلك الجنس فتثبت لهم به رئاسة يأتم بهم قوم فيه لانه لم يترجم باسمي ولم ينسب الى تأليفي »

هكذا كانت الحال بين الجاحظ ومعاصريه والمعاصرة حرمان في كل زمان . ولكن كان له من القبول عند الخلفاء والامراء والاغنياء في دهره مايقل وقوع مثله لغيره في عصر من الاعصار . فان استبشع المتوكل منظره لما ذكر له لتأديب بعض ولده وصرفه بعد اكرامه — وكان الجاحظ مشوه الخلق قيل له الجاحظ لان عينيه كانتا جاحظتين والجحوظ النتوء وكان يقال له الحدقي لذلك — فقد اختاره المأمون معلماً لنفسه وكفى بمنزلة المأمون بين خلفاء الاسلام فهو اعقل خليفة في الاسلام بلا مدافع واعلم رجال

بني العباس · وعمر مترجمنا عمرًا طويلاً فنيف على ماقيل عنه على تسعين سنة وكانت وفاته سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة بلده التي نشأ فيها · قال ابن خلكان وقد أُصيب بالفالج في اواخر عمره فكان يطلي نصفه الايمن بالصندل والكافور لشدة حرارته والنصف الايسر لو قرض بالمقاريض لما احس به من خدره وشدة برده وكان يقول في مرضه اصطلحت عليَّ الاضداد ان اكلت باردًا اخذ برجلي وان اكلت حارًا اخذ برأسي وكان يقول انا من جانبي الايسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض ما علمت به ومن جانبي الايمن منقرس فلو مرّ به الذباب لالمت وبي حصاة لا ينسرح لي البول معها واشد ما عليَّ ست وتسعون سنة وكان ينشد

اترجو ان تكون وانت شيخ   كما قد كنت ايام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب   دريس كالجديد من الثياب

وحكى بعض البرامكة قال كنت تقلدت السند فاقمت بها ما شاء الله تعالى ثم اتصل بي اني صرفت عنها وكنت كسبت ثلاثين الف دينار فخشيت ان يفجأني الصارف فيسمع بمكان المال فيطمع فيه فصغته عشرة آلاف اهليلجة في كل اهليلجة ثلاثة مثاقيل ولم يمكث الصارف ان اتى فركبت البحر وانحدرت الى البصرة فخبرت ان الجاحظ بها وانه عليل بالفالج فاحببت ان اراه قبل وفاته فصرت اليه فافضيت الى باب دار لطيف فقرعته فخرجت اليّ خادم صفراء فقالت : من انت ؟ قلت : رجل غريب واحب ان أُسر بالنظر الى الشيخ فبلغته الخادم ما قلت فسمعته يقول: قولي له : وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل ولون حائل فقالت للجارية : لا بدَّ من الوصول اليه · فلما بلغته قال : هذا رجل قد اجتاز بالبصرة وسمع بعلتي فقال : أُحب ان اراه قبل موته فاقول قد رأيت الجاحظ ثم اذن لي فدخلت وسلمت عليه فردَّ ردًا جميلا وقال : من تكون اعزك الله · فانتسبت له فقال : رحم الله

تعالى اسلافك وآبائك السمحاء الاجواد فلقد كانت ايامهم رياض الازمنة ولقد انجبر بهم خلق كثير فسقياً لهم ورعياً . فدعوت له وقلت : انا اسألك ان تنشدني شيئاً من شعرك فانشدني .

لئن قدمت قبلي رجال فطالما مشيت على رسلي فكنت المقدّما
ولكن هذا الدهر تأتي صروفه فتبرم منقوضا وتنقض مبرما

ثم نهضت فلما قاربت الدهليز قال : يافتى ارأيت مفلوجا ينفعه الاهليلج قلت : لا . قال : فان الاهليلج الذي معك ينفعني فابعث لي منه فقلت : نعم وخرجت متعجباً من وقوعه على خبري مع كتماني له وبعثت له مائة اهليلجة .

قلنا ولو وقعت حكاية الاهليلج لرجل من المتأخرين لعدها للقائل كرامة وراح يدعي ان صاحبه يعلم الغيب ويكشف مخبآت القلوب ويتصرف في الكون واهله الى آخر مايلغط به المهوسون في هذه القرون وقد بلغ من ضعف العلم والعقول ان لو انكر منكر ذلك لرموه بكل كبيرة ولكن ذاك الامير البرمكي عدّ بفطرته السليمة ما صدر عن الجاحظ قوة فراسة ونسبه الى اتفاق صادف واقعاً . ولو أُتيح لنا الاطلاع على ترجمة مفصلة للمترجم به لعرفنا الجاحظ ونشأته وما وقع له في عصره وما أُثر عنه من المصنفات التي تعد بالعشرات اكثر مما عرفنا منه وما علينا للوقوف على ذلك الا ان نعمد الى النظر الى تآليفه ففيها اعظم ترجمة حافلة له وكلام الرجل اصدق ما ينبيء عنه

التعريب والترجمة

لا اصعب من تقييد الانسان باقوال غيره وافعاله خصوصاً اذا كانت تخالف ما لقنه والفه ٠ وهذا مما يصح اطلاقه في الترجمة والنقل كما يصح في غيره ٠ ولذلك جاء في المثل الطلياني « المترجم خائن » لانه لا يخلو في الجملة من الحياد عن الاصل وترك معان ربما كانت المقصودة بالذات من كاتبها الاول ٠ ولقد انقسمت طرق التراجمة في الاسلام الى قسمين فارتأى فريق ان التعريب وهو نقل المعاني المرادة بقالب عربي بحسب ما يقضي به ذوق الكاتب و يساعد عليه اللسان ولهجته خيرٌ من الترجمة اى النقل بالحرف والتزام ما قاله الكاتب الاصلي ولولم ينطبق كل الانطباق مع ذوق اللغة المنقول اليها ٠ والطريقة الاولى الطف واعذب والثانية اصدق وامتن ٠

فالاولى طريقة يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصي وغيرهما والطريقة الثانية في التعريب طريقة حنين بن اسحق والجوهري وغيرهما واقل ما في الاولى من الجهد ان بعض الالفاظ ليس لها ما يرادفها في لغة ثانية واقل ما في الثانية من الراحة انها لا تقيد الكاتب بالالفاظ ٠ قال الصفدي وهذا الطريق اي الثاني اجود ولهذا لم تحتج كتب حنين بن سحق الى تهذيب الا في العلوم الرياضية لانه لم يكن قيماً بها بخلاف كتب الطب والمنطق والطبيعي والالهي فان الذي عربه منها لم يحتج الى اصلاح ٠

ولقد رأيت معربات كثيرة ومترجمات نقل بعضها قديما عن السريانية والرومية والفارسية والهندية والنبطية واللاتينية وحديثاً عن الانكليزية والافرنسية والالمانية والتركية والروسية فاستنتجت منها ان بني لغتنا يستفيدون من التعريب بالمعنى والتحصيل اكثر من النقل بالحرف ٠ وانتفع الناس بما لخصه الحكيم ابن رشد

من كتب فلاسفة اليونان اكثر من انتفاعهم من الاصل وقد اعتمد الافرنج نقله ولم يحاولوا تطبيق ما لخصه على الاصل حتى بعد ان ظفروا بالكتب المنقول عنها بحسب ما انتهى اليه علمنا · ولا يفي معاني هذين الطريقتين في النقل من ان يكون ضليعاً من العلم الذي يكتب فيه آخذاً بقياد اللغة المنقول عنها واليها ·

وكلما تباينت آداب امة عن اخرى وانفسح ما بينهما مجال الاختلاف في العادات والاجتماع صعب نقل شيء من لغة الى لغة ثانية · والفرق بين لغة شرقية ولغة غربية اكثر من الفرق بين لغتين شرقيتين او لغتين غربيتين لما في تحكك المتجاورين من المجانسة في الافكار والمناحي · وعندي انه لا غنية للناقل من لغة اوروبية عن التلخيص مهما حاول ان يطبق مفاصل اللغة الغربية على لغته فان للغربية اصطلاحات قلما توافق ذوق لغتنا ولهم معان لا يفهمها الا من عرف اولئك الاقوام وتاريخهم ومجتمعهم · وهذا غير ميسور لكل الناس ·

وبعد فقد ضعف القائمون بامر الكتابة والتعريب ودامت الامة العربية زهاء خمسة قرون وقد انقطعت منها الترجمة والنقل بانقطاع العلوم وضعف اهل العربية وارتقت اللغات الاخرى ونمت الفاظها العلمية ومعانيها المدنية حتى ادت الحال بالكاتب العربي اليوم اذا اراد وصف منضدة عمله وردهة مجلسه وما يقع نظره عليه كل حين من انواع الآنية والماعون وكليات الامور وجزئياتها ان لا يجد في حافظته من الالفاظ ما يسد هذه الثلمة اللهم الا كليات الفاظ لا تتعدى الاغراض اليومية الشائعة من المؤاكلة والمعاشرة حتى بين ابعد الناس عن مذاهب الحضارة وماذلك لقصر اللغة عن بلوغ هذه الغاية ففيها لو تصفحنا ما انتهى الينا من كتب القوم مادة تكفينا ولو بعض الكفاية دون ان نلجأ في التعريب الى اللفظ العامي او المبتذل او الاعجمي اما الالفاظ العلمية فالاحرى بنا ان نحتها او ننقلها على اصلها

اذا لم تخالف الاوضاع العربية او نجد لها ما ينطبق عليها من اللغة ولو ببعض تكلف كما فعل المترجمون في القديم

فسر ابن جلجل الاندلسي اسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس العين زربى وكان ترجم ببغداد في ايام جعفر المتوكل ترجمه اصطفن بن بسيل من اليوناني الى العربي وتصفح ذلك حنين بن اسحق فصحح الترجمة واجازها فما علم اصطفن من تلك الاسماء اليونانية في وقته له اسماً في اللسان العربي فسره بالعربية وما لم يعلم له اسماً تركه على اسمه اليوناني « اتكالاً منه على ان يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره باللسان العربي اذ التسمية لا تكون بالتواطيء من اهل كل بلد على اعيان الادوية بما رأوا ان يسموا ذلك اما باشتقاق واما بغير ذلك من تواطئهم على التسمية» وبقي الكتاب على الترجمة البغدادية بالاندلس الى ايام الناصر عبدالرحمن بن محمد فكاتبه ارمانيوس ملك القسطنطينية وهاداه بهدايا «منها كتاب ديسقوريدس مصور الحشائش بالتصوير الرومي العجيب وكان الكتاب مكتوبا بالاغريقي الذي هو اليوناني وبعث معه كتاب هروسيس (؟ هيرودتس) صاحب القصص وهو تاريخ للروم عجيب فيه اخبار الدهور وقصص الملوك الاول وفوائد عظيمة » .

ثم بعث ملك الروم براهب اسمه نقولا فوصل الى قرطبة سنة ٣٤٠ وكان بها جماعة من الاطباء يبحثون عن تصحيح اسماء عقاقير الكتاب وتعيين اشخاصه «فانشأوا يبحثون عنها بحيث زال الشك فيها عن القلوب واوجب المعرفة بها بالوقوف على اشخاصها وتصحيح النطق باسمائها بلا تصحيف الا القليل منها الذي لا بال به ولا خطر له وذلك يكون في مثل عشرة ادوية »

هكذا عربوا الالفاظ الطبية بالاندلس وهكذا كان تعريب غيرها من

المصطلحات اليونانية وغيرها في بغداد وهكذا يجري علماء الانكليز في ضم ما يحدث من الالفاظ العلميـة الى لغتهم كلما ست الحاجة الى ذلك وكل الفرنسيس وضع الكلمات اللازمة الى مجمعهم العلمي · ولو ان نفراً من اهل الاخصاء في اللغة العربية عنوا كل على حدته بايجاد بعض الفاظ لتناولتها اقلام الكتاب ولسرت على الالسن وانتشرت في الكتب والاوراق ويبقى منها الانسب بطبيعة الزمن وينسى مالاغناء فيه · فقد وضع بعض ارباب الجرائد والمجلات الفاظا لبعض المستحدثات العصرية فكادت تكون كالالفاظ المألوفة لنا ولو وفقنا الى تكثير سوادها اذاً لسهلت الترجمة والتعريب على من تمحضوا لها ووقفوا نفوسهم على اغناء لغتنا بكنوز عظيمة مباحة لمن يحسن تناولها وفيها قيام جامعتنا وكفاء نهضتنا

صفحة تاريخية في سورية

انقضى من الخليقة الى الطوفان ٢٢٤٣ سنة حسب الترجمة السبعينية و١٦٥٦ سنة حسب النسخة العبرانية · واقدم مؤرخ يلم بتاريخ الجنس البشري في هذه المدة الطويلة هو موسى الكليم · ولم يذكر موسى مكانة البشر من الحضارة والعمران في تلك الحقبة التي كانت بين الخليقة والطوفان · فقد دون موسى الخمسة الفصول الاولى من سفر التكوين - احد اسفاره الخمسة - وهي لا تبحث الا عن الخليقة وعن آدم وحواء وعن قايين وهابيل وعن الآباء العشرة وعن كثرة شرور الانسان التي ادت الى الطوفان

ولد الانسان الاول - آدم - في ما بين النهرين او في ارمينية على ما يرجح علماء هذا العصر وعاش ٩٣٠ سنة · وولد شيث لسنة ١٣٠ لآدم حسب النسخة العبرانية وعاش ٩١٢ · وولد انوش سنة ٢٣٥ وعاش ٩٦٥ · وولد قينان سنة ٣٢٥

وعاش ٩١٠ · وولد مهللئيل سنة ٣٩٥ وعاش ٨٩٥ سنة · وولد يارد سنة ٤٦٠ وعاش ٩٦٢ سنة · وولد اخنوخ سنة ٦٢٢ وعاش ٣٦٥ سنة · وولد متوشالح سنة ٦٨٧ وعاش ٩٦٩ سنة · وولد لامك سنة ٨٧٤ وعاش ٧٧٧ سنة · وولد نوح سنة ١٠٥٦ وعاش ٩٥٠ سنة

هؤلاء هم الآباء الاولون العشرة من الخليقة الى الطوفان · ولم يذكر موسى عنهم سوى سني حياتهم وان لامك كان اول من تزوج اكثر من امرأة وان ابنه يابال كان اباً لساكني الخيام ورعاة المواشي وان اخاه يوبال كان اباً لكل ضارب بالعود والمزمار وان توبال قايين كان الضارب كل آلة من نحاس وحديد · قال ابن الاثير المتوفى سنة ١٢٣٣ م ان مهللئيل كان اول من استخرج المعادن وشاد الابنية في العالم · وقال غيره من مؤرخي العرب كابن خلدون المتوفى سنة ١٤٠٥ م وكابي الفدا المتوفى سنة ١٣٣١ ان الاب الثالث انوش كان اول من اوجد المحاكم واوصى بالاحسان بين البشر

اما ماوجده المتأخرون محفوراً على القبور والصخور وجدران الابنية من الخطوط (١) المصرية المعروفة بالهروغليفية والخطوط المسمارية (٢) فكان بعد الطوفان

---

(١) تقسم الخطوط المصرية الى ثلاثة اقسام الاول الهروغليفية وكانت لتدوين الآثار · والثاني الهارانكية وكانت لعامة الامة · والثالث الذاموتيكية وكانت للمسائل المصرية الرسمية والمهام العلمية · اكتشف معرفة قراءة هذه الخطوط يوحنا فرنسيس شامبوليون الفرنسي المتوفى سنة ١٨٣٢ للميلاد

(٢) الخطوط المسمارية سميت مسمارية لكون شكل حروفها كالمسمار وكانت تستعمل باللغة الفارسية واللغة المادية واللغة الاشورية وتدل الخطوط المسمارية والخطوط المصرية على فتوحات وحروب واسماء ملوك وقواد وتاريخ انتصاراتهم وعدد مواقعهم وغير ذلك مما افاد العلم والتاريخ فوائد لا تقدر · ولم تكتشف الخطوط الفارسية والمادية والاشورية الا

لا مشاحة في ان سورية كانت مأهولة بولد آدم قبل الطوفان · والحجة على ذلك لا الظنون التي جعلها بعضهم حقائق ودونت في بطون الاوراق ولا الاوهام والتقاليد التي تناقلها الخلف عن السلف وجعلها بعض الباحثين ذات اهمية كبرى هي ان سورية متاخمة لما بين النهرين والفاصل بين البلادين سهول واسعة ومروج خصيبة وان تلك المدة الطويلة التي كانت بين الخليقة والطوفان تستدعي تفرق بني آدم في القطر السوري

ولد لنوح جد الاسرة البشرية بعد الطوفان سام وحام ويافث فاقام الاول او نسله في آسيا · واقام الثاني او نسله في افريقية · واقام الثالث او نسله في اوروبا ولقد كثر نسل نوح بعد الطوفان فظهر الآراميون في دمشق والجيدور والجولان والبقاع وحمص ولبنان والبترون وجبيل وبيروت · ثم توطن سورية بعض قبائل الجبابرة واقام العمونيون في البلاد التي لا تزال معروفة بهم والموآبيون في بلاد موآب والاسماعيليون في العربية الصخرية وما جاورها والادوميون في بلاد ادوم والفينيقيون في صور وصيدا وجبيل · وتفرعت من هذه القبائل فروع كثيرة في قرون مختلفة · اما الحثيون فكانت بلادهم شمالي سورية

افتتح سزوستريس المصري فينيقية نحو سنة ١٥٠٠ ق · م وتغلب بنو اسرائيل (١) على ارض كنعان نحو سنة ١٤٥٠ ق · م وقال بعض الباحثين لا بل سنة

بعد ان اكتشف الخطوط المصرية بسنين عديدة · ولقد اكتشف معرفة قراءة بعض الخطوط المسمارية العالم كروتفاند الالماني سنة ١٨٠٤ واكتشف كل من العالمين اوجان ورنوف الفرنسي ولاسان الالماني غير الحروف التي اكتشفها كروتفاند · وذلك سنة ١٨٣٢ للميلاد ثم اكتشف الخطوط المسمارية برمتها وعرف رموزها وحل الغازها كل من العالم هينك الايرلندي سنة ١٨٤٦ والعالم اوبر الباريسي سنة ١٨٤٧ · هذا بعد ان جهل البشر معرفة قراءة الخطوط المسمارية والخطوط المصرية قرونًا طوالا

(١) مات موسى واقام بعده يشوع بن نون · وبعد ان دوّخ يشوع جنوبي سورية

١٥٤٠ ثم استحوذ على قسم من سورية تجلت فلاصر الاول سنة ١١٢٠ ق · م ثم افتتح الاشوريون فينيقية عام ٧٥٦ ق · م وتغلب بختنصر الثاني ملك بابل على كل سورية سنة ٦٠٠ ق·م ودخل الاسكندر الكبير (١) الى سورية سنة ٣٣٣ ق · م وحاصر صور في شباط « فبراير » وافتتحها في آب « اغسطس » سنة ٢٣٢ ق · م · ثم افتتح صيدا وجبيل و بيروت والسامرة والجليل وغزة وسواها وملك البلاد التي اكتسحها عشر سنوات ثم انقسمت مملكته بعد وفاته بين قواده كما سيجيء · ثم استولى السلوقيون (٢) على شمالي سورية سنة ٣١١ ق · م وكانت هذه البلاد قبل ذلك العهد بقرون تحت حكم الحثيين

بجروبه قسمها بين شعبه وكان يشوع اول قاض لبني اسرائيل · وبعد وفاته قام بعده ١٣ قاضياً وكانت مدة القضاة نحو ٤٨٠ سنة · اما ملوك بني اسرائيل فكان عددهم من شاول الى حزقيا ٤٥ ملكاً وبلغت مدة حكمهم ٥١٤ سنة · واما انقراض ملك بني اسرائيل من سورية فكان سنة ٥٨٩ ق · م وجملة سني ملك بني اسرائيل في سورية نحو ٩٩٤ سنة

(١) ولد الاسكندر المكدوني في ٢٩ تموز (يوليو) سنة ٢٥٦ وتوفي في ٢٦ نيسان (ابريل) سنة ٣٢٣ ق · م · وتولى ارسطو الفيلسوف اليوناني تعليمه العلوم وكان الاسكندر الفاتح نابغة في ذكائه وشهامته كما كان فريداً في الفتح والانتصار واكتساح الديار بعد الديار وقد رقي الملك الاسكندر منصة الملك سنة ٣٢٦ ق · م وقد توفي والده الملك فيلبوس وكان عمره عشرين سنه وهو على حداثة سنه من الطبقة الاولى في الحنكة والدهاء والسياسة ووصفه المؤرخون بالعدل والفضل والعفة

(٢) دعاهم المؤرخون السلوقيين نسبة الى سلقوس احد قواد الاسكندر وكان هذا القائد رئيساً على الفرسان المتحدين في عهد الملك الاسكندر · وبعد وفاته وانقسام مملكته كان نصيب القائد سلقوس شمالي سورية وما بين النهرين وما في شرقيهما الى حدود الهند · وقد قتل سلقوس سنة ٢٨٠ ق · م غدراً بينا كان ذاهباً الى مكدونية وطنه لدفع الذل عن مواطنيه · قتله بتلمايس وهو من قواد الاسكندر ايضاً وكان نصيبه من مملكة الاسكندر اليهودية وفينيقية وعكا ومصر · اما سنو الملك سلقوس فكانت ٣١ سنة · وقد وصفه المؤرخون بكرم الاخلاق وحب الخير والعدل

هذه اشهر القبائل والدول التي استولت على سورية منذ عهد نوح الى بدء حكم قياصرة الرومان فيها فاذا اطلعنا على تاريخ فينيقية الفينا انه كان لكل مدينة من مدنها ملك وان الفينيقيين رجال البحار وقادة الاسفار وزعماء التجارة والصناعة واهل العلوم في ايامهم لم يكن تعدد ملوكهم على بقعتهم الصغيرة الا دليلاً على انقسامهم

وما يقال في امة البحار ذلك العهد يقال في بني اسرائيل · فقد كان تاريخ هذه الامة المختارة في مدة نحو ٩٩٤ سنة عبارة عن مشاغبات وانقسامات في عهد القضاة وفي عهد الملوك · وكانت الاخطار والصعاب محيطة بهم من شعوب سورية المعروفة في ايامهم

وهكذا قل في سائر الامم السورية التي عاصرت الاسرائيليين في عهد قضاتهم وملوكهم · فحروب تلك الشعوب القديمة وغزواتها المتواصلة وحروبها الماحقة كانت برهاناً قاطعاً على انفصام عرى الجامعة السورية اذ ذاك · وقد دام حكم ملوك الاشوريين في سورية نحو ١٥٠ سنة لم يتمتع السوريون في اثنائها براحة ولم يصف لهم كأس الهناء بل كانت تلك المدة الطويلة سلسلة متاعب وحلقات مصاعب ولدت الشقاء والذل والهوان

اما الاثنان والثلاثون ملكاً من اليونانيين فقد حكموا سورية نحو ٢٦٩ سنة وكان تاريخ سورية في ايامهم مملوءاً باخبار الانقسام الذي حصل بعد وفاة الاسكندر وبالحروب الظالمة التي جرت في عهدهم وبالمطامع اليونانية التي ظهرت بكل مظهرها

والملك سلقوس هو الذي ابتنى انطاكية واقام فيها هو وخلفاؤه السلوقيون. وقد سميت انطاكية عاصمة المشرق لا في عهد ملوك السلوقيين فقط بل في عهد قياصرة الرومانيين ودعيت انطاكية نسبة لاسم والد سلقوس او ابنه فكان اسم كل منهما انطوكيوس · ولا تزال آثار السلوقيين بادية في سورية في انحاء كثيرة منها · وهي تدل على ما كان عليه اليونان من الحضارة والعمران

وحينئذ وكانت من اشد الويلات واشأم النكبات على الامة السورية

***

اختلف المؤرخون من العرب والفرنجة في تعيين السنة التي استولى فيها الرومان على سورية اختلافهم في غيرها من المسائل التاريخية ولا سيما العريقة في القدم . فقال بعضهم ان بدء حكم الرومان في سورية كان سنة ٦٤ ق . م وقال غيرهم انه كان سنة ٦٥ ق . م ومهما يكن الاختلاف عندار باب البحث والتنقيب من اهل العلم والسير فقد كان استيلاء الرومان على سورية في سنة ٦٤ ق.م او في السنة التي بعدها

بلغت مدة حكم الرومان في سورية سبعمائة وسنتين . وكانت ستمائة وثاني وثلاثين سنة من اغسطس قيصر الى هرقل . وكان بمبايوس افتتحها بنحو ٦٤ سنة قبل ان تولاها اغسطس قيصر . ولقد بدأ حكم الرومان في القطر السوري وبدأ معه النزاع والشقاق والخصام والاستبداد والانانية . فقد كان الخصام سائداً بين افراد عائلة هيرودس الملك المشهور بالاوصاف الشريرة . وذلك من اول عهد استيلاء الرومان على سورية الى اوائل القرن الاول للميلاد . فقتل هيرودس ارسطوبولس من أسرة المكابيين ثم قتل مريما زوجته واسكندره امها وابنة اسكندره وارسطوبولس المتقدم الذكر وحارب العرب وكانت البلاد متضعضعة في ايامه

ومن يطالع تاريخ عائلة الهيرودسيين ولا يرميها بالظلم والعار والشنار ؟ ومن يعلم ان هيرودس الملك قتل جميع الصبيان في بيت لحم وكل تخومها من ابن سنتين فما دون ولا يقول ان هذا شقيق لنيرون الظالم الشهير في الشر والمجازر الهائلة التي لا يزال صداها يرن في مشارق الارض ومغاربها

ومن الحوادث التي جرت في القرن الاول للميلاد في سورية اختلاف

ارشيلاوس خليفة هيرودس مع اليهود في اليهودية احدى اقسام الارض المقدسة وقتله منهم في يوم واحد ثلاثة آلاف رجل وحدوث انشقاقات كثيرة وتحزبات متنوعة بين الاهلين وهياج الشعب وقتل كثيرين من اليهود ونهب هيكل اورشليم واحراق الرومان روافه · ولم يقتصر النزاع في ذلك العهد على اليهود بل كان له نصيب كبير مع اليهود والمجاورين لهم من الامم

وفي ١٦ ايار « مايو » سنة ٦٦ للميلاد اضرم فلورس الوالي الروماني نيران الحرب مع اليهود ما كثر من السلب والنهب في اورشليم وقتل يومئذ ثلاثة آلاف وستمائة نفس وصلب عدداً من وجوه اليهود · ثم تغلب اليهود في اورشليم على الرومانيين وفتكوا بكثير منهم وتمكنوا من اخراجهم من المدينة في ١٧ ايلول «سبتمبر» سنة ٦٦ للميلاد · ولما اتصلت بالسوريين اخبار قتل اليهود جنود الرومان يومئذ قاموا بايعاز من ولاة الرومانيين على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم في كل مدينة ينكلون بالامة اليهودية فقتلوا منها في بيسان ١٣ الفاً وفي عسقلان الفين وفي عكا الفين وفي قيصرية ثمانية آلاف وار بعمائة نفس · ولقد جرى في كثير من مدن سورية وبلدانها نفس ما جرى في اورشليم فاشتد الخصام وكثر القتل والسلب وقل الامان في ذلك الاوان

ثم انقسم اليهود اقساماً في عهد ولاية يوسيفوس اليهودي على الجليل وهو المؤرخ الشهير المولود سنة ٣٧ ق · م · وبداعي احزاب اليهود الثلاثة وكثرة الاختلاف بينهم احرقوا كثيراً من مؤونتهم في اورشليم اذ كان الرومان يحاصرونها وفي عيد الفصح سنه ٧٠ للميلاد حاصر طيطوس الروماني اورشليم وبعد ان اذاق اليهود داخل المدينة — اورشليم — انواع العذاب والجوع والاضطهاد الواناً فتح الرومان المدينة في ١٠ آب « اغسطس » سنة ٧٠ للميلاد · ولقد احرق الرومان

اورشليم اذ ذاك ودمروا مدن اليهود وجعلوها خراباً يباباً وسبوا اليهود واعملوا السيف في رقابهم · وكانت سورية في ذلك العهد قائمة قاعدة من كثرة الانقسامات والفظائع التي جرت في ديارها التعسة · فقاسى السوريون في ذلك العهد الوان العذاب من اجل النفوس الطاهرة التي ذهبت فريسة الانانية والاستبداد والاعتساف والحيف والخصام والشقاق

وفي القرن الثاني حارب اليوس ادريانوس الحاكم الروماني في سورية يومئذ الشعب اليهودي وابتنى على انقاض هيكل اورشليم العظيم هيكلا لعبادة الاوثان وكان ذلك سنة ١٢٨ للميلاد · وفي تموز (يوليو) سنة ١٣٢ اعاد اليهود اضرام نيران الثورة فكانت النتيجة ان لينيوس روفوس والي اليهودية اعمل الحسام في اعناق رجالهم ونسائهم واولادهم · ولما كانت قوات لينيوس روفوس وقواده وجنوده قد زادت من اليهود عتواً وتهيجا وتهيجاً وافى اليهودية حاكم آخر من حكام الرومانيين وقتل من اليهود ٥٨٠ الفاً واحرق ودمر نحو ٩٠٠ قرية واخرب كثيراً من الحصون واسر كثيرين من اليهود وسباهم واسرهم الى رومية · وفي هذا القرن اضطهد الرومانيون المسيحيين في كل انحاء سورية وحمل البرثيون على الرومان وتغلبوا عليهم في اول الامر ثم عادوا على اعقابهم خاسرين · وعند خاتمة هذا القرن حدثت حرب شديدة بين اليهود والسامريين · وفي القرن الثالث حارب سابور ملك الفرس الرومان وتغلب على سورية سنة ٢٦٢ للميلاد ثم تغلب عليه التدمريون بهمة اذينة وارجعوه الى بلاده · وفي القرن الرابع اشتدّ الاضطهاد على المسيحيين في سورية وكثر الظلم والجور في تلك البلاد وذلك بفضل غلوس اخي قسطنطين ملك المشرق وفضل هذا الملك العاتي نفسه وكان ذلك سنة ٣٥١ للميلاد · وفي سنة ٣٦٣ للميلاد توالى الاضطهاد على النصارى في سورية وكثرت المظالم بين

جميع امم القطر حتى ان يوليانوس الروماني الحاكم يومئذ كان عازماً على التنكيل بجميع المسيحيين في مملكته لو لم تختطف المنون انفاسه في ٢٧ حزيران « يونيو » سنة ٣٦٣ للميلاد اذ كان يحارب الفرس في بلادهم

وفي القرن الخامس حدثت حرب في سورية بين الملك الاسود احد ملوك الحيرة وبني غسان احد ملوك الشام الذين كانوا تحت امرة القياصرة الرومانيين ونشبت حرب ثانية بين ابن ملوية وملوك غسان . وفي القرن السادس حدث ان كسرى ملك الفرس حمل على سورية في ايام يوستيانس الملك الروماني وحدثت ثورة السامريين وخرب كثير من مدن سورية بالزلازل الهائلة . وفي القرن السابع اضرم اليهود نيران الثورة ايضاً وذاق الرومانيون واليهود والسوريون بسببها متاعب كثيرة وحمل الفرس في هذا القرن لمحاربة اليونان

***

استولى العرب الفاتحون على سورية سنة ٦٣٤ ب . م وفي سنة ١٠٩٥ حمل الصليبيون (١) على سورية فبلغوها سنة ١٠٩٨ ففتحوا اورشليم سنة ١٠٩٩ وعكا سنة ١١٠٤ وطرابلس وجبيل وبيروت سنة ١١١٠ وصيدا سنة ١١١١ وعسقلان سنة ١١٥٤ وصور سنة ١١٢٥ ويافا سنة ١١٩٢ وحاصروا دمشق سنة ١١٤٨

(١) تضايق النصارى مضايقة شديدة في اورشليم وسورية في عهد الفاتحين المسلمين فاتصلت انباء هذا الاضطهاد بملوك النصارى في اوربا من طريق كومننانس ملك الروم الذي حصره العرب اذ ذاك في القسطنطينية عاصمة ملكه بعد ان انتزعوا اكثر املاكه في المشرق ومن طريق السائح بطرس الذي زار الاراضي المقدسة واطلع على الاضطهاد الذي كان يناله النصارى من المسلمين في ذلك العهد . وتلقى من البطريرك سمعان في اورشليم في ذلك الحين رسائل مهمة بعث بها الى ملوك النصارى في اوربا يذكر الاضطهاد في سورية ولا سيما في اورشليم فجاء رومية وقدم رسالة الى البابا اوربانوس الثاني . ثم جاء ايطاليا ففرنسا ورفع الرسائل طوّاً الى من يهمهم الامر . ولما اطلع ملوك اوربا واحبارها ورؤساء اديانها

فلم يتغلبوا عليها . وبعد سبع حملات للصليبيين على سورية وقعت في الثلاثة قرون الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر طردهم منها صلاح الدين الايوبي (١) في اواخر القرن الثاني عشر ثم طردهم ملوك الجراكسة في الربع الثالث من القرن الثالث عشر وغزا الخوارزمية (٢) سورية سنة ١٢٤١ للميلاد ونكلوا بسكان عدة مدن منها واذاقوهم المتاعب اشكالاً والويلات الواناً وحذا حذو الخوارزمية التتر (٣) فغزوا سورية سنة ١٢٦٠ واعملوا السيف بالسوريين وعملوا ما عمله الخوارزمية قبلهم . وسنة ١٥١٧ استولى على القطر السوري السلطان سليم ولم تبرح سورية الى يومنا هذا تحت حكم سلاطيننا العظام

اوماها نبراسكا (الولايات المتحدة)　　　　يوسف جرجس زخم

على تلك الرسائل وتحققوا المشقات والصعوبات التي اذاقها المسلمون للنصارى حينئذ هبت الغيرة الدينية في رؤوس ملوك الغرب وجيشوا الجيوش وعينوا القواد وهيأوا المؤونة الحربية وحملوا تلك الحملة المشهورة ١٠٩٥ للميلاد فاكتسحوا اكثر مدن سورية . على انهم ردوا اخيراً على اعقابهم خاسرين . ودعوا الصليبيين لانهم دافعوا عن امة الصليب ولان الصليب كان شعارهم

(١) ولد صلاح الدين الايوبي سنة ١١٣٨ للميلاد وكانت وفاته سنة ١١٩٤ م في دمشق ومدفنه لا يزال مشهوداً ومشهوراً الى هذا اليوم ويزوره الملوك والعظام والقواد والعلماء والكتاب من كل حدب وصوب . وكانت مدة ملك صلاح الدين الايوبي نحو ١٩ سنة في سورية ونحو ٢٤ سنة في مصر وقد بدأت دولة الايوبيين في سورية ومصر سنة ١١٧٣ وانقرضت سنة ١٢٥٥ للميلاد فكانت كل مدة دولتهم في ذينك القطرين نحو ٩٠ عاماً . وخلفت دولة الايوبيين دولة المماليك الجراكسة . قال المؤرخون العرب والافرنج ان اصل هؤلاء المماليك من قوقاف من الجركس وان كان اول ملوكهم الظاهر برقوق

(٢) اصل الخوارزمية من التتر وكان ملوكهم يدعون خوارزمشاه ومعناها الملك خوارزم

(٣) منشأ التتر تركستان الصينية وتركستان الروسية

كلية المستنصر بالله

جئت في اوائل هذا الرمضان الى كلية المستنصر بالله القائمة في الضفة الشرقية من دجلة زائرا لها بعد مضي سبعة قرون على بنائها فالفيت بابها الشرقي الشمالي الكبير مسدودا فدخلتها من باب مفتوح اليها حديثا من الجانب الجنوبي المتصل بدجلة افضى بي الى ساحة وسيعة طولها سبعون مترا تقريبا في عرض اقل من نصف ذلك قليلا قد سقفت ادارة الجمرك التي امتلكتها مقدار ثلثيها بحُصُر مرفوعة على عمد من خشب وقاية لما تحطه فيها ابتغاء رسومه من رُزَم الامتعة التجارية المجلوبة من اوربا والهند ومشيت في خط اعوج بين تلول وكثبان من الرزم والحمول وضجيج الحمالين يكاد يُصم اذني فقلت في قلبي هذا بدل من اصوات الاساتذة الذين كانوا يلقون الدروس العالية في هذه الكلية على مسامع الوف من طلاب العلم. وطفت حول الساحة واسراب الدجاج السارحة هناك تتطاير فارة من امامي . وسرحت طرفي فيما يحيط بها من البناء الضخم ذي الطبقتين المشيد بالآجر وارتفاعه مع ما دفن منه الى اليوم في الارض خمسة عشر مترا تقريبا فوجدت كثيرا من الغرف مسدودا ابوابها وغالب الابنية واقعا في طرفي الساحة طولا فان هناك عددا من المنتديات والقاعات الفسيحة ذا طبقة واحدة يساوي ارتفاعها ذات الطبقتين كانت في قديم عمرانها مختصة بالدرس العام والبحث والمذاكرة تخرب بعضها اليوم والمّ به البلى وفصل مدخل كثير منها عن الساحة الاصلية الكبرى اما بسد بابها القديم او ببنائه وحُوّل القسم الاكبر الى ادارة الجمرك وبعضها من الطرف الغربي الى ادارة النهر السنية وانبار للفحم المختص بالوابورات السلطانية وبعضها الى ملاهي « قهوات » وبعضها الى مخازن للامتعة وحوانيت.

خرجت من الساحة ودخلت من الطرف الجنوبي الى ناد منها عظيم طوله خمسون مترا في عرض سبعة عشر تقريبا هو بعض ماذكرت ان مدخله فصل عن الساحة الاصلية فالفيته كذلك مستودعا للرزم التجارية . وفي الجانب الغربي الجنوبي وما يقابله من الجانب الشرقي الشمالي نظير ذلك الا انه اقل طولا وعرضا اما الذي في الجانب الشرقي الشمالي فهو اليوم ملك لبعض اغنياء اليهود وقد كتب له قضاة المسلمين حججا شرعية بذلك وسلمته ادارة « الطابو » اوراقا رسمية بملكيته فحول « الى مغازات » جسيمة

اما القسم الفوقي من المدرسة فكثير من غرفه متداع بادي التشقوق مائل الجوانب خاضع لحكم الدهر المبدل لعزها القديم بالهوان فتألم قلبي لمشاهدة ذلك و[illegible] دموعي اسفا عليه. وسألت احد الحمالين ان يدلني على السلم الذي يفضي اليه فاجاب ان السلالم منهدمة

ولا طريق الى الصعود الا ما كان في اعلى الجانب الغربي الجنوبي فانه تحفظ فيه الحمول الخفيفة المجلوبة من الخارج . فانصرفت وقلبي يكاد يتفطر مثل جدرانه حزنًا على ما شاهدت من خراب هذه المدرسة التي كانت في سالف عهدها ملجأً كريمًا للعلم وكعبة يطوف بها طالبو الحكمة ودار الفخر للامة العربية .

وطفت بها من الخارج وقست بخطواتي طولها فوجدته ١٢٠ مترا في عرض ستين تقريبًا هذا اذا لم نحسب الحمام الجسيم الذي هو في الجنوب الشرقي منها وقد الحق بالجمرك حديثًا وكذلك الجامع الذي هو في الشمال الغربي منها وقد فصلته اليوم عنها سوق تفضي الى الجسر فاذا اضفنا ذلك والمظنون انهما كانا في القديم ملحقين بها زادت جسامة هذا البناء الفخيم .

اما النظامية فلا يرى لها اليوم اثر في بغداد والذي يشاهد من قاعدة المنارة غير مختص بها فيما اعتقد اذ لا يناسب ثخنه ما نسمعه عن فخامة ذلك البناء بل هو فيما اظن بقية جامع صغير قد بني على انقاض تلك واندرس . ثم عدت الى داري فنظمت قصيدتي هذه :

وقفت على « المستنصرية » باكيًا ... ربوعًا بها للعلم امست خواليا
وقفت بها ابكي قديم حياتها ... وابكي بها الحسنى وابكي المعاليا
وقفت بها ابكي بشعري بُناتها ... وانعي سجاياهم وانعي المساعيا
بكيت بها عهدًا مضى في عراصها ... كريمًا فليت العهد لم يكُ ماضيا
بكيت بها المدفون في حُجراتها ... من العلم حتى بلّ دمعي ردائيا
اكفكف بالايدي بوادرَ ادمعي ... ويأبين الاّ ان يُفضن جواريا
وطأطأت رأسي في ذراها تواضعًا ... وحييتُ بالتسليم منها المغانيا
وسرّحتُ انظاري بها فوجدتها ... بناءً لتشييد المعارف عاليا
بناءً فخيمًا عزّ للعلم مثله ... فقلت كذا فليبنِ من كان بانيا
والفيتُ قسمًا قد تداعى جداره ... وقسمًا على ما كان من قبل باقيا
تهبّ رياحُ الصيف في حجراتها ... فتلبسها ثوبًا من النقع هابيا
وتسعى على الجدران منها عناكب ... تُجدّ لها فيما تداعى مبانيا
فالممتُ فيها بالرسوم دوارسًا ... وساءلتُ منهنّ الطلول بواليا
وقلتُ لدار البحث عُظّمتِ محفلًا ... وقلت لنادي الدرس حييتَ ناديا
أكلية العلم الذي كان روضه ... نضيرًا كما شاء التقدمُ ناميا
بأية ريحٍ فيكِ هبت زعازعٍ ... تصوّح ذاك الروض فاجتثّ زاويا
لقد كنتِ فيما قد مضى دارَ حكمةٍ ... بها الناسُ بعلم الحقائقَ ماهيا

فكنتِ بافق الشرق شمساً مضيئةً   تشعين نوراً للمعارف زاهيا
وكانت بلاد الغرب اذ ذاك في عمىً   تقاسي من الجهل الكثيف الدياجيا
فاين رجالٌ فيكِ كانوا مشائخاً   اليهم يحثّ الطالبون النواجيا
وكانوا بحاراً للعلوم عميقةً   وكانوا جبالاً للعلوم رواسيا
وكانوا مصابيحَ الهدى ونجومها   بهم يهتدي من كان في الليل ساريا
يميتون في نشر العلوم نهارهم   ويحيون في حل العويص اللياليا
نواحيكِ من طلابها اليوم اقفرت   وكانوا الوفا يملأون النواحيا
فقالت وقاك الله لا تسألنني   فمالك نفع في السؤال ولا ليا
فقلت اجيبيني كما كنتِ سابقاً   تجيبينَ من قد جاء للعلم راجيا
فقالت المّت حادثاتٌ عظيمةٌ   وجرّت على هذي البلاد دواهيا
هنالك استبد الدهرُ بالناس مبدلا   فرفّع مخفوضاً وسفّل عاليا
هنالكَ اضمحلت دولةٌ عربيةٌ   بها كانت الايام ترفع شانيا
وعُوّضَ عنها دولةٌ ثم دولةٌ   تسرُّ بكون الجهل في الناس فاشيا
وذاك لان العلم للمرء مرشدٌ   يُعلمه عن حقه ان يحاميا
عرت نكباتُ الدهر بغداد بعدما   بها رَدَحاً القى السلامُ المراسيا
فاذهب ما للعلم من رونق الصبا   تتابع احداث يشبن النواصيا
وادنى الذي قد نابها من نوائب   خرابي ولولاها لما كان دانيا
فكابدتُ منهن الصروف نوازلاً   وقاسيتُ منهن الخطوبَ عواديا
وابدى على عزي القديم اهانتي   رجال لشخص العلم كانوا اعاديا
وأُهملتُ حتى انهدّ مني كما ترى   مبان لنشر العلم عزّت مبانيا
وصرت على حكم الذين تحرزوا   من العلم يا هذا الى ما ترانيا
فقد ذوي الغصن الذي كان ناضراً   وقد عطل الجيد الذي كان حاليا
اضاعت قرون بي هي اليوم قد خلت   فسل ان تشأ عني القرون الخواليا
وكنتُ ارجي ان تعود عمارتي   اذا بعث الرحمن للعلم راعيا
فأملتُ عمراً ذلك العودَ باطلاً   وعشتُ له دهراً أُمني الامانيا
أُرجى بها اني الاقي شبيبتي   فايقنت هذا اليوم ان لا تلاقيا
لقد نقض الايام بانجم مرتي   ومرّ الليالي يتبعن اللياليا
ورنق عدوان الزمان معيشتي   فمن لي بان القى الزمان مصافيا

ومزّقني الباغونَ هل يمزق ولا احدٌ عن فعل ذلك ناهيا
فقد صيروا للمجيم بعضي مخزنًا وبعضي حوانيتًا وبعضي ملاهيا
وحطت بساحاتي ابتغاء رسومها بضائع للتجار تشقي الاهاليا
ولاقيت منهم كل خسف وجفوة فما ذا عسى من بعد ذا ان الاقيا
أغل فلا أُسقى من الماء شربة ودجلةُ تجري بالخير اماميا
فياليتني كنتُ امحوتُ باجمعي ولا كان في حالي كذا الذل باديا
كما انه اختي «النظامية» امحت ولم يبقِ من آثارها الدهر باقيا
وكلُّ جديد سوف يرجع للبلى اذا لم يكن منه له الله واقيا

بغداد ص

العالمون والعاملون

اطلعت في المقتبس على ترجمتكم للاستاذ جول سيمون الفرنساوي من فلاسفة هذا القرن فاعجبني تشبيهكم اياه ببعض رجال السياسة في الاسلام ممن جمعوا بين العلم والعمل او ممن ترقوا الى الوزارة من طريق القلم . وقد ذكرتم من هذه الطبقة طائفة صالحة مثل ابن سينا والصاحب بن عباد والقاضي الفاضل ولسان الدين بن الخطيب وغيرهم ولو استقصيتم لذكرتم في هذه الجملة ابن الاثير وابن العميد بالمشرق وابن خلدون وابا بكر بن عمار وابن زمرك في المغرب وكثيرًا من الرؤساء واذا وصل الدور الى زماننا هذا فجودت باشا واحمد وفيق باشا بل كوجك سعيد باشا الذي تولى رئاسة الوزراء مرارًا وهو من مخرجي صناعة القلم بل من مخرجي كتابة الجرائد السيارة . ولو شاء مترجم لافراد هذه الطبقة بالترجمة لملأت تراجمها المجلدات الكبار من القديم والحديث وهي طبقة تمتاز على غيرها بكونها جمعت بين الادارة والعلم وقرنت بين الحِكَم والحُكم وان سياستها في الاغلب مبنية على قواعد العلم مستنيرة بضياء الحكمة ومن سعادة العمران ان يكون الحاكم حكيمًا . ولا اريد بذلك تعطيل فضيلة من لم يعرج الى المناصب العالية من طرق الاقلام فان لهم فضائلهم وان ادارة الرجال مواهب والعلم علمان غريزي ومكتسب وقد يغني المكتسب عن الغريزي في هذه الامور لان الادارة ترجع الى العمل والتجربة اكثر مما ترجع الى العلم والحفظ كما انه ليس كل من درس وتعلم وركض طرف القلم صالحًا لان يتولى سياسة الملك وادارة الجمهور ويخوض غمرات إنشا كل لما ذكرنا من كون الادارة موهبة فطرية تزداد بالتجربة وتزكو بالعمل وان كل امرئ ميسّرٌ لما خُلق له .

على انه لو تبارى العالم العامل المجرّب والعامل المجرب بدون علم في مضمار ادارة لكان اولهما هو السابق وكان مذهبه هو الاسلم لانه يضمّ الى نور عقله نتائج قرائح الناس و يبني في عمله على اساس و يضيف الى منطقه المخلوق معه المنطق المدوّن الذي حفظه عن الكتب فيجمع بين موهبتي النفس والدرس و ينظم بين حاشيتي المطبوع والمسموع فيكون طريقه آمن من الخطر واقرب الى الهدى و يبقى مكانه في صدور الناس أهيب من مكان المجرب بدون علم ولا استاذ. وشأن هذين الصنفين احدهما مع الآخر شأن الطبيب القانوني حائز الشهادة مع المجرب الذي اختبر بعض المسائل بنفسه فربما كان المجرب انفع علاجاً من القانوني ولكن لا يحمل ذلك على ثقة ولا يبعث على طمأنينة وتكون مهارته محصورة في الامور التي جربها بنفسه فقط و يبقى المتطبب على حذر من طبه وقد يلام من يسلم نفسه اليه ولو اصاب ولا يلام من سلم نفسه الى القانوني ولو اخطأ وهذا كله من مقتضى مقام العلم

كذلك خروج رجال السياسة من رواق طلبة الحكمة وصف حملة الاقلام في الاعم الاغلب اقرب الى السلامة من خروجهم من طبقة اخرى انحصر فضلها في التجارب الشخصية ولزم ان يخرج صاحبها خارق العادة في الذكاء و بيضة عصره ادراكاً ومضاء حتى يكون له من عقله مغن عن الدرس فان طبقة اهل النظر والعمل معاً هي التي جمعت نوراً على نور وضمّت بين وحي الصدور ووحي السطور

وان مملكة الصين التي فرطت الى حوض المدنية منذ الآف من السنين قد جعلت نظامها من القديم الترقي الى الادارة بمعراج الدرس وان اهم اوضاع مملكتهم هو الامتحان وهو عندهم درجات كلما اجتاز منه الدارس عقبة اعترضته اخرى حتى يجتازها كلها و يكون نيله من مناصب الدولة على قدر مضائه في الامتحان ومن كان عندهم اعلى حكمة كان اعلى حكماً

وانما سلكت حكومات اوربا في تعليم رجال الادارة على اثرهم وان كانت طريقة هذا التعليم في اوربا قد تهذبت وترقت وصارت اقرب الى الفائدة . فان الاوربيين قد جعلوا العلوم فروعاً وافناناً ورشحوا لكل فن منها طلاباً ليكونوا اقوم عليها من غيرهم وارسخ فيها من سواهم ومع هذا فلا تزال ترى لرجال القلم المزية الكبرى على غيرهم لان العلم بلا قلم اشبه بطائر احصّ الجناح صاحبه عاجز عن الرقي وان القلم في كف العالم هو اداة التقدم وجناح النجاح ولهذا تجد اكثر رجال السياسة والادارة في اوربا ولا سيما في فرنسا هم من حملة الاقلام وكتاب الصحف ورقاة المنابر و يندر ان يوجد فيهم نابغة او رجل مشهور الا وقد سبق له كتابة او موازرة في احدى الجرائد وذلك ان ثمرات العلم لا تعرف الا على اسلات الاقلام فمن ظهرت له بينهم آثار فائقة انتخبوه للندوة ثم ان امتاز فيها بين الاقران رفعوه الى الوزارة

طمعاً في افادة البلاد من معارفه اذ كان العلم على الغالب هاتفاً بالعمل والنظر طريقاً الى الاثر

اما جول سيمون مترجمكم في الشهر الماضي فقد عرفته في باريز سنة ١٨٩٢ وكان ساكناً في ساحة « المادلين » وقد ذرّف على الثمانين وهو يكتب ويحبر ويؤازر في جملة جرائد وكلماته تشترى بالذهب وكم حبر اغلى من تبر والى الآن لا انسى لذة فصوله القصار في جريدة « الطان » فان كتابته آية في الطلاوة والرقة ومثال في سلامة الذوق وسداد الحكم ولقد كانت الحكمة تنفجر من خلال كلماته وقد يعيد القارئ مطالعة كتاباته المرة على المرة ولا يملها من العذوبة والادب والعلم والعقل وسبحان من خصّ من شاء بما شاء . وقد جرت بيني وبينه مباحثات ومراسلات هي عندي من انفس ذخائر حياتي وكنت اناقشه على بعض اقوال له تتعلق بشريعتنا فاذا اوضحت له الوجه فيها اذعن الى الحق ولم يكبر ذلك عليه شأن كل عالم كبير لان العلم اذا خالط النفس صار هو ضالتها وطرد من جواره كل دعوى وصفت تلك النفس لقبول الحقائق وجدير بالبلاد التي يسوس امورها علماؤها العاملون ان ترقى اعراف الفلاح لان من اعظم اسباب السعادة ان يكون الفيلسوف والياً او الوالي فيلسوفاً

بيروت　　　　　　　　　　　　شكيب ارسلان

الخَلَنْجُ وَالخَلَنْجُ

(١ـ تمهيد) طالع بعض القراء الاماثل من البغاددة ما جاء في المقتبس عن فوائد ورق النبات الذي ذكر هناك (ص ٤٢١) باسم الاريقي . وسألوني هل له اسم في العربية وما هو وهل ذكره شعراء العرب في شعرهم وما هذا النبات وطلبوا مني ان اعرفه تعريفاً مطولاً كافياً شافياً على ما جاء به العرب سابقاً والافرنج في عهدنا هذا فلبيت طلبهم بكتابة السطور التالية

(٢ـ تعريف الخلنج على ما نطق به العرب) اسم الاريقي بالعربية هو الخلنج . اما الاريقي فكلمة يونانية قال ابن البيطار في تعريفه : قال ابو عبيد البكري : هذا الاسم يقع عندنا بالاندلس على الشجرة التي يصنع من اصلها فحم الحدادين ويسمى باليونانية اريقي (وبالاصل المطبوع ارثقي وهو من غلط الطبع) لها اغصان طوال مقدار قامة الانسان ذات هدب اصغر من هدب الطرفاء بين اللدونة والخشونة وزهره صغير الى الحمرة وفيها غبرة وهي لطيفة في شكل المحجمة في جوفها شعيرات من لونها في رأس كل شعيرة حبة هينة لطيفة الطف من حب الخردل فرفيرية اللون قد فرعها واحدة حتى خرجت في وسطها

من كام الزهرة (قلت انا: وهذا النوع يسمى بالفرنساوية bruyère en arbre او bruyère arborescente

ومنه صنف آخر ابيض النوّر الاّ انه الطف من نوّر الاول مقداراً والشكل واحد . اه (زدت انا : وهذا الذي يصح ان نطلق عليه اسم الخلينج مصغر خلنج تمييزاً له عن الخلنج الاول و يقابله باليونانية لفظة موريقي وهو الذي يطلق عليه بالفرنسية اسم bruyère بدون تقييد و بلسان النبات erica او erice)

وقال في تعريفه داود الحكيم في تذكرته : خلنج شجر بين صفرة وحمرة يكون باطراف الهند والصين و رقه كالطرفاء وزهره احمر واصفر وابيض وحبه كالخردل . اه وقال المجد الفيروز ابادي : الخلنج كسمند : شجر معرب . و زاد في التاج: شجر فارمي معرب (خلنك) يتخذ من خشبه الاواني . اه

واما صاحب دائرة المعارف فانه من بعد ان اورد كلام داود الحكيم من تحديد ووصف قال : « وقد ذكروا (اي العرب) انه يصنع من خشبه قصاع » قال الشاعر :

يطعم الشهد في الجفان و يسقي   لبن البخت في قصاع الخلنج

وهذا يدل على انه شجر كبير . وقولهم يكون باطراف الهند والصين يدل على انه غير الذي اصطلح على تسميته مؤخراً بهذا الاسم لانه معروف في غربي آسيا وفي اوربا كثيراً انه شجيرات او نجوم » اه كلامه

قلنا ان ابن منظور عند ذكره البيت الآنف ايراده قال : ... وقيل هو كل جفنة وصحفة وآنية صنعت من خشب ذي طرائق واساريع موشاة » اه . قلنا : وحينئذ يسقط اعتراض الدائرة على ان كلامها صادق اذا كان عن الخلينج لاعن الخلنج لانني رأيت في بلاد الهند ما يمكن ان يخرط من سوقه انواع الآنية بدون ادنى مانع . لان هذا النبات يكون انجماً وشجيرات تكاد تكون اشجاراً ويبلغ جنسها ٤٠٠ نوع وموطن اغلبها افريقية وليس منها في اوربا الا عشرون وفي آسيا الغربية ثلاثة او اربعة وفي الهند والصين وفارس نوعان فقط منها الخلنج الكبير .

(٣ تعريف الخلنج على ما ذكره العلماء المحدثون وانواعه) هو جنس اصلي لفصيلة الخلنجية اي انها انبتة ثنائية الفلقة وحيدة اهداب التويج ذكورها سفلية الاندغام . واغلب نباتاتها شجيرات ونجوم جميلة المنظر واهدابها (وهي اوراقها) متعاقبة في الاغلب ويندر كونها متقابلة او احاطية وهي بسيطة خالية من الاذينات ونوّرها مختلف واجناسها اربعة اشهرها الجنس الاساسي ثم الاندروميدة ثم الاربوتس فالرودندرون . الخ . واما اثمارها

فتكون في خشل كثيرة البزر ·

واغلب منابت الخلنج الارضون الرملية ومن خاصيته النبتية انه يزيد تراب الارض التي يجيء فيها و يعلي خصبها و يجعل ذلك التراب من احسن الاتربة لخفته وقوته ولذلك يعرف بالتراب الخلنجي

اما اختلاف انواعهِ فيأْتي في العموم من هيئته الخارجية ونظام انواره والوانه التي لا تقف عند حدّ · الا ان جميع هذه الانواع تعرف بدوام خضرة اهدابها وطول بقاءازهارها وخلانج افريقية هي اجمل وابهى وازهى هذه الانواع واشدها رغبة للناس وتطلبًا لها منهم الا انها الطف قوامًا وبقاء وهي تتكاثر بالبزر او العكيس

(حاشية · العكيس بلسان النباتيين : القضيب من الحبلة يعكس تحت الارض الى موضع آخر وقد يطلق على كل قضيب يعكس ولو لم يكن من قضبان الحبلة · قلت وهو المعروف في بعض البلاد بالدرخة عند العوام و بالفرنساوية marcotte او التغريز (حاشية : التغريز عند علماء النبات ما يحوَّل من فسيل النخل وغيره « قال القنيبيّ : وَسُمي بذلك لانه يحوَّل من موضع الى موضع فيغرز » قلت وهو المعروف في بعض البلاد بالقلم عند العوامّ · وعند الفرنسيس بكلمة bouture)

اما اشهر الانواع المعروفة في هذه البلاد الشرقية فهو الخلنج الارمد و يعرف بلسان علماء النبات باسم erica cinerea وينبت بكثرة في الحراج ولوفرة ازهاره فهو ينشر بين خضرة تلك الدكادك والالوية اعلامًا وردية ضاربة الى البنفسجية وهو الذي قال عنه ابن البيطار ان النحل تعمل من زهرتها عسلاً ليس بمحمود · — والخلنج الصادق وهو رأْس النوع المسمى بالكلونة ومشهور بتوَيجهِ المشقوق · — وخلنج المكانس وهو الذي تُتخذ من اغصانه الناعمة المكانس والمنافض الخشنة (المنافض جمع منفض او منفضة وهي المسماة بالفرشاة او الفرشة عند البعض brosse) والمكانس الاسلامبولية والشامية تسوى من هذا النوع · وفي عدة بلاد تُتخذ تلك الاغصان مع الجذور خشبًا للوقود وفحمهُ من احسن الفحم

ومن انواعه الاجنبية الخلنج ذو الازهار الكبيرة وهو يكثر في بلاد الراس من افريقية و يبلغ علوه مترًا ونصف متر ونوره احمر برتقالي او احمر سقلاطوني · ومن تلك الانواع الخلنج القاروري وتكون ازهارهُ على هيئة قوارير ولونها على بياض موَّطرة بحمرة

(٤ً خواصهُ الطبية) قال داود الحكيم : هو حار يابس في الثانية قد جرّب دهنهُ لازالة الاعياء والضربان والنقرس عن برد · ونشارته اذا غسل بها البدن فعلت ذلك ومثقال من بزرهِ بالعسل يحفظ القلب من السم والاكل في اوانيه ينفع الخفقان · اه وقال ابن البيطار:

اذا تفمد بزهرتها او ورقها ابرأت نهش الهوام. وقال جالينوس في ٦ وقوة هذا النبات قابضة محللة لا لذع معها واكثر ما يستعمل منه ورده وورقه فقط. وقال الشريف: زهره له قوة حارة يابسة في الثانية واذا جمع زهره ووضع في الدهن وشمس ثلاثة اسابيع ودهن به نفع من الاعياء ومن اوجاع المفاصل ومن النقرس البارد السبب. اه. وفي دائرة المعارف: اشتهر بتفتيت الحصا وشفاء القولنجات واستعمل منقوع ازهاره في شفاء القوباء وقيل اذا تكمد بالازهار نفعت من النقرس. وقد تستعمل في الحمامات البخارية كذلك وقيل ايضاً انها تنفع من حمى الربع اه

(٥ وروده في اشعار العرب) جاء في الاغاني ١٧:١٦٧ قال الزبير: حدثني عمي مصعب ان عبيد الله بن قيس كان عند عبد الملك فاقبل غلمان له معهم عساس خلنج فيها لبن البخت فقال عبد الملك: يا ابن قيس اين هذا من عساس مصعب التي تقول فيها:

ملكٌ يطعمُ الطعامَ وَيسقي لبنَ البُختِ في عِساسِ الخلنجِ

فقال لا. اين يا امير المؤمنين لو طرحت عساسك هذه في عس من عساس مصعب لوسعها وتغلغلت في جوفه فضحك عبد الملك. ثم قال: قاتلك الله يا ابن قيس فانك تأبى الا كرماً ووفاء اه.

قلتُ وقد اختلفت الروايات في ايراد البيت المذكور في الاغاني هذه الرواية. وفي دائرة المعارف الرواية التي ذكرناها في صدر هذه المقالة. وكذلك جاء في محيط المحيط. واما رواية التاج فهي:

تلبس الجيش بالجيوش وتسقي لبن البخت في عساس الخلنج

واليك الآن رواية اللسان:

يلبس الجيش بالجيوش ويسقي لبن البخت في عساس الخلنج

وفي مادة ب خ ت من التاج:

ان يعش مصعب فانا بخير قد اتانا من عيشنا ما نرَجّي
يهب الالف والخيول ويسقي لبن البخت في قصاع الخلنج

وممن ذكر الخلنج من الشعراء هميان ابن قحافة. فقد قال:

حتى اذا ما قضت الحوائجا وملأَت حلاَّبها الخلاَنجا
منها وثموا الأوْطبَ النواشجا (عن اللسان)

فهذا بحث علمي ادبي لغوي طبي من قديم وحديث عساه يكون كافياً للطالب والله الموفق الى السداد

بغداد احد قراء المقتبس

الضبط L'AMBIDEXTÉRITÉ

جاء في تاج العروس ان الاضبط هو الذي يعمل بيديه جميعًا ويقال ضبط الرجل بالكسر يضبط وهي ضبطاء . وفي الحديث سئل النبي (ص) عن الاضبط فقال الذي يعمل بيساره كما يعمل بيمينه وكذلك كل عامل يعمل بيديه جميعًا وهو الذي يقال له اعسر يسر فان عمل بالشمال خاصة فهو اعسر بين العسر وهي عسراء وقد عسرت بالفتح عسرًا بالتحريك ويقال رجل اعسر وامرأة عسراء اذا كانت قوتهما في اشملها ويعمل كل واحد منهما بشماله ما يعمله غيره بيمينه . ويقال للمرأة عسراء يسرة اذا كانت تعمل بيديها جميعًا ولا يقال اعسر ايسر ولا عسراء يسراء للانثى وعلى هذا كلام العرب . والعسران جمع اعسر يقال ليس شيء اشد رميًا من الاعسر ومنه حديث الزهري كان يدعم على عسرائه العسراء تأنيث الاعسر اليد العسراء ويحتمل انه كان اعسر . وبعد فقد قرأنا في مجلة الطبيعة فصلاً تحت هذا العنوان فآثرنا تحصيله قالت: أُنشئت في لندرا منذ مدة جمعية لنشر عادة العسر واليسر يقضي على اعضائها ان يدعوا الاولاد والبالغين الى استعمال كلتا اليدين يعلمونهم ذلك بالمثال ويدربونهم عليه بالقدوة والعادة . ونحن لا نعلم لِمَ لا ينتفع باليد اليمنى كالانتفاع باليد اليسرى على حد سواء على حين ليس هناك عائق يعوق عن ذلك فترى الرجل او المرأة في عدة صنائع يستعملان باختيارهما احدى اليدين من دون مشقة . وترى الضاربين بالارغن يحذقون الضرب باليمنى واليسرى على غرار واحد . وان كانت اليمنى تترجم عن الجزء المبهم من انغام هذه الآلة . وضارب الكمنجة يمر اصابع يده اليسرى على درجة من السرعة لا تصدق فيمسك الآلة باليسرى ويستعمل قوس الكمنجة باليمنى

ويتوصل من يستعملون آلة الداكتيلوغراف (١) ان يضعوا على مصفهم حروفًا باليدين متى مهروا في عملهم . ويقال مثل ذلك في صنائع واعمال اخرى تكون فيها اليد اليسرى بالضرورة اقدر على العمل من اليد اليمنى وينتفع بكلتيهما معًا على حد سواء

الناس في الغالب اياسر بمعنى انك تجد في المئة اعسرين او ثلاثة عسران وتجد ٩٧ او ٩٨ ايسر وتكاد تجد فيهم الاضبط على الندر . واستعمال اليمنى قديم العهد جدًا ولا

---

(١) آلة ذات مفاتيح يجس فيها الصم والبكم او العمي الذين يكلمون الصم البكم اشارت الكلام او آلة يمكن الكتابة عليها بتحريك اصابع اليدين على مفاتيح تدل على حروف وارقام . اخترعها ميل الانكليزي (١٧١٤) ولم يعتم الاميركان ان تعاوروها بالاصلاح والتكميل وما زالت الى يومنا هذا كسائر الاختراعات تابعة لسنة الارتقاء والاتقان

يستعمل المرء كلتا يديه بالطبع بل قد سيق اليه بالتدريج ولبعض اسباب . وانا اذا فحصنا هياكل عظام القدماء نرى بالبحث فيها فروقاً في الطول والثخانة بين الذراعين واليدين مما يستدل منه على ان الناس كانوا في اوائل عهد الانسانية يستعملون الذراع اليمنى اكثر من اليسرى فزادت كثرة استعمالها في قوتها ومقاومتها للمصاعب ونمتها نمواً .

وسواء ورثنا عن اجدادنا او بالتطبع عادة استعمال اليمنى ايثاراً لها على اليسرى فان هذا الامر طبيعي . واذا سألت عن السبب الذي من اجله كان الانسان في اوائل العهد الاول ايسر فالجواب عليه انه نشأ على ذلك بحكم الوراثة فقد عرفت أُسرة كان ابوها اعسر ولم تكن الام كذلك وربما كانت تستعمل يسراها متابعة له فجاء ابنهما اعسر

ويرى السير جايمس ساويرا احد كبار دعاة الجمعية المشار اليها ان الانسان لا يستعمل كلتا يديه بفطرته وان استعمال اليمنى من القديم نشأ من عادة استعمال السلاح ونشأ في العهد الحديث من عادة الكتابة . ومن يعلم كيف كان الرجل الاول الذي رسم خطوطاً على الحجر او على ورق البردي باحدى يديه . ومن الواضح ان المرء بالتمرين توصل الى استعمال اليمنى كما يستعمل اليسرى . ومجذومو الذراع اليمنى من الادلة في هذا الباب . ولكن اذا نظر المرء الى الكتابة باليسرى يتجلى له بانه قريب من كتابة المرآة .

عرفت اضبط وكان جراحاً مشهوراً في باريز وهو الدكتور كوسكو كان يجري العمليات باليسرى واليمنى معاً ولا يهمه حال المريض من هذه الوجهة وهو على منضدة العملية . فيخرج بياضة العين (كتاراكت) بكلتا يديه على حد سواء من المهارة . وكان حاذقاً في جراحته حذقه في الموسيقى والنقش والرسم ومع هذا لم اره يكتب وصفة بيده اليسرى

وقد حاول الاستاذ مركيل الالماني ان يجلو هذا الاشكال ومن رأيه ان ليس في انتخاب احدى اليدين صدفة والا لكنت ترى عند بعض الشعوب جيوشاً من العسران بدلاً من الاياسر وليس هما غير العادة والتعليم اللذين جعلا عادة استعمال اليمنى وسلسلاها فينا حتى انتهت الينا على هذا النحو .

النهضة الاميركية

من مبحث في المجلة الجديدة الفرنسوية

بورتوريكو هي الجزيرة الرابعة من جزائر الارخبيل بمساحتها السطحية والاولى بكثرة السكان فان فيها ٨٥ ساكناً في كل كيلومتر مربع على حين لا يبلغ معدل السكان في سائر جزائر الارخبيل ١٨ نسمة في كل كيلومتر مربع (١) وهذه الجزيرة من الخصب والامراع بحيث يجود فيها السكر والتبغ والقهوة وتأتي بغلات وافرة . وهي على خلاف جزيرة كوبا التي لها طرق لا تسلكها الخطا ولا تهتدي اليها القطا . وتفقط بورتوريكو على قطري اسباب الحياة وهي من انموذجات الجزائر ومثال العمران في البلدان اذ لها كثير من الطرق المرصوفة الموصلة بين امهات مدنها كما تجمع السلسلة فرائد العقد

كل هذه الصفات في كوبا وما خصت به من المرافيء الامينة اللائقة لاجراء التمرينات البحرية قد اهابت بمطامع الاميركان ان يستولوا عليها و يطردوا منها الاسبانيين وحجتهم ان ثمانية اعشار مقايضات الجزيرة وتجارتها هي مع الولايات المتحدة . ولما غلبت اسبانيا سنة ١٨٩٨ كان من نتائج معاهدة باريز ان ضمنت للولايات المتحدة الاخذ بمخنق تلك الجزيرة الغناء ولم ينتطح عنزان في استيلائها عليها لانه لم يكن في سكانها من يطالب بالحرية والاستقلال بل قد انصرفوا جملة الى الاعمال الزراعية وتخلوا عما وراء ذلك من مطالب الحياة الاجتماعية فراحت الولايات المتحدة تنظمها بنظامها وتؤدبها بآدابها اكثر من تنظيم جزائر الفيلبين حيث كان سكان هذه يقاومون لنيل الاستقلال النوعي فتحول هذه المطالبة دون اجراء ما تريد اميركا عمله في هذه الجزر . وظهرت في كوبا قوة اميركا الاستعمارية وابداعها في طريقة الفتح والاغتناء وقد منحتها بعد شيئاً من الحكم حفظت فيه حقوقها فكانت كما قالت جريدة الطان الباريزية « اشبه بآثينة ايام معاهدتها البحرية الاولى في القرن الخامس او رومية بفتوحاتها — نواة من الحرية يحيط بها موكب من الرعايا والعبيد »

وسنة ١٩٠٣ ثار سكان برزخ باناما مطالبين بالاستقلال فان الثلاث والخمسين ثورة وفتنة ومذبحة التي حدثت في البلاد منذ سبع وخمسين سنة كانت دون تلك الثورة باهميتها في نظر العالم فساعدتها الولايات المتحدة في الانفصال عن كولمبيا . وقد عني رئيس الجمهورية بامر هذا الاستقلال ليتسنى لامته ان تشيد برزخاً يجمع بين البحرين المحيطين وتكون

---

(١) سكان بورتوريكو ثمانمئة الف وسكان كوبا مليون وخمسمائة وثلاثون الفاً .

فيه صاحبة النفوذ الاول فابانت الولايات المتحدة هذه المرة بانها تدوس الحق باقدامها اذا كان فيه اسقاط نفوذها. ومن التي رائد الطرف في احوال الولايات المتحدة في القرن الماضي لا يعتم ان يسجل بان هذه الحكومة سارت كل هذه المدة ولم تفشل لها راية ولم تسقط لها كلمة بل كانت بفضل المحافظة على مبدإ مونرو صاحبة الراية العليا والكلمة الفاصلة من الارجنتين الى البرازيل وشيلي ومن بيرو الى كولمبيا وفنزويلا ومن سان دومينيك الى المكسيك مارة بكوبا فتداخلت في شؤون تلك الحكومات كافة مباشرة او بالواسطة وارادتها على العمل بارادتها حتى ان يقال انه لم تطر ذبابة لم تشعر بها حكومة واشنطون في انحاء تلك القارة .

ولقد هدد المانيا القائد ديوي احد رجال الولايات المتحدة بالحرب لان بعض سفنها قامت بتمرينات في جزيرة مارغريتا على شاطىء فنزويلا سنة ١٩٠١ وكان املها ان تقيم لها فيها محطة للفحم وزاد في استياء الولايات المتحدة مهاجرة ربع مليون من الجنس التوتوني الجرماني الى جنوبي بلاد برازيل . وقد كادت الحرب تنتشب بين انكلترا واميركا على مسائل فنزويلا ثم انحل الاشكال صلحًا بعد ان توعد رجال اميركا انكلترا بانفصال كندا عن نفوذها اذا هي ظلت على عنادها كما سقطت اسبانيا وهي العدوة القديمة لاميركا من حالة مجدها واضطرت الى الاذعان للقوة. اما روسيا فتخلت عن آخر مالها في تلك القارة الاميركية لقاء بضعة ملايين من الدولارات وقد اقترح على فرنسا ان تتخلى عن جزائر المارتينيك والكوادولوب وتبيعها بيع الرضى لا بيع غبن. اما انكلترا والمانيا وايطاليا فقد عاد لهن بعض نفوذهن في فنزويلا. وهكذا تجد القارة الاميركية وفيها نحو عشرين امة صغيرة كلها طوع امر الولايات المتحدة . فقد كانت المكسيك ولا تزال تحمي بمبدإ مونرو واُخذت منها التكساس. وكندا مؤتلفة مع الاميركان وهؤلاء يركنون اليها . وبورتوريكو اضيفت اليهم وانتيل الدانيمرك وسان دومينيك كادا يباعان لها وكوبا اصبحت اميركية وباناما وكولمبيا وفنزويلا وكل اواسط اميركا لا تعمل الا بالروح التي تبعثها فيها دار ندوة واشنطون . وقد سكتت برازيل في مسألة آكر المهمة وشيلي والارجنتين وبيرو وجمهورية خط الاستواء يعترفن بمبداء مونرو على درجات مختلفة .

ولطالما ادى الحسد المتأصل بين برازيل والارجنتين وشيلي الى اهراق الدماء ولذلك كان بعضهم يقول ان النهضة الاميركية غير ثابتة الاساس والخطر محيق بها وان نتائج تلك النهضة مجهولة وان الحوادث اثبتت ان الولايات المتحدة لم تنظر في كل احوالها الا لمصلحتها الخاصة وان نهضتها قامت بالقوة والحرب ومع هذا فلا يخطر ببال ان اميركا تود ان تضم

اليها العالم الجديد برمته بل تريد المحافظة على الحالة الحاضرة عاملة في كل شؤونها بمبداء مونرو الشريف المبني على قاعدة فسيولوجية

ومن نتائج هذه النهضة ان رقيت الولايات المتحدة ارقى درجات العمران فكانت صادراتها سنة ١٨٧١ خمسمائة مليون فرنك فبلغت سنة ١٩٠٠ — ٢٣٠٠ مليون هذا مع ان جانباً كبيراً من غلاتها يصرف في البلاد. وكانت معاملها سنة ١٩٠٠ — ٤١٥ر٤٩٠ معملا تصنع ما قيمته ٦٥ مليارا من المصنوعات. وللولايات المتحدة المقام الاول بحاصلاتها الزراعية فانها بلغت خمسة عشر مليارا ونصف مليار من الفرنكات. وتحتاج اوربا مسانهة الى ٤٨٠ مليون هكتولتر من الحنطة تستغل اكثرها وتبقى محتاجة الى ١٣٤ مليون من الخارج تقدم اميركا منها من ٢٥ الى ٦٠ مليون هكتولتر بعد ان تقوم غلات البلاد بحاجات سكانها. وقد زاد عدد سكان المدن الكبرى على نسبة غريبة فكان سكان فرنسيسكو سنة ١٨٥٠ — ٨٠٠ر٣٤ فبلغوا في ايامنا ٠٠٠ر٣٥٠ وكان سكان بلتيمور ١٦٩ الفاً فصاروا ٦٢٥ الفاً وسكان فلادلفيا ٣٤٠ الفاً فبلغوا مليوناً وربع مليون. وزادت نفوس شيكاغو من ٩٦٣ر٢٩ الى ٠٠٠ر٨٠٠ر١

وكان لهذا الارتقاء الاقتصادي الذي لم يسمع بمثله يد كبرى لاصحاب المليارات من رجال الاموال والغنى الواسع في تلك البلاد ممن اوجدوا فيها ضرباً من ضروب الملك في الاعمال والاموال الا وهم قادة الاحتكار من التجار مثل كارنجي وفندر بلت ومورغان فكانوا ملوك الارض حقاً وقياصرة الناس بلا مراء من اجل هذا لما رحل مورغان الى جزيرة كوبا عنيت الحكومة بامر الطرق التي مر قطاره الخاص فيها عناية فائقة وقد قابله امبراطور المانيا احسن مقابلة وخافت بورصة مدينة نيويورك وازعجت لزكام دماغي طفيف اصابه عرضاً منذ بضع سنين.

ضاقت اميركا بما رحبت بهؤلاء الاغنياء فلم يجدوا لاموالهم مصارف في بلادهم حتى قام في افكارهم ان يبعثوا البعوث من مواليهم وخدامهم يلتمسون في عرض البحور والبرور مناهل يردونها وخزائن يوزعون فيها كنوز اموالهم. وانت ترى بهذا ان النهضة الاميركية كالنهضة الانكليزية قائمة على اساس اقتصادي مغموس بحب المصلحة حتى قال احدهم: ان سياسة التوسع الاميركيه ليست في الحقيقة الا مثالاً من امثلة الانانية المتوحشة التي تمليها المطامع والآمال المستحكمة في عقول شعب وجه جميع قواه الحية نحو تنمية الثروة والعروض المادية احسن تنمية والاخذ بضبع الراحة والتبسط في مناحي الرفاهية والسعادة

ومعلوم ان التجارة تابعة للعلم فحيثما خفق علم دولة تحسن تجارة ابنائها. والروح الاميركية معجونة بالكبرياء طامعة بالغلبة والاستيلاء مطبوعة على الحماسة والادلال بالقوة التي تنبهت

وسلكت مسلكها الطبيعي العادي بفضل مبدإ مونرو . قال الفيلسوف اميرسون الاميركاني ان الروح العامة حاضرة في كل شيء لا تعمل فيه الا للخير والحسن ويكفي ان يقوم كل منا على قدم الصدق بما خلق له حتى تسود الألفة في العالم. وقد اتخذ هذا الحكيم المرء صورة رمزية واكد عليه ان يعتقد بفكره ويثق بقوته ويعجب بنفسه . وهذه هي القاعدة المطردة التي انصبغ بها ابناء الاميركان وطبعوا نفوسهم عليها ؛ ولذا اصبح كل تغلب عند الاميركان جهاداً مقدساً كما كان قديماً عند المسلمين ونفذت النهضة في عظم الامة وجبل عليها لحمها .

زادت حركة الافكار في العالم اواخر القرن التاسع عشر فانشأت الامم تجتهد في اظهار ملكاتها وما انطوت عليه من الرغبات والآراء . ويقال انهم يحاذرن ارتباطاً هائلاً ينبغي لكل منها ان تتوقاه . فكانت نتيجة ذلك عند الامم القوية اتخاذ سياسة عدائية في توطيد السلطة ونشر الكلمة وهذا هو معنى النهضة التي تجد اثراً من آثارها في روسيا والمانيا وتراها على اشدها في انكلترا والولايات المتحدة اما الامم الضعيفة فكانت النتيجة عندها ان دافعت عن حوزتها بحد المرهفات ووقفت ابداً على رد الغارات والهجمات وهذه هي الوطنية . فايطاليا وفرنسا خصوصاً قد احستا بهذا النفوذ والمبداء الذي جمعت فيه الولايات المتحدة بين الهجوم والدفاع وعاشت في ظله طامحة ان تجمع في البيت الابيض (قصر رئيس جمهوريتها) زمام حكم العالم على نحو ما كانت رومية قديماً تجمع في قصر قياصرتها . هومبدأ مونرو القائل اميركا للاميركيين بل اميركا لسكان الشمال من اهلها فصح والامر على ماذكر ان نقول بعده « العالم للولايات المتحدة » كلمة رددتها صحفهم في الحرب الاسبانية منذ بضع سنين وجهروا بان نابوليون على ما اشتهر عنه من القوة والمضاء قد جبن عن اكتساح اميركا وادارة دفة مطامعه نحوها. ومن العبث ان يقال ان امة ولو كان زعيمها قيصراً او الاسكندر تفتح العالم اليوم بعد ان بلغ الثمانية او العشرة شعوب في الارض ما بلغوه من التمدن والتبسط في مناحي الارتقاء وان ينقسم العالم كما كان على عهد الرومانيين الى ولايات وقنصليات . ولو وقف الامر عند هذه الحال لكان الخطر على العالم قليلاً من النهضة الاميركية لكن الولايات المتحدة لا تفتأ عند مسيس الحاجة ان تطيل يد التعدي على خصيماتها من الامم وتستلب منها ما تريده من مرافيء ومراقب وقلاع ترصد بها طرق تجارة العالم . واخذها مانيلا هو اول خطوة في هذا السبيل الطويل .

اما فتحت انكلترا على هذا النحو جبل طارق ومالطة والسويس وكلكتا وملبورن ورأس الرجاء الصالح ؟ اما اميركا فتطمح الى ان تجعل لها مقاماً في شؤون سياسة العالم لاعتقادها بعلو كعبها وفضل تقدمها على نحو ما فعلت النمسا قديماً في اوربا وكما كان شأن فرنسا عندما

نجحت سياسة ريشيليو ومازارين . وبعد ان صرح الرئيس روزفلت عام ١٩٠٣ بان للولايات المتحدة حق التقدم الاقتصادي على البحر المحيط ومنه على العالم عاد يقول في السنة التالية من الخطاء ان يعتقد معتقد بان امته ظامئة الى الفتح والاستعمار فانه مامن أمة تخشى بأس الولايات المتحدة اذا حافظت على الراحة وقامت بوظائفها وابانت انها تحسن العمل في المواد السياسية والصناعية ولكن سوء الاستعمال البربري الدائم والضعف الناتج من التراخي في عامة صلات مجمع متمدن هو مما يؤدي الى تداخل امة متمدنة . قال هذا وهو الدليل على ما تكنه صدور تلك الامة من المرامي البعيدة . وتداخل اميركا في شؤون يهود رومانيا ونصارى ارمينية ويهود كيشنيف بحجة الانسانية اثر من آثار التجارب الاولى التي تريد القيام بها لتجس نبض العالم وتقدر مبلغ قوتها . وهذا تحين للفرص ماجرى مثله لالمانيا القديمة والنمسا واسبانيا وفرنسا ايام العزة والقوة .

جرت انكلترا على حرية المقايضة في التجارة فكان لها التقدم في اسواق التجارة في العالم اما فرنسا فقد مشت على طريقة التعريفتين في تقاضي المكوس والجمارك منذ سنة ١٨٩٢ وفي تلك السنة مشت المانيا على طريقة حماية التجارة على نسق اشد من نسق فرنسا وسنة ١٨٩٩ رفعت ايطاليا تعرفة جماركها وسنة ١٨٩٩ عملت اسبانيا كذلك وسنة ١٨٩٨ قامت بمثل ذلك نروج وروسيا وفعلت السويد مثل هذا الفعل سنة ١٨٩٢ والبلجيك سنة ١٩٠٠ وبرازيل والمكسيك وكندا سنة ١٨٩٧ والارجنتين واليابان سنة ١٨٩٩ والهند الانكليزية سنة ١٨٩٦ . وكذلك كان شأن انكلترا فانها اخفت مقاصدها من حماية تجارتها بحجة تقاضي رسوم اميرية من الجعة والخمور . اما الولايات المتحدة فانها تتطلب كسائر الشعوب بل اكثر من كل الشعوب امتداد سلطتها مع حماية تجارتها والحماية فيها ابدًا على امتنها بفضل مبداء مونرو حتى فاقت في هذه الطريقة امم العالم قاطبة «الباقي للآتي»

جوائز نوبل

يردَّد كل سنة اسم نوبل في الصحف ولعل كثيرًا من القراء لا يعرفون من هو وما هي جوائزه . فنوبل رجل اسوجي عظيم من اهل القرن الماضي خدم الانسانية في حياته وبعد مماته اجلّ خدمة يدوّنها له التاريخ ولم يكن من كبار العلماء ولكنه كان من كبار العاملين والمخترعين من ارباب الصنائع . هو الفرد نوبل الكيماوي ولد في استوكهلم عاصمة السويد سنة ١٨٣٣ ومات سنة ١٨٩٦ . ذهب مع والده وكان مهندسًا الى بلاد الروس لاقامة معمل للنسافات

في ثغر كرونستاد واشترك مع اخيه في استثمار مناجم البترول في باكو ولئن اخفق والده في الاولى فقد افلح اخوه في الثانية . ولكن الفرد لم يرقه هذا فعاد الى عاصمة بلاده يدرس الكيمياء فدرسها في ثلاث سنين . وقد حاول ادخال النيتروغليسرين في المواد المنفجرة فانفجر معمله كما انفجرت معامل اخرى عملت مثل عمله في المانيا واميركا حتى اذا ارتأت الحكومات ان تمنع استعمال هذه المادة وقع في نفسه سنة ١٨٦٧ ان يخفف من تأثيرها فمزجها بمادة اخرى السيليس امورف او الصوان المنتثر فتم له بذلك اختراع الديناميت وهي المادة المعروفة في نسف الصخور والمقالع وغيرها وحل الديناميت محل معظم المواد المنفجرة واستعيض به عن غيره في المناجم واملاء القذائف وغيرها ولم يلبث ان صار للديناميت نحو عشرين معملاً في بلاد اوربا واميركا الشمالية وله فيها اليوم مئات . واخترع الفرد نوبل البارود بلا دخان واقام له عدة معامل في اوربا وقام باعمال صناعية مهمة وابحاث عملية نفعت العلم والصناعة .

هذا هو نوبل ونشأته على وجه الايجاز ومن هنا جاءه المال ودرّت عليه اخلاف السعادة واذ كان سمحاً جواداً للغاية ولا سيما على مافيه انهاض شأن العلم العملي النافع دفع من ماله نصف ما اقتضى لحملة اندرى الرحالة الذي ذهب لاكتشاف القطب الشمالي . ولما حانت منيته اوصى بالقسم الاعظم من ثروته وقدرها خمسون مليون فرنك ان تجعل منها كل سنة خمس جوائز توزع على اهل العلم والصناعة وقدر كل جائزة ثلثمائة الف فرنك الثلاث الاولى لثلاثة رجال من اي الملل والنحل احداهما لمن يكتشف او يصلح اهم مسألة في الطبيعيات والثانية لمن يكتشف احسن اكتشاف في الكيمياء والثالثة لمن يوفق لاحسن عمل او اختراع في علم النفس او فن الطب والرابعة تعطى لمن يؤلف احسن كتاب في الآداب والخامسة لمن يعمل عملاً نافعاً لالقاء بذور الاخاء بين ابناء البشر من مثل تنقيص عدد الجيوش العاملة او فضها ان امكن او تأليف مؤتمرات للسلم . وقد عهد ان تتولى المجامع العلمية في بلاده توزيع الجوائز الاربع الاولى ووكل امر الخامسة لمجلس نواب السويد لانها سياسية اكثر منها علمية .

وقد نال هذه الجوائز حتى الآن كثيرون من رجال العلم والاختراع والآداب والسياسة من امم الغرب وكانت هذه السنة من حظ المسيو هنري مواسان الفرنسوي فانه نال جائزة الكيمياء لانه مخترع الافران الكهربائية المستعملة في تسييح المعادن . ونال جائزة الطبيعيات المستر جون طومسون الانكليزي المتوفر على درس الكهربائية التحليلية والحسابية والمكتشف لاسرار عظيمة فيها . ونال جائزة الطب كل من المسيو سانتياغو رامون الاسباني والمسيو كاميل كولجي الايطالي وهما من اعظم المشتغلين بالامراض العصبية وقد ظهرت لهما حقائق

كانت من قبل غير معروفة . ونال جائزة الآداب المسيو جاردوسي الايطالي المتفاني في خدمة امته من طريق التآليف الادبية والقصصية . ونال جائزة السلام المستر روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة لانه سعى فعقد الصلح بين الروس واليابانيين في السنة الماضية . فليتأمل اغنياؤنا ومن اعتادوا ان يوصوا بعد موتهم في عمل نوبل ولينظر علماؤنا ان صح ان يسموا علماء

امارة الافغان

نشر الدكتور هاميلتون طبيب امير الافغان سابقاً مقالة في مجلة المجلات الانكليزية وصف فيها حال هذه الامارة قال فيها : مركز افغانستان خطير من حيث علاقتها بالهند فهي في اواسط آسيا واقعة بين املاك انكلترا وروسيا يحدها من الشمال نهر الاكسوس وتركستان الروسية ومن الجنوب بلاد الهند ومن الغرب ايران ومن الشرق جبال البامير مستقلة في شؤونها استقلالاً تاماً وهي خمس ايالات كبرى كابل وهرات وقندهار وافغان تركستان وبادكشان ومقاطعتان وهما كفرستان وآخان وتبلغ مساحتها السطحية ثلثمائة الف ميل مربع وسكانها زهاء ستة ملايين نسمة ويختلف دخل حكومتها من مليون جنيه الى مليونين . وجيشها ايام السلم مائة وخمسون الفاً .

ولما شاع سنة ١٨٠٩ ان نابوليون الاول والامبراطور اسكندر الاول ازمعا ان يهاجما الهند بادرت انكلترا الى انفاذ سفير الى حاكم كابل فعقد محالفة مع حاكمها شاه شوجاه. ولما دفعت روسيا حكومة ايران سنة ١٨٢٦ الى الاستيلاء على هرات رأت بريطانيا ان الحكمة تقضي بتجديد المحالفة مع حاكم الافغان وكان اذ ذاك دوست محمد في دست الامارة وذلك لتكون الافغان حاجزاً في الشمال الغربي من الهند يحول دون المطامع الروسية واذ كان نفوذ روسيا يزداد استحكاماً في كابل انفصمت عرى تلك المحالفة فسيرت انكلترا حملة على كابل سنة ١٨٢٨ لتقليص ظل روسيا من تلك الحاضرة ودامت الحرب الافغانية الاولى من هذه السنة الى سنة ١٨٤٢ واحتلت كابل وقندهار واعاد الانكليز الى سرير الامارة شاه شوجاه ثم خلعوه ونصبوا دوست محمد وبعد ذلك انجلى الجيش الانكليزي

وفي سنة ١٨٥٥ عقدت محالفة بين بريطانيا وافغانستان وفرضت الاولى للثانية مليون روبية إتاوة سنوية وان تقيم لها سفيراً في كابل . وتوفي دوست محمد سنة ١٨٦٣ فحدث بين اخلافه فتن اهلية على الامارة دامت خمس سنين ثم تمت الغلبة لشير علي فبعثت انكلترا اليه

بالذخائر الحربية ولما طلب اليها ان تعترف لابنه عبد الله بولاية العهد ابت عليه ذلك فنادى به خليفته من بعده على الرغم منها واذ رأت انكلترا جفاء منه احتلت كويتا سنة ١٨٧٦ فلم يسعه الا ان يلجأ الى روسيا وبقي معاهدها ومشاكسًا لانكلترا

فسيرت عليه هذه حملة ثانية احتلت قندهار وهرب شير علي وقضى نحبه عقيب ذلك وتولى بعده يعقوب خان الامارة اربعة اشهر فحدثت الحرب الافغانية الثالثة سنة ١٨٧٩. وانتخب امراء القبائل الامير عبد الرحمن سنة ١٨٨٠ حاكمًا لافغان واشتغل لاول امره باطفاء الفتن الداخلية ثلاث سنين. ولما تفرغ لتنظيم الجيش امدته انكلترا بستين الف جنيه لتعزيز الحدود من جهة روسيا وبعشرين الف بندقية من الطرز الحديث وبكثير من المدافع والذخائر فتعهد لها بان يكون ابدًا وفقًا على كل خدمة تطلبها اليه

ثم اخذ ينظم الجيش على الطريقة الجديدة فزادت انكلترا اتاوته الى نحو مئة الف جنيه فأنشأ المعامل ودور الصناعة واخذ يصنع العدد ويحشد العدد وكان ينوي ان يجيش حين الحاجة مليون جندي . والتفت الى الادارة فنظمها ومع انه وضع القوانين الادارية وعمل بها لم يدخل تعديلا في قانون الجنايات ولم يبطل الفظائع التي يعامل بها الجناة وغيرهم من مثل وضع الجاني في فوهة المدفع واطلاقه عليه ووضع اللصوص او غيرهم في مكان عالٍ منعزل عن الناس حتى يموتوا صبرًا كما فعل الامير عبد الرحمن باحد الموظفين لما قال ان روسيا ستزحف على افغانستان فانفذه الامير الى جبل شاهق قائلاً ستمكث هناك ريثما يزحف الروس

وكاد يخشى من تكدير صفو العلائق بين الامير عبد الرحمن وحكومة انكلترا لولم يعاجله الموت فخلفه ابنه حبيب الله وكان تمرن في زمن والده على تولي الشؤون وحافظ على تقاليد ابيه ومنازعه السياسية مع الهند والاحتفاظ باستقلاله فارتأت ان تدفع اليه حكومة الهند المتأخر من الاتاوة وهي اربعمائة الف جنيه وان تهيىء له السبل لاستجلاب السلاح من الخارج ولانكلترا مطالب تريد الآن نيلها من الامير مثل انشاء خطوط حديدية واسلاك برقية تربط عاصمة الامارة الافغانية ببلاد الهند. اما الامير الحالي فلا يماثل والده في الذكاء ونفوذ البصيرة ومن اخلاقه انه رأى ذات يوم عقربًا في حذائه فامر حافظ ثيابه ان يلبسه لانه ضيق ليتسع فلبسه فلذعته العقرب فعاقبه بذلك على اهماله

ومن الاصلاحات التي اتاها الامير الحالي الغاء بعض الضرائب وتحسين طريقة الجباية وقد اذن للتجار ان يقترضوا من الحكومة مالاً ينتفعون به في متاجرهم بدلاً من ان يقترضوا من المرابين بربا فاحش. واذن لجميع رؤساء القبائل وكانوا نزحوا من البلاد خوفًا من ابيه ان يرجعوا الى بلادهم والف مجلسًا من اعاظم الموظفين وجمعية تبحث في القوانين الملكية اعضاؤها

ينتخبون من قواد الاسرة المالكة ومن الخانات نواب الامة ومن الموالي اي العلماء . وينظر الامير في امور الادارة والقضاء جميع ايام الاسبوع ويقضي الجمعة في العبادة والراحة والاحد في التفتيش . والسلطة في يد العلماء واكثر سكان البلاد من اهل السنة

صحف منسية

رأي الجاحظ في التعريب

قال بعض من ينصر الشعر ويحوطه ويحتج له ان الترجمان لا يؤدي ابداً ما قال الحكيم على خصائص معانيه وحقائق مذاهبه ودقائق اختصاراته وخفيات حدوده ولا يقدر ان يوفيها حقوقها ويؤدي الامانة فيها ويقوم بما يلزم الوكيل ويجب على المجرى وكيف يقدر على ادائها وتسليم معانيها والاخبار عنها على حقها وصدقها الا ان يكون في العلم بمعانيها واستعمال تصاريف الفاظها وتأويلات مخارجها مثل مؤلف الكتاب وواضعه . فمتى كان رحمه الله تعالى ابن البطريق وابن ناعمة وابو قرة وابن فهر وابن وهيلي وابن المقفع مثل ارسطاطاليس ومتى كان خالد مثل افلاطون ولا بد للترجمان من ان يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة وينبغي ان يكون اعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول اليها حتى يكون فيهما سواء وغاية . ومتى وجدناه ايضاً قد تكلم بلسانين علمنا انه قد ادخل الضيم عليهما لان كل واحدة من اللغتين تجذب الاخرى وتأخذ منها وتعترض عليها وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمعين فيه كتمكنه اذا انفرد بالواحدة وانما له قوة واحدة فان تكلم بلغة واحدة استفرغت تلك القوة عليها وكذلك ان تكلم باكثر من لغتين على حساب ذلك تكون الترجمة لجميع اللغات وكلما كان الباب من العلم اعسر واضيق والعلماء به اقل كان اشد على المترجم واجدر ان يخطيء فيه ولن تجد مترجماً يفي بواحد من هؤلاء العلماء هذا قولنا في كتب الهندسة والتنجيم والحساب واللحون فكيف لو كانت هذه الكتب كتب دين واخبار عن الله عزّ وجلّ . . . .

نصيحة الجاحظ للمؤلفين

ينبغي لمن كتب كتاباً ان لا يكتبه الا على ان الناس كلهم له اعداء وكلهم عالم بالامور وكلهم متفرغ له ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غفلاً ولا يرضى بالرأي الفطير فان لابتداء الكتاب فتنة وعجباً فاذا سكنت الطبيعة وهدأت الحركة وتراجعت الاخلاط وعادت

النفس وافرة اعاد النظر فيه فتوقف عند فصوله توقف من يكون وزن طبعه في السلامة انقص من وزن خوفه من العيب و ينفهم معنى قول الشاعر

ان الحديث تغرّ القوم خلوته حتى يلجّ بهم عيّ واكثار

و يقف عند قولهم في المثل كل مجر في الخلاء يسر فيخاف ان يعتريه ما اعترى من اجرى فرسه وحده اوخلا بعمله عند فقد خصومه واهل المنزلة من اهل صناعته ليعلم ان صاحب القلم يعتريه مايعتري المؤدب عند ضربه وعقابه فما اكثر من يعزم على خمسة اسواط فيضرب مائة لانه ابتدأ الضرب وهو ساكن الطباع فاراه السكون ان الصواب في الاقلال فلما ضرب تحرك دمه فاشاع فيه الحرارة فزاد في غضبه فاراه الغضب ان الرأي في الاكثار . وكذلك صاحب القلم فما اكثر من يبتدئ الكتاب وهو يريد مقدار سطرين و يكتب عشرة والحفظ مع الاقلال امكن وهو مع الاكثار ابعد

واعلم ان العاقل ان لم يكن بالمتتبع فكثيرا ما يعتريه من ولده ان يحسن في عينه منه المقبح في عين غيره فليعلم ان لفظه اقرب نسباً منه من ابنه وحركته امسّ به رحماً من ولده لان حركته شيء احدثه من نفسه و بداءته من عين جوهره فصلت ومن نفسه كانت وانما الولد كالمخطة يتمخطها والنخامة يقذفها . ولا سواء اخراجك من جزئك شيئاً لم يكن منك واظهارك حركة لم تكن حتى كانت منك . ولذلك تجد فتنة الرجل بشعره وفتنته بكلامه وكتبه فوق فتنته بجميع نعمته . وليس الكتاب الى شيء احوج منه الى افهام معانيه حتى لا يحتاج السامع لما فيه من الروية ويحتاج من اللفظ الى مقدار يرتفع به عن الفاظ السفلة والحشوة ويحطه من غريب الاعراب ووحشي الكلام وليس له ان يهذبه جداً و ينقحه و يصفيه و يروقه حتى لا ينطق الا بلب اللب و باللفظ الذي قد حذف فضوله وتعرّقه واسقط زوائده حتى عاد خالصاً لا شوب فيه فانه ان فعل ذلك لم يُفهم عنه الا بان يجدد لهم افهاماً مراراً وتكراراً لان الناس كلهم قد تعودوا المبسوط من الكلام وصارت افهامهم لا تزيد عن عاداتهم الا بان يعكس عليها و يؤخذ بها الا ترى ان كتاب المنطق الذي قد وسم بهذا الاسم لو قرأته على جميع خطباء الامصار و بلغاء الاعراب لما فهموا اكثره وفي كتاب اقليدس كلام يدور وهو عربي وقد صفي ولو سمعه بعض الخطباء لما فهمه ولا يمكن ان يفهمه من يريد تعليمه لانه يحتاج الى ان يكون قد عرف جهة الامر وتعود للفظ المنطقي الذي استخرج من جميع الكلام

التربية والتعليم

انتظام الاوقات

من مقالة للدكتور تولوز نشرت في « الجورنال »

مَن بورك له بساعات عمره لا يقضيها الا في النافع ولا يبارك له فيها الا اذا عرف قيمتها ولم يؤخر عمل اليوم للغد . فان التسويف والارجاء من الآفات التي تضيع فيها الاعمار سدى . وكم ارجأ ناس عملاً اقتضى عليهم ان يقوموا باعبائه لساعته فضاعت الشهور بل السنون ولم يتمكنوا من معاودته . ومن الفتيان الاغمار من يذهبون الى ان تمام الحرية الخلاص من كل قيد وسلطة ونزع كل ربقة من الرقبة يعدُّون ذلك غاية الغايات في السعادة وما اضمنُ الطرق لسعادة المرء ونجاحه الا ان يلزم نفسه قاعدة لا يتعداها في عمله مهما جاءت قاسية عليه بادي الرأي .

والتوقيت في المدارس وساعات الصفوف والدروس هو من احسن القواعد التي تنشيء التلميذ على حب النظام والا لرغب عما لا يحبه من الدروس الى ما يحبه وفي ذلك يضيع عليه فوائد من العلم . كلما تقدم الطالب في سني الدراسة قلت عنايته بتجديد معلوماته فيقل حفظه ويكثر فكره وبهذا ترى الطالب لا يستقر في ذهنه الا ما استظهره في سنيه الاولى من الكتاب او المدرسة الابتدائية . وسببه ما كان يقضى عليه مراعاته من التوقيت والتحديد ودوران اليد العليا فوق رأسه . ولكل صناعة قواعد خاصة بها . وهيهات ان تستقيم اعمال ادارة الا اذا روعيت فيها هذه القواعد كل المراعاة . فان احبَّ الناس المخازن الكبرى فذلك لان كل من فيها من المستخدمين يدققون في تعاطي وظائفهم . ولقد اجمع العالم على الاعتراف بان مشروعاً تجاريًا هو ارقى في شؤونه من ادارة عامة اذ يحاول القائمون باعباء ذاك المشروع ان يرضوا زُبنهم ما امكن ففي البيوت التجارية يجيبون على الرسائل يوم وصولها والبريد هو المهيمن على الرؤساء والموظفين . اما في الادارات فان الرسائل تطرح جانباً وتظل اياماً طويلة في قماطر الكتاب دون ان يجاب عليها ولا يسأل احدهم عنها مسئولية فعلية .

ولا يكفي اعتراف النفس بالواجب ليحسن المرء القيام به بل ان التصديق على عمل العامل ضروري في كل فرع من فروع الاعمال واذا تُرك العامل في اي شركة او ادارة كانت ولم تراقب اعماله بعمل في عشر سنين ما كانت الشركة تعمله في سنة . ومن اللازم اللازب تمشية القواعد على الكبار قبل الصغار والا ساءت الحال . و بحق ما يذهب اليه العقلاء من انه

يعدُّ من سيئات النظام الاجتماعي ان يعفى الكبراء من كل قيد و يرهق الصغار باثقال القيود والقواعد فلقد حدث عن ذلك كثير من الادواء الحاضرة

ومما يصاب به ضعاف القلوب والارادة ان يكونوا احرارًا في اعمالهم . ولقد عرفت موظفًا كان مثال الغيرة والمواظبة على العمل ايام كان في وظائف صغيرة فلما تدرج في المناصب وعدَّ في مصاف الرؤساء أُصيب بالانحلال في كل اعماله وصار يمشي مع هواه غير مراقب لامس واليوم حسابًا . ولعلَّ بعضهم يعترض على كلامي هذا و يقول ان هذا الموظف كان منحطًا في اخلاقه اما انا فلا أُجيب من يلومونه الا بانهم كانوا يسيرون كما سار لو صاروا الى مثل ما صار اليه . واني لارثي لحال من يقول ان منصبي حسن وعملي سهل وانا حر لا يراقبني مراقب فلا يد فوق يدي ولا ارادة تحول دون ارادتي اذ القائل ذلك هو حقًا عبد نفسه واهوائه ورذائله . ومما طوح بامبراطرة الرومان فافرطوا في الشهوات واسترسلوا في الموبقات انهم كانوا يتمتعون بسلطة كبرى ولو حرم نيرون الظالم ما كان حصل له من السلطة لعاش ولا جرم عيش الاشراف بلا دبدبة بعيدًا عن المفاسد والشرور .

واني لموقن بان القواعد التي تصدُّ من يعمل بها عن الوناء هي التي تسهل امامه عقبات الاشغال وتجعلها في عينه هينة لينة . ومتى يا هذا حتمت على نفسك ان تنام كل ليلة الساعة العاشرة تشعر من نفسك بعد اعتيادك ذلك بغاية الانبساط الحقيقي .

لا يتأَتى بلا قاعدة لاسرع الناس على العمل ان يقوم باسباب حياته على ماينبغي فيتعب ابدًا في تنكبه العمل الذي لا يروقه الى ما يروقه . من اجل هذا رأَينا العاملين من الناس يبطئون في الجواب على الرسائل الواردة اليهم و نرى بعضهم لا يتسع لهم الوقت للمطالعة اللازمة وآخرين لا يعبأُون بالامور الخارجية . وكل ذلك فيه مافيه من الاسباب المضرة في المجتمع . فالقاعدة النافعة هي التي تنادي العامل بها : هاقد آن وقت المراسلات . هاقد آن لك ان تكتسب معارف جديدة . ها قد حق عليك ان تزور اصحابك وتغشى خاصتك . وارى ان السير على مقياس الزمن (كرونومتر) يصعب على المتفننين وعلى كل من يستهويهم الشعور و يسيرون بحسب الاحساس ولكني على يقين من انه لا شيء اجدى نفعًا في العلم والسياسة من التوقيت والانتظام

هذه القاعدة واجبة حتمًا على كل امرىء في العالم ولكنها اشد وجوبًا على ضعاف الارادة والمترددين في نياتهم واعمالهم ممن يقتضي ان يكون لهم ابدًا وصي او مسيطر ينفخ فيهم الروح التي بها يعملون . ولقد عالجت احدهم بلغ به الضيق ان انقطع عن كل عمل فصرت أُصف له كل يوم كيف يسير وكيف يقطع النهر و يصعد الشارع المؤدي الى ساحة المريخ و يدخل المخزن

الفلاني و يبتاع ربطة لرقبته و يذهب الى محل التمثيل يشهد رواية و يبقى في مكانه الى انتهاء المشهد فنجح علاجي وانتهى ضعفه وصار بعد يؤفت لنفسه ولا يجري على هوى ارادته

مطبوعات ومخطوطات

كتاب الحيوان

تقدم لنا في صدر هذا الجزء ان للجاحظ كتباً كثيرة في معظم العلوم . وكتابه الحيوان هو ا م كتبه ومن احسن ماخط بنانه بدليل ان كثيراً من العلماء فيما مضى خدموه وعنوا به فالاديب منهم اقتصر على ماورد فيه من الفوائد الادبية واللغوية والعالم جرده من الادبيات واقتصر فيه على العلميات وممن اختصره عبد اللطيف البغدادي العالم الحكيم المشهور والقاضي السعيد بن سناء الملك الشاعر المصري المشهور وسمى المختصر روح الحيوان وقد قال فيه صاحب وفيات الاعيان : « ومن احسن تصانيفه وامتعها كتاب الحيوان فلقد جمع فيه كل غريبة وكذلك كتاب البيان والتبيين » طبع البيان والتبيين منذ بضع سنين الا ان نفوس العالمين والمتأدبين ما برحت مشتاقة للانتفاع ايضاً من كتاب الحيوان الذي ورد ذكره على كل لسان واشتهر امره على كر الدهور والازمان

وقد احياه بالطبع هذه الآونة الفاضل محمد افندي الساسي المغربي فطبع منه الى الا ن اربعة اجزاء وبقي منه ثلاثة وذلك على نسخة مخطوطة في دار الكتب الخديوية مقابلاً على نسخة في مكتبة الازهر وذلك بحرف واضح وشكل بديع وورق جيد مثل جميع ما طبع حتى الآن .

وانا لاتحضرنا عبارة في بيان فضل هذا الكتاب فان ماصدر منه لم نتمكن من مطالعته كله ولو طالعناه مرة ما اكتفينا به لان كلام الجاحظ كلما كرر حلا وحسن به النفع . الكتاب تتمثل في كل صفحة من صفحاته عقل الجاحظ وفضل علمه وسعة مداركه واطلاعه في فنون الادب والشعر ولو اعتمدته المدارس في دهرنا لتدريس فن الادب لجاء من قارئيه ومتدارسيه كتاب يعيدون العربية الى سابق حياتها والادب الى نضرته المعروف بها في عصور الحضارة الاسلامية الاولى . وكنا نود لابتهاجنا باحياء كتب الجاحظ اليوم ان نخص هذا الجزء برمته بالكلام على الجاحظ ومصنفاته بالتفصيل لو لا ان رأينا اننا لو وقفنا

على ذلك مجلد سنة ما وفيناه ووفيناها ما يجب من الافاضة ولذلك فانا نتقدم الى كل اديب ومحب للمطالعة ان لا يخلي خزانة كتبه من كتاب للجاحظ وان كتبه اذا جمعت كلها لتغني عن عشرات من المجلدات في الادب والتاريخ والشعر والعلم ·

و ياحبذا لو وفق الطابع الموما اليه الى تصحيح الاصل على عدة نسخ فان منه نسخاً مخطوطة في بعض مكاتب الاستانة · ولو صرفت العناية الى ضبط بعض حركاته وشرح العويص من معانيه ومفرداته لزاد النفع بالكتاب · وكيفما كانت الحال فانه يحمد قصد الطابع مادام يبذل المجهود وسيجيء يوم يعيد طبعه على هذا الوضع والطبع ولكن ببعض الشكل والتدقيق في التصحيح

كتاب البخلاء

اهدانا الطابع المنوه به هذا الكتاب النفيس من مؤلفات الجاحظ ايضاً وهو السفر الذي جمع فيه من قصص البخلاء ونوادرهم واستقصى في ذلك بحيث لم يترك لهم شاردة الا الم بها وان ترددها ليمكن الفصاحة من النفس ويسرّي عنها همومها فقد تقرأ بعض نوادرهم وتستغرب في الضحك ايّ استغراب ولا تكاد تأتي على آخر الكتاب حتى يقنعك الجاحظ ببلاغته بان البخل من احسن الاخلاق فلله ما يفعل البيان · وهو في مئتي صفحة منصفة الحجم

مجموع رسائل الجاحظ

هي ايضاً من مطبوعات حضرة الساسي افندي الموما اليه الاولى في الحاسد والمحسود والثانية في مناقب الترك وعامة جند الخلافة والثالثة في فخر السودان على البيضان والرابعة في التربيع والتدوير والخامسة في تفضيل النطق على الصمت والسادسة في مدح التجار وذم عمل السلطان والسابعة في العشق والنساء والثامنة في الوكلاء والتاسعة في استنجاز الوعد والعاشرة في بيان مذاهب الشيعة والحادية عشرة في طبقات المغنين · وقد وقعت كلها في ١٩٠ صفحة منصفة القطع جيدة الطبع وتطلب من طابعها بمصر

المحاسن والاضداد

طبع الاديب محمد امين افندي الخانجي وشركاؤه هذا الكتاب النافع للجاحظ ايضاً على اجمل شكل واحسن طبع · وقد عُني بتصحيحه وقراءته على الاستاذ اللغوي الشيخ احمد ابن الامين الشنقيطي وحرر جميع الابيات الواردة في الكتاب بالشكل الكامل وهو في ٢٥٦ صفحة · وموضوع الكتاب يعرف من اسمه فان الجاحظ يصف لك محاسن الدهاء والحيل حتى تكاد تدعن ثم يأتيك بضد ذلك و يصف لك محاسن وفاء النساء وضده ومحاسن مكرهن

ومساوي، مكرهن وهكذا كلما قرأت الشيء يخيل لك ان الامر تمّ ولم يبق كلام لقائل فيجيئك الجاحظ باسلوبه المدهش وملدته الغزيرة بضد الفصل الذي سبق لك و يتلاعب بالالفاظ والمعاني. والكتاب يطلب من طابعه بمصر

ترجمة المستطرف

Al-Mostazraf, traduit de l'arabe en français, par M. G. Rat

اهدانا حضرة المسيو را من علماء المشرقيات من الفرنسيس نسخة من ترجمته الفرنسوية لكتاب المستطرف في كل فن مستظرف لمؤلفه شهاب الدين احمد الابشيهي من اهل القرن التاسع للهجرة وكان من المعلمين في مصر. والمستطرف ليس من الكتب المعتمدة كثيراً عند اهل العلم من المشارقة ولذلك قلما تجد لمؤلفه ترجمة تدل على فضله ولكن المترجم المشار اليه نقله الى لغته حبًا باحياء فوائده بين اهلها فجاء في مجلدين وقعا في زهاء الف وستمائة صفحة كبيرة يكاد لا يخرج عن الاصل في ترجمتها و لو ادى به ذلك الى بعض تحريف لا يذكر في جنب الحسنات التي اتاها في ترجمته وهو يطلب من مؤلفه الفاضل في طولون. وقد بعث الينا العالم المنوه به كراسة في نقد الترجمات الفرنسوية والطبعات التي ظهرت بالعربية من كتاب الف ليلة وليلة يقول فيها انه شرع في نقلها الى الفرنسوية طبق الاصل الصحيح فنثني على غيرته وثباته وفضله بما هو اهله

مجلة العالم الاسلامي

Revue du monde musulman

Paris E Leroux Editeur, 28, Rue Bonaparte « VIe »

انتهى الينا العدد الاول من هذه المجلة الحديثة التي تصدرها باللغة الفرنسوية في باريز البعثة العلمية المراكشية و بعبارة اوضح جماعة من علماء المشرقيات من الفرنسيس. والغرض الذي ترمي اليه هذه المجلة البحث في تاريخ النظام الاجتماعي في العالم الاسلامي وحالته الحاضرة اي تنتقل ابدًا من الكلام على ماضي الاسلام الى حاضره و تلمّ بحركة الحوادث والافكار وتبين الوجهة للمستقبل. وهي لا تدخل في غمار السياسة فلا تخدم سياسة خاصة بل تجعل وكدها في خدمة ذاك التمدن الاسلامي الذي هبّ من رقدته واخذ ينادي من عليكرة الى قازان ومن زنجبار الى خربين بالدعوة الى العلم والمعارف والتهذيب والتعليم والتربية والمدارس. قالت ان تأسيس جامع في خربين لا يحتقر امره كما لا يحتقر انشاء

مدرسة اسلامية للبنات في جوهانسبورغ . وقالت انه يسهل ائتلاف الامم بعضها مع بعض متى زالت الاوهام من بينهم فانها سبب سوء التفاهم وانه يسهل التئام الشرق مع الغرب او الافرنج مع المسلمين اذا تعارفوا حق المعرفة . وقد تلونا فيها عدة ابحاث ممتعة منها تعليم المسلمين الابتدائي في الجزائر والحركة السياسية في الهند ومفكرات على الاسلام في الهند الصينية الفرنسوية ومنها مقالة على آغا خان في الهند فاخرى على العجم والدستور فثانية في اليابان والاسلام ثم اخبار متفرقة عن جميع البلاد الاسلامية وباباً خاصاً بما كتب عن الاسلام والمسلمين من الاسفار والرسائل . وانا لنرحب بهذه المجلة النافعة ونود ان تظل على الخطة التي رسمتها لنفسها فلا يكون للسياسة الى ابحاثها سبيل . والسياسة ما دخلت في امر الا وافسدته . ونحث كل من يفهم الفرنسية في هذه الديار ان يبادر الى الاشتراك بها فهي من انفع ما يكتب عن اهل الاسلام في تلك الديار وقيمة اشتراكها خارج فرنسا ٢٥ فرنكاً . فنثني على القائمين بهذا المشروع النافع اجمل الثناء ونسأل لهم التوفيق الى ما يقصدون اليه من خير البشر والسعي في المنافع العلمية العامة جزاهم الله خيراً

نادي اللغات الشرقية البلجيكي

Section des Langues Orientales à Bruxelle

بعث الينا العالم المستشرق المسيو راول بوانتو في بروكسل رئيس مجمع اللغات الشرقية في البلجيك كراسين ذكر فيهما مادار من الخطب بين اعضاء المجمع في السنتين الماضيتين لاولى لتأسيس مدرسة في البلجيك لتعليم اللغة الصينية حباً بنشر تجارتها في مملكة ابن السماء والثانية لتأسيس مدرسة لتعليم اللغة الفارسية وقد أُسست ايضاً فما قاله الرئيس المشار اليه ان ما قامت به البلجيك اليوم من تأسيس مدارس لتعليم اللغات الآسياوية ليس بالامر الجديد فان الدول الغربية التي كان لها صلات مع الشرق شعرت بوجوب تعلم لغاته منذ القديم ولذلك اسست لها مدارس خاصة فاقامت النمسا سنة ١٧٥٣ على عهد ماري تريز مدرسة للغات الشرقية في فينا وما كانت الغاية منها تخريج القناصل والوكلاء السياسيين بل تخريج التجار العارفين فعاد ذلك عليها بمنافع عظيمة . وكذلك فعلت فرنسا فاسست مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريز سنة ١٧٩٥ فنتجت منها فوائد سياسية وتجارية وانشأ بسمارك في برلين مدرسة لمثل هذا الغرض سنة ١٨٨٧ وكذلك روسيا انشأت مدرسة عالية لتعليم اللغات الشرقية في بطرسبرج وذلك ماعدا المجامع العلمية الشرقية في موسكو وفلاديفوستك . وحذت البلجيك هذا الحذو وهي تنشيء هذه السنة مدرسة لتعليم اللغة العربية . بارك الله بكل من يخدم العلم تحت اي ستار ولاي غرض كان

خمس رسائل نادرة

طبع الاديب النشيط الشيخ عبد المجيد زكريا على نفقته خمس رسائل لاربعة من كبار رجال العلم الاقدمين وحملة لواء الشريعة والدين. ثنتان منها لشيخ الاسلام ابن تيمية احداهما في شرح حديث ابي ذر والاخرى فتواه في قول النبي صلى الله عليه وسلم أُنزل القرآن على سبعة احرف وما المراد بهذه السبعة وهاتان الرسالتان هما كسائر ما كتبه شيخ الاسلام من الكتب والرسائل والفتاوى النافعة . والثالثة كتاب الادب الصغير لابن المقفع منقولة عن المقتبس. والرابعة في الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم للحافظ الذهبي وهي مفيدة جدًا في بابها فما قاله فيها : وقد كتبت في مصنفي الميزان عددًا كبيرًا من الثقات الذين احتج البخاري او مسلم او غيرهما بهم لكون الرجل منهم قد دُوِّن اسمه في مصنفات الجرح وما اوردتهم لضعف فيهم عندي بل ليعرف ذلك وما زال يمر بي الرجل الثبت وفيه مقال من لا يعبأ به ولو فتحنا هذا الباب على نفوسنا لدخل فيه عدة من الصحابة والتابعين والائمة فبعض الصحابة كفر بعضهم بتأويل ما والله يرضى عن الكل ويغفر لهم فما هم بمعصومين. قال وهكذا كثير من كلام الاقران بعضهم في بعض ينبغي ان يطوى ولا يروى ويطرح ولا يجعل طعنًا ويعامل الرجل بالعدل والقسط . فاما الصحابة فبساطهم مطوي وان جرى ما جرى وان غلطوا كما غلط غيرهم من الثقات فما يكاد يسلم احد من الغلط لكنه غلط نادر لا يضر ابدًا اذ على عدالتهم وقبول ما نقلوه العمل وبه ندين الله تعالى . واما التابعون فيكاد يعدم فيهم من يكذب عمدًا ولكن لهم غلط واوهام فمن ندر غلطه في جنب ما قد حمل احتمل ومن تعدد غلطه وكان من اوعية العلم اغتفر له ايضًا ونقل حديثه وعمل به على تردد بين الائمة الاثبات في الاحتجاج عمن هذا نعته . . . ومن فحش خطأوه وكثر تفرده لم يحتج بحديثه ولا يكاد يقع ذلك في التابعين الاولين و يوجد ذلك في صغار التابعين فمن بعدهم. واما اصحاب التابعين فعلى المراتب المذكورة ووجد في عصرهم من يتعمد الكذب او من كثر غلطه وغلظ تخبيطه فترك حديثه . وهكذا اورد مشاهير المحدثين وذكر عن كل فرد منهم بايجاز ما قيل فيه . وحبذا لو صرفت العناية الى احياء كتب الحافظ الذهبي في هذه الديار فانها كلها عقود منظومة نافعة ولا نذكر انه طبع له سوى ثلاثة كتب جليلة الاول تذكرة الحفاظ طبع في حيدر آباد الدكن من الاصقاع الهندية والثاني كتاب ميزان الاعتدال في نقد الرجال طبع في الهند ايضًا والثالث المشتبه في اسماء الرجال طبع في ليدن . وحبذا يوم يطبع كتابه تاريخ الاسلام .

والرسالة الخامسة رسالة في حكمة الله تبارك وتعالى في خلق العالم وخصوصاً الانسان وتكليف الناس للعبادات وهي لحجة الحق عمر الخيام . وهذه الرسالة فيما نحسب اول ما طبع بالعربية لهذا الفيلسوف الشرقي الكبير الذي ترجم ديوانه الفارسي الى الانكليزية فاقامت معانيه ادباء الافرنج واقعدتهم واحلوه محل الاعتبار العظيم لعلو فلسفته كما احلوا شعر حافظ الشيرازي وابي العلاء المعري عند ما ترجم الى لغاتهم . ولما لم يشتهر الخيام بين قراء العربية رأينا ان ننقل الترجمة الموجزة التي ذكرها له صاحب تراجم الحكماء ومالا يدرك كله لا يترك كله . قال القفطي في الخيام : امام خراسان . وعلامة الزمان . يعلم علم يونان . ويحث على طلب الواحد الديان . بتطهير الحركات البدنية . لتنزيه النفس الانسانية . ويأمر بالتزام السياسة المدنية . حسب القواعد اليونانية . وقد وقف متأخرو المتصوفة مع شيء من ظواهر شعره فنقلوها الى طريقتهم . وتحاضروا بها في مجالساتهم وخلواتهم . وبواطنها حيات للشريعة لواسع (في الاصل لوامع) ومجامع الاغلال (لعله الاصلال) جوامع . ولما قدح اهل زمانه في دينه . واظهروا ما اسره من مكنونه . خشي على دمه . وامسك من عنان لسانه وقلمه . وحجّ متاقاة لا تقية . وابدى اسراراً من السرائر غير نقية . ولما حصل ببغداد سعى اليه اهل طريقته في العلم القديم . فسد دونهم الباب سد النادم لاسد النديم . ورجع من حجه . الى بلده يروح الى محل العبادة ويغدو ويكتم اسراره ولا بد ان (؟) تبدو . وكان عديم القرين في علم النجوم والحكمة . وبه يضرب المثل في هذه الانواع لو رُزق العصمة . وله شعر طائر تظهر خفياته على خوافيه . ويكدر عرف قصده كدر خافيه فمنه :

اذا رضيت نفسي بميسور بلغة	يحصلها بالكد كفي وساعدي
أمنت تصاريف الحوادث كلها	فكن يازماني موعدي اومواعدي
أليس قضى الافلاك في دورها بأن	تعيد الى نحس جميع المساعد
فيا نفس صبراً في مقيلك انما	تخرّ ذراه بانقضاض القواعد

والرسالة جيدة الطبع والورق وتطلب من مؤلفها في دمشق ومن المكاتب الشهيرة في القاهرة بثلاثة قروش اميرية فنحث على اقتنائها

سير العلم

مالية القطر المصري

نشرت الحكومة المصرية ميزانيتها الجديدة عن سنة ١٩٠٧ المقبلة فكانت الايرادات ٠٠٠ر٥٧٤ر١٤ جنيه مصري والمصروفات العادية والخصوصية ٠٠٠ر٢٤٠ر١٤ ج٠م ومما جاء فيها ان القطر المصري بلاد زراعية محضة تابعة لاحوال النيل والنيل نفسه تابع للاحوال الجوية التي لايمكن معرفتها قبل وقوعها ثم ان اسعار محصولات القطر المهمة تتوقف على الاخذ والعطاء في اسواق العالم وان حاجة مصر ماسة ابداً الى صرف مبالغ عظيمة على المشاريع ذات الايراد كالري والسكك الحديد واعمال المواني ففي كل البلاد الاخرى تقوم الحكومة بهذه المصاريف بقروض تعقدها ولكن هذه الطريقة تصادف صعوبات كبيرة اذا أُريد اتباعها في القطر المصري بالنظر الى الاحوال الخصوصية الموجودة فيها هذه البلاد. ولقد تمَّ بناء خزان اسوان بمبلغ جسيم جداً ورغم هذه الصعوبات لم يتيسر صرف اموال اخرى على المشاريع المفيدة الا بتكوين مال احتياطي جمع بصعوبة من سنة الى اخرى من زيادة الايرادات عن المصروفات ومع ان مقدار هذا المال يبلغ اسماً نحو تسعة ملايين ج ٠ م في الوقت الحاضر الا ان معظمه مخصص لاعمال ضرورية سيتم اجراؤُها في السنين المقبلة

وكان الوارد الى القطر من البضائع سنة ١٩٠٦ — ٠٠٠ر٧٠٠ر٢٣ ج٠م ومن النقود ٠٠٠ر٢٠٠ر٨ ج ٠ م والصادر في نفس هذه السنة ٠٠٠ر٨٠٠ر٢٣ ج ٠ م من البضائع و٠٠٠ر١٠٠ر٢ ج م من النقود وكان الوارد سنة ١٩٠٠ — ٣٧٠ر١٢١ر١٤ ج م من البضائع و٣٦١ر١٤١ر٤ من النقود والصادر من البضائع ١١٤ر٢٤١ر١٧ ج م ومن النقود ٧٩٠ر٦٠٢ر٢ ج م ولجودة محصول القطن زادت قيمة الواردات هذه السنة بمعدل ١٠ في المئة تقريباً عن واردات سنة ١٩٠٥ وكان لجميع فروع تجارة الوارد تقريباً نصيب من هذا التقدم الحسن ولكن التقدم الاهم كان في نوع المعادن والآلات وكان ارتفاع اسعار الاقطان مع زيادة المحصول سبباً في ربح القطر خمسة او ستة ملايين زيادة عن السنة السالفة. وكان موسم القطن سنة ١٩٠٦ — ٠٠٠ر٥٠٠ر٦٧ قنطار على حين كان سنة ١٨٩٧ — ١٢٨ر٥٤٣ر٦ على وجه التقريب

وقدرت مصروفات نظارة المعارف العمومية لسنة ١٩٠٧ — ٣٥١ر٤٥٧ ج م منها المصروفات الاعتيادية ٠٠٠ر٣٧٤ ج م يقابلها ٣٠٠ر١٦٩ ج م سنة ١٩٠٦ فتكون الزيادة

الظاهرية ٢٠٤٧٠٠ ج م منها ٠٠٠ر١٦٠ ج م ناشئة عن درج مصروفات المدارس الاهلية والكتاتيب لاول مرة في ميزانية المعارف و ١١٢٠٠ ج م ناشئة عن الحاق (الورش) الصناعية بنظارة المعارف فتكون الزيادة الحقيقية ٥٠٠ر٣٢ ومنحت نظارة المعارف اعتمادات خصوصية بمبلغ ٣٥٠ر٨٣ ج م لاتمام انشاء بعض المدارس في العاصمة وبعض مدن الاقاليم وتقرر من سنة ١٩٠٧ فصاعداً ان تضاف جميع ايرادات المعارف العمومية الى ايرادات الحكومة العمومية وتقوم الحكومة في نظير ذلك بجميع مصروفات المدارس والكتاتيب الموضوعة تحت مراقبتها . وبقي الخراج الذي يدفع للدولة العلية وقدره ٦٦٥٠٤١ ج م كما كان عليه وكذلك الاعانة السنوية التي تصرف للسودان وقدرها ٧٦٣ر٣٧٩ ج م وقد بقي من المال الاحتياطي الذي تحت تصرف الحكومة ٠٠٠ر٨٠٠ر١٠ ج م

هجرة الاوربيين

الف المسيو ريني كونار من علماء فرنسا كتابًا في المهجرة عند الاوربيين في القرن التاسع عشر بحث فيه فيما اذا كانت المهجرة دليل صحة الامة او سقمها ومما استنتجه ان الاقطار التي يخفق عليها العلم البريطاني لا تبقى كلها على شكل واحد ارثاً لانكلترا او ابنائها ان لم يكن من الوجهة السياسية فمن الوجهة الاستعمارية . ذلك لان عدد المواليد يقل في الجنس الانكليزي السكسوني ولان سائر الامم الاوربية اخذت ترغب في المهجرة كثيرًا وتنازع هذا الجنس فيها . قال ان مهجرة الالمان خفت عن ذي قبل وان التولد قلَّ في المانيا او اوشك ان يقل وانها ستصبح بعد ان كانت بلاداً زراعية زمنًا طويلاً يتناسل ابناؤها كثيرًا ويكثرون من المهاجرة — بلاداً كثيفة السكان ضعيفة المهجرة وان ايطاليا وهي فقيرة بمالها غنية بكثرة مواليدها سيكون لها فضل التقدم على جميع الامم الاوربية بكثرة النازحين منها والمتولدين فيها فتؤسس لذلك ممالك ومستعمرات وتحكمها ولكن بدون ان يخفق عليها العلم الايطالي

الخطوط الحديدية تحت الارض

رأت حكومة نيويورك ان تؤلف لجنة للبحث في تركيب الهواء في الانفاق التي تسير فيها الخطوط الحديدية تحت الارض وتنظر في درجة الحرارة والرطوبة والروائح المنبعثة منها والجراثيم الخاصة بها لانه ثبت انه ينال بعض الركاب اخطار صحية من السير تحت الارض وقد تبين لهذه اللجنة ان الحرارة مرتفعة تحت الارض اكثر من سطحها وربما كانت فاحشة الارتفاع وان ما يتخلل تلك الانفاق من الهواء بواسطة الدهاليز والادراج لا يكفي

لدفع الاخطار و يضر بصحة الركاب وانه من اللازم اقامة منافذ للهواء تحت الارض ليتخللها بواسطة آلات تستعمل للتروح وقد عددت مضار الانفاق وعللتها ورأَت ان تطهر الخطوط وما يحيط بها في الأَنفاق وان تزال منها كل مادة تلقى فيها و يرفع منها الغبار وان يغمس بالملاط جزء عظيم منها ان امكن

مقاومة البعوض

هجمت جيوش البعوض على جزيرة ستاتين ايسلاند على مقربة من نيويورك فاذاقت السكان انواع العذاب والامراض و بعد ان نظر رجال الصحة في الامر رأَوا انه متولد من بطائح كثيرة كانت هناك فاخذوا في تجفيفها وشرعت الحكومة تنفق عليها نخفت وطأَته ثم حذت هذا الحذو كثير من ولايات اميركا الشمالية فاسفر تجفيف البطائح وردمها عن نتائج حسنة قال الدكتور دوتي اذا توفرت جميع الولايات المتحدة على مثل هذا العمل يصبح البعوض لا اثر له في اميركا الا اذا ورد في بعض الكتب على سبيل الحكاية والرواية

العصر الجليدي

تخوفت بعض الصحف العلمية مما يؤَكده بعضهم من ان العصر الجليدي قد آن وقته بحيث تصبح بعض البقاع الصالحة الآن لسكنى البشر غير صالحة لذلك دفعة واحدة . اذ ثبت في النصف الاول من القرن التاسع عشر ان اصقاعاً من الارض كان ينحسر الثلج عنها مدة من السنة فاصبحت اليوم في نفس تلك المدة تعمم بالثلج من يناير الى دسمبر ويعلو بضعة اقدام فغدت المناطق الباردة تتقدم وتضم اليها ارضاً من المناطق الحارة فما هو الا بضعة قرون حتى ينقص سطح الارض الصالحة لسكنى البشر فيقضي على الولايات المتحدة ان تجد لها ملجاء في اميركا الجنوبية كما يقضى مثل ذلك على كثير من الممالك الباردة . وقد ادعى العلماء القائلون بذلك ان دعواهم مبنية على حسابات مدققة لا مرية فيها

تطبيب النباتات

اسسوا في ظاهر مدينة واشنطون مستشفى لمداواة الاشجار وتخليصها مما يطرأ عليها من الادواء والعاهات مثل الكرمة والبطاطا والدردار والصفصاف والزهور كالقرنفل ونحوه . ذلك لان عند القوم مستشفيات للانسان والحيوان فليس من الانصاف ان يحرم النبات من مستشفيات ايضاً وسيعنى القائمون بامر المستشفى الجديد بدراسة احسن طرق الوقاية وانفع الادوية في هذا الباب . ورجال العلم يعلقون على ما سيجري فيه من التجارب آمالاً كبيرة

اكتشاف مدينة

ابتاع المسيو وهيتاكر نزيل جزيرة صقلية جزيرة سان بانتاليون وهي موضع مدينة فينيقية قديمة غابت عن الانظار منذ اعصار ولم يعد يظهر منها غير رؤوس ابراجها وقد بدأوا يحفرونها وعلماء الآثار تتلمظ شفاههم مذ الآن ويؤكدون انهم سيعثرون فيها على عاديات نافعة لهم

التصوير عن بعد

اثبت المسيو كورن انه وفق الى اخذ الصور الشمسية عن بعد وذلك عقيب ان صرف اربع سنين في البحث عن ذلك فاخترع آلات تنقل في عشرين دقيقة الى اي مسافة كانت زجاجة الصورة الشمسية بواسطة الاسلاك البرقية والتلفونية

الجنون والعمل

رأى احد علماء الروس ان احسن طريقة للتخلص من الجنون اذا وجد في احد من الأسرة فكان في المرء استعداد له ان يعمد الى العمل ولا ينقطع عنه بتة وبذلك يحفظ صحته ولا يأخذه قانون الوراثة فيصاب بما أصيب به احد آبائه او امهاته قال ان من عادتهم البطالة لا يصابون بالجنون بل ان الجنون يعرو العقول اذا كان اربابها يألفون البطالة فينمو بذلك فيهم كسل القوى ويكون منه الجنون لا محالة

الاسلاك البحرية

بلغ طول الاسلاك البحرية في العالم اجمع ٤٥ الف كيلومتر منها ستون في المئة لانكلترا و١٨ في المئة للولايات المتحدة وتسعة في المئة لفرنسا وستة ونصف في المئة لالمانيا وما زالت تكثر هذه الاسلاك كما تكثر الخطوط البرقية

الجامعات

تكلم احد علماء الاميركان على الجامعات في الارض مثل الجامعة الاميركية والجرمانية والجامعة السلافية والجامعة الاسلامية والجامعة البوذية والجامعة اليونانية وغيرها ونظر في كل جامعة على حدتها ودل على طريقة قيامها وانتقدها واشار الى ما ترمي اليه والى امكان نجاحها وقال ان الجامعة بين امة هي كالشجرة تنبت فيها على الدوام اغصان جديدة فلا يبعد بعد هذا اذا قامت جامعة لاتينية وجامعة مسيحية وجامعة اوربية

نبات يتنبأ

ما زال علم الطواري، الجوية قاصرًا عن الاحاطة بتقلباتها على كثرة ما أُحدث من المراصد في انحاء العالم . فمن المتعذر اليوم ان نقول متى تطرأ وكيف تطرأ الظواهر الفلانية على ارضنا ولا يمكن معرفتها قبل وقوعها. وقد اكتشف عرضًا احد علماء الاحداث الجوية في النمسا المسيو نوفاك اكتشافًا مهمًا يحل به هذا الاشكال بعض الحل . ذلك انه بينا كان منذ عشرين سنة يسيح في الهند الغربية وقع نظره على الشجرة المعروفة عند علماء النبات باسم « Abrus prœcatorius » التي تنبت في مصر وغابون من افريقية وغيرها من البلاد الحارة وهي شجرة دقيقة الساق صغيرة الاوراق الوردية او البيضاء . فشاهد اوراق هذا النبات تذبل في بعض الساعات ثم تعود الى حالتها السابقة . والغريب ان هذه الظاهرة لم تنشأ من تبدل النور ولا من رطوبة الهواء بل انها دلت على وقوع عاصفة شديدة وقعت بعد ثلاثة ايام. فأخذ العالم المشار اليه منذذاك يجرب هذا النبات في عدة حدائق واصقاع ولا سيما في « كيف » فرأى ان وريقاتها تنخفض اذا ارتفع ميزان الحرارة وتعود فتنتصب متى نزل وان حركات هذا النبات اذا نظر اليها نظرًا بليغًا تدل على قوة الاحداث الجوية وطبيعتها ودقتها واتجاهها قبل حدوث شيء من ذلك بيومين او ثلاثة في محيط يختلف من ٧٥ الى ١٠٠ كيلومتر وربما تنبأت بالمطر عن بعد ثلاثة آلاف كيلومتر . ويعرف من حركات اضلاع وريقاتها وتغير شكلها فيما اذا كان سيحدث زلزال ارضي او انفجار بركاني او انفجار مواد مدمرة في المناجم قبل وقوعها باربع وعشرين ساعة الى بعد سبعة آلاف كيلومتر فاذا اتخذت برلين مثلاً مقرًا لرصد الاحداث الجوية والطواريء الارضية يتيسر لك ان نقف على ما يجري من ذلك في اوربا كلها وربما بلغت افريقية . هذا ما نعربه بالحرف عن بعض المجلات العلمية فاذا صحَّ فيكون هذا النبات من اغرب ما تم من الاكتشافات في المواليد الثلاثة حتى الآن

آلة تنفس جديدة

اخترع عالمان من سان فرنسيسكو آلة للتنفس تفوق ما اخترع من نوعها حتى الآن اذ يتمكن بواسطتها كل انسان ان يدخل آمنًا الى وسط الدخان مهما كان كثيفًا والغاز مهما بلغ من خطره وقد جُرب اختراعهما امام لجنة خاصة في لندن فاسفر عن نتائج حسنة . واذا حمل الانسان هذه الآلة وهي عبارة عن ثلاث اسطوانات يستطيع ان يمكث ساعة في محل فسد هواؤه بالدخان او الغاز او غيره

حدائق العملة

كتب احدهم في احدى المجلات الفرنسوية فصلاً في الحدائق التي أُنشئت لفائدة العملة واعانتهم فقال انها لم تكن معروفة قبل سنة ١٨٩٧ وان يكن اول ما أُسس من نوعها كان في القرن السادس عشر ايام أُنشئت ٢٣ حديقة في كرافاين في فرنسا وانه بلغ عدد تلك الحدائق اليوم في فرنسا وحدها ١١٫٥٤٣ حديقة مساحتها السطحية ٣٥٠ هكتاراً يربح منها نحو ٧٢ الف نسمة

مدرسة الايامى

وصف احدهم مدرسة الايامى التي انشأتها في الهند امرأة اسمها رامباي من دعاة الاصلاح في بلادها فعلمت بعض الايامى من النساء التعليم اللازم واشربتهن كره الزواج على صغر فبذلك تمكنت من تزويج مئات من بنات جنسها وجعلهن بحيث يحصلن ما يقوم بنفقاتهن

الراحة والفكر

ذكر بعض الباحثين ان الحياة مقدسة وان ما يهم منها خصوصاً حفظ العقل ولا يحفظ العقل الاَّ بالراحة فعلى كل امريء ان ينام متى اراد و يطيل نومه ما شاء لان الرقاد يعد في الحقيقة اقتصاداً لا تضييعاً واحسن المحسنين لبني جنسه من يتمكن من ايجاد السبل لانامة المرضى والموجعين

موت الاطفال

رأى الدكتور هرمان لكران ان معدل من يموت من الاطفال في القاهرة من ابن يوم الى ابن خمس سنين ١٤٥ في الالف وفي الاسكندرية ١٣٠ في الالف ومن ابن خمس سنين الى عشر ينزل هذا العدد الى عشرة في الالف

مادة للتطهير

اخترع احدهم مادة جديدة لانقاء خطر الغبار في الشوارع والحارات وقد كتم مخترعه سر اختراعه الاَّ انه فهم انه عبارة عن رواسب زيت معدني وقطران ومطهرات من الفساد. ويستعمل في تطهير الطرق غير المبلطة ويكلف تطهير كيلومترين من الارض سبعة جنيهات وجنيهاً واحداً اجرة عجلة يمكن اقتصادها من نفقات الرش وقد سماه الباهنيت

المطالعة في اميركا

بحث بعضهم في الولايات المتحدة منذ ثلاث سنين ليقف على اكثر اصقاعها ولوعاً بالمطالعة فرأى لبلوغ هذه الغاية ان يقسم في كل ولاية عدد الكتب المستعملة في المكاتب والمدارس والجمعيات العمومية على مجموع عدد السكان واستثنى من ذلك الكتب الموقوفة على المراجعة في الخزائن العامة . فاسفر بحثه عن نتائج غريبة ورأى ان القطرين اللذين تكثر فيهما المطالعة هما الواقعان على شاطئي الاتلانتيك والباسيفيك من الولايات المتحدة. ففي ولاية نيوانكلاند يستعمل كل مئة نسمة ٢٤٣ كتاباً وفي كاليفرنيا ٢٠٧ وفي ولاية نيويورك ١٥٥

العمل والحياة

افاض احد كتاب الانكليز في العلاقة الكائنة بين العمل والحياة فقال انه تنبغي العناية بالبالغين من الاولاد وان يحسن تلقينهم من اساليب العلم والعمل ما يستطيعون معه ان يتعلموا بعدُ لانفسهم بانفسهم فيجزون ما تعلموه بالقراءة والتأمل . فان العلوم الابتدائية في انكلترا ناقصة والبلاد تدفع من النفقات على التعليم ما لا تأخذ ثمرة تقابله فلا يُعلم الاطفال الانكليز ما يجب عليهم ان يمارسوه في هذه الحياة من الشرف والعدل والعمل النافع للمرء بذاته وللمجتمع باسره ولا يعرفون قيمة الثروة العامة ومعناها الحقيقي

اغاثة المرضى

بحث احد علماء الالمان في المعاهد التي تساعد المرضى في فرنسا والمانيا فقال ان بافيرا تنفق في السنة ٩٫٨٩٢٫٤٤٤ ماركاً في هذا السبيل وسكانها ستة ملايين وان لبرلين ١٢٠٠ معهد وجمعية وشركة لاغاثة المرضى وان في باريز ١٦٠٠٠ مكتب للاحسان تغيث مليوناً واربعمائة الف مريض فقير وان ثروة هذه الادارات تبلغ ٤٤٦ مليون فرنك

هجرة الاوربيين الى اميركا

في مقالة في احدى المجلات الالمانية ان هجرة الاوربيين الى اميركا ما برحت على حالها وقد هاجر منذ سنة ١٨٠٠ — ٢٢ مليوناً من الاوربيين على الاقل نزلوا في الولايات المتحدة. ومن سنة ١٩٠٠ الى ١٩٠٣ هاجر من اوربا ٣٠٠٫٠٠٠ر٥ الف نسمة منها ٣٠٠٫٠٠٠ من الالمان و٣١٧٠٠٠ من الايرلنديين و١٤٠٠٠٠ من الانكليز و١٨١٧٠٠٠ من الطليان و١٠٩٦٠٠٠ روس و بولونيين و١٦٣٧٠٠٠ نمسويين ومجريين

الاولاد العاملون

يؤخذ من احصاء جرى في المانيا سنة ١٨٩٨ ان فيها ٥٣٢٢٨٣ طفلا مستخدمًا في التجارة والصناعة وان للنمسا من كل ٨٠٫٥٨٩ طفلاً ٢٣٠١٦ طفلاً اي زهاء ٢٨ في المئة من مجموعهم يعملون بايديهم وان في سويسرا ٥٣ في المئة من الاطفال يعملون بايديهم لاكتساب قوتهم ومنهم ٤٢ بالزراعة

الكتب في انكلترا

قسم احد مشاهير الكتبية في لندن القراء ومن يبتاعون الكتب الى ثلاث طبقات الاولى طبقة رجال العلم ممن يؤلفون و يضطرون الى الوقوف على ما ينشر من الكتب في العلوم التي تمحضوا لها وهذه الطبقة قليلة العدد . وطبقة المتعلمين وهي تقدر الكتب الجيدة قدرها . وطبقة الشعب عامة ممن لا يتناولون الا ما يهمهم و يروقهم و يسليهم من الاسفار المتوسطة الاعتبار. قال ويندر ان يطبع من رواية مهما بلغ من الاقبال عليها عشرة آلاف نسخة ومتوسط ما يطبع من رواية الف او الفا نسخة ونفقات الطبع غالية فالف نسخة من مجلد تكلف ٢١٢٥ فرنكا اجرة صف حروفها وطبعها وثمن ورقها وتجليدها وتغليفها يضاف اليها ١٢٥٠ فرنكا اجرة اعلانات فيأخذ المؤلف عشرة في المئة من المبيع وهي اجرة زهيدة لا تقابل تعبه ولا يتأتى الربح الاَّ اذا جاوز المبيع الفي نسخة وكثيرًا ما ينتهي الامر بخسارة فيضطر الكتبي ان يبيع الكاسد من الرواية في المزاد. وبالجملة فان صناعة الكتبية في انكلترا كما هي في فرنسا معرضة للاخطار لانه لا يتيسر ان يعرف ما يناله الكتاب من القبول عند صدوره

فنادق شاهقة

روى اللواء الاغر ان الحكومة المصرية اذنت ببناء بعض الفنادق حوالى الاهرام وابي الهول على الطريقة الاميركية . والبناء الذي يشاد على تلك الطريقة يبلغ ثلاثين او اربعين طبقة وكلها من الفولاذ الصلب الذي لا تحرقه النار ولا تهزه الزلازل ويسمي الانكليز تلك المباني « ماسة السماء » لعلوها وارتفاعها. ولا يخفى ان الواقف باعلاها يستطيع ان يشاهد وادي النيل ممتدًا تحت اقدامه كما يراه الناظر في خريطة ولعل الاميركان ارادوا ان يساموا بتلك المباني الفاخرة ما بناه خوفو وخفرع ومنقرع في القرون الغابرة

اثر عربي

ازدانت هذه المرة خزانة كلية هيدلبرغ الالمانية بزهاء ٢٠٠ اثر تاريخي بينها لوحة من الخشب كتب عليها جزء من سورة الاعراف وكتاب كتب على عظم يرد عهده الى ٢٣٩ للهجرة وهو من اقدم الكتابات العربية القديمة المعروفة ودرج ذكرت فيه صحيفة من ابن لحية وعدد كبير من اوراق تتعلق بجباية الاموال كتبت باجمل خط بقلم قرة بن شريك عامل مصر في النصف الثاني للقرن الاول للهجرة وقد نشر العالم الدكتور بكير صورها واستخرج بعض نموذجات منها طبق الاصل وقدم لها مقدمة مع تفسير الكلمات العربية فمتى نرى في الشرق بعض رجالنا ينقطعون للبحث في آثارنا العربية فاننا احق بمعرفة بيوتنا من غيرنا

وفاة رياضي

فقدت المدرسة الكلية الاميركية في بيروت هذا الشهر استاذاً من اكبر اساتذتها وعالماً من جهابذة العلماء القيمين عليها نفع البلاد بفضل علمه وفنه ونعني به الاستاذ روبرت وست الاميركاني فعز نعيه على تلاميذه واحبابه وقد ترجمته النشرة الاسبوعية بما يأتي ملخصاً

ولد في ولاية بنسلفانيا سنة ١٨٦٢ وهو ابن قسيس فاضل احكم العلوم والفنون في كلية برنستن أم كثيرين من اساتذة المدرسة الكلية السورية وهي من اشهر كليات اميركا . ونال شهادتها سنة ١٨٨٢ ثم شغل بدرس دروس خاصة في علم الفلك والرياضيات العالية حتى اشتهر بعد قليل بانه من كبراء الرياضيين . واتى الى بيروت سنة ١٨٨٣ فكان من معلمي مدرستها وكان اولاً من اساتذة اللغة الانكليزية فيها ثم صار استاذ الرياضيات والفلك

ومما قاله الدكتور بورتر في وصفه «كان الاستاذ وست عالماً محققاً كثير التدقيق في العلوم يبذل الجهد في ادراك كنه الحقائق وكان يعلم باحكام وايضاح فيبلغ المسائل العويصة بعبارات بسيطة حتى يبلغ ذهن الطلبة اليقين ولهذا كانوا يثقون بعلمه كل الثقة»

وقال الاستاذ بولس الخولي ان الفقيد كان استاذاً مقتدراً ومن ادلة اقتداره ثلاثة (١) انه كان يعلم ما يعلمه حق العلم و (٢) ان تعليمه كان على احسن اسلوب فكان يرغب تلاميذه في البحث عن الحقائق لانفسهم وكان في مقدمتهم في الدرس والاجتهاد والصبر و (٣) ان سجاياه كانت تؤثر في افئدة الطلبة فانه عرف شؤونهم واحبهم واهتم بهم فلا بدع اذا كان الاسف عليه عظيماً

المقتبس

غرة ذي الحجة سنة ١٣٢٤

صدور المشارقة والمغاربة

شيلر

١٧٥٩ ــ ١٨٠٥

المؤثرات في اخلاق الرجال كثيرة واهمها التربية والمحيط فكلما حسن هذان العاملان جاءت منهما نفوس مجردة عن الشرور نازعة الى خير الأُمور . واكثر العلماء على ان من الاخلاق ما هو طبيعي ومنها ما هو كسبي يستفاد بالعادة والتدرب وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه اولاً فاولاً حتى يصير ملكة وخلقاً . قال بعضهم ليس شيء من الاخلاق طبيعياً للانسان ولا نقول انه غير طبيعي وذلك انا مطبوعون على قبول الخلق بل ننتقل بالتأديب والمواعظ اما سريعاً او بطيئاً . وهذا الرأي الاخير هو الذي اختاره العلماء المتأخرون واكثر فلاسفة الاسلام ومنهم ابن مسكويه واحسن ما جاء في تربيه النفس والاخلاق قوله تعالى « ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها »

هذه القاعدة الكلية في التربية لا تكاد تتخلف ويشتد ظهورها في كبار رجال الخليقة مثل مترجمنا اليوم شيلر الالماني رافع علم الحرية والنهضة الادبية في أُمته والساعي الى اعلاء شأنها وابلاغها درجات الكمال فقد اثرت فيه التربية الأُولى التي ينشأ عليها كل سليم الفطرة في الغالب من حب الخير المحض وكره الشر فاشمأز من اعمال البشر وسيئات الحياة ثم لما قذفت به ادوار الحياة الى المدرسة الحقيقية واعني بها مدرسة العالم واخذ في مثافنة كبار ارباب العقول وحملة العلم المقرون بالعمل تجلى له الراجح من المرجوح وصرح له الحق عن محضه وكشف له اصحابه وجه الحقيقة في امور كثيرة · وكل قرين بالمقارن يقتدي ·

لم يكن شيلر كصاحبه كيتي رجلاً خدمه السعد وحالفه الرغد بل كان من شقاء الحياة وقلة ذات اليد المثل المضروب والرجل المحروب المحزوب · عزم والده ان يعلمه اللاهوت من اول امره ليكون له مورد رزق في حياته ويعيش عيش الواعظين والمرشدين وان شئت فقل عيش الزاهدين والمزهدين الا ان الدوق شارل وجين دي ورتمبرغ اشار على والديه ان يبعثا به الى مدرسة شارل التي اسسها في استوتكارت وفيها درس الحقوق والطب وانصرف مدة الدراسة الى مطالعة الكتب المحظور تلاوتها على التلاميذ سرًّا وقراءة جانب من اسفار الادب من سنة ١٧٧٣ إلى سنة ١٧٨٠

ولما خرج من المدرسة عين جراحا في الجيش براتب ١٨ فلوريني في الشهر فضاقت به الدنيا بما رحبت اذ كان يقضى عليه ان يخضع لنظام الجندية ويثني صاغرًا لاوامر امير نكاد مستبد ولعة بكشف رعاياه عن اسرارهم الخاصة ومراقبة سيرهم عن امم · فلم تمض عليه سنتان في خدمة الدوق دي ورتمبرغ حتى ضاق صدره بما يلقاه من جور القوانين النابية في الاغلب عن طور العقل فخاصمه لانه

كان يمنعه من نشر شيء من قلمه في الادب وحبسه مرة خمسة عشر يوماً لانه ذهب لحضور رواية تمثيلية بدون اذن فاضطر شيلر ان يفر بنفسه ليتمتع بحريته فتوارى مدة عن الانظار مخافة ان يقبض عليه و يسلم للدوق في ورتمبرغ وظل سنتين بعد ترك الخدمة يقاسي صروف الحدثان لا ملجأ ولا مورد ولا مال ولا فراغ بال ٠ اجول من قطرب وافلس من ابن المذلق واهون من قعيس على عمته يقذف به نجد الى سهل وسهل الى حزن وبؤسه متصل كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها ان راح ذات اليمين تطوح به الطوائح ذات الشمال وان اتجه نحو الشرق صاح به صائح عليك بالغرب وكأن الطبيعة عاندته في جسمه وصحته كما عاندته في وفره وماله ٠ فقد كان نحيفاً ضئيلا يمشي كاللقلق حرم الذوق حتى يكاد يضحك منه من يراه ٠ ولطالما سخر منه اصحابه عند تمثيل رواياته اذ لم يكن يعتني بهندامه ولا بملابسه فكنت تراه رث الهيئة والسربال و بيل المسكن تنبعث من غرفته رائحة الدخان الذي يدخنه وتراها غاية في التشويش فمن نسخ من مصنفاته مطروحة في كل ناحية ومن بطاطا ملقاة مبعثرة في الزوايا ومن صحاف فارغة وزجاجات واوان وغيرها تجدها هنا وهناك ٠ وكثيراً ما كان صديقه كيتي يضجر من مجالسته في غرفته على عهد صداقته الاولى ولما بحث عن سر هذه النتانة تبين له ان شيلر يحفظ التفاح العفن في جرار مائدته ٠

وهكذا كانت فاتحة حياة شيلر بؤساً وشقاء وسقماً وعناء ٠ روح ملتهبة متحمسة محصورة في جسم سريع العطب لما اتصال بالعالم الخارجي ولكن على اردإ الوجوه والصور وحالته الداخلية مقيدة بامور خارجية لا ترضيك بوادرها فكادت تكون تربيته وحشية تقتل فيه روح الاستقلال وذلك لما يعانيه من الشقاء الذي يكرهه على الجهاد المتواصل لتحصيل رزقه كل يوم وكاد ما يلقاه من الالاقي في

صباه يقضي عليه بالتأخر في سبيل العلم وهو ابداً يتقاذفه عالالان افكاره الفلسفية الخيالية وميله الى الآراء الثورية ٠

وبالجملة فقد كان على فقره وضعفه لا يرضيك ظاهره لانه لم يخلق ليعجب الناس ويذهب بفضل الشهرة بينهم مثل كيتي صديقه ولا ليعيش في العالم عيش السعداء ويستمتع بطيبات الحياة الاجتماعية ولذلك تخلى شيلر وهو في سن الفتوة عن العالم الخارجي وعمد الى الغوص في عالم الفكر والخيال ٠ وقد ذكر احد واصفيه الادوار التي تقلبت عليه فقال : انه كان لاول عهده بعيداً كل البعد عن العالم الحقيقي يشتعل ذكاءً ممزوجاً بالعجب وقد اثرت فيه كتابات جان جاك روسو الفيلسوف الاجتماعي الفرنسي وغيره من شعراء المانيا فاصبح عدو المجتمع اللدود وخصيم التمدن الحديث والقديم ٠ عرف بالاشمئزاز من احوال البشر وبسوء النظر في مستقبل العالم وبسلامة النية في دعوة الخلق الى الكمال على ما تجلى ذلك في كتاباته التي نشرها في صباه ثم بدلته التربية واثر فيه اصحابه وعشراؤه فاخذ يحسن ظنه بالمدنية الحاضرة وارتأى ان يخرج الانسان من طور الطبيعة اولاً ويدخل في ميدان الجهاد ليحرز بعمله مقاماً ادبياً محموداً فيكون من ذلك سعادة الانسانية

وقالوا في وصف شيلر ايضاً انه لم يكن يعشق الطبيعة مثل صاحبه كيتي وما كان ينظر للعالم والناس مثل هذا نظر الصبور الذي لا غرض له ولا هوى بل كان يهتم بحالته الداخلية اولاً ثم بافكاره وما شعر بانه كان يتخمر في نفسه ويغلو في صدره من الاحساس والشعور مما ذكره في شعره والم به في نثره من احوال العالم هو ما وقع في قلبه وقاسى منه بذاته واقتنع به اقتناع فيلسوف واخلاقي ٠ ومن اهم ما شعر به ميله الى الحرية ولكنه كان ميلاً مجرداً ليس فيه اثر للعمل اذ لم تخلق مع شيلر تلك الخاصية من اثارة النفوس واهاجة العواطف ٠ وقد منحته فرنسا عام ١٧٩٢

حق الوطنية الفرنسية لحريته وتحمسه · ولقد أُشرب قلبه حب الحرية بما فيه من فطرة سليمة تأبى الظلم ولا تميل الى الصغار · وكان هذا الاستعداد فيه رد فعل طبيعي لما قاساه من الضغط منذ دخل المدرسة بل انه حجة له لنقض اساس الاستبداد الذي عرف به صغار امراء المانيا من لقي منهم الشدائد · جاء في موسوعات العلوم الفرنسوية : وفي سنة ١٧٨٧ ذهب شيلر الى مدينة ويمار رجاء نيل الزلفى من ثلاثة كتاب وهم ويلاند الشاعر الاديب وهردير الكاتب الفيلسوف وكيتي العالم الفيلسوف وكان الدوق شارل اغست قد استدعاهم الى حماه وجعلهم من رجال قصره فاراد شيلر من تقربه منهم ان يسلك سبيلهم في تقوية جميع قواه مطلقة حرة بدون ان يهتم لغير ذلك من اسباب النجاح فخاب سعيه اولا من الانضمام اليهم وتكثير سوادهم ولكنه بقي مقيما في ويمار وان كان بعيدًا عنهم رغم اخفاق ما قصد له وانتهت به الحال بعد بضع سنين قضاها في اشق انواع الصبر المحزن ان نال مرتبة ثابتة فعين استاذًا في كلية اينا سنة ١٧٨٩ وفي السنة التالية تزوج بشارلوت دي لانجلفلد فرأى منها رفيقة تفهم مغازيه ومراميه وتحبه وتعنى بامره وتخلص في خدمته خصوصا في اوقات مرضه ·

فساعده حب زوجته له واعجاب تلاميذه واصحابه بمواهبه واحترامهم له على التفرغ للعمل براحة بال اكثر من ذي قبل فاخذ يتغير شيئا فشيئا واخذت تهدأ افكاره من اضطرابها وتلين نفسه بعد شموسها وتجلت له الغاية التي يرمي اليها و يقضي عليه بعد ذلك ان يقتحمها بعزم ومضاء · فراح يبذل اقصى مجهوده في التأليف وكثيرًا ما كان يفرط في النظر و يعمل في الكتابة عملا يجاوز الطوق ثم دعته الحال ان يتوفر على دراسة التاريخ دراسة الخبير البصير ليزيد به خبرة و يلقح به شعره · وكان يكتب في صغره كيفما اتفق فرأى من الضروري ان

يستكثر من المعارف التاريخية الثابتة المحسوسة وايقن ان مادته لا تغزر وافكاره لا تنضج الا بالتخلي عن الشعر زمنا والانقطاع الى درس التاريخ وان يتعلم كما قال عن نفسه اموراً كثيرة هو في حاجة اليها و يزرع قبل ان يحصد · ثم درس العلم الالهي وامور الآخرة اي درس الفلسفة في كتب فلاسفة اليونان الاقدمين وتبحر في فلسفة « كانت » الحكيم الالماني الشهير فاستفاد من دراسته فلاسفة اليونان لطف الاداء وجلاء المعاني ووضوحها وسهولة المأخذ مما لم يكن لهُ اثر في منظومه ومنثوره ورأى في « كانت » اعظم ممثل للافكار الحديثة وراقه منه حكمه السامية التي ذهب بها مذهب زينون الفيلسوف اليوناني كما راقه بافكاره في الجمال والفنون · وقد دفع المترجم به الى درس كتب الفلسفة اليونانية ويلاند المشار اليه كما دفعه الى التبحر في مصنفات « كانت » رينهولد الفيلسوف حتى اصبحت تآليفه التي صدرت عنه في تلك الحقبة من حياته كأنها توفيق من الفلسفة اليونانية والكانتية اي بين الفلسفة القديمة والفلسفة الحديثة ·

وفي سنة ١٧٩٤ استحكمت صلات الود بين شيلر وكيتي وكانا تعارفا سنة ١٧٨٨ تعارفاً لم يؤَد الى احكام علاقات القلوب فانتفع المترجم من صاحبه كثيرًا واقل ما استفاد منه انه اراده على الرجوع الى حظيرة الشعر وكان زهد فيه زمنا على ما تقدم وانصرف الى التاريخ والفلسفة · عاد اليه بنشاط غريب بعد انقطاعه عنه ست سنين · ثم مرض سنة ١٧٩١ مرضا كاد يودي بحياته فلما ابلّ آلى ان يغتنم الساعات الباقية من حياته ليبقي لهُ آثارا تنفع الناس فالف في مدة عشر سنين وهي المدة التي قضاها في عشرة كيتي تآليف كثيرة كأنه كان يسارق بها المنون واكثرها في الشعر والادب والنقل عن اللغات ·

وقصارى القول فان شيلر الاديب الشاعر المؤرخ الحكيم المفكر هو بعد كيتي اكبر رجل من اهل الادب في المانيا وربما كان مشتهرًا لدى الخاصة والعامة اكثر من صديقه . وقد حسده معاصروه ولم يعترفوا به حتى ان المحدثين من اهل الادب الساعين الى نزع قيود الانشاء القديم ومنهم الفيلسوف نيتشه الالماني حمل عليه حملات منكرة ولعل حملات هذا الفيلسوف كانت على شيلر في الزمن الذي جن فيه وهو لا يقل عن عشر سنين وهذى بالفلسفة هذيان المحموم . وامتاز شعر كيتي على شعر شيلر بانك تقرأ في الاول النبالة والترف وشعر الثاني يطرب به الشعب فكأن الاول لزعماء الامة والثاني للامة نفسها وان شئت فسمهما شاعر الاغنياء وشاعر الفقراء .

وقد وصفت صاحب هذه الترجمة العقيلة دي ستايل الكاتبة الفرنسوية في كتابها « المانيا » بما يأتي معربًا بقلم احد اصدقائنا :

كان شيلر عظيم الذكاء ثابت الاعتقاد وهما خلتان قل ان يجتمعا في رجال الادب . تقرأ بين عينيه ما يسري بين جنبيه وترى شخصه مصورًا في كتابته يوحي اليك ذلك الادب الوافر والعلم الغزير والفضيلة النادرة . وما كان شيلر ممن يغيرون اعتقادهم تمويهاً وتضليلا لغيرهم . بلى كان يحب الشرف و يشغف بالمجد فيسعى اليهما من كل سبيل . وما اجمل الذكاء الذي سرى في اعطافه الشرف وقوة النفس اذا امتزجت بصفاء السريرة . فقد كان شيلر صديقاً وفياً وابًا رحيما وزوجاً بارًا يحترم النساء و يعجب بالفنون الجميلة و يعبد الباري تعالى على ما وهبه من ذكاء نادر على ما ترى ذلك ماثلا في مصنفاته لو قلبت تضاعيفها وحدقت في سطورها .

ولقد لقيت شيلر لاول مرة في قصر الدوق دى ويمار في مجلس حافل باهل العلم فاذا هو يتوقد ذكاء و بعد نظر . وكان يجيد قراءة الفرنسية وان لم يتكلم بها

وقد ناظرته في افضلية طريقة التمثيل عندنا فقام يعارضني على ما يجد في لسانه من حبسة وعجز عن التكلم بالفرنسية وابان عن فضل جم وعلم واسع فانقلبت من المجلس وانا احترمه واجله

النقل والنقلة

ليس العلم وقفاً على امة معينة ولا على اهل دين خاص ولغة خاصة بل العلم مشاع بين سكان الارض يقتبسه الراغبون فيه ممن عرفوا غناءه لهم وفائدته لقيام جامعتهم واعلاء كلمتهم كما ان الحضارة تنتقل من يد الى يد وتأخذها الامة المتحضرة عن جارتها او ترثها من اختها الذاهبة . ولذلك لم تستغن امة في النقل عن غيرها ما يعوزها من علوم البشر على اختلاف انواعها نقلاً ينتفع به اهل جيلها وقبيلها ويؤثر الاثر المطلوب في العقول . فقد نقل الفرس علومهم عن جيرانهم الهنود ونقل الرومان عن اليونان ونقل اليونان عن المصريين ونقل العرب عن اليونان والفرس ونقل الافرنج عن العرب واليونان والرومان وغيرهم من امم الخليقة . وقد مست الحاجة في هذا النقل الى ترجمة اهم كتب اولئك الاقوام في الصناعات والديانات وعلوم الحكمة والطب والرياضيات والشرائع والتاريخ والادب .

هذا الكثير من العلوم التي نراها لعهدنا وكتبها التي لاتحصى في كل ضرب من ضروب المعرفة النافعة لسعادة الخلق هي ولا جرم من عمل القرون المتطاولة هي زبدة تجارب صفوة بني آدم واغض ثمرات عقولهم منذ الوف من السنين تكونت فيها امم كثيرة ثم بادت وقامت مدنيات تذكر ثم سقطت منها ما نقل الينا ومنها ما لم ينقل . فكما ان اللغات والشعوب ترجع الى اصول قليلة تفرع عنها هذا العدد الدثر من الاجيال المعروفة في قارات الكرة الارضية الخمس فكذلك كانت العلوم

قليلة وما برحت تنمو بنمو الايام والازمان . وحال النقل من حيث القلة والكثرة حال العلوم والامم حذو النذة بالقذة .

ولما تمّ للعرب النصر وتبسطوا في مناحي الملك والسلطان وانتشرت لغتهم في معظم الاصقاع التي افتتحوها انصرفت عنايتهم الى تنظيم بلادهم بنظام الامم التي سلفتهم اذ ايقنوا ان ليس كالعلم كفيلاً ببقاء امة وضامناً لها سعادتها والعلم لا يتم الا بالنقل عن امة اخرى . وقد امر الرسول صلى الله عليه وسلم احد اصحابه بتعلم لغة اليهود كما تعلم بعض الصحابة لغة الحبشة لما هاجروا اليها في بدء الدعوة الاسلامية . دع عنك من دخلوا في الاسلام من الفرس ومن تعلم من العرب لغة فارس . وهذا كان مبدأ النقل والتعريب وان لم يؤثر عن هذا الدور كتاب ولا رسالة لان الامة كانت أُمية ولم تكن دونت بعد اهم علم عندها الا وهو علم الدين فاحرِ بها ان لا تنقل عن غيرها علوماً هي بالنسبة اليها ثانوية .

واول كتاب نقل الى العربية كتاب اهرن بن اعين وجده عمر بن عبد العزيز في خزائن الكتب فامر باخراجه ووضعه في مصلاه واستخار الله في اخراجه الى المسلمين للانتفاع به فلما تمَّ له في ذلك اربعون صباحا اخرجه الى الناس وبثه في ايديهم . وكان المنصور اول من عُني من العباسيين بنقل شيء من علوم الاوائل ثم مشى على اثره جعفر البرمكي وجماعة من صنائع الدولة الا ان غرام المأمون بذلك كان من وراء الغاية

قال القاضي صاعد بن احمد الاندلسي ان العرب في صدر الاسلام لم تُعن بشيء من العلوم الا بلغتها ومعرفة احكام شريعتها حاشا صناعة الطب فانها كانت موجودة عند افراد منهم غير منكورة عند جماهيرهم لحاجة الناس طرًا اليها فهذه كانت حال العرب في الدولة الاموية فلما ادال الله تعالى للهاشمية وصرف الملك

اليهم ثبت الهمم من غفلتها وهبت الفطن من ميتتها وكان اول من عني منهم بالعلوم الخليفة الثاني ابو جعفر المنصور وكان مع براعته في الفقه كلفاً في علم الفلسفة وخاصة في علم النجوم ·

قال ولما افضت الخلافة الى الخليفة السابع عبد الله المأمون بن هرون الرشيد تمم ما بدأ به جده المنصور فاقبل على طلب العلم في مواضعه وداخل ملك الروم وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلسفة فبعثوا اليه منها ما حضرهم فاستجاد لها مهرة التراجمة وكلفهم احكام ترجمتها فترجمت له على غاية ما امكن ثم حرض الناس على قراءتها ورغبهم في تعليمها فكان يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم ويلتذ بمذاكرتهم علماً منه بان اهل العلم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده اه·

نعم بلغت عناية المأمون بالعلم والنقل التي لافوقها وقد ادعى بعضهم ان عدد المترجمين والناقلين والمصححين الذين حشرهم اليه من اطراف مملكته كانوا ثلثمائة رجل من مختلف الاديان والمذاهب امرهم ان لا يجعلوا للتعصب عليهم سبيلا وان ينبذوا الجدالات الدينية ظهريا لتكون اجتماعاتهم علمية صرفة · وقيل انهم كانوا يجتمعون مرة في الاسبوع فتعرض المترجمات على أناس من اهل العلم والبصر بالعربية فيقرون سليمها وينبذون سقيمها · وعلى عهده كثر الاعتماد على النحت والاشتقاق والوضع لترجمة المصطلحات الطبية وغيرها من العلوم المادية وكان المأمون ينفق على المترجمين اكثر مما يصرفه غيره على ملاذه في بضع عشرات من السنين ·

وبعد فان في الناس من لا يعدون من المؤلفين غير من يأتون بشيء من عندهم ولو غثاً تافها او ينقلون كلاما لغيرهم وينسقونه ويضيفون اليه ما يشاؤون على ان من عُنوا باجادة النقل والترجمة من لغات الاعاجم الى لغتهم هم في الاكثر ليسوا في فضلهم وافضالهم دون اولئك المؤلفين بل ان من ينقل علما لاعهد لامته به افضل

من اكثر ارباب التواليف والمصنفات ·

ولذلك تقاضانا عرفان الجميل لبيض ايادي اولئك التراجمة في الاسلام ان نذكر اسماء من عثرنا عليهم (١) منهم وندل على الجهابذة المهرة فيهم · ولا بد من الاشارة الى ان معظم التراجمة قديمًا وحديثًا كانوا من غير اهل الاسلام لحكمة ربما كان فيها معنى من معنى ما قيل من ان العلم لو نزل من السماء لتلقاه قوم من اهل فارس · ولعلّ تقسيم الاعمال قضى على المسلمين ان ينقطع علماؤهم الى تدوين العلوم الدينية واللسانية وتركوا غيرها من الاشغال العلمية لمن يحسنها او يخلق وقد لقنها من صغره من اهل ذمتهم او غير ارباب نحلتهم ·

نقل اصطفان القديم الكيمياء لخالد بن يزيد الاموي في القرن الاول كما تعلمها هذا من مريانوس الراهب الرومي فكان هذا اول كتاب نقل · ونقل ماسرجويه السرياني كتاب اهرن بن اعين بأمر امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز · وكان البطريق في ايام المنصور وامره بنقل اشياء من الكتب القديمة وابنه ابو زكريا يحيي ابن البطريق وكان في جملة الحسن بن سهل · وكان حنين بن اسحق اول من نقل شيئًا من علوم الروم الى السرياني ثم الى العربي وكان هــذا الرجل يحسن السريانية والعربية والرومية والفارسية بل يعرف غريبها ومستعملها وهو الذي اختار له المتوكل لما ائتمنه على الترجمــة كتابًا نحارير وكانوا يترجمون ويتصفح ما ترجموا كاصطفين بن بسيل وموسى بن خالد الترجمان وقيضا الرهاوي وسيرجس الرأسي · وما انا بمبالغ لو قلت ان حنينًا نقل ربع ماترجم الى العربية من علوم الاوائل ايام التمدن الاسلامي وكان ربعه الجيد الذي لاغبار عليه وذلك لانه كان زيادة على احكامه لتلك اللغات الاربع عالمًا بالعلوم التي ينقلها من طبها وفلسفتها · ولحنين

(١) اعتمدت غالبًا على كلام ابن ابي اصيبعة وابن النديم

ولدان داود واسحق « صنف لهما كتباً طبية في المبادي والتعليم ونقل لهما كتباً كثيرة من كتب جالينوس واشتهر اسحق وتميز في صناعة الطب وله تصانيف كثيرة الا ان جلّ عنايته كانت مصروفة الى نقل الكتب الحكمية » وكان اسحق يحسن اللغات التي يحسنها أبوه وقلد هارون الرشيد يوحنا بن ماسويه ترجمة الكتب القديمة مما وجد بانقرة وعمورية وسائر بلاد الروم ووضعه أميناً على الترجمة . وكان جرجس ابن جبرائيل اول من ابتدأ في نقل الكتب الطبية الى العربية عند ما استدعاه المنصور . وحبيش الاعسم بن أخت حنين بن اسحق وتلميذه ناقل مجود يلحق بحنين واسحق . وعيسى بن يحيى بن ابراهيم كان ايضاً تلميذاً لحنين بن اسحق وكان فاضلا اثنى عليه حنين ورضي نقله وقلده فيه . وقسطا بن لوقا البعلبكي كان ناقلاً خبيراً باللغات فاضلاً في العلوم الحكمية وغيرها . وما نقله أيوب المعروف بالابرش في آخر عمره يضاهي نقل حنين . وسلاّم الابرش من النقلة القدماء في ايام البرامكة ويوجد بنقله السماع الطبيعي . وابو النصر بداري بن أيوب وابن رابطة وتيوفيلي وشملي وعيسى بن نوح وقويري وداريع الراهب وهيابثيون وصليبا وثابت بن قمع وايوب وسمعان فسرا زيج بطليموس لمحمد بن برمك . وابو عمرو يوحنا بن يوسف الكاتب . وترجم آل نوبخت الى الفارسية وترجموا منها ولابن نوبخت الفضل بن نوبخت نقل حنين في النجوم ومنهم موسى ويوسف ابنا خالد . ومن النقلة من الفارسي الى العربي علي بن زياد التميمي ويكنى ابا الحسن وسهل بن هارون والبلاذري احمد بن يحيى وجبلة بن سالم كاتب هشام واسحق بن يزيد ومحمد بن بهرام بن ميطار الاصفهاني والفتح بن علي البنداري وعبد الله بن علي وابو حاتم البلخي ومحمد بن الجهم وهشام بن القاسم وموسى بن عيسى الكردي وزادويه ابن شاهويه الاصفهاني وبهرام بن مرداشان وعمر بن الفرخان . وابن الفرخان هذا

هو احد حذاق التراجمة في الاسلام وهم كما قال ابو معشر في كتاب المذاكرات حنين بن اسحق و يعقوب بن اسحق الكنـــدي وثابت بن قرة الحراني وعمر بن الفرخان الطبري ·

ونقل من السريانية الحديثي الكاتب والحسن بن البهلول الاواني الطبرهاني وابو البشر متى والتفليسي ومرلاحي نقل بين يدي علي بن ابراهيم الدهكي ودار يشوع كان يفسر لاسحق بن سليمان بن علي الهاشمي و كذلك ابراهيم بن بكس وعلي بن ابراهيم بن بكسن وايوب بن قاسم الرقي ومن نقله كتاب الايساغوجي · ونقل من الهندية او السنسكريتية الى العربية منكة الهندي وابو الريحان البيروني وابن دهن ومن الكلدانية او النبطية ابن وحشية ونقل سعيد الفيومي عن العبرانيـــة · و كان ابو علي عيسى بن زرعة اليعقوبي المنطقي احد النقلة المجودين وله تصانيف مذكورة · ونقل من السرياني الى العربي ونقل عيسى الرقي من اطباء سيف الدولة ابن حمدان من السريانية ايضاً ونقل منها ايضاً ماسرجيس الطبيب وعيسى بن ماسرجيس كان يلحق بابيه و كذلك شهدي الكرخي وابن شهدي و كانا متوسطين وفاق الابن اباه في آخر عمره ومن المعروفين بالترجمة ابن جلجل وابو عبد الله الصقلي

ونقل الحجاج بن مطر للمأمون كتباً منها كتاب اقليدس والمجسطي ثم اصلح نقله فيما بعد ثابت بن قرة الحراني ونقل للمأمون ايضا عدة كتب حبيب بن بهريز مطران الموصل وممن نقل عن السريانية كثيرًا ابو الخير الحسن بن سوار المعروف بابن الخمار وابو الفرج الملطي و يحيى بن عدي اليعقوبي · ونقل عن الفارسية عبد الله بن علي الفارسي وعبد بن المقفع نقل عن البهلوية اي الفارسية واليونانية كثيرًا من كتب الحكمة وممن اجاد النقل من السريانية وغيرها الحسن ثابت بن قرة الصابيء ومن تلاميذه عيسى بن اسيد وكان يقدمه و يفضله · ونقل من اليونانية

نظيف القس الرومي ٠

وكان عبد المسيح بن عبد الله الناعمي الحمصي المعروف بابن ناعمة متوسط النقل وهو الى الجودة اميل وفي درجته زروبا بن مانحوه (ماجوه) الناعمي الحمصي ٠ وكان هلال بن أبي هلال الحمصي صحيح النقل ولفظه مبتذل وكذلك كان فثيون الترجمان يلحن ولا علم له بالعربية وكان ابو نصر بن ناري بن أيوب قليل النقل لا يعتد بما نقل ويفوقه بسيل المطران وكان الى الجودة اميل ٠ ومن المتوسطين في نقلهم اسطاث وحيرون بن رابطة وابراهيم بن الصلت وثابت الناقل ويوسف الناقل تلميذ عيسى بن صهربخت وايوب الرهاوي وابو يوسف الكاتب ويحيى بن البطريق وتدرس السنقل وابو سعيد عثمان الدمشقي ومنصور بن باناس وعبد يشوع بن بهريز وابراهيم بن بكس ٠ هؤلاء التراجمة الذين عرفناهم في الاسلام واكثرهم كانوا يرزقون من نقلهم ويعملون مدفوعين بتنشيط الملوك والامراء والحريصين على خدمة العلم الا يعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف العرب واحد ابناء ملوكها فانه كان ينقل لنفسه ولم يرتزق بما كتب ٠ وليس فضل من نشطوا التراجمة دون فضل من ذكرنا من المترجمين كما ان الافراد الذين نشطوا النقل ورزقوا اناساً عليه يذكرون بالرحمة كما يذكر عمر بن عبد العزيز وخالد الاموي والمنصور والرشيد والمأمون والمتوكل ٠

فقد كان جعفر البرمكي وجماعة من اهل بيته يعنون بامر النقل والتعريب ٠ وكان منكة الهندي في جملة اسحق بن سليمان بن علي الهاشمي وكان ينقل من اللغة الهندية الى اللغة الفارسية وكان شيرشوع بن قطرب من اهل جندي سابور يبرّ النقلة ويهاديهم ويتقرب الى تحصيل الكتب منهم بما يمكنه من المال ٠ ومنهم محمد بن موسى المنجم وهو احد بني موسى بن شاكر الحساب المشهورين والرياضيين

المذكورين وكان محمد هذا ابرّ الناس بحنين بن اسحق نقل له هذا كثيرًا . من الكتب الطبية . قال ابو سليمان المنطقي السجستاني ان بني شاكر وهم محمد واحمد والحسن كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحق وحبيش بن الحسن وثابت بن قرة وغيرهم في الشهر نحو خمسمائة دينار .

ومنهم علي بن يحيى المعروف بابن المنجم احد كتّاب المأمون وكان نديمًا له وعنده فضل ومال الى الطب فنقلوا له منه كتبًا كثيرة . ومنهم تادرس الاسقف كان أسقفًا في الكرخ وكان حريصًا على طلب الكتب متقربا الى قلوب نقلتها فحصل منها شيئًا كثيرًا وصنف له قوم من الاطباء كتبا لها قدر وجعلوها باسمه . ومنهم محمد بن موسى بن عبد الملك نقلت له كتب طبية وكان من جملة العلماء الفضلاء يفحص الكتب ويعتبر جيد الكلام فيها من رديئه . ومنهم عيسى بن يونس الكاتب الحاسب من جملة الفضلاء بالعراق وكان كثير العناية بتحصيل الكتب القديمة والعلوم اليونانية .

ومنهم علي المعروف بالفيوم اشتهر باسم المدينة التي كان عاملها وكان النقلة يحصلون من جانبه ويمتارون من فضله . ومنهم احمد بن محمد المعروف بابن المدبر الكاتب وكان يصل الى النقلة من ماله وافضاله شيء كثير . ومنهم ابراهيم بن محمد ابن موسى الكاتب وكان حريصًا على نقل كتب اليونان ومشتملاً على اهل العلم والفضل وعلى النقله خاصة . ومنهم عبد الله بن اسحق وكان ايضا حريصًا على نقل الكتب وتحصيلها . ومنهم محمد بن عبد الملك الزيات وكان يقارب عطاؤه للنقلة والنساخ في كل شهر الفي دينار ونقل باسمه كتب عدة وكان ايضا ممن نقلت له الكتب اليونانية وترجمت باسم جماعة من اكابر الاطباء مثل يوحنا بن ماسويه وجبرئيل بن بختيشوع وبختيشوع بن جبرئيل بن بختيشوع وداود بن سرابيون

وسلمويه بن بنان واليسع واسرائيل بن زكريا بن الطيفوري وحبيش بن الحسن

هذا ماوقفت عليه من حال المتوفرين على النقل والمرغبين فيه قديما وقد فقدت ملكته من الامة مدة تربو على خمسة قرون حتى اذا كان اواسط القرن الثالث عشر للهجرة عادت الى الترجمة بعض حياتها السالفة بفضل النابغين من مدارس الافرنج في البلاد العربية او بالمتخرجين على اساتذة بعض المدارس الوطنية ممن تشبعوا بآداب الامم الراقية وقلدوهم في ممارسة الاعمال العلمية فنقلوا ولا برحوا ينقلون اثابهم الله بعض ماتمس اليه الحاجة من علوم الامم الغربية على قلة نصيرهم وفقدان البواعث والدواعي مدفوعين الى ذلك بعاملين الا وهما احياء لغة عذبة وخدمة العلم الصحيح ولا امة اذا فقدت لغتها ولا مدنية اذا لم يأخذ الخلف عن السلف والمتأخر عن المتقدم والجاهل عن العالم

المجرّة

ماذا برفراق السحائب ضمن المجرّة من كواكب
ليست كمزعم بعضهم نهرًا يفيض على الجوانب
كلاً ولا هي لو تعي زبدٌ بوجه السيل ذائب
كلاً ولا وادٍ على طرفيه قد صُفّت كتائب
حيث الاسنة داخل الا مهوات تضحك والقواضب
أهناك جيشٌ لا ابا لك حذوَه جيشٌ محارب
فلننتظر حتى نرى من ذا من الجيشين غالب
كلاً ولا سدمٌ حوت غازًا فهذا الظن كاذب
لكن شموسٌ جاريا تٌ ضمن هاتيك السحائب

بل ان هاتيك السحا ئب ذات انجمها الثواقب
اجرامها يسبحن في بحر الاثير لكل جانب
الكل يذهب في الفضا ء على اختلاف في المذاهب
وعلى ارتباطٍ بينها بقوى جواهرها الجواذب

...

يا أيهذا العالم النـ جمي كم بك من عجائب
كم زار منك نظامنا جرمٌ يجدّ السير دائب
جرم بديعٌ شكله جرم يعدّ من الغرائب
فله نواة ذات نو ر مشرقٍ ولهُ ذوائب
ويضيء حتى تستضـ يء بهِ المشارق والمغارب
ويزيد اشراقاً على اشراقه مهما يقارب
حتى اذا ما دار حو ل الشمس سافر وهو آيب
فكأنهُ متحملٌ في زوره كتباً لغائب
اخبرٌ احد النجـ وم لشمسنا بعض المطالب

...

ياعالماً يحوي عوا لم سائرات في مواكب
كم من شموس فيك اكـ ثرها عن الابصار عازب
شسعت فاسفر بعدها عن مثل انوار الحباحب
وهناك لولا ابعد الا بعاد نيران لواهب
تجلو أشعتها المنيـ رة ما هناك من الغياهب
وتوازنت أجرامها فالكل مجذوب وجاذب

ولها توابع في تنقّـ   لها السريع لها تصاحب
تحكي توابع شمسنا   فتطوف منها في الجوانب
وعلى توابعها تدو   ر توابعٌ أخرى صواحب
العلم هذا رأيه   فيها ورأيُ العلم صائب
يرضى به من كان ذا   نظر بعين العقل ثاقب
لكن من جهل الحقا   ئق من سماعته مغاضب
ومن المصائب ان تخا   طب جاهلاً ومن المصائب

...

اما الحياة فان ظ   نّ العقل فيها غير خائب
أيجوز انّ الأرض تسـ   كن وحدها بين الكواكب
وتكون غير الارض خا   ليةً كامثال الخرائب
هذا لعمري ان يصحّ   فانهُ لمن العجائب
انّ الحياة تبين حيـ   ث ترى لها وسطا يناسب
ما اوحش الاجرام لم   تمرح بها بيض كواعب
وترق كأحسنها العيو   نُ النجل فيها والحواجب

...

ياساكني تلك النجو   م على اختلافٍ في المراتب
اني مخاطبكم فلا   تلووا الوجوه عن المخاطب
بالله قولوا لي أأنـ   تم مثلنا غرض النوائب
إنا نعاتبكم إذا   لم تفصحوا انا نعاتب
احيانكم كحياتنا   لا تكتموا عنا متاعب

ام هل هناك حياتكم صفوٌ فليس بها شوائب
إنا لنفزع من مصا ئب لاجئين إلى مصائب
انا بظاهر ارضنا قسمان مغصوب وغاصب
الظلم ضيق في وجو هِ رجائنا طرق المكاسب
والعلم مغلوبٌ فلا يعلى به والجهل غالب
انا بحالٍ لو علمتم غير محمود العواقب
نسعى لنفع الآخري ن من الذين لهم مناصب
ونعيش في حال التعا سة بالاماني الكواذب
لهفي على الشبان قد سلكوا سبيلاً للمعاطب
غيلوا بكل قساوة فبكتهمو حتى الاجانب
ويلي على بيض نشر ن من الاسى سود الذوائب
يخمشن حرّ وجوهه نّ ويلتدمن على الترائب
يبكين فقد اعزةٍ ماتوا فهنّ لهم نوادب

بغداد ج . . .

القسوة في المدارس

أُسست المدارس لانماء القوى العاقلة في الانسان ولتوسيع المدارك وتنوير العقول وتهذيب النفوس وتدميث الاخلاق وترقية الافكار ولبث الالفة والاخاء والحب وحقائق الحرية والمساواة ونشر مبادي ء الحق والخير والجمال والشرف والشهامة والجرأة ونزاهة القلب · ومن اخص واجباتها ايضاً الاعتناء بالصحة من وراء الغاية وتقوية الجسم تقوية للعقل وكبح جماح الاهواء وانهاض الهمم ونقض كل وهم وضلال

وتمويه وخرافة وتقويم كل اعوجاج وغرس صفات الانسانية الصرفة وما طاب من العلوم الضرورية للمرء ضرورة الطعام والشراب واللباس · وبالجملة فقد انشئت المدارس لتقود الانسان وتدفعه في سبيل الكمال الانساني

قال كانت الفيلسوف الالماني : سر ارتقاء الانسانية في المدرسة · وقال جول سيمون فيلسوف الفرنسيس ليس من واجبات المدارس تعليم العلوم فقط فان من اخص واجباتها بث الفضيلة والاقدام · وقد اتفق العلماء على الاقرار بوجوب تهذيب النفوس قبل تعليم الرؤوس وتفضيل المبادىء الادبية على الاصول العلمية ونزع كل غلظة وفظاظة وسيئة باللين والرفق والاقناع

فليست الغاية اذن من انشاء المدارس اعتقال الاولاد واملاء الذاكرة فيهم من قواعد الكتب اللغوية والعلمية والرياضية والطبيعية وتحقيرهم وارهابهم واهانة نفوسهم وجرح عواطفهم وايجاعهم بقسوة الشتم والضرب كما يخيل للمعلمين الذين يتوهمون انهم لا يستطيعون ان يعلموا و يهذبوا الا بالشتم والضرب

الشتم والضرب في المدارس اثران من آثار الهمجية والتوحش يمثلان كل التمثيل في مدارس القرن العشرين على ما فيه من دلائل التقدم العلمي وعلائم الارتقاء الادبي · فيعيدان ذكرى اقبح صفات العصور الغابرة ايام سادت الخشونة والقسوة ولم يكن حد اعتبار الحيوان الناطق فيها يتعدى حد اعتبار رفيقه الحيوان الابكم الا بشيء لا يذكر · وهما من اكبر العوامل الحائلة دون اقبال الاولاد على المدارس برغبة داخليه وشوق طبيعي كما انهما من اهم البواعث التي تمثل لهم المدارس سجوناً مظلمة ومعال اسر ومطابق عذاب وشقاء

نحن في زمن لا غني لنا فيه عن العلم وقد اصبحت المدارس من حاجاتنا الاولية ومن الضروريات التي يجب الاعتماد عليها بعد اعتماد الامهات والآباء في

اعداد رجال المستقبل فنحن اذاً في اشد حاجة الى ترغيب احداثنا في المعارف وتحبيب المدارس الى نفوسهم وجعلها في عيونهم اماكن سرور مقدسة تترفع عن كل ما يمثل الحيوانية ودور استفادة تتعالى عما يشين الانسانية

ومن الاسف ان القسوة ما زالت شعار المدارس والشتم ما انفك لسان حال المعلم والضرب سلاحه وعدته ومع كل ما وصف من اضرار هذين الاثرين القبيحين وقيل في لزوم ابادتهما ومع كل ما صدر من نواحي ذوي النفوذ واوامر الحكومات في وجوب منعهما ما برح المعلمون قساة القلوب يشتمون الطلبة لاقل الاسباب وينهالون عليهم بالضرب لادنى الهفوات

مضت قرون كثيرة والقسوة ساعد المربي اليمين وعضد المعلم المتين والشتم والضرب رائجان في المدارس حتى ان سليمان الحكيم قد اشار باستعمال القضيب في تهذيب البنين . وكان الاسبرطيون يتركون الاولاد في المدرسة جياعا ويضربونهم كثيراً تشجيعاً لهم على مشاق الحياة وعند ما يعجز الولد عن التجلد و يرفع صوته من الالم تتلطخ حياته بالعار . وكان قدماء المصريين يعاقبون التلاميذ بالضرب بالعصي متمثلين بقول القائل — ان آذان التلاميذ في ظهورهم فهم لا يسمعون الا اذا ضربوا . ولقد بلغ من اعتقاد الناس قبلاً بفائدة القسوة في المدارس ان صار العامة يمازحون التلاميذ بقولهم « راح العيد وفرحاته وجاء المعلم وقتلاته » وامسى الوالدون يخوفون الاطفال من المعلمين كما يخوفونهم من المارد والجن والغول . وكان الرجل يقتاد ابنه الى المدرسة ويقول للمعلم لك اللحم ولي الجلد والعظم فلا تبخل بالفلق او تتوانى بالضرب . وخير هدية كانت تسر المعلم هي حزمة قضبان وخصوصاً ان كانت اغصان رمان . وجل وصية كان يوصي بها هي الشتم بفظاظة والضرب بقسوة وكان يلام اذا تبسم و بش في وجه الاولاد وتهاون بالعقوبات الشديدة ولم يستعمل

وظيفة المنتقم لا وظيفة المهذب

هكذا كانت المدارس سابقاً بؤرة القسوة والجور ومستوبل الشتم والضرب على ان تلك الايام لم يتجاوز فيها العلم حد الظنون ولم تكن المعارف غير قواعد لغات ولم يكن المعلمون افضل من رعاة المواشي · وعلماء الاخلاق والنفوس كانوا قلائل نادرين والغرور والتقليد واتباع الاهواء والادعاء والتمويه والتظاهر امور كانت من اخص صفات المدرسين

اما الآن فما عذرنا وقد تغيرت الاحوال وتبدلت المدارس بفضل العلم الصحيح المؤيد بالتجربة والبرهان والاستقراء والاحصاء وظهرت لدى الناس اضرار التربية القاسية المذلة الموجعة فعمل الفضلاء على استبدال التربية اللطيفة المعزة المقنعة وبها سعوا جهدهم حتى استتب لهم الامر في اكثر البلدان · واول من سعى في ذلك في بلاد المشرق على باشا مبارك احد وزراء المعارف في مصر والدكتور دانيال بلس رئيس الكلية السورية السابق في بيروت · جعلا التعليم مقروناً بكرامة النفس وابطلا الشتم والضرب بتاتاً واكتفيا بالقول والقدوة · ومنذ ثلاث سنين صدر امر نظارة المعارف العثمانية بمعاقبة المعلم الذي يضرب تلاميذه ويمنعه من التعليم اذا عاد لضربهم مرة اخرى وقد حظرت جمعية فلسطين الروسية على معلمي مدارسها ضرب التلاميذ وجعلت من اهم قوانينها طرد كل معلم يقسو ويتصلف

الا وان صفات الانسانية ترتقي في الكون العاقل بواسطة التربية الحسنة والتعليم الجيد · واهم مقتضيات التربية والتعليم الضرورية جداً هي ان يكون المربي والمعلم قادراً على اقناع التلميذ بان ما ينهاه عنه مضر حقاً وما يدفعه اليه نافع لا محالة وان ما يلقنه اياه من الآداب والعلوم ليس الا مصابيح بين طريق حياته وعوامل تقوده في سبيل الكمال الانساني دون ان يتعدى حد العقل والضمير

فيضغط على الاول و يضعف الثاني او بالحري يميته و كذلك اقناع التلميذ بحسن نيات المعلم بما يبديه نحوه من الرقة واللطف ودلائل الحب والاكرام . فالمعلم الذي يقسو على التلاميذ و يعاملهم بالشتم والضرب بحجة انه يروم نفعهم يضر من حيث يقصد الافادة . و بدلاً من نزع السيئات من اخلاقهم نزعا باتاً كما يخال يزيدها تمكيناً فيهم . لان الولد الذي يحسن سلوكه خشية الشتم لا حباً بالآداب و يتقن دروسه رهبة الضرب لا رغبة في النجاح يقيم في اعماق نفسه اماكن حصينة للسيئات حتى اذا لاحت لها الفرص وخلت من الرقباء وامنت العقاب تظهر من مكامنها بادية للعيان وهكذا يتعلم الكذب والخداع والرياء و يشب على الجبن واللؤم والحقد وغير ذلك من نتائج القسوة والضغط وتتأصل فيه كراهة المعلم و يخاله عدواً لدوداً . هذا عدا ما يقتبسه من قسوته ويعيه في دماغه من كلماته الفظة الغليظة الدنيئة وعدا ما يتشرب به من شراسته وعناده واستبداده

فالقسوة في المدارس من اكبر آفاتها ومن اسوإ سيآتها لانها تخمل عقول الاحداث وتحط نفوسهم وتفقدهم الشعور الادبي وقوة الارادة والاعتماد على النفس وصحة الحكم على الامور والتمييز بين الحسن والقبيح اذ يستسلمون للمعلمين بعقولهم وقلوبهم و ينقادون الى اهوائهم (اي اهواء المعلمين) انقياداً اعمى يصدهم عن اطلاق مجاري العقل والابتكار والاستنباط والاستنتاج و يزيدهم شراً على شر والفرق بين آداب تلاميذ المعلم المستبد القاسي الفظ المهين الضراب ونجاحهم و بين آداب تلاميذ المعلم اللطيف المحب المكرم المقنع بين ظاهر

قال الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده : جعل التعليم مقروناً بكرامة النفس هو قوام التربية فان المعاقبة على الذنب بالاهانة والقسوة لا تؤدب النفس لانها تخفي الاخلاق الذميمة ولكنها لا تمحوها بل تزيدها وتقويها فتكون كامنة حتى اذا

. تسنى لها الظهور تظهر في اقبح الصور . واما الذي يمحو الاخلاق الذميمة فهو الاقناع بقبحها وضررها وحسن المعاملة وتكريم النفس حتى تتكرم من الشوائن وتأنف من كل ما ينافي الشرف

وقال ابن خلدون ان الشدة على المتعلمين مضرة بهم ذلك ان ارهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلم سيما في اصاغر الولد لانه من سوء الملكة ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين او المماليك او الخدم سطا به القهر وضيق عن النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه الى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الايدي بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقا وفسدت معاني الانسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله وصار عيالا على غيره في ذلك بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقبضت عن غايتها ومدى انسانيتها فارتكس وعاد في اسفل السافلين وهكذا وقع لكل امة حصلت في قبضة القهر ونال منها العسف . واعتبره في كل من يملك امره عليه ولا تكون الملكة لكافلة له رفيقة به وتجد ذلك فيهم استقراءً وانظره في اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلق السوء حتى انهم يوصفون في كل افق وعصر بالحرج ومعناه في الاصطلاح المشهور التخابث والكيد وسببه ما قلناه فينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده ان لا يستبدا عليهما في التأديب . ومن كلام عمر من لم يؤدبه الشرع لا ادبه الله حرصاً على صون النفوس عن مذلة التأديب وعلماً بان المقدار الذي عينه الشرع لذلك املك له فانه اعلم بمصلحته ومن احسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده محمد الامين فقال : يا احمر ان امير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة وكن له بحيث وضعك امير المؤمنين اقرئه القرآن وعرفه

الاخبار وروه الاشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام و بدئه وامنعه من الضحك الا في اوقاته وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم اذا دخلوا اليه ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه ولا تمرن بك ساعة الا وانت مغتنم فائدة تفيده اياها من غير ان تحزنه فتميت ذهنه ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ و يألفه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فان اباهما فعليك بالشدة والغلاظة

هذان رأيان لحكيمين كبيرين من آراء الحكماء التي لا تحصى في هذا الشأن دلهم عليها العلم والاختبار والاستقراء والزمان و يضيق بنا المقام اذا اردنا احصاء الحوادث المحزنة التي جرت وتجري في المدارس المعروفة بالقسوة . كم من امهات ثكلن بنيهن لشراسة المعلمين ولكم غض آباء الطرف عن قسوة المدرسين ففقدوا احداثهم وكم من اولاد ضاع مستقبلهم من غلاظة المعلمين . سلوا المستشفيات والبيمارسانات سلوا الكهنة والمشايخ والمشعوذين والاطباء والاحصائيين علهم ينبئونكم صريحاً عن شهداء القسوة في المدارس . ولرب معترض من مزاولي حرفة التعليم الجالسين على كراسي افلاطون وجول سيمون ومكس ملر وابن رشد المنتحلين لقب السيد المسيح ينتقد بعض كلامي و يرشقني باسهم من ملام و يتخذ وصية حكيم الاسرائيليين حجة عليّ وما جوابي الا ان القسوة في المدارس لا تفيد الا في البلاد المتوحشة فقط حيث لا أم تهذب الاطفال ولا أب يحسن القدوة ولا هيئة مرتقية تساعد المعلم في نياته ولا قدوة خير تمنع الشر . ومع ذلك فيقتضي حينئذ لمستعمل العصا (في التربية والتعليم) حكمة سليمان وصبر ايوب ورقة السيد المسيح و بحث دروين واستقراء سبينوزا والا فالقسوة في المدارس مضرة على كل حال

بيروت جرجي نقولا باز

النهضة الاميركية

خاتمة بحث معرب عن المجلة الجديدة

زادت الهجرة الى الولايات المتحدة منذ سنة ١٨٧٠ وكانت المانيا وانكلترا من البلاد التي هاجر منها الناس زرافات وبعثت كل من النمسا والنروج والسويد وايطاليا وفرنسا والصين واليابان عصابات من المهاجرين يغشون البلاد الجديدة ويحملون اليها بروؤس اموال كبيرة وأسست المانيا وغيرها مراكز للاستعمار في اميركا الجنوبية . ونظمت انكلترا لها مملكة استعمارية يبلغ عدد رجالها من مئتي مليون الى ثلثمائة منتشرين في اصقاع الارض ومدت روسيا سلطتها على سيبريا والاقاليم التي وراء بلاد القوقاز وحلت فرنسا في الهند الصينية ومدغسكر والمانيا في بحار المحيط واميركا الجنوبية ونثرت ايطاليا ارجاء بلاد الحبشة باشلاء ابنائها واليابان تحارب روسيا للاستيلاء على كوريا . اما الولايات المتحدة فلم تنو اتخاذ مثال الامم المتمدنة الا سنة ١٨٩٨ فدخلت الى جزائر الهافاي وساموا والفيلبين وكوبا وبورتوريكو وباناما واخذت تضع العقبات في سبيل المهاجرين من اوربا والشرق الاقصى وراحت تبعث بجمهور من مهاجرة ابنائها مع روؤس اموال ضخمة الى المحال التي بسطت ظل نفوذها عليها . وعقدت المعاهدات التجارية الخاصة مع جمهوريات الجنوب وبعض الممالك الاوربية جاهلة لحماية تجارتها

القول الفصل

ومما يدل على بسط سلطة الاميركيين وتوفيقاتهم الاستعمارية استثمارهم بجزائر الهافاي سنة ١٩٠٠ تلك الجزائر التي تأخذ منها الولايات المتحدة سبعين الف طن من السكر وفيها من ضروب الثمار والزهور ما تحار له الالباب وجميع

اهلها ية رأوا ويكتبون وقد نالوا الجائزة الاولى في انتشار التعليم الابتدائي بينهم في معرض باريز سنة ١٨٧٨ والعيش فيها من حيث الرغد والرفاهية لا يشبهه الا المقام في جزائر كناريا . وقد نالت اميركا سنة ٩٩ معظم جزائر ساموا ثم حولت وجهتها نحو اوستراليا واليابان والصين لما في البلاد الاولى من الخصب والغنى وفي الثانية من الطموح الى الترقي وفي الثالثة من الضعف والاستسلام

جعل الاميركان قبلتهم تلك الممالك والتجارة مقصدهم الاول نعم بعثوا بدعاة الدين ولكن دعاتهم لم يشبهوا دعاة الكثلكة بحال فهم يبتعدون من المشاغب والمتاعب ويجعلون التجارة اخص آمالهم ولذلك كان لهم في الصين المقام الاعلى فاستفادت منه اميركا فائدة مذكورة وساعدهم على ذلك مضاهاتهم للاوربيين في متاجرهم في اقصى آسيا كون مدينتهم سان فرنسيسكو اقرب الى شنغاي وهونكنغ ويوكوها من هامبورغ والهافر ومرسيليا اليها . وقد كان للاميركان اليد الطولى في اطفاء فتنة البوكسر في الصين سنة ١٩٠٠ وانقاذ السفارات الاجنبية من الحصار وفتح ابواب الصين للتجارة العامة على قدم المساواة بين الدول . وسياسة « الباب المفتوح » امرضتهن كافة ولم تتألم اميركا بمحالفة اليابان وانكلترا سنة ١٩٠٢ تلك المعاهدة التي ادت في الاحايين الى خرق سياج هذا الباب في بعض احوال مخصوصة .

ولم يكتف ارباب الاموال من الاميركان امثال فندربلت وجاي كود وركفلر بتأليف شركات كبيرة للاتجار في الصين بل قامت زمرة من اصحاب الملايين منهم ترى احتكار المشاريع الافرادية في احدى الصناعات غاية في البساطة فاحتكر المثري كارنجي الحديد ثم تألفت شركة من كل من كارنجي ومور ومورغان احتكرت الفولاذ في بلاد اميركا وهو من الاحتكارات التي لم يسمع لها

مثيل وقد ساعد هؤلاء المحتكرين الثلاثة على احتكار الفولاذ ان كانت لهم الخطوط الحديدية . وبعد ان تم لهم ذلك انشأوا شركة بحرية تمخر سفنها عباب البحر المحيط ليتمكنوا بواسطة سفنها من الاستيلاء على تجارة الاسواق الخارجية كما تمكنوا من الاخذ بناصية الاسواق الداخلية : ثم اسس المثري مورغان دار صناعة يصنع فيها ارخص السفن واجودها حتى لا يتيسر لشركة في العالم مهما بلغت من القوة بان تضاهيه وشركاءه في احتكارهم

غلبت اميركا حكومة اسبانيا منذ سبع سنين فرغب كثير من الدول الاوروبية في مسالمة اميركا واصبحت كل من انكلترا والمانيا لا تخاف على نهضتها الا من سطوات الاميركان . وحاولت المانيا القرب من الولايات المتحدة ولكن هذه لا ترضى عن تلك وهي ترى ابناءها ينزلون في اميركا و يستنزفون اموالها بالاتجار وغيره من الاعمال . اما انكلترا فحالها مع الولايات المتحدة تختلف عن حال غيرها ذلك لانها غذت اميركا باجود لبنها فلما انفصلت عنها عرفت قدر حماية التجارة وتمكنت بهذا المبدإ من التغلب واحراز قصب السبق لان تينك الامتين على طرفي نقيض في صلاتهما التجارية . فاميركا تقول بحماية التجارة وانكلترا تقول بحريتها .

ولقد خيف على مستقبل التجارة الانكليزية حتى قال غلادستون : مهما كان من سرعة سيرنا معاشر الانكليز فان سير الولايات المتحدة قد جعلنا وراءها بمراحل وستكسف تلك البنت امها وتشغل المقام الاول الذي نشغله اليوم فلا نستطيع اذ ذاك ان نصدها عنه الا كما صدت البندقية وجنوه وهولانده عظمتنا المأثورة . قال الكاتب هذا القول سنة ١٨٧٠ ولم يكد يتم القرن التاسع عشر حتى صارت انكلترا من هذه الوجهة دولة ثانوية ولاميركا المقام المحمود وحق التصدر والاولية وامست انكلترا لا يهمها سبق اميركا وحدها بل قام لها من دول الارض من حذون حذو

الاميركان في مباراتهم التجارية مثل الالمان واليابان والروس ·

وغير خاف ان العنصر السكسوني من اعظم العناصر ادلالاً بعظمته حتى لقد صرح يوماً سسل رودس الغني المشهور والملقب بنابليون الكاب بان الله اختار العنصر الذي يتكلم الانكليزية ليكون اداة يقام بها مجتمع اسس على العدل والحرية والسلام · ولطالما صرح نبلاء الامة الانكليزية بمثل هذه الافكار واظهروا من الفرح بنهضة الاميركيين وان نجاحهم كيف كان يعد نعمة على البريطانيين لا نقمة · قال بعضهم سئل اسكندر دوماس القصصي الفرنسوي ذات يوم اي تأليفه احب اليه وكان ابنه جالساً بالقرب منه فاشار بيده الى ابنه وقال هذا · ولذلك اقول اي حسنة تعد لانكلترا فالولايات المتحدة رأس حسناتها اهلها اهل العزائم وهم اجدر منا بالقيام بالعظائم ·

ومن جملة ما اوصى به سسل رودس من الاعمال الخيرية ان يصرف من ماله على الدهر اجرة تعليم تلميذين من كل ولاية من الولايات المتحدة يجيئون مدرسة اكسفورد الجامعة في بلاده ليتعلموا فيها على نفقته ويعودوا الى اميركا لتنتفع بهم امته · قالت احدى الجرائد ولو كان عكس الامر بان اوصى ان يعلم بعض ابناء بلاده في اميركا للوقوف على احوال الاميركان لعمل خيراً كبيرا · حتى ان القاعدة الشائعة في مدرسة هارفرد الجامعة الاميركية التي سنها الفيلسوف اميرسون الاميركاني هي : ان السكسونيين كانوا وعليهم ان يكونوا العنصر الحاكم المتسلط وما يطمحون اليه هو بسط النفوذ والقدرة على الاضطلاع بالاعمال ·

وبعد فان النهضة الاميركية احدث من النهضة الانكليزية واقوى من النهضة الالمانية والروسية واحسن انتظاماً من النهضة اليابانية ومنها الخوف القريب على مستقبل العالم · وان مبدأ مونرو مضافاً الى نهضتها الزراعية والصناعية والتجارية

هو مما يطوي الاحشاء منها على وجل ابدًا من حيث الامور السياسية · ولقد كان للنساء اليد الطولى في هذا الارتقاء فانك ترى للمرأة في الولايات المتحدة من الاعتبار والمقام مالا تراه لها في بلاد اخرى من ممالك الارض · فالمرأة هناك تؤسس البيوت على التقوى والحب لا على المصلحة والمنفعة وتنفخ في ذويها النشاط الذي يعلي منزلة الانسان ويحببه الى النفوس · فمن اجل المرأة قام الاميركان باعمال عظيمة في حروب الرقيق المدعوة بحروب الانشقاق ومن اجل المرأة ترى الاميركي معجبًا بنهضته وساهرًا ابدًا على دفعها الى اقصى غايات الكمال على ان في الولايات المتحدة من المسائل السياسية الداخلية مالم توفق بعد الى حله مثل مسألة الرقيق والمسألة المالية ومسألة الجيش ومسألة البحرية ولا ينبغي لمن يرغب في العمل من الدول ان ينتظر ريثما تحل هذه المشاكل لئلا تفوته الفرصة وتنادي محبة المباراة منهن « الصيف ضيعت اللبن »

اما المسائل العسكرية والبحرية فالولايات المتحدة تحلها اي حل · ناهيك بامة لم يكن لها سنة ١٨٩١ من السفن الحربية ما يستحق الذكر وصار لها اليوم المقام الثاني بين الدول البحرية وتطمح الى احراز المقام الاول مما يتأتى لها في القريب العاجل · واني لآمل ان لا يذهب كلامي في الهواء اذ ان نهضة الاميركان تستحق ان تستدعي انظار الاوروبيين مادامت تسوى كل مسائلهم و يمتلئ الفراغ وتصلح النواقص ولم يبق في الولايات المتحدة في الحقيقة غير مسألة السود التي تحل بطبعها يومًا عن آخر ·

وما برح اخلاف عبيد افريقية ينمون منذ حرب الرقيق وكانوا اذ ذاك اربعة ملايين فغدوا اليوم من اثني عشر الى ثلاثة عشر مليونًا على ان السواد الاعظم منهم مابرحوا في ذهول وخمول وما فتئ الاميركيون يكرهونهم كثيرًا وان حرروا من

رقهم فقد لا تجد فتاة اميركية تزوجت بزنجي ولطالما عوقب بعض الزنوج على ان اطالوا يد تعديهم على النساء البيض ومزقوهن ار باً ار باً وهذا ناتج عن البغض القديم المتأصل بين العنصرين و يزيد فيه الصفات السيئة التي اختص بها الزنوج بيدان العقول ما برحت تفكر في تلك البلاد بايجاد حل لهذا الاشكال ووضع دواء لهذا الداء وذلك من طريق العلم والتربية ·

قام العمراني الاسود كوكرواشنطون وانشأ مدرسة جامعة عظمى للسود في مدينة توسكيكو وأُسست فيها مدارس خاصة بالزنوج تكون تحت مناظرة العقلاء من الاميركيين · وقد عُني رجال الاميركان ومنهم الرئيس روزفلت اليوم بتحرير الجنس الاسود من رقه الادبي فدعا الى تناول الطعام على مائدته كوكرواشنطون المشار اليه ولم تخش الآنسة ابنته على سواد بشرتها من التنزه مع النساء البيض · ولا يلبث السودان ان يتعلموا لترتفع مداركهم عن التسفل والفظاظة وليفنوا في كيان الاميركيين كما يفنى غيرهم من المهاجرين ·

واني اعود فأقول ان نهضة الاميركيين جديرة ان تدرس حق دراستها والا ساءت مغبة اوروبا وباءت بالخسران العظيم وخصوصا اذا تمت الامنية بعقد تحالف انكليزي اميركي · وليعلم الدول كلهن مع هذه القوة الهائلة ان للجميع — كما قال الفيلسوف سبينوزا — محل من بيت الرب اي مجال لكل الرجال في هذه الحياة الدنيا ليعملوا والله يعلم السر واخفى

اكلة التراب

معربة عن مجلة الطبيعة الفرنسوية

اكل التراب (La géophagie) من العادات المشاهدة في جميع اطراف العالم فلا يتناوله المتناولون اجزاءً صغيرة كما تؤخذ التوابل بل يكثرون من تناوله بكميات وافرة · وقد قال بلين ان بعض الرومانيين كانوا يمزجون الحنطة بالطباشير المستخرج من ضواحي بوزليس احدى مدن ايطاليا اليوم · وكان التراب المختوم المجلوب من جزيرة لمنوس وارمينية يستعمل في الطب · ويأكل بعضهم الطين في اميركا الجنوبية في خلال الفيضانات كما يتخذون التراب إداماً في المعجنات في بورنو والهند الصينية ويقوم الصلصال الابيض مقام صحفة من الحلواء في شاطىء الذهب بافريقية

ويتخذ من الحجر الرخص الابيض (Stéatite) طعمٌ لقنص الثعالب والوعول وغيرها من الحيوانات الكاسرة · وسمن الحجر (Steinbutter) معروف عند العملة الالمان · وقد شاع استعمال تراب صالح في بلاد فارس · واهل السنيغال يمزجون تراب المغرة (طين احمر) بالارز فيأكلونه · وثبت في الهند خاصة منذ عهد طويل ان اكل التراب ينتهي بصاحبه الى الموت · ويظهر ان القوم في اميركا الجنوبية يضعون في الليل على عيون الاطفال اوجهاً مستعارة لمنعهم من قلع الجبس عن الحيطان واكله

وكثيرًا ما شوهد ان اناساً في بعض الاصقاع يتناولون كمية من التراب او الخزف المكرر فقد ثبت ان العثماني (كذا) يتناول نصف رطل مصري في النهار وان الفرد في اقليم البنغال من بلاد الهند يتناول ستة اواق · ويجعل التراب او الخزف

بعض الاحيان تماثيل صغيرة وغيرها كما تجمل السكر والحلويات واقراص الطحين والعسل والتوابل · فيتخذون في البنغال و بوليفيا صور قديسين من الطين والخزف كما يتخذون منها في جاوة صورا دميين وحيوانات · والتراب اكثر شيوعاً من الخزف ·

ولقد ادى البحث عن اسباب مرض اكل التراب اليوم الى انه ينبغي التمييز بين ما استعمله بعض الشعوب في كل زمن من مزج طعامهم بمواد حديدية مختلفة و بين المرض الذي يصاب به بعضهم في اصقاع معينة وهو عبارة عن ابتلاع كمية عظيمة من التراب · فان من الامراض ما ينشأ عنه ميل الى تناول التراب مثل بعض امراض الهستريا والجنون والخبل · وكذلك بعض النساء في حال الحبل · ويكثر الميل الى ذلك بالاكثر في الامراض التي يحدث عنها اضطراب في المعدة و يشكو اربابها بضيق وجوع واحتراق في القسم الشراسيفي فيتوهمون انهم اذا ابتلعوا جسما ثقيلاً تسكن آلامهم وهذا ضرب خاص من ضروب الطوى الشديد وجوع البقر (La Boulimie)

ومن جملة الامراض الشائعة في اقطارنا ماينجم عنه احياناً افراط في اشتهاء الطعام وميل الى ابتلاع مواد صلبة ولو لم تكن مغذية هو مرض الانيميا المصرية (L'Ankylostomiase) داء عني بالنظر فيه بعض اهل العلم منذ بضع سنين فثبت لهم انه يحدث من ديدان صغيرة قليلة كانت او كثيرة تعلق في الغشاء المخاطي لمعدي على مساواة الاثني عشري (اي القسم الاول من المعي الرقيق) ولا يصاب به في البلاد الاوروبية غير عملة المناجم ولذلك يدعى ايضاً هزال المعدنين · كما يصاب به العملة الذين يشتغلون في الانفاق ومعامل الخزف والقرميد · والحرارة والرطوبة هي من الاسباب الجوهرية في نمو هذه الديدان · فتعيش الدودة وتبيض

في معي المرء كما تنمو في الطين الذي هو الى الحرارة وتدخل الجسم عن طريق الجلد او عن طريق الفم وبهذا عرفت ان دودة الاحشاء هذه التي يقل نموها في البلاد الباردة للاسباب المقدمة آنفا يكثر نموها في الاصقاع الحارة والرطبة ·

وبعد فقد ثبت وجود الانيميا المصرية مثلاً في مصر وعلى ساحل افريقية تقريباً وانه يصاب بها الزنوج احياناً بصورة شديدة للغاية · وقد وجد الباحثون بين المصابين بها أناسا من اكلة التراب كانوا يحملون داء الانيميا في احشائهم ·

ومن السهل ان نتصور مبلغ ما يتعرض له اكلة التراب من الاخطار اذا عرفنا انه مملوءة بالدويبات والجراثيم · ولا يبعد ان ينجلي البحث في المستقبل عما اذا كانت نسبة بين الاصقاع التي ينتشر فيها مرض الانيميا المصرية وبين الاصقاع التي يؤثر عن اهلها اكل التراب · وانا لنرى اكلة التراب على كثرة في الهند كما نجد مرض الانيميا · وكذلك الحال في الصين والهند الصينية وسيام واليابان · وقد بحث سنتيل في مرض الانيميا في اميركا فثبت له انها منتشرة في الارجاء التي شوهد فيها اكلة التراب وانه لا يصاب بها الهنود فقط بل تتناول الزنوج والبيض ايضاً

و يروى ان اكلة التراب يموتون في اميركا شر ميتة فتبدو عليهم اعراض الهزال فيهلكون · هذا وقد ثبت ان الانيميا تسبق في الغالب عادة اكل التراب وقيل انه سبب الانيميا ولا يدرك ذلك في الانيميا البسيطة وتظهر كل الظهور اذا كانت الانيميا ناشئة عن ديدان

تراسل الافكار

حدث مرةً ان اميرًا شهيرًا من امراء بلاد بعث بنفر من اخص اتباعه الى ايالة يتولى امرها رجل وافر الثروة عظيم الجاه نافذ الكلمة حتى اصبح ندًا للامير المشار اليه يخشى بأسه ويحذر جانبه فلم ير الامير من وسيلة للتفرد بالحكم والسلطان سوى التخلص من ذلك الند بطريقة من الطرق وبعد التروي في الامر عول على اغتياله فاسر ذلك الى الاتباع المنوه عنهم وبقي سرًا مدفونا في قلوبهم لا يعلم به احد من البشر . وبينا الاتباع سائرون لقضاء مهمتهم في وسط واد واذا برجل واقف على صخر شاهق يناديهم قائلا ايها القوم الا يكفي اثنان منكم لقتل فلان وذكر اسم الرجل فعرتهم الدهشة وتولاهم الهلع والذهول لان رجلا آخر في العالم وقف على سر الدسيسة وهم على يقين انه لم يعلم احد سواهم به الا الامير

وهذه الحقيقة وامثالها التي كان يسخر منها العلماء منذ بضع سنين وينسبونها الى الصدفة او الاوهام قد اصبحت الآن شغلا شاغلا لعلماء ما وراء المادة وسيكون لها شأن خطير في رفع ستار الابهام عن حقيقة القوى العقلية التي لا نعلم من امرها حتى الآن سوى النزر اليسير

الطريقة التي جرى عليها البشر في نقل الافكار من دماغ الى دماغ او من عقل الى عقل هي واحدة من اثنتين وهما اللفظ والكتابة ففي الاولى يكون عضو السمع هو الواسطة في نقل الفكر الى الدماغ وفي الثانية يكون الواسطة عضو البصر الا انه قد تبين الآن بعد طول البحث والاختبار ان هنالك طريقة ثالثة ينتقل بها الفكر من دماغ الى آخر في الفضاء على مسافة الوف من الاميال دون وسيلة من الوسائل المادية وهذه الظاهرة الغريبة من ظواهر علم ما وراء المادة التي لم يتفق

العلماء حتى الآن على وضع لفظ لها في اللغات الاجنبية يقع عليه الاجماع قد اطلقنا عليها في العربية لفظ تراسل الافكار وهي الغرض من هذه المقالة

والمراد بتراسل الافكار انتقال فكر من دماغ الى دماغ دون توسط احدى آلات الحس المعروفة فقد يتفق ان ينازع شاب في القاهرة وهو في حال النزع شعوره في لحظة حدوث تلك الاعراض لوالدة له قد تكون في باريز مثلاً فتشعر بنزع ابنها في تلك اللحظة عينها وليس ذلك فقط بل قد يتاح له ان ينقل اليها في تلك اللحظة ايضاً وصيته وامانيه الاخيرة بحيث تنجلي لوالدته واضحة كل الوضوح وليس هذا من باب التخرصات والاوهام ولكنه حقيقة علمية اجمع جلة الفلاسفة على الاقرار بصحتها ولكنهم اختلفوا في تعليلها وهم في ذلك فريقان فريق الماديين وفريق الروحيين

والشواهد على صحة ما تقدم كثيرة تعد بالالوف نجتزيء هنا بذكر واحد منها يكون بمثابة أنموذج للمطالع اللبيب وهو ان شقيقة احد الجنود الذين توجهوا الى الترنسفال اثناء حرب البوير شعرت فجأة في لندرا ان اخاها اصيب برصاصة في صدره والدم ينزف غزيراً من جرحه وافادها في تلك اللحظة عينها انه عندما سقط جريحاً في ميدان الوغى عاونه رفيقان احتملاه من موضعه واغاثاه جهد الطاقة وذكر اسميهما لها دون ان تكون قد سمعت بهما قبلا على الاطلاق واوصاها ان تخصهما بهبات مخصوصة من ملكه عينها لها تكون بمثابة تذكار منه اليهما اعترافاً بشهامتهما فدونت الشقيقة هذا الشعور والتاريخ بالدقة ولم يكن سوى بضعة اسابيع حتى وردتها التفاصيل مؤيدة لما تقدم كل التأييد

وليس من داع الى الاغراب في ايراد الادلة والشواهد فقد جرى في نفس القاهرة منذ عام او عامين ماهو بمثابة ثبت لما تقدم اذ جاء رجل وامرأة واظهرا من البراعة في

قراءة الافكار ما حير الحاضرين وادهشهم ولقد تفنن الحضور في الاضمار تفنناً حتى ان احدهم اخذ دبوساً ووضعه ضمن لفافة وضعها مع لفائف اخرى في علبة جعلها في جيبه فلما اقتربت المرأة من الرجل اعترتها هزة عصبية كمن هو في حيرة ثم ما لبثت ان وضعت يدها في جيب الرجل واخرجت منها اللفافة فقطعتها قطعاً واخرجت من وسطها الدبوس وهي تنتفض انتفاضاً

ومن اهم شروط قراءة الافكار ان يكون القارىء معصوب العينين لكي لا يستعين بقوة فراسته والاستدلال بملامح الوجه على ما يدور في خلد من امامه وليتمكن من جمع قوى الذهن حتى تكون اشد تأثيرا وانفعالا اذا كان مفتوح العينين . وقد جلس مشاهير قراء الافكار في حضرة اعظم ملوك العالم والقابضين على اعنة احكامه فادهشوا الحضور بما كانوا يأتونه من الاصابة في الحكم وكشف مخبآت الافكار

غير ان هنالك فرقاً جوهريا بين قراءة الافكار وتراسلها اذ انه لا بد في الحالة الاولى للقارىء من لمس اطراف انامل الشخص او جبهته اما في الحالة الثانية فلا شيء من الملامسة بل تنتقل الافكار من دماغ الى دماغ آخر على بعد الوف من الاميال دون توسط آلة من آلات الحواس المعروفة على ما مر بيانه وهو العقدة التي وقفت عندها الباب علماء ما وراء المادة حيارى يتلمسون لها حلا ينطبق على شرائع الطبيعة ونواميسها

اذا رميت حجراً في بركة ماء ساكن تكونت نقطة الوقوع في دوائر لا تحصى من التموجات تزيد كل منها عن التي ضمنها حتى تتلاشى في المحيط وذلك لان دقائق السوائل سهلة الحركة فتفعل فيها القوة فعلا متساوياً الى كل الجهات وهذا هو السبب في تكون الحركة الناشئة من سقوط الحجر على شكل دوائر مختلفة الحجم لها مركز واحد وهو نقطة الوقوع ونفس هذه التموجات التي تحدث في الماء تحدث

ايضاً في الهواء الذي هو في عرف علماء الطبيعة سائل لطيف فاذا صفقت كفاً بكف احدث الصفق تموجات في الهواء الى سائر الجهات فتقع على الاذن فتهتز طبلتها اهتزازاً يختلف باختلاف شدة الصفق وتنتقل الاهتزازات المذكورة على طرق لا مجال لتفصيلها الى العصب السمعي الذي ينقلها الى حاسة السمع في الدماغ فيشعر بالصوت

الا ان هنالك سائلاً آخر في غاية اللطافة يملأ جوانب الفضاء و يتخلل ابعاد الاجرام السماوية ومسافات الكون لم تشاهده عين ولم تسمعه اذن ولم يخطر على قلب بشر في العصور السالفة اطلق عليه العلماء اسم الاثير واستدلوا على وجوده بادلة ليس هنا محل شرحها فاذا تموجت دقائق هذا السائل تموجات خصوصية احدثت الظاهرة الطبيعية التي نسميها بالنور وما اختلاف الوان النور التي نشاهدها في قوس قزح سوى اختلاف تموجات الاثير فاذا انخفضت الى درجة معلومة اصبحت حرارة اي امواجا لا تدرك بالعين بل يشعر بها باعصاب الحس فالنور و الحرارة اذاً صنوان انما يدرك احدهما بحاسة البصر والآخر بحاسة اللمس تبعاً لتموجات هذا الوسط اللطيف المسمى بالاثير

واعتقاد الفريق الاكبر من العلماء الآن هو ان الفكر الذي يتولد في الدماغ يحدث امواجاً خصوصية في الاثير شبيهة بامواج النور التي مر بك بيانها ولكل فكر تموجه الخاص كما ان للازرق من النور تموجات خصوصية في الاثير وللاحمر مثلها فكذلك لكل نوع من الافكار تموجه الخصوصي في الوسط المشار اليه وكما ان النور يسير بسرعة مدهشة تبلغ نحواً من مائتي الف ميل في الثانية حتى يتاح لنا ابصاره لحظة حدوثه فكذلك يتاح للفكر ان يحدث تموجاته الخصوصية في الاثير سائراً بمثل هذه السرعة العجيبة وكما يتأتى للقوة الباصرة في الدماغ ان تشعر بالنور

على مثل هذه المسافة فكذلك يتأتى للدماغ ان يشعر بتموجات الفكر الصادرة اليه من دماغ آخر لحظة حدوثها ولو كان احدهما في جانب من الكرة الارضية والآخر في الجانب المقابل

فاذا ادركت ذلك هان عليك ان تفقه كيف تنتقل الافكار لحظة حدوثها من دماغ الى دماغ على مسافات شاسعة وكيف يمكن لقريب ان يشعر بما يجول في دماغ قريب له يقضي نحبه غير ان ذلك لا يتأتى لكل فرد الحصول عليه اذ لابد هنالك من استعداد خاص في الدماغ يؤهله لهذا الشعور البالغ منتهى الرقة ولولا ذلك لكان كل فرد من البشر قارئ افكار والواقع يدلنا على ان ذلك محصور بفئة قليلة جداً ثم ان هذا الشعور دليل على وجود نفس للانسان تتجلى لقريبها لحظة انفصالها عن الجسد او هو ظاهرة طبيعية محضة يكفي التعليل عنها بما تقدم فهو مما لم يقطع به العلماء حتى الآن وليس من غرضنا الخوض به في هذه المقالة فلكل فريق ادلته ولكل عالم دينه

القاهرة — الدكتور خليل سعادة

شاه ايران

فقدت بلاد فارس صاحبها الحكيم ومدبرها العظيم واباها البر الرحيم الطيب الذكر مظفر الدين شاه . توفاه الله في الشهر الماضي عقيب مرض طالت به برحاؤه واشتدت عليه بلواؤه . داء النقرس والكليتين . فشق نعيه على كل من عرف ما لاقته امته في عهده من اصلاح الحال وحسن المآل

ولد في ١٤ جمادى الثانية سنة ١٢٦٩ وامه اميرة من الاسرة المالكة ولما شب أُخذ في تلقينه العلوم الابتدائية ثم نصب وهو يافع ولياً للعهد وجعل والياً على

آذربايجان واقام في قاعدتها مدينة تبريز معهد اولياء العهد في الحكومة الفارسية وهناك اخذ يتلقى اللغات والعلوم فاحكم منها الفارسية والعربية والتركية والفرنسية وحذق الرياضيات والعقليات والتاريخ والجغرافيا وفن المدفعية و بقي يمارس اعمال الادارة تسعاً وثلاثين سنة كان في خلالها مظهر العطف والرأفة ومثال العدل والحكمة حتى يروى انه كان يقول لاوايت ملكا ابناؤه فيه عبيد ٠

تولى عرش السلطنة في ٢٣ ذي القعدة سنة ١٣١٣ وابان فيها عن دراية واسعة ولقد حاول لاول امره ان يدخل الى بلاده من الاصلاحات ما تأمن به عوادي الاغيار و يعيش اهلها في نعيم وغبطة لكنه حاذر من نفوذ رجال الدين والاشراف في مملكته وتعصبهم الذي يمازجه جهل بالحديث وجمود على القديم فعزم ان يمهد لذلك بان يرحل الى اوربا و يصحب معه زمرة من رجال قصره واكابر دولته ليروا باعينهم ما في الغرب من حضارة رائعة وانتظام شامل فيعودوا وقد تشبعوا بفكر الاصلاح و يكونون يده اليمنى في العون عليه ولكن لم يجد منهم في رحلاته الثلاث ما كان يتوقعه وانصرف هناك معظمهم الى شهواتهم وما خصوا للنظر فيما يقصد اليه مولاهم ولا نزراً من اوقاتهم ولا اعاروه نظرة من التفاتهم

حتى اذا كانت هذه السنة نزع جماعة من الامة في طهران الى الثورة ولجأ قسم منهم الى السفارة الانكليزية وهاجر قسم الى الاماكن الطاهرة في العراق او يدخل الشاه الاصلاح المطلوب وعندها وجد وسيلة الى منح الامة ما كان يجول في صدره منذ سنين فمنحها الدستور وشرع لها قاعدة الشورى الاسلامية ولقد خاف ان يدركه الاجل ولم تستحكم من مجلس الامة قواعده ولما اشتد عليه المرض دعا اليه ولي عهده وامره بان يوقع على ورقة كان القاها اليه فوقع عليها بدون ان يراها تأدباً وقال لهُ هذا هو الدستور الذي منحناه للأمة ٠ ولما بلغه وهو على

فراش الموت ان ولي عهده غير راض عن الدستور سأله عن معنى ذلك فقال له والعبرات تتساقط من ماقيه : ايجدر بالملوك ان يخالف امر مولاه ·

ومن جملة ماقام به من اعمال الاصلاح انه تنازل عن راتبه الملوكي وكان خمسة ملايين فرنك فانزله الى ٧٥ الفاً ء له من الثروة العظيمة الخاصة والغى كثيراً من المكوس والضرائب واسس في عاصمته مدرستين على الطرز الحديث ليعلم اولاد الفقراء مجاناً وحبس لهما مايكفيهما من ماله وحث قومه على انشاء المدارس فنشئت في طهران عشرات من المدارس على الاصول الجديد وكذلك في معظم المدن الفارسية ما خلا مدارس الحكومة وكان طاب ثراه متديناً غيوراً مفكراً جداً يقرب العلماء والشعراء ويغدق عليهم من جوائزه وعطاياه وهو ثاني ملك شرقي منح امته الدستور عن طيب خاطر ومات وهو حريص على تنفيذه محاذر ان ينقض ما ابرمه ويهدم ما اقامه · ولذلك كان خطبه جسيما والاسف عليه عميما

اما خلفه الشاه محمد علي فقد ولد في ١٤ ربيع الثاني سنة ١٢٨٩ هـ واقيم ولياً للعهد وحاكماً على آذربايجان يوم وفاة جده ناصر الدين شاه وتولى والده منصة العرش الفارسي وقد تعلم حد الكفاية من العلوم واللغات وهو يعرف العربية والانكليزية والروسية والفرنسية ·ولع بالضرب على بعض ادوات الطرب موصوف بالنباهة قوي البنية تغلب عليه حدة الشباب في الاحايين ولعلّ بلاد الاكاسرة تلاقي منه خير نصير في اتمام ما بدأ به والده من الاصلاحات النافعة في عمران ذلك الملك وارتفاع شأنه

المسلمون في الفيليبين

الفيليبين هي ارخبيل او مجموع جزائر في الاوقيانس الكبير تتألف من نحو الف ومائتي جزيرة صغرى وكبرى. وهذه الجزر هي القسم الشمالي من ماليزيا اكتشفها ماجلان الملاح البرتغالي ودعيت باسم فيليب الثاني ملك اسبانيا وهي ممتدة على ١٥٠٠ كيلومتر من الشمال الشرقي من بورنيو بين بحر الصين والمحيط الباسيفيكي وتبلغ مساحتها السطحية ٢٩٦٫٠٠٠ كيلومتر مربع واهم محاصيلها البن والاباز ير « البهارات » وقصب السكر والارز والتبغ والقنب ومن بحرها وانهارها يستخرج عرق اللؤلؤ والدر بكثرة ومناخها شديد ولذلك كان اهلها وعددهم زهاء سبعة ملايين نسمة اشداء اقوياء. وقد اضمحل سكانها الاصليون الا قليلاً بما داهمهم من بأس الفاتحين من الماليزيين واكثر سكانها تمدنًا اليوم هم التاغال وعددهم مليون ونصف والفيزايا وعددهم مليونان ونصف والفيكول وعددهم اربعمائة الف والمورو اي المغاربة وهم المسلمون وعددهم كثير في الجزائر الجنوبية وهم اخلاط من الماليزيين والصينيين والهنديين والعرب والجاحدين من الاوربيين ويعد في جملة المسلمين قوم من الجوراماناتادو يقدمون ارواحهم فدية لله ويتقربون اليه بقتل الكافرين وهم متعصبون على الجملة على ما وصفهم اكثر من كتبوا عنهم .

ولقد استولت اسبانيا على هذه الجزُر زمنًا ولكنها لم تعمرها وغاية ماصرفت وكدها اليه تنصير السكان ليدينوا بالكثلكة فاصبح المتظاهرون بها والمنتحلون لها تسعين في المئة من السكان ولما لقي التاغال والميتيون مالقوا من سيطرة رجال الدين وسوء الادارة قاموا يريدون تخفيف مانالهم وان يعاملوا بالمساواة مع البيض فنشبت ثورة سنة ١٨٩٦ ولم تنطفئ شعلتها الا بوعد زعيم الثائرين ان تقوم اسبانيا بالاصلاح المنشود ولما لم تتم هذه الحكومة بوعدها عاد ذاك الزعيم يبدي نواجذ الشر في السنة التالية بمعاونة الولايات المتحدة وبعد ان حاربت الحكومة الاميركية اسبانيا من اجل هذه الجزائر استولت على الفيليبين وكوبا وبورتوريكو ونكست اعلام اسبانيا وراح الاميركان يستعمرونها فيحسنون استعمارها

ولما مد السلام رواقه على هذا الارخبيل وانتهى دور الكتائب والحسام جاء الدور للكتب والاقلام واخذت المجامع العلمية تبعث برسلها للبحث والتنقيب لتنظر في تاريخ الفيليبين واجتماعها وعمرانها فانتشر منذ سنة نحو عشرين مصنفًا في الكلام على هذه الجزائر ومن جملتها كتاب تاريخ المور واي مسلمي الفيليبين لوطنينا الفاضل الدكتور نجيب صليبي

ولقد اطلعنا على مبحث في مجلة العالم الاسلامي الفرنسوية اقتطفته من مصادر كثيرة

ومنها كتاب جزائر الفيليبين الذي ظهر موءخرًا بالانكليزية من قلم جون فورمان فآثرنا تحصيله للقراء ليقفوا على احوال اولئك القوم ويعرفوا مبلغ عناية الغربيين بكل فرع من فروع العلم والاجتماع قالت المجلة البارزية :

شغل المؤلف جزءاً عظيماً من كتابه بالكلام على المسلمين بعد ان اطال عشرتهم وخالط زعماء الثورة ورجال الحكومة منهم فجاء من ذلك ببيان رائده الانصاف وسداه ولحمته التحقيق وقد ابان في كتابه علاقة مسلمي الفيليبين مع الاسبانيين سابقًا ومع الاميركيين لاحقًا الى اواسط سنة ١٩٠٥

المسلمون اليوم هم عبارة عن ثمانية او تسعة اعشار جزيرة مينداناو الكبرى وجميع ارخبيل سولو مع جنوبي بالوان وكانوا منتشرين في الشمال من تلك البلاد على عهد الفتح الاسباني ولما نزلت الحملة الاسبانية الاولى في جزيرة لوسون سنة ١٥٠٧ اختلطت لاول امرها مع الراجا (حاكم) توندو وابن اخته الراجا سليمان في مانيلا حاضرة الفيليبين اليوم وكان قائد الجيش الاسباني العام اذ ذاك يرى سكان توندو ومانيلا مسلمين و يطلق عليهم في مكاتباته الرسمية لفظ المورو اي المغاربة ولم يكن لاحد من الاسبانيين شك في ذلك لان المغاربة لم يُطردوا الطرد الاخير من اسبانيا الا سنة ١٤٩٢ .

ولقد اختلفت الاقوال في دخول الاسلام الى تلك الجزر والمرجح ان الجزر الجنوبية مثل ميداناو وسولو انتشر فيها الاسلام لقربها من مسلمي شمالي بورنيو فاستولى المسلمون على سلطنة بورنيو عقيب ان خربوا مملكة الماجاباهيت من بلاد جاوه سنة ١٤٧٣ ولم يحارب الاسبانيون مع سلاطين المسلمين الا في سنة ١٥٧٧ وقد تقدم السلطان عبد القهار عدة ملوك مسلمين ومنه بدأ تاريخ الفتن بين المسلمين والاسبانيين . وبالجملة فان الاسلام انتشر في ميندناو وبورنيو بمساعي دعاة من العرب على انه لم ينتشر حقيقة في جنوبي الفيليبين ابان الفتح الاسباني ولم تنتحل سولو الاسلام الا بعد ان جاءها دايكس من بورنيو وتزوج احد زعمائهم المدعو اندازولان — وكان استولى اولاً على جزيرة بازيلان ثم على سولو — من ابنة زعيم من اعيان المسلمين في ميندناو وانتحل الاسلام واسس سلطنة سولو ثم قويت شوكته باتحاده مع بورنيو وميندناو

وعادت الاحقاد القديمة فتجددت بين الاسبانيين والمسلمين وحمل الاسبانيون على هؤلاء مدفوعين بعامل السخط الشديد وفي سنة ١٥٧٦ ثار لاكاندولا والراجا سليمان في جزيرة لوسون ولكن قوة الاسبانيين اذ ذاك حالت دون انتشار الكلمة الاسلامية وان بقيت اليوم بقية من ذرية لاكاندولا في بعض القرى فقد انحط مقامهم واصبحوا نكرة لا تعرف

حتى ان احدهم كان خادماً في مطعم فرنسوي في مانيلا سنة ١٨٨٥

وقد بعثت اسبانيا سنة ١٥٩٦ حملة على ميندااناو فقتل قائدها عند نزوله الى البر واغار والي سولو بنفسه سنة ١٦٣٨ فاحتل بعض المراكز في شاطيء ميداناو حيث لقب الراجا سيبوجي سنة ١٦٤٠ بلقب السلطنة . ولم تكن هذه السلطنة وذاك الاحتلال الا اسماً لا حقيقة لها اذ بقيت الفتن قائمة قاعدة بين المسلمين الاصليين والمسيحيين الفاتحين ولا سيما في القرصنة . فدامت الغزوات البحرية بين الفريقين بلا انقطاع مدة ثلاثة قرون فريق يعتقد انه يجاهد جهاداً مقدساً وهم المسلمون وفريق يدعي انه يحارب باسم الصليب وهم المستعمرون الاسبانيون

وفي اواسط القرن الثامن عشر حدثت بين المسلمين والاسبانيين فترة غريبة ذلك بان المفاوضات بينهم انتهت بان يكاتب ملك اسبانيا سلطان سولو الذي قاوم احد اخوته مكانه لجاء مانيلا يطلب مساعدة حاكمها . ورأى السلطان محمد عليم الدين ان يتنصر فتعمد ولحقت به أسرته وبدأت تتعلم في مانيلا التعليم الاسباني المسيحي وبعد سنتين رُخّص له بان يذهب من مانيلا الى سولو وزامبوانكا في موكب له فاضطر اولاً ان يكتب الى السلطان محمد امير الدين في ميندااناو ينصح له بلسان شديد اللهجة ان ينضم الى الاسبانيين . وبعد سفره بقليل تبين للحاكم الاسباني ان العبارة العربيـة كانت مخالفة للعبارة الاسبانية التي كتبها بنفسه ووقع عليها ولذلك امر بسجنه في زامبوانكا ثم اعيد الى مانيلا ولم يسع الوالي الاسباني الا ان يعود الى تنصير ذلك الحاكم المسلم ولو صورة

ولما احتل الانكليز مانيلا سنة ١٧٦٣ وجدوا السلطان مسجوناً فاطلقوا سراحه فراح الى سولو واقام على استئصال شأفة الاسبانيين في ميندااناو واصاب الانكليز ايضاً شيء من شره وان احسنوا معاملته . وقد بعث الانكليز الى سولو بمئة وخمسين رجلاً لتوطيد قدمهم فيها فدعاهم احد زعماء المسلمين الى مأدبة وذبح منهم ١٤٤

وبعد ان انجلت انكلترا عن قاعدة تلك البلاد عدل الاسبانيون من معاملتهم للمسلمين فاعترفوا سنة ١٨٣٦ باستقلال سلطانهم هناك حتى اذا كان عام ١٨٨٤ سيروا عليه حملة واستولوا على حاضرة بلاده فراح السلطان وخاصة رجاله يحتفظون بالقابهم فأدرت حكومة اسبانيا عليهم رواتب ومشاهرات الا ان المسلمين لم يبرحوا يلجأون الى الغارة والنهب في السواحل حتى قيل ان غارات المسلمين قويت شوكتها سنة ١٨٧٦ فلم يعد حكم اسبانيا في سولو الا اسمياً

وهكذا جرت حوادث بين الحكام الاسبانيين والسلاطين المسلمين يخضع هؤلاء

تارة و ينتقضون اخرى مثل سلاطين باكات وبوهاين وكودارنكان المحالفين مع داتواوتو ولما ضاقت اسبانيا ذرعًا ببعض القبائل المسلمة وانتقاضها الحين بعد الآخر عزمت غداة ثورة سنة ١٨٩٦ ان تطرد المسلمين من عقر دارهم وتسكن فيها جماعــة من المسيحيين الوطنيين ثم خضع بعض اولئك الامراء للاسبانيين خضوع حب لان منهم من كان يقدر المدنية الغربية قدرها ولذلك ظلوا على موالاة الاميركانيين ايضًا بعد ان استولوا على هذه الجزائر .

و يؤخذ مما كتبه فورمان ان الاحقاد القديمة بين الاسبانيين والمسلمين دامت على اشدها مدة ثلاثة قرون وظلّ المسلمون هناك يذكرون ما وقع لاخوانهم مسلمي اسبانيا . ومما كانت تجري الشروط عليه بين والي مانيلا الاسباني وحاكم سولو المسلم ان لا تمس شعائر المسلمين . وعلى ما حاولته اسبانيا من تنصير المسلمين فقد خرجت من الجزائر كيوم دخلتها ولم تفلح فيما قصدت اليه . ولا شك ان جمهورية الفيليبيين تحسن معاملة المسلمين كالاسبانيين وكذلك المسلمون لم يكونوا اقل عداء لسكان البلاد المسيحيين من معاداتهم للبيض .

ولما استولى الاميركيون على الجزائر لم يمسوا المعتقدات الاسلامية ولا عملوا على نقض شرع اهل الاسلام وان كانوا ينكرون عليهم ترتيباتهم في حكومتهم وهي حكومة اعيان « ارستوكراطية » وقد انتقد احدهم على حكومة الولايات المتحدة ان وطدت نفسها على انتظار ادخال تعديل في حال المسلمين هناك وتعليلها الامل بان نشر التعليم العام بينهم سيؤدي بعدُ الى نتيجة حسنة . على ان الاميركان كانوا يوجسون خيفة من نظام الاقطاعات الشائع بين المسلمين هناك . وقد نادت حكومة اميركا بان يظل اهل ولاية المسلمين يحكمون انفسهم بانفسهم ولم تتداخل الا بعض الشيء في حكومتهم وادارة بلادهم وتمتاز حكومة اميركا عن اسبانيا بان طريقتها في حكم تلك الجزيرة والمسلمين من اهلها خاصة هو بتدريب الاهلين على المباديء الديمقراطيه اما اسبانيا فقد ارادت ان تحمل على الاسلام نفسه لتخلص من المسلمين . ولو اقترب بعض الزعماء المسلمين من الاميركان سياسيًا مع احتفاظهم باخلاقهم من الوجهة الاجتماعية لما طال على البلاد عهد السلام

وقد عنيت الحكومة الاميركية بتنظيم شؤون المسلمين وتأسيس بلديات لهم في الجزر تقيم مع المجالس الوطنية وتعمل بالعادات الوطنية ما امكن وهي العادات التي لا تنافي عادات الشعوب المتمدنة ولا اخلاقها وقد بلغ عدد جيش الاحتلال الاميركي النازل في جزيرة سولو وحدها ٤٨٣٩ رجلاً و٢٩٤ ضابطًا على ان المحاربين من اهلها لا يتجاوزون العشرين الف رجل . وفي تلك الولاية ٤١ مدرسة فيها ٢١١٤ تلميذًا و١٥ معلمًا اميركيًا و٥٠ معلمًا

مسيحيًا وطنيًا و٩ معلمين مسلمين والمدارس غاصة بالتلاميذ والمتعلمين حتى ان ٢٤٠ طفلا من المسلمين حرموا من الدرس الآن فباتوا ينتظرون لان المدارس ملئت بالتلاميذ والطلاب من المسلمين

احدى نقائص الاجتماع

٢

شيخ كثير الذكر والتسبيح   ينهى عن المنكر والقبيح
يقول قال الله والرسول   واثبت المنقول والمعقول
ويكثر الصلاة في المساجد   والدور اذ يدعى الى الموائد
وربما ازورّ عن الطعام   مخافة الوقوع في الحرام
وصدّ ظمآنًا عن الشراب   كيلا تطول مدة الحساب
صارت له منزلة جليله   وشهرة عريضـة طويله
فأمه الغنيّ والفقير   وزاره الكبير والصغير
هذا يريد مطلبًا عسيرا   وذاك يرجو نشبًا وفيرا
وذا يروم البرء من ادوائه   اذ عجز الأساة عن دوائه
وازدحمت في داره النساء   فمالهنّ دونه رجاء
هذي جفاها الزوج منذ حين   ولجّ في الغلظة بعد اللين
وتلك لا تُملاُ الاولادا   فقلبها ينقـد انقادا
وهذه قد رغب الخطاب   عنها فاشقى عيشها العذاب
وهكذا استسلمت العقول   للشيخ فهو الله والرسول
وكاد ان يعبد دون الخالق   سبحانه عن عمه الخلائق
واني لفي ممرّ خال   ساق اليه سائق الاحوال
في ليلة أودى شقاء اجد   بحليها فاستسلمت للوجد
احزنها تصرّف الخطوب   فدمعها منهمر الشؤبوب
اذ عنّ شيخ لو بعيني نائم   مرّ لكان مثل وهم الواهم
فكان لي من امره المريب   وشغفي بالنادر الغريب

داع الى السير على آثاره   لاعرف الغائب من اخباره
فانسرب الشيخ الى مضيق   افضى به وبي الى طريق
لمحت فيـه وجهه المقنعا   نخلت ان ناظري قد خُدعا
فمن يظن ذلك الاماما   يرضى الخنا ويؤثر الحراما
قال لمومس هناك تخطر   لعلها بابن غنيّ تظفر
عمي مساء وهلمي فانا   نعم المرجى للفسوق والخنا
سلي ألم أُبل البلاءَ الحسنا   واجتن الحمد فنعم المجتنى
لا تزعميني وَكِلاًّ ضعيفا   ان صار هذا الشيب لي حليفا
ولا شحيحاً او اخا اعسار   لكن حيًّا ينهلُ بالنضار
لا سيما حين تدار الاكؤس   ويستقرّ بكلينا المجلس
قالت اصبت فالمراد المال   هو الشباب الغض والجمال
لولا طلاب القوت لم تجدني   بحيث ابلي صحتي وافني
وابذل العرض وما ادراكا   ما العرض اغلى ما رأت عيناكا
لو رام مني ولك الكرامه   مارمت كلب مفرط الدمامه
لم يك مني دونه امتناع   ما دام لي بماله انتفاع
ودخلا البيت فعدت واجما   احسبني فيما رأيت واهما

* * *

ما اولع النفوسَ بالحرام   واسرع النقص الى التمام
بل ما اشد نكد الايام   واتعب العاقل في الاقوام
فاز المراؤون وخاب الصادق   والتبست على النهى الحقائق
وانتشر الفساد والضلال   وخرجت عن حكمها الاحوال
فياسماءُ أمطري الارضينا   نارًا تبيد الخلق اجمعينا
أما لهذا الحلم والاغضاء   من غاية ترجى او انتهاء

دمنهور   احمد محرم

ضمان الحياة

افاضت المجلة الفرنسوية في وصف شركة لضمان الحياة أنشئت في مدينة تورين من اعمال ايطاليا في العهد الاخير وقد خالف القائمون بها جميع شروط الشركات المؤسسة من هذا النوع حتى الآن واليك محصل ما قالت : من نقص شركات ضمان الحياة الحالية انه لا يمكن للفقراء ان ينتفعوا منها فلو فرضنا ان احدهم مثلا اراد ان يضمن حياته على عشرة آلاف فرنك عند احدى الشركات المعروفة يقضى عليه ان يؤدي مسانهة خمسمائة فرنك فان مات قبل الاجل المضروب وهو عشرون سنة مثلاً تقبض اسرته عشرة آلاف فرنك وان عاش الى ما بعد هذه المدة يقبض رأس ماله اي عشرة آلاف بدون فائدتها. وفائدتها مهما قلت لا تنزل عن ثلاثة ونصف في المئة فيكون مجموع فائدة هذا المبلغ في خلال هذه المدة الفا فرنك على ان شركات الضمان الكبرى تأخذ فائدة اموالها من خمسة الى ستة في المئة

وهاك احصاء فيما وزعته شركات الضمان الرئيسة في العالم منذ تأسيسها حتى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٤

اسم الشركة وزمان تاسيسها	ما اعطته للمساهمين	ما دفعته للمضمونين
	فرنك	فرنك
العمومية (باريز) ١٨١٩	١٣١ر٥٠٣ر٧٠٦	١٠٤ر٦٨٧ر١٥٣
الاتحاد ١٨٢٩	١٩٤٣٥٨٨٨	١٨٧٧٨٩١٧
الوطنية ١٨٣٠	١٠٣٤٠٢٧٥٠	٧٧٣٣٨١٢٢
عنقاء مغرب ١٨٤٤	٢٦٥٠٥٨٤٧	٣٩٧٢٥٠٤٥
نيويورك	لم تعط شيئاً	٤١١٥٧٤٩٤٣

ومن هذا الاحصاء يتضح لك ان شركات الضمان اخذت ممن ضمنت لهم حياتهم ملياراً من الفوائد وزعت منها ٢٨٠ مليوناً على المساهمين و٢٤٠ مليوناً على المضمونين ولذا كان من يضمنون حياتهم آلة لهذه الشركات المالية تستعملها لتنال منها كل فائدة وعائدة ولا بدع اذا حرصت كثيراً على ان يعيش المضمونون المدة المتفق عليها لئلا تعطيهم قبل الوقت ما لم تكن قبضته كله منهم وربحت منهم الفائدة

اما الشركة الجديدة فقد أسست بدون رأس مال ورأس المال يستدعي أناساً يقومون على استثماره. بل ان اعضاء صندوق الضمانة هم متكافلون متضامنون فيصفي كل سنة حساب ما يجمع من جميع المضمونين اي انه يوزع بين أسرات من ماتوا في خلال السنة من المشتركين

فيعود المجموع من المال على عيالهم اذا مات احدهم وربما بلغ المال مبلغًا حسنًا . و يشترك في هذه الجمعية الرجال والنساء والشبان والشيوخ والاغنياء والعملة فاذا مات من كل الف شخص منهم في خلال السنة اثنتان وعشرون نسمة وهو معدل الوفيات في كل الف ساكن في ايطاليا وفي جملتهم الاولاد الذين يكثر الموت بينهم واستثني من ذلك من استثنتهم الشركة من الاطفال والشيوخ وكان المشتركون كما هي قاعدة الجمعية من اهل سن العشرين الى الخامسة والاربعين ممن لا يتجاوز المتوفى منهم عشرة في الالف — اذا كان هذا فيصيب اسرات من مات عميدها مبالغ من المال وهذه الجمعيات تنقسم الى طبقات لا يسوغ لكل طبقة ان تعمل ما خصصت نفسها له قبل ان يبلغ عددها الف نسمة فاذا فرضنا ان اعضاء طبقة يدفع كل منهم فرنكاً في الشهر او اثني عشر فرنكاً في السنة فيكون مجموع ما يدفعون كلهم في السنة ١٢٠٠٠ فرنك . يوزع هذا المبلغ على العشر أُسرات التي يموت اربابها في خلال السنة بحسب التقدير فيصيب كل اسرة مات احد من ضمنوا حياتهم لمنفعتها بعدهم الف ومائتا فرنك . فاذا وضع الفرد في مدة خمس عشرة سنة مئة فرنك في السنة ومات في خلال هذه المدة تأخذ اسرته عشرة آلاف فرنك واذا عاش فلا يأسف على المبلغ الذي وضعه كل سنة لانه زهيد . ولا يحتقر مبلغ عشرة آلاف فرنك تناله اسرة بعد فقد ربها و بدونه تتمزق وتتشتت اما هذا المبلغ فيكفيها لوفاء بعض الديون واستئجار مسكن والانفاق ريثما تجد لها موردا آخر او تهاجر بها او تعلم بها ولداً .

ومن الصعب على صغار المستخدمين كمعلمي المدارس وصغار التجار وفتيان القضاة والاطباء ان يدفعوا كل سنة مثلاً خمسمائة فرنك كما هو الحال في شركات الضمان القديمة في زمان كثرت فيه ضروب النفقات واذا قدر المشترك ان يدفع سنة لا يستطيع ان يدفع الثانية والا فانه يضطر ان يحرم نفسه من كل لذة ونعيم ليوفي قسطه السنوي وعلى العكس في هذه الجمعية او الشركة الجديدة . ولذا اخذت شركات الضمان الاخرى تحاربها وتتهمها بسوء القصد على ان الناس لم يدخلوا فيها بالالوف بل بعشرات الالوف وما دام امرها بيد القائمين عليها فانها مضمونة النتيجة وقوة المجموع اكثر من قوة الافراد

حوادث السنة

من الجدير بالتدوين من حوادث هذه السنة ما وقع في هذا القطر من الخلاف في طور سيناء على التخوم المصرية العثمانية لجرى التحديد وكان يخشى حدوث فتنة بين العثمانيين والمحتلين من الانكليز وكادت تتكدر كأس الصفاء بين المصريين والانكليز لان هؤلاء رموا اولئك بالتعصب فقامت الجرائد الوطنيــة تنفي عن قومها هذه التهمة وكانت مناداة المصريين بحب الدولة هي الباعثة على هذه التهمة . ومن حوادث العلم والاجتماع ان الشركات الاوربية وغيرها كثرت في هذه السنة بمصر لاستثمار ارضها واموالها وعقاراتها . واهتم بعض اعيان الاقاليم بانشاء كتاتيب للاطفال وحبس اطيان عليها كما عني بعض اعيان بني سويف بإنشاء مدرسة صناعية وجمعوا شيئًا من المال اللازم لها واهتم اعيان البحيرة بانشاء مثلها في اقليمهم بمدينة دمنهور . وقامت فئة من رجال العلم والوجاهة في العاصمة وارادوا منذ الصيف الماضي انشاء مدرسة جامعة مصرية تغني ابناء مصر عن التعلم في مدارس الحكومة ومدارس البلاد الاجنبية وكان زعيم تلك الفئة سعد باشا زغلول فلما عين في خلال ذلك ناظرًا للمعارف المصرية عهد بادارة هذا العمل الى صديقه قاسم بك امين فاخذ هذا يثير الارواح بفصاحته ويهز اكف السماح بحميته . والخلف كالسلف مشهور بفضل علمه وقوة ارادته . وقد جمع حتى الآن نحو عشرين الف جنيه . ووهب روكفلر المثري الاميركي عشرين الف جنيه لمدرسة اسيوط الاميركية دفعة واحدة

وزادت حركة العمران في ربوع السودان ولا سيما بعد ان فتح بور سودان واتصل بالبحر الاحمر من قرب سواكن بناحية بربر على النيل بالسكة الحديدية التي انشأتها الحكومة في سنتين وكلفت مليونًا وثلثمائة وخمسة وسبعين الف جنيه وطولها زهاء ٣٥٠ ميلاً .

وتوفر الاهلون في اكثر البلاد العثمانية على الزراعة والتجارة فارتفعت اثمان العقارات في المدن والاراضي في الضواحي والدساكر وارتفعت اسعار الحاجيات بكثرة الاختلاط وسهولة النقل عن ذي قبل فقد مدّ من خط الاستانة — بغداد قرابة ثلثمائة كيلومتر ومد من سكة حديد الحجاز نحو ثمانمائة كيلومتر وقطارات البخار الآن يرن صداها في وسط جزيرة العرب . واتصل الخط الحديدي بين بيروت ودمشق بمدينة حلب وانشئت ترامويات كهربائية في بعض الحواضر العثمانية كما شرع بانارة بعضها بالكهرباء . وحدث بين الدولة العثمانية والحكومة الايرانية اختلاف على الحدود لم يسوَّ بعد . وضرب الجيش العثماني امام الزيدية في اليمن يحيى بن حميد الدين والثوار من اتباعه واسترجع صنعاء منه فاكتفى القائد

بما كان تحت حكمه من صعدة واعمالها وظلت الدولة تحكم ما كان لها . وقوي الامير عبد الرحمن بن سعود وتبعه اكثر اهالي نجد فقتل الامير ابن الرشيد واستولى على معظم الصقع النجدي وأُقيم الامير متعب مكان ابيه اميرًا على مابقي له من البلاد .

ومنح الشاه مظفر الدين صاحب ايران حكومة نيابية لامته برضاه وطلب بعض المشايخ والاعيان وتوفي في الشهر الماضي وخلفه الشاه محمد علي ثاني انجاله . وتوفي سيدي محمد الهادي باي تونس وخلفه سيدي محمد الناصر باي وزار الامير حبيب الله خان اللورد منتو حاكم الهند العام كما زار الهند ومصر البرنس دي غال ولي عهد انكلترا . وقابل وفد من رجال المسلمين من الهنود حاكم الهند وسألوه ان ينظر في احوالهم السياسية فوعدهم خيرًا . واجتمع مؤتمر التربية الاسلامية في مدينة دكة الهندية وحضره ثلاثة آلاف مندوب من جميع الاصقاع الهندية . وزار ملك كمبودج من اقيال الهند الصينية بلاد فرنسا وصار فيها أُضحوكة كما صار من قبل بهنزين ملك الداهومي وغيره من ملوك الشرق المنحطين . واخذت اليابان ترقي بحريتها وجنديتها اكثر مما كانت بعد ان نفضت عنها غبار الحرب الروسية اليابانية . وانفذت الصين لجنة للبحث في قوانين الامم المتمدنة في الغرب وعادت فاخذت تطبق العلم على العمل وصدر امر الامبراطور بمنع الافيون من مملكته . ووافقت الصين على المعاهدة التي ابرمت بين حكومة الهند وحكومة تبت . وكادت العلائق السياسية تنقطع بين الولايات المتحدة واليابان لان طلاب العلم اليابانيين طردوا من مدارس سان فرنسيسكو الجامعة بدون مسوغ . وعقد في الجزيرة الخضراء من اعمال اسبانيا مؤتمر قوامه نواب من الدول الكبرى للنظر في شؤون الفوضى في مراكش وذلك بتأثير امبراطور المانيا فتقرر ان تنظم شرطة من الاسبانيين والفرنسويين وان ينشأ مصرف للحكومة المراكشية ولم تزل الفوضى قائمة هناك

ومن كوائن اوربا هذا العام تولي الاحرار زمام الوزارة الانكليزية بعد الاتحاديين وكانت فاتحة اعمالهم منح الترنسفال مجلسًا نيابيًا ودستورًا تجري عليه امورها . وزيارة الامبراطور ادورد السابع لاكثر مدن اوربا واجتماعه بالامبراطور غليوم الثاني في المانيا والامبراطور فرنسيس يوسف في النمسا . ووفاة الملك كرستيان التاسع صاحب الدنيمرك وكان محبًا للعرب مولعًا بآثارهم وخلفه ابنه فريدريك الثامن . ومنها تتويج هاكون الاول ملكًا على بلاد نروج بعد ان انفصلت عن السويد او اسوج . وامر القيصر نقولا الثاني بحل الجمعية العمومية (الدوما) التي كان منحها لامته وهي بمثابة مجلس نيابي معتدل عقيب الثورات التي نشبت في بلاد روسيا بعد حربها مع اليابان وبعد انفضاض الدوما حدثت ثورات في هلسنفورغ وكرونستاد بيعت فيها الارواح بيع السماح كما بيعت في بطرسبرج وموسكو

وفرسوفيا وغيرها من امهات المدن الروسية وقويت نفوس الثوار على البطش بالاشراف وزعماء الحكومة ومن ذلك الاعتداء على رئيس النظار والقائد تريبوف والكونت ايناتيف وغيرهم كثيرون .

وانتخب المسيو فاليير رئيس مجلس الشيوخ في فرنسا رئيساً للجمهورية عوضاً من المسيو لوبه الذي انتهت مدته وتألفت الوزارة الفرنسوية مرتين ثم سقطت وجردت فرنسا الكنائس وفصلتها عن الحكومة وضيقت السبل في وجوه رجال الدين وطردتهم وشردتهم

واهم ما حدث في المانيا حل مجلس الامة وانتخاب آخر مكانه . وفي اسبانيا زواج ملك اسبانيا وكاد يلاقي حتفه في موكب زواجه بقنبلة القاها احد الفوضويين فنجا هو وزوجته بعد ان قتل عشرات من الانفس . واستقال البرنس جورج حاكم كريت وأقيم مكانه رئيس وزارة اليونان السابق المسيو دليانس . وانتخب الدكتور بينا رئيساً لجمهورية برازيل وهو رابع رئيس تولى زمام جمهوريتها منذ سنة ١٨٨٩ عند ما حدثت الثورة بالمطالبة بالجمهورية .
واهم الاحداث الطبيعية انفجار مناجم لاكوريير في فرنسا هلك فيه زهاء الف عامل وثوران بركان فيزوف في ايطاليا وزلزال مدينتي فالباريزو وسان فرنسيسكو في اميركا وهما الزلزالان اللذان قضي فيهما الوف من الانفس وراحت فيهما اموال وعروض كثيرة ودمرت مدينة كنغستون عاصمة جزائر الجامايك الانكليزية . وانتشرت المجاعة في بعض بلاد روسيا وقحطت بعض ولايات اليابان فتداركت الحكومتان امر ذلك كما قحطت بعض ولايات الصين . وحدثت ثورة في الناتال كما حدثت فتنة في جزيرة كوبا

الشيخ ابرهيم اليازجي

فجعت العربية في الشهر الماضي بكبير من اكابر اهلها المنشئين واستاذ من جهابذة المحررين والمؤلفين الطيب الذكر والاثر الشيخ ابرهيم اليازجي صاحب مجلة الضياء . توفاه الله في هذه العاصمة عن ستين عاماً قضاها بين المحابر والدفاتر وقد وقف حياته على الافادة والاستفادة فانتفع به خلق كثير في جميع البلاد التي تقرأ فيها العربية ولا سيما في مصر والشام

ولقد عزَّ نعيه على كل من عرف فضله واخلاقه وما خصَّ به من دماثة الخلق ولين الجانب وعزة النفس وحسن العهد ولا عجب فقد فقدت المطبوعات بفقده عضواً عاملاً ورجلاً نافعاً . ورثاه جمهور كبير من العلماء والفضلاء وابنته الصحف والمجلات على اختلاف

الملل والنحل واللغات لان المصيبة بفقده كانت عامة جازاه الله افضل ما يجازي المحسنين على احسانهم ·

وهاك ما كتبناه في المؤيد الاغر يوم وفاة هذا الفقيد العزيز من تأبينه وترجمة حياته :

كان فقيد اليوم عالمًا مدققًا ولغويًا ضليعًا ومترسلاً نحريرًا ومفننًا فكهًا ونقادًا غيورًا وكاتبًا فريدًا وشاعرًا مجيدًا قضى حياة المتعلم والمعلم والعالم على اكمل وجوهها وبرز خاصة في علوم العربية على اقرانه فعد من آحاد زمانه

نشأ من بيت كان ربه يتغنى ليله ونهاره بالشعر والادب فشب وشاب فيما نشأ عليه انشيء له· وناهيك بمن يرضع اللغة من صغره ويعاني الادب في جميع ادواره لا يصل الى سمعه غيره ولا تقع عينه على ماسواه والجميع مستحسن له ومصفق ومؤمن على اقواله ومصدق

فانصرف في مدينة بيروت كوالده الشيخ ناصيف الى التعليم والتصنيف فتخرج به جهابذة ادباء واكثرهم اليوم هم الحركة الدائمة في مصر والشام وألف على ذاك العهد كتبًا وصحح اخرى منها شرح ديوان المتنبي · وصحح التوراة كما نقح كتب والده المدرسية في الصرف والنحو والبيان والعروض ووقعت له محاورات مع صاحب الجوائب وغيره كطرفة الطرف وكتب مجلة الطبيب سنة كاملة بمساعدة صديقيه العالمين الدكتورين زلزل وسعادة

هبط مصر في شتاء سنة ١٨٩٧ لانشاء مجلة علمية وطبع معجم عربي كان عني بتأليفه منذ سنين ولكن خانته الاقدار فرأى ما كان يسمعه عن نهضة مصر العلمية مبالغًا فيه وان سوق العلم والادب كاسدة لا اقبال عليها فاصدر اولاً مجلة « البيان » سنة بمعاونة الدكتور زلزل ثم اصدر وحده مجلة الضياء فدامت مطردة الصدور الى صيف هذه السنة وقد شحنها من عرائس افكاره وتحقيقاته اللغوية وأماليه الادبية ما لو كتب بغير هذا اللسان لاعجب باهله وكبروا مثل مقالات « اللغة والعصر » و« لغة الجرائد » و « اغلاط العرب » و« اغلاط المولدين » وطبع في العهد الاخير كتاب نجعة الرائد في اللغة ولم يوفق الى طبع معجمه لاسباب اهمها قلة النصير والظهير

كان الفقيد شديد الغيرة على لسان العرب بحيث لا يدانيه في ذلك غير خاصة الخاصة · مبالغًا في التدقيق والتمحيص حتى انه كان يألم ممن يرتكب غلطًا لغويًا انشائيًا ألمه ممن يسيء مباشرة اليه او يصادره في اعز الاشياء عليه ولذلك قلما كان يغفل كتابًا او ديوانًا من النقد اللغوي والأدبي وكثيرًا ما تأخذه الحمية العربية فينحي على المنتقد عليه وربما وصلت المسألة من العموميات الى الخصوصيات كما جرى في نقده معجم اقرب الموارد وكتاب الدرة اليتيمة وغيرهما · ولا بد لمن يتمحض للانتقاد ان يلاقي ما لقي الشيخ اليازجي فيصاب ويصيب ·

خصوصاً والناس في زماننا لم يألفوا الانتقاد واكثر المنتقدين يعدونه ثلاً لشرفهم وحطة لاقدارهم والناقد كيفما كانت الحال لا تصفو له القلوب الا على الندرة ولا سيما اذا عامل منتقديه بانه هو المسيطر على كل ما يبدر من خطاء وخطل والكفيل بحل كل اشكال ومعضل فكان انصراف قلوب بعض العالمين والمتأدبين عنه لعدم اضطلاعه بسياسة التعليم وهو داء العلماء من القديم حتى عقد ابن خلدون فصلاً في ان العلماء ابعد الناس في السياسة

وعلى الجملة فقد كان فقيد اللغة والادب اليوم آية في سعة اطلاعه على شوارد اللغة واوابدها محيطاً باقوال ائمة البيان العربي عارفاً بصحيح الكلام من فاسده بصيراً ببعض العلوم كالفلك والرياضيات وله المام تام بالفرنسوية والانكليزية (والعبرانية والسريانية) ويد طولى في الخط والرسم والنقش والحفر بحيث لو أُتيح له ان يعمل بما يهوى وينصرف الى ما يغلب على طبعه لاختار ان يكون رساماً من اهل الفنون الجميلة. ولولا انه آثر خدمة العربية كما قال لي عن نفسه مخافة ان يغلق بيته على حين في وسعه فتحه ويتوانى عن خدمة لغة عُرف ابوه واخوته من قبله بالتوفر على خدمتها والغرام بآدابها لجاء منه مصور ماهر ربما خلف وراءه مالاً وكان اهنأ عيشاً واهدأ بالاً

خدم الشيخ ابرهيم لغتنا بوضع بعض ألفاظ لمسميات أفرنجية وعرب بعض المصطلحات وله شعر جيد وبعضه سائر على الالسن وان لم ينسب اليه نقية مثل قصيدته المشهورة في القطرين التي يقول في مطلعها

دع مجلس الغيد الاوانس وهوى لواحظها النواعس

الى ان يقول سامحه الله :

فالشر كل الشر ما بين العمائم والقلانس

والخير كل الخير في هدم الجوامع والكنائس

وان صح ما قيل لي امس من ان الشيخ اليازجي مات بسرطان في الكبد فيكون . كان قاله هو في نعي فقيد الشرق السيد جمال الدين الافغاني « قضى ... بعلة السرطان وقد تشبث منه بين الفك والنحر ودب في مجري الفصاحة منه ولا عجب ان يدب السرطان في ابحر» قد نعى به نفسه وهو جدير ان يطلق عليه فانه بلا مراء رافع لواء الادب وشيخ العاملين على احياء لغة العرب فلا عجب اذا اهتز عالم الادب اليوم أسفاً على فقده . عوضنا الله عنه خيراً والهم المصابين بفقده جميل الصبر والسلوان

مطبوعات ومخطوطات

قانون الصين

ترجم الرحالة الفاضل الشيخ سعيد العسلي الطرابلسي هذا القانون عن اللغة الصينية وهو تأليف جلالة تونجي خانكدي امبراطور الصين السابق . والمترجم ممن ساحوا الاقطار الشرقية ولا سيما فارس والهند وبعض الصين وتعلم بعض اللغات الآسياوية . وهو قانون مدني لاعلامة على الانحطاط فيه وقد قال المترجم انه افرغ في قالب الحكمة والموعظة وجله موافق للشريعة المطهرة ومن مواده : الانسان مضطر ان لم يأكل انهكه الجوع وان لم يلبس الثخين والصفيق بقي عريانًا واهلكه القر فمن اراد ان لا يجوع فعليه بالحرث والغرس ومن اراد كم كلب البرد فليرب (الفلة) اى دود القز وليتخذ الحرير والحراثة من اعمال الرجال وتربية الفلة وعمل الحرير من عمل النساء فاحرثوا يامعشر الرجال وازرعوا واجروا المياه واحفروا الآبار واكروا الانهار واحيوا الموات واغرسوا اشجار الفواكه الطيبة اللذيذة واكثروا ما امكنكم من غرس الفرصاد والتوت والحور والخلاف والصفصاف وغير ذلك للوقيد والاحتطاب والعمارة وكذلك اكثروا من زرع الخضر والبقول وعليكم بالقنب والكتان والقطن وقصب السكر والقنى ولا يغب عن اذهانكم نفع الشاي فاذا فعلتم ذلك امرعتم واخصب عيشكم واتسع لكم المأكل والمشرب (تعطف) من اراد احياء موات او زراعة ارضه وليس عنده بذر ولا ادوات الحرث فليطلب من امير الاراضي في تلك الناحية ما يلزمه من الفلة والبقر والآلة وعلى ذلك المأمور ان يمهله ثلاث سنين لا يطلبه بالخراج ثم يسترد منه ما اعطاه بلا زيادة وكذلك من عمد الى قفر فاحياه واجرى اليه الماء الكافي وجعله قابلاً للزراعة والغرس والسكن فان جزاءه ان يمنح رتبة بك ويجعل اميرًا على ناحية وان كان معزولاً لذنب عفي عنه ورد الى منصبه وان كان من ارباب المذهب رقي او زيد في مدته وان لم يكن اهلاً لذلك اجزل له الخاقان الانعام وخلد له ذكرًا حسنًا . واذا لزم لك الحرير أيتها المرأة فخذي قدر ما يكفيك من البذر واحتاطي عليه بان تجعليه في زجاجة وتحفظيه في خرق الحرير في الموضع الحار حتى اذا جاء فصل الربيع فابسطيه على الملاحف والاطباق وغذيه باوراق التوت كما تعلمين حتى اذا استعد لعمل القز ضعي له ما ينسج عليه حتى اذا تمّ ذلك فخذيه وحليه واعملي الحرير وليكن حريرك رفيعًا نفيسًا لتزداد الرغبة فيه وعليك بنسج انواع الاقمشة الملونة الفاخرة المحتوية على كل شكل غريب ونقش بديع

وليكن ذلك متفاوت الوزن والنسج والمقدار والثمن ليأخذ كل ما يليق به وليشترك في تربية الدود وعمل الحرير وفتله ونسجه الجم الغفير منكن ليتحصل لكنّ الكثير من ذلك فان التعاون والاشتراك في الاعمال مما يجعل القليل كثيراً والنزر غزيراً وبهذا تكثر انواع الملبوسات وبكثرة المأكول والملبوس يطيب العيش وتصلح الاحوال وتكفى الحياة مؤونة الافلاس والتكفف على ابواب الناس . أليس هذا بصدق . أليس هذا بأشرف من الكسل والغفلة والقعود تحت الجدران وملازمة البيوت كالعميان والنسوان وجزاء من تقاعد عن ذلك حتى جعل يشكو الجوع والعري وسلك طرق اهل الغي والفساد يذكر »

وفي آخر القانون ان من « ارتكب جريمة من المسلمين أجرى عليه الجزاء بما يقتضيه شرع مجين شنك رين (وهو اسم محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه الانسان المقدس) ايها المسلمون احترموا دينكم واعتصموا بما جاء به نبيكم فمن اتى منكم منكراً فعلى القاضي ان ينفذ فيه حكم شريعته ومن ابى اجرينا عليه حكم (لي) من الضرب والهوان واذا قضى القاضي او افتى المفتي بخلاف شرعه جرد واجرى عليه حكم المفتري على الدين »

المسألة المصرية

ترجمت ادارة صحيفة المنبر الغراء رسالة لمستر جون روبرتسون احد اعضاء دار الندوة الانكليزية الى العربية ذكر فيها المسألة المصرية ومما جاء فيها ان تاريخ العالم السياسي يثبت انه من الاغترار ان يطلب من امة ان تكون شكورة لاخرى اجنبية عنها تتولى السيادة عليها. ولطالما قيل في الايام الماضية للايطاليين قبل ان يحصلوا على استقلالهم انه يجب عليهم ان يكونوا راضين عن النمسا لانها ساعدت على ترقيتهم واسعدتهم وحفظتهم من اعتداء بعضهم على بعض ووقتهم غارات الامم الاخرى فلم تفلح هذه الاقوال مع الطليان ولم تحملهم على الرضى والقبول . ثم مثل بالبولونيين مع روسيا والايرلنديين مع انكلترا وقال انه اذا كانت القرون الطويلة قد مرت ولم يسد الوفاق بين امتين (الايرلندية والانكليزية) تتكلمان لغة واحدة وتصاهر احداهما الاخرى وتنتحلان آداب لغة واحدة فهل يظن بدون الرجوع الى مبادىء المودة والانعطاف والصفاء ان يسود الوفاق بيننا وبين امم غريبة عنا في الدم والعنصر واللغة والتقاليد والعادات — ويعني بذلك مصر والهند

ثم تكلم على التعليم في مصر ورد اقوال من يذهبون من ساسة الانكليز الآن الى انه يجب «ان لا تكون الغاية التي يرمى اليها تكثير عدد التلاميذ الى حد فائق بل ان تكون بتعليم عدد محدود تعليماً تاماً فان الحكومة لم تزل بعد بعيدة عن تلك الحالة التي يمكنها فيها تعليم اكثر الاهالي

تعليماً موافقاً » وابطل مزاعمهم هذه بالبراهين محتجاً بان الهبة التي تدفعها الامبراطورية الانكليزية للتعليم في اسكتلنداهي سبعمائة الف جنيه وهو مبلغ يزيد عنه كثيراً المصروف فعلاً على التعليم في تلك البلاد مع ان عدد سكانها لا يزيد عن نصف عدد سكان القطر المصري وعلى ذلك يعتبر هؤلاء الذين يظنون انهم يحسنون صنعاً في مصر ان صرف ٦٦٨٨٨ جنيهاً كل سنة كاف للتعليم فيها

وختم قوله بان الاحصاء الرسمي يدل على ان عدد القارئين والكاتبين في مصر من الرجال هو ٣٨٩٤٠٧ بموجب احصاء سنة ١٨٩٧ ولم تترقَّ المعارف بعد ذلك ترقياً يذكر وعدد القارئات والكاتبات ١٠٢٦٩ أي من حيث المجموع ٥ في المئة من اهالي القطر وقال في الاحتجاج للمصريين وهم يرون ان مبلغ ربع مليون من الجنيهات يصرف فقط على مدارسهم على حين تبذل الحكومة ثلاثة ملايين وثلاثة ارباع المليون الى حملة القراطيس المالية من الاوروبيين فائدة للذين لم يستلموا من اصله الا القليل . ثم قال فان شوهد بان الجرائم تكثر في مصر فليس لها الا ان تعمد الى ما تقوم به البلاد المتمدنة فان ترقية آداب مصر هي الدواء الناجع والحل الصحيح للمسألة المصرية

معجم البلدان

ظهر الجزء الثامن من معجم البلدان لياقوت الحموي الذي طبعه في مصر الاديب محمد امين افندي الخانجي وشركاؤه فتم به الكتاب كله وهو الآن آخذ بطبع المستدرك عليه الذي سماه منجم العمران وقد عني بتصحيحه الاستاذ الفاضل الشيخ احمد بن الامين الشنقيطي فجاء سليماً من الغلط على الجملة ولا سيما في المحال التي عثر فيها على اصل صحيح يرجع اليه مثل نسخة وستنفيلد المطبوعة في المانيا وغيرها من المخطوطات وانا لنثني اطيب الثناء على الطابع الاديب وهو يطلب من مكاتبه في مصر والاستانة وتونس وغيرها وثمنه ثمانون قرشا وبعد انجاز طبع الملحق مئة قرش وهو رخيص جداً اذا قيس بالطبعة الاوروبية التي نفدت او كادت او اذا حسبت اكلافه ونفقاته

تاريخ الاندلس

وهو المسمى بالمعجب في تلخيص أخبار المغرب للشيخ الحافظ الفقيه محيي الدين المراكشي وهو الكتاب الذي تكلمنا عنه مطولاً في الجزء التاسع من المقتبس وبينا فوائده وجودة تأليفه بتطويل طبعه في مصر هذه الآونة الاديب محمد افندي هاشم الكتبي على النسخة المطبوعة في اوروبا فجاء في ٢٥٠ صفحة صغيرة جيدة الطبع حرية بان يصحبها المرء معه في

خلواته و يقرأُوها في سمره ومنتزهاته وقد رخص ثمنها لجعله ثلاثة قروش صحيحة بعد ان بيعت الطبعة الاوروبية باربعين فحث كل اديب على مقتناه ويطلب من طابعه في دمشق ومن اكثر مكاتب القاهرة

مرآت علوم

هي مجلة علمية صناعية ادبية اجتماعية صدرت هذا الشهر في القاهرة باللغة التركية يحررها زمرة من رجال الادب والفضل منهم رفيق بك العظم وحقي بك العظم والدكتور عبد الله بك جودت وعبد الحميد افندي الزهراوي و يوسف سامح بك وكمال بك وغيرهم وقد انشأُوها اجابة لطلب بعض عقلاء مسلمي قازان في روسيا ممن رأَوا ان احسن واسطة للتمدن ان يتعلموا اللغة التركية الحديثة ويتخلصوا من لغتهم الرديئة الجغتاي القديمة . وقد تلونا فيها ابحاثاً ممتعة منها بعد المقدمة اللطيفة مقالة في جزائر الكومور وسكانها المسلمين . وخلاصة تاريخية في الاسلام والمدنية ونبذة من كتاب روح الامم معربة عن الفرنسية . ودليل مصر . ومقالة طبية ثم باب الاختراعات والادبيات وقيمة الاشتراك بها ٤٠ قرشاً اميريًا فعسى ان ينتفع بها من انشئت لاجلهم وعساها تأخذ باهداب الحزم والصبر وفق الله القائمين بها خدمة للعلم والحضارة

رويات ورسائل جديدة

(بديعة وفؤاد) مؤلفة هذه الرواية الكاتبة الادبية العقيلة عفيفة كرم من الاديبات السوريات في الولايات المتحدة وقد نشرت من قلمها فصولاً كثيرة في التهذيب والانتقاد والاصلاح في جريدة الهدى اليومية الغراء في نيويورك وكتبت هذه الرواية اللطيفة وجعلت نصب عينها ما ترمي اليه في كتاباتها من انهاض شأن المرأة وتهذيب الرجل وهي تقع في ٣٦٨ صفحة متوسطة مطبوعة طبعاً جميلاً على ورق جيد في مطبعة الهدى وقد جعلتها هدية لكل سيدة مشتركة في الهدى وما يباع منها يصرف في سبيل الاحسان بعد توفية نفقات الطبع ولا شك ان انشاء الكاتبة وفكرها يتحسنان بكثرة تمرينها على ما وقفت نفسها عليه اكثر الله من امثالها في مجتمعنا العربي .

(رواية آخر الليل) عربها الاديب ريكاردو حبيب صليان وطبعت على نفقة ادارة الهلال وهي ادبية غرامية في زهاء ثمانين صفحة وتطلب من مكتبة الهلال .

(المنظومات الجميلية الشطية) هي كراسة من منظومات الاديب مكرمتلو محمد جميل افندي الشطي واهداها الاديب المومأ اليه جدولا له في الفرائض فنثني على نشاطه

(الطفل المفقود) اهدتنا مجلة مسامرات الشعب رواية الطفل المفقود لواضعها الكاتب الفرنسوي مكسيم ويلر ومعربها الكاتب الشاعر البليغ نقولا افندي رزق الله وهي كسائر ما نقلته يراعة المعرب الفاضل من الروايات الحسنة الادبية التي تجمع بين الفائدة والفكاهة وانا لنثني على صاحب المسامرات الفاضل فانه لا يألو جهداً في تحسين مشروعه الادبي فلا غرو بعد هذا اذا لقي اقبال قراء العربية والبضاعة الجيدة تباع مهما بلغ الكساد

سير العلم

تسميم المأكولات

نشرت « المجلة » الافرنسية بحثاً في كيفية تسميم المأكولات والمشروبات في فرنسا ودخول الغش على الحاجيات كاللبن ومزجه بالماء وتزبده (قشه) والخمر وشوبه والجعة واتخاذ المواد الرديئة في صنعها وخمر التفاح و الشوكولاتا واللوز الهندي والقهوة والشاي والمياه المعدنية وهذه اقرب جميع المأكولات والمشروبات الى الغش والتدليس وكذلك السمن والدقيق والخبز وشحم الخنزير وزيت الزيتون واللوبياء والفلفل وغيرها من الادوية والعقاقير

الجرائد في اليابان

في طوكيو عاصمة اليابان ١٦ جريدة يومية ومعدل ما يطبع من كل منها في اليوم ٣٥ الف نسخة ومجموع ذلك ٥٥٠ الفا وليست تأثيرات الجرائد في اليابان كتأثيراتها في اوربا والكتاب هناك لا يتوقعون مما يكتبون الا ارضاء قرائهم

مستقبل اليابان

روت بعض مجلاتهم ان مستقبل اليابانيين لا يتوقع من رجال حكومتها ولا من رجال الحرب فيها بل من رجال الاعمال فيها فانهم ادوات الحضارة يمهدون لها السبل بالبحث عن الطرق التي تغني البلاد من الوجهة الاقتصادية ولذلك أسست منذ ثماني عشرة سنة مدرسة تجارية في كيوجيجوكو فتخرج فيها حتى الآن نحو الف تلميذ انتشروا في اطراف البلاد اليابانية . وقد زعمت المجلة بان اليابان لا تكون دولة عظمى الا اذا تحولت بالتدريج الى ان تكون المركز الصناعي والتجاري في الشرق الاقصى

فلسفة سبينوزا

بحث عالم في احدى المجلات العلمية في فلسفة سبينوزا القائل بأن الله واحد احد يحل في كل الكائنات فقال ان فلسفته اثرت في المانيا فقال بقوله الفلاسفة لسينغ وهردير وشيلرماشير وهيكل وكيتي وهين وان كولريج وودسورت وهربرت سبنسر في انكلترا نسجوا على منواله وان فيكتور كوزين من حكماء فرنسا احيا فلسفته ايضاً في بلاده

خطوط الندى (تلفون)

بلغ طول اسلاك الندى في العالم المتمدن زهاء خمسة ملايين وربع من الكيلو مترات منها ٥٣٤٠٠٠ر١ في المانيا و٦٢٣٨٧٤ر في فرنسا و٣١٣٠٠٠ر١ في انكلترا و٢٠٠٠٠٠ر في سويسرا و٣٨٠٠٠٠ر في روسيا و٩٢ الفاً في نروج وما بقي موزع على سائر الامصار والاقطار

نهضة الطليان

كتبت في العهد الاخير رسائل وكتب كثيرة في نهضة الايطاليين ونظر اليها المفكرون من الامم نظر الاعجاب ونظر اليها بعضهم نظر الحسد ومما قيل فيها ان الشمال من شبه جزيرة ايطاليا هو موطن الحركة الاقتصادية كما كان في السالف منبعث القوة والوحدة الايطالية وان ليس كمثل حركة الاجتماع بايطاليا في سائر اقطار المعمور

قضبان الحديد

معروف ان الخطوط الحديدية قلبت نظام العالم بسرعة النقل وسهولته ولقد كان يستعمل منها لاول امرها ما حسن وما لا يحسن من القضبان اما الآن فقد انصرفت العناية الى استجادة انواعها والاستعاضة عن القديم منها باحسن منه جديداً . وقد كانت الولايات المتحدة من اكبر الدول المكثرة من استعمال القضبان الحديدية لان خطوطها طويلة جداً وكانت معاملها تصنع بقدر ما يصنع في معامل العالم كله على وجه التقريب فلم تكن زنة ما استعملته الولايات المتحدة سنة ١٨٧٨ من القضبان سوى نصف مليون طن فاصبح اليوم ثلاثة ملايين ونصفاً وقد زاد في الخمس عشرة سنة الاخيرة ثلاثة اضعاف فكان مجموع ما صرفته من الحديد لقضبان السكك الحديدية من سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٩٥ ، ٥٨ مليون طن اما المانيا وانكلترا وفرنسا فانهما بعد الولايات المتحدة في ما تخرجه معاملهن من القضبان ولكن النسبة بعيدة بينهن و بين الولايات المتحدة وكذلك الحال في كندا وايطاليا واليابان والصين

العانسات العاملات

نشرت احدى الكاتبات في مجلة علم الاجتماع الدولية مقالة ضافية في حالة المرأة البرتغالية فقالت انها تشبه القاصر الذي هو لا يزال تحت وصاية وصيه ووليه وان المرأة المتزوجة التي ليس لها ثروة خاصة بها لا يصح لها ان تدعي انها ربة البيت التي هي فيه . ويؤخذ من الاحصاءات الاخيرة ان في فرنسا ١٧٠ر٦٢٢ر٢ امرأة لم تتزوج بقين عانسات في بيوتهن على حين جاوزن الحادية والعشرين من العمر وانه يمكن ان يكون في البرتغال نحو مليونين وقد شوهد انه تكاثر في المدة الاخيرة عدد النساء اللاتي اخذن ينهلن على المدن البرتغالية يطلبن الاستخدام والامتهان بالحرف

آلة الاقتراع Le psephographe

هي آلة اخترعها احد الطليان وعرضها في ميلان امام جمهور من الناس دعاهم ليبدوا آراءهم فيما اذا كان الاولى الاكثار من الجيوش والعدد او الاقلال منها فيعرف بواسطتها عدد الموافقين وعدد المخالفين لهذا الرأي ولهذه الآلة مزية على الالة المستعملة اليوم في الانتخابات لانه لا يتيسر بها الغش ولا التدليس . فآلة البسوفوغراف تنفع كثيراً في دور الندوة ومجامع الامة والمؤتمرات والمجتمعات على اختلاف انواعها اذا قضت الحال ان يؤخذ قرار المجتمعين بعد المفاوضة بينهم . وربما استعملت في المخازن لتعداد الداخلين والخارجين منها كما تستعمل في الطرق العامة لاحصاء ابناء السبيل والعجلات الذاهبة الجائية وغير ذلك

ارتقاء اميركا

كتب احد المفكرين في مجلة المجلات النيويوركية فصلاً عدد فيه ما تم في الولايات المتحدة من اسباب الحضارة والعمران . قال وعلى من اراد ان يدرك مقدار ما بلغته اميركا من الارتقاء الاقتصادي الغريب ان لا يحسب بالملايين بل المليارات فان الربع الاخير من القرن السالف كان انجح دور في التاريخ الاميركي ظهرت فيه غرائب وعجائب في كل فرع من فروع الاعمال . فبفضل توفر اسباب الري وانشاء الخطوط الحديدية وكثرة استخراج الحديد من مناجمه الذي يبلغ نصف ما يستخرج في جميع العالم ارتقت الزراعة ارتقاء لا مثيل له في ادوار الامم . وكل هذا ليس بشيء اذا قيس لما نتوقعه البلاد في المستقبل الباهر ولا سيما بعد اربعين سنة ايام يكبر ابناء اليوم فيصير اهل الولايات المتحدة مئتي مليون نسمة وهم الآن زهاء ثمانين

انشاء الحياة

رنت الاندية العلمية بما عرضه المسيو ستيفان لدوك على مجمع العلوم الباريزي من انه يستطيع انشاء احياء حية حقيقية من جواهر جامدة وخلق نباتات ذات سوق واوراق بوضع قطعة من السكر وسولفات النحاس في محلول معدني فتكبر وتنمو وتصير نبتة تامة وقد ردت عليه الجرائد العلمية فقالت انه اوهم الحضور بانه استطاع تأييد مدعاه الذي قالوا انه اصعب من الحصول على حجر الفلاسفة على حين انطلى على بعض البسطاء فتناقلوه وعدوه صحيحاً

قالت « المجلة » لقد اعجب الناس لما قرأوا صورة مدعاه في اعمال المجتمع ولم يروه يشير الى ماقام به المسيو تروب الالماني عام ١٨٦٥ و١٨٦٧ من التجارب التي ادت الى انشاء نباتات حقيقية . وقد عد مادعاه هذا الباحث مثل حية فرعون وهي اللعبة التي يلعب بها الاولاد مؤلفة من شيء من الزئبق اذا اشعلت انتفخت كالحية بعد ان كانت صغيرة الحجم وقال احد اعضاء ذلك المجتمع متى حل الانسان هذه المسألة يكون اخلق من الخالق واقوى من الطبيعة كلها واقدر من العالم اللامتناهي

الانكليزي والمطالعة

نشر احدهم مقالة في حرب الكتب في نكلترا قال فيها ان القارىء الانكليزي من اطمع القراء في المطالعة وان ميله الى الاكثار منها يكاد لا يصدق وان الانكليزي ليطالع جريدة التيمس وهي تصدر في عشر صفحات واحياناً في ست عشرة ولا تراه راضياً عن نفسه قانعاً بما احرزه من الفوائد بل ان القوم لا يقبلون على مطالعة الموجزين في عباراتهم من المؤلفين بقدر اقبالهم على المكثارين منهم . فوالتير سكوت تقرأ كتبه اكثر من هال كين وماري كورللي وفي المكتبة السيارة في لندن سبعة ملايين مجلد

الاطباء اليوم

بحث احدهم في مجلة المجلات الفرنسوية في حالة الاغنياء منذ سبعمائة سنة ولا سيما الاطباء والجراحون وقابلها مع اهل طبقتهم في هذا العصر من الفرنسيس فقال ان اطباء الامراء كانوا يأخذون رواتب سنوية تختلف بين ٢٢٥٠ فرنكاً وهو المبلغ الذي كان يتناوله طبيب الكونت دي سافوا (١٤٠١) و٢٢٠٠٠ فرنك كانت مخصصة لجراح شارل العاقل اما اليوم فان الطبيب الباريزي الذي يطب القوم يعود ثلاثين مريضاً في اليوم فيكسب ثلاثين الف فرنك في السنة اما كبار الاطباء في باريز وهم نحو ار بعين طبيباً فيربح كل منهم من مئة الف الى مئتي الف فرنك

الحيوان والانسان

انشأت احدى كاتبات لندن مقالاً فيما ارتآه الانسان في الحيوان في جميع ادوار التاريخ وكيف احترم الاول الثاني او ظلمه فقالت ان ابولونيوس دي تيان اقام الحجة على تضحية الحيوانات التي كانت شائعة في كل مكان على عهد الرسل . اما آباء الكنيسة فلم يجسروا على الغاء هذه العادة واقدم الفلاسفة على القول بعدم اذية الانسان للحيوان لان الخالق تعالى انشأ الخلق الناطق وغير الناطق على حد سواء في العالم فقام سلس من فلاسفة القرن الثاني للميلاد وبلوتين الاسكندري من فلاسفة القرن الثالث وبورفير الاسكندري من اهل القرن الثالث ايضاً ونددوا بالرفق بالحيوان . ثم ان الكنيسة تلونت في الحكم على الحيوان فحكم مجمع ورمس علناً بالموت على النحل ولكنه اجاز اكل عسلها . وفي سنة ١٣٧٩ حكم دوك بورغونيا بالموت ايضاً على خنزيرتين وخنزير . وللفيلسوف ديكارت الفرنسوي في القرن السابع عشر رأي في ارواح الحيوانات يعرفه من عرف فلسفته . ودافع شوبنهاور الالماني الحكيم عن الحيوانات وفضلها على الانسان . ومنذ جاء داروين الانكليزي واعلن رأيه في النشوء والارتقاء اخذ الناس يعتبرون الحيوانات بانها اخوتنا المنحطة عنا مقاماً ليس الا

بيوت العلم الاميركية

نشر احد المطارنة العلماء رحلته الى اميركا في احدى المجلات الالمانية فما قاله فيها انه دهش مما شاهد من الميل الى الترقي الذي اصبح غريزياً في المجتمع الاميركي كما اعجب بكثرة المدارس والكليات الجامعة المنتشرة في كل صقع وبلدة وقرية في الولايات المتحدة وكل ذلك مما يلفت الانظار ويأخذ بمجامع القلوب والابصار . فان كليتي يال وهارفرد مثلاً هما في الحقيقة مدن حقيقية فيهما معامل كيماوية من احسن ما يتصور العقل وادوات وآلات في كل ضرب من ضروب العلم والصنائع وخزائن كتب لا نظير لها وقال ان اساتذة المدارس الابتدائية ليسوا قساة جفاة ذوي هيئات مرعبة يضعون على عيونهم المناظير ويخيفون الكبير والصغير بل هم نخبة من الفتيان امتلأت اجسامهم نشاطاً ووجوههم بشاشة . وان صوت النساء اللاتي تعلمن على مثال تعليم الرجال اخذ يرن في جميع المناقشات العامة .

الاديان والآداب

كتب عالم في مجلة الاصلاح الاجتماعي بحثاً تساءل فيه عما اذا كان يتأتى لامة ان تكون آدابها سالمة من الشوائب عند ما تلغي حكومتها الاديان فاثبت بانه كلما قل التدين واضمحل الاعتقاد بالاديان تضعف الآداب على نسبة تلك القلة وتنحط الاخلاق انحطاطاً محسوساً

الرياضة البدنية

بحث احدهم في تربية الامة تربية طبيعية فقال ان اليابان قد قوي جنسها بتمريناتها العضلية المعروفة عندها باسم جيوجيتسو وان السويد ادركت ما يتهددها من اخطار المشروبات الروحية فقاومتها واخذت في الاكثار من الرياضات البدنية فعاد الى الاجسام نشاطها بعد ان كادت تفقده. وهكذا كل امة تريد ان تتربى التربية الطبيعية ينبغي لها ان تكثر من انواع الرياضات وتمتنع عن الموبقات والمسكرات

خاتمة السنة الاولى

نحمده تعالى على ان هدانا للجري على الخطة التي وضعناها منذ البداءة بهذا العمل العلمي وان حقق آمالنا فيما قصدنا اليه من السعي في سبيل الافادة والاستفادة فجاء ماكتبناه ونشرناه ماترى لاما يجب ان ترى . وانما هي سنة الارتقاء تدرجنا فيها على ما انفهم ذلك للقارىء البصير ولا ملام على من بذل المجهود في درك المقصود

ولقد لقي المقتبس من الاقبال عليه مالا يستحقه وصادف من المنشطات وموازرة العلماء والادباء الباحثين ماقوي به عضده وزنده ولكنه استفاد في الاغلب من نقد الناقدين والمستهجنين اكثر من تقريظ المقرظين واستحسان المستحسنين وصديقك من صدقك لا من صدقك

وهنا نثني اعطر الثناء على تلك الفئة العاملة التي جادت على المقتبس بافكارها وابحاثها واتخذته مباءة لانفاسها الطاهرة ومثابة آدابها الباهرة ونتقدم الى رصفائنا حملة الاقلام وقادة الصحافة في مصر والشام والهند واميركا وبعض المجلات العلمية في اوروبا لنشكرهم على ما يتفضلون كل شهر بكتابته على هذه الصحيفة والتنويه بها والدعوة الى تناولها والنقل عنها ترغيباً وتحبباً

كما نرفع عبارات الشكر لعمدة جمعية الشرق السورية في اوماهانبراسكا من اعمال الولايات المتحدة لاقامتهم حفلة تذكارية للمقتبس في متنزه مانأوا على سبعة اميال من اوماها في السادس عشر من شهر اغسطس الماضي فخطبوا بما املاه الاخلاص وحب التناصر وفاه صديقنا الفاضل الغيور يوسف افندي جرجس زخم بما كان من بعض الادلة على فضله وادبه وكذلك اخوانه الفضلاء الذين احيوا بعد شهرين ليلة انس في محفلهم ووقف ٢٤ مدعواً من اعضاء المحفل وشربوا نخب صاحب المقتبس والقوا ابياتاً ابانت عن كرم شرقي ونفوس سامية

والله نسأل ان يجعل عامنا الثاني افضل من الاول. ويوفقنا الى خير الاعمال ويهدينا من العلم الصحيح الى اقوم سبيل انه اكرم مسؤول